

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف
الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى



من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر

مكابع سلا

2005 - 1426

تم طبع الجزء 22 من معلمة المغرب
بمطابع سلا وبمطبعة النجاح الجديدة
في ذي القعدة عام 1426 / دجنبر 2005

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984 / 0629

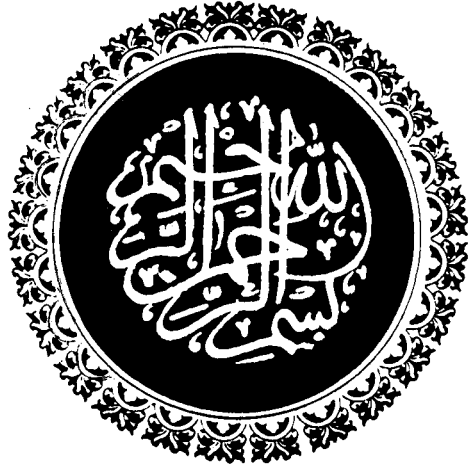
جميع حقوق النقل والترجمة - جزئياً أو كلياً بأي شكل كان - محفوظة
للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولمطابع سلا

رد مك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)

رد مك 5 - 029 - 03 - 9981 (الجزء 22)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التَّغْرِيبُ لِلْأَفْصَى



أعد هذا الجزء من معلمة
المغرب بدعم من وزارة الثقافة
ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة
أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق
عبارات الشكر والامتنان.



المدير المشرف

: محمد حجي رحمه الله

لجنة التحرير

: أحمد التوفيق، أستاذ التاريخ بكلية الآداب.

الرباط

المرحوم محمد حجي

لجنة العلوم الإنسانية

: محمد بنشريفقة، أستاذ الأدب العربي والأندلسي

بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية،

الرباط

إبراهيم بوطالب، أستاذ التاريخ بكلية الآداب.

الرباط

سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط

مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي

بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافية : عبد الله العويطة، أستاذ الجيومورفولوجيا بكلية

الآداب، الرباط

مصطفى عياد، أستاذ الجغرافية البشرية بكلية

الآداب، الرباط

إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية

الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة،

الرباط

عبد المالك بنعبيد، أستاذ بالمدرسة الوطنية

الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة

والبيطرة، الرباط

محمد رمضان، باحث في البيولوجيا الحيوانية

بالمعهد الوطني وأستاذ بكلية العلوم، الرباط

اختصارات

| | |
|-------------------------------------|--------|
| = توفي | .تد |
| = تحقيق | .تج |
| = ترجمة | .تر |
| = خزانة تطوان | .خ.تد |
| = الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط | .خ.ح |
| = الخزانة الصبيحية بسلا | .خ.ص |
| = الخزانة العامة بالرباط | .خ.ع |
| = خزانة القرويين بفاس | .خ.ق |
| = خزانة ابن يوسف بمراكش | .خ.ي |
| = دون تاريخ | .د.تد |
| = دبلوم الدراسات العليا | .د.د.ع |
| = دون مكان | .د.م |
| = طبعة | .ط |
| = انظر | ← |

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

المشاركون في هذا الجزء

- عبد المجيد احساين، باحث - الرباط
ميلود أحمن، كلية الآداب - مراكش
محمد الأخضر، باحث - الرباط
علي الإدريسي، باحث - الرباط
الفقيه الإدريسي، كلية الآداب - بني ملال
المحفوظ أسمهر، باحث
سعيد أعراب، باحث - تطوان
مصطفى أعشي، المعهد الملكي للدراسات الأمازيغية - الرباط
عمر أفا، كلية الآداب - الرباط
المختار الأمحل، كلية الآداب - المحمدية
إبراهيم أنوار، باحث - أكادير
خالد أوشن، كلية الآداب - أكادير
محنند أيت الحاج، باحث - الدار البيضاء
محمد البايك، باحث - مراكش
ثرثيا براءة، كلية الآداب - القنيطرة
الحسين البعاوي، وزارة التربية الوطنية - البهاليل
عبد السلام البكاري، باحث
عبد العزيز بل الفايدة، كلية الآداب - القنيطرة
محمد بلعربي، باحث - الرباط
عائشة البلغيشي العلوي، كلية الآداب - الرباط
البضاوية بل كامل، كلية الآداب - الرباط
رقية بل مقدم، كلية الآداب - القنيطرة
أحمد بنجلون، باحث - الرباط
زليخة بنرمضان، كلية الآداب - المحمدية
عبد المالك بنعبيد، المدرسة الغابوية للمهندسين - سلا
عثمان بناني، كلية الآداب - الرباط
عبد القادر بوراس، المركز الجهوي التربوي - القنيطرة
محمد بوزيان بنعلي، باحث - فكيك
أحمد البوزيدي، كلية الآداب - فاس
إبراهيم بوطالب، كلية الآداب - الرباط
عبد العزيز بوعصاب، باحث - الرباط
عبد الكريم بوفرة، باحث - مراكش
عبد المجيد بوكاري، باحث
محمد بوكبوط، باحث
أحمد بومزكو، وزارة التربية الوطنية - تيزنيت
جامع بيضا، كلية الآداب - الرباط
بوعبيد التركي، باحث
نجيب تقي، باحث - الدار البيضاء
أحمد التوفيق، كلية الآداب - الرباط
حسن جلاب، كلية اللغة العربية - مراكش
الحسين جهادي، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء
محمد الحاتمي، باحث - أكادير
محمد حجاج الطويل، كلية الآداب - الدار البيضاء
إبراهيم حركات، كلية الآداب - الرباط
محمد حنداين، وزارة التربية الوطنية - أكادير
علال الحديمي، كلية الآداب - الرباط
خالد الحضري، وزارة الثقافة - الرباط
عبد العزيز الخمليشي، كلية الآداب - الرباط
نجاة الحياطي، كلية العلوم - الدار البيضاء
مارية داداي، كلية الآداب - وجدة
عبد العزيز دبور، باحث
نفيسة الذهبي، كلية الآداب - القنيطرة
محمد رحو، كلية الآداب - فاس
علال رگوگ، كلية الآداب - بني ملال
محمد رمضان، المعهد العلمي - الرباط
أحمد زروال، كلية الآداب - مراكش
قاسم الزهيري، باحث - الرباط
عبد النبي زين العابدين، باحث - الرباط
محمد السعديين، وزارة التربية الوطنية - سلا
حنان السقاط، باحثة

- مولاي الحسن السكراتي، كلية الآداب - أكادير
 رشيد السلامي، كلية الآداب - مراكش
 عبد المالك السلوي، كلية الآداب - المحمدية
 عبد اللطيف الشاذلي، مديرية الوثائق الملكية - الرباط
 الميلود شاكور، كلية الآداب - الرباط
 صالح شگاگ، وزارة التربية الوطنية - الرباط
 الحسن شوقي، وزارة التربية الوطنية - العطاوية
 عبد العزيز الضعيفي، كلية الآداب - بني ملال
 أحمد صالح الطاهري، المعهد الوطني للآثار - الرباط
 محمد الطيلسان، كلية الآداب - الرباط
 محمد الظريف، كلية الآداب - المحمدية
 عبد الله عاصم، كلية الحقوق - الرباط
 عبد الرحمان عافي، باحث
 عبد العزيز بن عبد الجليل، باحث - مكناس
 أحمد عزاوي، كلية الآداب - القنيطرة
 محمد ابن عزوز حكيم، باحث - تطوان
 عبد الصمد العشاب، باحث
 عبد الرحيم العطاوي، كلية الآداب - الرباط
 نزهة عقيلي، باحثة - الرباط
 سليمان العلوي، ديوان المظالم - الرباط
 أحمد عمالك، كلية الآداب - مراكش
 محمد عمراني، كلية الآداب - القنيطرة
 محمد العمراني، باحث
 عبد الإله الفاسي، كلية الآداب - القنيطرة
 محمد فتحة، كلية الآداب - الدار البيضاء
 محمد الفران، باحث
 محمد الفقير، باحث - سلا
 حسن الفكيكي، كلية الآداب - القنيطرة
 بوشتي الفلاح، المعهد العلمي - الرباط
 عبد الرحمن القباح، باحث - الدار البيضاء
 أحمد قدور، كلية الآداب - القنيطرة
 حمزة الكتاني، باحث - الرباط
- موسى كرزازي، كلية الآداب - الرباط
 لطيفة الكندوز، معهد البحث العلمي - الرباط
 محمد اللبار، كلية الآداب - وجدة
 محمد بن لحسن، باحث - بني ملال
 حسن ليمان، وزارة الثقافة - الرباط
 علي ماء العينين النعمة، باحث
 محمد ماگامان، باحث - مراكش
 أحمد متفكر، باحث - مراكش
 محمد مجدوب، كلية الآداب - المحمدية
 الحسن المحداد، كلية الآداب - أكادير
 محمد محيي الدين، كلية الآداب - الدار البيضاء
 المكّي مربي، باحث - مراكش
 أمينة المريني، باحثة - الرباط
 نجاة المريني، كلية الآداب - الرباط
 محمد معروف الدفالي، كلية الآداب - الدار البيضاء
 محمد المغراوي، كلية الآداب - الرباط
 أحمد المكاوي، كلية الآداب - الجديدة
 المالكي الملكي، كلية الآداب - تطوان
 محمد المنصور، كلية الآداب - الرباط
 أحمد الناصري، باحث - سلا
 ربيعة الناصري، باحثة - الرباط
 عبد العزيز ناظم، كلية الآداب - الرباط
 مصطفى ناعمي، معهد البحث العلمي - الرباط
 عبد الحكيم الهلالي، باحث
 العربي هلالي، باحث - فكيگ
 أحمد هوزالي، كلية الآداب - مراكش
 عبد الله واكريم، باحث
 محمد وحيد، باحث - الدار البيضاء
 التهامي الوزاني، باحث
 عبد الحق الوزاني، باحث
 محمد ياسر الهلالي، كلية الآداب - الدار البيضاء
 إبراهيم ياسين، باحث

Listes des principales abréviations des périodiques

- A.A. : *L'Afrique et l'Asie.*
A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales.*
A.E.S.C : *Annales, Economie, Sociétés, Cultures.*
A.F : *Afrique Française.*
A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignement Coloniaux.*
A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
A.M : *Archives Marocaines.*
A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie.*
And. : *Al-Andalus.*
Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
Ant. Afr. : *Antiquités Africaines.*
B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
B.A.R : *British Archeological Reports.*
B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
B.G.M : *Bulletin de Géologie du Maroc.*
B.I.D.M : *Bulletin de l'Informatique et de la Documentation Marocaine.*
B.I.F.A.N : *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire.*
B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne.*
B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
B.S.G.A.O : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
B.S.H.M : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Préhistoire du Maroc.*
Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique.*
C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
Cah. Rech. Agron. : *Cahiers de la Recherche Agronomique.*
C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos.*
C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam.*
C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée.*
C.R.A.I.B.L : *Comptes-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
C.R.A.S : *Comptes-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
C.T : *Cahiers de Tunisie.*
E.B : *Encyclopédie Berbère.*
E.I.1 : *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*
E.I.2 : *Encyclopédie de l'Islam. (2ème édition).*
E.T.A.M : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
Et. Médit. : *Etudes Méditerranéennes.*
F.M : *France - Maroc.*
F.S.S.A.N : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
G.E.M : *Grande Encyclopédie du Maroc.*
Hesp. : *Hespéris.*

H-T : *Hespéris-Tamuda.*
H.T.E : *Hommes, Terre et Eaux.*
I.G : *Information Géographique.*
I.H.E.M : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
I.H.E.M : N-D : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
I.S.C : *Institut Scientifique Chérifien.*
Isl. Cult. : *Islamic Culture.*
I.S.P.M : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
J.H.S.N : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
M.A.I.B.L : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
Medit : *Méditerranée.*
M.E.F.R : *Mélanges de l'Ecole Française de Rome.*
N.A.M.S.L : *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
P.I.H.E.M : *Publications de l'Institut des Hautes Marocaines.*
P.S.A.M : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
P.S.H.M : *Publications de la Section Historique du Maroc.*
R.A : *Revue Africaine.*
R.A.P : *Revue de l'Action Populaire.*
R.C.C : *Revue de la Chambre de Commerce.*
R.D.M : *Revue des Deux Mondes.*
R.E.A : *Revue des Etudes Anciennes.*
R.E.I : *Revue des Etudes Islamiques.*
R.E.L : *Revue des Etudes Latines.*
R.G.L : *Revue de Géologie de Lyon.*
Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
R.G.M : *Revue de Géographie du Maroc.*
R.H.C.M : *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*
R.H.E : *Revue d'Histoire Economique.*
R.H.M.C : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
R.M.D.E.D : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
R.M.E : *Revue Maroc-Europe.*
R.M.F : *Revue Militaire Française.*
R.M.F.P.E : *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie.*
R.M.M : *Revue du Monde Musulman.*
R.P.P : *Revue Politique et Parlementaire.*
Rev. Int. Hist. Mil. : *Revue Internationale d'Histoire Militaire*
S.G.L : *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
S.I : *Studia Islamica.*
S.I.H.M : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*
Trav. Inst. Sc. : *Travaux de l'Institut Scientifique.*

مِيارَة (أهل -) تعرف بهذا الاسم عدة عائلات من الصحراء تنتمي لقبائل مختلفة فهناك أسرة ميارَة البعمرية الدليمية، وأسرة ميارَة التهالية الرقبية، وأسرة ميارَة العروسية، وأسرة ميارَة اليعقوبية، كما توجد أسرة ميارَة في قبيلة أولاد تيدرارين وغيرها.

- أما أسرة ميارَة البعمرية الدليمية، فهي أسرة عالمة مجاهدة. من أبرز أعلامها :

- **ابنُعمَر بن ميارَة**، وهو عالم صوفي ورع من كبار مرادي الشيخ ماء العينين، وكانت له قبل ذلك علاقة وطيدة بعلامة تيرس الكبير الشيخ محمد المامي وبابنه وخليفته الشيخ أحمد يعقوب، توفي في أواخر القرن التاسع عشر وهو مسافر مع نجل الشيخ ماء العينين سيداتي.

ترجم له كل من :

- الشيخ أحمد بن الشمس في كتابه : **النفحة الأحمديّة** في بيان الأوقات المحمدية، ج 2، ص. 125، المطبعة الجمالية، مصر.

- الطالب أخيار الشيخ مامينا في كتابه : **الشيخ ماء العينين علماء وأمرء في مواجهة الاستعمار الأوربي**، ج 1، ص. 237، منشورات مؤسسة الشيخ مريبه ربه لأحياء التراث والتبادل الثقافي، مطبعة بني يزناسن، سلا، 2005.

- القاضي عبد الله بن محمد ميارَة. عالم كبير وشاعر متميز وخطيب بارع. من شعره في مدح الشيخ ماء العينين :
أيا شيخنا من للمهمات يرتجى وحامل تاج العز والمجد والفخر
ودانت له الأقطاب في كل بلدة وقرت له بالفضل في السر والجهر
أزورك يا شيخي لتقضي حواتجي وإني إذن بالنجح أولى وبالظفر
أزور امرؤاً جماً نوالاً أعده لمن أمه مستكفياً أزمة الدهر

له أخ عرف بالصلاح والتقوى هو محمد الحسن بن ميارَة. ذكره الشيخ محمد الغيث النعمة في كتابه : **الأبهر المعينية في الأمداح المعينية**، كما ذكره الطالب أخيار الشيخ مامينا في كتابه.

خلف ثلاثة أبناء هم : عبد الودود ومحمد ابنعمر ومحمد البسطامي.

- محمد البسطامي بن عبد الله بن محمد ميارَة : من كبار فقهاء وأدباء وادي الذهب، وهو إلى ذلك مجاهد معروف شارك في معارك كثيرة ضد القوات الفرنسية الزاحفة من الجنوب، استشهد في إحداها، وهي معركة "كُصَيْرُ الطُرْشان" سنة 1927 ودفن هناك.

له أشعار متنوعة منها قوله في وصف شرب الشاي :
إن الأتاي على الاحسان مشتمل ما للوفود يرى كمنله نزل
مالم يؤد لتأخير الصلاة ولم يشارك الفضلا في شربه التدل
أمرت أن أنزل الناس المنازل لا تخالف الأمتا ما قالت الرسل
- عبد الودود بن محمد ميارَة : هو ابن القاضي عبد الله. كان من أهل العلم، خيراً فاضلاً، مكث عند الشيخ ماء العينين زمناً طويلاً، أخذ عنه خلالها العلم والطريقة، ولما أجازه أعطاه مجموعة من الكتب كانت لا تفارقه حياً ولا سقراً. توفي في بداية الأربعينيات من القرن العشرين ودفن بمدينة نوادييو.

كما شاركت أسرة ميارَة البعمرية الدليمية في معارك جيش التحرير المغربي في الخمسينيات من القرن العشرين وخاصة :

* طول عمره بن محمد الحسن بن ميارَة، مجاهد كبير سلك طريق أسلافه في الصلاح والجهاد، وانخرط في صفوف جيش التحرير لتحرير الصحراء المغربية من الاحتلال الإسباني 1957، وشارك إلى جانب أبناء بلده في الحملة الجهادية ضد المستعمر إلى أن استشهد في معركة وادي إشياف سنة 1957. ودفن هناك. وقد كان قدوة في الورع والصلاح، وله أخ هو محمد بن محمد الحسن بن ميارَة، هاجر من بلده وادي الذهب إلى ليبيا وتزوج هناك وأنجب أبناء عرفوا بأل ميارَة في ليبيا.

* أسرة ميارة التهالفة الرقبية : اشتهر أبناؤها بالجهاد والتحلي بالخصال الحميدة من كرم واستقامه وورع وغيرها .
من أعلام هذه الأسرة :

* علي بن ميارة : ابن أحمد بابا بن عمر بن سيدي عبد الرحمان التهالي . ولد في حدود سنة 1877 ، وأمّه فاطمة بنت إبراهيم التروزي العروسية . انخرط في سلك المجاهدين مع بدايات زحف طلائع الاستعمار الفرنسي على بلاد شنقيط ، فكان مقاتلاً جريئاً استطاع في وقت وجيز أن يصبح قائداً عسكرياً فذاً بفضل حنكته وإقدامه وسداد رأيه ونفاذ بصيرته إلى جانب تواضعه الجم وتفوق خططه العسكرية المحكمة على خطط العدو في جميع المعارك التي قادها ، وقد عرف بدمائه الأخلاق وحسن السلوك والاستقامة . من أبرز المعارك التي قادها ضد القوات الفرنسية : معركة الحفرة الأولى سنة 1916 ومعارك أزواد ومعركة ميجك بتخوم وادي الذهب ، وهي المعركة التي استشهد فيها سنة 1933 ، وشارك معه في هذه المعركة مجموعة من بني عمومته المجاهدين منهم :

ماء العينين بن محمد بن أحمد بابا بن عمر بن سيدي عبد الرحمان التهالي الذي شارك معه في جل المعارك التي خاضها ، وقد توفي يوم 21 دجنبر 1985 ، وفي جسده ثلاثة عشر جرحاً ، ومنهم : المجاهد الكبير أحمد ولد حمادي ، وغيرهما .

ولعلي بن ميارة عدة إخوة منهم : المجاهد الفراح ، شهيد معركة آففير ، والمجاهد الشهيد الشيخ ، وهما أكبر سناً من علي ، وعمر وسيدي وأحمد بابا وحمدي الذي شارك هو الآخر في جل المعارك التي قادها أخوه علي ، وقد جرح في معركة توجنين ، وتوفي بمدينة الطنطان في بداية السبعينيات من القرن العشرين . وقد خلف عدة أبناء ، منهم : لبات والخليل ومحمد وسلامة وعلي .

* محمد بن ميارة : شقيق علي . اشتهر إلى جانب شجاعته وإقدامه في المعارك بالكرم . توفي في حدود سنة 1942 ، عند موضع "طلحيات ولد آحيي" . خلف عدة أبناء انخرطوا في جيش التحرير المغربي في الخمسينيات .

* الفراح بن ميارة : شقيق علي . من كبار المجاهدين ، شارك في عدة معارك جهادية ضد الزحف الفرنسي على بلاد شنقيط ، وكرس حياته للجهاد إلى أن استشهد في معركة "بداوة" .

ويذكر ابن أخيه سيدح أن الشهيد الفراح وأخاه عمر مكثا خمس سنين بمدرسة الشيخ ماء العينين قبل أن ينخرطا في سلك المجاهدين .

كما شاركت أسرة ميارة التهالفة الرقبية في معارك جيش التحرير لإخراج القوات الإسبانية والفرنسية من الصحراء المغربية في العقد السادس من القرن العشرين ، ومن أبرز رجالاتها في تلك الحقبة :

- حمدي بن عمر بن ميارة - الشيخ ابن عمر بن ميارة - علي بويابا بن عمر بن ميارة - الشيخ ابن عمر بن ميارة -

سيدي بن عمر بن ميارة - إبراهيم بن حمدي بن ميارة - عبداتي بن حمدي بن ميارة - بابا بن حمدي بن ميارة - لبات بن حمدي بن ميارة .

محمد الغيث النعمة، الأبحر المعنية في الأمداح المعنية، ج 2، تح. أ. مفدي، رسالة مرقونة كلية الآداب، فاس : الطالب أختيار الشيخ ماميننا، الشيخ ماء العينين علماء وأمرء في مواجهة الاستعمار الأوربي، منشورات مؤسسة الشيخ مريبه ربه لأحياء التراث والتبادل الثقافي، سلا، 2005 : رواية شفوية .

محمد الظريف

ميارة، محمد بن أحمد ، كان من العلماء البارزين

بمدينة فاس خلال الحقبة الفاصلة بين دولة السعديين ودولة العلويين . وقد اقترن اسمه بمسألة ما يعرف بالبلديين بفاس (انظر مادة البلديين) ، وتحلى ذلك في التشنيع الذي تعرض له بسبب ما أشيع عنه من تعصبه لأبناء جنسه من البلديين ، ووقوفه إلى جانب تجارهم في صراعهم مع تجار فاس الذين أرادوا إخراجهم من القيسارية ، وقد دأب تجار فاس على منع التجار البلديين من البيع بأسواق المدينة بدعوى أنهم ورثوا من أصلهم اليهودي غريزة الغش في معاملاتهم ، بينما كان الأمر يتعلق بمحاولة إبعادهم للتخلص من منافستهم داخل أسواق المدينة . وقد اتبع السلاطين المتعاقبون مواقف مختلفة بخصوص هذا المنع ، فمنهم من أقره ، ومنهم من أبطله ، ومنهم من سلك طريقاً وسطاً بين الموقفين . وقد كتب محمد بن أحمد ميارة حول هذه المسألة تأليفاً سماه : " نصيحة المغترين ، وكفاية المضطربين فيمن زعم التفرقة بين المسلمين بما لم ينزله رب العالمين ، ولا أخبر به الصادق الأمين ، ولا ثبت عن الخلفاء المهتدين " . وهو كتاب جمع فيه صاحبه فتاوى العلماء الذين عارضوا التمييز بين البلديين وغير البلديين من سكان فاس على أساس الانتماء العرقي . ولما دخل العلويون مدينة فاس وأراد أهلها إبعاد التجار البلديين من القيسارية أخرج هؤلاء كتاب ميارة وجعلوه عمدتهم لدى السلطان ، فما كان من مولاي إسماعيل إلا أن أبقاهم بأسواق المدينة القديمة ، لكن مع إجبارهم على وضع علامة مميزة فوق حوانيتهم .

توفي في 3 جمادى الثانية من عام 1072 / 24 يناير 1662 .

م . بن الطيب القادري ، نشر الثاني، ج 2 : مجهول ، ذكر قصة المهاجرين ، مخطوط الخزانة العامة بالرباط ، د 1115 .

محمد المنصور

ميسيج إيميل Emile Miège ، أحد أبرز الباحثين في

تطوير القطاع الفلاحي بالمغرب إبان عهد الحماية الأجنبية ، ولد بباريس يوم 14 يوليوز 1880 في أسرة بسيطة ، تيمم مبكراً ، فكان مجبراً على العمل صغيراً مع متابعة دراسته . ولج المدرسة العليا للفلاحة في كرينيون Grignon ، فحصل منها على دبلوم مهندس فلاح ، ثم عين معيداً فرئيساً للأشغال في المدرسة العليا للفلاحة في رين Rennes سنة

1903. وأعد إجازة في العلوم الطبيعية في هذه المدينة، قبل أن يهيب أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه التي ناقشها في جامعة السربون سنة 1910. وفي الوقت الذي واصل فيه مهام التدريس بمدرسة الفلاحة وكوليج فوجير Fougères والمدرسة الابتدائية العليا L'Ecole Primaire Supérieure في تلك المدينة، أنجز عدة أبحاث في مواضيع تخصصه نشرها في بعض الدوريات مثل Bulletin de l'Académie d'Agriculture وRevue Scientifique وAnnales des Epiphyties. وكان أحد موجهي أشغال تطهير التربة من جراثيم الأمراض وتعقيمها الجزئي. وأصبح مساعدا للبروفيسور بلارينكيم Blaringhem في مختبر البيولوجيا الفلاحية التابع لمعهد باستور، حيث بدأ فيه دراساته عن التريتيكوم Triticum. فكانت بداية القسم الأطول لمشروعه العلمي المكرس للقمح في المغرب. ومكنته أشغاله الأولى من الحصول على مكافآت شركة فلاحي فرنسا والأكاديمية الفلاحية (ميدالية Olivier de Serres)، لكنها توقفت سنة 1914 بسبب الحرب الكبرى التي شارك فيها وحصل منها على عدة تشريفات. واستدعاه الجنرال ليوطي إلى المغرب سنة 1918 من أجل إحداث مصلحة الأبحاث الفلاحية التي نظمها وأدارها مدة تنيف على 20 سنة. ومن المشاكل التي كانت مطروحة في بداية فترة الحماية بالمغرب سيادة زراعة القمح الوحيدة مع ضعف في مردوديتها، إضافة إلى انتشار أصناف أخرى غير معتبرة في الأسواق العالمية. وقد تطلب ذلك الاجتهاد واجهتين: البحث عن تحسين أصناف الحبوب وإدخال زراعات جديدة. وهو ما باشره مبيج من دراسة جينية أو وراثية لأصناف عديدة من القمح فابتكر ما يحتاجه المتروبول من "قمح الفورص" (Blé de force). وبالفعل، عوض هذا الصنف ذو الفائدة الحجازية العالية السلالات المحلية بشكل تدريجي، مما ترتب عليه ارتفاع محسوس في المردودية وقيمة المحاصيل، كما أدخل أكثر من 1500 صنف نباتي، يدخل بعضها في صناعة الأدوية وبعضها الآخر في إنتاج العطور، إضافة إلى المزروعات الصناعية مثل الشمندر السكري. واهتم مبيج ببعض المزروعات التي كانت تنتج في المغرب في فترات سابقة قبل أن تختفي من البوادي (مثل القطن وقصب السكر)، حيث أدخل عليها تحسينات جعلتها تفرض نفسها، بل وتعد في الوقت الحاضر إحدى ثروات البلاد الأساسية. وكان لنشاطه الذي دام خمسا وثلاثين سنة في الميدان الفلاحي فائدة عميمة على البلاد والسكان، وقد اعترف له الفلاحون المغاربة بذلك، حيث كانوا يلقبونه "أب القمح"، أثناء تنقلاته الكثيرة في البوادي لمراقبة محطات التجارب المختلفة.

وأنجز مبيج عدة أبحاث ذات طابع علمي أيضا، سواء بصفة منفردة أو صحة زملائه من الأساتذة مثل كونستانتان Constantin وكورتين Courtine، تتعلق بتأثير انخفاض الحرارة وعلو التضاريس على إحياء المزروعات وعلى

النباتات المفترزة لمواد الدبغ... وأسس الجمعية المغربية لدراسة التربة كفرع لمثيلاتها في فرنسا، والتي صارت فيما بعد شعبة البيولوجيا التابعة لجمعية العلوم الطبيعية والفيزيائية للمغرب.

ومقابل تلك الأشغال العلمية، طور مبيج مصلحة الأبحاث الفلاحية وحدثها بعدما أسسها، وذلك بخلق عدد من المختبرات المتخصصة في علوم الوراثة والكيمياء والتكنولوجيا والبيولوجيا. ولم يقطع صلته بالحياة اليومية في الاستغاليات الفلاحية الأوروبية والمغربية على الإطلاق، فقد أسس جمعية فلاحي المغرب من أجل التواصل بين الباحثين وممارسي المهنة، وظل رئيسها حتى سنة 1957.

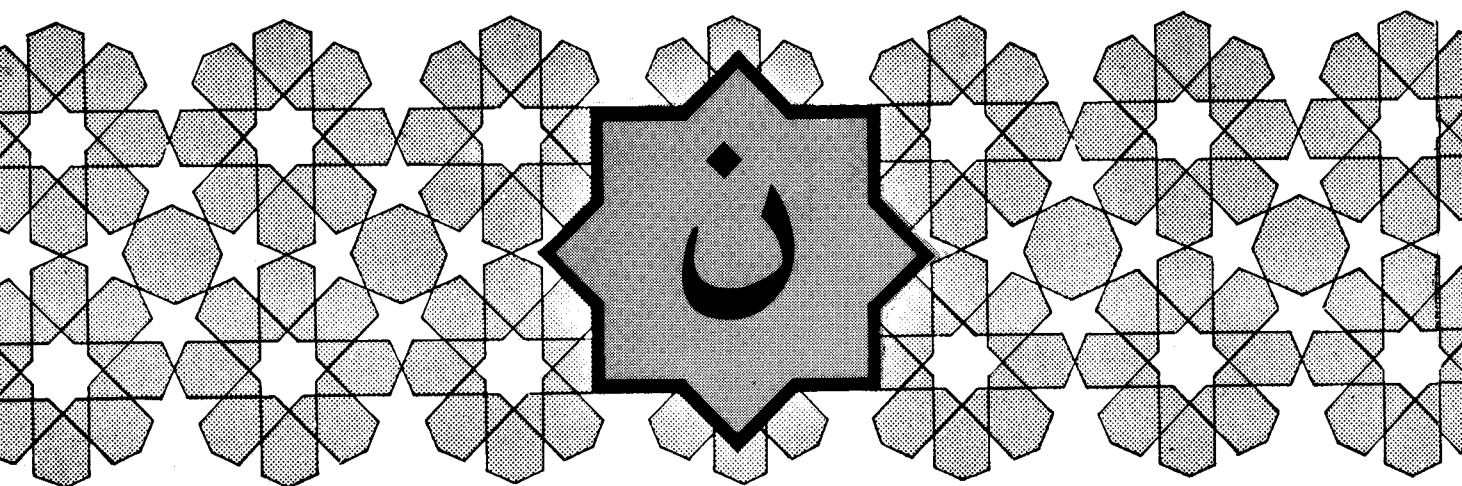
أثمرت أبحاثه حوالي 250 مداخلة ومذكرة في المحافل العلمية، أقرت بقيمتها العلمية أكاديمية الزراعة، فعينته منذ سنة 1925 مراسلها ثم عضوا فيها سنة 1938. ومنحته أكاديمية علوم ما وراء البحار في هذه السنة أيضا لقب عضو غير مقيم. ومنحته أكاديمية العلوم سنة 1952 جائزة الجنرال موتو، ثم عينته بعد عامين مراسلا لشعبة الاقتصاد القروي. وكوفئ الرجل من قبل عدد من الجمعيات بكثير من الجوائز والميداليات.

لم يتوقف نشاطه على الرغم من إحالته على التقاعد، فقد ظل مستقرا في المغرب، حيث تحمل مهمة السكرتير العام للفيدرالية الفرنسية لغرف الفلاحة، في نفس الوقت الذي ترأس فيه تحرير الأسبوعية الاقتصادية لانفورماسيون ماروكان L'Information Marocaine. وعلى الرغم من التزاماته وأعبائه وتقدمه في السن، واصل أبحاثه ومنشوراته في عدة دوريات مثل Le Bulletin Economique et Social وLa Revue de Botanique appliquée du Maroc. ولم يتمكن من نشر عدد من أبحاثه المخطوطة المتعلقة بتاريخ الفلاحة في المغرب في عهد الحماية على الخصوص وبذلك، قضى مبيج جزءا كبيرا من حياته المهنية في المغرب، مخلفا عددا من الدراسات والمقالات، لكنه لم يتمكن من نشر مخطوطه الذي شرع فيه في نهاية حياته، وهو بيان لنشاطه خلال خمسين سنة في المغرب، وقد توفي والقلم في يده، فترك أمر العناية باستكمالها وإخراجه إلى ابنه جان - لوي مبيج أستاذ التاريخ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ثم بجامعة بروفونس ومدير معهد الدراسات المتوسطة وصاحب الدراسات التاريخية العديدة حول تاريخ المغرب المعاصر، وخاصة أطروحته لنيل دكتوراه الدولة عن علاقة المغرب بأوربا من 1830 إلى 1894.

توفي في المغرب يوم 18 يوليوز 1969.

Hommes et destins, publications de l'Académie des Sciences d'Outre-mer, Paris, t. VII, (Maghreb Machrek), 1986, p. 349-350; Quatrième congrès de la Fédération des Sociétés de l'Afrique du Nord, Rabat, 18-20 avril 1938, t. 1, Actes du congrès, sciences, droit, législation et études économiques, publications de la Société Historique Algérienne, Alger, 1939.

نجيب تقي



ضخمة عالية، ومقر بصات (ظهر حمار) ومتوازي الاضلاع. وتغطيتها "بالبلاستيك" "كلا أو جزءاً وفي أكثر المناطق تتترك دون غطاء أو طين ؛ وبحسب تعدد الأندر وحجمها يقاس غنى الفلاح وتقاس السنة الفلاحية.

أحمد الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1954، 1955؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، بيروت، 1964؛ الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف، الرباط، 1986؛ محمد الطويل، الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، مرقون؛ الونشريسي، المعيار، نشر وزارة الأوقاف بالرباط.

J. Martin [et al.], *Géographie du Maroc*, Paris, Casablanca, 1967.

محمد حجاج الطويل

ابن ناصر، أسرة عربية رفع أحمد بن خالد الناصري نسبها إلى جعفر بن أبي طالب. وأشار إلى أن أول من قدم إلى المغرب من أفرادها المسمى ناصر. وكان قدومه، في جمع من بني معقل؛ ضمن قبائل بني هلال وسليم في أواسط القرن الهجري الخامس. وقد حقق الناصري هذه النسبة بعد أن كانوا يدعون بالمقدادي، وتبين أن الصحابي المشهور لم يعقب، فقال: "فالحاصل أن الشيخ ابن ناصر رضي الله عنه جعفري النسب، وشهرة ذلك بين الخاصة والعامة لا تحتاج إلى بيان". وأوضح أن بين الشيخ المذكور وبين جعفر اثنين وثلاثين أباً.

اشتهرت الأسرة باسم ناصر، وناصر علم لاسمين: ناصر الأعلى الذي ولد بقصر تيليت بوادي دادس، في تاريخ غير معروف، بعد أن انتقل أبوه أحمد بن علي من عرب الشبانات. ومن بلاد دادس هاجر بعض حفدته، من ولده عثمان، إلى جهات مختلفة من المغرب؛ كهنيفة حيث استقر علي بن عثمان بقم الجمعة؛ وأحفاده معروفون بها باسم المقدادي إلى عهد قريب. ومنهم عمرو بن عثمان الذي هاجر إلى درعة، وأقام بقرية منها تعرف بتايسوت، في صدر المائة

النادر، من الكلمات الفصيحة التي احتفظت العامية بها مع تحريف في صيغة الجمع في الفصحى "أندر" وفي العامية "نوادر" ويطلق المصطلح على أكوام المحاصيل الزراعية من قمح وشعير وذرى وقطاني وكل ما يتم درسه بواسطة البهائم أو آلات الدرس، ومعلوم أن عملية الدرس تمر من عدة مراحل تنتهي بتكوين النادر حيث تبدأ عملية التذرية ثم التصفية بواسطة المجارف والمكانس وتأتي في النهاية عملية خزن المحاصيل الزراعية فيتم اختيار المكان وإعداد أرضيته ثم تكويم الحبوب على شكل مخروطي ثم يغطى بالتبن ويطين عليه اتقاء للأمطار والآفات، ومنذ التاريخ القديم كان الزرع يحتفظ به في سنبله ويتم تغطيته بالطين: "... قال تعالى: "تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً ما تأكلون" (يوسف، 47).

ونفس العملية استمرت خلال العصر الوسيط في المغرب خاصة في العهد الموحيدي، فخلفاء الموحيدين الأوائل كانوا يأمررون بإعداد المون والعلف من القمح والشعير وتكويهما في أندر على طول الطرق التي يسلكونها في حملاتهم التوسعية نحو المغرب أو الجهادية نحو الأندلس.

لم تعد هذه التقنية موجودة اليوم وحتى خزن الحبوب داخل أندر التبن قلت بسبب التقدم التكنولوجي الفلاحي واقتصرت النادر اليوم على التبن فأصبح المصطلح يعني التبن سواء كان مكديساً أو على شكل متوازي الاضلاع "بالات".

ففي مناطق الفلاحة التقليدية مازالت مناظر الأندر المبلطة بالطين أو "المطوبة" أي المغطاة بالطوب تغطي على المشهد الفلاحي سواء بالشكل الهندسي المخروطي أو المحذب والذي يسميه أهل البادية "ظهر الحمار".

أما في مناطق الفلاحة العصرية حيث يتم ضغط التبن على شكل "بالات" متوازي الاضلاع ويتم تكويهما وتصنيفها مثل لبنات البناء على أشكال مختلفة محدبات، مكعبات

الطيب القادري، نشر المشاني؛ الكوهن، فهرسة؛ أ. بن خالد
الناصري، طلعة المشتري.

أحمد عمالك

الناصر (ابن -) عبد الله الغالب بالله، أمير سعدي
قاد الجيش في عدة معارك في عهد أبيه السلطان مولاي عبد
الله الغالب بالله. فبعد أن كان خليفة لأبيه بناحية تادلة،
عزل من طرف أخيه المتوكل الذي أمر بسجنه مدة من الزمن.
يقول الإفرائي في هذا الصدد إن مولاي الناصر ظل بسجن
مراكش إلى أن أخرجه منه عمه مولاي عبد الملك عند احتلاله
للمدينة المذكورة المرة الأولى.

وهناك رواية أخرى تقول بأن مولاي الناصر عين خليفة
بمكناس في عهد أبيه ولكنه حاول أن يثور عليه وعندما أمر
أبوه بالقبض عليه فر إلى ناحية طنجة حيث استقر إلى أن
مات والده فتوجه إلى القصر الكبير وهناك ألقى القبض عليه
ونفي إلى ناحية درعة حيث بقي إلى أن احتل مولاي عبد
الملك مدينة مراكش فأطلق سراحه.

غير أن المؤرخ كروث يؤكد بأن مولاي الناصر كان بجانب
أخيه المتوكل في معركة الركن وكذلك في معركة خندق
الريحان حيث أصيب بجروح وفر صحبة المتوكل إلى مراكش
ومنها إلى ناحية سوس ولكنه عاد إلى مراكش ووضع نفسه
تحت تصرف عمه مولاي عبد الملك. وكان ذلك في يوم 19
ربيع الثاني 984 (16 يوليوز 1576).

وتقول المصادر البرتغالية إن مولاي الناصر ظل بجانب
عمه إلى أن وصل هذا الأخير إلى أرض معركة وادي المخازن
وهناك فر إلى معسكر النصارى في ليلة المعركة (986). ولم
يحضر المعركة لأن الملك سيباستيان لم يثق فيه فأمره
بالتوجه إلى أصيلا بعدما طالب مولاي أحمد المنصور
بتسليمه له مقابل بعض الأسرى البرتغاليون. ولم يستجب
العاهل البرتغالي الجديد لطلب المنصور فأمر بنقل مولاي
الناصر إلى الجديدة حيث ظل إلى أن نقل إلى لشبونة في يوم
27 شوال 986 (27 دجنبر 1578).

وفي سنة 987 (1579) انتقل مولاي الناصر من لشبونة
إلى بلدة "البلاد" ومنها التحق في السنة التالية بمدينة
سانترين صحبة الأمير ابن أخيه مولاي الشيخ.

وعندما احتل ملك إسبانيا فيليب الثاني مملكة البرتغال
كان حريصا أن يحتفظ بمولاي الناصر وابن أخيه مولاي
الشيخ رهينة يهدد بوجودهما بأرض إسبانيا السلطان مولاي
أحمد المنصور وأمر بنقلهما إلى إشبيلية ومنها إلى أتريرة في
شهر رجب 997 (ماي 1589).

وظل مولاي الناصر بإسبانيا إلى أن اعتنق ابن أخيه دين
المسيح فاتفق مولاي الناصر مع ملك إسبانيا على إثارة
الفتنة بالمغرب، وعلى رأس عدد من الموريسكوس حل الأمير
بمليية يوم 27 شعبان 1003 (9 ماي 1595) ومن هناك توغل
داخل أرض المغرب واحتل مدينة تازة غير أنه هزم في معركة

الهجرية العاشرة. في ذلك التاريخ أثبت عمرو بن عثمان
نسيبه إلى عبد الله بن جعفر وزوجه زينب بنت علي بن أبي
طالب، من فاطمة الزهراء. ثم ولد عمرو ناصرا بن عمرو،
وهو ناصر الأسفل؛ وهو الذي ينسب إليه الشيخ محمد ابن
ناصر الذي ولد بقرية أغلان عام 1011 / 1602. وبعد أن
شب على العلم والاستقامة، انتقل إلى تامغروت، وعمره
سبع وعشرون سنة. ولما توفي شيخ تامغروت أحمد بن
إبراهيم الأنصاري عام 1042 / 1642، آل أمرها إلى محمد
ابن ناصر؛ فصارت تدعى الزاوية الناصرية. وعبرها طارت
شهرة بني ناصر الصوفية والعلمية، ونسل منها علماء كبار،
في مقدمتهم الشيخ المؤسس، وابنه أحمد الخليفة من بعده،
وباقي شيوخ الزاوية، وجلهم من العلماء. ومن بين أشهر
أعلام هذه الأسرة، كذلك، عبد الله بن محمد ابن ناصر،
ومحمد المكي بن موسى، وأخوه أحمد، وسليمان بن يوسف،
والحافظ محمد بن عبد السلام...

ومع انتشار نفوذ الزاوية الناصرية وذيوع صيبتها،
تأسست لها فروع كثيرة، فواكب ذلك انتقال الناصريين من
درعة للاستقرار في معظم جهات المغرب. ويمكن تقسيم بني
ناصر حسب طبقات ذرية الشيخ محمد ابن ناصر إلى:

انتقل منهم إلى سوس، من الطبقة الثانية، من أولاد
علي بن محمد ابن ناصر، الذي استقر بأولوز وتناسل بها
أبناءؤه وحفدته واستمر عقبهم بها إلى عهد قريب. وفي ذات
الوقت ارتحل أخوه محمد الكبير إلى بلاد زابان فاستقر بها،
وبقي أبناءؤه وحفدته يتوارثون الزاوية من بعده. على أن
انتشار بني ناصر في مختلف جهات البلاد كان من الطبقة
الثالثة، من نسل الشيخ يوسف بن محمد الكبير ابن ناصر.
إذ انتقل أبناءؤه إلى كل من مزوضة وسطات وتبدلي ومكناس
ودمسيرة ودكالة وورزازات ومسيوة وونيلة وهنتيفة.

وفي عهد الطبقة الرابعة من بني ناصر، انتقل عقب
الناصرين إلى تادلا وآيت زينب والسرغنة وشفشاون وتدغة
وفاس والرباط وسلا وأم الجريد وغيرها...

وفي عهد الطبقة الخامسة، انتقل بنو ناصر إلى الصويرة
ومتوكة وتونفيت ووادي المخازن وتازة وغيثة وفركلة وأسفي
والدار البيضاء وأزمور والجديدة ودمنات وكطيوة وإفران
(سوس) وماسة وهوارة والشياطمة وبني حسن وسفيان
والعرائش وتطوان وطنجة ووجدة والناصور وآيت ماجطن
وتاغلاوت. ومن بين أشهر الأسر الناصرية الفرعية، أسرة
بني ناصر بسلا، التي يرجع أصلها إلى محمد الصغير بن
الشيخ محمد ابن ناصر؛ فضلا عن ناصري الرباط وباقي
الجهات.

وإلى جانب هؤلاء، تبنت أسر كثيرة، في كبريات المدن
المغربية، الطريقة الناصرية، فدعيت بها، كأسرة الغربي في
كل من الرباط وتطوان، وأسرة الأمراني بفاس ومكناس...
البوسي، المحاضرات؛ م. المكي الناصري، الدر المرصعة؛ م. بن

جرت بينه وبين الجيش المغربي بجبل مدغرة في يوم 26 ذي القعدة من السنة المذكورة (2 غشت).

توفي في يوم 23 رمضان 1004 / 21 ماي 1596.

الإفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، الطبعة الثانية، الرباط بدون تاريخ، ص. 100 - 101.

Ojeda, Luis de, Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian, (S.I.H.M., France I, p. 575-627); Fr. Bernardo da Cruz, *Chronica de El Rei don Sebastian*, Lisboa 1837 - y 1903; *Collección de documentos inéditos para la historia de España* (CODICIN), Madrid 1842-1895.

محمد ابن عزوز حكيم

الناصر، أبو علي بن السلطان أبي الحسن المريني.
"وصف بالأمر الصالح التقي لقوة تدينه ويره بوالده. رافق أباه في حملته إلى إفريقية وعين معه وقعة القيروان سنة 1348 / 748، وكابد الكثير من المعاناة أيضا في أحداث تونس خلال مواجهته لأعداء والده من أمراء الحفصيين وأعراب إفريقية".

وعلى إثر نكبة القيروان التي حلت بجيش السلطان أبي الحسن، وبعد نجاحه من الفرق في سواحل بجاية، لحق الناصر بوالده ببسكرة من أحواز الجزائر حيث التف عليه بعض الأعراب، فنهض إلى جهة تلمسان وقد استولى عليها بنوزيان، ولما التقى الطرفان اختلت مصاف السلطان أبي الحسن واستبيح معسكره وجرح ولده الناصر بعدما أظهر بسالة وشجاعة في الدفاع عن أبيه، وحمل أبو الحسن ولده المتخن بالجراح فتوفي بالطريق فواراه في التراب وأخفى قبره، ثم لجأ إلى الصحراء وذلك سنة 1350 / 750.

ابن خلدون، العبر، ج. 7، بيروت، 1978؛ ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، الجزائر، 1985؛ الناصري، الاستقصا، ج. 3، الدار البيضاء، 1954.

رشيد السلامي

الناصر لدين الله، محمد ابن الخليفة يعقوب المنصور
ابن الخليفة يوسف ابن الخليفة عبد المؤمن بن علي الغومي، وهو رابع خلفاء الموحدين، "صفته أبيض اللون، أشقر شعر اللحية، أشهل العينين، أسيل الخدين، حسن القامة، كثير الإطراق، شديد الصمت بعيد الغور، كان أكبر أسباب صفته لثغا كان بلسانه، حلما، شجاعا، عفيفا عن الدماء". بوع في حياة أبيه وجددت له البيعة بعد وفاته يوم الجمعة 22 ربيع الأول من سنة 595 الموافق 22 يناير 1199 بقصبة مراکش، وهو حينذاك لم يتجاوز العشرين من عمره (ولد سنة 1181 / 576).

تميزت فترة حكمه بحدثين بارزين كانا من أهم العلامات السياسية والعسكرية التي حددت مسار الإمبراطورية الموحدية، ودشنت مرحلة انتقالها من طور القوة والتوسع إلى طور الضعف والانكماش.

ارتبط الحدث الأول بتعيين الناصر لأحد أشياخ الموحدين

وهو عبد الواحد بن أبي حفص على جميع بلاد إفريقية سنة 603 / 1207 مؤشرا بذلك على نهاية سلسلة متواصلة من الحملات العسكرية التي كان هو وسلفه يقومان بها إلى إفريقية كلما ظهرت حركة تمرد هناك، لذلك طلب من عبد الواحد أن يقوم بأعباء إفريقية ويقاوم بنجدته ومهابته جميع أعدائها من متمرد بني غانية، وعلى رأسهم يحيى بن غانية، وينوب عن الخليفة في تثبيت دعوة الموحدين بالجزء الشرقي من إمبراطوريتهم. وإذا كان الحفصي قد تمكن من إخماد تمرد بني غانية ومقاومة كل الأخطار التي كانت تهدد المنطقة، فإن ذلك سرعان ما أبان عن طموحات الحفصيين في الاستبداد بحكم إفريقية خاصة في عهد أبي زكرياء يحيى بن عبد الواحد الذي عرف كيف يستفيد من بعد إفريقية عن العاصمة مراکش، وما عرفته الخلافة الموحدية من صراعات دموية بين الأمراء والأشياخ، فأعلن استقلال بلاد إفريقية عن السلطة المركزية بمراكش سنة 627 / 1229 في عهد الخليفة المأمون.

أما الحدث الثاني الذي ميز عهد الخليفة الناصر فهو تلقي الجيش الموحد رمز قوة الامبراطورية أكبر هزيمة عسكرية له في حروبه مع النصارى بالأندلس بعد سلسلة من الانتصارات كان أهمها انتصار الأرك في عهد يعقوب المنصور، واشتهرت تلك الهزيمة في المصادر الإسلامية باسم معركة العقاب، وفي المصادر المسيحية باسم Las Navas de Tolosa. والتي وقعت أطوارها يوم الاثنين 15 صفر سنة 609 / 16 يوليوز 1212. وقد اعتبر المؤرخون هذه الهزيمة إبذانا بذهاب قوة المسلمين بالأندلس وبداية لأقول إمبراطورية الموحدين وتقلص إشعاعها السياسي والجغرافي إلى حين انقراضها على يد بني مرين سنة 668 / 1296.

على إثر هزيمة العقاب عاد الخليفة الناصر إلى مراکش وقرر مبايعة ولي عهده يوسف المستنصر في أواخر ذي الحجة من سنة 609، واحتجب هو عن الناس واعتزل شؤون الحكم إلى أن توفي من ورم في دماغه، وفي رواية أخرى مسموما، يوم الأربعاء 11 شعبان 610 / 22 دجنبر 1213 بقصره من قصبة مراکش عن عمر لا يتعدى 34 سنة.

لم يبلغ الناصر مستوى عظمة أسلافه من خلفاء الموحدين خاصة والده يعقوب المنصور، فقد تولى الحكم وهو في ريعان الشباب لا خبرة له ولا دراية بشؤون الحكم ودسائسه، مما جعل أشياخ الموحدين خاصة وزيره الأكبر ابن جامع يستأثرون بالحكم وإدارة شؤون البلاد، فانعزل عن الناس مدة حكمه، وكان غليظ الحجاب لا تكاد تصله الأمور إلا بعد الجهد. كما أن عهده لم يشهد مشاريع عمرانية كبرى كالتى أنجزها أسلافه، بل اقتصر على إنجاز مشاريع متواضعة مثل تجديد مدينة وجدة وبناء قصبة بادس وسور مدينة المزمة ببلاد الريف، وإنشاء بعض التجهيزات المائية كالسقاية بعدوة الأندلس من مدينة فاس، والإشراف على بعض الترميمات التي همت جامع القرويين.

مجموعة رسائل موحدية، نشر ليثي بروفنصال، الرباط، 1941؛
عبد الواحد المراكشي، المعجب، القاهرة، 1949؛ ابن عذاري، البيان
المغرب، قسم الموحدين، بيروت، 1985؛ ابن أبي زرع، القرطاس،
الرباط، 1972؛ مجهول، الحلل الموشية، الدار البيضاء، 1978؛
ابن خلدون، العبر، ج. 6، بيروت، 1959؛ امبروسيو هوثي
ميراندا، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، تعريب عبد
الواحد أكيمير، الدار البيضاء، 2004؛ حسين مؤنس، عقد بيعة
بولاية العهد لأبي عبد الله محمد المعروف بالخليفة الناصر الموحدي،
مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، المجلد 13، ج. 2، ديسمبر
1950.

رشيد السلامي

ناصر (ابن -) محمد بن أحمد بن الحسين بن ناصر بن
عمرو بن عثمان الدادسي الأصل، الدرعي الإقليم، الترناتي
الصقع، التيرسوتي النجار، الأغلاني المنشأ، التمكروتي
الدار والوفاة.

ولد بأغلان سنة (1572 / 980) ولم تنطب المصادر
الناصرية وغيرها في ذكر نشأته، فأغلب ما أوردته منقول
عن فهرس ابنه حسين. ولا جرم أنه استهمل تعلمه بالأخذ على
جملة من الشيوخ أهم المتون المتداولة آنذاك في علوم الدين،
وعلوم العربية، وما إليها؛ مما تتعزز به بضاعة الطالب،
وتؤهله للمشاركة في مسجد أو زاوية بناحية من النواحي
الدانية أو القاصية.

ويذكر الناصري أنه "نشأ نشأة حميدة". ولعله يقصد
بذلك الانصراف لتحصيل العلوم والبعد عن الخلطة، ومهاوي
الحداثة، وكذا سلوك طريق التقوى والصلاح. بقي المترجم
بأغلان، وبها كون أسرته الصغيرة، حيث بنى بإحدى قريباته،
وهي السيدة فاطمة بنت أحمد، فولد له من الأولاد "أربعة :
اثنان ذكران، واثنان أنثيان" وهما : محمد، وحسين،
وعائشة، وأم كلثوم. وقد تصدى لتعليمهم مبادئ العلم،
وخاصة محمداً ابنه الأكبر الذي "أقرأه القرآن، ولم يزل في
تربيته إلى أن أدرك وبلغ مبلغ الرجال" وحسينا الذي يقول :
"وأقرأني الوالد ألف با .. إلى طه".

والظاهر أن المترجم كان كثير التجوال، فكان في الغالب
ظاعنا عن الأسرة بدليل من قال إنه : "كان يقوم على عقار
أبيه بأغلان زمان غيبته، وينفق على والدته وإخوته وعلى
عيالهم، وربما غاب والده عنهم سنين". ومن قال : "...
وأقرأني ألف با .. ثم سافر".

ولا يعلم سبب هذا التجوال فيما يرد، هل لتدبير المعاش،
أو لدواع أخرى. وقد تصدى محمد - الابن الأكبر - لأعباء
الأسرة، وحل محل والده، وقام بوظائفه، ومن ذلك التكفل
بأخيه حسين تربية وتعلماً ومعاشاً.

ومهما يكن من أمر، فإن حياة المترجم تتغير منذ اتصال
ابنه محمد عام (1630 / 1040) بشيخي الطريقة الغازية
بتمكروت، والمنطقة عموماً : عبد الله بن حسين الرقي
القياب (1635 / 1045)، وبأحمد بن إبراهيم الأنصاري
(1642 / 1052)، وقد لحق هذا التغيير نمطين :

1 - نمط التصوف : إذ أخذ رفقة زوجته في البدء "الورد عن
مرابطي تينردن" قبل عام (1630 / 1040) تاريخ اتصاله
بالشيوخ المذكورين. لكن انتقال ابنه محمد إلى تمكروت،
رغبة منه في الأخذ بالعلم اللدني بعد أن حصل من نظيره
الشريعي ما شاء، جعل المترجم يقبل على الشيوخ بعد ممانعة
وتلكؤ داماً مدة، والسبب أن ابنه عمدته وسنده في "دفعه
عنه عسف الولاية لكونه كان جليلاً في نفوسهم". وقد رغب
الشيخان في ضمه إليهما لتلقي العلم بالزاوية الحسينية
(نسبة إلى الشيخ عبد الله بن حسين) بتمكروت.

وهكذا جدد المترجم ورده، وكذا أسرته كلها حيث يقول
ابنه حسين : وأخذ الشيخ الورد على سيدي عبد الله بن
حسين، وتلقين الذكر ؛ وشقيقتي عائشة ووالدائي أبي وأمي".
وهذا ابنه حسين يقول : "وله ورد معلوم كل يوم في
"المصحف"، وورد الأشياخ المعروف في "التنبيه"، و"دلائل
الخيرات".

2 - نمط الحياة : أثمر هذا الحدث أيضاً تغير نمط حياة
المترجم، إذ غب انتقال ابنه إلى تمكروت بإشارة الشيوخ ابن
حسين وابن إبراهيم، خلفه المترجم في مشاركته بجامع أغلان
حيث يقول متحدثاً عن ابنه للشيخ ابن إبراهيم : "وهو يا
سيدي إمام وخطيب بجامع أغلان"، فيرد عليه الشيخ :
"اعتذر إليهم وقل.. وهذا والذي يقوم مقامي". وقد تصدى
المترجم للإمامة والخطابة، ولاشك أن هذا التغير جعله يجدد
بضاعته من العلم، ويتخرج عليه طلبه بدليل قول محمد
حجي : "فقيه أستاذ .. انقطع طوال حياته لتلاوة القرآن،
وتلقيه للطلبة رسماً وضبطاً وتجويداً".

وقد لحق هذا الأثر الأسرة كلها، وإن تجلّى ذلك بوضوح
في حياة ابني المترجم محمد وحسين اللذين انتقلا لصحبة
الشيوخ بتمكروت، ثم المترجم وباقي أفراد أسرته لاحقاً.
فإنه من الصالحين المنقطعين للعبادة، والمشتغلين بخوصات
أنفسهم عمّا دون ذلك من الأمور. فهذا ابنه حسين يقول :
"ورود الوالد خمسة وعشرون ألفاً من الهليلة، والقرآن لا
يفتر لسانه بعد ذلك عن قراءته ليلاً ونهاراً، وكان قليلاً من
الليل ما ينام". وقد استطاع المترجم أن يتدرج في مراتب
السالكين إلى أن بلغ مرتبة الولاية حيث حلاه الشيخ أحمد
ابن إبراهيم بقوله : "... وهو ولي رفيع الدرجة".

توفي عام 1642 / 1052.

حسين الدرعي، فهرس، تج. أ. السعيد، د. د. م. كلية الآداب
بالرباط، 2004؛ محمد الناصري الدرر المرصعة، بأخبار أعيان
درعة، 332-336، تج. م. ح. النوحى، د. د. ع. كلية الآداب
بالرباط، 1988؛ الروض الزاهر، في التعريف بالشيخ ابن حسين
وأتباعه الأكابر، له، 57، د. د. ع. تج. م. الغالي، كلية الآداب
بالرباط، 1999؛ القادري، الإكليل والتاج في تذييل كفاية
المحتاج، 2، 324، تج. م. دادى، د. د. ع. كلية الآداب بالرباط،
1991؛ نشر الثاني، لأهل القرن الحادي عشر والثاني، 2، 20.
21، تج. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1986؛ أحمد بن خالد
الناصرى، طلعة المشتري في النسب الجعفري، 1، 125-138،
المؤسسة الناصرية للثقافة والعلم، الدار البيضاء، 1987؛ محمد

اغتيال ذهب ضحيتها بسبب إصراره على التعامل مع أذئاب
الفرنسيين. فقد بعث إليه بثلاثة رجال - قبل إنهم من المشان
آيت عطة - نزلوا عليه بتامگروت. وبعد أن قضوا ليلتهم
بالزاوية، أقدموا في الصباح الباكر على اغتياله. ويشير
سبيلمان إلى أن أحمد الناصري كان مضطرا إلى ذلك
الاختيار ليفلت من ضغوط آيت عطة.

توفي المترجم سنة 1337 / 1919.

وثائق زاوية تامگروت، وثائق القاضي محمد التهامي الناصري ؛
أحمد عمالك، الزاوية الناصرية، دكتوراه الدولة، مرقونة.

Marthe et Ed. Gouvion, *Kitab Aayane al Maghrib
l Akça...*, p. 498 ; G. Drague, *Esquisse d'histoire
religieuse...*, p. 192, 194, 214.

أحمد عمالك

الناصرى، أحمد بن محمد الصغير ابن الشيخ الإمام

محمّد بن ناصر الجعفري الزينبي، مؤسس الزاوية الناصرية
بتامگروت، جنوب المغرب.

نشأ بزاوية البركة في حجر أبيه، وأخذ عنه وعن أعمامه
وكبراء آله في عصره. وكان أكبر بني أبيه وأفضلهم. وهو
الذي تولى رئاسة زاوية البركة، بعد وفاة أبيه. وكان مقصودا
من الآفاق، ومعظما عند الخاص والعام لفضله وعلمه وكرمه.
تأخرت وفاته إلى ما بعد سنة 1212 / 1797 حسب ما
أخبر به أحد أبناء عموته علي بن أبي بكر، بعدما وقف
على رسم عدلي بشهادته مؤرخ بهذا التاريخ المذكور.

أحمد الناصري

الناصرى، أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن

حسين ابن ناصر الدرعي ؛ شيخ زاوية تامگروت الناصرية
الثاني، الملقب بالخليفة. ولد منتصف ليلة 18 رمضان عام
1057 . 1647 في أسرة اشتهرت بالعلم والتصوف. فأبوه
الشيخ محمد ابن ناصر، آت الترجمة، هو العالم الكبير،
ورأس الطائفة الناصرية بتامگروت. وأمّه حفصة الأنصارية،
مارة الترجمة، سليلة مؤسسي زاوية تامگروت الأولى ؛ وبيت
أهلها أكبر بيوت وادي درعة وجاهة. ومن ثم فقد حاز المجد
من أطرافه.

أخذ، أولا عن والده، التفسير والحديث والعربية
والأصول ؛ كما تتلمذ لشيخ مغاربة ومشاركة. فمن المغاربة
أبو سالم العياشي الذي سمع منه صحيح البخاري، وأجازة
فيه ؛ ومحمد بن أبي الفتوح التلمساني، وأبو العباس
الجزولي، ومحمد بن عبد المومن الدرعي. ومن أشهر شيوخه
المشاركة الملا إبراهيم بن حسين الكوراني الشافعي ؛ أخذ عنه
بالمدينة المنورة في أثناء حجته الثانية، وأجازة ؛ وعن عبد
الله بن سالم البصري، بمكة المكرمة، في أثناء حجته الرابعة،
يوم 24 ذي الحجة عام 1122 / 1710. وأخذ بمصر عن كل من
العناني وأبي العز بن أحمد العجمي، أبي الحسن علي بن
محمد الزعترى بالقاهرة سنة 1097.

وقد ساهم تكوينه وأسفاره المتعددة في صقل شخصيته

الناصرى، أحمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف بن

محمد الكبير بن محمد ابن ناصر، شيخ الزاوية الناصرية
الحادي عشر. يبدو من خلال الوثائق التي اطلعنا عليها أنه
كان على اطلاع علمي واسع، لأن الشواهد التي يسوقها في
مراسلاته تتضح علما ومعرفة. إلا أن السياق الذي ولي فيه
مشيخه زاوية تامگروت لم يكن ملائما لينسج على منوال
أسلافه. ومن ثم، فقد تميز عهده باضطراب أحوال الزاوية،
حتى وقع النيل من سمعتها. وقد وليها في فترتين :

1 - على إثر وفاة أخيه محمد بن أبي بكر، حيث وقف
في وجه ابن أخيه محمد الحنفي الذي أوصى له والده
بالمشيخة. وقد لقي في البداية دعما من لدن السلطان،
الأمر الذي ترتب عنه نشوب صراعات بين الشيخين، سيما
بعد أن انضم إليه أخوه عبد الله بن أبي بكر ضد ابن
أخيها. وعلى الرغم من دعم السلطان مولاي الحسن لمحمد
الحنفي فقد استمر النزاع في عهد مولاي عبد العزيز، إلى أن
رحلت كفة الشيخ الأخير بسبب الدعم الذي لقيه من لدن
الوزير الصدر أحمد بن موسى (باحماد).

2 - وبعد وفاة محمد الحنفي سنة 1325 / 1907، آل أمر
مشيخة الزاوية إلى المترجم، لكنه واجه معارضة أحد أبناء
ابن أخيه، حتى أضحت الزاوية مسرحا لمعارك دامية،
انتهكت خلالها الأعراض، واستبيحت المحارم، وانتهبت
المتلكات.

ولم يستقر له الأمر بعد إلا ويدهيه ما دهي المغاربة
جميعا حين اندلع الصراع بين الأخوين مولاي عبد العزيز
ومولاي عبد الحفيظ وانجلى الأمر عن انتصار هذا الأخير،
الذي كانت له صلات مع الشيخ الناصري، فكان من الطبيعي
أن ينحاز إليه المترجم. ويوجه إليه السلطان الجديد ظهيرا
يجدد له فيه إنعامات الأسلاف. وبعد أن حاقت بالمغرب
مصيبة فرض الحماية وجد شيخ تامگروت - أحمد بن أبي بكر
الناصر - نفسه، هو وكثير من شيوخ الزوايا، في حرج وضيق
لا مزيد عليهما. أيتمسك بموقفه الثابت على هون أم يسلس
القياد للمخزن الجديد ؟ لا نستطيع أن نقطع بجواب. تشير
بعض المراسلات المحلية إلى أن شيخ الناصريين لم يخف
تأييده للشيخ أحمد الهيبة، حين دعا إلى الجهاد. بل تقيّد
بعض المراجع أنه رفض التعامل مع المخزن الجديد، مفصلا
الانعزال في زاويته ؛ ولا سيما بعد اندحار جيش الهيبة.

لكن الوضع الجديد فرض عليه التراجع عن موقفه منذ
سنة 1914. وفي سنة 1917 أصبحت علاقته مع المخزن الجديد
رسمية، حيث بعث بالهدية المعتادة إلى السلطان مولاي
يوسف الذي جدد له ظهير سلفه. وتبع لذلك توثقت صلاته
مع كلاً من عملاء سلطان الحماية. ولعل هذا ما جعله يدفع
حياته ثمنا ؛ حيث دبر له امبارك أو شطو التوزونيني مؤامرة

وإخصابها. فاكتمت خبرة بالناس، وإدراكا لملايسات الزمان. كما أن والده كان يكلفه أحيانا بالإشراف على الزاوية، ويكل إليه النظر في بعض أمورها. وبعد تأهيله، أوصى له بالخلافة على شئونها. فكان لا يني عن تكرار وصيته كلما عنت له فرصة ذلك، ليقول: "أحمد وصبي وخليفتي من بعدي في سري؛ وقد بشرت به وهو في بطن أمه".

وفعلا فقد استخلفه على زاوية تامغروت، وآثره على إخوته على الرغم من أنه لم يكن أسنهم، ولا أعلمهم. ولعل الشيخ فعل ذلك ليجنب الخليفة من بعده "معارضة" طائفة الأنصارين، علما بأن "مرشحهم" أنصاري الأم. وإذا كان يدرك جيدا بعض الغيرة التي قد تنتاب باقي أولاده، فإنه جمعهم، وحاول أن يقنعهم فقال: "أولادي إياكم أن تحدثكم أنفسكم أنني فضلت أحمد عليكم؟ فإنكم كلكم أولادي، وإنما جاء ذلك من عند الله، وأهل الله هم الذين أوقفوه قبل أن أزوج أمه".

وإذا كانت تلك الوصية قد حسمت شأفة الخلاف بين الناصريين والأنصارين، فإنها لم تكن كافية لإذعان ثلاثة من إخوته؛ وهم محمد الكبير وعلي ومحمد الصغير. فقد عبروا عن عدم رضاهم لما هاجر كل واحد منهم - على التوالي - إلى الأطلس المتوسط، وسوس، وترناته. إلا أن حدة الخلاف لم تكن لتنتال من قوة الزاوية، أو تزعرها؛ لا سيما وأن كلا من الإخوة قد وجد مجالاً للمشيخة في الجهة التي انتقل إليها؛ حتى إن تأسيس تلك الفروع كان من بين الأسباب التي دعمت إشعاع الزاوية الناصرية.

ومهما يكن من أمر، فإن أحمد الناصري ولي مشيخة تامغروت؛ فاقتفى أثر والده في الحرص على المشاورة على التعليم، واستقطاب العلماء، محافظاً على سيرته في كل شئونه. ويتفق كل من ترجموه على علو شأنه، في الأخلاق، ورسوخ قدمه في العلم، وحصه على اتباع السنة ومحاربة البدع؛ ففشا صيته في المغرب والمشرق، وتكاثر أتباعه والأخذون عنه في مختلف الأفاق. كان ذلك كله سبباً في تزايد شهرة الزاوية الناصرية، فاتسع نفوذها في مختلف جهات المغرب، وفي المشرق على طول الطريق التي يسلكها الركب الناصري برسم الحج.

ولعل من أبرز أعمال الشيخ الناصري، فضلاً عن بنائه مساجد تامغروت الثلاثة، تشييده لمدرسة بلغ عدد طلبتها حوالي ألفاً وأربعمائة من المنقطعين للدراسة بها؛ مع ما تطلب ذلك من مرافق كالدكاكين والحمامات والآبار؛ وإنشاء خزانة حرص على تزويدها بأنفس الكتب من الشرق والمغرب، عن طريق الشراء والنسخ والإهداء. وتحدثنا المصادر عن محتوياتها، وعن النظام الذي ابتكره هذا الشيخ للمحافظة على الكتب والإفادة منها. وظل الشيخ أحمد الناصري، إلى جانب ذلك، مثابراً على التعليم، منكباً على دراسة كتب الحديث، ولا سيما صحيح البخاري. فصارت زاوية تامغروت يومئذ، أحد أكبر المراكز العلمية ببلاط المغرب. ومما زاد هذه

الزاوية شهرة، أن شيخها ترأس ثلاث ركاب حجية، في سنوات 1096 و1109 و1121 شارك فيها حجاج من مختلف الجهات المغربية.

وموازاة مع ازدهار الزاوية، في عهد المترجم، في الجوانب الصوفية والعلمية، فقد شهدت بسطة في الرزق، حيث ترادفت على باب شيخها الهدايا النقدية والعينية، فوصلتها القوافل الموقرة بالزيت والصوف والحناء والسمن والتمر والحبوب وغيرها، من سوس وجبال الأطلس والدير. وتدل المعطيات المستخلصة من الوثائق المحلية أن أراضي شاسعة بدرعة أصبحت في ملكية تامغروت. كما ملكت الزاوية حصة الأسد من مياه السقي في خمس فزواطة. وأفادت من موقعها في الطرق التجارية لتتحول إلى شريك تجاري، سواء عن طريق المشاركة المباشرة في الأعمال التجارية، أو عن طريق ما كانت تسديه من خدمات للقوافل ولا سيما الحفارة. ولا يتسع المقام للتدليل على ذلك بأمثلة ملموسة. وهذا ما جعل أحد معاصري المترجم يقول: "الدنيا والآخرة ضربتان لا يجتمعان إلا عند كامل مكمل كشيخنا سيدي أحمد ابن ناصر". فضلاً عما كانت فروع الزاوية المنبثقة في مختلف جهات بلاد المغرب تقدمه إلى الزاوية / الأم من هدايا.

وكان تزايد أهمية الزاوية كافياً لفت انتباه المخزن، خاصة وأن معاصر المترجم هو السلطان المولى إسماعيل الذي حرص على أن يدين له الكل بالولاء، في وقت ظل فيه المترجم حريصاً على استقلال زاويته إزاء المخزن؛ حتى إنه لم يكن يخاطب بالسلطان على منابر تامغروت، الشيء الذي جعل بعض الدراسات تتحدث عن توتر في العلاقة بين أحمد الناصري والمولى إسماعيل. وقد تجلّى التعارض بين الجانبين في مناسبتين:

1 - تشير المصادر، لا سيما الدرر المرصعة، إلى أن الشيخ أقلت من محاولة اغتيال دبرها له الباشا بوشفرة، الذي زار تامغروت في طريقه إلى بلاد السودان. وقد حاول التأكد من عدم دعاء المترجم للسلطان على المنبر في خطبة صلاة الجمعة التي شهدها في الزاوية.

2 - منع السلطان المترجم من التوجه إلى الحج، على رأس الركب الناصري، عام 1119. وقد وصل مصدر معاصر بين ذلك المنع وبين مساندة الشيخ الناصري للأمير محمد العالم في تمرده ضد والده. ومعلوم أن بعض متصوفة العصر وعلمائه قد ساندوا ذلك التمرد. وللإشارة، فإن أحد أكبر تلاميذ الناصريين قد انبرى للدفاع عن شيخه، معتبراً ذلك مجرد وساوس شيطانية، ومزاعم لا أساس لها من الصحة. وإذا صدقنا مصادر الناصريين، يبدو أن العلاقة بين الشيخ والسلطان سرعان ما طبعها التفاهم، على إثر لقائهما بمدينة مكناس، حيث دعا المولى إسماعيل خاصته لأخذ الورد عن الشيخ الناصري.

خلف هذا الشيخ بعض المؤلفات أشهرها الرحلة الناصرية

التي دون فيها وقائع رحلته الحجازية الأخيرة عام 1121-1122، وفهرسة نادرة.

وَأَلَّف، زيادة على الرحلة التي يضاهاها بها أمثال ابن جبير وابن بطوطة :

2 - الرحلة الشامية، وتعلق برحلة أخيه محمد بن محمد ابن ناصر.

3 - أجوبة فقهية بعنوان : تنبيه السائل ببعض ما هو عنه سائل.

4 - تجديد المراسم البالية في السيرة الحسنة العالية، وهو كتيب في السيرة النبوية.

5 - رسالة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

6 - كتيب في الطريقة.

7 - إشفاء المريض في بساط القريض، وهو مجموعة أشعار.

8 - ترجمة والدته السيدة حفصة.

9 - مجموع رسائل.

10 - فهرست.

توفي في تاسع عشر ربيع الأول عام 1129 / 1717، بعدما أرسى دعائم طائفة صوفية قوية، أدركت أوجها في أثناء مشيخته.

م. المكي الناصري، الدرر المرصعة، 57-111 : الروض الزاهر، 136.

141 : الخليفتي، الدررة الجليلة، 8-72 : الإفرائي، الصفوة، 221.

273 : الهشتوكي، خت 3070، ضمن مجموع، ص. 19 : المنجرة،

فهرس، 50-54 : المعداني، الروض اليانع، خع 1835، ص. 60.

67 : العبدوني، بتيمة العقود الوسطى، خع 5305، 190-210 :

القادري، نشر المناني، 3 : 234-235 : النقاط الدرر، 312-313 :

الحضيكي، طبقات، خع 1124 د 28.29 : سليمان الحوات،

الروضة المقصودة، ميكروفيلم، خع 87-126 : الحسين الورثيلاني،

نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والآثار، بيروت، 1974 : أحمد

الناصر، الاستقصا، 7 : 111-113 : طلعة المشتري، 2 : 17.

119؛ ع. الكتاني، فهرس الفهارس، 677-680 : سركيس، معجم :

جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس، 1 : 264 : محمد مخلوف، شجرة

النور الزكية، 333 : ليفي بروفنسال، مؤرخو الشرفاء، 206-207 :

إبراهيم، المراكشي، الإعلام، 2 : 357-363 : ع. السلام بن سودة،

دليل المؤرخ : خير الدين الزركلي، الإعلام، 1 : 241 : محمد

المنوني، المصادر العربية للتاريخ، 1 : 188 : ع. الرزاق الجزائري،

رحلة : لسان المقال في النبا عن النسب والحسب والحال، تح. أبو

القاسم عبد الله، الجزائر، 1983، ص. 55-56.

M. Bodin, La Zaouia de Tamegrout..., 271 - 274 ; G. Drague, Esquisse..., 189-190 ; M. et ed. Gouvion, Kitab Aÿoune al-Marhib 1 - Akça, P. Genthner, Paris, 1939, 482-495.

أحمد عمالك

الناصرى، أبو بكر بن علي بن يوسف بن محمد

الكبير بن محمد ابن ناصر الدرعي، شيخ تامغروت الثامن.

ولد سنة 1201 / 1787. ولي مشيخة زاوية تامغروت بعد

وفاة والده علي بن يوسف سنة 1235 / 1819. أثنى عليه

معاصره المؤرخ أحمد بن خالد الناصري فقال : "العالم

المحدث البركة" ... كان على سنن آبائه في الخير والصلاح

والقيام بوظائف الدين واتباع السنة، والتودد إلى الأقارب

والتعطف عليهم، وتفقد أحوالهم .." والظاهر من بقية كلام

المصدر المذكور أن المترجم كان خاتمة شيوخ الناصريين، من

حيث المحافظة على السلوك الصوفي القويم، في العبادة

والتهمم بالعلم ورجاله. وتؤكد المصادر أن هذا الشيخ لاقى

معارضة من قبل أكابر أقاربه، الأمر الذي اضطره إلى القدوم

إلى مراكش بحثا عن دعم مخزني. وفي ذات الوقت شهد

وادي درعة استسراء شغب آيت عطفاً الذين ضيقوا على

سكان الواحات بما كانوا يقومون به من نهب، واعتراض سبل

المسافرين. وللإشارة فإن المترجم اضطلع بدور الوساطة لدى

آيت عطفاً لرفع الحصار عن بعض القصور، مثل أمزرو ؛

الشيء الذي جعل السلطان يرسل إلى الشيخ الناصري

ظهيرا، لدعم مشيخته ومساندته ضد معارضيه. ومما جاء

فيه: "وقد جعلناك في محل والدك... وقدمناك على جميع

أحباس الزاوية أين ما كان .." (رسالة من مولاي سليمان

إلى الشيخ أبي بكر، بتاريخ 13 رجب 1235). وقد توثقت

الصلات بين الطرفين حتى أضحى الشيخ أحد عيون السلطان

في وادي درعة.

لكن الشيخ المترجم تعرض لمحنة في عهد السلطان المولى

عبد الرحمن بن هشام، حيث فرضت عليه "إقامة إجبارية"

بمدينة مراكش طوال سبع سنين. والظاهر أن لمحتته اتصالا

بحماية القائد الصديق بن الطاهر الدكالي، الذي كان

السلطان قد هم بمصادرة ممتلكاته، فلاذ بزاوية تامغروت

حيث "احترم بها" مدة.

وباستثناء ذلك الخلاف، فإن حبل المواصلية بين الجانبين

ظل موصولا، حيث قدم الشيخ الهدايا للسلطان ؛ ونال مقابل

ذلك الإذن باتخاذ خاتم خاص لختم مراسلاته، بعد أن كان

سلفه من الشيوخ يكتفون بالتوقيع. وتؤكد الوثائق أن المترجم

صار يتردد إلى قصر السلطان، وأنه حظي بدعم المخزن

للطواف على فروع الزاوية الناصرية من أجل "جمع ما فضل

من مستفاداتها" (رسالة من الأمير محمد بن عبد الرحمن

إلى بوسلهام بن علي أزروط بتاريخ 22 جمادى الثانية

1276). وفي ذلك العهد تم تجديد ظهير الإنعام "على زاوية

تامغروت بعشرة قناطير من الحديد، تؤخذ من ثغري الصورة

وأسفي كل عام".

وبعد وفاة السلطان المولى عبد الرحمن، كان المترجم من

أوائل المبايعين لابنه سيدي محمد الذي بعث برسالة خاطب

فيها الشيخ قائلا : "فنحن على يقين من أنك تكون أول

داخل فيما دخل فيه الجماعة، لأن داركم دار محبة وسنة .."

(رسالة من محمد بن عبد الرحمن إلى أبي بكر الناصري

بتاريخ 29 ربيع الأول 1276).

ولعل لتقرب الشيخ الناصري من المخزن أكثر من سبب ؛

يتصل أبرزه بحركات الاقتيات المتزايدة على الزاوية / الأم،

في كثير من جهات المغرب أهمها جهة سوس التي حاول كثير

من مقدميها الناصريين الاستئثار بمستفادات زواياهم ؛ وعمد

-7381-

عدد من المریدین إلى الانخراط في سلك إحدى الزاويتين التجانية أو القادرية. ومن ثم لم يتردد السلطان في إصدار ظهير جديد يتضمن : "إقرار جميع أهل رأس وادي سوس على المعهود من خدمة متولي أمر الزاوية الناصرية الكبرى تامرگروت... وأن يقتصرُوا فيها عليه ولا يلتفتوا لأحد من المرابطين أبناء عمّه، سكان سوس وغيره .." (صدر الظهير في 5 ذي الحجة 1279). بل لقد تدخل السلطان مرة أخرى، لوضع حد لظاهرة إباق عبيد الزاوية التي كانت قد استشرت يومئذ ؛ فأصدر ظهيرا جديدا يأذن للشيخ في جمع وصفاء الزاوية وإمائها "أينما كانوا وتعيينوا... ليردهم للقيام بوظيف خدمة أصول الزاوية بدرعة كما كانوا.." (صدر الظهير في 14 صفر 1280).

ويفسر ذلك التقارب بين المخزن والزاوية بالوضع الجديد الذي آل إليه أمر جهة سوس، حيث دشنت الدول الأوربية هنالك ما اصطلحت عليه بالتغلغل "السلمي"، عن طريق التجارة وعقد اتصالات مع بعض الأعيان. وكان المخزن يسعى يومئذ إلى تأكيد حضوره في تلك الجهة بكل الوسائل، لعل الزاوية كانت من بينها، إذ أن شيوخها يستطيعون دعوة الناس إلى التمسك بالجماعة، ومناهضة الأوربيين.

توفي في منتصف جمادى الأولى عام 1281 / 1864، كما في طلعة المشتري.

وثائق الخزانة الحسنية وزاوية تامرگروت : م. التهامي الناصري ؛ مذكرات : أحمد الناصري، طلعة المشتري، 2 : 133 - 169 ؛ إعلام المراكشي، 8 : 329 ؛ أحمد عمالك، الزاوية الناصرية، أطروحة د. د. الرباط، 2001، ص. 134 - 139. G. Drague, *Esquisse*, p. 191 et 193.

الناصرى، جعفر بن أحمد بن خالد الناصري

السللاوي، من سلالة حسب ودين، وأسرة عريقة في العلم والصلاح، يتصل نسبه بالشيخ الإمام القطب الشهير محمد بن ناصر الجعفرى الزينبي ثم الدرعى، مؤسس الزاوية الناصرية بتامرگروت، جنوب المغرب. ولد بسلا في 23 شوال عام 1310، موافق 10 ماي سنة 1893، وتكفل بشؤون تعليمه وتربيته أخوه الأكبر العلامة محمد العربي، فأدخله الكتاب القرآني، حيث أخذ في حدائنه المبكرة كتاب الله عن أشهر الشيوخ المقرئين بسلا أحمد التيبال المتوفى عام 1317 / 1900 ومحمد حسيسو المتوفى عام 1324 / 1907. وشيخ القراء بالعدوتين ومحمد بن عبد الله بربطل المتوفى عام 1334 / 1916 ؛ وعنه أخذ أحكام الرسم والتجويد والقراءات السبع. وتابع بعد ذلك أخذ القراءات عن الشيخ جلول الكفتي الغنترى، إمام الزاوية القادرية بثغر الصويرة الذي انتقل إليه مع أخيه الأكبر محمد العربي. وبعد رجوعه إلى مسقط رأسه سلا، أتم دراسة القراءات على الشيخين : محمد بوشعرة السللاوي المتوفى عام 1361 / 1943 وعبد السلام السهلي المتوفى عام 1362 / 1943.

حفظ جعفر الناصري في صباه المتون العلمية المختلفة حفظا متقنا كالمرشد العين وألفية ابن مالك ومختصر خليل وتلخيص المفتاح، وغير ذلك من المتون الأصولية، وكذلك المعلقات السبع ودواوين فحول الشعراء أمثال المتنبي وأبي تمام والبحثري وابن الرومي والمعري وبشار بن برد والشريف الرضي، مما هو من أصول اللغة العربية.

ثم تفرغ بعد ذلك لأخذ العلم بمعناه الأعم، وخصوصا الفنون اللسانية والعلوم العقلية والنقلية والأدبية، بدءا مع أخيه :

محمد العربي المتوفى عام 1362 / 1943. وإليه يرجع الفضل في تكوينه الأولي بتلقي مبادئ العربية والسيرة النبوية والأصول الأدبية وسرد الكتب الستة الحديثية وملازمة المذاكرة في المسائل العلمية المتنوعة والإرشاد إلى كيفية البحث عنها والاهتداء إليها والتعرف إلى خزائن الكتب لمعرفة مظانها ومصادرها. ثم الطبيب بن المدني الناصري، مفتي الديار المغربية المتوفى عام 1359 / 1940 وأحمد بن المامون البلغيتي، أيام مقامه بسلا، والمتوفى عام 1348 / 1930 وعن شيخ الجماعة بسلا الفقيه الصالح أحمد الجريري المتوفى عام 1354 / 1935 ؛ وعن الشيخ السلفي، وزير العدالة وشعيب بن عبد الرحمن الدكالي المتوفى عام 1356 / 1937. لازمه إلى وفاته وهو من عمده، وأجازته بخط يده تلقائيا ودون سابق رغبة. ومن جملة ما درس عليه معلقات الشعراء الست والمعاني والبيان والبديع واصطلاح الحديث والأصول ومختصر الشيخ خليل ومحمد الهاشمي ابن خضراء، المحدث والقاضي المتوفى عام 1392 / 1972 وعلي بن محمد عواد، قاضي سلا المتوفى عام 1354 / 1935. على أن أكثر دراسته كانت على يد العلامة النفاة، شيخ الجماعة بسلا أحمد بن عبد النبي السلاوي المتوفى عام 1392 / 1972. فقد لازم دروسه، صباح مساء، زهاء عشرين سنة، سواء بالمسجد الأعظم أو غيره. حضر عنده في أمهات اللغة وقواعدها، والفقه وأصوله، والحديث ومصطلحه، والمنطق، وأدب البحث، والمناظرة، وأجازته إجازة عامة، بخط يده.

يضاف إلى هؤلاء الأعلام الذين لازم دروسهم ومجالسهم، أعلام آخرون جمعته وإياهم الوظيفة المخزنية زمنا طويلا، مدة الدولة اليوسفية، وشرطا من الدولة المحمدية، وهم : عبد الرحمن بن القرشي ومحمد الرندة الرباطي والشريف السلفي محمد بن العربي العلوي فقد استفاد منهم الفوائد الجمّة، وقيد من مذاكراتهم ومحاضراتهم أمورا مهمة، فقهية وأدبية وتاريخية.

وفي أثناء رحلاته بإفريقية الشمالية ومصر والحجاز، اجتمع بعدة أعلام، وأجازوه على الطريقة والعادة الجارية بين العلماء.

ولما فتحت المدارس العصرية لتعليم اللغة الفرنسية، كان جعفر الناصري من أول الواجحين أبوابها، بسلا أولا، ثم

بشأنوية مولاي يوسف، برباط الفتح، إلى أن تخرج منها
حاصلا على المسكة العلمية التي تفتح الآفاق الخارجية في
مجال البحث العلمي.

هكذا ازدوجت ثقافة المترجم، فكانت في نفس الوقت،
أصيلة متينة، وحديثة متفتحة. وعُرف، وهو لا يزال في
ربعان الشباب، أديبا ممتازا، وشاعرا رقيقا، وباحثا مدققا.
كما أُشرب حب علم التاريخ من والده، مؤلف "الاستقصا"
و"طلعة المشتري"، فكانت له جولات في مختلف الميادين
الأدبية والتاريخية المتعلقة بعدوتي المغرب والأندلس.

وأكثر ما انصبَّ اهتمامه على تاريخ مسقط رأسه سلا،
وجارتها رباط الفتح، وشغف بابن الخطيب منقبا عن آثاره،
متتبعا ما يُنشر عنه في الداخل والخارج، منشئا في شأنه من
البحوث والرسائل والقصائد تحليلا وتعليلا، ومعارضة
ومحاكاة، وإشادة وتنويه، ومنافرة ومنايذة، وتفجعا ورثاء.

انتحل جعفر الناصري الشعر في زمن مبكر، إبان
التعاطي ومجالس الأُس مع الأحباب، وخواص الأصدقاء
والأتراب. ولم يكن له اعتناء بجمعه وتدوينه، فلم يبق منه
إلا النزر اليسير أثبتته في ديوان صغير، ضم شوارده، وحفظ
أوابده؛ وقد نُشر بعضه في بعض المؤلفات والصحف
والمجلات، وغالبه لا يخرج عن أوصاف الجمال، وعشوية
التصابي والأنس والمرح والإخوانيات ومدح الأشياخ، بمناسبة
ختم المتون. ولم يخطر بباله قط التخصص بالقريض والطموح
إلى الوصف بالشاعر، وإنما كان همه من الشعر معرفة مادته،
وتحصيل آتته، لأن ذلك كمال للفتى.

خلف المترجم إنتاجا فكريا مهما، تضمن مجموعة من
المقالات والمحاضرات في التاريخ والأدب والإرشاد والاجتماع
والاقتصاد؛ وما لا يقل عن 22 مصنفا، بين كبير ومتوسط
وصغير في مواضيع أدبية وتاريخية، نذكر منها:

- "الإحصاء لما وضع بعد الاستقصا"، في مجلدين، وهو
تاريخ جمع فيه أخبار الدولتين العززية والحفيظية إلى حدوث
كارثة الاستعمار.

- "المحيط بالمهم من صحراء المغرب وشنقيط"، في
مجلدين ضخمين، بناه على البحث في ماضيها واتصالها
بالمغرب عبر القرون والأجيال الماضية، منذ الفتح الإسلامي
إلى أن احتلها الفرنسيون والإسبان.

- "سلا ورباط الفتح وقرصنتهما الجهادية"، في ستة
مجلدات ضخام. وقد ضم هذا الكتاب تاريخ العدوتين، منذ
تأسيسهما إلى وقتنا الحاضر، وتاريخ أسطولهما القرصاني
الجهادي، وتخلل ذلك نوادر وأخبار، وأدبيات وأشعار،
وحوادث ذات أهمية واعتبار.

- "الكتابة والكتب والمكاتب"، في مجلد ضخام، وهو
كتاب أدب وأخبار وتراجم. وكتب أخرى نكتفي بذكر
عناوينها، وهي "ابن الخطيب بسلا"، ماضي القرويين وحاضره
"الاسطول المغربي عبر التاريخ"، "سر عدد السبعة
والصائبة"... الخ

هذا ما يخص إنتاجه الفكري، أما عن سيرته فقد كان
جعفر الناصري على جانب كبير من الاستقامة والنزاهة، دمث
الأخلاق، لين الجانب، عفيف اليد واللسان، اشتهر بذلك عند
الخاص والعام، كما كان مغرما بجمع الكتب، شغوفاً بالبحث
عن نفائسها، بإذلاً الغالي والنفيس في اقتنائها، وقد حكى
في تأليفه "الكتابة والكتب والمكاتب" ما وقع له من النوادر
في تيسيرها، والحصول عليها، كلما تشوقت النفس للوقوف
عليها، أو مراجعة شيء منها؛ ودوياً على نسخ الغريب أو
النادر منها، ولازال بخزائنه زهاء عشرين مجلداً منها.

توفي يوم الأحد 26 ذي الحجة عام 1399، الموافق 16
نونبر سنة 1980، ودفن بزواوية أجداده بسلا.

أحمد الناصري

الناصرى، جعفر بن موسى بن محمد الكبير بن

محمد ابن ناصر، شيخ زاوية تامغروت الخامس. ولد
بتامغروت وبها نشأ وسط بيئة تعج بالعلماء والمتصوفة.
وتذكر كتب المناقب والتراجم أنه عرف بالزهد والوقار،
والأخلاق الفاضلة، والاشتغال بالعبادة والذكر. ولم تشر ولو
بطرف خفي إلى مبلغه من العلم. ومن ثم فعلل التصوف هو
ما غلب عليه. رحل المترجم إلى الحج صحبة عمه الشيخ
أحمد الخليفة، في أثناء رحلته الثالثة عام 1109 / 1110.
وهو الذي ضل الطريق بالقرب من أجدابية.

ولي شؤون الزاوية الناصرية بعد وفاة عمه عبد الله بن
محمد الكبير ابن ناصر سنة 1143 / 1731؛ فتصدر لتلقي
الأوراد، ونهض بأعباء ما تحمله، مقتفياً في ذلك آثار
أسلافه. ومن جملة أعماله أنه جدد مسجد الخلوقة بتامغروت،
في جمادى الأولى عام 1151 / 1738؛ فمدحه أخوه
الشاعر أحمد بن موسى، لينوه بذلك المبني، فقال:

معاني الحسن تظهر في المغاني ورونقه يجده في المبانسي
تأمل في جمالي وابتهاجي وسر لطافتي وديع شأني
وإني وإن وضعت على تراب فنحو العرش منزلتي تداني

وللإشارة فإن مشيخته لم تكن بمنجاة مما ساد المغرب
يومئذ في عهد "الفترة" من اضطرابات ووباء ومجاعة؛ ولا
سيما فيما بين 1147 و1156. إلا أن ذلك كان موالياً للزاوية
الناصرية التي شهدت توسعا، وكسبا للمزيد من الأتباع.

توفي الشيخ جعفر الناصري سنة 1157 / 1744.

أحمد الناصري، الرحلة: المكي الناصري، الدرر المرصعة؛ طليعة
الدعة: الخليفتي، الدررة الجليلة؛ أبو مدين الدرعي، الرحلة، م.
خ. ر. 217 ق؛ سليمان الناصري، إتحاف الخلل المعاصر؛ أحمد
الناصرى، طلعة المشتري.

M. Bodin, La Zaouia de Tamgrout..., p. 275 ; G.
Drague, Esquisse, p. 191.

أحمد عمالك

الناصرى، الحنفي بن خالد بن محمد الناصري،

يتصل نسبه بالشيخ الإمام محمد (فتحا) بن ناصر،

الجعفري الزينبي، ثم الدرعي، مؤسس الزاوية الناصرية بتامكروت، في جنوب المغرب.

ولد بسلا في حدود سنة 1237 / 1821 تقريبا.

كان فقيها، أستاذا قارئا بالسبع، مجودا بالسبع للقرآن، عارفا بأحكام القراءات ووجوهها، مع معرفة بالفقه والسيرة النبوية، والنحو، وغير ذلك من الفنون، ذا فصاحة في النطق، وصراحة في القول، وصرامة في العمل، جوادا معطاء، ذا هيبة ووقار، واستقلال فكر، وحرية في الرأي وزعامه وهمة عالية. توجه لمحج بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي، عليه الصلاة والسلام، سنة 1281 / 1864.

توفي بمكة المكرمة، ودفن بالمعلا، بجوار أم المؤمنين، مولاتنا خديجة، رضي الله عنها، وكان ذلك مما أكرمه الله به، وأدخره له في غيبه.

الناصرى، خالد بن محمد، المدعو حمادا، بن محمد

الكبير، بن أحمد بن محمد (بالفتح) الصغير ابن الشيخ الأكبر محمد (بالفتح) بن ناصر الجعفري الزينبي، مؤسس الزاوية الناصرية بتامكروت، جنوب المغرب.

ولد أوائل القرن (13 / 19)، أو قبله بقليل، بزاوية جده محمد (فتحا) الصغير، المعروفة بزاوية البركة بوادي درعة، ونشأ هناك في كنف والده وجده محمد الكبير، وقرأ العلم على من كان بها من علماء وقته، من أبناء أعمامه، وغيرهم.

وبعد وفاة والده حماد، ثم جده محمد الكبير، قرر مفارقة ديار آباءه وأسلافه، فهاجر أولا إلى مدينة سلا، في حدود 1220 / 1805، فقابله أهلها بما لا مزيد عليه من التعظيم والاحترام والإكرام، لما كان لهم من تمام المحبة والإخلاص لآل ناصر، فاستوطنها مدة، وانتشر صيته في القبائل المجاورة لها، واعتقده أهلها، وقاموا بواجبه، وتزوج بها إحدى بنات عمه السيدة زينب بنت سعيد بن عبد الرحمن الناصري عام 1235 / 1819، وفي أثناء ذلك كان يتردد على طنجة والعرائش، واشترى بها عقارا وملك ديارا، وذلك سنة 1228 / 1812 ثم بدا له فانتقل للعرائش وطنجة، وأحبه أهلها لما كان عليه من العلم والزهد والورع والتحرري في أكل الحلال، واشتغل بالحرث والتجارة بقبيلة الغرب، قرب العرائش، وتبارى أهل قبيلة الغرب في القيام بحقه، والمبالغة في احترامه وتعظيمه حتى كانوا يتيمينون بذكره، ويستضيئون بأنوار فكره، ويصلح بينهم وبين عمالهم، ويرشداهم إلى الحق في سائر أعمالهم، زاهدا فيما في أيديهم، حتى إنه كان إذا دعت الضرورة للمبيت عند أحدهم، استصحب معه طعامه الخاص به، ولا يأكل عندهم شيئا.

ومما يؤثر عنه في هذا الباب، أنه أصلح مرة بين أحد العمال وقبيلته، فأعطاه قدرا عظيما من الذهب العين، فترفع عن أخذه، وأبى أن يتناوله بيده، وحث العامل

المذكور أن يرده إلى أصحابه الذين أخذه منهم، فتوسل إليه في أخذه، ففرقه حيناً على من كان ببابه.

واشتغل بالحرث والتجارة بقبيلة الغرب قرب العرائش، وفتح له في ذلك، وبارك الله له فيه، فأسس الضياع الواسعة المغلة هناك، وعمرها بالخيول والخدم والحشم، وتزوج بطنجة ابنة عمه السيدة مريم بنت الفقيه الخير علي بن محمد الناصري وبقيت في عصمته إلى أن توفيت في حدود سنة 1238 / 1822، وكانت صالحة خيرة، فعلت أفعالا من البر كثيرة من صدقات وغيرها، وخلفت له ثروة طائلة. ثم بعد ذلك سكن العرائش دهرا، واتخذ من أهلها نسبا وصهرا، فتزوج السيدة فاطمة بنت الفقيه الشريف محمد بن محمد بن قاسم بن زروق الحسيني الإدريسي الجباري، وولد له بهذه المدينة سائر أولاده ماعدا ولده أحمد العلامة الكبير صاحب "كتاب الاستقصا" و"طلعة المشتري" وغيرها من التأليف الحسان، فإنه ولد بسلا، لما رجع والده إليها للاستقرار بها نهائيا سنة 1250 / 1834.

كان المترجم فقيها مرابطا زاهدا، ذا هممة عالية وسيرة حسنة، كما كان على جانب عظيم من الورع والتحرري في أكل الحلال، بحيث فاق أكثر أهل زمانه في ذلك، وكان وقورا، كثير الأوراد، ذا سمت وجد، مرجو البركة عند القاصي والداني.

توفي في 12 ذي القعدة سنة 1277 / 22 ماي سنة 1861، ودفن بقرية الشيخ أبي سلهم، رضي الله عنه. أحمد الناصري

الناصرى السلوي، المؤرخ أحمد بن خالد : ولد بمدينة

سلا سنة 1250 / 1835، وبها نشأ ودرس، أخذ علوم القرآن على شيخه الحاج محمد لعلو وعلى محمد بن الجيلاني الحمادي، وعلوم التجويد وحفظ المتون والكتب الأمهات كنظومة الشاطبي وخلاصة ابن مالك وتلخيص المفتاح على الشيخ عبد السلام بن طلحة وعلوم العربية من نحو وبلاغة وأدب ومنطق وكلام على شيخه محمد بن عبد العزيز محبوبة، كما لزم مجلس قاضي سلا أبي بكر عواد فترة طويلة، وكان هذا الأخير يخصصه بعناية خاصة لما لمس منه عند من إتقان وتدقيق وشغف بالقراءة والتحصيل. وكان إضافة إلى دروسه النظامية شغوفاً بمطالعة كتب التاريخ والجغرافيا، مكبا على التزود بالمعارف المختلفة وما يتعلق منها بالعلوم العصرية والتقنية.

يذكر ولده في ترجمته أنه "كان فصيح اللسان قوي الحافظة، حاضر الذهن، حسن الإيراد، فكان كلامه إذا برز فيه نفذ إلى القلوب ورسخ فيها رسوخا بينا".

اشتغل الناصري أول الأمر بالتدريس، معتمدا على منهج علمي يعتمد التفهيم والإفهام، فشهدت مجالسه العلمية منتدى يقصده الطلبة وغيرهم للاستفادة، وتناولت دروسه علوماً مختلفة في الفقه والبلاغة والنحو والأدب وغيرها.

وعندما اشتهر أمره وذاع صيته دعاه السلطان المولى الحسن للانتظام في سلك الوظيفة الإدارية، فرفض أول الأمر خوف انشغاله عن العلم ومجالسه، لكن السلطان ألح عليه وأسند إليه وظيفة خطة الشهادة ببلده سلا سنة 1280 / 1863 ثم خطة العدالة والصائر على الأعباس بسلا أيضا كما كان مستشار أستاذه أبي بكر عواد قاضي سلا في النوازل المهمة التي كانت تعرض عليه للإفتاء فيها وإبداء رأيه في أحكامها.

ورغبة في الاطلاع على أحوال البلدان والمناطق المغربية المختلفة زار رفقة أستاذه مدينة فاس ومكناس وزرهون وجبال الريف وغمارة وتطوان وغيرها من المدن وتعرف إلى أحوال الناس وطرائق عيشتهم، كما اتصل بعلماء هذه المدن وجالس شيوخها، وترك ذكرا طيبا أينما حل وارتحل.

وفي سنة 1292 / 1875 عينه السلطان للخدمة بمرسى الدار البيضاء ثم ببنيفة الصاير بمراكش، (وهي الشؤون المالية)، وبهذه المدينة جمع مواد كتابه التاريخي الهام الاستقصا، كما قدم دروسا بجامع ابن يوسف في علوم مختلفة لقيت استحسانا وقبولاً.

وعلى الرغم من عزوفه عن الخدمة الحكومية، فإن ذلك لم يجد نفعا مع إلحاح السلطان على تحمل ذلك بمراكش والجديدة والدار البيضاء، واستشاريته في أمور البلاد السياسية والاقتصادية، من ذلك تحريره قانون الخراج والمداخل المالية بالمغرب، ولا يزال معتمدا لدى إدارة الأملاك المخزنية كما نبه إلى ذلك ابنه وهما يترجمان له.

وكان خلال مهامه المخزنية يعقد علاقات مع قناصل الدول الأجنبية ويستفيد من آرائهم ومن كتابات تاريخية باللغات الإسبانية والفرنسية والإنجليزية وغيرها مما ساعده على توظيف المعلومات المستقاة منها في كتابه الموسوع "الاستقصا".

ويعود إلى مسقط رأسه سلا سنة 1308 / 1890 ليعكف على التأليف والكتابة والتدريس. لكنه لم يلبث أن تولى الخدمة من جديد بمرسى الدار البيضاء سنة 1310 / 1893 ليعود إلى مسقط رأسه بعد سنة إثر وفاة السلطان المولى الحسن. ثم استدعاه السلطان المولى عبد العزيز "لتفقد الأملاك المخزنية وإحصائها والبحث فيها وأنجز ذلك على أحسن وجه".

وبعد إنهاء مهمته سنة 1312 / 1895، انكب بمسقط رأسه على الكتابة والتأليف ومتابعة أعماله التي كان ينجزها وهو يزاول مهامه، وأعرض عن ممارسة أي عمل حكومي، إلى أن وافته المنية.

مؤلفاته: أشهر مؤلف لأحمد بن خالد الناصري موسوعته التاريخية المتميزة "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى"، وبه عرف بالمؤرخ السلوي في كثير من الكتابات الأجنبية، وقد طبع الكتاب أربع مرات، الأولى بمصر بالمطبعة البهية، سنة 1312 / 1895 - 1896 في أربعة أجزاء، وقد صحح هذه

الطبعة بنفسه إثر صدورها، والثانية بدار الكتاب بالدار البيضاء بتحقيق ولديه جعفر وأحمد سنة 1956 في تسعة أجزاء، والثالثة صدرت مصورة عن الطبعة الثانية بدار الكتاب نفسها بالدار البيضاء سنة 1997 في ثلاثة مجلدات، كل مجلد يتضمن ثلاثة أجزاء من التسعة، والرابعة صدرت ضمن منشورات وزارة الثقافة والاتصال بتحقيق وتعليق حفيده أحمد الناصري سنة 2001 في ثمانية أجزاء، وأعد فهارس هذه الطبعة جزءا تاسعا الأستاذ محمد المغراوي وصدرت عن وزارة الشؤون الثقافية سنة 2005، كما تمت ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الفرنسية وأنجزها مجموعة من المستشرقين منهم كروول وكولان وفومي وإسماعيل حامد وابن المؤلف امحمد الناصري، وقد نشرت هذه الترجمة في مجلة الوثائق المغربية (المستندات المغربية)، التي كانت تصدر عن إدارة الشؤون الأهلية ومصلحة الإرشادات تحت إشراف الإقامة العامة للجمهورية الفرنسية بالمغرب في الأعداد 28 - 30 - 31 - 32 - 33 - 34 - 35، مطبعة المستشرق بول غوتتير، باريس 1923 - 1925 - 1927 - 1928 - 1931 - 1934 - 1936.

وقد أنجز ابنا المؤرخ جعفر وامحمد ترجمة وافية باللغة الفرنسية لترجمة والدهما تحرياً فيها الضبط والدقة والمقابلة لما في الترجمة العربية المنجزة من طرفهما أيضا، وقد نشرت في مجلة "الوثائق المغربية"، العدد 31، سنة 1925.

يقول المؤرخ الناصري في هامش الطبعة الأولى المصرية من كتابه "الاستقصا": "الحمد لله، إني ألتمس ممن يقف عليه من ساداتنا العلماء وقرهم الله، أن ينظر فيه بعين الإنصاف حسب الإمكان، بل ويعين الإغضاء عما لا يكاد يسلم منه إنسان، وأن يعاملنا فيه بمقتضى قول القائل:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعدّ معايبه"
ويقول ابنا المؤلف عن هذا الكتاب "وبالجملته فهو عمدة المؤرخين ومورد المستشرقين، وقد طبقت شهرته الخافقين، ولم يظهر إلى حد الآن (سنة 1375 / 1956) تاريخ مغربي يوازيه أو يغني عنه ويسد مسده، فهو العمدة والمؤرخون عيال عليه". والكتاب يتناول تاريخ المغرب منذ الفتح الإسلامية الأولى ومن تعاقب على الولاية به إلى أن كانت وفادة المولى إدريس وتأسيس الدولة المغربية وتعاقب الدول على حكمها إلى آخر عهد المولى الحسن الأول، مقدما لذلك بمقدمة في علم التاريخ وفوائده وفي ذكر حياة الرسول محمد عليه السلام وخلفائه الراشدين، وولاة الأمر في شمال إفريقية والمغرب".

حظي المؤرخ الناصري ومؤلفه "الاستقصا" بتقريظات كثيرة، فقد نوّه به وبمؤلفه الحجوي فقال: "كان المترجم علامة عصره، مشاركا متقنا متفننا، حافظا دراكة، بعيد الغور، عالي الهمة، حسن الأخلاق، له مكارم جمّة، تنبئ عن شرف أصله وكرم فضله، له التاريخ الشهير المسمى بـ "الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى"، وهو مطبوع، وشهرته تغني عن

حفيده، وإن كان أغلب شعره قد ضاع كما يذكر ابنه : "لقد قال المترجم له شعرا كثيرا في عهد شبابه، ولم يدون منه إلا نزرا يسيرا في ديوانه المخطوط المحفوظ في الخزانة الناصرية، إذ لم يكن له اعتناء بحفظه وجمعه، وكله من الشعر الجيد"، أما المؤرخ نفسه فيقول : "أما تعاطي الشعر، فقد كنت أنتحله أيام الشيبية، ثم أعرضت عنه إذ بضاعته مزجاة، سيما في هذا الزمان الذي سوق الأدب فيه كاسدة ... وإنما المطلوب أن يعرف الإنسان آتته ومادته، وكيفية قرضه ونقده، حتى تجود ملكته ويتم ذوقه، ويصير بصيراً باللسان العربي وأساليبه وفنونه".

وتعد الخزانة الناصرية التي يحتفظ بها حفيده أحمد الناصري في جناح خاص ببيته بالرباط، منجما لمؤلفاته المخطوطة ولكنائشات أدبية ضاعت ولم يتبق منها إلا ما يوجد بهذه الخزانة، والمؤلفات عديدة مغربية ومشرقية أكثرها مخطوطات ومطبوعات كذلك في حكم النادرة، ولأمهات الكتب في علوم مختلفة، كما أنها تضم مجلات أدبية وتاريخية نادرة. لكنها غير مفهرسة وغير ميسر أمر الاستفادة منها للباحثين على اختلاف شرائحهم وتخصصاتهم.

توفي الناصري يوم 16 جمادى الأولى 1315 / 12 أكتوبر 1897 ، ودفن بمقبرة باب معلقة بسلا، وقد رثاه تلميذاه محمد بن علي الذكالي والطيب عواد بقصيدتين طوليتين مثبتتين في كتاب الاستقصا ج 1 : 41 - 42 - 43 (ط 1 / الدار البيضاء).

مقدمة كتاب الاستقصا لولديه جعفر وأحمد، الدار البيضاء، 1956. ترجمة موسعة في الجزء الأول من الاستقصا بتحقيق وتعليق حفيده أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، 2001. كان قد أعاد تحريرها ابن المؤلف سنة 1963، رسالة المؤرخ الناصري إلى صديقه الفاطمي الصقلي، مخطوطة الخزانة الناصرية؛ المراكشي، الإعلام، ج 2 : 426، الرباط، 1977؛ ابن زيدان، إتحاف، ج 3 : 345، ط 2، 1990، لثقي بروفنسال، مؤرخو الشرفاء، ص. 255، الرباط، 1977؛ عبد الله الجراوي، من أعلام الفكر المعاصر، ج 2 : 11، د. ت. إدريس بن الماحي، معجم المطبوعات المغربية، ص. 344، سلا، 1988؛ محمد بن تاويت، الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، ج 3 : 909؛ الحجوي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ج 2 : 308، المدينة المنورة، 1977؛ الزركلي، الأعلام، ج 1 : 120، ط 4.

نحاة المريني

الناصرى، عبد السلام بن أحمد بن أبي بكر بن علي

بن يوسف بن محمد الكبير بن محمد ابن ناصر، شيخ تامكروت الثاني عشر. ولد في 20 رمضان سنة 1302 / 1884 بزواية أغلان، من خمس ترناتة بوادي درعة. أمه فاطمة بنت محمد بن عزوز الفاسية.

بدأ مرحلة الطلب الأولى في مسقط رأسه، حيث حفظ القرآن الكريم؛ ثم ثنى بحفظ المتن المتداول، سيما الأجرومية وابن عاشر والرسالة... لينتقل إلى دراسة الحديث.

إطرائه". وقال عنه ابن إبراهيم المراكشي : "ألف التاريخ الكبير في أخبار ملوك المغرب، وسماه "الاستقصا"، ولقد أحسن في تليخيص هذا التاريخ من كتب التاريخ المعتمدة كابن خلدون والقرطاس". أما دار الكتاب فقد جاء في تقديمها لهذا المؤلف : "إنه بحق الكتاب الجامع. في غير تطويل ولا اقتضاب. لتاريخ المغرب، والمصدر الهام الذي لا غنى عنه لمن يريد أن يكتب عن المغرب في عصر من العصور أو حقبة من الحقبة... وكما يدل عليه اسمه فقد أراد مؤلفه أن يكون استقصاء لتاريخ الدول المتعاقبة على المغرب،... وقد اعتمدنا على النسخة المصرية التي صححها المؤلف بعد طبعها، وكان يشطب على بعض العبارات فيها أو يتدارك فيها بعض السهو أو يصحح بها ما عسى أن يكون اهتدى إليه بعد طبع الكتاب بمصر".

كما نبه ابنه في الترجمة التي أعادها تحريرها له سنة 1963 ونشرت في الطبعة الرابعة الصادرة سنة 2001 للكتاب إلى : "أن الكتاب كان قد أحدث رجة عنيفة في عالم الاستعمار والمستعمرين فضحت أسرارهم، وزلزلت أسوارهم، بما بينه المؤلف في كل مناسبة من خبايا تلوناتهم ومرامياتهم في معاملتهم ودسائس ساستهم، وما يبيتونه لهذا البلد الأمين من المكر السيئ".

ومن مؤلفاته المطبوعة "زهر الأفتان من حديقة ابن الونان" وهو شرح على أرجوزة ابن الونان المعروفة بالشمقمقية وتقع في جزأين، وطبعت بفاس سنة 1314 / 1896، و"طلعة المشتري في التسبب الجعفري" وتحدث فيها عن آل ناصر وسلسلة نسبهم وأخبارهم، وتقع في جزأين، طبعت بفاس سنة 1320 / 1902، وأعيد نشرها مصورة عن الطبعة الحجرية الفاسية بإشراف المؤسسة الناصرية للثقافة والعلم في جزأين أيضا سنة 1987.

أما مؤلفاته المخطوطة فهي كثيرة تقع في حوالي سنة وعشرين مؤلفا منها : كشف العرين عن ليوث بني مرين، رسالة في تحقيق أمر سبعة رجال، تعليق على شرح ابن بدرون لقصيدته ابن عبدون، "وكله غرر وأدبيات رائقة، فرغ من كتابته سنة 1869"، تعليق على ديوان المتنبي، شرح مساعدة الإخوان وهو شرح لقصيدته الشيخ أحمد بن ناصر سماها مساعدة الإخوان من الحشم والأعوان على ما يعين على البر والتقوى ويصرف عن الإثم والعدوان" وهي في العبادات على نمط "المُرشد المعين" لابن عاشر، وتعظيم المنة بنصرة السنة في إنكار البدع والرد على الطرق فيما خرجوا فيه عن السنة، يقول ولده عن هذا المؤلف : "هذا التأليف من أهم المؤلفات التي كتبها، وهو أوضح دليل على سعة فكره، وبرهان على أنه كان فردا غريبا بين أبناء جنسه ووقته"، ورسالة في الرد على الطبيعيين ورسالتان في فن الموسيقى ورسالة في تحديد السلطة للولادة" وهي رسالة في الفرق بين خطة القائد والقاضي والمحاسب عند المغاربة وتحديد سلطاتهم، ومجموع فتاويه الفقهية، وغيرها، كما أن له ديوان شعر يحتفظ به

الناصرى، عبد الله بن الحسين بن أحمد بن الحسين

بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عمرو بن عثمان بن ناصر، أبو محمد الضرير، مؤسس زاوية تاغلاوت. بواد تاساوت الأوسط، من بلاد السراغنة. التي توارثها عقبه من بعده إلى عهد قريب، ينتمي المترجم إلى الفرع الناصري الثاني الذي ينحدر من الشيخ حسين ابن ناصر، صاحب زاوية أغلان وشقيق شيخ تامگروت الأكبر محمد ابن ناصر.

نوهت به المصادر فوصفته بالعلم والتقوى والورع والولاية والمكاشفة والدفاع عن السنة. ووصفه كل من الوليد العراقي وسليمان الحوات والطالب ابن الحاج بالقطب، وأثنوا عليه الثناء الجميل في مؤلفاتهم. بل صنفه محمد الهادي بن زيان العراقي في مرتبة أبي الحسن الشاذلي.

وقد كف بصره في بدء طفولته. لكن ذلك لم يثنه عن العكوف على الدرس، سيما وأن زاويتهم بدرعة كانت تعج بالشيوخ من البيت الناصري وغيره. ولعله حصل جل معارفه هناك، قبل أن ينتقل إلى تاغلاوت، حيث أسس زاوية ناصرية. وقد وترت عنه الكرامات، وخوارق العادات "فانحشر الناس للأخذ عنه" من مختلف الأفاق، ولقي من القبول ما سارت بذكره الركبان. رحل المترجم إلى مدينة فاس سنة 1190 / 1776، وهناك لقي التاودي ابن سودة الذي أخذ عنه، واستجازه فأجازه في جمادى الأولى من السنة الموالية (1191). كما لقيه الشيخ محمد التوزاني، وسليمان الحوات، وغيرهما من أعلام ذلك العصر.

ثم رجع بعد ذلك إلى تاغلاوت، ليغادرها قبل سنة 1198 / 1784، لأن محمدا العراقي كان قد وفد إلى زاويته بقصد زيارته لكنه لم يظفر به، بسبب انتقاله إلى درعة. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن العباس بن إبراهيم ذهب إلى أن اللقاء بين عبد الله الناصري والعراقي قد تم بدرعة، في حين أكد صاحب طلعة المشتري أن ذلك لم يتم، بسبب انتقال المترجم إلى درعة، حيث بعدت الشقة على الزائر الذي رجع أدراجه. ونحن نميل إلى ما ذهب إليه الناصري بسبب قرينه النسبي من الحدث، وشهرته بالحرص على توثيق كلامه.

ويغلب على الظن أنه مكث بدرعة حتى وفاته سنة 1203 / 1789، حيث يوجد قبره بزاوية أغلان.

الخليفتي، الدرّة الجليلية، ص. 190 - 191؛ ت. ابن سودة، الفهرسة، س. الحوات، الروضة القصودة، ص. 171 - 175؛ أحمد الناصري، طلعة المشتري، 2 : 181؛ م. مخلوف، شجرة النور، ص. 371؛ ع. المراكشي، الإعلام، 8 : 322 - 327.

الناصرى، عبد الله بن محمد الكبير بن محمد ابن

ناصر، أبو محمد رابع شيوخ زاوية تامگروت الناصرية؛ وهو شقيق موسى ويوسف آتبي الترجمة. ولد بتامگروت في

يشير كوفيون إلى أنه أخذ هذا العلم عن الفقيه السيدة عائشة السكورية التي كانت تقيم بدار المدني الكلاوي. كما أخذ عن بعض مشاهير علماء عصره منهم: الشيخ محمد الهواري المراكشي، وسيدي محمد بن القرشي السرعيني. وتضيف الرواية الشفهية المدعو بلقيه والقاضي سيدي علي بن أحمد.

وإلى جانب العلوم الشرعية، انكب المترجم على مدارسة الجغرافيا والتنجم. وقد رآه إدmond كوفيون وهو يقلب خرائط مختلفة، ويتناول البوصلة والإصطلاب؛ بل كان له اهتمام بالعلوم الطبيعية، ولا سيما علم النبات. ولم يكن يني عن تعلم اللغة الفرنسية. وصفه الفرنسيون بالذكاوسعة المعرفة، والشغف بالعلم، وكثرة الرحلات. وعلى الرغم من أن تامگروت لم تعد تكون ذلك المركز العلمي الكبير، كما كان الشأن في عهود شيوخها الأوائل، فإن شيخها المترجم قد عدد حين سئل عن العلوم التي كانت لا تزال تدرس في عهده - المصنفات الآتية - مختصر خليل، تسهيل ابن مالك مع شرح ابن عقيل عليه، كافية ابن الحاجب، صغرى السنوسي، المحوضي وشرح السنوسي عليه، الكافي في علم القوافي، ألفية ابن مالك، الأجرومية بشرح المكودي، شرح الحكم العطائية لابن عباد، إحياء علوم الفارسي، كتاب سيبويه، مفصل الزمخشري، جمع الجوامع لابن السبكي، لامية العرب، الجمل... هذا فضلا عن أن خزنة الزاوية كانت لا تزال تزخر بنوادير الكتب والتقاييد والوثائق. ولعل مما يعد من مكرمات المترجم أنه بذل قصارى جهده في الحفاظ على كتب تلك الخزنة؛ حتى قالوا إنه لم يكن يسمح بولوجها إلا لمن توخى فيه كامل الثقة. إلا أن الملحظ الأساس أن المترجم لم يستطع - على الرغم مما بذل من جهود - أن يعطي للزاوية الزخم الضروري لتتبوأ حظوتها السابقة؛ لأن النزاعات التي شهدتها في عهدي محمد الحنفي وأحمد بن أبي بكر كان لها أبلغ الأثر.

وتشير الكتابات الأجنبية، من جهة أخرى إلى أن المترجم كان صديقا للفرنسيين، ولعملائهم غلاوة، وتنوه بالمساندة غير المشروطة التي لاقوها من جانبه؛ وهذا أمر لم نستطع تأكيده أو تفنيده، نتيجة افتقارنا إلى مصادر موثوقة. وإذا كنا لا نشك في أنه كان نبهيا قوي الذكاء، فإننا نقدر أنه لم يغيب عنه السياق العام الذي احتوش بلاد المغرب يومئذ، فكان لا يني عن التناور والمداورة، مما قد يؤوله الأجنبي إلى خدمة أو صداقة أو ما شابه ذلك...

ولا نعرف سبب انتقال المترجم إلى مراكش، حيث استقر عشرة أعوام، بعد أن أناب عنه أخاه سيدي يوسف، لتدبير شؤون الزاوية. ولما رجع إلى تامگروت عمل كل ما في وسعه للرفع من مكانة الزاوية، محاولا دعم رصيده أسلافه الأوائل، حتى وفاته سنة 1370 / فاتح مارس 1951. وقد خلف الشيخ عبد السلام اثنين وثلاثين ابنا، نصفهم ذكور، ونصفهم إناث. وثنائق زاوية تامگروت؛ التحري الميداني.

تاريخ غير معروف ؛ وبها نشأ في بيئة يغمرها العلم والتصوف. فأخذ عن مشاهير شيوخها، كالرحالة المقرئ إبراهيم بن علي السباعي، وأحمد بن محمد الجزولي، وعبد الكريم بن علي التدغي. وتلقن الورد عن عمه الشيخ أحمد الخليفة، وصحبه في رحلته إلى المشرق سنة 1110 / 1699 ؛ مما أتاح له مشاركته فيمن لقي في تلك الوجهة ؛ حيث أخذ عن بعض علماء مصر، كأحمد بن رجب البقري ومحمد بن قاسم البقري. وكلاهما أجازاه في القراءات. وفي السياق ذاته نذكر أن المترجم اشتهر بعلمه الغزير، ولا سيما في القراءات ؛ فكان أستاذاً في هذا الفن "مقرئاً عشرياً، ملماً بمختلف الروايات". وقد وقفنا على مصنفات له في هذا الفن. وبسبب براعته في القراءات كان هو الذي يتولى كتب لوح عمه أبي العباس ابن ناصر، ويقرؤها عليه بالتجويد، حتى ختم على يديه القرآن الكريم بالسبع.

ولي شؤون الزاوية الناصرية سنة 1142 / 1730، بعد وفاة أخيه موسى بن محمد الكبير، أت الترجمة ؛ فسار سيرة حميدة، حيث واصل رعاية العلم والعلماء بالزاوية، وأشرف على تلقين الأوراد، وتفقد الزوايا التابعة لتامگروت. وإلى جانب علمه، اشتهر عبد الله الناصري بالزهد والتقلل في المعاش، لذلك لم تمض على مشيخته سوى ثلاثة أشهر حتى تخلى عنها.

وقد خلف أربع رسائل في القراءات لا تزال مكتبة تامگروت تحتفظ بنسخة منها ضمن مجموع تحت رقم 1530؛ وهي حسب ترتيبها :

الأولى : قرة العين في مقرأ الأخوين . ويقصد حمزة والكسائي.

الثانية : رواية عاصم.

الثالثة : مقرأ أبي عمران عبد الله بن عامر. انتهى من تأليفها يوم الأربعاء فاتح صفر عام 1124 / 1712.

الرابعة : مقرأ حمزة.

ألفها بإشارة من عمه الشيخ أحمد الخليفة. وهي على صغرها تدل على طول باعه ورسوخ قدمه في فن القراءات. فقد تتبع مختلف الروايات وتشعبها، من بدئها حتى منتهاها، محاولاً حصر أوجه الاختلاف والاتفاق فيما بينها، ومقتنياً في ذلك طريق أبي عمرو الداني.

توفي بعد ذلك بزمان يسير، يوم الاثنين فاتح رجب عام 1143 / 1731.

م. المكي الناصري ؛ الدرر المرصعة، 233 - 237 ؛ الروض الزاهر، 239 ؛ فتح الملك الناصر، 239 ؛ م. الخلفيتي، الدرر الجليلية، 146 - 154 ؛ أحمد الناصري، طلعة المشتري، 2 ؛ 128 - 141 ؛ أحمد عمالك، الزاوية الناصرية، 122 - 123.

الناصرى، علي بن محمد ابن ناصر أبو الحسن، ترجمه صاحب الدرر، فحلاه : "[ب] العلامة الفقيه الأصولي البيهاني اللغوي المحدث العروضي النحوي... من أفراد العلماء الأعيان المحققين، وأعيان المحصلين". لا نعرف تاريخ

ميلاده، لكن يبدو أنه أكبر من أخيه الشيخ أحمد الخليفة، سابق الترجمة.

أخذ عن والده الشيخ محمد ابن ناصر، وعليه تخرج. كما أخذ عن محمد بن سعيد الميرغثي، وعن أبي سالم العياشي، وعن أبي علي اليوسفي. رحل إلى فاس لطلب العلم، فأخذ بها عن الشيخ عبد القادر بن علي الفاسي، وعن شيخ الإقراء، في زمانه، عبد الرحمن ابن القاضي، وعن أبي الحسن الدادسي. وقد أجازاه كل هؤلاء، كما هو مثبت في كتاب فتح الملك الناصر. وأورد أحمد الناصري فقرات من رسالة بعث بها والده الشيخ إلى الحسن اليوسفي طالباً منه أن يعرضه على طلب العلم قال فيها : "ولتنب عنا في تنبيه ولدنا علي... على ما يجب التنبيه عليه من الإقبال على ما بعثناه إليه من الجد في تعلم العلم النافع، والعمل به، وترك الفضول...". كما رحل إلى المشرق صحبة والده سنة 1076 /

1666، برسم أداء فريضة الحج، فشاركه فيمن لقي هناك من الأعلام ؛ وأخذ بمصر مع عمه الشيخ الحسين ابن ناصر، عن علي الزعترى المصري الربع المجيب ونصف الدائرة. وفي سنة 1085 / 1674 ارتحل إلى بلاد سوس، على إثر منافرة وقعت بينه وبين أخيه الشيخ أحمد الخليفة ؛ فنزل بأولوز، برأس الوادي، حيث أسس زاوية البور التي ظل أولاده وحفدته يتوارثونها حتى عهد قريب. لكن ما عاناه المترجم من لدن أهل تيغنينين، جيران زاويته، أقلق راحته كثيراً بالرغم عما اكتسب هنالك من جاه ونفوذ، حتى اضطر إلى أن يهجرها بقصيدة نظمها مرتبة على حروف المعجم، ومطلعها :

أكبر ما كنت في السر أكتهم لأن لسان الحال عنى يترجم
بدوت وقد كنت أعرف حاضرا وسكنى البوادي لا يحل ويحرم

ويذكر المكي الناصري في السياق ذاته أن المترجم لم يهدأ له بال طوال الثمانية عشرة سنة التي عاشها في تلك الزاوية حتى "كان لا ينام من الليل إلا قليلاً من كثرة اللصوص، كلما أحس بهم تقبوا نقبا من خارج الدار ضرب بيده على مقابلة النقب من داخل فيعلمون أنه متيقظ فينصرفون".

يعد المترجم من أدياء الناصريين بالرغم من أنه لم يخلف إلا بعض القصائد والمقطعات والرسائل القليلة التي يستشف منها باعه الواسع في مجالات اللغة والأدب والشعر.

توفي المترجم بالزاوية المذكورة يوم الأربعاء التاسع من جمادى الأولى سنة سبع ومائة وألف. وحضر وفاته أخواه الشقيقان محمد الكبير ومحمد الصغير اللذان أشرفا على تجهيز جثمانه وحمله في تابوت إلى تامگروت، حيث دفن بالجبانة التي بداخل الزاوية

الدرر المرصعة ؛ باب في من اسمه علي، الروض الزاهر، 122 - 124 ؛ الدرر الجليلية، 82 - 87 ؛ طلعة المشتري، 2 ؛ 4 - 6 ؛ المعسول، 15 ؛ 72.

الناصرى، علي بن يوسف بن محمد الكبير بن محمد ابن ناصر، أبو الحسن الشيخ الناصري السابع. ولد بقصر

تحول في سيرورة الزاوية الناصرية، بالرغم من أنها لم تفقد هيبتها، مثلما حدث في العهد اللاحقة.

توفي الشيخ علي بن يوسف الناصري سنة 1235 / 1819، كما ورد في مختلف المصادر التي ترجمته، باستثناء صاحب الكناشة الناصرية الذي جعلها سنة 1237 / 1821.

كناشة تامغروت، رقم 2629؛ الضعيف، تاريخ، 304 و310؛ طلعة المشتري، 2؛ 133 و145 و153؛ إتحاف أعلام الناس، 4؛ 239. 241؛ إعلام المراكشي، 9؛ 239؛ م. م. مخلوف، شجرة النور، 375.

M. Bodin, *La Zaouia*, 277 ; G. Drague, *Esquisse*, 191 et 208.
أحمد عمالك

الناصرية، محمد، شيخ الطريقة الشاذلية الشهير،

ورئيس الزاوية الناصرية بتمغروت. اسمه الكامل : أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر بن عمر بن عثمان. أصله من دادس، واستقر بدرعة في زاوية إغلان. ويرتفع نسبه إلى الصحابي المقداد بن عمرو الكندي.

كان محمد ابن ناصر صالحا مشهورا، وعالما متضلعا في التفسير والحديث والتصوف. سلك طريق القوم على يد الشيخ القطب عبد الله بن حسين التمغروتي. وأخذ العلوم الظاهرة عن علي بن يوسف الدرعي، ومحمد بن سعيد المراكشي الذي أجازة إجازة عامة، وأبي بكر السجستاني.

وتخرج على يد محمد ابن ناصر علماء كثيرون، من أشهرهم أبو علي الحسن اليوسي صاحب الدالية المعروفة في مدح الشيخ ابن ناصر، وأبو سالم العياشي، وعلي المراكشي، وعبد اللطيف الفيلاي.

حجَّ الشيخ ابن ناصر لأول مرة عام 1070 / 1659. فلقني أبا بكر السجستاني، ومحمد بن سليمان الروداني الذي سبق أن تتلمذ عليه في تمغروت طوال أربع سنوات، ومحمد بن أبي الفتوح التلمساني المعروف بالشيخ. ثم حجَّ للمرة الثانية بعد ست سنوات (1076 / 1665). فدرس في المشرق، وحضر مجالس أكابر علمائه. وإثر رجوعه من هذه الرحلة لم يغادر زاويته بتمغروت إلى أن وافته المنية في 16 صفر عام 1085 / 22 ماي 1674، بالغا من العمر الرابعة والسبعين. فتكون إذن ولادته حوالي عام 1011 / 1602 - 1603.

ترك ابن ناصر، زيادة على عدد من الرسائل والأجوبة، كتابا مهما في الأدعية، من نوع دلائل الخيرات، سماه غنية العبد المنيب في التوسل بالصلاة على النبي الحبيب؛ ورتبه على حروف المعجم، وبناه على غرائب لغوية وصعوبة متزايدة لأجل تدريب القارئ على هذا العلم. وسيقلد هذا الكتاب فيما بعد مؤلف من شيوخ الزاوية هو المعطي بن الصالح الشرقي.

وقد نظمت قصائد متعددة في تقريب كتاب الشيخ ابن ناصر من طرف تلاميذه المشهورين، كأبي علي الحسن اليوسي، وأبي العباس الهشتوكي؛ كما وضعت له شروح متعددة.

زاوية تامغروت سنة 1145 / 1733. لا نعرف شيئا عن مستواه العلمي، غير أننا لا نستبعد أن يكون قد حاز نصيبا من التعليم، شأنه شأن باقي أبناء الناصريين يومئذ. لكن يبدو من قراءة سريعة لترجمته عند صاحب المشتري أنه لم يكن من بين الراسخين من أسلافه. فلما ترجمه، وهو لا يذكر جهدا في التنويه بمكانة الناصريين العلمية، لم يتعد الحديث عن كونه "جيلا راسخا في الحلم والأناة ولين الجانب والتودد إلى القريب والبعيد"؛ ولم يذكر له أية منقبة في ميدان العلم. ولما تطرق إلى أعماله في الزاوية، ذكر أنه ولي شؤونها بعد وفاة والده، فمضى على أثر أسلافه. ونعتقد أن المترجم لو ضرب بسهم في ميدان العلم، أو قام برحلة لما تغاضى أحمد الناصري عن ذكر ذلك.

ومهما يكن من أمر فقد تعددت القرائن على أن معين العلم بتمغروت قد شهد بعض الفتور؛ وهو أمر تواتر التحدث به فيما بعد. فهذا محمد بن عبد السلام، آت الترجمة، لم يتردد في نعت المترجم بالجهل، بالرغم من التحامل الذي نستشفه من حديثه عنه. وهذا ما يمكن قراءته في كتاب "المزايا بما أحدث بأه الزوايا" الذي صنفه ابن عبد السلام مشنعا فيه بعض "ما أحدث" بزاوية تامغروت من البدع، حيث عدد ستين "بدعة"، محملا ابن عمه المسؤولية في كل ذلك على أن عهد المترجم قد تميز:

- بتعدد حركات الشعب بوادي درعة، والتي كانت آيت عظة أبطالها؛ وهو الأمر الذي جعل محمدا بن عبد السلام الرباطي، الملقب بالضعيف يتحدث عن توتر العلاقات بين المخزن وزاوية تامغروت. فكان لذلك اتصال بالحملات التي وجهها كل من سيدي محمد بن عبد الله ومولاي سليمان إلى تلك الجهة لتأديب تلك القبائل المشاغبة.

- بالتقارب بين زاوية تامغروت والمخزن، حتى إن السلطان المولى سليمان قد تلقن الورد الناصري عن الشيخ علي بن يوسف. وأصبح محمد بن عبد السلام من المقربين من هذا السلطان؛ بل إنه بعث به سفيرا عنه محملا بهدايا إلى المشرق. وفي السياق ذاته يمكن وضع العدد المتزايد من الظواهر التي توصلت بها الزاوية خلال ذلك العهد؛ مما يدل على أن الناصريين قد تبوأوا مكانة مرموقة لدى المخزن.

- بالهدوء الذي نعمت به الزاوية الناصرية في ظل الشيخ علي بن يوسف إذ كان عاملا مفيدا لزيادة توسيع نفوذها في مختلف الجهات؛ وهو الأمر الذي ترتب عنه البداية الفعلية لاحتجاج الشيوخ للممتلكات وتكديس الثروة؛ فاشتد التنافس على المشيخة.

- بالتراجع العلمي، بل والمعنوي عامة، إذ كان هو النتيجة التي طبعت ذلك العهد. ولعل لذلك صلة وثيقة بشغب قبائل الجهة، والتدخل المباشر للمخزن في شؤون الزاوية.

وعلى كل حال، فإن عهد الشيخ علي الناصري يعد نقطة

Techniques Nord-Africaines, Rabat, 1971, p. 63-66 et passim. ; E. Lévi-Provençal, *Les historiens des Chorfa, Essai sur la littérature historique et biographique au Maroc du XVIe au XXe siècle*, Paris, E. Larose, 1922, p. 291 n. 4.
محمد الأخضر

الناصري، مَحْمَد (فتحا)، الملقب بالصغير ابن الشيخ الإمام مَحْمَد بن ناصر الجعفري الزينبي، ثم الدرعي، مؤسس الزاوية الناصرية بتامگروت، جنوب المغرب.
لم أف على تاريخ ولادته، وأمّه السيدة مريم تاحيننت. وكان شقيقاً لأخيه محمد الكبير وعلي. وهؤلاء الثلاثة هم المعقبون من أولاد الشيخ الإمام مَحْمَد بن ناصر الجعفري الزينبي، ثم الدرعي.
أخذ عن والده المذكور، ونشأ في حجره وتحت رعايته، وعليه تخرج، وكان من الطراز الأول في الخير والصلاح ومثانة الدين ومحبة أهل العلم والفقراء والمساكين، مشهوراً عند أهل عصره، فمن بعدهم، لزهده وورعه وتواضعه، على رفعتة وسخائه وكرمه.

قال الشيخ محمد بن محمد بن عبد الحق الخليفي البوسعيبي في كتابه "الدرّة الجليّة في مناقب الخليفة"، أحمد بن ناصر "والحاصل أن هذا الشيخ آية باهرة في كل فنون الصلاح، ثابت الولاية. كان إماماً عالماً عاملاً وزاهداً، عديم النظر في الكرم والسخاء والفضل".

حج في سنة 1096 / 1684 صحبة أخيه الشيخ الإمام أحمد بن ناصر، وعاد من حجته، فقام بعمارة زاوية البركة، وانقطع بها لله تعالى، في حالتي السكون والحركة، وغشيه الزوار من سائر الأقطار.

جاء في "طلعة المشتري في النسب الجعفري" للشيخ أحمد بن خالد الناصري، أن وفاة الشيخ مَحْمَد الصغير كانت سحر ليلة الثلاثاء 23 رجب الفرد، سنة 1120.
ودفن بروضة الأشياخ، تقبله الله بقبول حسن، ورضي عنه.

وجاء في "الدرّة الجليّة" : أن قبره عن يمين الداخل، بالركن الموالي لناحية باب الزاوية، معروف، مشهور هنالك، عليه دربور جيد، وغطاء رفيع.

الناصري، مَحْمَد (فتحا) بن أحمد بن خالد الناصري السلوي، من بيت عريق في العلم والصلاح، يتصل نسبه بالشيخ الإمام القطب مَحْمَد (فتحا) بن ناصر الجعفري الزينبي، ثم الدرعي، مؤسس الزاوية الناصرية بتامگروت، جنوب المغرب.

ولد بسلا يوم الإثنين 19 رجب عام 1313، الموافق 6 يناير سنة 1896، تربى تحت رعاية أخيه الأكبر العلامة مَحْمَد العربي الناصري، فأخذ، وهو لا يزال في سن الطفولة، كتاب الله عن أشهر الشيوخ المقرئين بسلا : أحمد التيبال المتوفى عام 1317 / 1900 ؛ محمد حسيسو المتوفى عام 1324 /

ألف ابن ناصر كتباً أخرى في الفقه، والحديث، والتصوف، منها نثراً :

1 - كتاب المناسك، وهو خلاصة ما يجب على الحاج أن يفعله في الأماكن المقدسة.

2 - كتاب أذكار وأوراد في عمل اليوم والليلة، جمعه ابنه عبد الله.

3 - أحكام غسل الموتى.

4 - حاشية على الصحيحين، كتبها على هامش نسخته من كتابي البخاري ومسلم، وخرجها ولده أحمد الذي خلفه في تسيير شؤون الزاوية.

ولم يضع مَحْمَد ابن ناصر مؤلفات بالمعنى الكامل، وإنما خلف، كبعض نظرائه من العلماء وشيوخ التصوف، أجوبة جمعها بعض مريديه. ولم يكتب بيده إلا بضع رسائل جمعها ابنه أحمد بعنوان إتحاف الخلل المعاصر، برسائل الشيخ ابن ناصر. وتشتمل على الفصول الخمسة التالية :

1 - رسائل إلى علماء وقته.

2 - رسائل إلى أخيه وأقربائه.

3 - رسائل إلى مريديه وأجابه.

4 - رسائل إلى أمراء عصره.

5 - أجوبته.

ومنها نظماً :

1 - مساعدة الإخوان، قصيدة رائية وضعها لزوجاته وبناته والمبتدئين من المرديدن تضمنت فقه العبادات.

2 - الوسيلة، قصيدة لامية في التصوف.

3 - سيف النصر على كل ذي بغى ومكر، أرجوزة شهيرة تقرأ كل يوم جمعة في أغلب زوايا المغرب.

4 - أرجوزة ثانية المسماة الدعاء الناصري، مشهورة تقرأ كذلك في زوايا المغرب.

وكانت طريقتة في التعليم تقتصر على تلقين العلوم الشرعية يفهم المتن وبيان الشرح، تلك الطريقة التي فتحها من قبل ابن عرفة وسار عليها من بعد الحسن اليوسي.

وكما سبقت الإشارة، فقد نظم اليوسي الدالية المشهورة في مدح الشيخ ابن ناصر، كما مدحه شعراء آخرون من تلاميذه بقصائد مطوكة منهم عبد الملك بن محمد التجموعي لمّا رجع من حجته الثانية، وأحمد بن عبد القادر التستاوتي الذي رثاه بعد موته بمدة طويلة سنة 1116 / 1704.

محمد الطالب ابن الحاج، رياض الورد إلى ما انتهى إليه هذا الجهر الفرد، مخطوط الخزنة العامة بالرباط، رقم د 111 ؛ ع. السلام ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، الدار البيضاء، 1960 و1965، ج 1، ص. 137 و255 ؛ ج 2، ص. 381 ؛ محمد ابن ناصر، الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة، مخطوط الخزنة العامة بالرباط، رقم ك 265 ؛ محمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (1075 - 1311 / 1664 - 1894)، الدار البيضاء، 1977، ص. 63. 66 ؛ عبد الله گنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، الطبعة الثانية، بيروت، 1961، ج 1، ص. 283.

M. Lakhdar, *La vie littéraire au Maroc sous la dynastie 'alawide (1075-1311/1664-1894)*, Editions

البحث والمناظرة والمطالعة والمراجعة، وهما : العلامة محمد الرنذة الرباطي والعلامة الشريف محمد ابن العربي العلوي الفاسي.

كشقيقه جعفر، انتحل محمد الناصري الشعر أيام الشيبية، وجرى على لسانه، ارتجالا وروية شعر كثير، في أغراض شتى، إلا أنه لم يكن له اعتناء بجمعه وتدوينه، فاختلسته يد الضياع، والباقي منه أثبتته في ديوان مع شعر أخيه جعفر.

وكان يحتذي في قوله الشعراء الفحول المثاليين، ممن ترجم لهم أبو الفرج الإصبهاني في "كتاب الأغاني"، والتعالبي في "البيتية"، وكان هجيرا "قلاند" الفتح و"فتح" المقرئ، فتأثر بأشعار الأندلسيين والعراقيين، لكنه لم يخطر بباله قط التخصص بالقريض والطوح إلى الوصف بالشاعر. وكان هذا الشعر، إلا ما شذ، يمتاز بالسلاسة والانطباع، وقد نشر البعض منه في الصحف والمجلات، كمجلة المغرب التي كانت تعنتي بنشر نبد من الإخوانيات والمطارحات والألغاز التي كان سوقها نافعا بين أدباء العدوتين المشاهير، وكان الأخوان الناصريان جعفر ومحمد من المساهمين في تلك الحركة الأدبية التي تردد صداها في أنحاء المغرب بأسره.

اشتمل إنتاج محمد الناصري الفكري على عدة بحوث ومقالات بالعربية والفرنسية وعلى ما لا يقل عن عشر مؤلفات بالعربية بين كبير ومتوسط وصغير، منها :

- بالعربية : "تصحیح الصفحة الأولى من تاريخ المغرب الكبير" في 13 جزءا، "بين المغرب وخراسان" حول سابق البربري الشاعر، المحدث الشهير، وسابق المطماطي نسابة البربر. وهذا المؤلف حوى مباحث نفيسة في كيفية تطبيق قواعد النقد القديم والحديث في الدراسات الأدبية والتاريخية، في 6 مجلدات ؛ "تاريخ المواسم والأعياد الإسلامية" في سفر واحد. "الخطط الشرعية الست"، حدوثها وأطوارها بالأندلس والمغرب الثلاثة المغرب والجزائر وتونس، في سفر واحد ؛ "حق الالتجاء واستجارة العصاة والمحكوم عليهم بأضحة الأولياء" في سفر واحد.

- أطروحة موضوعها : الشاعر الجاهلي عدي بن زيد العبادي ، شعره وحياته ومحنته وعلاقته بالمناذرة، ملوك الحيرة بالعراق وبأكاسرة الفرس بالمداين.

- دراسة منهجية علمية في ترجمة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى التاملي الصنهاجي أحد أعيان الدولة السعودية.

امتاز محمد الناصري بشخصية قوية وبحدة الذهن واتساع الاطلاع في الثقافتين العربية والفرنسية مع سجية في تحرير النثر الفائق وقول الشعر الرقيق، مما جعله يحظى بإعجاب وتقدير الكثير من المثقفين من أبناء عصره.

توفي في 26 ذي القعدة عام 1397 الموافق 9 نونبر عام 1977، ودفن بزواية أجداده بسلا.

أحمد الناصري

1907 ؛ شيخ القراء بالعدوتين محمد بن عبد الله بربطل المتوفى عام 1334 / 1916، وعنه أخذ أحكام الرسم والتجويد والقراءات السبع، وتابع بعد ذلك أخذ القراءات عن الشيخ جلول الكفتي العنتري، إمام الزاوية القادرية بشعر الصورة الذي انتقل إليه مع أخيه محمد العربي. وبعد رجوعه إلى مسقط رأسه بسلا أتم دراسة القراءات على الشيخين : محمد بوشعرة السلاوي المتوفى عام 1361 / 1943 وعبد السلام السهلي المتوفى عام 1362 / 1943. وخلال هذه المدة، حفظ المتون العلمية المختلفة حفظا متقنا، ودواوين فحول الشعراء، مما هو من أصول اللغة العربية.

ثم تفرغ بعد ذلك لأخذ العلم بمعناه الأوسع، فسللك في تعلمه تحصيل الثقافتين العربية والإسلامية التقليدية الأصيلة والثقافة الفرنسية العصرية، وأحرز في كليتهما نصيبا موفورا، وأتى البيوت من أبوابها، وتوفق في دخول المدارس الفرنسية بالمغرب، والتنقل بنجاح في أطوار التعليم بها، من ابتدائية إلى ثانوية إلى عليا. وبعد الحصول على الشهادات النهائية بمعهد الدراسات العليا بالرباط تخصص في علم الحقوق، واكتتب في كلية بوردو (Bordeaux)، وحصل على الشهادة منها، وكان من أول المغاربة الذين أحرزوها. كما أقبل على تعاطي الترجمة على عدة أساتذة إخصائيين، فنجح فيها، ونال شهادة البروفي (Brevet) والدبلوم (Diplôme) فيها، ثم ولى وجهه نحو الفلسفة الحديثة فأخذ منها يحظ وافر.

أما العربية والعلوم الإسلامية فأخذها عن : أخيه الأكبر العلامة محمد العربي المتوفى عام 1362 / 1943 والعلامة الطيب بن المدني الناصري، من أبناء عمومته، المتوفى عام 1359 / 1940، وشيخ الجماعة بسلا، العلامة أحمد الجريري، المتوفى عام 1354 / 1935 وقاضي سلا، العلامة علي بن محمد عواد المتوفى عام 1354 / 1935، والعلامة المحدث شعيب بن عبد الرحمن الدكالي المتوفى عام 1356 / 1937، لازمه إلى وفاته، وهو من عمده، وأجازه بخط يده تلقائيا، وبدون سابق رغبة.

ومن جملة ما درس عليه معلقات الشعراء الست والمعاني والبيان والبديع واصطلاح الحديث والأصول، ومختصر خليل. على أن أكثر دراسته كانت على يد العلامة النفاة أحمد ابن عبد النبي، المتوفى عام 1392 / 1972. فقد لازم دروسه صحبة أخيه جعفر، زهاء عشرين سنة، سواء بالمسجد الأعظم بسلا أو غيره. حضر عنده في أمهات اللغة وقواعدها، والفقه وأصوله، والحديث ومصطلحه، والمنطق وأدب البحث والمناظرة، وأجازه إجازة عامة بخط يده.

يضاف إلى هؤلاء الأعلام الذين لازم دروسهم شخصيتان بارزتان في العلم والرياسة، كان لهما أثر في ترسيخ ملكته وترويح معلوماته في العلوم الشرعية، جمعته وإياهما الخدمة المخزنية مدة مديدة لم تخل أيامها من مذاكرات مفيدة، وحل مشاكل قضائية، وإدارية، وتحقيق مسائل عويصة تستدعي

الناصرى، محمد بن أبى بكر بن علي بن يوسف بن محمد الكبير بن محمد ابن ناصر الدرعي، أبو محمد شيخ الزاوية الناصرية التاسع. ولي شؤون زاوية تامكروت بعد وفاة والده، سنة 1281 / 1864 فنسج على منوال "أسلافه في تعمير الأوقات بالذكر وسرد الحديث...". كان والده يستنبيه في مهمات الزاوية، ولا سيما ما اتصل بتفقد الزوايا الفروع في سوس ومراكش. وقد أشار العباس بن إبراهيم لذلك قائلا: "دخل مراكش مرات، فكان ينزل بزوايتهم قرب سيدي أحمد السوسي".

لكن أبرز ما ميز عهده هو معارضة بعض أقاربه لمشيخته، وقد آل الأمر إلى تدخل المخزن لحسم شأفة الخلاف، وفي هذا السياق منح السلطان محمد بن عبد الرحمن للشيخ ظهيرا يزكي مشيخته (رسالة من الأمير مولاي الحسن إلى الشيخ الناصري بتاريخ 24 رجب 1288). كما أجبر معارضيه على الانقياد بعد أن أمرهم بالصلح، في حين أرغم مقدمي فروع الزاوية على تسليم ما ينوب تامكروت من مستفاداتها.

ومهما يكن من أمر، فإن عدة قرائن تدل على أن زاوية تامكروت، في عهد المترجم، فقدت قسطا غير يسير من هيبتها، حتى إن آيت عطا لم يترددوا في النزول عليها، فجاسوا خلال الديار، ونهبوا الأموال، وشتموا الكتب. واستمر الحال على ذلك المتوال.

توفي يوم الأربعاء 18 ربيع الأول سنة 1304 / 1886، بزاوية أدوار من رأس الواد، بالقطر السوسي. فنقل جثمانه ليدفن بتامكروت.

وثائق الخزانة الحسينية؛ وثائق زاوية تامكروت؛ خالد الناصري،

طلعة المشتري؛ المراكشي، الإعلام.

G. Drague, *Esquisse...*

الناصرى، محمد الزهامي بن أحمد بن أبى بكر بن علي بن يوسف بن محمد الكبير بن محمد ابن ناصر الدرعي، قاضي ورزازات. جاء في مذكراته أنه ولد بفاس عام 1307 / 1890، وبعد أن حفظ القرآن الكريم اعتكف

"على دراسة العلوم الإسلامية حتى حصل ما قدر له منها دراية ورواية". لكن يظهر أن ما حصله بفاس لم يشف غليله، فارتحل مواصلا طلبه. ذكر الأستاذ الحسين وكاگ أن المترجم كان من بين من تخرجوا من مدرسة مزوضة؛ وهي أحد فروع زاوية تمكيدشت الناصرية. وقد وقفنا على رسائل وجهت إليه من قبل والده على أنه كان أثيرا لديه على باقي إخوته، الأمر الذي حدا به إلى تعيينه نائبا عنه بزاوية مراكش، الكائنة بعنق الجمل، حيث نزل بـ "رياضها" حتى سنة 1924.

وقد امتد به الاستقرار هناك إلى سنة 1933؛ حيث اشتغل يومئذ بالتدريس بابين يوسف بمراكش. لكنه لاقى مضايقات من لدن سلطات الحماية، فأقدمت على فصله من التدريس،

بسبب اتصاله بالحركة الوطنية الناشئة. حيث دعم الوطنيين المراكشيين ماديا ومعنويا. ولعله لهذا السبب تم الضغط عليه لمغادرة مدينة مراكش.

ومنها ارتحل إلى الرباط، حيث قضى حوالي ستة أشهر، تصدر أثناءها لإمامة المسجد الجامع بحي العكاري. بعد ذلك تم تعيينه قاضيا على ورزازات، إبعادا له عن الحركة الوطنية الناشئة؛ حيث تسلم وظيفته في 22 ربيع الثاني سنة 1325 / 1933. وعلى الرغم من ذلك فقد واصل دعمه للحركة الوطنية، مسخرا في ذلك مختلف الإمكانيات التي توافرت لديه، ومستغلا موقعه كموظف سام.

ويبدو أن مسؤولي ذلك الوقت قد اقتنعوا بكفاءته، فعمدوا إلى تمديد "إبالتة" لتشمل الجهة كلها سنة 1941. فظل المترجم يمارس خطة القضاء حتى سنة 1957، حيث تم إعفاؤه "إعفاء رضى وكرامة لأمر يقتضيه". وكانت تلك فرصة اهتبلها للعكوف على الدرس والتدريس. فتصدر لدروس الوعظ بمسجد دوار جراوة بمراكش، قبل أن يرجع سنة 1968، إلى مهد أجداده ليضطلع بتدريس مادتي الفقه والتوحيد بمعهد تامكروت.

وقد شهد له بالرسوخ في مضمار العلم بعض أعيان علماء المغرب، وعلى رأسهم الشيخ شعيب الدكالي. ومما جاء في مذكراته أن تحت يده مجموعة من المراسلات السلطانية التي تؤكد إخلاصه للوطن والعرش. ومن ثم، لم يكن من الغريب أن ينال وسام العرش من الدرجة الرابعة، ولم تأت شهادة التعديل القضائي بإمضاء قضاء مراكش صدفة. وشهد له بالاستقامة في تناول أفضيته الشرعية طوال خدمته. وتواتر عنه أنه كان حريصا على ضبط أوقاته، سواء في عمله، أو راحته.

ومما ذكر أنه نال شهادة العضوية في جمعية أحباس الحرمين الشريفين؛ وأن له رحلة إلى الحجاز سنة 1974، أدى خلالها فريضة الحج.

ومن مكرماته أنه هيا كتاب "الفلاحة" لأبي خبير الأندلسي، ونشره على نفقته الخاصة سنة 1357 / 1938. ويذكر سليمان الجعفري أن المترجم وضع تصنيفا بعنوان: "الدلو المحبوب في أخبار أهل الجنوب"، مستفيدا من معرفته للجهة الجنوبية التي تنقل بين أرجائها طوال مدة تقلده منصب القضاء، وتضلعه العلمي من خلال ما توافر له من مستندات متنوعة. والمتحدث عنده الخبر اليقين، لأنه أشار إلى أن المصنف تم رفته في عدة نسخ، فيما بين 1971 و1972، حيث كان المؤلف قد عقد العزم على نشره، لولا أن المنية اخترتمته في 17 يناير 1973.

م. النهامي الناصري، مذكرات؛ وثائق الأسرة الناصرية؛ أحمد الناصري، طلعة المشتري، ح. وكاگ، دور الحديث في العالم الإسلامي؛ س. الجعفري، أين اختفى، مخطوط، الدلو المحبوب، جريدة "تلواح"، رواية شفوية.

أحمد عمالك

الناصرى، محمد بن الطيب السلوي، من أسرة سلوية عريقة، التحق بالكتاب وهو في الخامسة من عمره وحفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز الثامنة، وبتكليف من والده - وهو في هذه السن المبكر - أمّ بالناس في صلاة التراويح في شهر رمضان.

ولنبوغه وتفوقه، وهو في السابعة عشرة من عمره، دعاه الوالد - بعد مرض ألم به - إلى أن ينوب عنه في إلقاء خطبة الجمعة بمسجد سيدي أحمد حجي بسلا، وكان لذلك وقع طيب عند المصلين لما لمسوا عنده من الفصاحة والبيان والقدرة على التبليغ وحسن الأداء، وكان التوفيق الذي حاله مصدر اعتزاز الوالد والأسرة.

كان الناصري شغوفاً بالقراءة، أكبّ على قراءة كتب الفقه والتفسير والنحو، فحفظ الأجرومية وألفية ابن مالك، وغيرهما، وواظب على حضور دروس شيخ الجماعة بالمسجد الأعظم بسلا العلامة أحمد ابن عبد النبي في الفقه والتفسير والسيرة النبوية.

التحق بجامعة القرويين بفاس لتحقيق حلم والده كي يصبح واحداً من علماء مدينته سلا، وقضى بها سنوات طالبا مجداً وناجحاً، ومشاركاً في الأنشطة الحزبية المختلفة التي تعمل على توعية المواطنين وعلى الدعوة إلى محاربة الاستعمار بكل الوسائل، وإثر أحداث 1944 بفاس سافر محمد الناصري إلى سلا إلى أن تهدأ الأحوال، ويعود إلى جامعته، لكن ألقى عليه القبض في بيت أسرته، وأخذ سجيناً إلى دار الباشا بفاس، ومكث مع زملائه من الطلبة وأساتذة الجامعة في السجن بفاس خمسة وثلاثين يوماً، أُجبر بعدها على الإقامة الجبرية عدة شهور ببيت العائلة بسلا.

وعلى الرغم من الظروف السياسية الصعبة، وهو يتابع دراسته بجامعة القرويين، فقد كان يغتنم فرصة العطلة الصيفية ليعود إلى مسقط رأسه سلا، ويشارك في إلقاء دروس في اللغة العربية بمدرسة النهضة للتلاميذ السلويين الذين كانوا يتابعون دراساتهم بالديار الفرنسية، مشاركاً في خدمة وطنه وخدمة لغته العربية.

غير أن فكرة الانقطاع عن الدراسة في السنتين الأخيرتين للحصول على شهادة العالمية، ألحت عليه للتفكير في السفر إلى القاهرة للدراسة والتحصيل، خاصة وهو ينظر في الكتب والمؤلفات الشرقية التي كانت تصل إلى المغرب في الأدب والنقد، ويستمتع بقراءة الدوريات المصرية التي كانت مدرسة لكثير من الطلبة المغاربة في فاس وسلا وتطوان، غير أن ظروفه المادية لم تسمح له بذلك، مما دعاه إلى الانتساب إلى سلك التعليم لتوفير بعض المال وتحقيق الحلم، فعمل بإحدى المدارس الحرة بمدينة سيدي قاسم زهاء ثلاث سنوات، وخلالها كان مكلفاً بقراءة نشرات حزب الاستقلال في التوعية والتثدييد بالمستعمر.

ويتطلع الناصري لمتابعة دراسته بالقاهرة، ويحلّ بها عن طريق باريس، لينتسب إلى كلية دار العلوم طالبا في قسم

اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ويحظى بمنحة الأزهر الشريف وقيمتها آنذاك ثلاثة جنيهات، ويسكن بدار الطلبة خلال فترة الدراسة ومدتها أربع سنوات.

وبعد التخرج، وحصوله على دبلوم كلية دار العلوم سنة 1955، يقرر السفر إلى المملكة العربية السعودية للعمل في مجال التدريس إلى أن يستقل المغرب ويتمكن من العودة إليه من جهة، ولمساعدة شقيقه ماديا وكان قد التحق بالقاهرة للدراسة والتحصيل في تلك الفترة من جهة ثانية.

وبعد استقلال المغرب، يتوجه الأستاذ الناصري إلى باريس لمتابعة دراسته العليا، لكنه يعود إلى وطنه سنة 1959، ليلتحق بوزارة الشؤون الخارجية.

كما أنه بعد الاستقلال، عمل أستاذاً بثانوية النهضة، وألقى ضمن أنشطتها المدرسية - وإن في فترة قصيرة - محاضرات حول الفكر الإسلامي في الفترة الممتدة بين 1961-1962.

وفي سنة 1961، عين الأستاذ الناصري قائماً بالأعمال في سفارة المغرب بالخرطوم مدة سبعة أشهر، ثم مستشاراً بسفارة المغرب بالقاهرة، مكلفاً بالعلاقة مع جامعة الدول العربية.

وفي سنة 1968، يشغل منصب مدير الشؤون العربية بوزارة الخارجية، ثم سفيراً للمغرب في بلاد الرافدين (العراق) سنة 1971، خلال ثلاث سنوات، ثم سفيراً مقيماً في المملكة العربية السعودية، وسفيراً غير مقيم في اليمن والصومال، ومندوب المغرب لدى منظمة المؤتمر الإسلامي إلى غاية 1982، ثم عين بعدها سفيراً مقيماً في الكويت إلى غاية سنة 1987، وغير مقيم في البحرين.

بعد قضاء سبع عشرة سنة سفيراً للمغرب في ست دول عربية، يلتحق بالمغرب ليعين بظهير شريف سفيراً مقيماً بوزارة الخارجية، ومديراً عاماً للشؤون العربية والإسلامية.

كانت حياة محمد الناصري حافلة بالعطاء في المجال الدبلوماسي، فقد مثل المغرب في كثير من اللقاءات السياسية والمؤتمرات العربية والإسلامية المنعقدة في المغرب أو خارجه، ومشاركاً فعالاً في لجانها المختلفة، كما كان يحظى بسمعة طيبة في الأوساط السياسية والدبلوماسية، ممثلاً بلده أحسن تمثيل.

أما في المجال الأدبي، فتضم ملفاته العديد من الكتابات، منها قصائد شعرية، فقد كان "قلمه فياضاً وأسلوبه رفيعاً" كما وصفه شقيقه الأستاذ بناصر الناصري، ومن قصيدته في رثاء شيخ الجماعة بسلا الفقيه أحمد بن عبد النبي سنة 1972، قوله :

المصاب الجسيم هدّ كياني وعراني من هول ما دهاني
.. تلك مأساتنا التي رجّت النفّس بنعي يشلّ كل لسان
كان فينا نبراس علم ودين كان ملء الأبصار والأذان

توفي يوم 28 يناير 1989، إثر وعكة صحية ألمت به وهو يشارك في أحد اجتماعات الجامعة العربية في تونس، نقل بعدها إلى أحد مستشفيات باريس، لكن قضاء الله لا مرد له، وقد تركت وفاته حزنا عميقا في جميع الأوساط، لما كان يتحلى به من الخلق الرفيع والطبع الرقيق مع الجميع.

معلومات أسرية، وسيرة ذاتية كتبها شقيقه الأستاذ السفير ناصر الناصري.

نجاة المريني

الناصرى، محمد بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد الكبير ابن الشيخ محمد بن ناصر الدرعي؛ خاتمة الحفاظ بالديار المغربية. قال فيه أحمد بن خالد الناصري: "كان علامة أديبا فقيها محدثا، حافظا فاضلا، لم يأت بعد الشيخين في آل ناصر من هو أعلم منه". ولد بزواوية تامكروت في النصف الثاني من القرن الثاني عشر (18). وبالرغم من أننا لا نعرف أي شيء عن مراحل طلبه الأولى، فإننا نرحب أنه درس بالزواوية الناصرية، على غرار باقي الناصريين؛ قبل أن يشد الرحال إلى فاس، التي ذكر أنه نزل بها في سنوات السبعين. فأخذ بها عن مشاهير شيوخها، مثل جسوس والتاودي ابن سوادة وبناني، والحافظ إدريس العراقي الذي يعد عمده في الحديث، وأحمد الشرايبي. وقد أجازوه إجازات طويلة. كما أجازوه محمد بن أبي القاسم السجلماسي، شارح العمل الفاسي وناظمه... وللمترجم رحلتان إلى المشرق: الأولى عن حجة سنة 1196، وهي الكبرى، وقد أتمها سنة 1199، والثانية عن حجة سنة 1211، وهي الصغرى. والتقى هنالك جماعة من العلماء، أخذ عنهم وأخذوا عنه. منهم مرتضى الزبيدي، صاحب تاج العروس، اجتمع به في حجته الأولى وأجازه. وقد وقفنا على رسالة بعث بها مرتضى إلى المترجم يخاطبه فيها بـ"شيخنا وقدوتنا"، ويتودد إليه. وقد أدرج في رحلته الكبرى إجازة الشيخ مرتضى؛ وهي إجازة طويلة، يفيد منها القارئ سعة اطلاعه وطول باعه، ولاسيما في ميادين الحديث والفقه والأدب. ومنهم أحمد بن محمد الدردير، شارح المختصر؛ ومحمد بن علي الصبان، شارح الخلاصة؛ ومحمد بن محمد الأمير، صاحب المجموع وغيره... ويذكر أحمد الناصري أن "كل هؤلاء أجازه، وإجازاتهم مثبتة في كناشة وقفت عليها بخطوطهم".

وكان المترجم شغوفًا بالكتب كدأب شيوخ الناصريين الأوائل. وقد عثر، في أثناء رحلته الثانية، وهو بطرابلس، لما كان مغربا، على كتب نفيسة منها مجلدان من كمال عبد الغني المقدسي، ونسخة من صحيح البخاري بخط الصدفي، كتبت عليها سماعات علماء أجلاء مثل القاضي عياض فمن دونه إلى ابن حجر. وفي أولها كتابة لابن جماعة الكتاني،

والحافظ الدمياطي، وابن العطار والسخاوي. وتلك النسخة هي التي بنى عليها ابن حجر شرحه المشهور شرقا ومغربا. ويذكر المترجم في الرحلة أنه "بذل لصاحبها صرة ذهب فأبى من بيعها، وبقي ضائعا في ذلك القطر". ولم يتوقف عند هذا الحد، بل أبلغ خبر ذلك الكتاب للسلطان المولى سليمان، الذي يادر بإرسال مبلغ سني من المال قصد شرائه. لكنه لم يظفر به، بسبب عوارض لا جدوى من ذكرها. وما يذكر في السياق ذاته، أن صاحب الترجمة لم يكتف بالإطلاع على الكتب والخزانات، في مختلف المراحل التي كان ينزل بها؛ بل لقد حاول اقتناء كثير من الكتب، كما فعل حين دخل البلاد التونسية. فقد استنسخ له مصطفى بن قاسم المصري، كاتب الباي التونسي؛ ابن الشاط على فروق القرافي، والوانوغي على المدونة، وزروق على البخاري وغيرها مما يطول ذكره. ومن الخزانات التي نوه بها خزانة الشيخ مرتضى الزبيدي، وخزانة مصطفى حوجة التونسي.

وكانت للمترجم حظوة عند السلطان المذكور، كلما اجتمع به في مراكش وفاس. وكان يكلفه بمهمة حمل الهدية إلى الحرمين الشريفين، ويرسل معه أموالا جزيلة لتفريقها على العلماء، في مصر والحجاز.

توفي ليلة السبت 12 صفر سنة 1139 / 1823. وله تأليف كثيرة، نعرف منها "المزايا فيما حدث من البدع بأزم الزوايا"، و"الرحلة الحجازية الكبرى"، و"الرحلة الحجازية الصغرى"، و"شرح للأربعين الجوهريّة"، و"أجوبة نوازل"، و"تظم في موجبات الفقر والهم"، و"مجموعات إجازات"، ويذكر ابن زيدان "قهرة"...

أحمد الناصري، طلعة المشتري؛ ع. ابن زيدان، إتخاف أعلام الناس؛ ع. المراكشي، الإعلام؛ ع. الكتاني، فهرس الفهارس؛ ع. ابن سوادة، دليل؛ إتخاف المطالع؛ م. المنوني، المصادر؛ ح. الزركلي، الأعلام.

أحمد عمالك

الناصرى، محمد العربي، الابن الأكبر لأحمد بن

خالد الناصري السلاوي، يتصل نسبه بالشيخ الإمام القطب محمد (فتحا) بن ناصر الجعفري الزينبي، ثم الدرعي، مؤسس الزاوية الناصرية بتامكروت، في جنوب المغرب. ولد بمدينة سلا يوم الإثنين 17 ربيع الأول النبوي عام 1294، الموافق 2 أبريل سنة 1877. نشأ في كنف والده يرعاه برعايته، ويختصه بمزيد عنايته إلى أن شب في عفاف وصيانة وحسن تربية وديانة، فقرأ كتاب الله عز وجل على عدة شيوخ، منهم بسلا، أبو العباس التيال، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بربطل، أخذ عليه قراءة السبع، ويفاس إدريس الصنهاجي. أما العلوم اللسانية والعقلية والنقلية، فقد تخرج فيها على والده، وهو عمده وكنزه وذخيرته، وفي الحقيقة هو وارث سره في علمه وهديه وأدبه وأخلاقه.

وبعد وفاته، أخذ عن جماعة من كبار علماء عصره، وأفذاذ نبغاء عصره، منهم العلامة القاضي أبو محمد عبد الله بن خضراء، والعلامة الزاهد أبو العباس أحمد الجريري، والعلامة أبو العباس أحمد بن أبي بكر عواد، وخلال رحلته الحجازية لقي جماعة وأفراء من العلماء المشاهير بمصر والشام والحجاز، منهم الشيخ بخيت والشيخ سليم البشري بمصر، وبمكة الشيخ أبو شعيب الدكالي، صديقه ورفيقه في الخدمة المخزنية بعد ذلك، وغيرهم، مما يطول ذكره.

ولما قدم الشيخ أبو شعيب الدكالي المذكور إلى المغرب وتولى الوزارة قرأ عليه الكتب الست كلها، وغيرها بمجلس جلالة السلطان المرحوم مولاي يوسف قراءة تحقيق، وكان هو السارد لها، بتلك المجالس العلمية.

ثم تصدى بعد ذلك لنشر العلم بالتدريس والفتوى، فدرس عدة متون، وقرأ كثيرا من الفنون نحوها وفقها ومنطقا وأدبا وسيرة وغير ذلك، وانتفع به الجم الغفير من طلبة وقته. وقد خُلف كتابات في موضوعات شتى، فمنها :

مجموعة رسائل ومحركات أدبية ولغوية وتاريخية وفقهية وتنظيمات إدارية مع ما يطبقها من النصوص الشرعية الإسلامية كانت تعرض عليه أو يسأل عنها، عند تأسيس وزارتي العدالة والأحياس.

ومنها كتابات مفيدة وتعليقات جلييلة على كتاب "الاكتفاء" لأبي الربيع الكلاعي، قيدها لما كان منكباً على تدريسه بالمسجد الأعظم بمدينة سلا.

ومنها : تاريخ في الفقه الإسلامي ومذهب مالك وتطوره منذ نشأته إلى اليوم، ثم لخصه وألقاه محاضرة في المجمع العلمي السنوي الذي كان ينعقد بالمعهد العلمي بالرباط ؛ ومنها : مجموعة فتاويه الفقهية، وهي مجموعة قيمة اشتملت على تحقيقات ونفائس في نوازل مختلفة.

تنقل صاحب الترجمة في عدة أقطار، وزار كثيرا من الممالك والأمصار، فزاد بذلك علما وحنكة وتجربة وإطلاعا على أحوال الأمم والدول وأخلاقها وعوائدها، فاتسع بذلك فكره، وسمت مداركه، وكان أول رحلاته حج بيت الله الحرام وزيارة النبي، عليه الصلاة والسلام، وزار مصر والشام، ثم بعد ذلك ساح بفرنسا وإسبانيا وإيطاليا وإنجلترا وبلجيكا وسويسرة وتونس والجزائر، وغيرها من أقطار الشمال الإفريقي الذي كان يعرفه معرفة كافية شافية.

كما تقلب في عدة وظائف قبل الحماية المفروضة على المغرب، وهي : الوعظ والتدريس بسلا، ثم خطة العدالة، ثم الفتوى، ثم الحضور بالمجالس الاستشارية القضائية لدى قضاة العدوتين والتحكيم في النوازل المهمة من لدن السلطانين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ، وخلال هذه المدة عين مدرسا من الدرجة الأولى.

وبعد ذلك تولى الخدمة في المراسي المغربية، فعين أولا بديوانة طنجة عام 1322 / 1904، ثم بديوانة أسفي عام 1324 / 1906، ثم بديوانة الصويرة عام 1326 / 1908، ثم

رجع لديوانة أسفي، واستمر بها إلى ما بعد الحماية وفي عهد السلطان المولى يوسف أسندت إليه وظيفة النيابة بوزارة العدالة، وفي سنة 1349 / 1931 أسند إليه جلالة السلطان سيدي محمد ابن يوسف رئاسة المحكمة العليا بالاعتباب الشريفة، فسير شؤونها على منهاج الاستقامة، وسلك فيها مسلك الجد والصرامة.

كان محمد العربي ممدحا مقصودا من أدباء عصره، وعيون شعراء قطره، يعبرون له في منشورهم ومنظومهم عمّا تكنه له صدورهم من المكانة والاعتبار، وما تضمنه له ضمائرهم من الحرمة والوقار، لما خص به من الخصائص الواضحة، الدالة على النبيل وكرم الشيم والأخلاق الحميدة، والسيرة المستقيمة الرشيدة، ولأن الله وضع له القبول عند الخلق.

توفي ليلة الخميس 4 ربيع الأول عام 1362، الموافق 11 مارس سنة 1943، ودفن بزاوية أجداده بمسقط رأسه.

أحمد الناصري

الناصرى، محمد بن محمد ابن ناصر، أبو عبد الله المدعو الكبير لأنه أكبر بني أبيه، أبو شيوخ الناصريين ؛ حيث ولي المشيخة من أبنائه كل من عبد الله وموسى ويوسف، واستمرت في أحفاده حتى الآن. ولد بتامكروت سنة 1046 / 1637، وبها أخذ عن والده الشيخ محمد ابن ناصر. ثم رحل إلى فاس، فأخذ بها عن جماعة من علمائها، من أشهرهم أبو الحسن المراكشي، وأبو علي اليوسي، وأبو الحسن الدادسي، واستجاز عصره أبا عبد الله محمدا بن الفقيه الروداني صاحب الأسانيد العالية. لكل ذلك اتفق كل من ترجموه على اطلاعه الواسع، لا سيما في الفرائض والحساب والتوقيت. وكانت له معرفة بعلم الجدول، وإطلاع على أسرارها، لو لا أن ثناه عنه والده الشيخ.

وقد حصلت بينه وبين أخيه الشيخ أحمد الخليفة "منافرة" على إثر وفاة والدهما (1085 / 1674)، ولذلك صلة بمشيخة الزاوية ؛ الأمر الذي اضطره إلى الارتحال إلى بلاد زابان، حيث أسس زاوية تامسكرت. ولما كثر أتباعه ومريدوه استقدمه السلطان المولى إسماعيل إلى قصره بمكناس، ربما لاختباره. ومن خلال المحادثة التي ذكرها صاحب الدرّة الجلييلة، في سياق الكرامة، تبين أن ذلك الاختيار كان مصحوبا بالضغط على صاحب الترجمة. وقد حاولنا إيجاد الصلة بين ذلك الضغط وبين استقرار محمد الكبير في مجال صنهاجة الأطلس الذين كانوا يشكلون يومئذ أحد أكبر مشاغل ذلك السلطان.

هذا فضلا عن أن علاقة المترجم بأحد حفدة الدلاء لم تكن لتخفى عن المخزن، لا سيما وأن ثورة أحمد بن عبد الله الدلائي لم يكن النسيان قد عفى عليها. لكل ذلك، فإما أن

السلطان كان يسعى إلى تذكير الناصري بلزوم موقف معين، وإما أنه حاول استمالته لخدمة أغراضه السياسية في تلك الجهة.

توفي محمد الكبير الناصري يوم الإثنين 29 صفر سنة 1126 / 1714 ، ودفن بزوايته بتامسكوت. وبالرغم عن إشادة أصحاب التراجم والمناقب بعلمه، فإنه لم يخلف مؤلفات معروفة، وإنما ذكروا له بعض الفوائد.

ابن ناصر، الرسائل : م المكي الناصري، الدرر المرصعة : باب من اسمه محمد، الدررة الجليلة، ص. 72 - 80 : طلعة المشتري، 2 : 42 : أبو القاسم الزباني، البستان الظريف : أحمد عمالك، تامسكوت، معلمة المغرب، 2180.

De la Chapelle, My Ismail et les berbères Sanhaja du Maroc Central, Archives Marocaines, XXVIII, 1931 ; Répertoire alphabétique. أحمد عمالك

الناصرى، محمد المكي من مواليد مدينة الرباط، سنة 1906 ، وأحد علماء المغرب العاملين، ينتمي إلى أسرة علم وفضل، تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بمسقط رأسه بالرباط على يد أشهر شيوخ الفترة أبي شعيب الدكالي والمدني بن الحسني وشقيقه محمد بن اليماني الناصري.

التحق بقسم الفلسفة وعلم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة القاهرة، ثم بكلية آداب جامعة باريس، ثم بكلية الحقوق بجامعة جنيف ليتخصص في القانون الدستوري والقانون الدولي.

الشيخ محمد المكي الناصري ذو ثقافة متنوعة، وأنشطة متعددة، سياسية وثقافية وصحفية، فمثل طلبة شمال أفريقيا بباريس سنة 1933 ، كما مثلهم في المؤتمر البرلماني لفلسطين بالقاهرة سنة 1938 ، ومثل المغرب في هيئة الأمم المتحدة سنتي 1951 - 1955 ، وفي المؤتمر الإسلامي بدمشق سنة 1956 ، وفي غيرها من المؤتمرات الإسلامية والعربية.

ساهم الناصري في إدارة مدرسة الحياة بالرباط والمعهد الحر ومعهد مولاي الحسن بتطوان، كما ساهم في تأسيس بيت المغرب بالقاهرة وشجع على إرسال بعثة طلاب مغاربة إلى معاهد القاهرة أثناء إقامته بتطوان.

مارس الناصري السياسة منذ شبابه المبكر، فكان من مؤسسي كتلة العمل الوطني، ومؤسساً لحزب الوحدة والاستقلال في أواسط الثلاثينات، وقد تعرض للنفي إلى المنطقة الشمالية سنة 1936 ، ثم نفته السلطات الإسبانية إلى غينيا الاستوائية بسبب أنشطته السياسية الداعية إلى تحرير المغرب من الاستعمار عن طريق كتاباته الصحفية، خاصة تأسيسه مجلة "المغرب الجديد سنة 1935"، "والوحدة المغربية، وصوت المغرب، ومنبر الشعب" إلى غيرها مما أثار غضب المستعمر ونقمته.

والناصرى أحد حملة الأقلام المتميزين في الصحافة

والأدب والشعر، إضافة إلى أحاديثه الدينية وخطبه المنبرية لتوعية الناس بشؤون دينهم وديناهم، ومشاركته في الدروس الحسينية الرمضانية، كما كانت له حلقات إذاعية يومية منتظمة في تفسير القرآن الكريم، توجت بإصدار هذه التفاسير في كتاب "التيسير في أحاديث التفسير".

والشيخ الناصري عضو عامل في مؤسسات كثيرة قبل الاستقلال وبعده، أشهرها (الجهة القومية للوطنية المغربية 1942 - 1951)، وفي مجلس الدستور سنة 1960، وفي أكاديمية المملكة المغربية 1981، وفي مجلس جامعة القرويين 1987، وغيرها من الهيئات العلمية والسياسية.

عمل الناصري بعد الاستقلال أستاذا بكلية الحقوق بجامعة محمد الخامس ودار الحديث الحسينية، ووزيرا للأوقاف والشؤون الإسلامية 1972، ورئيسا للمجلس العلمي للعدوتين 1981 - 1994 ، وأميناً عاما لرابطة علماء المغرب سنة 1989 ، وسفيراً للمغرب بليبيا سنة 1961، وعاملا لمدينة أكادير سنة 1963 ، إلى غيرها من المهام السياسية التي تقلدها.

مؤلفات الناصري عديدة أهمها : مبادئ القانون الإداري في الإسلام، نظام الحقوق في الإسلام، فلسفة التشريع الإسلامي، الأقليات الدينية وحق تقرير المصير، تحت راية العرش إلى غيرها من المؤلفات، ويضم الكتاب التكريمي للشيخ الناصري الذي نشرته جمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسينية مسردا مفصلا لمؤلفاته العديدة وأنشطته العلمية والسياسية.

وللناصرى أشعار غزيرة، نشرت في مجلات مغربية وتونسية ومشرقية، وقد أورد له القباج في كتابه : "الأدب العربي بالمغرب الأقصى" منتقيات من شعره كما نقل القباج في كتابه فصلة من سيرة محمد المكي الناصري بقلمه، تحدث فيها عن نشأته وتعليمه ورحلته في طلب العلم، وكذا كتاباته الشعرية والنثرية، وهي فصلة طريفة مؤرخة في 9 رمضان 1347، بمصر القاهرة.

والناصرى حاصل على أوسمة ملكية عديدة سنوات 1963 / 1969 ، وعلى وسامين لبيبي وتونسي.

توفي عام 1994.

محمد القباج، الأدب العربي في المغرب الأقصى، 2 : 70، ط 2، 1979 : سيرة الشيخ محمد المكي الناصري، منشورات جمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسينية، 1991 : عبد الله الجراري، التأليف ونهضته بالمغرب الأقصى، 256، ط 1، 1985.

الناصرى، محمد بن اليماني أبو الشعور أحد الشعراء الأعلام، طوف في البلاد العربية الإسلامية، وعمل على المشاركة في الحياة العلمية للبلدان التي أقام بها في المغرب ومصر والحجاز.

من مواليد مدينة الرباط سنة 1891، تلقى تعليمه الأولي

فقد والدته سنة 1091 / 1680 . ومن ثم نرجح أنه كان قد صحب والده في أثناء انتقاله، إلى الزاوية الناصرية الكبرى من أجل طلب العلم.

وأيا ما كان الأمر، فقد أخذ عن شيوخ تامغروت، حيث حفظ القرآن الكريم ؛ ثم ثنى بالمتون المتداولة يومئذ . فأول ما أخذ متن الخلاصة عن عمه علي ابن ناصر . وتتلذذ على أحمد الهشتوكي، أحد أكابر أساتيد الزاوية، فلازمه مدة طويلة. حيث أخذ عنه علوم اللغة. ودرس العلوم العقلية على محمد الصغير الورزازي، وهو عمدته في ذلك. وحصل علوم الحديث والتفسير والفقه والتصوف على عمه الشيخ أحمد الخليفة، الذي لازمه في الحضر والسفر ؛ وحج معه مرتين (1109 - 1110 و 1121 - 1122) ؛ فشاركه فيمن لقي من العلماء والسيوخ بالمشرق. وأخذ القراءات عن المقرئ المسن أبي إسحاق إبراهيم بن علي الدرعي. وأجازه البياني المعقوللي أبو الحسن علي التدغي. والغالب على الظن أن جهوده في الطلب لم تثمر إلا في علوم اللغة والحديث، كما يتضح من ثبت الكتب التي درسها، ومن الإجازات التي نالها. وبنو ابنه محمد المكي، سابق الترجمة، بعلمه، حين صادف حضور المترجم بمكناس، قراءة البخاري بين يدي السلطان ؛ فاستشكل الحاضرون مسألة حديثة، وأجاب بعضهم بأحد أقوال العلماء فيها ؛ لكنه لم يستطع توثيقها. هنالك انبرى موسى الناصري للمسألة ؛ فحسم النزاع بين المتناظرين، حين أدلى بالحجة الدامغة.

سبقت الإشارة إلى أن الشيخ أحمد الناصري لم يعقب، ولذلك أوصى بالمشيخة لموسى ؛ لأن هذا الأخير أنصاري من جهة أمه ميمونة بنت الشيخ أحمد بن إبراهيم الأنصاري، ربيبة الشيخ محمد ابن ناصر، من زوجته حفصة الأنصارية، أم ولده أحمد الخليفة. أي أن ميمونة المذكورة هي أخت الشيخ أحمد لأمه. وموسى أيضا هو ابن محمد الكبير، أخ الشيخ لأبيه. أي أنه جمع القرابة من طرفيهما ؛ من جهتي الأب والأم، فضلا عن المحتد. ومن هنا أيضا فالمترجم هو رأس الطبقة الثالثة بين بني ناصر، لأنه أكبر حفدة الشيخ محمد ابن ناصر، ولأن كل أعمامه الكبار قد توفوا قبل وفاة الشيخ أحمد الناصري.

ولهذا الغرض كفل الشيخ أحمد الخليفة المترجم، وقام على تربيته، وتأهيله ليكون خير خلف له. فكان بمثابة كاتبه الخاص، يوقع بإذنه الرسائل، ويلقن الأورد، وينوب عنه في القيام ببعض المهمات، حيث كان يبعث به سفيرا عنه إلى السلطان المولى إسماعيل. لكل هذه الأسباب توافرت مبررات اختياره لولاية مشيخة تامغروت. إلا أنه لاقى اعتراض بعض أقاربه، وبخاصة الحسين الشرحبيلي البوسعيدي الذي كان أخص تلاميذ الشيخ السابق. وكان هو أيضا ينوب عن الشيخ في الأمور الدينية والدنيوية، حتى شاع أنه عهد إليه بالخلافة من بعده. ذلك أن أحمد الخليفة كان قد أوصى للبوسعيدي لما لدغته عنكبوت بالقرب من الإسكندرية، في

بالكتاب، ثم درس على جماعة من شيوخ مدينة الرباط، منهم محمد المكي البطاوري وأبو شعيب الدكالي ومحمد بن عبد السلام الرندة، كما أخذ عن الشيخ محمد بن جعفر الكتاني الحديث بالحرم المدني، وعن الشيخ يوسف النبهاني بالحرمين الشريفين.

اشتغل الناصري بالتعليم الحر، وأدار مدرسة "النجاح الحرة" بالدار البيضاء، وأسس مدرسة "الحياة" بالزاوية المعطوية بالرباط.

كما عمل عدلا بمدينة الرباط، وأستاذًا بالثانوية اليوسفية ثم عضوا بمحكمة الاستئناف الشرعي فقاظيا.

غير أنه سيرحل إلى القاهرة ليقوم بها حوالي عشرين سنة، وسيأسس بها إدارة بيت المغرب ومركز الوحدة المغربية بالشرق.

وينتقل بعد ذلك إلى المدينة المنورة مجاورا، فيقيم بها أزيد من ثلاث عشرة سنة.

شارك الناصري في الحركة السلفية في المغرب بمؤلفه "ضرب الحصار على أصحاب نهاية الانكسار"، ويرد فيه على بعض أصحاب البدع الذين كان الاستعمار يستعملهم في صرف الناس عن المطالبة بالاستقلال.

ترك محمد بن اليمني الناصري أشعارا كثيرة، قام أبناؤه بنشرها في ديوان صدر عن دار الصفوة للطباعة وللنشر والتوزيع بمدينة الغردقة بمصر سنة 1994،

توفي بالمدينة المنورة سنة 1971 ودفن بالبقيع.

محمد القباح، الأدب العربي بالمغرب الأقصى، 1 : 102، ط 2، 1979 ؛ عبد الله الجاروي، من أعلام الفكر المعاصر، 2 : 324، ط 1، 1969 ؛ شعراء المغرب المعاصرون، نج. سعيد الفاضلي، رسالة جامعة مرقونة، 3 : 268 ؛ التأليف ونهضته بالمغرب، 271، 1، 1985 ؛ ع. بنطوجة شعر محمد بن اليمني الناصري، رسالة جامعة مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 1991.

نحاة المريني

الناصرى، موسى بن محمد الكبير بن محمد ابن

ناصر، أبو عمران ثالث شيوخ زاوية تامغروت. وبها ولد سنة 1076 / 1666. اختصه صاحب الدرر المرصعة بترجمة وافية، فذكر أن عمه أحمد الخليفة كفله مبكرا، وأشرف على تربيته وتعليمه. ومن ثم نرجح أنه لم يرحب تامغروت، على الرغم من مغادرة والده لها - كما سبقت الإشارة إلى ذلك قبل - ولعله فعل ذلك ليفيد ابنه من الحركة العلمية التي كانت تشهدها تامغروت يومئذ. فهل يرجع تأكيد المصدر المذكور على تلك الكفالة ليقنعنا بالحظوة التي نالها موسى عند ثاني شيوخ الناصريين، ومن ثم نقتنع بأحقيته في الوصية بالمشيخة ؟ ألم يصحبه والده معه حين انتقل من تامغروت إلى تامسكورت، على إثر وفاة الشيخ محمد ابن ناصر سنة 1085 / 1674 ؟ لا نعرف شيئا عن ذلك ؛ لكننا نعلم أنه

أثناء عودته من الحج سنة 1122 / 1710 . وقد أكد صاحب الدرر ، وهو ابن المترجم ، أن موسى هو الموصى له ؛ وبذل في سبيل ذلك ما استطاع من جهد ، حتى انتهى إلى أن البوسعيدي قد شهد على نفسه ، في حين يذكر المختار السوسي أن شهادته على نفسه جاءت نتيجة الضغط الذي لقيه من قبل العامل السلطاني على درعة ، المولى الشريف بن إسماعيل ، الذي أرغمه على التنازل والكف عن تلقين الأوراد ، والارتحال إلى جهة أخرى ؛ وإلا أباح دمه وخلده في السجن . وقد أتى محمد المكي الناصري برسم ، بخط القاضي محمد الصغير الورداني ، يفيد إسناد أمر تامكروت إلى أحد الأخوين موسى أو عبد الله ابني محمد الكبير .

ومهما يكن من أمر ، فإن موسى الناصري هو الذي ولي شؤون زاوية تامكروت بعد وفاة عمه الشيخ أحمد سنة 1717/1129 . فنسج على منوال أسلافه في تلقين الأوراد ، والاضطلاع بسائر الوظائف . وفي عهده توسعت ممتلكات الزاوية بدرعة وخارجها ؛ الأمر الذي جعله كثير الرحلة ، حيث كان يطوف على مختلف الجهات لتفقد الفروع التابعة لتامكروت لجمع "المستفادات" . فتارة تجده في جبال الأطلس متنقلا بين فروع آيت خليف وتانغملت وآيت عتاب . وأخرى تجده في سوس "قصد النظر والوقوف على ما لها من الأحباس من زيت وزروع وحديد ونحاس وغيرها" . وقد صار ذلك عادة مألوفة لأن بعض المقدمين كانوا يستبدون بذلك ، مثلما وقع في بعض زوايا سوس . وما زالت تلك حاله من الطواف على تلك الفروع .

ومن بين مميزات عهد موسى الناصري بدء الصراع حول مشيخة الزاوية ، الأمر الذي فسح المجال لتدخل المخزن في شؤونها . وهذا ما يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن عهد التقارب بين الزاوية والمخزن قد بدأ مع الشيخ موسى الناصري . توفي بزواوية الفسيض يوم الإثنين من ربيع الأول سنة 1730 / 1142 .

أحمد الناصري ، الرحلة ، 2 : 121 - 123 . م . المكي الناصري ، الدرر المرصعة ، تج . م . الحبيب نوح ، ص . 455 - 501 : الروض الزاهر ، 200 - 238 : الرياحين الوردية ، ص . 25 ، طليعة الدعة ، ص . 51 : فتح الملك الناصر ، الخليفتي ، الدررة الجليلة ، 99 - 146 : أحمد الناصري ، طلعة المشتري ، 2 : 125 - 128 ، 139 : المراكشي ، الإعلام ، 7 : 305 - 306 : م . المختار السوسي ، المعسول ، 18 : 242 - 245 : أحمد البوزيدي ، التاريخ الاجتماعي ، ص . 215 .
M. Bodin, La Zauia de Tamgrout, 274-275 ; G. Drague, Esquisse, 190-191

أحمد عمالك

الناصرى، الهاشمى بن موماد بن الحسن بن سليمان
بن يوسف بن محمد الكبير ابن محمد بن ناصر الدرعي . ولد عام 1294 / 1879 بدوار أكرام بهشتوكة . أخذ القرآن عن أخيه سليمان ، وجلس إلى بعض الشيوخ بسوس قبل أن ينتقل إلى مراكش ليستتم دروسه هناك ، فجلس إلى شيوخ عديدين من أبرزهم العلامة سيدي إبراهيم الكدموي القاضي

الذي كانت له علاقة طيبة مع القائد الطيب الكنتافي . وربما يكون له يد في التحاق المترجم بحاشية القائد وتعيينه كاتباً له .

التحق المترجم بوظيفته كاتباً للقائد الكنتافي ، فكان يحرر مراسلاته ، ويدون ما يطلب منه تدوينه ، وقد حظي لديه بمكانة طيبة أهلته لأن يرافقه إلى فرنسا عام 1344 / 1926 ضمن الوفد الذي استدعاه السلطان المولى يوسف لمرافقته قصد الحضور في تدشين مسجد باريز . وقد دون الكاتب ماجريات هذا السفر ومراحله في "رحلته إلى باريز" . ورغم انخراطه في خدمة القائد فإنه لم يكن "بسيئ النية ، ولا بمحب للظلم ، ولا بالمتطلع إلى استنزاف أموال الناس" .

وبعد وفاة القائد الطيب الكنتافي عام 1346 / 1928 بقي المترجم في مراكش مشتغلاً بخويصة نفسه "بلازم الصلاة في المسجد الكبير ، ولا يكاد يفارق الجماعة فيه في كل الأوقات ، وقد توسع ما في ذات يده ، وله خزانة لا بأس بها على قدر معلوماته الضئيلة" وقال عنه السوسي في رجالات العلم العربي في سوس : "... وكان فاضلاً طيب السريرة متواضعاً متمسكاً يألف ويؤلف ، وكان من أصحابنا" .

لم يخلف المترجم من الآثار إلا مجموعة من الرسائل التي حررها عن مخدومه القائد الطيب الكنتافي ، وهذه الرسائل هي عبارة عن مخاطبات القائد إلى غيره من رؤساء القبائل وشيوخها تتعلق بالشؤون العامة المشتركة بين القائد والمرسل إليهم . وأسلوب هذه الرسائل أسلوب تقريرى واضح غايته إيصال مجموعة من الأفكار إلى المرسل إليه بكل يسر وسهولة . وإضافة إلى هذه الرسائل خلف الهاشمي الناصري رحلة فريدة بين الرحلات السوسية ، لأنها الوحيدة - في ما أعلم - التي وجهت وجهتها إلى أوروبا ، وإلى فرنسا بالتحديد . وقد نشرها الأستاذ عبد العزيز بومسهولي في حلقات بجريدة الاتحاد الاشتراكي في صيف 2001 بدءاً من 2 يوليو . وأهميتها تتجلى في :

- كونها تبين العلاقة الطيبة التي كانت بين المخزن (مولاي يوسف) والحكومة الفرنسية ، فعندما حل السلطان بباريز استقبله رئيس الجمهورية الفرنسية استقبالا حاراً ، وأبدى له من الحفاوة ما يدل على هذه العلاقة الطيبة بين الطرفين ، كما أن السلطان زار المارشال ليوطي في بيته ، وقد استقبله هو أيضاً استقبالا حاراً .

- كونها تبين ثقافة المؤلف المتواضعة لأننا لا نجد فيها تحليلاً لأوضاع المغرب المستعمر ، ولا مقارنة بين أوضاع فرنسا المتقدمة وأوضاع المغرب المتخلفة ، ولا أسباب هذا وذلك . ثم إن أسلوب الرحلة هو أسلوب خصال من العناية بالجانب الأدبي إلا ما جاء عفواً خاطر ، ولعل مرد هذا هو كاتب القائد الذي يتوخى الوضوح في العبارة قصد إيصال أفكاره إلى المتلقي دون عناء ولا غموض ولا تكلف . إضافة

إلى أنه كان لا يتحرج من استعمال بعض العبارات من الدارجة المغربية. وبعض الألفاظ من اللغة الفرنسية. توفي يوم 19 شعبان 1356 / 1938.

محمد الحاتمي

الناصرى، يوسف بن محمد الكبير بن محمد بن ناصر أبو المحاسن، شيخ تامغروت السادس وأسطة عقد شيوخ الناصريين. ولد بقرية تامسكروت من بلاد زايان سنة 1114 / 1703. اصطحبه والده معه في رحلة، وهو صغير، إلى تامغروت. ثم رجع إلى مسقط رأسه، حيث مكث حتى وفاة والده سنة 1126 / 1714 ؛ الأمر الذي أرغمه على الانتقال مجددا إلى تامغروت، حيث كفله عمه الشيخ أحمد الخليفة. ولما توفي هذا الأخير كفله بعده أخوه موسى حتى بلغ مبلغ الرجال فزوجه.

أخذ العلم عن أساتيد الزاوية، من الأقرباء والأفاقين الذين ذكروهم ابنه سليمان لما تعقب أسانيده. وعدد محمد مخلوف التونسي جملة من مقروءاته فقال : "وروى الكتب الستة والشفا والمواهب وحمية أبي نعيم والترهيب وإحياء علوم الدين وكنز العمال و الجامعين الصغير والكبير والفتوحات المكية ". نستوضح من هذه الكتب أن ثقافة المترجم تنحصر في الحديث والسيره والتصوف. وهي من بين العلوم التي كانت أسواقها نافقة بتامغروت حتى ذلك العهد. وأخذ ورد الناصريين عن محمد بن عبد السلام بناني، شارح لامية الرقات ، الذي كان قد أخذ عن الشيخ أحمد الخليفة مباشرة. وبلخص ابنه سليمان سلوكه فيقول : "كان... لا يخاف في الله لومة لائم، وقافا عند كتاب الله تعالى، محافظا على الصلوات في أوقاتها جماعة... متبعا للسنة المحمدية، مقتفيا أثر عمه الإمام...". وكان كثير الحركة، يمضي جل وقته في الطواف على فروع الزاوية، متفقدًا الأتباع والمقدمين، حتى أخذ عنه من لا يحصون كثرة في معظم جهات للمغرب.

وفي سنة 1162 / 1749 رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج، فأخذ عن لقي هنالك من العلماء، كمحمد بن الطيب الفاسي، الذي اجتمع به في المسجد النبوي واستجازه فأجازه. وسمع منه الحديث المسلسل بالأولية يوم الجمعة ثامن محرم 1163 / 1750 . وأخذ كذلك عن أبي العباس أحمد الحبيب اللمطي الذي أجازه بدوره، وأذن له في الرواية عنه. ومن بين الشيوخ المشاركة الذين أخذ عنهم أحمد العماري، وأحمد الدمنهوي، ويوسف أفندي، وعلي الشحراوي. وقد تجاوز صيت الناصريين في عهده الحرمين الشريفين، حتى شوهده شيخهم المترجم وهو يلقن الورد، ويولي النقباء ويعزل في مكة المكرمة. وما يستحق الإشارة في هذا الصدد أنه اصطحب معه، في رحلته تلك، عددا من أقاربه، كأولاده وإخوانه وأبناء إخوانه ؛ الأمر الذي يتطلب مؤونة كبيرة. وهذا مؤشر يدل على غنى الزاوية في ذلك العهد، حيث نجد صدها في المصادر. يقول صاحب الاستقصا : "وكان...

حسن الشيم، أكفّه تجري بالإحسان كالديم، كثير الإطعام، جميل الإكرام". ويقول ابنه سليمان : "وقاض جوده وبذله، ووسع الأقارب والأباعد إحسانه ورقده، فانتتهت إليه رئاسة الدين والدنيا، وبسط يده في بذلها ما استطاع، ولم يعسر في وجه أحد، وما خيب سائلا قط...".

لذلك طبقت شهرة تامغروت آفاق المشرق والمغرب ؛ فقصدها المريدون والطلبة والعلماء من مختلف جهات البلاد. ومن ثم تضاعف عدد "النواب والوكلاء في التلقين لمن لم يصل إليه مغربا ومشرقاً...". وهذا ما يوجزه ابنه حين يقول : "وأقبلت الوفود عليه من كل فج، وزارته من أقطار الأرض الأكابر من العلماء والصالحين، وهو رضي الله عنه مقبل عليهم، ساع في إيصال النفع إليهم، قائم بحقوقهم، معتن بشئونهم، لا يألو جهدا في إكرامهم، كل بمنزلته وعلى قدر مرتبته في الإطعام، والنزول والفرش الرفيعة... حتى إنه ربما اجتمع في بعض الأحيان الآلاف من الخلق عليه من الوفود الزائرين...".

وقد ترتب عن هذه الأسباب مجتمعة توسع نفوذ زاوية تامغروت، فتأسست زوايا جديدة تابعة لها عمت مختلف أرجاء البلاد ؛ لا سيما وأن الشيخ يوسف خلف خمسة وعشرين ابنا" كلهم بلغوا مبلغ الرجال...". وهنا لا بد من الإشارة إلى أن فروع الزاوية الناصرية أصبحت تؤسس من قبل أبناء الناصريين وحفدهم، الشيء الذي كان له أثر في علاقت تلك الزوايا مع الزاوية الأم ؛ على عكس ما كان في بدء الأمر، حيث كان التلاميذ هم الذين يقومون بتأسيس فروع يظل أقرباؤهم يتوارثونها. وقد تنفصل عن الزاوية الأم، بعكس الفروع الأخرى التي تبقى علاقتها موصوله مع الأصل.

وبصدد علاقة الزاوية مع المخزن، ففي عهد الشيخ يوسف الناصري تم الاتصال المباشر بين الطرفين، وتوثقت الأواصر بينهما. فكان المترجم من بين الأعيان الذين قدموا على سيدي محمد بن عبد الله لمبايعته سنة 1171 / 1757. وفي سنة 1180 / 1767 كان من ضمن وفد السلطان في أثناء حصار مدينة البريجة. كما حضر معه وضع الحجر الأساس لبناء مدينة الصورة سنة 1182 / 1769. فكان ذلك من بين العوامل التي يسرت انتشار نفوذ الناصريين في مختلف مدن البلاد وبواديها. بل إن السلطان قد أنعم على تامغروت بظهير حولها الحصول على عشرة قناطير من الحديد، تمنح من ثغري الصورة وأسفي. فكانت تلك بداية احتجاج الثروة بالزاوية، مما عزز مكانة شيوخها على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي ؛ وبدأت تطفو المنافسة على المشيخة.

وفي خضم أوج الزاوية الناصرية، توفي الشيخ يوسف الناصري سنة 1197 / 1783، بعد أن قضى أربعين سنة في المشيخة ؛ وهي مدة قياسية استطاع خلالها أن يرسخ طائفة الناصريين التي تعدد أتباعها ومريدها، حتى تلقن وردها سلطان البلاد ورجال مخزنه، وعلماء وحرفيون، وذوو حيثيات مختلفة.

م. الخليفة، الدرّة الجليلية، 182 - 184 ؛ سليمان بن يوسف الناصري، إتحاف الخلق المعاصر بأسانيد أبي المحاسن يوسف ابن ناصر، 7 - 29 ؛ الضعيف، تاريخ، ص. 304 و 310 ؛ سليمان الحوات، الروضة المقصودة، 172 - 174 ؛ ثمرة أنسي، 25، كناشة تامغروت رقم 2629 ؛ طلعة المشتري، 2 ؛ 143 - 145 ؛ ابن زيدان، إتحاف، 3 ؛ 226 ؛ 4 ؛ 239 - 241 ؛ ع. المراكشي، الإعلام، 9 ؛ 239 و 10 ؛ 356 ؛ محمد مخلوف، شجرة النور، 358 ؛ أحمد عمالك، تامسكورت ؛ معلمة المغرب، 2180.

M. Bodin, La Zaouia de Tamgrout, 276 ؛ G. Drague, Esquisse, 191.

الناصرية (الزاوية -)، تأسست بقرية تامغروت، على

يد الشيخ العالم المتصوف محمد ابن ناصر الدرعي، سابق الترجمة ؛ والذي انتقل إليها من إعلان سنة 1055 / 1645. نشأت في بيئة مأزومة ومحيط قلق ؛ فأناط شيخها المؤسس نفسه بدور بالغ الأهمية لإصلاح ما فسد وإطفاء ما اتقد. فتصدى لنشر العلم، ومحاربة الانحراف، وتهيئ السبل عن طريق التربية الصوفية.

طريقتها غازية، نسبة إلى أبي القاسم الغازي (ت. 982 / 1584)، تتصل بأبي الحسن الشاذلي عن طريق الشيخ أحمد زروق. وتعتبر أكبر زاوية عرفها تاريخ المغرب الحديث، من حيث عدد الفروع والأتباع، ومن حيث المجال الذي يغطيه انتشارها. ويمكن تقسيم تاريخها إلى أربع مراحل كبرى :

1 - المرحلة الأولى، وتمتد من التأسيس (1055 / 1645) إلى وفاة الشيخ يوسف الناصري سنة 1197 / 1783. وتنقسم بدورها إلى عهدين متميزين :

العهد الأول : عهد الشيخين محمد ابن ناصر (1055 - 1085) وابنه أحمد الخليفة (1085 - 1129) حيث أضحى الزاوية الناصرية من أكبر المراكز العلمية ببلاد المغرب. وكانت ثالث مركز يدرس فيه كتاب سيبويه، علما بأنه لم يكن يدرس في فاس ولا في مراكش. ونفقت فيها سوق كثير من العلوم كالفقه والحديث والكلام والتصوف والعربية والنحو وغيرها ؛ حتى إن الشيخ اليوسي جعل طالب العلم يستغني بشيوخها، في ميدان الترقى في الطلب، عن التوجه إلى المراكز العلمية الكبرى يومئذ، كبغداد أو الكوفة أو الشام أو اليمن. وبذلك غدت قبلة لطلبة العلم والعلماء، فقصدتها الناس من مختلف الآفاق. هذا بالإضافة إلى دفاع الشيخين عن السنة ومحاربتهم للبدعة. فقد تركا الدعاء الجماعي دبر الصلوات، واقتصروا على أذان واحد يوم الجمعة، ولم يكونا يدعوان للسلطان على المنابر، ومنعا السماع الذي كان عادة مألوفة عند كثير من متصوفة العصر. وأعلنا النكير على البدع والعادات الفاسدة، ولاسيما شرب الدخان وتناول الخمور. وحرما اختلاط الرجال بالنساء في المواسم والأعياد. ومن ثم، يمكن تصنيف هذين الشيخين من بين مصلحي المسلمين الكبار حين كانا يدعوان إلى تجاوز المذهبية، والتمسك بالسنة والجماعة.

وكان الشيخ محمد ابن ناصر، الذي أسس الطريقة

الناصرية، عن طريق توظيف ورد غير بعيد عن الأذكار المأثورة ؛ بحيث لم يدع إلى اتخاذ شارات خاصة. وقد انبنى ذلك الورد على الهيللة والصلالة على النبي (ص) والاستغفار ؛ سالكا في ذلك طريق المرونة والتدرج.

فأما المرونة، فإن الشيخ راعى حال المرید من التفرغ والانشغال. من ذلك مثلا، أن مقدار ما كان يوظف على المتفرغ أو المتجرد غير ما يوظف على العامل المشتغل بأعماله، أو الطالب العاكف على درسه، ومقدار ورد الرجل غير مقدار ورد المرأة، المسؤولة عن تدبير شؤون بيتها ورعاية أطفالها. والملاحظ أن الورد الناصري كان بسيطا، مستجيبا لمختلف الطباع والمستويات. لذلك فلا غرابة أن تلاقي الطريقة الناصرية قبولا كبيرا لدى مختلف شرائح المجتمع. وأما التدرج، فإن الشيخ كان دائم السعي إلى ترقية مریديه في مدارج الانشغال بالعبادة. فلا يشق أو يشدد عليهم في البدء، فيقبل على سائر المؤمنين ؛ لكنه يحبذ ألا تفتقر ألسنتهم عن الذكر.

وإذا كان الشيخ المذكور قد وضع الإطار النظري للزاوية، فإن ابنه أحمد الخليفة أرسى دعائمها، لأنه أسس بعض المبرات التي أعطتها الزخم الضروري للتوسع والاستمرار. فبنى بجوار الزاوية مدرسة لإيواء طلبة العلم، وواصل عملية استقطاب الأساتيد - عن طريق المصاهرة - من مختلف جهات البلاد لكي يدرسوا بها. وألحق بها خزانة جلب إليها أنفس الكتب من المغرب والمشرق، عن طريق النسخ والشراء. على أن تكوينها كان قد بدأ مع والده الذي عرف ببازي الكتب، لولوعه باقتنائها والحصول عليها بمختلف الوسائل. لكن الشيخ أحمد الخليفة عين لها قيما ليشرف على تسييرها، وسن لها نظاما عجيبا للإعارة، وأمر بترتيب محتوياتها حسب الفنون، حتى يستفيد منها طلبة العلم ومختلف روادها، وأوصى بتوسيعها والمحافظة عليها...

وحين نظم الشيخان ركب الحجاج الناصري اتسع مجال انتشار الزاوية طول الطريق بين المغرب والحجاز. فأضحى ذلك الركب بمثابة زاوية متنقلة ؛ كان سكان المراحل والمنازل التي يمر عليها يكونون التقدير والاحترام لشيوخ الناصريين. بل لقد انخرط عدد منهم في سلك الطريقة، وانضوا تحت لواء مقدمين عينهم الشيخان. وتأسست فروع ناصرية في مختلف مدن وقرى بلدان الشمال الأفريقي، من المغرب الأوسط إلى مصر، فضلا عن ذبوع صيت الناصريين في مكة والمدينة. بل إن صدى هذه الزاوية وصل حتى بلدان الشرق الأقصى. وبذلك أسهمت الزاوية الناصرية في تهيئة الطريق أمام الحجاج، ومد جسور التواصل بين مختلف بلدان العالم الإسلامي، على الصعيدين العلمي والصوفي. وتحفل مصادر الناصريين، وخاصة الرحلات الحجازية، بالإشارات إلى الإجازات التي تم تبادلها بين الناصريين وبين مختلف علماء المشرق. ولا يتسع المجال للاستفاضة في هذا الموضوع، على الرغم مما يكتسبه من أهمية. وبالرغم عن بعض التشنج الذي

علماء عصرهم. بل منهم من كان من مؤسسي كثير من فروعها كالشيخ اليوسي.

هذا إلى جانب توسع نفوذها وتعدد فروعها (حوالي 300)، فشملت مختلف مدن المغرب وبواديها ؛ الأمر الذي ترتب عنه بداية تراكم الثروة بها. إلا أن ذلك لم يكن ليضر بها، خلال هذه المرحلة ؛ بل على العكس ساعدها على الاضطلاع بأهم وظائفها، لا سيما رعاية الطلبة والأساتيد، وإطعام الأعداد الوفيرة من الزائرين، وإرفاق المحتاجين زمن المساعب.

على أن التوسع في الثروة ما لبث أن صار، فيما بعد، من بين أسباب التراجع الذي عرا الزاوية الناصرية. وهذا ما أضحى أمرا باديا للعيان خلال المرحلة الموالية.

2 - المرحلة الثانية، وهي تغطي عهد كل من الشيخ علي بن يوسف (1197 - 1235)، وأبي بكر بن علي (1235 - 1281)، ومحمد بن أبي بكر (1281 - 1304). وعلى الرغم من أن الزاوية الناصرية استمرت مركزا صوفيا يستقطب عددا كبيرا من المريدين والأتباع، فإن أهم ما طبع شيوخها انشغالهم بالجوانب المادية أكثر من الجانب الروحي. ولقد انتبه الشيخ محمد بن عبد السلام، إلى هذا التحول الذي اعترها ؛ فنبه على ذلك في الكتاب الذي صنفه بعنوان "المزايا بما أحدثت بأم الزوايا". وعلى الرغم مما تضمنته من التحامل على معاصره، الشيخ علي بن يوسف الناصري، فإن ما شهدته الزاوية من تراجع لم يعد مثار جدال.

ومن ثم، أضحى الفضل في استمرارها راجعا بالأساس إلى الرصيد المعنوي الذي أثله الأجداد. ذلك الرصيد الذي وظفه هؤلاء الشيوخ لتكديس الثروة. التي أضحت وسيلة للتقرب من بعض رجال المخزن. فتحوّلت مشيخة الزاوية إلى منصب لا يمكن أن يصطبغ بالمشروعية إلا إذا تمت تزكيتته من قبل السلطان ؛ الأمر الذي ترتب عنه احتداد التنافس من أجل التصدر، ونشوب الصراع بعد ذلك. وهذا هو أهم ما ميز المرحلة الثالثة.

المرحلة الثالثة، وتمتد من سنة 1304 / 1887 إلى سنة 1919 / 1337.

بعد وفاة الشيخ محمد بن أبي بكر بزاوية أدوار بسوس، تصدر ابنه محمد، الملقب بالحنفي، النقابة بوصية منه. فقام ضده عمه أحمد وعبد الله ابنا أبي بكر ؛ الأمر الذي أفضى إلى نشوب نزاع بين الطرفين. وعلى الرغم من تدخل السلطان المولى الحسن، الذي أقر محمدا الحنفي على رأس الزاوية، بإصدار ظهير لصالحه، فإن النزاع لم يحسم. بل إن الشيخ أحمد بن أبي بكر استعان ببعض فرق آيت عطا ليترد ابن أخيه، الذي فر إلى سوس، محاولا الاستيلاء على أحباس الزوايا الفروع، ليستعين بها على استرداد مشيخة الزاوية الكبرى. وفي الوقت الذي كان فيه الحنفي يسعى إلى البحث عن دعم المخزن بمراكش، نشب النزاع بين الأخوين أحمد وعبد

اتسمت به علاقة هذين الشيوخ مع المخزن، في بعض الأوقات، فإن ذلك لم يحل دون انتشار نفوذ الزاوية في كثير من جهات البلاد. وإذا أردنا أن نعرض إلى بعض عوامل الخلاف بين الطرفين فيمكن حصرها في ثلاث قضايا : امتناع الشيوخ عن الدعاء للسلطان في الخطب المنبرية بدعوى مخالفة ذلك للسنة واتهام السلطان المولى إسماعيل الشيخ أحمد الخليفة بالانحياز لثورة محمد العالم وتنظيم ركب الحاج باستقلال عن المخزن.

ومن بين ما دعم شأن هذه الزاوية، فضلا عما سبق، ما اتسمت به علاقتها من ود وتقدير مع أقوى الزوايا المعاصرة لها، كالدلائية والعياشية والشرقاوية والفاسية. لقد لقن شيوخها الورد الناصري، كما فعل شرقاوة والعياشيون ؛ ونوهوا بسلوكها الصوفي وعلو كعب شيخها العلمي، كما فعل الدلائيون والفاسيون. هذا فضلا عما وفد إليها من علماء، تصدروا للتدريس بها كأحمد بن محمد الجزولي وعبد الكريم بن علي التدغي وعبد الرحمن بن عبد القادر السويدي؛ ومن تخرج منها من علماء وأدباء كأبي علي اليوسي وأحمد التاستاوتي ومحمد بن عبد الله الحوات وغيرهم.

العهد الثاني : عهد الشيوخ موسى الناصري (1129 - 1142) وعبد الله (1142) وجعفر (1143 - 1157) ويوسف (1157 - 1197). فقد نسج هؤلاء الشيوخ على منوال سلفهم في العلم على نشر الطريقة الناصرية، وترسيخ الوظائف التي اضطلعت بها. وقد تميز هذا العهد بالتقارب مع المخزن. ذلك أن هؤلاء الشيوخ لم يعودوا يجدون غضاضة في الدعاء للسلطان على المنابر. بل أصبحوا يترددون على أبواب السلاطين، ولا يستنكف بعضهم عن الوقوف إلى جانبهم في بعض المناسبات. وفي هذا السياق نذكر أن الشيخ يوسف الناصري كان ضمن وفد الأعيان الذين قدموا من جميع أنحاء المغرب لتقديم البيعة للسلطان سيدي محمد بن عبد الله. وقد شهد معه استرجاع مدينة الجديدة، وبدء أشغال بناء مدينة الصويرة. ومقابل هذا التقارب، نال الشيخ ظهائر أسدلت على الزاوية التوقير والاحترام ؛ ومنحتها امتيازات، منها امتياز الحصول على عشرة قناطير من الحديد والفضة؛ كل سنة.

إن أهم ما ميز الزاوية الناصرية خلال هذين العهدين الدعوة إلى السنة ومحاربة البدع، ونشر العلم وترسيخ اللغة العربية، وتعميق تعاليم الإسلام ؛ وإقامة مصالحة بين التصوف والعلم. ومن ثم ارتبط عند شيوخها السند الصوفي بالسند العلمي. وهذه أبرز ميزات هذه الزاوية عن غيرها من الزوايا في المشرق والمغرب. وقد تجلّى ذلك في سير مختلف الأعلام الذين انخرطوا في سلكها، كعبد القادر الفاسي وأبي علي اليوسي والتاودي ابن سوادة المري وابن الحاج السلمي وشعيب الدكالي، حيث كان هؤلاء من بين أكبر

الله. فاستعان كل منهما ببعض آيت عطا. وفي نفس الوقت رجع الحنفي، مدعوما بظهير سلطاني جديد، ليحتد النزاع بين الشيوخ الثلاثة. وعلى الرغم من انتصار الحنفي، وتدخل السلطان في سياق التحكيم بين مختلف الفرقاء إذ عمد إلى تقسيم النفوذ بين هذا الأخير وبين عمه أحمد، ورفض مطالب عبد الله؛ فإن خصمه لم يستسلم، واستمر يهتبل أي فرصة لينقض على الزاوية؛ في حين لم يكن الحنفي بدوره يتردد في مد اليد إلى بعض ممتلكات الزوايا التي كانت من نصيب عمه. والظاهر أن الشيخ الحنفي أفاد من دعم الوزير - الوصي أحمد بن موسى، إذ أقدم على اعتقال عمه، وطمع في الاستحواذ على أحباس زوايا سوس. وعلى الرغم من هذه المعاناة، فإن الشيخ أحمد بن أبي بكر لم يخرج من حلبة الصراع، مستغلا الوضع الذي كانت تعيشه جهة سوس. ذلك أن المواصلة لم تنقطع بينه وبين المخزن، لأن تلك الجهة أضحت يومئذ، مجالاً تتنافس عليه الدول الأوربية، حيث سعت كل واحدة منها إلى تأسيس مستوطنات تجارية هناك. وكان المخزن يأمل أن يضطلع شيخ الزاوية الناصرية هناك، بدور ما في تحريض القبائل على رفض التغلغل الأجنبي، ودعم حضور المخزن في تلك الجهة.

وقد تميزت هذه المرحلة بتدخل المخزن مباشرة في شؤون الزاوية الناصرية، التي فقدت كثيرا من هيبتها، نتيجة النزاعات على المشيخة، التي أضحت منصبا يتنافس من أجله، لأنه غدا مصدرا لاحتجاج الثروة وبلوغ الجاه. بالإضافة إلى ذلك، شهدت الزاوية تراجعاً عن الوظائف التي كانت تضطلع بها في العهود السالفة. وليس من المستبعد والحالة هذه، أن يترتب عن ذلك الوضع تراجع دورها العلمي؛ حيث لم نعثر، في المستندات التي رجعنا إليها، على أعلام من أمثال محمد ابن ناصر، أو ابنه أحمد الخليفة، أو محمد بن عبد السلام... وفي ذات الوقت، تراجع مداخيلها؛ بل أضحت مفلسة، الأمر الذي اضطر شيوخها إلى الاستدانة. وفي مجال الوساطة والتحكيم، لم يكتف المتنازعون بالتمرد على "قرارات" شيوخها، بل بلغ الأمر ببعض الجماعات إلى أن أصبحت تهاجم الزاوية بالسلاح، كما سيتضح وشيكا.

وبعد وفاة الشيخ محمد الحنفي سنة 1325 / 1907، ولي النقابة عمه الشيخ أحمد بن أبي بكر، الذي قدم إلى تامكروت من مراكش، حيث عقد اتصالات مع بعض رجال المخزن أبرزهم الخليفة مولاي عبد الحفيظ، الذي "عقد معه المحبة". ويُذكر أن الناصريين ساندوا بيعة هذا الأخير. وحين اعتلائه العرش، أصدر ظهيرا لفائدة هذا الشيخ، خوله حيازة مستفادات مختلف فروع الزاوية بالمغرب. ولعل الدليل القاطع على أن المخزن استيقن من ضعف الزاوية مطالبته إياها بما يطالب به العوام من ضرائب. هذا بالرغم من أن الزاوية، من جانبيها، كانت تدعم المخزن في مختلف القضايا،

سواء منها الداخلية أو الخارجية. وقد عرفت فروع الزاوية الناصرية، في مختلف البوادي والمدن المغربية، نفس الصيرورة. ومن أمثلة ذلك تيمكيدشت وتانغملت اللتين سبقت دراستهما في هذه العلمة.

وبعد فرض معاهدة الحماية على المغرب، وقف الشيخ أحمد بن أبي بكر موقف المتحفظ من المخزن الجديد، على الرغم من الإغراءات التي قدمت إليه في شكل ظهائر وإنعامات. ومن ثم، لم يكن من الغريب أن يساند حركة أحمد الهيبية. ويشير الضابط الفرنسي سبيلمان إلى أن اشبيهننا بن ماء العينين قد انتقل إلى بلاد درعة، محاولا كسب ولاء سكانها؛ ولم يحل عنها إلا سنة 1914.

ولعل تضايف إغراءات المخزن الجديد، والعنت الذي لاقاه الشيخ جراء مطالبة أحمد بن الحنفي بالمشيخة، هو ما أرغمه على إعلان ولاءه للسلطان مولاي يوسف، وعقد اتصالات مع غلاوة، حلفاء السلطات الفرنسية. بل أصبح يحث أتباع الزاوية الناصرية في سوس على محاربة اشبيهننا، وأهدر دمه. كما رفض التفاهم مع محمد بن أبي القاسم النكادي. فأوعز هذا الأخير إلى بعض إمشان، من آيت عطا، باغتياله داخل الزاوية، سنة 1337 / 1919. وبذلك يمكن الحديث عن مرحلة جديدة من تاريخ الزاوية الناصرية.

المرحلة الرابعة: بعد مقتل أحمد بن أبي بكر، آلت مشيخة الزاوية الناصرية إلى ابنه عبد السلام (1919 / 1960)، الذي وسمته الكتابات الأجنبية بالذكاء والعلم وكثرة الرحلات، وإن أضحي مرغما على موالاته سلطات الحماية، وأعوانها؛ ولا سيما بعد احتلال بلاد درعة سنة 1931. لكن الزاوية أفادت من ذلك، حيث أمنت من اعتداءات آيت عطا، ونعمت ببعض الاستقرار، على الرغم من ظهور منافسين جدد من البيت الناصري، وخاصة الشيخين يوسف وأحمد الذهبي. وإذا كان الشيخ عبد السلام الناصري قد استطاع الحفاظ على تماسك الطائفة الناصرية، من حيث استمرار التواصل بينها وبين مختلف فروعها، وضمان وصول "مستحقات الزاوية الأم" من مداخيل الفروع، الشيء الذي مكنتها من الزخم الضروري لتحافظ على كيانها؛ فإن الوظائف الحيوية التي كانت تضطلع بها في عهود القوة قد اضمحلت، شأنها في ذلك شأن كل الزوايا المغربية.

ومن ثم، لم يعد الشيخ الناصري يستمد "شرعيته" من غزارة علمه وتسمكه بتعاليم الطريقة، بل أضحي يستمدّها من الظهير السلطاني. ولم يقتصر على المواصلة مع المخزن، بل أضحي عوناً أو عيناً له في الجهة التي تقع فيها الزاوية، فيمده بالأخبار عن القبائل وعن مثليه. وفي الوقت نفسه خبت جذوة العلم بها، وتراجعت عن ريادة الإصلاح.

ومع هذا كله، فقد حظيت الزاوية الناصرية بالتقدير من لدن الوطنيين وبعض العلماء المغاربة. وفي هذا السياق نذكر أن سلطات الحماية لم يكن يروقها أن يتلى الدعاء الناصري

- سليمان بن يوسف جد هذه الأسرة، ونزيل تيدسي جنوب غرب تارودانت (تد. 1230 / 1815)، وهو علامة درس بفاس.

- ولده الحسن بن سليمان فقيهه جليل، درس بمدرسة إداومحمد الهشتوكية قبل سيدي سعيد الشريف.

- الحاج سليمان بن موماد بن الحسن، فقيهه سكن بأونائين وأخوه الحنفي والعربي، أخذ عن شيوخ سوس، وكان يُعلم أخوته، ومنهم الهاشمي.

- أبو بكر بن موماد شقيق الهاشمي. قال عنه محمد المختار السوسي : "له قبصة من المعارف، أخذ من بعض مدارس هشتوكية، حين لين جالسناه كثيراً عند القاضي أوعمو... ولادته 1296".

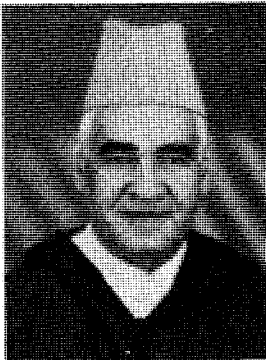
- الهاشمي الناصري.

هؤلاء بعض أعلام الأسرة الناصرية بسوس التي كانت لها يد طولى في رفع راية العلم والصلاح بعمارة المدارس العلمية، وتأسيس الزوايا وتربية الفقراء والمريدين.

محمد الحاتمي

ناظم، امحمد بن الجيلالي (الحاج -) ولد بمدينة سلا سنة 1917. والده شاعر معروف هو الحاج الجيلالي بن علي. كان بيته ملتقى فن الملحون من شعراء ورواة ونساخ. كان امحمد ناظم الطفل يحضر هذه السهرات والجلسات التي كانت فرصة للمتعة وفي الوقت ذاته بمثابة مدرسة لتكوين الشعراء والمطربين في فن الملحون.

بدأ الحاج امحمد نظم شعر الملحون وهو شاب، ويحكي أن صديقاً له من مولاي إدريس زرهون زاره يوماً وطلب منه قصيدة فنظمها استجابة لطلبه وقدمها لصديق والده الشاعر أحمد الطرابلسي (وهو شاعر معروف في سلا)، فاستحسنها وحثه على مواصلة طريق والده الشاعر. وكانت هذه الصدفة انطلاق تجربة طويلة في كتابة قصيدة الملحون التي بوأته مكانة استحقق بها وصف "شيخ الأشياخ".



في كثير من زوايا المغرب ومساجده. ولا تزال هذه الزاوية قائمة حتى الآن، بقيادة الشيخ بناصر الناصري الذي يعد آية في الذكاء والحفظ، مع التواضع والعلم والورع...

مُحمد ابن ناصر، الرسائل؛ الحسين ابن ناصر، فهرسة؛ العياشي، الرحلة والفهرسة؛ اليوسي، فهرسة؛ الهشتوكي، هداية الملك العلام؛ أحمد الناصري، الرحلة؛ م. المكي الناصري، الدرر؛ طليعة الدرعة؛ فتح الملك الناصر؛ اليوسعيدي، إنارة البصائر؛ م. الخليفتي، الدررة الجليلة؛ م. القادري، نشر المشاني؛ الضعيف، تاريخ؛ سليمان الحوات، الروضة المقصودة؛ الولاتي، فتح الشكور؛ أ. الناصري، طلعة المشتري؛ ابن زيدان، إتخاف أعلام الناس؛ الإغراري، روضة الأفتان؛ ع. المراكشي، الإعلام؛ السوسي، المعسول؛ ع. الكتاني، فهرس الفهارس؛ محمد حجي، الزاوية الدلالية؛ الحركة الفكرية؛ أحمد البوزيدي، التاريخ الاجتماعي؛ أحمد عمالك، الزاوية الناصرية ودورها الاجتماعي والسياسي، أطروحة دكتوراه الدولة، شتنبر 2001.

Depont et Coppolani, *Confréries religieuses* ; M. Bodin, *La Zaouia de Tamgroute. Notes sur quelques Zaouias Nacirias au Maroc* ; Michaux-Bellaire, *Conférences* ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse* ; C. Geertz, *Islam observed* ; E. Gellner, *Système tribal... Comment devenir marabout* ; A. Hammoudi, *Sainteté*.
أحمد عمالك

الناصريون في سوس، ينتمي الناصريون إلى الشيخ

سيدي مُحمد بن ناصر دفين تامكروت بدرعة، ومؤسس الزاوية الناصرية بها المشهورة بالتدريس والتخريج، وبترية المريدين وفق الطريقة الناصرية، وبخزانتها الغنية التي تعهدها أبناء الشيخ بنسخ الكتب واقتنائها حتى صارت من أعظم الخزائن المغربية. وقد أنجبت هذه الأسرة أعلاما كبارا في العلم والتصوف كان لهم الأثر العظيم على الثقافة المغربية على مر السنين. وقد هاجرت بعض فروع هذه الأسرة من موطنها الأصلي بتامكروت واستقرت بسوس، وأسس أبناءها هناك أسرا علمية عديدة أنجبت العديد من الفقهاء والعلماء والأدباء والمتصوفة، كان لهم الفضل الكبير في إنعاش العلوم العربية والشريعة والتصوف في ربوع سوس.

ففي زاوية البور بأولوز - شرق تارودانت - نزل أبناء علي بن الشيخ سيدي مُحمد بن ناصر، واستقر بقبيلة إمهريين أولاد سيدي نوح بن يوسف، كما نزل بزواوية إزيض بالقبيلة نفسها أبناء سيدي الحسن بن علي بن يوسف، وهم إخوة سيدي المدني الناصري بتانكرت بإفران، وفي قبيلة تافيلالت بإداومحمد مشهد سيدي الحسين الناصري الذي يقام عليه موسم سنوي إلى اليوم. وفي منطقة إفران الأطلس الصغير استقر القرشي بن الحسن بن علي بن يوسف الناصري حتى وفاته عام 1270، فخلفه ابن أخيه الحاج المدني الناصري المستقر بتانكرت إلى وفاته عام 1306 فترك هناك ذرية من العلماء والأدباء والفقهاء.

وفي هشتوكية استقر بقرية إداوعيسى أبناء سيدي محمد بن بوبكر بن علي بن يوسف، كما استقر بدوار أگرام أبناء سيدي سليمان بن يوسف، وهذا الفرع قد أنتج أعلاما كبارا منهم :

تناول الشاعر امحمد ناظم كل أغراض شعر الملحون من مدح وغزل ورثاء وتوسل، وقد أسهم بشكل لافت في "الوطنيات" لأنه عاش فترة الاستعمار وامتد به العمر في فترة الاستقلال.

ومن أشهر قصائده قصيدة زايدة في الغزل، ومطلعها :
أمير الغرام جارٌ علياً باجنود حاقده * وأبطأه للحرب واجداة
سربة عن سربه امجنودة تحنيد
ومن أشهر قصائده في التوسل قصيدة "التوسل" التي مطلعها :

يسارب الكاينات قسوي زادي ورمني من ديك وهادي
وكرمني عند خروج الروح بالشهادة ورزقي جنة الخلود
وقد أقامت الجمعية السلاوية لهيضة الملحون مهرجاناً
تأبينياً بمناسبة الذكرى الأربعينية لوفاته بسلا بتاريخ 24
رجب 1418 الموافق 14 نونبر 1998 . ألفت فيها قصائد
تأبينية عديدة من طرف شعراء الملحون من بينها من
مكناس : قصيدة الشيخ الشريف مولاي عبد العزيز
العبداوي العلوي. ومن سلا قصيدة : الرثاء نظم الشيخ
الشريف مولاي إسماعيل العلوي السلسولي.
توفي بمدينة سلا بتاريخ 30 / 9 / 1998.

عبد الجليل ناظم

الناظور ، اسم معروف بالشام وبمختلف جهات الجزائر الغربية والريف الشرقي. مثل جبل الناظور ببني أوليشك الريفية وبمدينة سبتة، ولا شك أنه مشتق من النظر، وعادة ما يطلق على نقط المحارس، الجبلية منها والساحلية. والأصل في اسم الناظور المنتمي لقبيلة قلعية، تل مرتفع بنحو 142 م. مشرف على حوض سبخة بوعر ك من الزاوية الشمالية الغربية. ومنه كانت تتم مراقبة السفن الداخلة إلى السبخة حينما التفت نظر البحريين إلى أهميتها ومياهاها الهادئة المحمية بالشريط الرملي الساحلي المحيط بها من جهة الشرق. وتتأكد تلك المراقبة خلال القرن السادس عشر حينما كانت السفن التركية قد اتخذت البحيرة ملجأ لها، والإسبانية التي كانت بصدد دراسة طرق استغلالها.

وأقدم ما نعرفه من مواطن السكن بالسفح الجنوبي من كتلة قلعية أو جبل أكرگور مثلته النواة الموجودة بقرية أزغنغان المعروفة قبل القرن العاشر الهجري من طرف الحسن الوزان، وتعمير الهلاليين لسهب براقه. وعلمنا بعد ذلك بوجود سوق الجمعة وقت حصار السلطان محمد بن عبد الله للمليلة خلال فترة 1774-1775. ويوجد السوق على بعد كيلومترين من قرية الناظور بعد عبور مجرى واد الناظور، موضعه بمنسبط جميل يشرف عليه جبل أربوز لسوق لمزوجة وبالمكان بئر غزيرة التدفق.

ينتمي الناظور إلى قبيلة قلعية، من الريف الشرقي، وقد تدرج عمرانه المعروف في الوقت الحاضر خلال الفترة المعاصرة من اسم لقرية ثم لمدينة وللإقليم أخيراً.

وقرية الناظور القديمة، هي النواة السكنية المتجمعة حول التل المعروف بنفس الاسم منذ ما بعد النصف الثاني من القرن العاشر الهجري (16). فمحمد الحسن الوزان أو صاحب تقييد نسب قبيلة قلعية بعده بقليل لم يذكر أي شيء عن آيت الناظور. ولم تظهر أي علامة للسكن من خلال الرسوم التي خطها الإسبان عن البحيرة في منتصف القرن السادس عشر، مما يسمح بالتحدث عن تأخر تعميره إلى وقت لاحق.

ووجود تجمع قرية "إحدادن سوق السبت" المعروف باستقراره منذ القرن العاشر الهجري (16) بجوار المحرس دليل على تقدم العمران شرق السبخة. ومن دلائل ذلك ظهور سوق "الجمعة القديمة" بإزاء ضريح المدعو مولى بغداد، بجانب القرية من جهة الغرب في اتجاه السبخة يسمح لنا بالتحدث كبدائية عن تجمع قرية آيت الناظور القديمة.

والشاهد لدينا أن آيت الناظور، هم السكان الأوائل المستقرون حول جبل الناظور، وبهم أنيطت مهمة الحراسة، وشكلوا بذلك نواة القرية القديمة. تعرفنا على آيت الناظور من وثيقة مؤرخة بمستهل القرن الثالث عشر (19)، حين تحدثت عن موثق يدعى محمد بن عمروش الناظوري، وهذا دفعنا إلى الاعتقاد بوجود آيت الناظور قبل ذلك التاريخ، قد نعود به إلى ما قبل النصف الثاني من القرن الثاني عشر (18)، مما يوافق ما نذهب إليه من تعمير المكان زمن الحصار المغربي للمليلة. وستتابع مراحل تعمير القرية خلال مرحلتين متتاليتين :

- تكونت جماعة آيت الناظور بالقرية القديمة في المرحلة الأولى بالفراغ المتواري حول تل الناظور الحالي من جهة الغرب، بالمكان المعروف حالياً باسم "إشماي"، ويقابله من تلك الجهة تل "أربوز"، البالغ علوه 108 أمتار. تكونت القرية على ما يبدو خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر، مما كان له ارتباط بتعمير سهب براقه بعرب بني هلال وبني المعقل خلال القرن السابع الهجري (13). وكانت المناسبة إحداث سوق الجمعة القديمة المشار إليه حول بئر ذي ماء جيد، هو المصدر الوحيد بالنسبة لآيت الناظور.

وفي إمكاننا وضع تصور للمرحلة الثانية بامتداد العمران شرقاً نحو الساحل، حول مقدمة الجبل الشرقية في اتجاه سيدي "علي تمكارت". ونستطيع من جهة أخرى تحديد أهمية هذا القسم الجديد من آيت الناظور إذا ما تجولنا بالمساحة التي أتى عليها التخريب الناتج عن الغزو الإسباني، فلم يكن في سنة 1910 قد بقي منه شيء. كانت الدور موزعة على سفح جبل الناظور، مبنية على هيئة وتصاميم عادية. وتظهر بين الدور منارة جامع يدعى الجامع الأبيض، ويستغل السكان بعض الآبار ومخازن الحبوب. وتوجد عند مخرج القرية على طريق مجرى وادي مقبرة المولى بغداد، محيطها نحو 100 متر. وهذا القسم الثاني يميز عن الثالث الذي أنشأه الإسبان إثر احتلال القرية.

- القرية الجديدة : كانت الغاية من احتلال الإسبان لقرية

الناظور خاصة، بعد إجراء صفقة بيع معدن جبل إكسان ببني بوفورور، من القبيلة القلعية، التوصل إلى مد الخط الحديدي نحو حقول المعدن مروراً بقرية الناظور. وقد شكلت مقاومة الشريف محمد أمزيان العرقلة الأساسية لتنفيذ المخطط الإسباني منذ صيف 1909. ولذلك اقتضت استراتيجية الاحتلال محاصرة قرية الناظور من جميع الجهات البرية والبحرية. من تينيمارت، المدعوة خطأً من طرف الإسبان نحو تجمع مدشر العراسي، وتلقت آيت الناظور الطلقات المدفعية من تل تاليوين ومن المواقع التي كانت القوات الإسبانية مرابطة بها في آخر منحدرات كتلة سيدي أحمد الحاج. والنتيجة أن الإسبان أشاعوا الحرق والتخريب والدمار بالقرية، وبالعراسي، التي منها مما عرفناه عرسة الأمين محمد الشادلي التي لم يبق منها شيء.

وفي الوقت الذي أحدث الإسبان بالقسم الثاني من القرية القديمة المخربة ما سمي بالحى العسكري مقابل القسم الأول الذي عرف بالحى المدني، وضعت سلطات مليلة مشروع خلق تجمع سكني جديد يتكون بالقسم الساحلي بين مرسة سيدي علي تمكارت شمالاً وجماعة إشعالن جنوباً. وليس هناك أبلغ من بعض الصور التي التقطت لعمران القرية القديمة منها والجديدة سنة 1909 و1911 وسرعان ما أصبحت قرية الناظور أهم قرى المنطقة.

وكانت المساحة السهلية الساحلية التي نشأ بها عمران هذا القسم الثالث من قرية الناظور في البداية شبه فارغة، لا يظهر منها سوى بعض العرصات المحاطة بشجر الهندي وتبرز في آخرها قبة سيدي علي الحمام. ثم أنشئت ببعض جهاتها المباني الخشبية المخصصة للأهداف العسكرية. وحدث بعد ذلك أن قسمت إدارة مليلة المساحة الفاصلة بين آخر منحدر جبل الناظور وساحل البحر بين سيدي علي تيمكارت والوضع الذي يحمل مبنى فندق الريف الحالي إلى مساحات صغرى مرقمة وزعت على المعمرين مدينيين وعسكريين. وهذه هي التي غزتها تدريجياً الهندسة المعمارية المعاصرة.

وإلى هذا التجمع السكاني المزدوج يصل الخط المعدني الحديدي، بعد مخرجه من مر تاليوين، ماراً بساحل ترقاع إلى أن يمتد بين الحى العسكري من القسم الثاني من القرية القديمة وبين المنشآت الأولى من الحى الساحلي المحدث، يميزه بناء محطة على بعد 200 متر، وقد عاينا بانيها سنة 1946، ولم يتغير حالها إلا في السنوات القريبة. كانت المحطة مكونة من طابقين وثلاث غرف، مقياسها 16 م طولاً و7 عرضاً و10 علواً. وقد واصلت الشركة الإسبانية لمعادن الريف، خطها بجوار السابقة مما يلي الغرب في اتجاه قرية ازغنغان ومواقع لعسارى وأفرا وأخيراً جبل إكسان، وبدأت التجهيزات ومعدات الحفر تندفق على الحقل المعدني.

وبالقرب من الساحل شيئت المقهى الأولى، وهي أقل مساحة من نزالة أعاس، بجوار النادي العسكري المعروف على عهد الحماية، وهو المحول بعد الاستقلال إلى نادي البحر

الأبيض المتوسط الحالي. وعرفت القرية العصرية منذ سنة 1912 تطوراً مستمراً تبعاً لتزايد اقتناء الملكيات، من طرف تجار العقارات ورجال الصناعات. "شمال إفريقيا"، وسرعان ما شيدت أخرى أصبحت مأهولة من طرف الأسبان واليهود وإلى جانبها تكونت بعض المراكز التجارية، ومطعم ودكاكين المأكولات، ومكتبة ووراقة وسوق صغير، وعرفت سنة 1946 أولى تحولاته ببناء المتاجر الصغرى التي لا تزال إلى يومنا هذا شاهدة على ذلك التحول.

وفي سنة 1911 كانت قرية الناظور قد ارتقت إلى مرتبة فرقة، تمتد أراضيها على مساحة نحو 20 كلم طولاً و8 عرضاً من ساحل سيخة بوعرك، بعد أن ضمت إليها خمسة مداشر، علاوة على قرية الناظور. وهي: إشعان، علي الشيخ، (علي أعراس) العراسي والمسامير وإحفظلاين. وعلى بعد كيلومتر واحد يقع وادي الناظور (وادي الخميس) الجاف، ويليه بئر غزير المياه.

وفي سنة 1931 أصبح للناظور مجلس قروي، أساسه القانوني هو المصادقة على ميزانية لجنة الخدمات البلدية للقرية. وتحقق ذلك بصدور ظهير إنشاء لجنة الخدمات البلدية. وبناء على ذلك أصبحت فرقة الناظور متوفرة على مجلس قروي، يضم قرى أزغنغان وسلوان وأربعاء أركمام وزايو ورأس الماء وعرووات وتيزطوطين، وأول نواب رئيسها سنة 1933 هو أحمد بن محمد بن سي عمر، أغنى أسرة محمية ناظورية آنذاك.

وعلى الرغم من كون المشاريع الكبرى وضعت مخططاتها قبل سنة 1921، إلا أن المنفذ منها كان قليلاً جداً. ويمكن أن نضرب المثال بمشروع بناء المستشفى العسكري (نواة مستشفى محمد الخامس الحالي) الذي صدر القرار بشأنه يوم 4 شتمبر 1908، وأعيد المشروع سنة 1928. وكذا مشروع إحداث مدرسة للتعليم بالإسبانية، ومشروع ربط الناظور بتيزطوطين بالخط الحديدي (سنة 1926). كما ظهرت نواة المحكمة (1928) والحزين الصيدلي (1927).

وبوازي هذا التطور ما حدث في العمران المركزي للقرية الجديدة. فمراجعة للتخطيط الهندسي الجديد بدأ أن العمران كان مقسماً إلى أربع قطاعات كبرى، ما تزال إلى يومنا ميزة المدينة النواة عن باقي المساحة العمرانية الكبرى. والفواصل بين تلك القطاعات شارعان، غربي موازي للخط الساحلي، تحده مباني القرية القديمة، وشارع رئيسي يتوسط الجناحين الشمالي والغربي من جهة، وامتصل عمودياً بالقاعدة الشرقية المستندة على شارع ساحل البحر الصغير الممتد بين تل سيدي علي تيمكارت شمالاً ونهاية مجاري التطهير (الواد الحار) الذي حل محله اليوم فندق الريف من جهة أخرى. وبعد ظهور مشروع ربط القرية بالطرق المعبدة الجاري خلال تلك السنوات أصبحت الاستعدادات آنذاك جارية للاعتراف بقرية الناظور كمدينة وعاصمة لمقاطعة كرت.

الناظور مدينة : بدأ ميلاد مدينة الناظور بعد قطع

الدخول في السراية أو بين أقسام القصيدة. وتتكون من أبيات ما بين ثلاثة وخمسة، ويتألف البيت الواحد من شطرين إلى أربعة.

وتأتي "أنواع" القصيدة موحدة القافية حيناً، متباينة حيناً آخر، كما أنها تكون من جنس قافية الأقسام أو من غير جنسها.

ومن أمثلتها : الناعورة الأولى من قصيدة "الساقى" للشيخ الجليلي اميرد :

آسَاقِي مَالِكٌ وَلَهْسَانٌ عَذْلِي لَأَتَكْتَمَنَّ سَوْلَانُ مَالِحَالِكِ مَالُهُ
قَالَ لِي مَا أَبْقَانِي حَيْرَانُ خَاطِرِي وَالسَّاكِنُ دَهْشَانُ مَنْ يَبَا فُتْنَانُهُ
وَالهَدَامُ وَحُسْنُ الحَسَنُ أُولَئِهَا وَالزَيْنُ الفَتْنَانُ أَوْلَهُوِي وَأَخْوَالُهُ
وأكثر ما ترد النواعر في القصائد الميمنة القائمة على قياس "لشركي" من قبيل قصيدة فاطمة للشيخ الجليلي اميرد.

عباس الجراري، معجم مصطلحات الملحن، مجلة الفنون، ع 1، ص 5 رمضان، 1398 / 1978، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، ص. 32. 33. 42. 45 : القصيدة، ص. 158. 159 : محمد الفاسي، معلمة الملحن، ق 1، ج 1، مط. الأكاديمية، ص. 107. 104. 108.

الناقوس (آلة -) معدنية هي عبارة عن قطعة من

حديد سميك على شكل أنبوب، تستخدمها أجواق الروايس في سوس كوسيلة لمصاحبة الرقص وضبط الايقاع.

وطريقة استخدام الناقوس أن يوضع على الأرض ومن تحته شيء - هو في العادة بلغة - يحفظ له رنينه، ثم يقرع بواسطة قضيبين معدنيين أو بما يشبههما من قطع منزلية كالمفتاح أو الملعقة.

ومن اشتهر بنقر الناقوس الفنان الصوري مولاي علي الذي لازم لمدة طويلة الرايس بلعيد ورافقه في رحلاته الفنية. ومثلما تستخدم أجواق الروايس الناقوس، فكذلك تستخدمه مجموعات أحواش التي تطلق عليه اسم "الطاسة". صالح الشرقي، أعضاء على الموسيقى المغربية، مط. فضالة، المحمدية، 1977، ص. 49.

Alexis Chotin, *Tableau de la musique marocaine*, Libr. Orientaliate, Paul Geuthner, Paris (VIe)

عبد العزيز بن عبد الجليل

نال (بني -) من البطون الغمارية المشهورة حسب ابن خلدون، وقد ورد ذكر هذا البطن منذ القرن السادس الهجري عند البيدق الصنهاجي. ويقول أبو حامد العربي الفاسي اعتماداً على نسبة غمارة أن يال ونال (بني نال) أخوان، فتفرع يال إلى بني زيات وبني سلمان وبني منصور وبني بوزرة، وتفرع نال إلى بني خالد وبني رزين وبني كير وبني سميح وبني زجل.

وما زالت إحدى قرى بني حمدون من قبيلة بني كير تحمل اسم بني نال، كما يوجد أولاد النالي بقبيلة بني خالد الغمارية.

مراحل النمو السابقة بصدور الظهير الخلفي المؤرخ في 7 ذي الحجة 1352 / 23 مارس 1934، وقد تصدى الظهير للمواصفات التي استوجبت ترقيتها، منها : فمها العمراني المحتضن لجميع الخدمات الإدارية، خاصة توفرها على إدارة المراقبة المحلية (مقر العمالة أول الاستقلال ثم الباشوية ومبنى البلدية في الوقت الحالي)، إلى جانب مركز للبريد والتلغراف ومحكمة ومجموعة مدرسية، واعتبار الظاهرة الديمغرافية المعتمدة، إذ أن عدد التجمع السكاني الناظور في تلك السنة بلغ 5.000 نسمة. وعينت سلطة الحماية نائب الصدر الأعظم عبد القادر بن الحاج الطيب الشكري أول باشا على المدينة. وبدت هيمنة مدينة الناظور واضحة على جميع المساحة الممتدة من بين واد النكور غرباً وواد ملوية غرباً بعد تأسيس نظام المراقبة وأصبحت مدينة الناظور مركزاً له.

الناظور إقليم : ومع بزوغ الاستقلال أصبح الناظور إقليماً، حيث شغل المقاوم عبد الله الصنهاجي أول منصب في العمالة، على الرغم من أن العديد من المصالح كانت مرتبطة بإقليم وجدة، وفي مقدمتها التعليم، إلى أن استردت تلك المصالح تدريجياً الواحدة بعد الأخرى. وجرباً على ما كان معروفاً في آخر عهد الحماية الإسبانية قسم الإقليم إلى ثلاث دوائر : قلعية والوطا (تشمل كبدانة وأولاد ستوت وبني بويحيى والمطالسة) والريف (ضم بني سعيد وبني أوليشك وقسمان وبني توزين وتافرسيت).

ومع مرور الوقت وإلى آخر القرن العشرين تغير الكثير من ملامح التمدين، بالتجمعات التي كانت من ضمن القرى، على طول الخط الرابط بين الناظور والحسيمة من جهة، وعلى الخط الرابط بينها وبين وجدة أصبحت اليوم مدناً، علاوة على الاتساع العمراني الذي تشهده المدينة كل سنة. وآخر ما سمعنا عن الإقليم أن الناظور ستصبح خلال سنة 2006 مدينة جامعية متعددة الاختصاصات. كما أن الخط الحديدي سيصلها من تاوريرت خلال السنوات القليلة القادمة. ونشير إلى أن الإحصاء السكاني لسنة 1994، بلغ 683.518 نسمة، منهم الحضريون 245.793، والبدويون 437.725.

الجريدة الرسمية لمنطقة الحماية الإسبانية بالمغرب، سنوات 1926. 1935 : حسن الفكيكي، مقاومة الوجود الإسباني بمليلا، الدار البيضاء، 1997 : حمو الشكري، مذكرات شخصية : ضابط الأمور الوطنية، تطوان، 1952 : أرشيف مديرية الوثائق الملكية : خرائط المصالح الإدارية : خريطة طوبوغرافية أنجزت سنة 1934.

D. Berenguer, *Campanas en el Rif y Yebala*, Madrid, 1948 ; A. Riera, *España en Marruecos*, Buenos Aires, 1910 A. Sierra Ortis, *Recuerdos de la Guerra del Kert*, Barcelona, 1914 ; Rafael F. de Castro y Oedera, *El Rif, los Territorios de Guelala y Quebdana*, Malaga, 1911 ; *Recensement*, 1994.

حسن الفكيكي

الناعورة، قطعة قصيرة من الشعر الملحن تأتي بعد

ابن خلدون، العمر، 6، 249؛ البيهقي، أخبار المهدي بن تومرت، ص. 54؛ العربي الفاسي، مرآة المحاسن، ص. 226؛ النقي العلوي، غمارة وحفاؤها، مجلة البحث العلمي، العدد 31، السنة 16 أكتوبر 1980، ص. 33-34.

بوعبيد التركي

النالي (سيدي -) **عبد الرحمن** الشيخ الأستاذ الولي الصالح الزاهد الورع أبو زيد سيدي عبد الرحمان بن أحمد النالي الغماري، يرفع نسبه إلى الإمام إدريس، ترجم له ابن القاضي فقال: "عبد الرحمان بن أحمد النالي معلم الصبيان يكتب المعادي، الرجل الصالح الوارع الزاهد".

أخذ العلم على يد شيوخ منهم أبو زيد عبد الرحمان بن إبراهيم الدكالي الفاسي، وعن سيدي علي حماموش، كما أخذ عليه سيدي محمد الحضر. كانت للمترجم شهرة بمدينة فاس فهو معدود من صلحائها، جاء في منظومة في صلحاء فاس الذين أقبروا بالدور والحومات داخل المدينة.

وسيدي النالي جليل معتبر بجامع المعادي ذكره اشتهر توفي عام 951 بمدينة فاس، وهو أول ميت جاز على جسر الرصيف بعد تجديده، واشتهر عند كثير من الناس أن ضريحه بالمسجد المعروف به الآن من حومة المعادي بفاس.

ابن القاضي، درة المجال، 3: 96.95؛ جذوة الاقتباس، 2: 407؛ جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس، 3: 111-112.

النالي، محمد الفقيه العالم المفتي المحصل أبو عبد الله محمد النالي الغماري المعروف بالسفر، كان من العلماء الكبار، ترفع إليه الأسئلة من الأقطار البعيدة، فيجيب عنها بأجوبة جليظة، نقل كثيرا منها الإمام الونشريسي في المعيار المغرب، والقاضي الرزني في نوازله التي قيدها عن فقهاء الوقت، ويذكر الشيخ أبو محمد عبد الله الهبتي أن الفقيه المسفر من فحول العلماء.

توفي في العشرة الثانية من القرن العاشر الهجري، ودفن ببلاذ بني نال من بلاد غمارة.

ابن عسكر، دوحة الناشر، ص. 34.

الناميسي، عبد الله بن محمد الصنهاجي من أهل طنجة، أخذ عن مشايخ عدة مدن، حيث سمع بسببته من أبي محمد بن عبيد الله، وبمدينة فاس من أبي عبد الله الفندلاوي المعروف بالكتاني الإمام في أصول الدين وأصول الفقه وأبي محمد ابن زيدان. ثم قصد قصر كتامة فأخذ به عن أبي محمد عبد الجليل القصري (ت. 608 / 1211)، كتاب شعب الإيمان من تأليفه. وأجاز له من علماء هذه المدينة أبو محمد بن فليح الحضرمي، وحصل على إجازات من عدد آخر من مشاهير علماء العصر الموحي كأبي القاسم بن الملجوم الفاسي وأبي ذر الحشني وأبي الصبر أيوب الفهري السبتي. وكان يتردد على الأندلس، وولي القضاء بشرش مدة، وكان مشاركا في علم الكلام.

امتحن بالتغريب عن وطنه لسبب لم تذكره المصادر، فقصد تونس في منتصف سنة 641 / 1243، وبها لقيه المؤرخ أبو عبد الله بن الأبار القضاعي البلنسي وسمع منه كثيرا. ثم سرح إلى بلده سنة 647 / 1249.

ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، الدار البيضاء، ج 2، ص. 308؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص. 430.

محمد المغراوي

الناي، آلة موسيقية من أسرة ذوات النفخ. وهو عبارة عن قصبه جوفاء ذات ثقب على جانبها. وتتعدد أسماءها هذه كما أنها تختلف باختلاف مواقع استعمالها. فهي في شمال المغرب "الليرة"، وعند أحواش "العوادة"، وفي الجنوب الصحراوي "أرغول"، بينما تشتهر عند شعراء صنهاجة المعروفين بامذيانز باسم "بوغانيم"، وإن كانت هذه الأخيرة متميزة باحتوائها على قصبين بدلا من قصبه واحدة.

وقد عرفت هذه الآلة في المصادر القديمة بالناي، كما عرفت بالشبابة. ويأتي تعريف ابن خلدون للشبابة بما يدل على أنها هي ذاتها آلة الناي فيقول: "قصبه جوفاء، بأخاش في جوانبها معدودة، ينفخ فيها فتصوت، فتخرج الصوت من جوفها على سداة من تلك الأبخاش. ويقطع الصوت بوضع الأصابع من اليدين جميعا على تلك الأبخاش وضعا متعارفا".

تتميز النايات عن سائر الآلات الموسيقية بأن صناعتها تعتمد على مادة واحدة هي القصب، في حين تتعدد مواد تركيب باقي الآلات كالعود والقانون والغيطة. وتصنع النايات من ذكر القصب البور، وتتقى قضباتها من رؤوس القصبات العليا. ويختلف عدد عقودها والثقوب المحدث فيها باختلاف أحجامها ومجالات استخدامها. ومن نماذج الناي الأكثر شهرة بالمغرب ناي الفرق الشعبية المبنوثة بين قبائل زمور، فهي الآلة الرئيسية في المجموعة، وهي التي يحملها رئيسها. وتعرف بالقصبه الخماسية لاحتوائها على خمسة عقود، تحدث بها ثقب في مواقع تُحدد بشكل دقيق انطلاقا من الطرف الأسفل للقصبه.

يستخدم الناي في كثير من فنون الموسيقى الشعبية المغربية، وخاصة منها المبنوثة في المناطق البدوية. وفيما يسجل غياب هذه الآلة في مستعملات أحيديوس، وفي غناء العيطات، إضافة إلى الفنون الحضرية كموسيقى الآلة والطرب الغرناطي وطرب الملحون، فإن حضورها يعود ليتأكد بقوة في الأجواق التي تمارس ما عرف في المغرب الحديث بالموسيقى العصرية أو ما يتصل بها من أغاني شعبية حديثة. وهذه ظاهرة تعكس وجهها آخر من وجوه تسرب التقاليد الموسيقية الشرقية إلى الأجواق المغربية منذ الثلاثينيات من القرن العشرين.

ابن خلدون، المقدمة، الباب الخامس من الفصل الثاني والثلاثين، مصر، ص. 423؛ ع. بن عبد الجليل، مجلة المناهل، ع. 27، ص 10 شوال 1403 / يوليو 1983، ص. 150.
A. Chottin, *Tableau de la musique marocaine*, p. 33-36.
عبد العزيز بن عبد الجليل

النايية (ضريبة -)، ارتبط ظهور هذه الضريبة اسما وتنظيما بالحقبة السعدية، وهي في جوهرها ليست شيئا آخر غير ضريبة الخراج التي تشكل الأرض وما تنتجها من حاصلات زراعية الإطار الأساس لجبايتها. وبحكم إلزامية أداؤها من قبل كافة الجماعات القبلية عدا تلك التي تربطها بالدولة وروابط الخدمة المخزنية، ميز السعديون في هذا السياق بين قبائل النايية وقبائل الكيش. فالأولى هي التي تؤدي ضريبة النايية باعتبار تمتعها بحق استغلال الأراضي التي تعد مبدئيا ملكا لبيت مال المسلمين، أما الثانية فهي معفاة من أي شكل من أشكال الأداء الجبائي باستثناء الضرائب الدينية، طبعاً (الزكوات والأعشار)، وتؤدي، مقابل ذلك، خدمات ومهاماً عسكرية ضمن سلك تنظيمات الجيش النظامي للدولة. وقد تطورت تسمية النايية بعد القرن الحادي عشر (17)، حيث لم تعد ترمز إلى فط مخصص من أنماط الأرض المستغلة، بل صارت تشير عموماً إلى وضعية الاستتباع والوصاية التي صار المخزن يفرضها بشكل محكم على المجموعات البشرية المستقرة فوقها وما يوازي ذلك من اقتطاع منظم لجزء هام من حصيد إنتاجيتها.

ولتنظيم جباية النايية وتحديد صيغ فرضها، اعتمد السعديون تصورا خاصا للأرض يستجيب للتحويلات التي حدثت على مستوى الخريطة القبلية وتوزيعها السوسيو-مجالى. فإذا كان عبد المؤمن الموحدى أول سلطان ضرب الخراج على مجموع الأراضي المغربية باستثناء الجبال والأنهار بدعوى أن المغرب فتح عنوة، فإن هذا الوضع سيتغير على عهد السعديين لا سيما بعد التحويلات الجديدة التي شهدتها حركة الاستقرار البشري وما أعقبها من انعكاسات على توزيع المجموعات القبلية بين الأراضي السهلية من جهة والأراضي الجبلية من جهة أخرى. وتبعاً لذلك وأمام صعوبة، إن لم نقل استحالة، التمييز بين الأراضي الصلحية والأراضي العنوية وتعيين نطاقات امتدادها وحدودها الفاصلة في المجال، جنح السعديون استناداً إلى منطق الاجتهاد والتقريب إلى اعتبار الأراضي السهلية ملكاً للدولة أي للسلطان يقرر بشأنها ما يراه ملائماً حسب ما تلميه عليه إرادته الخاصة، ولذلك طبقت على هذا النوع من الأراضي ضريبة النايية. في حين تركوا الأراضي الجبلية لنظر العلماء ليقرروا في حالها ومآلها ما يرونه منسجماً مع قواعد الشرع الإسلامى وغير متناقض، في ذات الآن، مع المصالح الحيوية للبلاد.

وقد عرفت ضريبة النايية تطوراً خاصاً عبر سيرورة تحصيلها في العهد السعدى. فقد استخلصت نقداً على شكل معونة أيام القائم بأمر الله وابنه أحمد الأعرج. يقول الإفرائي في هذا الخصوص: "فلما اجتمع عنده البيض، أمرهم أن يأتي كل من أتى ببيضة بدرهم ففعلوا فاجتمع عنده مال وافر فأصلح به شأنه قوى به جيشه. غير أن هذه الصيغة تغيرت بعد ذلك على عهد محمد الشيخ فصارت النايية تجبى على شكل عيني لا سيما بعد أن ارتفعت الأسعار ارتفاعاً مضاعفاً عما كانت عليه من قبل، وقد قدرت كمياتها عهدئذ بصفحة شعير وعشرين مداً من القمح لكل نايية وصاع من السممن وكبش عن كل أربع نواب. وقد تواصل استخلاص ضريبة النايية على هذه الشاكلة إلى أن أعاد أحمد المنصور تحصيلها نقداً ليتم تحويلها من جديد إلى ضريبة عينية على عهد ابنه الأمير زيدان بعدما اكتشف أن زمانه غير زمان أسلافه لأن الأسعار ارتفعت يومئذ بصورة لم يسبق لها نظير من قبل.

والجدير بالإشارة في هذا الإطار أن السعديين ارتكزوا في تحصيلهم لضريبة النايية على وحدة الكانون (جمع كوانين) وذلك بهدف تسهيل عملية توزيع المقادير الجبائية المستحقة على كل قبيلة على حدة من جهة، وتسهيل مهمات الجمع والحساب على عمال الجباية من جهة ثانية. إذ كانت كل خيمة فرادية مطالبة بأداء نايية النايية التي كانت تشكل عند جمعها في المحصلة النهائية ما كان يدعى نايية القبيلة. ويعود تقسيم القبائل إلى خيام فرادية في الأصل إلى عهد محمد الشيخ، وهو تقسيم ظل يمثل القاعدة التنظيمية لكل الأنماط الضريبية التي عرفها المغرب السعدى تقريباً. والواقع أن التغيير الذي كانت تعرفه الخيام إما بالزيادة أو النقصان في عدد عناصرها كان يفقد هذا الشكل من التقسيم، مع توالي الزمن، نجاحته التنظيمية ومشروعيتها الاجتماعية داخل المنظومة القبلية. ولعل هذا الوضع هو ما أوضحه ميشو بيلير في المستويين التاليين :

- اندثار بعض الخيام (الكوانين)، وهو أمر كان يؤدي حتماً إلى توزيع ناييتها على الخيام الأخرى المتبقية.
- تزايد عدد الخيام، ذلك أن كل خيمة فرادية كانت تتحول مع مرور الوقت إلى مجموعة من الخيام الفرادية وذلك بفعل عملية التكاثر الطبيعي التي كانت تعمل على تغيير التركيبة العددية لخيام القبيلة.

والمؤكد، أن الاعتماد على نظام الكوانين كهيكل تنظيمي قار لتقدير وتوزيع واجبات النايية دون احتساب التفاوتات الموجودة في الواقع بين مختلف الكوانين المؤلفة لكل كيان قبلي ودون الأخذ في الحسبان، فضلاً على ذلك، الفرق الواضح بين السنوات السمان والسنوات العجاف ومدى تأثيره على الإنتاجية السنوية، كان يتسبب في استنزاف وتآكل القاعدة المادية للأسر والعشائر وإجبارها في أحيان كثيرة على ترك مزروعاتها ومواطن استقرارها والهجرة

صوب مناطق أخرى جديدة. وهي ظاهرة كانت تجدد في تعسفات جهاز الجباية الذي كان يتمتع بمطلق السلطة في إدارة شؤون الجباية تقديرا وتوزيعا وتحصيلا في غيبة أي رقيب أو حسيب في الغالب الأعم كل أسباب التفاقم والانتشار على نطاق واسع.

الإفراني، نزهة الحادي، 89؛ عبد الله كتون، رسائل سعية، 1954، 145-149؛ إبراهيم الحساني، ديوان قبائل سوس، تح. عمر آفا، مجلة دراسات، أكادير، ج. 1، 1987، 85-112؛ محمد مزين، فاس وباديتها، ج. 2، 486-489.

Michaux-Bellaire, L'impôt de la Naiba et la loi musulmane, *Revue du Monde Musulman, juillet-août, n° VII-VIII, 1910, p. 401* ; L'organisation des finances au Maroc, *Archives Marocaines, 1907, p. 181 - 182* ; Les impôts marocains, *Archives Marocaines, vol. I, n°1, 1904, p. 165.*

الفقيه الإدريسي

نايت الطالب محند ولد سنة 1915 بدوار إدباحموش

بجماعة التامري الحالية، بناحية حاحا الجنوبية التابعة لتنفيذ دائرة أحواز عمالة أكادير - إداوتنان. نشأ في أسرة مشهورة بالعلم والفقه والشرف، وتعلم القرآن وحفظه في وقت مبكر من طفولته بالكتاب، ثم درسه جيدا على يدي جده وعمه. وانتقل إلى زاوية إغللال بإداوتنان، ثم إلى زاوية السباعين بناحية مراكش لاستكمال دراسته الفقهية، وكان مولعا بدراسة كتب الفقه والأدب واللغة العربية.

اشتغل في بداية حياته العملية بالفلاحة، والصيد، في بلده؛ ثم انتقل إلى مدينة أكادير في وقت من الأوقات، طلبا للرزق، فكان أول عمل زاوله هو التجارة. فبدأها بممارسة بيع التمور تحت خيمة عادية، بالسوق المحلي، ولما نجح في كسب بعض المال، قام بشراء دكان وجعله مقر عمله ومحل تجارته، وعنونه بلافتة حملت اسم: "الهلل"، بزئقة المسجد (رقم 47) بحي تالبرجت القديم، وذلك منذ سنة 1945. ومع مرور الوقت، عمل على تطوير تجارته وزيادة أرباحه وتخصص في بيع المواد الغذائية، والسكر، والشاي، والأتواب، والملابس المحبوكة، وصار من بين التجار الكبار.

انخرط مبكرا في حزب الاستقلال، وصار يمثله في مدينة أكادير بصفة رسمية إلى جانب عباس القباج وقاسم بن حيون وأحمد بن الحاج أخنوش والباعقلي؛ ثم أصبح عضوا بارزا في القسم السياسي للحزب. وقد ساهم بشكل فعال في كل الأنشطة السياسية التي قام بها على صعيد مدينة أكادير بالخصوص، وجنوب المغرب بشكل عام. وكان يشرف على أعمال التنسيق بين مختلف فروع الحزب سرا في المنطقة، وعلى جمع التبرعات المالية لمساندة كفاح الوطنيين المغاربة وعناصر المنظمات الفدائية المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي، كالمنظمة السرية التابعة لحزب الاستقلال، والفرقة التحريرية، ويد سوس للمقاومة، وجيش الأطلس، وعندما ظهر جيش التحرير، عمل على دعمه وتزويده بالأموال والرجال. وقد لاحقته عناصر الشرطة السرية الفرنسية عدة مرات،

واستجوبته، ثم اعتقلته في آخر المطاف في إطار سعيها إلى حظر حزب الاستقلال والقضاء عليه. وقد تعرض للتعذيب أثناء استنطاقه، وقدم للمحكمة العسكرية.

واعتقل في أحد سجون جنوب المغرب إلى جانب عدد كبير من رفاقه من أطر ومناضلي الحزب والمقاومين المنتمين إلى مختلف المنظمات الفدائية المسلحة. وبقي الجميع فيه لعدة شهور إلى غاية عودة الملك محمد الخامس، وحصول المغرب على الاستقلال سنة 1956.

وبعد خروجه من السجن، عاد لمزاولة عمله والعناية بأسرته، بالإضافة إلى الاستمرار في القيام بمهمته السياسية كأحد أهم الأقطاب الرئيسيين لحزب الاستقلال بمدينة أكادير وما جاورها.

توفي سنة 1960 في كارثة زلزال أكادير.

خالد أوشن، الوعي الاجتماعي بالمقاومة الوطنية، نموذج أكادير، 1953 / 1956؛ بحث لنيل الإجازة في التاريخ تحت إشراف، محمد أعفيف، برسم السنة الجامعية، 1986 / 1987، بشعبة التاريخ والجغرافية لكلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط، مرقون؛ تصريح لأعضاء، الفرقة التحريرية، المعروفة باليد السوداء، مقدم إلى رئيس اللجنة الوطنية للمقاومة وأعضاء جيش التحرير، مؤرخ بتاريخ 10 / 07 / 1979؛ وثائق خاصة.

خالد أوشن

نتيفة، امتد موطن قبيلة نتيفة في جنوب تادلا.

يجاورها من الشرق كل من آيت عتاب وآيت مساض وأزليل، ومن الشمال بني موسى، ومن الغرب السراغنة وخاصة بني عامر وأولاد يعقوب منهم ثم أولاد خلوف، ومن الجنوب تانانت (أولتانة). وبناء على هذا الامتداد، تقدر مساحة نتيفة بحوالي 900 إلى 1000 كلم².

وإذا كان يصعب تحديد معنى لفظة نتيفة فيما لا شك فيه أن لها صلة بجغرافية ومناخ هذه البلاد كما هو معلوم في ارتباط لفظة تادلا - مثلا - بأكوام الحصاد. ونميل إلى الاعتقاد بأن هذه التسمية مشتقة من "التنتف" و"التنتفة" بمعنى ما يُنتف بالأصابع من النبات أو نحوه، أو القليل من الشيء. وقد تعود السكان على إطلاق لفظة "التنافة" في مجموع تادلا المجاورة على أعمال جمع المحصول في فترات القحوط - وما أكثرها - حيث يستحيل حصده بالمنجل لقصره، وبالنظر إلى انتشار الجفاف في هذه البلاد فإن سنين "التنافة" تغلب على سنين الحصاد. ويلاحظ مدى التقارب بين "التنافة" و"نتيفة" إن لم نقل التطابق بينهما. وهكذا فإن سكان قبيلة نتيفة وقطاعهم ظلوا يقتاتون بالقليل والقصير من السنابل والكلأ.

أما إنطولوجيا القبيلة فنميل إلى الاعتقاد بأنهم عرب تبربروا بالنظر إلى مجاورتهم لقبائل بربرية مثل آيت عتاب وآيت مساض.

ومن حيث الجغرافية يبلغ متوسط الارتفاع ما بين 550

إلى 650 م. وتميل الأرض من الجنوب والجنوب الشرقي في اتجاه الشمال والشمال الغربي. وتنتصب داخل هذا الامتداد قمم تعكس هذا الميل وهي من الشمال إلى الجنوب قمة تادرات العمدوق (585 م) غرب دوار باهي وقمة طلعة النبورج (605 م) في شمال شرق بزو وقمة أدرار أسيدزون الشعير (685 م) في جنوب غرب دوار اغبالو وقمة تامگوت ارززگا (764 م) شرق أدرار السابق وقمة فم الركبة (903 م) في جنوب غرب نتيفة، وقمة مينوركولوش (840 م) في جنوب شرق البلاد.

وتتميز البلاد بالتقطع، تنتشر بها أودية ومتون. ويؤكد اتجاه تدرج عمق الأودية حقيقة اتجاه الانحدار العام للبلاد أيضا. يبلغ متوسط العمق في الشمال حوالي 60 م. عند آيت موللي، وفي الوسط الشرقي ما بين 210 م إلى 340 م. عند زنگو وشرق بزو، وفي الجنوب 100 إلى 160 م جنوب غرب دوار عبد الله. وتنتشر بسائط داخلية في الشمال ببلاد امزور عند مدينة اليهود، وفي الشمال الشرقي ببلاد بني غمو، وفي الجنوب الغربي ببلاد بوإسمدي وبلاد الولجة.

ويقوم وادي العبيد بسقي أقصى الشمال الشرقي للبلاد. يجري على شكل كوع أو منعطف عميق جدا وهو حوالي 270 م. عند مدخله لنتيفة و659 م عند خروجه منها. ويستقبل روافد تخترق قلب نتيفة أهمها وادي إيغزر ووادي التالت وفم ارززگا وإيغزر تيرالي وإيغزر قلووش في جنوب غرب البلاد، وإيغزر اسمسيل في شرقها. لكن معظم الجريان موسمي بسبب طغيان الجفاف. وقد حفر السكان عدة آبار قرب تجمعاتهم للتزود وذلك بعد دخول الاستعمار واضطراهم للاستقرار.

وبزو هي أقدم تجمع في المنطقة، ذكرها الحسن الوزان في القرن 16. تقع عند الضفة اليسرى لوادي العبيد، بعيداً عن فيضانه، ويسقيها وادي إيغزر تيرالي الأتي من الجنوب الغربي، وإيغزر تيكراتين من الجنوب الشرقي. وتطل على بلاد امزور ومدينة اليهود. إن موضعها هو موضع ثنية وادي، لكن موقعها هو ملتقى مواصلات بين بلاد آيت عتاب والجهات الشمالية والغربية، أي من الجبل إلى السهل بواسطة خندق وادي العبيد الذي يعتبر ممرا طبيعيا. وهكذا فإن بزو هي محطة توقف وتموين وتبادل بين الحوز والسرراغنة جنوبا وبين تادالا شمالا. وانبثت دواوير كثيرة على ضفاف وادي العبيد شمال بزو مثل زنگور وآيت اوآكن ومازوز والقصر ودوار واوغينت وذلك على الضفة اليسرى من الجنوب إلى الشمال؛ ثم تاگونت وآيت موللي وآيت بوطيمير من الجنوب إلى الشمال أيضا على الضفة اليمنى. ونشأت قرب رافده إيغزر تجمعات أخرى كثيفة من بزو في اتجاه الجنوب وهي دوار كرمود، ودوار باهي ودوار تينولين ودوار لعطاف ودوار اغبالو، وبعد هذا الأخير ثاني تجمع مهم بعد بزو شاملا سي مولاي حسين ونشأت في أقصى جنوب نتيفة دواوير عبد الله وآيت حسان.

نظرا لسواد الجفاف وتقطع البلاد، انحصر الاستغلال بضاف رافد العبيد وهو وادي إيغزر وبالضبط بين التقاء مسيلاته عند دوار اغبالو إلى التقائه بوادي العبيد شمال بزو، وغرس السكان أشجار الزيتون في بلاد امزور وبعض البساتين عند اغبالو، بينما تنعدم الغاية.

أما من جانب التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لنتيفة إلى دخول الاستعمار الفرنسي فقد ظلت نتيفة بلاد مرور، وكانت بزو محطة مهمة للقوافل، وسادت البداوة المتطرفة معظم الإقليم بسبب قساوة المناخ. وظلت تتجاذبها الحوز ومراكش جنوبا وتادالا شمالا. ولم يقم بها قياد كبار محليون، وخضعت في الغالب لقواد الجنوب. وظل السكان يفرون من أرضهم ويخلونها في مناسبات عديدة كالقحوط أو تعسفات قواد الجنوب أو بسبب مجئ محلات المخزن. لذلك لم يستقر السكان بانتظام ولم يتأسس لهم تاريخ متميز بهذه البلاد.

ورد ذكر قبيلة نتيفة في بعض كنانيش المخزن بمناسبة ذكر الحوز أو السرراغنة وذكر قواد كلقوا بجباية منها. ثم تعرضت لها تقارير الحماية في أكبر مناسبة هي بداية مقاومتها ضد الغزو الفرنسي، وبالخصوص أخبار حرب لهري بها. وفي تقرير شهر دجنبر سنة 1914 عدت نتيفة جزء من فرع وإقليم مراكش. وأفاد ذلك التقرير وصول أصداء حرب لهري خلال مجموع دجنبر، أي بعد شهر من لهري، إلى هذه القبيلة فأثار فيها تعاليق متعددة، غير أنه لم يعقد أي اجتماع علني. واعترف الفرنسيون بأن بعض القواد أخذوا يتقربون من المقاومة، فزاد نشاط أولئك الذين رغبوا في الحفاظ على سلطتهم وضغطوا على منقادهم، وهكذا أنجز القائد صالح أوراغ جولة لدى الرفالة، ولما تقرب القائد محد الزناكي من القبيلة وتطابق رأيه معها جاء القائد أوشطو الخاضع لنفوذ المدني الكلاوي واعتقل محمد الزناكي وقاده إلى دمنات، واعتقل أوشطو أيضا بعض السكان. وهكذا أصبحت نتيفة تابعة لإقليم مراكش إلى حدود 1914

خريطة القبائل، سلم 500 000 : 1؛ جبران مسعود، الرائد، منجد لغسوي، بيسروت، دار العلم للملايين، 1967، ص. 1480؛ خريطة بزو، مقياس 50 000 : 1، سنة 1922؛ تقرير دجنبر، 1914، ص. 7.

المالكي الملكي

النتيفي الجعفري، حسن بن عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم، فقيه علامة، وحافظ محدث، دمث الأخلاق، طبيب الأعراق، ازداد بفاس سنة 1337 / 1918، وحفظ القرآن الكريم في كتاب الفقيه الماحي الحريزي، كما تلقى دراسته الابتدائية على يد أخيه أحمد، أما دراسته الثانوية والنهائية، فقد أكملها على يد والده، وأثناءها قام بختم الأجرومية في النحو مرارا، والألفية والرسالة لأبي زيد القيرواني، وابن عاشر، ومختصر خليل والتحف، والامية

الأفعال والجمل والمنطق، والأربعين النووية، ودرس البخاري، والفرائض ومقصورة ابن أبي دريد.

وعندما بلغ درجة العلماء تصدى لتدريس التوحيد والفقه والنحو والعروض والبيان والمعاني والبديع والأصول والتفسير والمنطق والأدب والتاريخ والجغرافية.

وكان يحضر حلقات دروسه إخوته وتلامذته الذين - بفضلهم - استطاعت نخبة منهم أن تكون في مستوى حصيلة العلوم والمعارف التي تلقتها عنه، وانتفعت بها روحياً وفكرياً واجتماعياً.

وما إن أصاب والده مرض العجز والشيخوخة، حتى أخذ ينوب عنه في الإمامة وإلقاء دروس الوعظ والإرشاد بالمسجد اليوسفي، هذه الدروس التي استفاد منها جمهور من عامة الناس في أمور دينهم ودنياهم.

توفي في شهر يوليوز 1399 / 1978.

ترك ديوان شعر، ومجموعة من التأليف، منها تحفة الرسائل في أنواع من المسائل، وتنبيه أهل الإيمان لبعض أخبار النبي عن هذا الزمان، وكتاب حول فلسفة التشريع الإسلامي، بالإضافة إلى ترجمة مطولة خص بها والده، وهي الترجمة التي صدر مختصر لها سنة 1400 / 1979.

عبد الرحمن القباچ

النتيفي، عبد الرحمن بن محمد، ولد سنة 1303 /

1886 بقرية المقاديد إحدى قرى القبيلة المذكورة. أرسله والده إلى كتاب القرية، ولم يتجاوز الرابعة من العمر. لكن ظروفه صعبة اضطرت أسرته إلى الهجرة، طلباً للعيش. ولما ألفت الأسرة النازحة عصا التسيار ببلدة سطات، تابع الطفل عبد الرحمن حفظ كتاب الله. وتتملذ بعد ذلك، على الشيخ أبي شعيب البهلولي الذي أخذ عنه بعض مبادئ العلوم اللغوية والشعرية بتلك المدينة. إلا أن مكوثه بها لم يتجاوز ست سنين؛ فارتحل من جديد صحبة رفيقه وتلميذه فيما بعد، الفقيه عبد الرحمن بن الدريوش، متوجهين إلى مدينة فاس.

أقام المترجم، مع رفيقه المذكور، بالمدرسة المصباحية المجاورة للقرويين؛ حيث لازما معاً الجامع الأعظم. وهناك تلقى العلم عن مشاهير شيوخ فاس يومئذ، كمحمد التهامي گتون ومحمد بن جعفر الكتاني وأبي العباس أحمد بن الحياط وأبي محمد عبد الله الفضيلي وأبي محمد عبد الكبير الكتاني. ولم يغادر فاساً إلا في سنة 1325 / 1907، بعد أن امتلاً وطابه علماً وأدباً. ومن أجازته من العلماء، أحمد بن الحياط، وشعيب الدكالي، وعلي الدمناطي. ومن بين من أثنى عليه، عبد الرحمن ابن زيدان، وعبد السلام السرغيني، ومحمد المختار السوسي، ومحمد بن العربي العلوي.

وفي طريقه إلى مدينة مراکش، عرج على مدينة الدار البيضاء، حيث مكث مدة عشرين يوماً أمضاها في إلقاء الدروس بالزاوية الكتانية. ثم واصل سيره بعد ذلك، قبل أن

يتوقف بمدينة سطات لزيارة شيخه الأول أبي شعيب البهلولي، الذي صحبه إلى مراکش. فأقام هناك أيضاً عشرين يوماً، ثم قفل عائداً إلى نتيبة ليلتحق بأهله ماراً ببلاد السراغنة.

وفي أواسط شهر رجب قرر العودة إلى فاس؛ فمر بالدار البيضاء التي كانت محاصرة من قبل الجيوش الفرنسية الغازية؛ فشهد موقعة تادارت التي قال عنها: "وكنت وقت الإغارة الفرنسية أصلي الضحى، فسلمت منها وعمدت إلى فرس كان موثقاً بوتد خيمة فامتطيته وفررت به قاصداً سطات والناس أدبروا هارين لا يلوون على شيء كل يطلب النجاة لنفسه..." وختم كلامه عن الهزيمة قائلاً: "...[و] تركوا كل ذلك غنيمة باردة للعدو، دع عنك القتلى والجرحى الذين لا عد لهم". وأمام هذا الهول صرف المترجم نظره عن مدينة فاس. وبعد استراحة قصيرة بسطات، قصد تادلة التي لقي بها أحد زملائه في الدراسة بالقرويين، ويسمى صالح الرواضي؛ لعله من قبيلة آيت الرواضي المعروفة بتادالا. فانطلقا معاً متوجهين إلى قبيلة آيت حمو أعيسى، من بلاد زاين، التي شارطت المترجم على تعليم أبنائها. يقول الشيخ زحل: "لم يلبث القوم أن أدركوا منزلة الشيخ فأحبوه وأكرموه. وصار وجيهاً فيهم لا يقطعون أمراً دونه، فأقبل الشيخ على الدعوة ونشر العلم، لا يضيع وقتاً ولا يفوت فرصة، وتناقل الناس في الأطلس المتوسط كله أخباره ونبوغ تلامذته، فرغب الكثيرون في الأخذ عنه، فكثر الوافدون عليه بقصد الطلب حتى ضاقت بهم المدرسة". فكان ضيق المدرسة سبباً في انتقاله إلى مدينة خنيفرة، عاصمة زاين، حيث أسس مدرسة جديدة في أواخر سنة 1326 / 1908. ولم يكتف بالتدريس، بل تصدر أيضاً لمحاربة بعض مظاهر البدع والدجل والانحراف السائدة في تلك الجهة، مؤكداً ألا سبيل للخلاص من براثن الانحطاط إلا بالتححرر من سطوة تلك المظاهر، والرجوع إلى الأصول الإسلامية الصافية. فكان ذلك سبباً في إثارة بعض الطرفين ضده.

وكان منهاجه التعليمي يجمع بين الدعاية والجد، بين العلم والعمل. فكما حرص على ملاطفة طلبته بالدعاية والنكتة لئلا يسأموا أو يملوا، كان متمسكاً بتكوين علماء ربانيين، عن طريق التركيز على تلقينهم تربية روحية؛ مستمداً من أحاديث الفضائل، والترغيب والترهيب، والشمائل المحمدية، وسير السلف الصالح، وأخبار الصلحاء والزهاد وقصص التوابين. ومن ثم، لم يكن يحسب إليهم الاشتغال بالوظائف المخزنية، لأنه هو أيضاً رفضها.

وفي سنة 1329 / 1911 استخلف على طلبته الحاج علال الإعيشي، ليشد الرحال إلى المشرق لأداء فريضة الحج، صحبة ثلثة من الفضلاء، من بينهم تلميذه عباس التادالي المعداني، الذي وافاه أجله المحتوم هنالك بعد أداء المناسك. وكانت عودته خلال السنة التالية (1330)، حيث نزل بالدار البيضاء. قبل أن يتوجه إلى خنيفرة، مروراً بأبي الجعد،

محمد بن علي فقيه زاول خطة العدالة سنة 1118 / 1706 .
م. ابن عزوز حكيم، كشف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483
إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

النجار، إبراهيم بن عبد الرحمن السلوي ولد بمدينة
سلا سنة 1315 / 1898 ، ونشأ في حجر والده عبد الرحمن
النجار نشأة دينية في وسط يعقب أريجه بإحياء ليالي المديح
والسماع في المناسبات الدينية المختلفة وخاصة في ليلة
إحياء المولد النبوي الشريف.

التحق إبراهيم النجار بكتاب الفقيه امحمد بوشعراء
المتوفى سنة 1361 / 1943 في مرحلة التعليم الأولى، فحفظ
القرآن الكريم، ثم بمجالس الفقيه العلامة الطيب بن الشليح
المتوفى سنة 1368 / 1949 في مرحلة ثانية فدرس عليه
العلوم الشرعية وعلوم العربية وعلم النحو خاصة وعلم
التوقيات وغير ذلك من العلوم التي كانت تشغل فكر علماء
الفترة من أدب وتاريخ وسيرة وغير ذلك .. ومن ثم كانت
دراسته دينية أصيلة، ساعدت على التحاقه بنظارة أحباس
سلا سنة 1340 / 1921.

كان شغوفاً بالقراءة والمطالعة، يذكر معاصروه أنه كان
يقضي أوقاته في قراءة الصحف الصادرة في المغرب
كالسعادة والمغرب وفي المجالات المشرقية التي كان للمغاربة
تهتم خاص بها كالرسالة والمقتطف والهلال والبصائر
الجزائرية.

اشتهر النجار إبراهيم في وسطه الأسري وفي عمله
بنظارة الأحباس بعنايته بتجويد خطه وبراعته في تدبير
كتابه بأنواع الخطوط المشرقية والمغربية الكوفي والفارسي
والثلثي والديواني، وتفوقه في ذلك، وكان تميزه في فنون
الخط العربي في تلك الفترة مشار إعجاب رؤسائه، مما
استدعى تعيينه في الكتابة العامة بوزارة الأوقاف سنة
1347 / 1929 بالأعتاب الشريفة أو ما يعرف بدار المخزن،
وفي سنة 1363 / 1944 عين محافظاً بوزارة الأوقاف
ومكلفاً بالتفتيش في نفس الوقت.

وتقديرًا لجهوده في إنجاز أعماله فقد أنعم عليه جلالة
الملك محمد بن يوسف بوسامين علويين شرفين أولهما من
درجة فارس سنة 1357 / 1938 ، وثانيهما من درجة ضابط
سنة 1369 / 1950.

كان المترجم له يتمتع بتقدير أبناء مجتمعه وأوساط
أسرته لدمائة خلقه وحسن عشرته ورقيق طبعه، كما عرف
بحفاظه على أناقته وجميل مظهره.
توفي بمسقط رأسه سلا سنة 1370 / 1951.

نحاة المريني

وبلاد المغرب تحتاز مرحلة عصيبة من تاريخها على إثر
توقيع معاهدة الحماية. ولما داهمت الجيوش الفرنسية الغازية
بلاد زايان، شارك الشيخ النيفي وطلبته في الجهاد، حيث
حاربوا الغزاة إلى جانب إخوانهم، في واقعتين : واقعة
أركوس وواقعة أفود حمري. وعلى الرغم من أن المغاربة أبلوا
فيهما البلاء الحسن، فقد انكسروا بعد ذلك بسبب عدم
تكافؤ قوات الطرفين المتحاربين.

وهذا ما جعل الشيخ ينتقل بطلبته إلى قرية تخلنت التي
توجد في تراب آيت يوب إحدى فرق قبيلة آيت حمسو
أعيسى، ليعكف على التدريس. وهناك أيضا لقي حفاوة
كبيرة لدى السكان الذين احترموه وأكرموه. ولما أعلنت
سلطات الحماية الظهير البربري، كان المترجم ممن استنكروه،
إذ جمع الناس على قراءة اللطيف.

وفيما بين 1332 / 1914 و 1340 / 1921 ظل يتردد بين
فاس وقرى زايان، قبل أن يستقر نهائيا بمدينة الدار البيضاء
حيث تعددت مجالات عمله ليجمع بين التعليم، وعقد
مجالس الوعظ، ويتصدر للخطابة والفتوى والمناظرة
والتأليف. والراجح أنه لم يلق بالا للوظائف الرسمية، وهذا
ما جعله يعيش على الكفاف.

وقد خلف عبد الرحمن النيفي مصنفات يبلغ عددها
سبعين عنوانا، وهي مخطوطة، والغالب على هذه المصنفات،
التي جاءت على شكل رسائل ردودا وأجوبة، ثلاثة ميادين :
الفقه والتصوف والإفتاء في بعض مستجدات العصر. هذا
علاوة على فهرسته ورسالته في وجوب الدفاع عن فلسطين،
وغير ذلك.

توفي يوم الثلاثاء ثالث وعشري ذي القعدة سنة 1385 /
15 مارس سنة 1966.

محمد المنوني، المصادر العربية : محمد حجي، موسوعة أعلام
المغرب، ج 7 : أحمد التوفيق، المجتمع المغربي : محمد زحل، عبد
الرحمن النيفي الجعفري، مجلة الفرقان، العدد الخامس عشر،
1408، والعدد السادس عشر، 1409.

أحمد عمالك

النجار، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل
هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة
اسم عائلاتهم بالحروف اللاتينية هكذا Najar - Nayar .
Anajar ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Nijar وهو اسم
مدينة إسبانية ومن أشهر أفرادها : النجار محمد بن أحمد
فقيه ازداد بتطوان يوم فاتح محرم 1236 (9 أكتوبر 1820)
وزاول خطة العدالة من سنة 1269 إلى 1291 (1852- 1874)
وكان من العدول الذين حرروا وثيقة بيعة السلطان مولاي
الحسن الأول يوم 3 شعبان 1290 (1873). وتوفي يوم فاتح
محرم 1322 / 1904. النجار محمد بن قاسم كان يقوم بمهمة
"شيخ النظر" لدى محكمة القاضي سنة 1126 / 1714. النجار

عباس الجرازي، القصيدة، ص. 616. 619؛ محمد الفاسي، معلمة الملحون، ج 2، ق 2. تراجم شعراء الملحون، ص. 56. 60. 80. 243. 274. 316.

عبد العزيز بن عبد الجليل

النجار، محمد ابن المجاهد أحمد ابن المجاهد الحاج محمد بن احسان ينتسب إلى ذفين تالمبوط أو تالنبوط بإقليم شفشاون، سيدي حنين بن يحيى بن سعيد بن مسعود بن عامر بن عمر بن صفوان بن خالد بن زيد بن عبد الرحمان بن عبد الله بن إدريس الثاني، كانت ولادته في ذي الحجة سنة 1296 / 1879 بمدينة سلا، وبها نشأ في أحضان والده الفقيه المقرئ الأستاذ المؤدب بمسجد أبي البركات وتلقى على يده تعليمه الأول، وأصهر إلى ناظر الأقباس الكبرى الأمين عبد الهادي زنيبر (ت. 1328) بابتته السيدة رحمة فأنجبت له خمسة ذكور وثلاث إناث، منهم أحمد صاحب "جريدة التقدم" التي كانت تصدر بسلا.

أخذ المترجم عن أشهر علماء بلده، منهم شيخ الجماعة أحمد الجريري (1861 - 1934)، وارتقى إلى رتبة علامة من الدرجة الثانية، كما أحرز على شهادات علمية من شيوخ العلم بسلا ومراكش وأجاز له أعلام عصره أمثال سيدي عبد الكبير الكتاني (1268 - 1333) وولديه سيدي محمد (1290 - 1327) الشيخ المؤسس للطريقة الكتانية وسيدي عبد الحمي (1302 - 1382) وفتح الله بناني (ت. 1353 / 1933) ويوسف بن إسماعيل النبهاني (1265 - 1350) رئيس محكمة الحقوق ببيروت وتتلمذ عليه أغلب فقهاء بلده.

اشتهر محمد بن احسان بالفقه مع الدين المتين والصلاح والنسك، أخذ الطريقة الكتانية عن الشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني، وسعى إلى الدعوة إليها في جميع أنحاء البلاد؛ وكان يدير مدرسة وهي من أوائل المدارس الحرة بسلا أنشأت في العشرينات من القرن الماضي، كان مقرها بزواية سيدي الشيخ المقابلة لداره بحومة باب سبتة. وترأس الطريقة الكتانية ببلده وكان مديرا للزواية الكتانية التي قام فيها ويضريح سيدي أحمد حجي ومسجده بإلقاء دروس في تفسير القرآن بين العشاءين.

وفي سنة 1343 انخرط في خطة العدالة، ثم انقطع عن ممارستها بعد وفاة القاضي عبد القادر التهامي (ت. 1352 / 1933)، منصرفا إلى بث العلم والدفاع عن مشايخ الطرق، وعندما اشتد الصراع بين مؤيدي الدعوة السلفية من الشباب وبين الطائفة التي تنتصر للطرقية، قام بالدفاع عن التينجانيين ببلده وتصدي لمن كان يطعن فيهم، ثم انتقل بعد ذلك إلى الدار البيضاء للرد على مناوئي الزوايا هناك حيث قام بالتدريس وبقراءة تفسير القرآن وقراءة صحيح البخاري بجامع السوق والجامع الكبير والزواية الناصرية ومسجد مولاي يوسف.

ويطلب من أهل تلمسان تردد على الجزائر واستقر بها

النجار (الحاج -) محمد أحد شعراء الملحون. ولد بمراكش في النصف الثاني من القرن الحادي عشر، وتربى في بيت شيخ الملحون الجليلي امتيرد الذي تزوج من أمه. وقد لازمه في طفولته وشبابه، فتتلمذ عليه، وخدمه في دكانه. ولما تعلم القراءة والكتابة اشتغل بنسخ قصائده وحفظها. وسرعان ما تفتقت موهبته الشعرية، فأقبل على النظم في أغراض الملحون، وكان مما اشتهر بنظمه في مراكش قصيدته "حجامة" التي يقول في حريتها:

أحجام الرياح اترك اغزالي من عرب المهايا لها جيت عارم تدرى الوشام بالطوع.

يامن في الذكر امغشم ماني من لامة القروع
وفي سنة 1194 شاءت الأقدار أن يغادر النجار مسقط رأسه ليستقر بفاس، فيما تذهب إحدى الرويات إلى أنه اختار الرحيل إلى فاس بمحض إرادته، وحتى لا يبقى عائلة على الشيخ الجليلي امتيرد الذي ربما ضاقت به الحال بسبب ما ألم بالبلاد من جفاف استمر عامين لم تطر السماء فيها و"لا اعطت الصابا" كما ذكر في إحدى قصائده، وتذهب رواية أخرى إلى أن المترجم أكره على مغادرة مراكش؛ وعلّة ذلك أن أشياخ الملحون بهذه المدينة أنكروا عليه نظم قصيدة "حجامة" بدل "الحجام"، فخرج عما اعتادوا عليه، وظنوا ذلك منه إهانة لهم وتحقيرا، فشكوه إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ولعلمهم وجدوا عنده ما وافق هذه الشكوى لأنه - هو أيضا - نظم في "الحجام"، فأمره السلطان بترك مراكش، فكان أن اختار مدينة فاس.

ومهما تكن دواعي رحيل الشاعر إلى فاس، فإن القصيدة التي نظمها بهذه المناسبة تؤرخ لسفره الذي كان في بحر سنة 1194، كما تؤرخ لحادث طريف عرفته البلاد في هذه السنة هو كسوف الشمس.

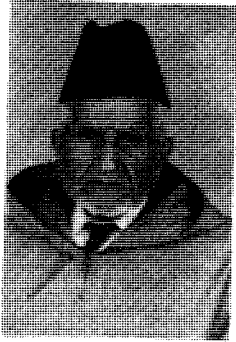
استقر النجار بفاس، وفيها حفّه الأشياخ بالعباية والاحترام، فلقبوه "شيخ الأشياخ"، وأقبل عليه المتعلمون للأخذ عنه، فكان فيهم الحاج الفضيل المرنيسي، وسيدي عبد القادر أبو خريص. ومحمد بن علي ولد أرزين، ومحمد بن سليمان الذي افتخر في قصيدة "التوبة" بتتلمذه عليه، والمكي انشيشير الذي كان حفاظا ورواية لشعره.

وقد أحصى محمد الفاسي للمترجم زهاء ثلاثين قصيدة منها في الغزل: البتول، وأم كلثوم، ومسعودة، والحجامة، وفي الوصف: الناعورة؛ ومنها قصائد أخرى في الوعظ، والتصلية، والتوسل. وله في المدائح ما أهله ليطلق عليه لقب "مداح النبي".

توفي الشيخ الحاج محمد النجار قرابة عام 1243. وإلى هذا التاريخ ترمز قصيدة لتلميذه المكي انشيشير الذي ذكره وترحم عليه فيها.

والده تاجراً للأثواب في قيصارية سلا. وقد توفي بعد أن بلغ عبد النبي سبع عشرة سنة وبعد أن حفظ القرآن وتعلم مبادئ العلوم، المختلفة.

في سنة 1917 انتقل إلى مدينة الصويرة بدعوة من صديقه أمين المرسي السيد عمر الشدادي فهياً له ظروف الإقامة مع وظيفة متواضعة "البحث في التأكد من صحة اجراءات بيع الأملاك" بأجرة 10 بسطات (= 10 سنتيم اليوم).



وبعد أحداث الحرب العالمية الأولى اهتم الأجانب بالأملاك فكان احتكاكه بالفرنسيين فاختلط بالنصاري وركز جهده في تعلم الفرنسية فتعلمها بسرعة وأعد كناشاً نموذجياً في ترجمة العقود الخاص بتسجيل الأملاك بمساعدة من ترجمان البلدية، وقد حفظ النصوص. وبسرعة أصبح يكتب بالفرنسية وسلّمه مدير أحد المدارس شهادة بإتقانه الفرنسية والعربية، فعين ترجماناً بالمكتب العقاري في التسجيل إلى جانب مزاوله وظيفة العدول. وأصبح عدلاً رسمياً سنة 1927.

في سنة 1928 استقال من الوظيفة ومآرس أعمال التجارة لمدة خمس سنوات انتقل خلالها إلى أكادير. في شراكة مع "السيد محمد بن بوشعيب"، المشهور اليوم "بالشعبي" واستثمر أمواله معه وكان يعاصر باشا أكادير يومئذ الحسن أوبراهيم من سنة 1929، وأكبر التجار الفرنسيين "باروطيل" صاحب حافلات النقل وشركات أخرى، والقائد الدمنتاني قائد تارودانت، ومبارك أغتاج بأكادير.

عاد إلى الصويرة في سنة 1933 وعين من جديد وكيلاً عاماً للأملاك المخزنية وخالط كثيراً من الأجانب واليهود في إطار سلطة الحماية كواحد من الأعيان وتعددت أنشطته فهو : مراسل لجريدتي السعادة بالعربية والجريدة La Vigie Marocaine بالفرنسية حتى سنة 1940 وعضو الرابطة الفرنسية للدفاع عن حقوق الإنسان. وكتب عام للجمعية الخيرية بالصويرة، وكتاب جمعية "نقطة الحليب"، وعضو بمكتب السياحة ومقتصد بالمدرسة الفرنسية، ونائب رئيسة

مايقرب من خمس سنوات لنشر الطريقة الكتانية وإلقاء الدروس العلمية، في وقت كان يقوم فيه العالمان السلفيان عبد الحميد ابن باديس (1889 - 1940) ومحمد البشير الإبراهيمي (1889 - 1965) بحملة ضد رجال الزوايا وشيوخها الذين كان منهم عملاء للمستعمر الفرنسي، فتناظر مع أتباعهما وقام بالرد عليهم إلى حين اندلاع الحرب العالمية الثانية ورحيل الإبراهيمي إلى منفاه، وأثناء مقامه بالجزائر كانت ترد على مجالسه وفود من العلماء من تونس والحجاز فمنهم من أجاز واستجاز كالشيخ صالح مدرس الحرم النبوي بالمدينة المنورة.

وبعد عودته إلى سلا، استمر المترجم في القيام بالتدريس والإفتاء والدعوة إلى الله، متعيشاً هو وعائلته ومن كان يرد عليه من الأقطاب من أهل العلم والدين والأعيان من مدخول بعض عقاراته وأراضيه الفلاحية.

توفي في ثاني جمادى الأولى 1375 / 14 يناير 1956، وقد خلف عدة رسائل صوفية.

نبذة عن حياة المترجم بخط يده : موسوعة أعلام المغرب، ج 9، بيروت، 1996، بيروت، 1996 : أحمد معنيو، ذكريات ومذكرات، 1920. 1931، ج 1، 1991 : عبد الله الجراري، أعلام الفكر المعاصر، ج 2، ص. 82 : عبد الرحمان الكتاني، حياة الشيخ أحمد الجريري شيخ الجماعة بسلا، دعوة الحق، ع 4، ص. 53، أبريل، 1979.

محمد الفقير وحمزة الكتاني

النجار، محمد ابن الحاج محمد، المدعو بولان، ولد عام 1280 / 63. 1864. وقد توجه إلى ألمانيا قصد التكوين في ميدان الصناعة الحربية. وبعد عودته منها عام 1305 / 87. 1888 عين برتبة مقدم بطنجة. وظل يزاوّل مهمته هاته اثنتي عشرة سنة، ثم استعفى ليتفرغ للاشتغال بالفلاحة. توفي عام 1363 / 43. 1944.

النجار، محمد بن محمد، من أمهر بنائي سلا، أسند له ناظر الأعباس مهمة مراقبة صيانة قنوات الماء الجاري من عيون البركة الواقعة بغاية المعمورة إلى أحياء سلا، انطلاقاً من باب شعفة المفتوح في السور الشمالي، كان المترجم حياً عام 1118 / 1706.

وثائق أملاك آل فنيش السلاويين، منشورة ضمن ذيل الإتحاف الوجيز لابن علي الدكالي، تح. م. بوشعراء، الرباط، 1996، ص. 315. 323 : ابن علي الدكالي، الإتحاف الوجيز، ص. 239. 240 : ج. الناصري، سلا ورباط الفتح وأسطولها القرصاني الجهادي، مخ. ص. 1. 402، 127 : رواية شفوية.

محمد السعديين

النجاري، عبد النبي، ولد بمدينة سلا بتاريخ 10 يوليوز 1900 ليلة المولد النبوي، وطلب والده تبركا من الشيخ سيدي العربي بن السايح أن يسميه فسماه عبد النبي. وكان

جمعية الحفلات والأفراح. وفي هذه الأثناء زار فرنسا 1937 ووجع الديار المقدسة 1939.

في سنة 1943 إبان الحرب العالمية الثانية انتقل إلى إدارة الأملاك العقارية براكش، وفتح مكتب وكيل للدفاع أمام القضاء الشرعي ثم انخرط في كتابة الضبط وتفتيش الأملاك المخزنية. واستمر في وظيفة عدل براكش حتى حصل على التقاعد في غشت 1956. وقد رجع إلى سلا.

وفي يناير 1957 عينته وزارة العدل ضمن اللجنة المكلفة بإحصاء أملاك الباشا التهامي الكلاوي أمام شكاية 525 من أخذ أملاكهم بدون قانون، وبعد الإجراءات العديدة وسماع المشتكين تبين أن الباشا الكلاوي يتوفر على وثائق تثبت ملكية تلك العقارات، وحُفظ الملف.

وقد استمر عبد النبي النجاري بعد تقاعده ملحقا بمحكمة سلا بوظيفة عدل ببقية حياته.

توفي عبد النبي بتاريخ 11 غشت 1998 ودفن بسلا. وناق شخصية أمدنا بها قبل وفاته؛ عمر أفا، تاريخ المغرب المعاصر، منشورات كلية الآداب بالرباط، 2002، ص. 191.

عمر أفا

النجاعي (القايد -) أحمد بن منصور ولد حوالي سنة

1919 بدوار سوق ثلاثاء الغرب المعروف أيضا باسم النجاجة.

تعرض لليتم في طفولته المبكرة وذلك على إثر وفاة والده حوالي 1924 غداة حرب الريف. فنشأ مع باقي أفراد عائلته في أحضان خاله. ثم أخيه التهامي الذي تسلم القيادة بسهل الغرب خلال أواخر العشرينيات وبداية الثلاثينيات وهي مرحلة حرجة من تاريخ المغرب الراجح آنذاك تحت نير الاستعمار الفرنسي.

التحق النجاعي في بداية تعليمه بمدرسة الأعيان بمدينة سلا ثم تابع دراسته بعد ذلك بثانوية مولاي يوسف بالرباط. وأنهى مساره التعليمي بحصوله على شهادة الدروس الثانوية (بكالوريا من قسمين كما ذكر في مذكراته)، في دورة يونيو 1938.

ثم اختار النجاعي استكمال دراساته العليا في الفلاحة، وهو ذو الأصول القروية. وبذلك التحق بالمعهد الفلاحي "مايفن كاري" (Institut Agricole Maefin carrée) في أكتوبر من سنة 1938، واستغرقت مدة دراسته بهذا المعهد ثلاث سنوات (إلى غاية يونيو 1941). وأنهى مساره هذا بحصوله على ميدالية ذهبية، وحرص بعدها على تنوع تكوينه الفلاحي فاختر كحقل معرفي ما أسماه بـ "الفلاحة المقاومة" (Agriculture militante) وتابع التكوين بهذا المجال التخصصي إلى غاية سبتمبر، 1943.

وعين في سبتمبر 1943 قائدا على قبيلة سفيان، فحط الرجال بقيادة سوق أربعاء الغرب عاصمة سهل الغرب آنذاك. وكان يومها أصغر قائد مغربي يتولى هذه المهمة

الدقيقة، إذ لم يكن يتجاوز عمره آنذاك 23 سنة. وقام بالمسؤولية مدة أربع سنوات، دافع خلالها على إدراج التمدرس الفلاحي في تكوين المتدريس المغربي، وحصل من الحكومة الفرنسية على موافقتها بإدخال المغاربة للمدارس العليا الفلاحية دون اجتيازهم لمباراة الولوج، وذلك سعيا منه لتكوين الأطر الفلاحية المغربية تكوينا حديثا.

أقبل من طرف السلطات الفرنسية ثم تفرغ للأشغال الفلاحية بأملك العائلة، وكان يدعم المقاومة سرا وعلنا، وذلك بحمايتهم وإطعامهم كلما أمكنه ذلك. وبما أن محل سكنه بسوق ثلاثاء الغرب كان محاصرا ودوار نجاجة بدوره كان مراقبا بشدة، فقد أنزلت به القوات الفرنسية عتادها وعدتها. ولا يذكر في مذكراته أدنى شيء عن مقاومته رفقة باقي النجاعيين رجالا ونساء، بل يذكر ذلك من عاشره، وقاوموا إلى جانبه المستعمر مستعملين كافة السبل.

أوكل له المغفور له محمد الخامس في نوفمبر 1955 حقيبة الفلاحة والغابات في أول حكومة مغربية بعد الاستقلال التي أسندت وزارتها الأولى للسيد امبارك البكاي.

استطاع أحمد بن منصور النجاعي أن يهيكل القطاع الفلاحي استجابة منه للتوجهات السامية لمحمد الخامس، وجعل وزارة الفلاحة في خدمة الفلاح المغربي كما أقر بذلك من خلال مذكراته. فباعثاره وزيرا للفلاحة عمل في 13 يناير 1956 على الزيادة في أجور العمال الفلاحين بنسبة تتراوح بين 25 و30 في المائة، علما أن الحد الأدنى للأجور بلغ 250 فرنكا في اليوم.

غادر النجاعي وزارة الفلاحة في نهاية سنة 1956، ولكن عطاءه لم يفتّر خارجها، فقد واصل أنشطته النضالية بإقامته لدعائم العديد من الهياكل الإدارية والجمعية لخدمة الفلاحة والفلاحين وكون في سنة 1957 مع مجموعة من الفلاحين النقابات الفلاحية الأولى، وأنشأ أيضا الاتحاد المغربي للفلاحة Union Marocaine d'Agriculture.

حرص جلالة الملك محمد الخامس بنفسه على حضور المنتدى الأول لهذا الاتحاد، بسوق ثلاثاء الغرب في 22 سبتمبر 1958، رفقة ولي العهد والوفد الوزاري والشخصيات الفاعلة في الحقل الفلاحي من كافة ربوع المملكة. وقد دشن جلالته خلال هذه الزيارة مسجداً ومدرسة الدوار. وبما جاء في خطاب جلالة الملك محمد الخامس بسوق ثلاثاء الغرب، بعد إعطائه المخطوط العريضة التي على الاتحاد المغربي للفلاحة اتباعها من أجل تطوير هذا القطاع، دعوة جلالته لتحديث أساليب الفلاحة واستثمار الأراضي الفلاحية "أوسع استثمار وأجدها"، وتوجيه الفلاحة توجيهها صالحا، وخلق تعاونيات تقام للغرض نفسه، يكثف فيها جميع الفلاحين جهودهم ويقتسمون الأرباح فيما بينهم. توج هذا الاتحاد - الذي يرجع لأحمد النجاعي وضع لبيته الأولى - مساره بعقد المنخرطين فيه أول مؤتمر لهم بمدينة فاس. الذي بارك إلغاء جلالته المغفور

له الحسن الثاني لضريبة "الترتيب" سنة 1961.

لا يعني بتاتا انكباب أحمد بمنصور النجاعي على الشأن الفلاحي إهماله للحقل السياسي، لقد انخرط مبكرا في الحركة الوطنية، واعتبر من الأعضاء المؤسسين لحزب الاستقلال، وعمل على توطيد روابطه بالسكانة الغرباوية، وغرس أفكار هذا الحزب بينها. وشارك في الانتخابات البرلمانية الأولى ممثلا لمنطقة الغرب سنة 1963، وتكرر انتخابه بالبرلمان خلال سنوات 1970 و1977 إلى 1982. واعتبر النجاعي بأن قبة البرلمان هي أهم مؤسسة يمكن الدفاع منها عن الفلاح، ولذا عارض بشدة - في إطار مشروع الإصلاح الزراعي - الحد من الملكيات الفلاحية، كما عارض في 16 نونبر 1982 مشروع وضع ضرائب جديدة على الفلاحين. وقد توج موقفه بالقرار الرائد للمغفور له الملك الحسن الثاني بإعفاء الفلاحين من الضرائب الفلاحية بين سنتي 1982 و2000.

لم تنقطع علاقات النجاعي بالقصر العامر، إذ كان على رأس الوفد الذي استقبله الملك الحسن الثاني في 31 يوليوز 1984 بالدار البيضاء باعتباره رئيس الاتحاد المغربي للفلاحة وقد آمن المنضوون تحت الاتحاد بشعار جلالته "(U.M.A.) مليون هكتار من القمح الطري من أجل تحقيق الاكتفاء الذاتي الغذائي" وأعربوا جميعا عن رغبتهم في تحقيق ذلك التحدي إلى جانب جلالته.

لم تمنع النجاعي مهامه المختلفة داخل الوطن أن يتحمل مسؤولية رئاسة جمعية منتجي الحوامض بالمغرب (A.S.P.A.M.)، وكان مؤسس بارزا ورئيسا للتعاضدية الفلاحية المغربية للتأمينات (M.A.M.D.A.) سنة 1964، واشتهر أيضا كمدير لجريدتي الفلاح وفاكهة المغرب.

امتدت مشاركاته من أجل تطوير القطاع الفلاحي إلى حضور منتديات ومؤتمرات ومعارض خارج الوطن في إطار شخصي أو رسمي ووصل عدد الدول التي زارها إلى 35 دولة أوروبية وآسيوية، كما أنه شارك في مؤتمرات عربية تهتم الفلاحة وتحديثها. وتعود أقدم مشاركاته لفتاح يونيو من سنة 1947 عندما حضر المعرض الدولي بباريس ليستفيد منه حول المعارض الفلاحية.

وكرئيس للاتحاد المغربي للفلاحة تعددت زيارته للدول الأجنبية وتنوعت أهدافها، وسنخص من مشاركاته ما يلي :
- قدم بروما ترشيح المغرب في منظمة الأغذية العالمي سنة 1956.

- شارك في اللقاء الأفرو - آسيوي بالهند وتمحور اللقاء حول بناء العالم القروي.

- حل بألمانية الفيديريالية سنة 1957 في زيارة رسمية ليختبر المحراث العصري (Le tracteur Porsch).

- شارك في مؤتمرات تهتم الفلاحة بكل من بلغاريا ورومانيا، كما شارك في عرض لبيزك بألمانية الشرقية. كما قاده زيارات رسمية إلى جانب أحمد بنهيمة وباقي أعضاء

الوفد الرسمي للعديد من الدول الأوربية ومن ذلك حضوره للقاءات عملية حول القطاع الفلاحي بكل من روسيا وبولونيا وتشكوسلوفاكيا وأيضا زيارته لكل من المملكة المتحدة وفرنسا وهولندا وبلجيكا وسويسرا والسويد.

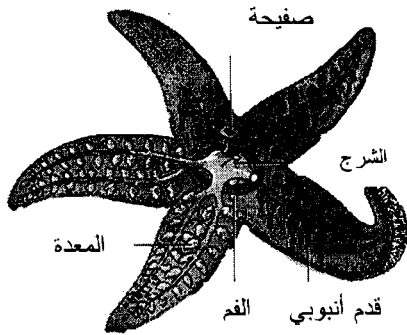
لم يقعه مرضه الذي ألزمه الفراش لأمد طويل عن التواصل مع الفاعلين الفلاحين الاقتصاديين، ورحب بانفتاح الجامعة المغربية على محيطها وكان يرغب أن يشارك الجامعيين في تطلعاتهم كما عبر لي عن ذلك بنفسه. كانت له قدرات فائقة على العطاء صحيفا وعلينا، وكان لطيفا بشوشا، وهو قدوة لنا نحن أبناء المنطقة في صبره وكفاحه ورغبته الدائمة في المعرفة.

توفي يوم الأحد 21 نوفمبر 2004 بمدينة الرباط.

أحمد النجاعي، المذكرات الداخلية، المعاينة الميدانية والرواية الشفوية التي استمعت لها ومنها حكايات جدي محمد بن محمد الصباري النجاعي، المشارك في رعاية أحمد بمنصور النجاعي من 1921 إلى 1961.

البضاوية بلكامل

نجوم البحر ، حيوانات بحرية مفترسة من شعبة النجميات Astéroïdes وقبيلة شووكيات الجلد Echinodermes، تنتشر في قيعان البحار وحشاف الشواطئ. من خصائصها التماثل المتشع الذي يكون في الغالب خماسي الأذرع، ثم الغطاء الكلي للجسم، والألوان الفاقعة التي تتراوح ما بين الأصفر والرمادي والبرتقالي والأحمر وكذلك مقاييسها المتفاوتة إذ يبلغ القطر حسب الأنواع من



سنتيمتر واحد إلى أزيد من متر. تنتقل على قعر البحر في حركات خفيفة ورشيقة. شكلها يحاكي النجم، ولذلك سميت بنجوم البحر. ينقسم الهيكل إلى خمسة مستويات متماثلة، وقد يبلغ عدد الأذرع 50 عند بعض الأنواع مثل الهيليستير الاستوائي. وللأذرع القدرة على إحياء وتجديد الأجزاء المتضررة أو المبتورة.

يشتمل جسم نجوم البحر على تقبين أحدهما بطني هو الفم، والثاني ظهري وهو الشرح، الذي تخرج منه المواد غير المهضومة. يتكون الجهاز الهضمي من بلعوم قصير يصل الفم والمعدة، وقد يميل إلى الخارج بالنسبة إلى وضعه المعتاد فوق

أخينوس، معلمة المغرب : المعلوف أمين، معجم الحيوان، القاهرة، 1932 : الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 : علم النباتات والحيوانات، الموسوعة الحديثة، ج 7، سيلكا سويسرا، 1990. محمد رضاني

نحاس، مبارك بن عمر ولد يوم 25 أكتوبر 1924 بالدار البيضاء في أسرة مهاجرة من قبيلة المناهبة القريبة من تارودانت. درس من سنة 1931 إلى سنة 1941 بمدرسة "لا فيرم بلانش" La Ferme Blanche التي كانت معروفة في الدار البيضاء بلقب "مدرسة القبة" أو قبة والو". اشتغل بالخرائط مدة قصيرة عند أحميدو الوطني صاحب مقاوله "شعاع البيضاء" لإصلاح كهرباء السيارات، ثم بالورش الصناعي للطيران (A.I.A.) بمطار الدار البيضاء، واستقر في النهاية في الشركة المغربية للنقل (C.T.M) سنة 1949، وفيها تولى رئاسة ورشة.

انخرط في حزب الاستقلال والاتحاد العام للتقنيات المغربية (س. ج. ت) في أربعينيات القرن العشرين، وشارك في الوفد الحزبي الذي قابل السلطان ابن يوسف في فاس 1949، من أجل دراسة موضوع حق المغاربة النقابي وموقف القصر منه.

ألقي عليه القبض مرتين :

1) المرة الأولى في "قضية المنشور" حوالي سنة 1948 : ألقي عليه القبض أثناء توزيع منشور، فمثل أمام الخليفة المراكشي بالمحكمة الباشوية في حي الحبوس، وحكم عليه بالاعتقال ثلاثة أشهر، قضاها في السجن المدني المعروف باسم "جس اغبيلة" بالدار البيضاء.

2) المرة الثانية يوم الأحد 8 دجنبر 1952 : حضر مبارك بن عمر الاجتماع الذي دعا إليه الاتحاد العام ذلك اليوم في مقره بزقة لاصال (زقة فرحات حشاد حاليا)، من أجل التنديد باغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد. فكان من زمرة النقابيين الذين اعتقلوا بعد انتهاء الاجتماع (مثل الطيب بن بوعزة والمحجوب بن الصديق ومحمد التباري ومحمد بن إسماعيل وإحسين وبلعيد عبد الله والمعطي الشراوي). سيق إلى كوميسارية المعارف، حيث تعرض للتعذيب أثناء الاستنطاق. ووجه إليه قاضي التحقيق لدى المحكمة الدائمة للقوات المسلحة بالدار البيضاء تهمة المس بأمن الدولة الداخلي والخارجي عن طريق المشاركة في "المؤامرة"، فأمر بإيداعه بالسجن المدني، ثم ينقله إلى السجن المركزي في بور - ليوطي (القنيطرة) يوم 13 مارس 1954. ظل رهن الاعتقال الاحتياطي، إلى أن أسقطت عنه المتابعة، شأنه في هذا شأن عدد كبير من المعتقلين الحزبيين والنقابيين، فأطلق سراحه يوم 28 سبتمبر 1954 إبان مقيمة فرانسيس لاكوست.

ساهم في المساعي التي بذلها الطيب بن بوعزة وعدد من الوطنيين من أجل تأسيس مركزية نقابية جديدة، وهي الاتحاد

فريسته المتكونة من السرطان والرخويات وصغار الأسماك. تتبلع نجمة البحر فريستها وتهضمها دون أن تتلعمها. يوجد الفم في المركز السفلي كما هو الشأن عند قنفذ البحر أخينوس، وتوجد المصفاة على السطح العلوي. الأقدام أنبوية في ميازيب مفتوحة تمتد على السطح السفلي لكل ذراع. يتكون الهيكل من صفائح أو قضبان مرنة تحت الجلد، وكل صفيحة عبارة عن بلورة كاملة من معدن كربونات الكالسيوم. العروق مملوءة بماء البحر بدلا من الدم، ويتركب هذا الجهاز الوعائي المائي من قناة رئيسية مكونة من حلقة حول المريء تتصل بمصفاة بواسطة أنبوية في أعلى الجسم. يندفع الماء خلالها من الخارج ويتفرغ من الحلقة خمس قنوات تمتد منها أنابيب صغيرة تؤدي إلى الخارج، وتنتهي بمصات تعرف بالأقدام الأنبوية لأنها أعضاء التنقل عند هذه الحيوانات. تدفع الماء عند أكياس صغيرة على الأقدام الأنبوية مسببة تمددها، وتنطبق المصات على السطح الموجودة عليه وتقبض الأقدام الأنبوية، وذلك بسحب الماء، وتتعاون مئات من الأقدام الأنبوية في إحداث الانزلاق إلى الأمام.

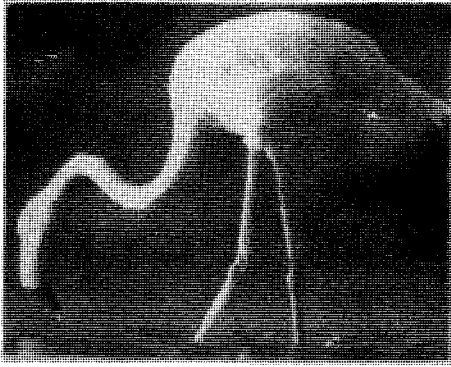
يكسو الجسم عدد كبير من الكلابات ثنائية أو ثلاثية الشعب تسمى الملاقط، تستعمل غالبا في إبعاد الوحل أو الرمل عن الجسم، وفي إمساك الفريسة والدفاع عن النفس ؛ ولبعض الأنواع غدس سامة مرتبطة بالملاقط، ولذلك تعتبر أسلحة فتاكة. ترتب الأجزاء حول محور مركزي مثل محور العجلة، وتكون الأذرع مديبة منبسطة كما هو الشأن عند نوع ليوديا سيلياريس أو أذرع مستديرة عريضة. كل أنواع نجوم البحر مفترسة تتغذى من مختلف أنواع الرخويات، وخاصة منها ثنائيات الصدف الشيء الذي يهدد أماكن تربية المحار بالوليدية وأحيانا يسكها الصيادون ويقطعونها، ثم يلقوا بأجزائها في البحر للتخلص منها إلا أنها تستعيد حياتها من جديد حيث ينمو كل ذراع مبتور ليعطي حيوانا كاملا.

من الأنواع الشائعة على الشواطئ المغربية نذكر : أستروكتين أورانكيانوس له أسنان تشبه المشط أو أشواك على طول حواف أذرع، ونجم البحر العادي استيريس رويانس لونه برتقالي بنفسجي، وهو شائع على السواحل المغربية، يلقي البحر بأفرادها على الرمال. من خاصية نوع مارتاستيرياس جلاسياليس أنه يقذف بإحدى أذرع في حالة إمساكه، فينمو مجددا من قاعدة كل ذراع ويبلغ طوله 20-30 سم وجسمه لين، لونه أخضر باهت يميل إلى الاصفرار.

تم إحصاء حوالي 100 نوع من نجوم البحر في البحار المحيطة بالمغرب وهي تلعب دوراً هاماً في سلسلة التغذية البحرية، إذ يتغذى منها عدد كبير من الأسماك الكبيرة، كما أنها تعطي منظرا خلابا لأحواض الأسماك. من أشهر الأنواع في المغرب : Asterias rubens, Hyphalaster antonii, Hyphalaster gracilis, Tethyaster subinermis, Zoroaster trispinosus, Neomorphaster talismani, Ophidiaster ophidianum, Pentagonaster gosselini, Asterina gibbosa, Chactaster longipes.

Común وبالإيطالية Fenicottero. تبلغ قامته 125-155 سم وتتراوح بسطة جناحيه بين 140-165 سم وتزن الكبار 2500-3500 كرام. الإناث أصغر حجما من الذكور. يعمر 13 سنة. طائر اجتماعي يعيش في مجموعات يتراوح عدد أفرادها بين 20 و2000 حسب المناطق ووفرة الأكل. يتغذى من الحشرات والقشريات والرخويات والديدان المائية وبعض النباتات، يغمر رأسه في الماء ويقلب الوحل بقدميه فيمتص بواسطة منقاره المتخصص في ترشيح كل الأحياء المائية الذي يصادفها. يقف على ساق واحد أثناء الاستراحة ويضع رأسه بين جناحيه مدة طويلة.

يتوالد في أواخر الربيع وبداية الصيف وتوضع الأعشاش متقاربة فيما بينها فوق الأعشاب والمناطق اليابسة بداخل البحيرات. تضع الأنثى بيضة واحدة يحضنها الزوجان بالتناوب مدة 28-31 يوما. يغادر الصغير العش بعد 10 أيام وينضم إلى مجموعة الصغار الذين يكونون حضانة فيحرسهم الكبار حوالي شهرين ويفرز الأبوان سائلا مغذيا لصغيرهما يفرغانه بداخل منقاره. يحسن الطيران بعد ثلاثة أشهر من عمره ويقوم بهجرات كل سنة ليشتو في المغرب وموريتانيا ابتداء من أكتوبر ويعود إلى إسبانيا وجنوب فرنسا بعد فصل الربيع ليتوالد.



شائع في البحيرات الساحلية المغربية كبحيرة الناظور وبحيرة سمير قرب تطوان ومصب نهر اللكوس وتاهدارت وأم الربيع وسوس والمرجة الزرقاء وبحيرات الوالدية وسيدي موسى وخنفيس وشرم الداخلة. يتراوح عدد الأفراد المحصاة كل سنة في بحيرة خنفيس وشرم الداخلة بين 1000 و1500. ويتراوح مجموع عدد أفراد النحام الذين يشتون في المغرب بين 3500 و5000.

يعد النحام من الطيور المحمية على الصعيد الوطني والعالمي ويلعب دوراً هاماً في السلسلة الغذائية بالبحيرات. يرجع لونه الوردى إلى تناول القشريات من نوع أرتيميا سلينا التي تتكاثر في البحيرات المرتفعة الملوحة.

محمد رضاني، خطاف الشعر، معلمة المغرب، ج 11، ص. 3773.
3774 : الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات

المغربي للشغل (20 مارس 1955)، وتولى بعض المسؤوليات فيها مثل عضوية المكتب المحلي للدار البيضاء. وساهم في تأسيس أول نقابة داخل الاتحاد المغربي للشغل، هي نقابة مستخدمي شركة "الستيام"، وتكلف بأمانة صندوقها. وقد خاض مبارك بن عمر ومن معه في مكتب نقابة "الستيام" (مصطفى شمس الدين وشكري عمار بن إدريس وأحمد نوكناف) مفاوضات شاقة مع ممثلي باترونات نقل المسافرين والبضائع أيام حكومة عبد الله إبراهيم، انتهت بتوقيع الاتفاقية الجماعية التي نصت على ترسيم عمال الشركة الستمانية مع الزيادة في أجورهم.. ظل مبارك بن عمر يتولى مسؤولياته النقابية إلى أن أحيل على التقاعد من الشركة في بداية سنة 1984. فساهم في تأسيس جمعية متقاعدي الستيام في السنة نفسها، وكان يساعد شكري عمار بن إدريس أمينها العام. وكان للجمعية دور كبير في تحقيق مطلبين أساسيين للمتقاعدين وهما مطلب التعاضدية ومطلب الصندوق المهني المغربي للتقاعد (La C.I.M.R).

توفي في 5 دجنبر 2000.

رواية شفوية : بطاقة التعريف المسلمة للمترجم له من مديرية الداخلية (إدارة الحماية الفرنسية بالمغرب)، والموقعة من قبل القبطان باران Parent مراقب الدائرة الحضرية الرابعة يوم 12 أبريل 1955.

Albert Ayache, *Dictionnaire biographique du mouvement ouvrier Maghreb : Maroc des origines à 1956*, éd. Eddif, Casablanca, 1998, p. 48 ; Fouad Benseddik, *Syndicalisme et politique au Maroc, 1930-1956*, L'Harmattan, Paris, t. 1, 1990, p. 302, 334 et 508-509.

نجيب تقي

النحام الوردى، واحده نعامه كما هو شائع في المعاجم وكما ينطق به في مختلف الأقطار العربية، طائر من أبداع خلق الله في عالم الطيور، ينفرد بقامته وبلونه الوردى عن كل الأنواع الأخرى في القارتين الإفريقية والأوربية، جميل المنظر، طويل العنق والساقين، أعقف المنقار، أسود طرف الجناحين وسائره أبيض وردى. ينتهي المنقار بسواد، الأقدام كفية وطويلة جدا. الريش أبيض ملطخ قليلا بالبني عند الصغار وبصير وديا تدريجيا بين 4 و5 سنوات من عمره. يألف البحيرات الساحلية المتفاوتة الملوحة. والنحام الوردى هو النوع الوحيد من هذه الفصيلة الذي يعيش في إفريقيا الشمالية وأوروبا الجنوبية وهو شائع في البحيرات الساحلية والقارية بحوض البحر المتوسط.

يصنف النحام إلى رتبة كفيات الأرجل طوال الساق وفصيلة النحاميات Phoenicopteridae. منه سلالة واحدة تعيش في المغرب تسمى علميا *Phoenicopterus ruber* ويسمى في مصر بشروس والكلمة قبطية الأصل، وغرنوق في العراق وسوريا وبالفارسية نحاف وسرخاب، وهي كلمة مركبة من سرخ أي أحمر وآب أي ماء، وبالفرنسية Flamant rose وبالإنجليزية Flamingo وبالإسبانية Flamenco

الحماية بأسرها. تشكل الشغالات من الشمع خلايا بها
عشرات الألوآ من البيوت. كل بيت له أركان ستة وأضلاع
ستة تصنع بإتقان. تتخذ الملكة بيتا في أواسط الخلية لتأمين
حياتها وحولها الجند وهم من الشغالة يحمون ويدافعون
ويعتنون بتنظيف البيوت وتقديم الأكل إلى الصغار. تتحكم
الملكة في جنس ذريتها إذ تعتبر مصدر السكان بكامله.

مهمة الذكور تكمن في تلقيح الملكات وأقوى شيء في
أجسامهم أجنحتهم يطيرون بها بحثا عن الملكة تكون قد
خرجت تطير "طيرة العرس" بعد نضجها ومغادرتها للخلية.
وبعد تلقيح الملكة تنتهي مهمة الذكور، وإذا هم لم يجدوا
ملكة وحل فصل الخريف طاردتهم الشغالات عن العسل وكن
قبل ذلك يعتنين بهم ويأذن لهم بطعام وعندئذ يموتون جوعا.
لسان الذكور قصير فلا يستطيعون أن يبلعوا رحيق الأزهار
ولا يستطيعون له لعقا، وأرجلهم خالية مما يجمع به لقاح
الأزهار وجسمهم خال من غدغ تصنع الشمع ولا يملكون الزيان
في مؤخرة الجسم ليدافعوا عن أنفسهم.

تعود الملكة إلى الخلية بعد تلقيحها عدة مرات فإذا ما
وجدت ملكة أخرى في نفس الخلية تتنازل الاثنان بعد صراع
عنيف فقاتلة ومقتولة. ولا يستخدم الزيان في قتل شيء إلا
أن يكون ملكة. حينئذ تتكون الخلية من الشغالات وملكة
واحدة مهمتها وضع البيض أما الذكور فلا مكان لهم في
بداية صنع الخلية. تبني الشغالات عددا معيناً من الخلايا
بداخل الملكة فتحددن بذلك عدد البيض وطعام الملكة.

تبيض الملكة حوالي 2500 بيضة في اليوم الواحد لتؤمن
للخلية سكانها. تدور على بيوتها الصغيرة فترشق على كل
سقف بيضة. وهي تخرج البيضة غير الملقحة أو الملقحة على
هاواها. فهي تملك حصيلة من البيض الملقح مما جمعت عند
التقائها بالذكور خلال فترة "طيران العرس". ويخرج من
البيضة الملقحة الشغالة والملكة بينما تصبغ البويضة غير
المخصبة من ذكور النحل وعددها قليل مقارنة مع عدد
الشغالات. وكثرة الشغالات في صالح المجتمع لأن العاملات
هي عماد حياة الخلية والعمل فيها. وقلة الملكات والذكور
يتفق أيضا مع صالح المجتمع.

تضع الملكة البيض المنتج للملكات في خلايا أنشئت
خصيصاً من أجل هذا الغرض حيث تلتصق البيضة بسقف
الخلية. ويتم تزويد الخلايا بكميات كافية من غذاء الملكات
لمنع البرقات من الوقوع ولإمدادها بالفالودج الملكي. أما
الشغالات فتربى في خلايا أصغر بكثير منظمة على شكل
أفقي حيث إنها تحصل على غذاء الملكات أثناء الأيام الثلاثة
الأولى من حياتها فقط، وهذا يعلل الاختلاف الواضح من
ناحية التشريح ووظائف كل من الملكات والشغالات إذ
يختلف كل منهما عن الآخر من حيث نوعية الغذاء التي

النحل ، في اللسان الدارج وفي اللسان العربي واحده
نحلة وهي حشرة اجتماعية من رتبة غشائيات الأجنحة
Hymenoptera وفصيلة النحليات Apidae تعيش في خلية
يسود الانسجام بين أفرادها رغم اختلاف المهام المسندة لكل
فئة منها، تسمى النحلة علمياً *Apis mellifera* (mellifica)
وبالفرنسية *Abeille* وبالانجليزية *Bee* وبالإسبانية *Abeja*.
ثلاث سلالات من النحل تربي في المغرب : سلالة أنتيرميسا
(1906) *Apis mellifera intermissa* Buttel Reepen موطنها
إفريقيا الشمالية تربي بكثرة في شمال المغرب وسهول
الغرب. لونها أسود بني داكن وتبلغ بسطة الجناحين 22 ملم.
تبحث عن رحيق الأزهار في مسافات تبعد عن الخلية بشعاع
يفوق 5 كلم وتدافع عن الخلية عند الإزعاج بلدغات قوية.

سلالة النحل الصحراوي (1924) *Apis mellifera*
sahariensis Baldenspreger أصلها واحات المغرب والجزائر
وتونس. لونها أصفر محمر على مؤخرة البطن ويبلغ طول
لسانها 7 ملم. لدغاتها قوية وتبحث عن رحيق الأزهار في
مسافات تتعدى أحيانا 7 كلم. شائعة في واحات درعة
وتافيلالت وسوس ماسة والمناطق الشبه صحراوية المغربية
وشمال إفريقيا.

سلالة النحل الأوروبي (1978) *Apis mellifera major*
Rutthner من أصل أوروبي أدخلت إلى المغرب لإنتاجها
المرتفع للعسل وتربي خاصة في الشمال الغربي من البلاد.
لدغاتها خفيفة وتعرض لأمراض متعددة.
تتكون خلية النحل من ثلاثة أصناف :

اليعسوب أو الأم الملكة والشغالات وهي إناث غير
كاضات واليماخير وهي الذكور واحدها يمحور. والدورة
الحويوية من البيضة إلى النحلة الكاملة تبتدئ من فقس
البيض تحت حرارة مرتفعة ومستقرة بداخل الخلية فتخرج
الديدان لتتناول في أيامها الثلاثة الأولى الفالودج الملكي
وهو أشبه باللبن الحليب وتصنعه الشغالات الحاضنات وتقدمه
للدود، وفي الأيام الثلاثة الثانية تضيف الشغالات
الحاضنات إلى الفالودج خبز النحل تصنعه من لقاح الأزهار.

ومجتمع النحل من أعجب المجتمعات لا نزاع فيه
ولا خصام، يعمل أفراده لخير المجتمع، ويقوم بواجبه أحسن
قيام، ويأخذ كل أجره طعاما من الخزانة. يتنوع العمل،
فتتنوع واجبات وأعمال الأفراد لحاضر الخلية والمستقبلها
أيضا. وتعمل الملكة والشغالات كفريق واحد من أجل خير

يحصل عليها كل منهما أثناء مرحلة البرقة. وتنمو الملكة من مرحلة تكون فيها بيضة إلى مرحلة البلوغ في 16 يوما بينما تكون تلك الفترة بالنسبة للشغالة 21 يوما وللذكر 24 يوما. يقوم نحل الحقل بجلب الرحيق من مختلف الأزهار. وعندما تدخل النحلة الشغالة في الخلية بكيس ملى بالعسل - والذي يكون في الحقيقة مريء النحلة متضخما - تقوم الشغالة بتقيؤ محتوى هذا الكيس في فم شغالة صغيرة تسمى نحلة المنزل أو النحلة المربية والتي تقوم بدورها بوضع هذا الرحيق في خلية وإجراء العمليات اللازمة لتحويل الرحيق إلى عسل. وتجمع لقاح الزهر بشعيرات على رجليها الخلفيتين أشبه بأسنان المشط وتلمه في سلة على رجليها وتأتي به إلى الخلية لتحوطه إلى الفالودج الملكي وخبز النحل. وتقوم على الدود حاضنة رابعة وتحوط رحيق الأزهار إلى عسل وإلى شمع تبني به الخلية. تنظف البيوت وتهويها خفقا بأجنتحتها. تحرس خزائن العسل الذي هو طعامها وقوام حياتها، وسبيلها إلى الحراسة اللسع بزبان موضعه في آخر البطن ومنه يخرج السم. وعندما ينضج العسل أو يصبح قوامه سميكاً، تغلق الخلية بغطاء محكم من الشمع. ويطلب من كل من الشغالات - سواء الصغيرة أو المسنة - تخزين الاحتياجات من العسل لفترة الشتاء.

قد يتراوح عدد الشغالات في الخلية الواحدة بين 10000 و800000، ومجتمع النحل رغم كثرة أفراده متعاون متأخ في صنع الشمع والعسل وبناء الخلايا وتنظيف البيوت وتهويتها وحراستها والدفاع عن المجتمع وحمايته. بعد إسكان البيوت من طرف الملكة تقوم الحاضنات من الشغالات بالعناية بالبيض في مختلف أدواره ويتفقس البيض فتخرج منه الدودة تنغذى من الفالودج الملكي إذا كان مصيرها ملكة ومن خبز النحل إذا كان مصيرها شغالة أو ذكراً. تكبر الدودة في البيت المسدس الأركان حتى تملأ ثم تصنع الشغالة غشاء رقيقاً تغطي به البيت والدودة بداخله وهو غشاء لا يحبس الهواء. تصنع الدودة خيوطاً كأنها الحرير دقة وملاسة لتلف جسمها وتتحول إلى عروس تدعى شرنقة، تتطور شيئاً فشيئاً ثم تنقب الغشاء لتخرج نحلة كاملة.

ومن أجل إنتاج العسل وشمع العسل فلا بد أن تقضي الشغالات حياتها خارج الخلية بين الزهور، فتتعرض أجسامهن الرقيقة للأذى بسبب الطقس السيئ، حيث لا بد أن تولد حرارة كافية بحيث تنجب التجمد عندما تنخفض الحرارة. وأثناء الصيف لا بد أن تخزن الشغالات غذاء كافياً ليستمر طول الشتاء، حيث يمكن أن تتعرض النحلة للموت جوعاً إذا تركت يوماً واحداً بدون طعام.

يعتبر النحل من أكثر الحشرات قيمة من الناحية الاقتصادية لإنتاجه للعسل وشمع العسل. ومن أكبر فائده أيضاً تلقيح المحاصيل الزراعية بما في ذلك الفواكه والخضروات والكثير من النبات الذي ينبت تلقائياً ويمنع تأكل

التربة. ونتيجة للأهمية الاقتصادية لنحل العسل فقد اهتم المزارعون على مر الحضارات بتربية النحل والعناية بمستعمراته من أجل تلقيح المحاصيل وللحصول على العسل ومنتجات أخرى تستخرج من الشمع. وهي مهنة قديمة منتشرة ويعتقد أنها نشأت في منطقة الشرق الأوسط، حيث رعى المصريون القدماء النحل وتاجروا في العسل وشمع العسل في منطقة الساحل الإفريقي الشرقي منذ عدة آلاف من الأعوام.

ولقد توارث المغاربة تربية نحل العسل من الحضارات السابقة، كما اعتنوا عناية خاصة بالعسل لما عرفوا فيه من فوائد طبية هامة وطوروها وأدخلوا عليها خلال ربع القرن الأخير تحسينات عصرية رفعت كمية إنتاج الخلية إلى 25 كيلوغراماً بعد أن كان لا يفوق 2.5 كيلوغراماً لكل خلية تقليدية. ويتراوح الإنتاج السنوي على المستوى الوطني بين 2600 و3500 طناً. وهذه الكمية تعادل أقل من 200 غراماً للفرد الواحد سنوياً وهي كمية ضعيفة لا تلبى حاجيات سكان البلاد. ويرجع انخفاض الإنتاج إلى العوامل المناخية التي أدت إلى الجفاف المتواصل وإلى أمراض مختلفة عرفتها سلالات النحل كمرض فارواز Varroase الناتج عن الطفيليات كالقمل والكائنات الفطرية المجهرية. وتعتبر ناحية الغرب من أهم المناطق المنتجة للعسل في المغرب لما تملكه من عوامل مناخية ونباتية لتربية النحل. ويعمل مربو النحل بداخل تعاونيات أهمها الجمعية الجهوية لتربية النحل بالغرب. وتقاس جودة العسل حسب أنواع الأزهار التي أخذت منها الرحيق ومن أهم أنواع الأزهار الممتازة لإنتاج العسل السعتر وأزير والشيح والبرسيم والأوكالبتوس والورديات والحوامض ونوارة الشمس وأزهار القطن والزفروف والطلح والصبار والرمان.

يختلف سكر عسل النحل في تركيبه عن سكر القصب وسكر الشمندر وسكر الفواكه وهو أسهلهم هضماً. يستخرج من شمع النحل أدهنة الوجوه وأحمر الشفاه وغيرها من أدوات الزينة وشموع المساجد والكنائس وأقراص الصور الفوتوغرافية وشموع التلميع.

ولا شك أن المبيدات الحشرية تقتل وتضعف الآلاف من مستعمرات النحل سنوياً. ومن المتوقع عند مربو النحل الذين يؤجرون المستعمرات التابعة لهم من أجل التلقيح أن يكون هناك بعض الخسائر في النحل الذي يشرب من برك ملوثة. أما العسل ذاته فهو خال من المبيدات الحشرية إذ عندما يصبح المصدر الغذائي ملوثاً، تقتل المستعمرة أو تضعف ولا يمكن للنحل إنتاج فائض من العسل لجمعه.

Noureddine Belkadi, La première région apicole du Maroc, Apimondia 34ème Congrès Vancouver - Canada, 12 au 18 septembre 1999.

محمد رمضان

وعلى العموم فقد عرف المغاربة كتب الأخفش والكسائي ثم سيبويه واعتنوا بها عناية كبيرة، ويمكن أن نذكر من بينهم أبا محمد الزقاق قاسم بن محمد بن الحاج (ت. 559) شيخ النحاة في المغرب، كان متعلقاً بالكتاب وندب حياته لتدريسه في كل من فاس وسبتة وتوفي بمدينة سلا. وكذلك محمد بن أحمد بن طاهر درس بالأندلس والمغرب، واستقر بمدينة فاس وتصدر لتدريس كتاب سيبويه والتعليق عليه، وقد درسه أيضاً في مصر والبصرة مدة سفره إلى الحج، ومرض في طريقه للعودة فوافته المنية ببجاية سنة 580. ومن أبرز تلامذة الإمامين الزقاق وابن طاهر نذكر أبا الحسن بن خروف وهو أندلسي الأصل، قرأ كتاب سيبويه بفاس وإشبيلية ومراكش ووضع له شرحاً سماه تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب. ونذكر أيضاً عمر ابن عبد الله السلمي الأغماتي (ت. 603)، لم يصرفه منصب القضاء في فاس وتلمسان وإشبيلية عن تدريس كتاب سيبويه في هذه المدن كلها. وهناك أيضاً أبو القاسم بن الملجوم عبد الرحمن بن عيسى الأزدي من أنبل الأسر الفاسية في ذلك الوقت، تسلسل فيها العلم والجاه والثروة نحو عشرة قرون، وكانت لهم مكتبة من أعظم المكتبات الخاصة في الغرب الإسلامي، درس أبو القاسم على كبار نحاة عصره في المغرب والأندلس وناظر شيخه ابن طاهر في نحو الثلث من كتاب سيبويه وأقرأ الكتاب في جامع القرويين وتوفي بمدينة فاس 604. ومن نحاة المغرب والأندلس في القرنين السابع والثامن أبو حيان الجباني (ت. 745) الذي لم يكن يدرس النحو إلا في كتاب سيبويه، وهو بربري الأصل من نفزة. وكذلك الإمام الصدي محمد بن يحيى العبدري (ت. 651) أشهر من تلمذ على ابن خروف وقد قام مقامه في تدريس كتاب سيبويه في القرويين بفاس. وأما ابن أجروم فهو محمد بن داود الصنهاجي صاحب المقدمة المشهورة بالأجرومية إمام النحو في عصره، وقد عرفت مقدمته الوجيزة إقبالا منقطع النظر، حتى كانت أول ما يدرس في المعاهد الدينية في المشرق والمغرب، كالأزهر والقرويين وابن يوسف وغيرها. لقد كان ابن أجروم هذا من الذين يدرسون كتاب سيبويه مع ميله للمحوظ للمذهب الكوفي إذ استعمل مصطلح الخفض مثل الكوفيين، ولم يستعمل مصطلح الجر، وقال الأمر مجزوم وهو ظاهر في أنه معرب، وذكر كيفما في الجوازم وهذا رأي الكوفيين، وأنكر ذلك البصريون كما هو معلوم وتوفي سنة 723. كما نجد من المغاربة النحاة في القرون المتأخرة أبا زيد المكودي عبد الرحمن بن صالح إمام النحاة في عصره، ومؤلف الشرح الشهير على ألفية ابن مالك، كان صاحب كرسي كتاب سيبويه في القرويين إلى أن توفي بفاس سنة 807. وأبا عبد الله البعقلي محمد بن إبراهيم من قرية آيت الطالب في سوس، لقد كان يستظهر كتاب سيبويه ويدرسه لنجباء طلبة البادية عقوداً عديدة من السنين وتوفي سنة 976. وأبا العباس الدلائي أحمد الحارثي بن محمد بن أبي

النحو، عرف النحو العربي في بداياته الأولى مدرستين كبيرتين هما مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة. الأولى اعتنى نحاتها باطراد القواعد وتعميمها، فقدموا بذلك القياس على السماع، ووضعوا قواعد يحتكم إليها، كما طوعوا ما خرج على أحكامهم لمنطق القاعدة، راكبين من أجل ذلك كل صعب وسهل من مختلف وسائل التأويل، لذلك كان منهجهم عقلياً صرفاً. وبعد سيبويه (ت. 180) صاحب الكتاب مؤسس المذهب البصري. أما نحاة الكوفة فقد اعتنوا بالاستقراء والأخذ عن الأعراب والاهتمام بالشواذ اللغوية والنحوية، فكان منهجهم ظاهرياً يحتكم إلى السماع، ويعلي من درجة المرويات. وقد أرسى دعائم هذا المذهب علي بن حمزة الملقب بالكسائي (ت. 189) الذي نشأ بالكوفة وكان أحد أئمة القراء. ولا نكاد نصل إلى نهاية القرن الثالث الهجري حتى ظهرت مدرسة ثالثة هي المدرسة البغدادية التي عني مهرة النحاة فيها بانتخاب مزايا كل من المدرستين السالفتين وتوحيدها في مذهب جديد ومن أعلامها ابن كيسان (ت. 299) والزجاجي (ت. 337) وأبو علي الفارسي (ت. 377) وابن جني (ت. 392).

وعن طريق النحاة الذين هاجروا إلى الشرق ثم عادوا بعد ذلك تلقى الغرب الإسلامي النحو العربي. فقد عرف المغرب والأندلس نحو مدرسة الكوفة وآراءها عن طريق جودي بن عثمان الموروري (ت. 198) على حد ما ذكر الزبيدي. انتقل هذا النحوي إلى المشرق واجتمع بالكسائي والفراء وتأثر بمذهب أهل الكوفة وألف كتاباً في النحو بعد رجوعه إلى الأندلس ومات سنة 198. وسار في الاتجاه نفسه الفضل مفرج بن مالك الذي شرح آراء الكسائي ومات بعد المائتين. أما كتاب سيبويه فأقدم من حفظه من المغاربة أبو عبد الله الملقب بالنعجة واسمه حمدون بن إسماعيل ومات بعد المائتين. ويرجع الفضل في دخول الكتاب إلى المغرب لمجموع من النحاة هاجروا من الشرق وجعلوا من كتاب سيبويه أساساً للتعليم. ويمكن أن نذكر في البداية ثلاثة منهم دخلوا المغرب في القرون الإسلامية الأولى، وكان لهم فضل السبق في نشر النحو واللغة وهم: أبو اليسر الشيباني (ت. 298) وأبو علي القالي (ت. 356) وصاعد البغدادي (ت. 410).

لقد اهتم نحاة المغرب والأندلس بالمسائل الخلافية بين البصرة والكوفة. ونظروا ملياً في الاختيارات الكوفية، وبعد مناصرة العباسيين لعلماء الكوفة وإيثارهم إياهم بتعليم ولاية العهد وأبناء كبار رجال الخلافة، نفر الناس في المغرب من هذا المذهب وخاصوا خلافة بغداد وخلعوا طاعتها. ومن ثم توجهوا بالنظر في القضايا التي أخذت على البصريين فاثبتوا منها وأبطلوا وانتقدوا وناقشوا الآراء التي وردت في كتاب سيبويه وانتصروا لأخرى، وإن كانت تنسب لغيرهم وساروا على هذا المنهج حتى تآتى لهم ما يمكن أن يسمى مذهباً رابعاً تحدث عنه ابن خلدون في غير ما موضع من المقدمة.

إلى يومنا هذا. وجماع القول إن المدرسة المغربية اعتنت في بداياتها الأولى بالنقل من خلال اختيارها للمذهب الكوفي، ثم ولت وجهها جهة النحو والاختيارات البصرية لتستقل فيما بعد بنفسها وتعتمد منهاجا مبتكرا ينظر في المسائل النحوية على غرار المسائل الفقهية، لم يكتب له النضج والاحتراق، لكن المسيرة قادته بعد ذلك لأن يفجر اتجاهها ثالثا اعتنى بالجمع بين هذه المدارس كلها. وكما كان سيبويه ودرستويه الفارسيان من أعلام النحو العربي في المشرق كان الجزولي وابن أجيروم الأمازيغيين من أئمة اللغة والنحو في المغرب.

الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تج. محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الخانجي، مصر، 1945، ص. 278 - 297. السيوطي، بغية الوعاة، ص. 396؛ ابن خلدون، المقدمة، بيروت، لبنان، ص. 547؛ ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج 2، ص. 524؛ ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، تج. شوقي ضيف، ط. 2، 1982.

محمد القران

نخل، تمر، تمر، بلح، أبلوح، أفروح أسماء عربية وأمازيغية لثمرة النخلة التي تسمى بالفرنسية *Palmier dattier* واسمها العلمي *Phoenix dactylifera*. يوجد نوع آخر وهو النخل الكاناري فينيكس كاناريينزيس *Phoenix canariensis* الذي هو دخيل ويستعمل لتزيين شوارع المدن المغربية وكذلك المتوسطة. كما نجد أنواعا وأجناسا تستعمل لنفس الغرض وهي واشنطنيا فيليفيرا *Washingtonia filifera* وواشنطنيا روبوسا *Washingtonia robusta*. إنها شجرة معمرة تنتمي إلى فصيلة النخليات، يتراوح ارتفاعها بين 5 و30م وقطرها بين 35 و40 سم، ذات جذع مكسو ببقايا السعف، والسعف يتميز بشوكات صفراء مستقيمة ومتصلبة، وأوراقها دائمة الاخضرار، وأزهارها ثنائية المسكن، والتمر على شكل أسطواني، وتزهو بداية من شهر أبريل إلى غاية شهر ماي.



يتوفر المغرب على أصناف محلية كثيرة منها مثلا : بوفكوس، بوستحمي، بوزگار، أحردان، أكيلو، جهال، بورار، بوسكري، ساير، خلط، أكراس، أبو إيجو، أفروق إنتاجت،

بكر تخصص من بين قومه العلماء في تدريس كتاب سيبويه بزوايتهم الدلالية في جبال الأطلس المتوسط وتوفي سنة 1051، وأبا عبد الله الدرعي محمد بن ناصر عاش في قرية تامكروت في الصحراء يدرس كتاب سيبويه وتسهيل ابن مالك إلى أن وافته المنية سنة 1085.

والواقع أن المدرسة الأندلسية المغربية في النحو بدأت بكل ما يحمله مصطلح المدرسة من معنى، مع ابن حزم ومذهبه الظاهري الذي انتشر في المغرب والأندلس. إن الثورة الظاهرية على المذهب المالكي في الفقه أيام الموحدين سارت جنبا إلى جنب مع ثورة ظاهرة أخرى على المدارس النحوية الشرقية والبصرية منها على وجه الخصوص، أرسى دعائمها ابن مضاء القرطبي من خلال كتابه الرد على النحاة الذي حققه شوقي ضيف، وخالصة الانتقادات التي وجهها ابن مضاء إلى النحاة البصريين يمكن حصرها في المسائل الآتية :

1 - إلغاء نظرية العامل وأدعاء أن النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي، والرفع يكون أحيانا بعامل لفظي، وأحيانا أخرى بعامل معنوي "فظاهر هذا أن العامل أحدث الإعراب وذلك بين الفساد، وقد صرح بفساد ذلك أبو الفتح ابن جني وغيره"، وراح ابن مضاء يناقش سيبويه والبصريين في قولهم بالعوامل ويقوم بإبطالها واحدة تلو الأخرى.

2 - اعترض على العوامل والتقديرات المحذوفة ورأى أنها تمحلات لا طائل تحتها.

3 - اعترض على متعلقات المجرورات وعلى تقدير الضمائر المستقرة في المشتقات، كما اعترض على ادعاء تقرر الضمائر المستترة في الأفعال.

4 - انتقد بشدة قول النحاة بتنازع العاملين على المعمول الواحد.

5 - انتقد أيضا باب الاشتغال أي اشتغال العامل عن المعمول أي اشتغال الفعل عن المفعول لضميره نحو (زيدا ضربته).

6 - إلغاء العلل الثواني والثالث.

7 - إلغاء القياس.

8 - إلغاء التمارين غير العملية.

9 - ضرورة إسقاط الاختلاف في ما لا يفيد النحو في شيء كاختلاف النحاة في علة رفع الفاعل ونصب المفعول.

إن محاولة ابن مضاء تسهيل النحو من خلال إلغاء القياس والعلل الثواني والثالث واعتبار أن المتكلم هو الذي يحدث الأثر الإعرابي، تمثل جزءا من ثورة كبرى قام بها الموحدون وأرادوا أن تشمل جميع الميادين المعرفية. غير أنه كما رجع المغاربة والأندلسيون إلى مذهبهم المالكي بعد أقول العهد الموحد عادوا أيضا إلى اختياراتهم النحوية التي تجمع بين الكوفيين، وتقتبس كثيرا من مذهب البصريين والبغداديين، وهو ما يستفاد بوضوح من الأجرومية وخالصة ابن مالك اللتين ظلتا تصدران الكتب المدرسية التعليمية

يتم استغلال التمور كغذاء للإنسان نظرا للقيمة الغذائية والطاقة والفيتامينات ويتم استغلال الأشجار في تزيين الحدائق والشوارع، والأغصان في الأغراض الزراعية وكحطب الوقود، والنواة بعد طحنها كعلف للحيوانات والدواجن، والجذع كسقيفة للمنازل والسعفات لصنع الجبال. كما يتم استغلال التمور عن طريق التقطير للحصول على ما يسمى بماء الحياة (المالحة) في بعض البلدان.

وكشهادة تاريخية للعصر نجد أن الشريف الإدريسي، الرحالة ورجل العلم والأدب، سبق له أن كتب بأن سجلماسة تمتاز بشجر النخيل من النوع الممتاز والذي ينتج ثمورا ذات جودة عالية مثل البيروني والتي تفوق بكثير باقي التمور المستخرجة من الأصناف المعروفة. كما أن الجغرافي والمؤرخ والرحالة ابن بطوطة كان يفضل صنف أدرار الذي يعتبر في نظره أجود التمور في العالم.

ألبرت هيل، النبات الاقتصادي، تر. عبد المجيد زاهر وآخرين، القاهرة، 1962.

A. Aafi, M. S. Taleb et M. Fechtal, *Espèces remarquables de la flore du Maroc*, CNRF, 2002, 146 p. ; R. Maire, *Flore de l'Afrique du Nord, La Rose*, Paris, France, 1957, 334 p. ; A. Mereto et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora, La nature au Maroc*, Soc. des Sc. Nat. au Maroc, Rabat, 1955, 498 p. ; A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc : Evaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris, et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 357 p. ; J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Ibis Press, Paris, 1997, 779 p.

عبد الرحمان عافي

نخشى، علي ولد في نهاية القرن الثالث عشر الهجري

بمدينة القصر الكبير من أسرة قصرية عريقة معروفة بصلاح دينها وأصالتها ويميلها إلى العلم والورع، وقد نشأ في بيئة دينية محافظة وتلقى مبادئ العلوم وأولياتها في القصر الكبير على فقهاء المدينة، إذ كان أخوه الأكبر السيد محمد فقيها مقرنا حافظا للكتاب، وقد عمل على مساعدة أخيه أثناء دراسته، وعندما اشتد عوده وكمل نضجه وتاقب نفسه إلى طلب العلم ولّى وجهه شطر الفقيه العالم الجليل المشارك أبي العباس أحمد بن يرمق الذي كان مقيما بمدشر ورموت بقبيلة بني جرفط والذي اشتهر بعلمه الغزير وورعه الكبير وخاصة علم القراءات، إذ كان أحد أئمتها في المنطقة وبلاط الهبط عامة وله شرح على ابن بري مخطوط بخزائنه وكان مقصودا من طلبية العلم من مختلف الأرجاء.

ظل علي نخشى ملازما لشيخه ناهلا من معينه مختلف العلوم من فقه وعربية ونحو وقراءات وغير ذلك، وعندما انتقل أبو العباس أحمد بن يرمق إلى مدشر عين بيضة بقبيلة سماتة استمر مترجمنا ملازما له غير أننا لا ندرى بالضبط كم هي المدة التي قضاها في ملازمة هذا الشيخ الجليل خاصة وأن هذه الملازمة كانت في فترة عصبية يملأها الاضطراب، إذ كانت تصادف زمن المقاومة الجهادية للمحتل الإسباني في جبال الريف الغربية أو ما يسمى بجباله وكان شيخه أبو

أغليد، عين ناس، البوج، أمغال، أمنكان، أمرغزو، أسكوري، أسيان، أزيلا، بيض الدجاج، بو أنوض، بو كندوز، بو إغلان، بو إيطوب، بولميان، بو محامد، بوتيسف، الحفص، إكلان، إمشيدن، لحمير، مكاوي، مكركب، راس لحمير، رطوب، سبباع جلطانت، تاكربوش، تابايعليط، تابرشارت، تاغرامينت، تاحدات، تايجصوط، تاغشيش، تامكولوفت، تلازوواغت، تادمنت.

يصادف نخل التمور بالمناطق ذات بيومناخ جاف وصحراوي بجنوب المغرب بكل من تافلات، درعة، فكيك، بودنيب، بوغان، قصر السوق أو الرشيدية، أرفود، تازرين، عين سردان، أنيف، دادس، زيز، قوم زكيد، طاطا، وقوم الحصن. كما يصادف كذلك بكل من الجزائر وتونس وليبيا ومصر والعراق وإيران. إنه يتحمل برودة فصل الشتاء بالمناطق الصحراوية وكذلك التربة المالحة وهو في حاجة دائمة إلى رطوبة الأرض والتربة الغرينية والطينية التي تحتوي على طبقات ذات تركيبية رملية.

تغرس بعض الأنواع من النباتات تحت أشجار نخل التمور مثل : الحناء والذرة والشعير وذلك لاستغلال ما يتوفر من التربة.

يغرس نخل التمور في فصل الربيع عن طريق الخلفات (أو الفرخ) الذي يتم انقصاله عن الشجرة الأم. تتم هذه العملية بواسطة آلة حادة ونظيفة. وبعد هذه العملية يتم تجريد الفرخ من الأوراق والجذور قبل أن يوضع في التراب. يتم السقي مرة في الأسبوع خلال فترة الصيف. مسافات الغرس هي 10 X 10 م أو 8 X 8 م.

أما في ما يخص عملية التلقيح أو الإخصاب فإنها تتم عن طريق استعمال "الذكار" وذلك بوضع لقاح ذكوري (Pollen mâle) بطريقة يدوية أو باستعمال آلة ميكانيكية.

ويحدث التلقيح في اليوم الذي يتم فيه انفكاك الإزهار. إن نخل التمور مهدد ببعض الأمراض والطفيليات، ويعد البيوض أو تنكيك، الناتج عن فطريات "قيساريوم ألييدنس"، المسؤول الرئيسي عن إتلاف واندثار ثلثي أشجار النخيل بالمغرب منذ بداية القرن. كما أن هناك أضرارا ناجمة بالخصوص عن فطريات أخرى.

وحسب التقديرات التي قامت بها بعض المصالح المختصة، فإن عدد أشجار نخل التمور يقدر بمائة مليون موزعة عبر العالم على مساحة مليوني هكتار بكل من المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر والعراق وإيران.

في الماضي القريب كان المغرب يحتل المرتبة الثانية عالميا حين كان عدد أشجار النخيل يقدر بحوالي خمسة عشر مليون، لكن هذه الثروة تراجعت بشكل ملحوظ في الآونة الأخيرة بحيث إن المغرب أصبح حاليا لا يتوفر إلا على خمسة مليون شجرة من النخل، وينتج حوالي مائة ألف طن سنويا من التمور. هذا الإنتاج جعله يحتل الصف الخامس عالميا وراء كل من العراق ومصر وإيران والجزائر.

العباس من دعاة الجهاد في بلاد الهبط وقد فقد أحد أبنائه في إحدى المعارك التي دارت في المنطقة.

استأذن شيخه في ترك عين بيضة من أجل الذهاب إلى فاس، وهكذا انتقل إلى القرويين حيث تلقى علومه على أكبر شيوخها علما وشهرة، ونال إجازة أولئك العلماء وقد تميز بذكاء كبير وحفظ غزير وفهم عظيم لأعقد المشاكل العلمية والفقهية والشرعية، عالما بالعربية وآدابها مشاركا في مختلف العلوم، ومن أشهر علماء القرويين الذين أجازوه أبو العباس سيدي أحمد بالحياط وسيدي المهدي الوزاني وهذا الأخير له حاشية على ميارة الشهيرة.

عاد إلى القصر الكبير وهو مملوء الوطاب من العلوم، وقد تميز بقدرته الفائقة في ميدان الجدل العلمي مع إتيانه لعلمي المنطق والأصول وبراعته في الجدل، وعندما تولى خطة العدالة اشتهر بتفوقه في ميدان التوثيق والضبط مما رشحه لأن يصبح خليفة للقاضي، وقد كان قاضي القصر الكبير آنذاك الفقيه الجليل السيد محمد المرير التطواني أحد كبار القضاة الذين عرفوا بحزمهم الكبير، وقبل ذلك كان قد ارتقى به علمه لأن يصبح أحد كبار المفتين الشرعيين في القصر الكبير والمنطقة، كما كان يقوم في بعض الأحيان بإعطاء بعض الدروس لطلبة العلم تطوعا قبل أن يشتغل في خطة القضاء حسبما أفادني به ابنه الأكبر السيد محمد نخشى.

تميز بحسن هندامه وتأنقه في العيش مع ميل فطري ومعرفي لفنون الحياة المدنية، إذ كان عارفا بالطبوع الأندلسية متفتحا على حياة العصر مما لا يقدح في مروءة أو دين، مريبا أبنائه على هدي الدين وآداب الدنيا مراعيًا لسنن الحياة وتطوراتها في وقت كان المغرب يعرف تطورات اجتماعية وسياسية مهمة، وأصبحت بوادر قيام نهضة علمية وسياسية تطل بوجهها على البلاد.

تولى مهمة النيابة في القضاء بالقصر الكبير مدة طويلة خلال العشرينيات من القرن العشرين، ثم تولى مهمة خطة القضاء في مدينة أصيلة مدة لا تقل عن ست سنوات، ثم عاد إلى القصر الكبير ليتولى منصب القضاء مرة أخرى، وقد عرف مترجمنا بدقة التحقيق في القضايا الشرعية، وكان قدوة لعدول الفترة في ميدان التوثيق وخاصة لمن كان غير ملتزم لمصطلحات هذا العلم أو لمن كان يجهل بعضا من ذلك وهو يتعاطى خطة العدالة، وقد عمل مترجمنا في مدينة القصر الكبير على إحياء عادة مصاحبة رجال المخزن للقاضي والإمام في التوجه إلى المصلى صبيحة العيدين : الفطر والأضحى مع التسبيح والتهليل والذكر في مركب قدسي خاشع.

توفي القاضي علي نخشى وهو في سن الكهولة إذ لم يكن عمره قد تجاوز الواحدة والخمسين وذلك في 15 محرم الحرام عام 1351 موافق 1932، ودفن بضريح سيدي أحمد

الشريف بساحة سوق الصغير قرب المسجد الأعظم بالقصر الكبير.

محمد بوخلفة، الطريق لمعرفة القصر الكبير، تطوان، 1972؛ محمد بن خليفة، أعلام القصر الكبير، طنجة، 1993.

الحسين البعاوي

النخيلة، مدينة صغيرة من مدن إمارة بورغواطة بإقليم تامسنا، كانت أهلة بالسكان أيام البورغواطين، وكان يقام بها كل سنة سوق يشد إليه الرجال جميع أهل تامسنا، وقد خربت على عهد يوسف بن تاشفين، ومع ذلك يقول الحسن الوزان الذي مر بها مرارا "ما تزال بادية للعيان آثار منها، كبقاييا الأسوار، وصومعة كانت وسط مسجد، وبساتين وأماكن كروم، وأشجار قديمة لم تعد تحمل ثمرًا". ولا يزال مكان النخيلة معروفا بهذا الاسم حتى اليوم، وتسمى بها قرية صغيرة بفرقة أولاد مزروك بقبيلة أولاد كثير إحدى قبائل زعير، توجد جنوبي مدينة الرباط نحو 50 كلم منها في الطريق المؤدية إلى الرماني.

في 11 شتنبر سنة 1911، عمدت الجيوش الفرنسية إلى تأسيس معسكر بقرية النخيلة لتراقب من خلاله تحركات مجاهدي قبيلتي أولاد كثير وأولاد ميمون من زعير، ومن ثم تشن هجماتها المتوحشة. وعندما ركز الفرنسيون وجودهم بالنخيلة، أصبحت تشكل دائرة لبعض قبائل زعير، وكان تحت نفوذها قبائل أولاد ميمون وأولاد كثير وبني عبيد والرمامحة وأولاد الطيب، وفي 27 غشت 1916 تم إلغاء مركز النخيلة كدائرة لقبائل زعير، وأصبحت تابعة لمعسكر "مرشان" (الرماني حاليا).

عندما أسس مركز النخيلة وضعت القوات الفرنسية على رأسه البيوتان كولونيل موريل Maurial، والقبطان مارشان Marchand رئيسا لمكتب الاستعلامات. وحسب بعض الروايات فإن أول مركز للكوم تم تأسيسه بالمغرب سنة 1913، كان بقرية النخيلة.

في عام 1917، تم العثور بالنخيلة على قطعة حجرية (Pétroglyphe) بها نقوش عبارة عن تجسيد لأشخاص، ولم يتم التوصل لضبط تاريخها، وقد تعود هذه النقوش الحجرية إلى زمن سحيق يدل على أن قرية النخيلة موعلة في القدم. تنتمي قرية النخيلة حاليا إلى نفوذ الجماعة القروية لأحد البراشوة، يعقد بها سوق أسبوعي يوم الخميس، ويعود تأسيس هذا السوق إلى سنة 1912، إلا أنه كان يقام يوم الثلاثاء، ويوجد بهذه القرية مستوصف ومدرسة وبعض الدكاكين والدور، وما يميزها هو وجود ثكنة عسكرية للحرس الملكي.

الحسن الوزان، وصف إفريقيا، 1: 198. 199.

Marchand, *Questionnaire annuel*, Bureau de Nkheila, p. 5-9 ; *Villes et tribus du Maroc*, Rabat et sa région, t. III, p. 143-145 ; Basset, *Deux pétroglyphes du Maroc occidental (Région des Zaer)*, in *Hespéris*, t. III, 1923, p. 141.

بوعبيد التركي

الدُرْجِيس ، جنس نباتي ممثل في المغرب بتسعة أنواع طبيعية من بينها قسيات خاصة بهذا البلد، بالإضافة إلى أنواع أخرى دخيلة تستعمل في الزينة. إنها نباتات عشبية وبصلية. أوراقها شريطية طويلة. أزهارها منفردة أو مجتمعة



في ازهار شبه خيمي، بيضاء أو صفراء. تصادف الأنواع الطبيعية في غابات المناطق شبه الرطبة والرطبة وشديدة الرطوبة. ونظرا لجمال أزهار هذه الأنواع. يجذب استعمالها كنباتات زينة.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p.
عبد المالك بنعبيد

الذزالة، لفظ النزلة أو النزلة مشتق من فعل نزل. فنزل نزلة بكسر النون تعني سافر أو حل بموضع، ونزل القوم بتشديد الزاي يعني أنزلهم المنازل كما تعني النزلة - كذلك - الضيافة. يقال "كنا نزلة فلان". وتجمع على نزلات أو نزائل، ومن الخطأ جمعها على "نوازل" لأن نوازل أو نازلات هي جمع نازلة أي واقعة.

والنزلة كما عرفت في المجتمع المغربي، خلال القرن التاسع عشر تعني الحراسة التي أنزلت في مكان معين للقيام بحراسته. ثم أصبحت الكلمة تدل على المكان. فهي بهذا المعنى مؤسسة اجتماعية مخزنية، الهدف منها حفظ الأمن، خاصة أمن الطرق، وتسهيل مهمة المسافرين ومبادلات التجار.

أما من الناحية التقنية، فالنزلة تعني المكان الذي تستقر به الحراسة - كما أشرنا - وكانت النزائل عبارة عن قطع أرضية غالبا ما تكون مربعة الشكل، بها عدد من المساكن المتواضعة، محاطة بزرية (حوش) من الأشواك، أو بسور من الحجر. وقد تكون محاطة بخندق كما ظهر ذلك بالشاوية في نهاية القرن الماضي.

كانت النزائل توجد على رأس كل مرحلة من مراحل الطريق، أي على رأس حوالي 20 كلم في الغالب. لكن مع اضطراب الأمن نتيجة للتدخل الأوربي، في بداية القرن العشرين، يلاحظ أن بعض القواد زادوا من عدد النزائل في

الطرق المارة بقبائلهم. كانت النزلة تحرس من طرف أهل النزائل وهم حراس مسلحون يقطنون وسط النزلة في بيت من الطين أو الحجر أو نواله من القصب والتبن، مهمتهم حراسة الطريق والقوافل المارة بهم ليلا ونهارا. وهكذا كانت النزائل توفر للمسافرين والمارين الملجأ والأمن من السرقة خلال الليل مقابل واجب زهيد يدفعه المسافر أو التاجر لأهل النزلة. ولما كان عدد كثير من الناس والحيوانات يتجمع داخل النزلة ليلا، فقد كان المسافرون يجدون فيها حماية أخرى من عصف الرياح خلال الليالي الباردة. ومن أهم الخدمات التي كانت النزائل توفرها للمسافرين، أن المسافر كان يتمون بالبيض والدجاج والشعير والتبن بأثمان معقولة جدا. وإذا ما تعلق الأمر بمسافر رسمي أو سفير مثلا، فإن الحراسة والمؤونة تقدم له مجانا من طرف سكان المنطقة أو حراس النزلة.

وتذكر مستندات الدولة المغربية أن وظيفة النزائل كانت تتلخص في : حفظ الأمن بالطريق ليلا ونهارا. وفي الرسوم العدلية إشارات يلتزم فيها القواد بحفظ طرق قبائلهم وصيانتها، والتعاون فيما بينهم على ذلك. وإذا وقع لأحد نهب أو غيره، في مجال حكم قائد من القواد، فهو الذي يؤدي ما ضاع من مال لصاحبه. والملاحظ أن التشديد على حفظ أمن القوافل في طرق المغرب ازداد واتضح في أواخر القرن التاسع عشر، وهذا التطور كان مرتبطا بالتدخل الأجنبي في المغرب وفتح السوق المغربية للتجارة الأوربية، وما صاحب ذلك من امتيازات حصل عليها التجار الأوربيون.

وتطلعنا الوثائق المخزنية على أن تأسس النزائل لأول مرة خلال القرن التاسع عشر حدث في الطريق الرابطة بين الرباط والدار البيضاء في عهد السلطان مولاي سليمان (1792. 1822)، والسلطان مولاي عبد الرحمان (1822. 1859).

وكان السلطان يعين النزائل في مواضع مختارة بالاتفاق مع قياد وأعيان القبائل المعنية. ويسند القيام بأمر النزلة لسكان الموضع، ويحمل مسئوليتها لقائد القبيلة التي توجد النزلة في ترابها. ويظهر أن السلطان كان يحدد مراكز النزائل في الطرق الكبرى ؛ كالطريق الرابطة بين فاس والرباط وبين فاس وطنجة وبين الرباط ومراكش وكذلك بين مراكش والصويرة. والملاحظ أن الطرق المذكورة كثيرا ما كان الأجانب يستعملونها في تجارتهم أو في سفاراتهم للبلاد المغربي. أما الطرق والمسالك الثانوية، فكان السكان يتفوقون على إنزال النزائل لحراستها وكان المخزن يحمل مسؤولية المحافظة على أمن المسافرين للقائد الذي يبرون بتراب قبيلته دون تحديد لمكان توقف المسافرين. وكان السلطان يصدر أمره لقاضي المدينة المجاورة ليعين عدلين لكتابة رسم الإشهاد الذي يتعهد فيه القواد المعينون بتعهد النزلة ومراقبة ما يقع فيها وفي نواحيها، وبعدهم الزيادة في مقدار الأجرة المعنية من طرف السلطان لأهل النزلة إعانة لهم على حراسة الطريق.

المنتشرة وسط السهول والهضاب والغابات وما إلى ذلك من تفاصيل اللوحة الإلهية الطبيعية.

تمت النزهة بعدما يخطط لها - قبل موعدها بأيام - بما يلزم من أكل وشرب وآلة الطرب وأدوات اللعب إذ المقصود هو الخروج عن المألوف وتغيير الروتين في الحياة اليومية سواء داخل البيت أو في مكان العمل ؛ فالنزهة للمرح والانشراح، وقد كانت الجماعات المهنية (أصحاب الحرف - أو أصحاب الحنطة) يقومون "بالنزهة" يوم العطلة أو أيام "أسبوع العيد" : "... عادةً غلمان الحمام إقامة حفلة سنوية مع أصحابهم خارج المدينة ثم يعودون ومعهم بصلة زنبق يضعونها في إناء جميل من نحاس يغطونه بسماط صغير حديث العهد بالغسل ثم يضعون البصلة في سلة يعلقونها على باب الحمام (بغية جلب الازدهار)..."

كانت النزهة في بعض المدن الكبرى وفي البادية مرتبطة بضريح ولي أو صالح أو بآثر تاريخية، فمدينة الرباط مثلاً كان سكانها يقصدون في "نزهاتهم" مآثر شالة التاريخية وسكان مدينة سلا كانت نزهاتهم متنوعة : ضريح "أحمد بن عاشر" وضريح سيدي موسى الدكالي، والسواني المحيطة بالمدينة والخندق ... أمنا نهر أبي رقراق وضفتيه (ولجة الرباط وولجة سلا) فهو مكان نزهة منذ أقدم العصور : "... وما هي وقت مرور المجالات عليها - (مدينة الرباط) - إلا من عجائب منتزهات الدنيا لا سيما في الأعوام الخصب والفضول المعتدلة، وناهيك عن ساحل طوله نحو الميادين وعرضه نحو الميل مملوء بالبشر، والزوارق في الوادي بركابها والمنارة المظلة وعلاقات الثمار وعقد الزيتون وجذر الكرمات..."

استمرت النزهة كما جاء في المصادر إلى الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، قبل أن يزحف الإسمنت المسلح على أماكن النزهة خارج المدينة والقرية، وكانت النزهة تتم مشياً على الأقدام، أما اليوم وقد ازدادت وتيرة هجمات الإسمنت المسلح تضاف إليه سنوات الجفاف الطويلة فإن النزهة أصبحت تتطلب فيما تتطلبه "وسائل النقل" الخاصة أو العمومية ومعنى ذلك أن النزهة لم تعد للجميع كما كانت من قبل.

مجهول، الاستبصار، الإسكندرية، 1958؛ الوازن، وصف إفريقيا، الرباط، 1980؛ مارمول، إفريقيا، الرباط، 1980؛ الضعيف، تاريخ الضعيف، الرباط، 1986؛ التادلي، التشوف، الرباط، 1984؛ البادسي، المقصد الشريف، الرباط، 1982؛ ابن قنفذ، أنس الفقير، الرباط، 1965؛ الماجري، المنهاج الواضح، 1933؛ ابن عبد العظيم، بهجة الناظرين، مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1985.
J. Martin [et al.], Géographie du Maroc, Paris, 1967 ;
Carte du Maroc Michelin, 1 / 600000
محمد حجاج الطويل

النزول (عرف)، ليس هناك ما يدل دلالة واضحة على معنى هذا العرف الاجتماعي في المظان التاريخية ومدونات الأوقاف العرفية التي أفرزتها سيرورة تطور الحياة القانونية للقبائل في جهات مختلفة من المجال المغربي. غير أن دلالاته

وفي الحقيقة كانت حقوق النزابل واجبات رمزية يدفعها التاجر أو المسافر لحراس النزالة، الذين يلزمون بغرم ما يضع للمسافرين مضاعفاً. وكانت واجبات النزابل تتفاوت نوعاً وقيمة حسب المناطق ؛ فمثلاً في المناطق السهلية، كان الأجر يؤدي نقداً عن بهائم النقل كالجمال والبغل، وعن البقر والغنم. أما في المناطق الجبلية فتبين مستندات الدولة المغربية أن حق النزالة كان يؤدي عن البغلة وعن الحمار ثم عن الرجلين. وقد تطورت هذه الواجبات مع تزايد التدخل الأوربي في القرن العشرين وما أفرزه من استغلال وتدهور للأمن بالطرق.

وقد بدأ التجار الأوربيون يتدخلون في أمور النزابل، ويشجعون العاملين معهم في التجارة والنقل على تجاهل السلطة المغربية منذ سنة 1868 / 1285. وعكست هذا الواقع مراسلة السلطان للنائب المغربي بطنجة، إذ أبرزت المصلحة العامة من وجود النزابل، ونهبت للعواقب التي تترتب عن خرق التجار الأجانب لقوانين البلاد. ذلك أن أصحاب النزابل أصبحوا يشكون من "أصحاب النصارى"، الذين يرون بالنزابل ببطاق التجار دون أداء حق النزالة، ثم يدفعون بطانقهم لأخرين ليسوا من المتعاملين من التجار، ويسلكون بها مجاناً. (رسالة من السلطان إلى النائب محمد بركاش 10 رجب 1285 موافق 27 أكتوبر 1868).

وعلى كل حال فقد أصبحت واجبات النزابل موضوع أخذ ورد بين المخزن والسفراء الأجانب، بسبب الاتهامات المتكررة التي كان التجار يوجهونها للقواد، ويدعون أنهم يحدثون نزابل جديدة ويزيدون في واجباتها. ويغلب على الظن أن تزايد عدد النزابل كان الهدف منه هو المحافظة على أمن الطرق في زمن تميز باضطراب الأمن. كما أن الزيادة في واجباتها تعتبر نوعاً من المقاومة غير المباشرة لتسارع الاستغلال الأجنبي. ومصدراً من مصادر الدخل عوض به القواد ما كانوا يدفعونه للمخزن الذي كان يواجه أزمة مالية خانقة.

وثائق الخزنة الحسنية : علال الخديمي، النزابل والمواصلات الداخلية والتدخل الأجنبي بالمغرب خلال القرن (19).

علال الخديمي

النزهة، من العربية الفصحى "النزهة" وهي خروج الناس جماعات وأفراداً عائلات وأسرأً وهيئات وجمعيات إلى خارج المدينة (ظاهر المدينة) أو القرية لقضاء يوم أو أكثر في أحضان الطبيعة ؛ والنزهة ليست مرتبطة بوقت أو مكان معلوم إلا أن موسمها هو فصل الربيع.

عرف المغاربة النزهة على اختلاف جهاتهم ومستوياتهم الاجتماعية منذ القديم، فكل منهم يقوم بها طيلة حياته على قدر استطاعته وحسب إمكانياته، والنزهة هي استمتاع بالبيئة الطبيعية في فصل الربيع ببساطه الأخضر وزهوره الباسمة وطيوره ومياهه الدافقة وبركه وبحيراته الزرقاء

كما استقرت في الحياة الجماعية لبعض القبائل تعني النزول في ضيافة شخص أو جماعة على وجه التكليف والإلزام ودون سابق استشارة أو استئذان، حتى يجبر على تأدية ما بذمته من كلف ووظائف وسخرات وذعائر وغيرها، أو للضغط عليه حتى يعرض غيره عن حقوق مادية أو معنوية عائدة إليه بحكم قوة الشرع والقانون، أو لتأديبه عما صدر عنه من أفعال تخالف عوائد الجماعة وتعاقباتها العرفية. كما يطلق "النزول" في سياق آخر، على كل من انسحب من سلك الخدمة المخزنية أو من صفوف الكيش.

ومع ما يمكن ملاحظته من اختلاف في الأشكال والمظاهر التي كانت تتخذها ممارسة "النزول" من منطقة إلى أخرى، فإن تنظيمه وتحديد توقيتيه وعدد الأشخاص الذين سينزلون في ضيافة من سيقع عليه "النزول"، عادة ما يكون من اختصاص أعيان وكبراء "الجماعة" باعتبار ما يتمتعون به من وجهة اجتماعية وسلطة معنوية تحظى بتقدير واعتراف كافة عناصر القبيلة أفراداً ومجموعات، وبالرغم مما تستلزمه هذه الضيافة "القسرية" وما يرافقها من إنزال جماعي من تكاليف مادية مرهقة تفوق أحياناً إمكانيات الطرف "المنزول" عليه، فلا أحد من بين أعضاء القبيلة يستطيع رفضها أو ردها بأي وجه من الوجوه. لأنه متى تجرأ أحد على فعل ذلك - وهذا قلما يحدث - يصبح فعله هذا، وصمة عار على جبينه ولعنة تطرده أين ما حل وارتحل.

ومن أهم الحالات التي كان يتم فيها اللجوء إلى تحكيم صيغة "النزول" في مناطق عديدة من المغرب كما هو الحال في جهات تافيلالت ودرعة وتادلا، نجد على سبيل المثال لا الحصر: حالة عدم المشاركة في إنجاز بعض الأشغال الجماعية (التوزيع) المتعلقة مثلاً باستصلاح الآبار أو بتنقية السواقي أو بشق طريق من الطرق، أو بعدم الوفاء بأداء بعض الواجبات المستحقة لجهة من الجهات كالمساهمة في أداء سخرة من السخرات أو ذعيرة من الذعائر، أو بعدم الانخراط في مجهودات الدفاع عن حرمة القبيلة ورموز سيادتها في لحظات الحرب والعدوان، أو بعدم المشاركة في التظاهرات الاحتفالية الجماعية داخل القبيلة وما تقتضيه من مساهمة في تحمل جزء من أعبائها المادية... إلخ.

وبالرغم من خلو ممارسة "النزول" من أي قوة إكراهية إلزامية تجبر "المنزول عليه"، فرداً كان أو جماعة، على قبول وتنفيذ قرار الضيافة المقررة في غيبة عنه، فإن الممتنع، لأي سبب من الأسباب، عن الاستجابة لهذا القرار، يفقد، الكثير من قيمته الاعتبارية، وتصبح كلمته في وسط جماعته غير ذات شأن يذكر. لذلك كان حرص عامة الناس في المجتمع القبلي المغربي شديداً على الالتزام بمقتضيات هذا العرف وغيره من الأعراف الاجتماعية الأخرى، حفظاً لكرامة الذات وتأكيداً لقواعد الانتماء إلى الجماعة ودرءاً لللعنة "العار" وتبعاتها. ولعل في هذا المعنى ما يقوم حجة على أن عرف "النزول" كان أشبه ما يكون بعرف وجبة "العشاء" في الأوقاف

العرفية السوسية، لكن مع فارق بسيط يتمثل في كون "النزول" - كما أوضحنا - كان لا يتمتع بقوة الإلزام متى تم رفضه، في حين أن عرف وجبة "العشاء"، كان على عكس ذلك، ذعيرة بالمال العين يقدمها الجاني أو المخالف لقواعد العرف الجماعي على وجه الإلزام "لآيت الأربعين" ويتم تحديد نوعها ومقدارها وفق ما تقتضيه به عوائد القبيلة. وهذا المعنى يبقى في كل الأحوال بعيداً كل البعد عن معنى "الضيافة" كما جرى تداولها في إطار العلاقات الجبائية التي جمعت الدولة المركزية بالقبائل في تاريخ المغرب، حيث اكتسبت هذه الأخيرة، مفهوم إتاوة أو ضريبة تؤديها القبائل للسلطان مما تنتجه وتتعيش به من حبوب وسمن وعسل وزيت وأغنام وأبقار وجمال ودواب وغيرها، وذلك إما بهدف طلب العفو والصفح منه بعد الثورة والعصيان وهنا يأخذ مفهوم الضيافة معنى التذلل والخضوع، وإما بهدف التعبير عن ولائها وطاعتها وتجسيد روابط الصلة الوثيقة بينهما، وهذا ما ينكشف في ما تقدمه القبائل الموالية للسلطان عند حلوله بين ظهرانيتها (أو حلول وفد من ممثليه)، من مواد غذائية وقمونية وعلوفات للبهائم والدواب، إكراماً لوفادته وتيمناً بطلعته السعيدة.

الناصري، الاستقصا، 9: 1956؛ علي المحمدي، السلطة والمجتمع في المغرب، نموذج آيت باعمران، 1989؛ أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان 1850 - 1912)، 1403. 1983؛ البشير بوسلام، تاريخ قبيلة بني ملال (1854 - 1916)، 1991؛ د. إكلمان، الإسلام في المغرب، تر. محمد أعفيف، جزان، 1989؛ صديقي أزايكو، آيت الربيعين، معلمة المغرب.

R. Montagne, Le régime juridique des tribus du sud marocain, *Hespéris*, 1924, t. 4 ; E. Laoust, *Mots et choses berbères*, Paris, 1920 ; L. Meziane, *Le Tafilaît, contribution à l'histoire du Maroc aux XVII et XVIII siècles*, Casablanca, 1987. الفقيه الإدريسي

السنسر، كما هو شائع في المعاجم وكما ينطق به العرب في مختلف الأقطار العربية طائر كبير الحجم يأكل الجيف ويلعب دوراً هاماً في تنقية البيئة من الجثث الميتة. يصنف في رتبة السنسور وهي من سباع الطير لكن ليس من جوارحها أي كواسرها النهارية Falconiformes وفصيلة العقبان Accipitridae، منه خمسة أنواع تعيش في المغرب وتألّف المناطق الصحراوية والصحور الجبلية الصعبة المنال. تتميز أنواع السنسور بساقين عاريتين ومنسر أو منقار طويل منعطف في طرفه فقط ولاريش على الرأس والعنق بل يكسوهما زغب أبيض قصير. وما أن السنسر لا يتغذى على الفريسة الحية، فهو لا يحتاج إلى مخالب حادة وتنتهي الأصابع بأظافر بدل المخالب المعروفة عند سائر أنواع الطيور ولا يقوى على جمعها ليحمل فريسته كما يفعل العقاب بمخالبه. الجناحان طويلان واسعان وملامتان للطيران الانسيابي لمسافات بعيدة.

يتغذى السنسر على جيف الحيوانات وبقايا جثث الغنم

عليها الطيور بسبب تطور طب الحيوانات الأليفة والصيد واستعمال مواد الإبادة. تعيش خمسة أنواع من النسور في المغرب وهي :

النسر الأسود يدعى علمياً *Aegypus monachus* وبالفرنسية *Vautour moine* وبالإنجليزية *Black vulture* وبالإسبانية *Builtre negro* وبالإيطالية *Avvolotoio monaco*. يبلغ طوله 107 سم وتتعدى بسطة جناحيه 160 سم، يعيش في المناطق الجبلية بالريف والأطلس المتوسط، وتكون المجموعة المغربية تمديداً للمجموعة التي تعيش في جنوب إسبانيا. إنه طائر نادر جداً حالياً في المغرب انقرض في الأطلس المتوسط في أواخر القرن العشرين.

النسر الصحراوي الأشقر يدعى علمياً *Gyps fulvus* وبالفرنسية *Vautour fauve* وبالإنجليزية *Griffon vulture* وبالإسبانية *Builtre comun* وبالإيطالية *Griffone*، يبلغ طوله 105 سم وتتعدى بسطة جناحيه 160 سم. تعيش عدة مجموعات في المغرب وتتوزع على مناطق بني يزناسن بجوار جبل الأخضر وكنيگ ومنابع أم الربيع وجبل تيسدادين قرب كيكو بالأطلس المتوسط وفي الأطلس الصغير بجوار عوينت آيت أوسا. يتوالد في المغرب وتتكون المجموعات من أفراد لا يزيد عددها عن 30 حسب الأبحاث والاحصائيات الأخيرة.

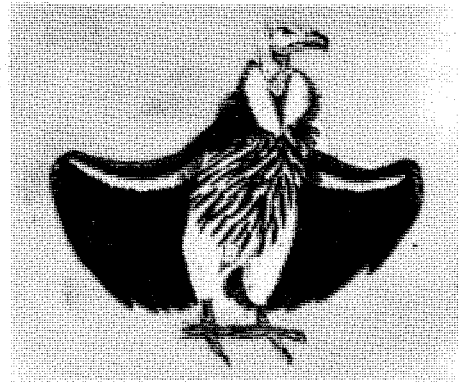
نسر أذاني يدعى علمياً *Torgos tracheliotus* وبالفرنسية *Vautour oricou* وبالإنجليزية *Lappet faced vulture* وبالإيطالية *Avvolotoio orecchiuto*. إنه طائر مهدد بالانقراض في المغرب ولم تبق منه إلا بضعة وحدات تعيش في المناطق الصحراوية بجوار بئر موكرارين، وكانت عدة مجموعات تعيش في الأطلس المتوسط انقرضت في أواخر الخمسينيات من القرن العشرين. يبلغ طوله 100 سم وتتعدى بسطة جناحيه 150 سم.

نسر كاسر العظام يدعى علمياً *Gypaetus barbatus* وبالفرنسية *Gypaete barbu* وبالإنجليزية *Lammergeier* وبالإسبانية *Bearded vulture* وبالإيطالية *Gipeto*. تقلص عدده في المغرب بشكل ملحوظ خلال القرن العشرين ولا يتجاوز مجموع زوجاته حالياً 40 تعيش معظمها في الأطلس الكبير الأوسط بجوار تيزي تنيست وأوكايميدن وطوبقال وتيزي نتيشكا وتادرت وجبل بوأغبول وفي مناطق وارزازات وهضاب درعة وفي المناطق الغربية لجبل ساغرو وقلعة مگونة وجبل أزوركي ويومالن وداس وتينغير وتودغا وتينجداد وهضاب زيز وميدلت وجبل العياشي، ويوجد أيضاً في الأطلس الصغير بجبال إغرم وطاط وسوق الثلاثاء تاكوت. يعيش طول السنة غير بعيد عن مكان توالده. وفي بداية مارس ينصب الزوجان العش بين أطراف الجبال الشاهقة وبين صخور الجرف، ويتكون من الأغصان ومن قطع مختلفة. تبيض الإناث عادة بيضتان ونادراً بيضة أو ثلاث بيضات سمراء مبيضة إلى مزركشة. يحضن البيض بالتناوب من طرف الزوجين مدة 42 يوماً.

والمعز والأرانب والحشرات والزواحف. يتلاءم مبنى جسمه لهذا الغرض جيداً: منقاره كبير وقوي وحاد ويمكنه تمزيق الجيفة وخلق فتحة في جلدها ليتناول قطع اللحم منها. رقبته طويلة وخالية من الريش، مما يمكنه من الدخول إلى الجيفة عبر الفتحات التي فتحتها في جلد الجيفة. بإمكانه أكل كميات كبيرة جداً مرة واحدة.

وهو طائر اجتماعي، يحتضن البيض ويعيش في مساكن في الجبال العالية، يصعب على المفترسات الوصول إليها. طيران النسور انسيابي يحتاج إلى هواء دافئ للتخليق في الفضاء. عندما يكون الهواء بارداً في ساعات الصباح يقضي النسور عدة ساعات في العناية بريشه وتمشيته. بعدما يسخن الهواء تخرج النسور من الجبال التي نامت فيها ليلاً وتنتشر للبحث عن الغذاء، على عشرات الكيلومترات عن مساكنها وتستعمل حاسة البصر المتطورة لمشاهدة جيفها في حقل مفتوح عن بعد عدة كيلومترات. عندما يرى غذاءه يغوص إليها بسرعة كبيرة وتلتحق به النسور الأخرى.

تأكل النسور الجيفة بألوية ثابتة: الكبار أولاً ثم الصغار، أحياناً تنشب معارك بينها فيعلق بألوية الأكل بين نسور من نفس السن ومتكافئة في القوة في أوقات متقاربة، وبسبب الأكل الكثير لا تتمكن النسور من الطيران، وعليها الانتظار حتى هضم الغذاء قبل أن تتمكن من الطيران ثانية.



العلاقة بين الزوجين لدى النسور تمتد طيلة الحياة. يبدأ الزوجان بالمغازلة في بداية الشتاء، عندما تقوم النسور بتمشيطة بعضها البعض وتقوم أيضاً بطيران استعراضية، أثناء هذا الطيران الانسيابي تتلامس جناحيهما. عش النسور عبارة عن جمع من الفروع القليلة والحشايا، تضع الأنثى بيضة واحدة فقط، ويشترك الزوجان في حضنها. يفقس الفرخ بعد 55 يوماً من الحضن، تكون عيناه مفتوحتان أثناء الفقس وعليه ريش ناعم أبيض. بعد أكثر من مئة يوم من العناية الكاملة يترك الفرخ العش ويبدأ حياته المستقلة. كان النسور في الأزمنة الغابرة طائراً كثيراً الانتشار في شمال إفريقيا إلا أنه منذ بداية القرن العشرين بدأ ينخفض عدده. وأسباب ذلك كثيرة وترجع إلى قلة الجيف التي تتغذى

رخمة تدعى علميا Neophron percnopterus وبالفرنسية
Percnptère d'Egypte وبالإنجليزية
Alimoche وبالإيطالية Capovaccaio.

محمد رضاني، بولجية، معلمة المغرب، ج 6، ص. 1845 : رخمة،
13، ص. 4323 : الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في
مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، 1988 :
أمين معلوم، معجم الحيوان، القاهرة، 1932.

P. Bergier, Les falconiformes marocains, Statut,
Répartition et écologie, Annales CEEP (ex. CROP), n° 3,
1987, 160 p. ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, The birds
of Britain and Europe with North Africa and the Middle
East, 1979, 320 p. ; C. Harrison, Les nids, les oeufs et les
poussins d'Europe en couleur, Elsevier, 1977, 430p.

محمد رضاني

نشرة التعليم العمومي بالمغرب (B. E. P. M) نشرة

كانت تصدرها إدارة التعليم العمومي بالمغرب خلال فترة
الحماية. صدر العدد الأول منها في يونيو 1914، وصدر
العدد الأخير منها سنة 1957، بلغ مجموع أعدادها 238
عدداً.

كانت هذه النشرة تتعرض لقضايا ومواضيع مختلفة. تهتم
التعليم : منها ما يتعلق بالدروس والمناهج كقواعد الكتابة
واللغة، وطرق تدريس المواد التعليمية كالكتابة والإنشاء
والتاريخ والجغرافية ... ومنها ما يتعلق ببعض المؤسسات
التعليمية كالكرويين بفاس وبعض الثانويات كثانوية "رينيو"
بطنجة، وثانوية "مولاي يوسف" بالرباط، وثانوية الذكور
بوجدة إضافة إلى مدارس البنات ببعض المدن كالحاجب
والصويرة.

وكانت هذه المجلة تنشر بعض المقالات المتعلقة
بالفولكلور والتاريخ فكتبت مثلاً حول "بيداغوجية
الفولكلور" وحول "أسطورة سيدي فاتح" وحول "الفن الأهلي"
وحول "العادات المحلية بمدينة مولاي إدريس". ومن المواضيع
التاريخية التي كتبت فيها، "تذكر على سبيل المثال :
"سنوات منفي مولاي يزيد"، "نظرة حول المغرب أواخر القرن
الثاني عشر" و"آثار بناصا"، و"الرحالة العرب في القرون
الوسطى". وكانت المجلة تنشر كذلك قراءات في بعض
البيبلوغرافيات الصادرة خلال تلك الفترة، منها مثلاً :
"فاس والقبائل البربرية سنة 1910"، "تاريخ الريف"، "في
المغرب المجهول"، "تاجر فرنسي بمراكش 1864-1867" ...
وعرفت هذه النشرة بشخصيات مختلفة سواء في مجال
التعليم كفاعلين إداريين أو تربويين، فخصصت صفحات
لمعظم الأموات العاملين في هذا القطاع، كما عرفت
بشخصيات أدبية وفنية وفكرية ... منهم : ديكارت
وسبينوزا وأحمد الصفرى والأخوين طارو، فيكتور
هوغو...

شارك في تحرير مقالات هذه النشرة، كتاب من مختلف
التخصصات، منهم مثلاً "جرمان، ج"، وبلغ عدد مقالاته
حوالي 175 مقالا. "وبرونو، ل" وكتب في مواضيع تربوية

وتعليمية، وبلغ عدد مقالاته حوالي 130 مقالا، و"هاردى،
ج" وشارك بأكثر من تسعين مقالا مختلفة المواضيع، وقد
عمل مديراً، للتعليم ما بين دجنبر 1919 وفبراير 1932،
و"بونجان، ج"...

صالح شكاك

النشيد الوطني، يراد به المقطوعة الغنائية التي

تردها الجماعة، كالأناشيد الوطنية، والأناشيد التربوية التي
تستخدم في المدارس وبين الفرق الكشفية".

تتمحور الأناشيد التربوية حول موضوعات تستهدف
تهذيب الذوق لدى الأطفال، وتتوخى تعليمهم النطق السليم
وتهذيب أسماعهم، وبعث روح المرح والجد في صفوفهم،
وحثهم على التمسك بالتعاليم الدينية السمحاء.
أما الأناشيد الوطنية فهي التي تتغنى بحب الوطن،
وتشيد بمواطن جماله، وتستحث الهمم لافتدائه عند الشدائد،
مسترخصة الغالي والنفيس، ومستنهضة العزائم في سبيل
حريته واستقلاله.

لعبت الأناشيد دوراً حاسماً في المعارك التي خاضتها
الحركة الوطنية ضد الاستعمار، فجاءت لتعبر عن موقفها من
المحتل الأجنبي، ولتشكل ما يشبه وثيقة صوتية تحمل
طموحاتها وتعكس مطالبها. وقد عرفت الأناشيد الوطنية
انتشاراً واسعاً، وساعد على ذلك تحليتها بالألحان الموسيقية
المعبرة، واتسامها بالسهولة في اللفظ واليسر في النظم،
وركوبها نهجاً جديداً توخى الخروج عن هيكل القصيدة
التقليدية، بتنوع القوافي، وتعدد أقسام النشيد، واعتماد
لازمة يتكرر ترجيعها بين هذه الأقسام.

وقد عمدت الشعوب إلى الإجماع على أناشيد معلومة
لتكون بمثابة رموز لها، وأسمتها "الأناشيد الرسمية" أو
"السلام الوطني" أو النشيد الوطني". وقد كانت مصر أسبق
الدول العربية إلى محاولة وضع "النشيد الوطني"، فنظمت
أكثر من مباراة بين الشعراء والملمحين، كانت أولها سنة
1919، وتلتها مباراة ثانية عام 1923، وثالثة عام 1936.
وأُسفرت هذه المباريات عن أناشيد رائعة عاشت لفترات ثم
عصفت بها الرياح جميعاً لفائدة نشيد كان للملحن المصري
سيد درويش قد لحنه سنة 1919 على كلمات هي مزيج من
العامية والفصحى، وأوله :

بلادي بلادي بلادي لك حبي وفؤادي

وقد أحس رجال الحركة الوطنية بالمغرب بحاجتهم إلى
نشيد رسمي يتخذونه شعاراً لهم فكانوا يتصيدون من بين
الأناشيد القومية ما يرون أنه أقرب إلى التعبير عن
طموحاتهم وآمالهم، فتنبوا أناشيد مشرقية شهيرة، إلى أن
تحقق استقلال البلاد عام 1956 فوقع الاختيار على ألحان
معزوفة كان الناس قد ألفوا سماعها على أمواج الإذاعة
الوطنية، تبثها عند افتتاح واختتام برامجها وفي المناسبات
الرسمية، ثم جاء الإعلان الرسمي عن ميلاد النشيد الوطني

المغربي عام 1969 ، وقوامه أبيات شعرية من نظم وتنسيق الشاعر مولاي علي الصقلي يجري إنشادها على ألحان المعروفة المذكورة ومطلع النشيد هو :

منبت الأحرار مشرق الأنوار
منتدى السؤدد وحماه دمت منتداه وحماه
عشت في الأوطان للعلا عنوان
ملء كل جنان ذكر كل لسان ...

عباس الجرازي، المناهل، ع 5 مارس، 1976، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، ص. 108-109؛ إبراهيم السولامي، الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية، 1912-1956، ص. 149، نشر وتوزيع، دار الثقافة، الدار البيضاء؛ محمد العريان، حياة الرافي، ط 2، 1974، ص. 83-89؛ حسين علي محفوظ، قاموس الموسيقى العربية، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1977، ص. 240.
عبد العزيز بن عبد الجليل

النص (آيت -) وحدة قبلية ضمن آيت بويكر الباعمرانية إلى جانب "آيت يخلف"، تقطن جزءاً من سهل "تاكرگرا" والضفة اليمنى لوادي "سالگماض" أو "بوغنيم" حتى حدود وادي "ألتانو" الفاصل بين آيت باعمران وقبيلة السيجل.

تتفرع القبيلة إلى "آيت لولو"، "آيت أملن" و"المرايطين اليوسفيين" ويبدو من خلال الوثائق أنه لم يتم تداول اسم آيت النص ضمن الأسماء التي كانت مستعملة في تمييز مستويات انتظار المجموعات داخل آيت بويكر قبل 1882. لذا لا يبدو أن يكون الاسم من تداعيات التقسيمات التي أحدثتها المخزن، بعد تعيين القائد إبراهيم بن سعيد قائداً على نصف قبيلة آيت بويكر سنة 1882.

لم تسلم علاقتها بآيت يخلف من النزاع، مما أفضى إلى مواجهات موسومة بالعنف، وتستوقفنا الوثائق عند الصراع الذي استفحل بين إبراهيم بن سعيد البويكري وأحمد بن همو الخلفي، والمؤكد أن خلافتهما كانت قديمة، وأضحت أكثر استفحالاً بعد تعيينهما قائدين على القبيلتين. ولا أدل على تفاقم الوضع من السيل من الشكايات والانهامات المتبادلة التي ترد على ممثلي المخزن بتيغزة وتيزنيت أو إلى السلطان مباشرة. والمؤكد أن هذا الصراع غالباً ما يولد تحالفات محلية، فكانت آيت النص تؤازر في غالب الأحيان من طرف آيت الخمس والسيجل، بينما تساند اصوبيا الطرف الثاني آيت يخلف. ومنذ ذلك الوقت، توسعت آيت النص على حساب الخلفيين والبعاويين، كما تمكنت من استقطاب فرق من مستي وأخرى من المرايطين اليوسفيين. ويعتبر "إيسگ" مركز القبيلة، وكان المستقر الأول للمحلة المخزنية قبل أحداث قصبة تيغزة 1303 / 1886، إثر حركة الحسن الأول الثانية والتي قادته إلى كلميم عبر تراب آيت باعمران. كما كانت "إيسگ" الحد الذي وصلته حملة الجنرال دولاموط سنة 1917 على إثر اندحار حيدة بن مایس بمنطقة إيكالفن. وفي سنة 1934، اقتطعت فرنسا جزءاً من تراب آيت النص خاصة الجزء الممتد على الضفة اليمنى لوادي "سالگماض". ويبدو أن

شيوخ القبيلة قد ساهموا في هذه العملية، نظراً لعلاقتهم المتوترة مع آيت يخلف.

من مزارات القبيلة المشهورة مشهد سيدي بويراهيم بايسگ، ومحمد بن يوسف الوزاني بـ "إيمي أوگين" قرب جبل "تاموشا".

علي المحمدي، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، نموذج آيت باعمران، الدار البيضاء، 1989؛ وثائق مخزنية؛ وثائق دار إيلينغ؛ تحريات ميدانية.

L. Justinard, Les Ait Ba Amrane, Paris, 1930 (*Villes et tribus du Maroc*, vol. 8), p. 73-74.

أحمد بومزگو

الانصري، محمد الرشيع (ابن الأحمر أو ابن نصر)،

هو مؤسس الإمارة النصرية جنوب الأندلس الملقب بالغالب بالله محمد بن يوسف بن... نصر المتصل نسبه بالصحابي الحزرجي سعد بن عبادة. كان أول إنشاء إمارته بمنطقة جيان سنة 629 / 1232 في أواخر عهد الخليفة الموحد المأمون، في فترة الضعف الذي أصاب الدولة الموحدية منذ هزيمتها في معركة العقاب (Las Navas de Tolosa) سنة 609 / 1212، وما ترتب عنه من ضعف للسلطة المركزية تزامن مع تلاعب الأشيخ المصامدة بمنصب الخلافة في مراكش. فأخذت حركات التمرد تظهر في الأندلس قبل غيرها خاصة في أطرافها الشرقية خلال عشرينيات القرن السابع، وأهمها حركة ابن هود بمرسية الذي فشل المأمون الموحد في إخضاعه، فمد نفوذه حتى منطقة المضيق بعد انصراف المأمون إلى مراكش. ثم أعلن محمد بن الأحمر صاحب الترجمة إمارته في جيان سنة 629 قبل انتقاله إلى غرناطة سنة 635، فبايع أولاً للحفصيين في إفريقية ثم لابن هود بعدما وصلته التزكية من الخلافة العباسية، ثم حول الدعوة للرشيد الموحد عندما تمكن من إعادة توحيد المغرب الأقصى في أواسط الثلاثينيات، وادعى أنه المجدد للدعوة الموحدية بالأندلس. وربما كانت هذه التعبئة الجديدة للموحدين، وفشل اعتماد الشرق الأندلسي على الدعم الحفصي المتمثل في سقوط بلنسية وما حولها في يد الأركونيين، سببا في تسرب الدعوة الموحدية إلى بعض جهات الشرق مثل دانية كما يتضح من بيعة أهلها للرشيد بعد سقوط بلنسية في يد النصارى حسب إحدى الرسائل التي درستها.

بعد وفاة الرشيد أعلن ابن الأحمر طاعته للحفصيين رغبة في دعمهم، ثم استقل عنهم وتعاقد مع القشتاليين سنة 643 - كما فعل قبله بنو هود أمراء مرسية سنة 640 - راضيا بالتبعية لهم ودفع إتاوة سنوية مقابل هدنة مدتها عشرون سنة، كان الغرض منها فيما يبدو شحن حصونه بالمؤونة تحسباً للطوارئ، و تقوية وضعه الداخلي بما فيه إنشاء نظام ولاية العهد لصالح ذريته، وهو ما أثار الخلاف بينه وبين أصحابه بني أشقيلولة خصوصا بعد انتقاض الهدنة مع القشتاليين قبل إنهائها، فقد استعد ملك قشتالة لضم أراض

وكانت العرقلة الأساسية في طريق الاستجابة للنصرين هي تهديد بني زيان في تلمسان للشغور المرينية الشرقية، وهذا ما تطلب حملة عسكرية فرضت عليهم قبول الهدنة قبل التحرك نحو الأندلس.

جاز السلطان يعقوب المريني سنة 674 جوازه الأول إلى الأندلس، بعد أن حصل على جزيرة طريف والجزيرة الخضراء ووردة لتنظيم عمليات العبور، وأصبحت هذه المدن وما حولها تشكل ما يمكن تسميته بالشغر المريني في الأندلس. كان الوجود المريني على الضفة الشمالية للمضيق يمثل ضرورة استراتيجية، لأن مخطط قشتالة أصبح يتركز على محاولة سد باب المضيق لمنع الإمدادات المغربية، خصوصاً مع ظهور قوة سياسية جديدة فيه هي القوة المرينية. وقبل بحرك السلطان المريني نحو الشغور القشتالية حاول دون فائدة إصلاح ما بين أمير غرناطة وبني اشقيلولة لينصب الاهتمام على العدو القشتالي، فتحرك بجيشه "ولم يبال بمن سار عنه أو قعد أو أبطأ أو تخلف"، فقصد منطقة أستجة حيث وقعت سنة 674 المعركة الهامة التي انتصر فيها المرينيون، وقتل فيها قائد الجيش القشتالي صهر الملك وحاكم قرطبة دون نونيو دي لارا. وبفضل هذا الانتصار تلقب السلطان يعقوب المريني بلقب المنصور، كما أنه أعاد بعض الطمأنينة للأندلسيين بعد أكثر من نصف قرن من ضعف معنوياتهم، وتلا هذه المعركة عمليات عسكرية ضد مدن الوادي الكبير بما فيها إشبيلية مقر إقامة الملك القشتالي. وحاول ابن الأحمر أن يضيق الفجوة بينه وبين ملك قشتالة الذي سيحتاجه عند الضرورة كما سنرى، خاصة وأن بني اشقيلولة بادروا إلى تقديم بيعتهم للسلطان المريني بعد عبوره المضيق، فذكر أن ابن الأحمر أرسل إلى الملك القشتالي رأس القائد المقتول معطرة تقرباً إليه.

تحرك السلطان المريني إلى الأندلس في جوازه الثاني (676-677)، واستقبله بنو اشقيلولة وانضموا تحت لوائه، وشاركوا معه في غزوتي إشبيلية وشريش، وحاول السلطان أن يستميل ابن الأحمر ويرفع مكانته في وجه النصاري عندما قرر غزو قرطبة، فأرسل إليه قائلاً: "إن خرجت معي إليها تكن لك مهابة في قلوب الروم ما عشت"، بحيث يظهر أن ابن الأحمر رغم تلبسة رغبة السلطان بالمشاركة في غزو قرطبة حاول أن يحافظ على خيط الاتصال مع ملك قشتالة حذراً من نهج المرينيين سياسة يوسف بن تاشفين المرابطي مع ملوك الطوائف، وقد عبر ابن الخطيب عن هذه الحالة بقوله "صلحت الضمائر، ثم استحال إلى فساد". فالمشكل الأساسي في هذه الفترة بالنسبة للأمير النصري هو إقحام السلطان المريني في النزاع الداخلي بالأندلس، خاصة عندما تنازل له بنو اشقيلولة عن مدنهم ومنها مالقة المتصلة بالشغر المريني (في رمضان 677)، وقد دخلها السلطان فعلاً في جو من الترحيب، ومنها أيضاً وادي آش التي كانت في قلب الإمارة شرق غرناطة، أي أصبح هناك اقتناء بإمكانية تطويق

جديدة بعد أن ركز نفوذه في المناطق التي احتلها سابقاً، وربما كانت حملته على سلا سنة 658 تدخل في إطار محاولة التعرف على القوى الجديدة الناشئة بشمال المغرب وهي الإمارة المرينية بفاس، ومن جهة أخرى التمهيد لقطع الطريق على الإمدادات التي يمكن قدومها من المغرب. فكان الرد المريني هو إرسال المتطوعين خاصة من القبائل المرينية بين سنتي 662 و664 لدعم إمارة النصريين بني الأحمر ضد القشتاليين بعد انتفاض الهدنة معهم كما رأينا، ودعم الانتفاضة الإسلامية في المدن المحتلة من طرف القشتاليين، والمدن التي توجد بها حاميات قشتالة ومنها مرسية عاصمة بني هود الذين دخلوا في طاعة ابن الأحمر.

انتهى الصراع مع القشتاليين بفشل الانتفاضة الإسلامية ويتوقع هدنة مؤقتة سنة 665 من موقع ضعف النصريين: قبول دفع الإتاوة السنوية مجدداً، التنازل عن جملة من الحصون، ثم انصرف الأمير النصري للقضاء على تمرد بني اشقيلولة، فتمكن مؤقتاً من التغلب عليهم بفتح الحصون التي تمردوا بها وأهمها مالقة ووادي آش وقمارش قبل أن يتجدد تمردهم. وصادف هذا الظرف تولي الواثق إدريس الخلافة الموحدية في مراكش، فأرسل إليه ابن الأحمر يهنئه ويطلب دعمه، وكان قبل ذلك طلب الدعم أيضاً من السلطان المستنصر بالله الحفصي. وبوفاة الأمير النصري الأول محمد الشيخ الغالب بالله في آخر جمادى الثانية 671 استدلع الفتنة الداخلية التي يتم فيها إقحام السلطان المريني يعقوب كما هو مذكور في ترجمة محمد الفقيه النصري.

وهكذا تمكن أحد المغامرين الأندلسيين من إنشاء إمارة ورثت حكم ما تبقى من بلاد الإسلام في الأندلس لمدة قرنين ونصف، معتمدين على أساس الدعم المغربي بعد استقرار الحكم المريني به، واتباع سياسة التحالف والمناورة بين الأطراف الإسبانية والمغاربية (انظر في المعلمة مادتي: النصري محمد الفقيه، والنصري محمد المخلوع).

ابن الخطيب، الإحاطة: ابن عذاري، البيان المغرب: ابن الأبار، الحلة السيرة، 2: 314؛ ابن خلدون، العبر، 4: 369. 366؛ مجهول، الذخيرة السنية، 110؛ عزوي، الغرب الإسلامي؛ عنان، نهاية الأندلس، 37. 54.

النصري، محمد الفقيه، هو ثاني أمراء غرناطة، عين ولياً للعهد حوالي سنة 662، تولى الإمارة بعد وفاة أبيه محمد الشيخ الغالب بالله في آخر جمادى الثانية 671؛ اشتعلت الفتنة الداخلية منذ أول عهده خصوصاً بمنافسة قرابته من بني اشقيلولة في مدن مالقة ووادي آش وقمارش وحصونها؛ واستغل القشتاليون هذه الوضعية للضغط على الإمارة، فاضطر أميرها للاستنجاد بالمرينيين؛ وكان هؤلاء قد أنهوا الدولة الموحدية في مراكش وأعادوا توحيد البلاد، خصوصاً البيوتين الرئيسيتين سجلماسة باب الصحراء وسبتة باب الاتصال مع الأندلس، فخضعت تلك عنوة، وهذه صلحا بزعامة أميرها العزفي على أن يتوارث أبناؤه الإمارة بها.

المسلمين بدار الحرب [قشتالة] وإرسال جملة من الكتب العربية التي بالمدن الأندلسية الخاضعة للقشتاليين.

غير أن ابن الأحمر عاد حوالي سنة 690 إلى التحالف مع القشتاليين ضد السلطان المريني الثاني يوسف بن يعقوب (685-706)، بهدف انتزاع مدينة طريف فتنازل الملك قشتالة عن جملة حصون وساهم الأسطول الأركوني في حصار المدينة إلى أن سقطت وذلك خلال سنة 691، فتمسك بها القشتاليون عوض تسليمها للتصريين، فاضطر ابن الأحمر إلى مراجعة علاقته مع المرينيين طالبا الدعم منهم لتحرير المدينة، لكن عندما حاصرها الجيش المريني توقف التصريون عن دعمه، بينما شارك الأسطول الأركوني في حمايتها من الناحية البحرية، فلم يمكن استرجاعها، وظلت منذئذ تحت الحكم القشتالي.

وفي الوقت الذي كان سانشو يستعد لحملة ضد الجزيرة الخضراء أيضا لاحتلالها وافته المنية، وتولى ابنه الطفل عرش قشتالة، فاندلعت بها فتنة داخلية طويلة الأمد أتاحت للتصريين عقد تحالف مع أركون، استغلوه لاسترجاع حصني قيجاطة (Quesada) سنة 695، والقبيذاق (Alcudete) 699 مع حصون أخرى لم يتمكنوا من الاحتفاظ بها، واستولى الأركونيون على مدينتي قرطاجنة ولورقة في إقليم مرسية المتنازع عليه مع قشتالة، وجدد الطرفان سنة 701 (قبل وفاة الأمير بثلاثة أشهر) تحالفا بينهما ضد قشتالة لدعم أركون إن هاجمت قشتالة الأركونيين في إقليم مرسية، وشمل الاتفاق أيضا دعم أركون لغرناطة ضد أعدائها مسلمين أو قشتاليين، وأن يشمل هذا الحكم أي بلد يمكن أن يدخل تحت طاعة غرناطة "من بلاد العدو"، وهذا يدل على أطماع التصريين في مدينة سبتة لمنع أي جواز إلى الأندلس فيما يبدو خوفا من طمع المرينيين فيها، وهذا المشروع التصري بشأن سبتة سيتم في عهد ابنه محمد المخلوع. وموت محمد الفقيه سنة 701 انفرط عقد التحالف مع أركون ومالت هذه إلى التقارب مع القشتاليين لحل مشكلة إقليم مرسية بصفة نهائية.

هكذا يتبين أن عهد محمد الفقيه تميز بعدم الاستقرار الداخلي، وبالمناورات بين الأطراف الإسلامية والنصرانية خصوصا مع التشكك في نوايا المرينيين، وهو تشكك حاول هؤلاء تبديده مرارا. وسيستمر أسلوب المناورة في عهد ابنه وخلفه محمد المخلوع، وربما كان هذا الأسلوب أحد أسباب استمرار هذه الإمارة مدة أطول إلى جانب الدعم المغربي.

ابن أبي زرع، *روض القرطاس*؛ ابن الخطيب، *اللمحة البدرية*، 54؛ الإحاطة، 1: 566-565، الأعلام، 2: 333-335؛ ابن خلدون، *العبر*؛ عزاي، *العرب الإسلامي من خلال رسائله*؛ م. عنان، *نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين*، 1966؛ مارمول، *إفريقيا، الرباط*، 1984؛ أرباس، *بنو مرين في الاتفاقيات المبرمة بين أركون وغرناطة*، ص. 191-1963.

Mas - Latrie, *Traité de paix et de commerce...* 96-97, Paris, 1866 ; Ch. Dufourcq, *L'Espagne Catalane...* 201-203, 362, Paris, 1966.

غرناطة إذا رغب السلطان المريني في ذلك، فمال ابن الأحمر إلى التحالف مع ألفونسو العاشر ملك قشتالة، وأسرع هذا الأخير إلى حصار الجزيرة الخضراء، ودام الحصار سنة كاملة من ربيع الأول 677 إلى ربيع الأول من السنة اللاحقة، كما تحالف ابن الأحمر مع أمير تلمسان الزياني ليضغط على الثغور المرينية الشرقية. والهدف في الحالتين منع السلطان المريني من الجواز إلى الأندلس، قال ابن خلدون "اتصلت يد ابن الأحمر بيد الطاغية على منع أمير المسلمين من الإجازة، وراسلوا يغمراسن بن زيان من وراء البحر، وراسلهم في مشاققة السلطان وإفساد ثغوره وإنزال العوائق به المانعة من حركته، وأسنوا في ذلك الإتحاف [الهدايا] والمهاداة، واصطفقت أيديهم جميعا على السلطان". وكان من مخلفات الاضطراب داخل الإمارة النصرية أن أميرها لم يفعل شيئا لصالح أهل بلنسية الذين ثاروا على حكم الأركونيين، كما لم يمنع حصن منتيشة من السقوط في يدهم رغم تكرر طلبات الاستنجاد، فسقط سنة 676، وكان هؤلاء يبايعون الأمير النصري.

حوالي سنة 680 اضطرت أحوال قشتالة بتمرد الأمير سانشو على أبيه ألفونسو العاشر واستولى على معظم البلاد، فاضطر هذا الأخير إلى طلب دعم عسكري ومادي من السلطان المريني، ورهن تاجه لديه في قرض حصل عليه لدعم أنصاره، بينما تحالف الابن المنتمرد مع ابن الأحمر وملك أركون وأمير تلمسان (قبل وفاته سنة 681). كان هذا الوضع سبب انتقال السلطان يعقوب إلى الأندلس سنة 681 (الجواز الثالث)، وتعاون مع ألفونسو ضد أنصار ابنه خاصة في منطقة الوادي الكبير. ومن جهة أخرى راسل السلطان المريني ملك فرنسا فليب الثالث الملقب بالجسور (Le Hardi) لدعم الحكم الشرعي في قشتالة، وكان بين الطرفين نزاع اقترح السلطان أن يتوسط لعله بين الملكين النصرانيين.

غير أن تزايد نفوذ سانشو وظهور أطماعه في الإمارة النصرية ذاتها جعلت أميرها يعود إلى مراجعة موقفه من السلطان المريني، وقد عبر صاحب القرطاس عن هذا بقوله "ضاعت الدنيا على ابن الأحمر"، فتوسط ولي العهد المريني يوسف لإصلاح ما بين والده وابن الأحمر "فاجتمعت كلمة الإسلام"، واشترك ابن الأحمر مع السلطان المريني في العمليات القتالية التي وصلت حتى أحواز طليظلة "ألبرت" أواسط سنة 682 / 1283. وانتهى الجواز الثالث بعودة السلطان إلى المغرب في شعبان من نفس السنة.

أمّا الجواز الرابع للمنتصر سنة 684، فشن جيشه مع التصريين الغارات على منطقة الوادي الكبير حتى اضطرت الملك القشتالي لقبول هدنة وقعها في الجزيرة الخضراء مع المرينيين والتصريين كل على حدة تبعا لرغبة السلطان يعقوب لرفع مكانة ابن الأحمر، ومن بين ما جاء في اتفاق الهدنة حسب ابن خلدون: مسالة المسلمين كافة [نصريين ومرينيين] وترك التضريب بين ملوك المسلمين ورفع الضريبة عن تجار

من ذلك مثلاً الاتفاق الثلاثي النصرى الأركوني المريني
لسنة 758.

2) المرحلة الثانية استمرت خلال الستينيات، وتميزت
بالانشغال بالأحداث الداخلية أولاً في النصف الأول من هذا
العقد، ثم بالعمليات ضد القشتاليين في النصف الثاني منه
لانشغالهم في حروب أهلية طويلة، بينما كان المغرب المريني
يعاني بعد أبي عنان من استبداد الوزراء بالسلطين وضعف
السلطة المركزية وحركات التمرد. ففي أولها كانت أزمة
العرش النصرى بالانقلاب على الغنى بالله 760، فانتقل إلى
المغرب باستدعاء سلطانه أبي سالم بن أبي الحسن (760-
762)، فأكرم وفادته مع وزيره ابن الخطيب، قال المخلوع في
إحدى رسائله إلى سلطان مصر (بعد استرجاع عرشه) "وجزنا
البحر... ونزلنا من جناب سلطان بني مرين [أبي سالم بن
أبي الحسن] على المثوى الذي رحب بنا ذرعه، ودل على كرم
الأصول فرعه... ورد على الدهر الذي تهكم... واستركب لنا
واستخدم...". ولما حانت فرصة استرجاع عرشه، وجد الدعم
من السلطة المرينية ومن ملك قشتالة، فطلب المتغلب على
غرناطة الغالب بالله ملك أركون دعماً بحرباً لمواجهة هذا
الوضع، حيث إن سلطان المغرب "أعان من في إيالته من
الأندلس [المخلوع] على الجواز إلينا في غرض الفساد، وجهر
له ستة أجفان غزوية، وركن مع ذلك لصاحب قشتالة في هذا
المقصد حتى أعانه بخمسة أجفان غزوية، وهي كلها تدور
على السواحل، وتقاتل أهل الجهات التي تحل بها"، وكانت
علاقة الغالب بالله ساءت مع القشتاليين فمالوا إلى دعم
منافسه. وبعد تمكن المخلوع من استرجاع عرشه اعترف في
رسالة إلى سلطان مصر بهذا الدعم المريني "وظاهرنا محل
أخيها السلطان الكبير الرفيع المعظم أبو سالم الذي كان وطنه
مأوى الجنوح ومهب النصر الممنوح... مظاهرة مثله من الملوك
الأعظم... وأنف حتى عدو الدين لنعمتنا المكفورة، وحقوقنا
المجوبة المستورة... وسخر أساطيله تحضياً على الإجازة
وترغيباً". فتنازل له سلطان المغرب مؤقتاً عن مدينة رندة
ليدير منها عملية الانطلاق نحو غرناطة.

خلال زحفه نحو هذه المدينة فر منها الغالب بالله إلى
ملك قشتالة فقتله مع مجموعة من أنصاره، ودخل المخلوع
(الغنى بالله) غرناطة في 20 جمادى الثانية 763، غير أن
محاولة انقلابية أخرى من بعض أقربائه وأنصار سابقه
ظهرت ضده في ذي الحجة من نفس العام، فتمكن الجند
المغربى أي فرقة "الغزاة" من إفشالها في مهدها.

واستقرت تدريجياً أحوال الأندلس خاصة مع استمرار
الهدنة مع القشتاليين، بل إن هؤلاء دخلوا في حروب أهلية
طويلة واستعان بعضهم بالنصرين، وحاولت الكنيسة أن
تتجاوز هذا الوضع بالتحريض على المسلمين بالأندلس
وقسمت مناطق النفوذ بين قشتالة وأركون، فورد في إحدى
رسائل الغنى بالله خلال سنة 767 "أن كبير النصرانية... لما
أعياء شتات أمته، وإعانة المسلمين بعضهم على بعض حرك

النصرى، محمد (الغنى بالله)، بن أبي الحجاج
يوسف بن أبي الوليد إسماعيل، تولى إمارة غرناطة للمرة
الأولى في سن المراهقة بعد اغتيال أبيه في صلاة عيد الفطر
من سنة 755. كان أشهر وزراءه وكتابه ابن الخطيب، الذي
قال عنه "افتتحت أيامه بالسلم والهدنة". ثم وقع عليه
انقلاب لصالح أخيه إسماعيل في فاتح شوال 760، ثم ثار
على هذا الأخير قريبه محمد بن إسماعيل الملقب بالغالب
بالله [الثاني] سنة 761. وسيتمكن الأمير محمد المخلوع
المسمى لاحقاً الغنى بالله من استرجاع عرشه سنة 763
ليستمر في حكم غرناطة ثلاثين عاماً أي إلى وفاته سنة
793، وقد ظهر في هذه الفترة كأبرز أمراء أو سلطين
غرناطة، حيث أصبح له نفوذ على الساحة الدبلوماسية
الإسبانية والمغربية بل والعسكرية أحياناً في فترة انشغلت
فيها الممالك الإسبانية والمغربية بمشاكلهما الداخلية.

يمكن النظر إلى سياسته المغربية من خلال مرحلتين ؛
الأولى قبل سنة 774، وقد تميزت بعلاقات الود والدعم،
والثانية من هذه الفترة إلى وفاته سنة 793 وتميزت بتدخله في
شؤون المغرب الداخلية سلبياً.

1) في الفترة الأولى من إمارة الغنى بالله (755-760)،
ورث عن عصر أبيه بعض الكدر في العلاقة مع أبي عنان،
الذي اتهمه بدعم تحرك أخيه أبي الفضل الذي قدم من
الأندلس منافساً له ؛ وبعد القبض عليه ظهر مشكل تمرد
والى جبل الفتح ابن أبي منديل العسكري في أواخر سنة
756، وكان من شأن تطور هذه الحادثة أن تسد باب
الإمدادات المغربية، وتسيئ الظن في السلطة النصرى،
ولحسن الحظ أن التمرد لم يطل، إذ أن جند الجبل ثاروا على
واليهم ابن أبي منديل وأرسلوه إلى سبتة لتسليمه للسلطان
أبي عنان.

وبالنسبة للعلاقة مع القشتاليين، سارع الغنى بالله إلى
عقد هدنة معهم مقابل دفع إتاوة سنوية رغم وجود مشاكل
داخل قشتالة، وهذا ما أثار استغراب أبي عنان خاصة وأنه
يملك الشغل المريني في شمال المضيق، ولا بد من التنسيق بين
الطرفين في سياستيهما نحو القشتاليين. وكان رد الغنى
بالله على أبي عنان أن ما سمعه من مشاكل داخل قشتالة لا
تصل إلى الدرجة التي يمكن معها فرض أمر واقع لصالح
الإمارة النصرى والمرينيين، وأن ملك قشتالة "اعتاد أن يكون
مظلوماً ورأى التماسنا سلمه وجوباً"، ومع ذلك فإنه عند
انتهاء مدة السلم - كما يقول - يمكن خوض الحرب معه إذا
توفرت إمكانيات الدعم المريني، وعندئذ يمكن الوصول لسلم
مشرف، ويظهر أن الغنى بالله لم يكن ينتظر من أبي عنان
غير دعم محدود في هذه الفترة التي كان منشغلاً فيها بفتح
إفريقية بدءاً من بجاية.

ومع ذلك فإن الغنى بالله ظل وسيطاً بين المرينيين
وغيرهم في هذه الفترة خصوصاً بالنسبة لغير القشتاليين
لعقد اتفاق أكثر من ثنائي مادام أبو عنان منشغلاً بإفريقية،

منهم أمة تسد الفضاء... لتعين القند المنافس على عرش قشتالة على أخيه... فإذا استقل بالملك صار الجميع يدا واحدة على المسلمين، وقسم بينهم البلاد، وعاهد الكل ألا يخاطبوه إلا من المحال التي عينها... ويختص البرجلوني [صاحب أركون] من ذلك بنزول المرية، وتجتمع الأساطيل البحرية على تملك الساحل وقطع الجواز"، واستجاب المرينيون بإرسال الدعم إذ "صدر الجواب منهم بما يرضي القلوب من الإعانة... والمساهمة والشروع في المبادرة وتعيين المعونة...". واستغل الغني بالله الوضع المضطرب في قشتالة وبينها وبين أركون للقيام بحملات متتالية لاسترجاع الحصون التي كان القشتاليون استولوا عليها قبل استرجاع عرشه، وأسرع إلى الاستنفار لتحرير الجزيرة الخضراء قبل أن يلتزم شمل النصارى ويسدوا باب المضيق، واستدعى الدعم المغربي الرسمي والشعبي للمساهمة في تحريرها فشارك الأسطول المريني مع النصارى في الحصار إلى جانب الجيش البري فأمكن تحريرها سنة 771، وتنازل عنها المرينيون لسلطان غرناطة إذ كانت مرينية قبل سقوطها سنة 744، ولم يبق لهؤلاء شمال المضيق غير جبل الفتح بعد أن تمسك الغني بالله برندة التي كان المرينيون تنازلوا له عنها مؤقتا لاسترجاع عرشه. وكان المرينيون خلال الستينيات منشغلين بالأحوال الداخلية وبإمارة تلمسان التي كانت وراء كل حركة ترمو ضد السلطة المركزية في فاس خصوصا إمارة بني الأمير عمر القائمة في سجلماسة والتي تم القضاء عليها سنة 764، وإمارة شيخ هنتاتة في مراكش وبلاد الصامدة الذي أمكن القضاء عليها سنة 771. أي أن النصارى ظلوا مطمئنين إلى حماية خط الإمداد المريني مادامت الجزيرة الخضراء بيدهم والجبل بيد المرينيين والنصارى في فتنة مستمرة، وهذا ما شجع الغني بالله منذ السنة اللاحقة على الامتناع عن تقديم الإتاوة التي كان يؤديها أمراء غرناطة للقشتاليين.

(3) فترة السبعينيات والثمانينيات، وهي فترة التدخل النصارى في شؤون المغرب: إن ضعف السلطة المركزية المرينية خلال النصف الثاني من القرن الثامن من جهة، وانشغال النصارى في إسبانيا بمشاكلهم الداخلية طيلة عهد الغني بالله بل إلى أوائل القرن اللاحق، أتاحت له أن يظهر كأهم سلطان في هذه الفترة بهذه المنطقة، بحيث أخذ يتدخل في الشؤون النصارانية، وكذا في السياسية المرينية منذ سنة 774 وإلى غاية وفاته سنة 793، ففي السنة الأولى دعم أميرين مرينيين متنافسين هما أبو العباس بن أبي سالم وعبد الرحمن بن أبي يفلوسن وهو من أحفاد الأمير عمر (المتنمره بسجلماسة سابقا)، فاقسمت الأمازيغ بلاد المغرب: السلطان أبو العباس في فاس، والأمير عبد الرحمن في مراكش، وظل الحال كذلك إلى سنة 784. ثم دفع الغني بالله سلطان فاس إلى سجن الوزير ابن الخطيب بعدما انتقل إلى المغرب مفضويا عليه، وتمت عملية اغتياله داخل السجن بتدبير من النصارى. وعندما فتح السلطان أبو العباس تلمسان سنة 785

ردا على دعم أميرها لصاحب مراكش وخرق الهدنة بشن غارة وصلت إلى أحواز مكناسة خلال انشغال أبي العباس بحصار صاحب مراكش -، أرسل الغني بالله أميرا مرينيا منافسا له من الأندلس هو موسى بن أبي عنان الملقب بالمتوكل واختار له وزيرا هو مسعود بن ماساي الذي كان مقيما بالأندلس مع المتوكل، بعثها مع قوة عسكرية بسبته "وكان بين [الغني بالله] وبين شرفائها ورؤساء الشورى بها مداخلة. فملكها [موسى] غرة صفر سنة ست وثمانين [وسبعائة] وسلمها لابن الأحمر فدخلت في طاعته"، ودخل موسى فاساً في ربيع الثاني، ووجه أبا العباس المخلوع إلى غرناطة تلبية لرغبة ابن الأحمر ليستعمله ورقة ضغط في الوقت المناسب. ثم رغب الوزير ابن ماساي من سلطان غرناطة أن يبعث إليه بالأمير محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن ليجعله سلطانا حيث "رأه أليق بالاستبداد والحجر"، فبايعه ابن ماساي في شوال سنة 788، وسماه الوثائق بالله... عندما توترت العلاقة بين الوزير المذكور والسلطان النصارى بسبب اعتقاله الفرقة النصارى التي أوصلت السلطان الجديد إلى فاس كرهائن إلى حين إخلاء سبته، قام النصارى بإرسال السلطان أبي العباس المخلوع لتولي عرش المغرب في صفر 789، وتخلى له عن سبته دعما له فتحرك بأنصاره نحو فاس، كما تحرك من الشرق دعما له عرب المعقل وعرب سويد بزعمارة وانزمارن وسار الهسائكة من الجنوب نحو فاس بعد أن أخضعوا مراكش لطاعة أبي العباس، فاضطر وزير فاس إلى الاستسلام بعد الحصار، وقتل مع سلطانه في رمضان 789.

عندما عاد السلطان أبو العباس إلى سياسته القديمة بفتح تلمسان دعما لأحد أبناء أميرها سنة 791، وأصبح هذا الأخير "يقيم دعوة السلطان أبي العباس صاحب المغرب ويخطب له على منابر تلمسان وأعمالها ويبعث إليه بالضريبة كل سنة كما اشترط على نفسه" لم تمهل الموت الغني بالله "لتأديب" أبي العباس لتصرفه بغير رضاه؛ بحيث يلاحظ عدم اهتمامه بموقف الغني بالله، بل هناك من يتهم أبا العباس بتدبير موت يوسف بن الغني بالله سنة 795 ومحاولة ضم الأندلس إلى نفوذه، لكن الموت لم تمهله طويلا بعد ابن الغني بالله حيث توفي أبو العباس في مطلع سنة 796 تاركا لأبنائه نفوذا مستديما على تلمسان استمر حتى مطلع العقد الثاني من القرن اللاحق فيما يبدو، أي إلى اندلاع الفتنة الكبرى بالمغرب حوالي سنة 812. وتوالت محاولات تدبير المكائد بين أبناء أبي العباس وأبناء وأحفاد الغني بالله إلى أن تمكن هؤلاء من دعم الفتنة الكبرى حوالي سنة 818 بالمغرب والتي ستنتهي بسقوط المرينيين أواسط القرن، ولكن هذا الوضع المتدهور انعكس أيضا بشكل سلبي على الأندلس التي حرمت الدعم من المغرب المضطرب لتسير تدريجيا نحو سد أبواب المضيق عليها وتطبيقها بسقوط جبل الفتح 867 / 1462 ريشما يقع الإجهاد عليها في نهاية القرن التاسع.

الفرسان المرينيين إلى الطرف الأركوني من إقليم مرسية. وهكذا في الوقت الذي كان من المنتظر اشتعال الحرب بين قشتالة وأركون، تم عقد اتفاق بينهما أنهى بشكل إقليم مرسية باقتسامه بين الطرفين (اتفاق غشت 1304 / محرم 704) ؛ بينما سارت العلاقات المرينية النصرية نحو التدهور خاصة بعد أن استولى النصريون على سبتة سنة 705، ووجهوا نحو شمال المغرب أحد شيوخ "الغزاة" المرينيين في غرب الإمارة لمنافسة السلطان يوسف على العرش وهو عثمان ابن أبي العلاء لكي يضطر السلطان لرفع الحصار عن تلمسان، وهو حصار لم ينته إلا بمقتله في ظرف غامض على يد أحد خدامه في ذي الحجة 706.

ظهر فشل تصفية الجو بين المرينيين والنصريين منذ النصف الثاني من سنة 703 / ربيع وصيف 1304، ومن مظاهر ذلك طرد الفرقة النصرية المشاركة في حصار تلمسان بعد إخلاء مواقعها لصالح جيش بني زيان كما ورد سابقا، وهذه الفترة هي التي أثار فيها النصريون أمير سبتة ضد السلطان المريني، فقد ذكر ابن خلدون أن ابن الأحمر أوعز لعنه الرئيس أبي سعيد فرج صاحب مالقة "بمداخلة أهل سبتة في خلع طاعة السلطان [يوسف]"، وهذا قبل احتلال النصريين لها سنة 705.

أرسل السلطان يوسف المريني من محلته بالمنصورة خارج تلمسان فرقا عسكرية لاسترجاع المدينة دون نتيجة، وأصبح الظرف يفرض فك الحصار عن تلمسان لعلاج مشكلي سبتة وابن أبي العلاء، لكن السلطان كان ينتظر بين حين وآخر سقوط تلمسان في يده بسبب شدة الجوع داخلها، ثم كان اغتياله في نهاية سنة 706 وتولي حفيده أبي ثابت عامر السلطنة (706-708)، ففك الحصار بعد عقد هدنة مع أمير بني زيان وعاد إلى فاس. وكان المشكل الأساسي هو إخماد بعض الفتن داخل المغرب، فتم التحرك إلى مواجهة بعضها في الجنوب، ثم إلى ابن أبي العلاء الذي كان نفوذه يزحف من الشمال في اتجاه فاس، ولم يقع التغلب عليه إلا سنة 708 في عهد أخيه وخلفه أبي الربيع سليمان (708-710)، الذي أرسل بعد ذلك قواته لحصار سبتة انطلاقا من طنجة غربا ومن حصن تطاون جنوبا، وكان قد تم اتفاهه مع الأركونيين على كراء سفن حربية للمشاركة في الحصار. وخلال هذا ثار أهل المدينة ضد الحامية النصرية وفتحو الأبواب للجيش المريني سنة 709، وعقد صلح مع أمير غرناطة الجديد أبي الجيوش نصر أخي الأمير المخلوع. والملاحظ هو تأخر حل مشكل سبتة ما يقرب من سنة بعد خلع هذا الأمير، ربما بسبب رفض الرئيس أبي سعيد صاحب مالقة الانسحاب، وقد كانت سبتة في مجال نفوذه، وكان هو متحفظا من البيعة لأبي الجيوش.

وقد عرفت الأندلس منذ هذه الفترة ضغوطا خارجية بسقوط جبل الفتح في يد القشتاليين سنة 709، وتشديد الأركونيين الحصار على المرية في إطار خطة اقتسام الإمارة

هكذا يتبين أن الطرف الأندلسي على الخصوص لم تكن له نظرة بعيدة المدى لخدمة مصالح الأندلس بعيدا عن الدسائس، خصوصا في النصف الثاني من القرن الثامن والنصف الأول من القرن التاسع، وربما هذا ما كان يشعر به ابن الخطيب قبل وفاته سنة 776 ويبدو أنه تسبب في اتهامه بالميل إلى المرينيين ضد سلطان غرناطة، أي أن الغني الله خاصة الذي نسي الدعم المغربي له لاسترجاع عرشه، لم يساعد هذا المغرب على تجاوز أزمة السلطة ولم يحسن أبنائه إمكانية الاستفادة من دعم الحفصيين الذين كانوا في مرحلة قوة خلال النصف الأول من القرن التاسع، كما لم يستغلوا جيدا ظروف التنافس النصراني إلا فيما يتعلق بجمع الغنائم والاعتماد على التحصينات التي لم تعد قادرة على مواجهة المدفعية - ذات الأصل المغربي التي امتلكها العدو الإسباني فسهل عليه ذلك الحصون النصرية.

ابن الخطيب، للمحة البدرية؛ الإحاطة في أخبار غرناطة، 2: 13-91؛ ابن الأحمر، روضة النسرين، 38، الرباط، 1962؛ ابن خلدون، العبر؛ عزوي، الغرب الإسلامي.

النصري، محمد المخلوع، ابن الأمير محمد الفقيه ابن الأمير محمد الشيخ النصري، تولى الإمارة النصرية سنة 701. أظهر الحزم في وجه منافسيه بحيث عاجل بالقتل قريبه أبا الحجاج بن نصر الذي ثار عليه بوادي آش سنة 703. وزر له كاتبه وكاتب أبيه ابن عبد الحكيم اللخمي الرندي، ونظرا لما أصيب به من عمى، فقد "ألقى في يده أزمة الملك، فلم يلبث أن تغلب على أمره، وتقلد كافة شؤونه"، وهذا ما أدى إلى قتله في عيد الفطر من سنة 708.

صادفت فترة إمارته الحصار المريني الطويل لتلمسان (698-706)، وبسط السيادة المرينية على باقي المغرب الأوسط الغربي، ونظرا لما كان سابقا بين غرناطة وتلمسان من تحالف مستمر ضد المرينيين فإنه تظاهر في البداية بقبول الأمر الواقع، ولكنه كان يعمل لمحاولة إفشال عملية الحصار خاصة بواسطة فرقة متخصصة أرسلها لدعم المرينيين ويطلب منهم، حين أخلت مواقعها لصالح الزينانيين المحاصرين.

تشير أصابع الاتهام إلى تحريضه لأمير سبتة أبي طالب العزفي حين تمرد على السلطان يوسف سنة 703 بامتناعه عن دفع الإتاوة السنوية المعتادة التي كانت عربونا على تبعيته للسلطان، هذا في الوقت الذي كان المرينيون يسعون في وساطة بين غرناطة وأركون بعدما فسدت هذه العلاقة نتيجة اتفاق غرناطة وقشتالة في ذي الحجة 702 / 1303 الذي اعترف بمقتضاه النصريون بالاحتلال القشتالي لمدينة طريف المرينية أصلا؛ بينما كانت قشتالة تسعى لإيجاد حلف ثلاثي يشمل المغرب ضد أركون للضغط عليها لحل مشكل إقليم مرسية، وهي خطة رفضها المرينيون لحاجتهم إلى دعم البحرية الأركونية لفتح ما تبقى من مراسي المغرب الأوسط آنذاك؛ فعقدوا حلفا مع أركون انتقل بمقتضاه جملة من

وأراضي شاسعة امتدت جنوب الوادي الكبير. ولما استكملوا هذه المهمة وطمعوا في المزيد، صادفوا نشوء دولة مغربية فنية عرقلت تحقيق أطماعهم آنذاك وهي الدولة المرينية. بدأ دعم المرينيين للأندلس منذ إنشاء إمارتهم بفاس، فقد بعثوا بين سنتي 662 و664 أفواجا من قبائلهم (إضافة إلى عناصر من قبائل أخرى) للدفاع عن غرناطة ومرسية ومدن أخرى كانت كلها تتعرض للهجومات القشتالية والأركونية. ولما استقرت أمور المرينيين بفتح مراكش والقضاء على الموحدون دشن أول سلاطينهم يعقوب المنصور (668).

(685) عمليات الجهاد الرسمي، فكانت له أربع جوازات إلى الأندلس اكتسب في أولها نصرا هاما في معركة أستجة سنة 674، وهو نصر لم يعد الأراضي المفقودة، ولكنه رفع معنوية الأندلسيين والمغاربة معا في مواجهة النصارى، حيث تجددت الحملات في الثغور القشتالية، وتوفي السلطان يعقوب سنة 685 بالجزيرة الخضراء وهو عائد من جوازه الرابع بعد أن ألزم القشتاليين بتوقيع هدنة من موقع قوة معه ومع النصريين.

كانت ظروف الدعم المغربي الرسمي للأندلس تتطلب تنازل النصريين عن بعض المراكز شمال المضيق حتى يتسنى للمرينيين تنظيم عمليات العبور نحو الشمال والعودة نحو الجنوب من جهة، ومن جهة أخرى ليتحملوا مسؤولية حماية المضيق من السقوط في يد النصارى، فقد استمرت مدن المضيق الشمالية تحت التهديد النصارى، ومن ذلك ما قام به القشتاليون من حصار للجزيرة الخضراء مدة سنة كاملة بين ربيع الأول 677 وربيع الأول 678، وستظهر محاولات أخرى لاحقا (سقوط جبل طارق سنة 709 قبل تحريره سنة 733، سقوط الجزيرة الخضراء سنة 745 ثم تحريره سنة 771...)، بحيث تبين أن الهدف القشتالي منصب على قطع طريق الإمدادات المغربية باستمرار، كما أن وجود الجيش المريني بشكل دائم شمال المضيق كان يجعله على أهبة الاستعداد لمواجهة الحملات القشتالية المهددة للنصرين، فإشيلية المقر شبه الرسمي للملك قتشالة كانت أقرب إلى "الثغر" المريني شمال المضيق منها إلى غرناطة. ولما كان وضع هذا الثغر مرتبطا بأحوال المغرب ومدى قوة التحالف النصارى وتأمين عملية العبور للدعم، فإن الضرورة كانت تفرض وجود قوة داعمة داخل الإمارة النصرية، فأصبح جيشها مكونا من فرقتين، فرقة أندلسية وفرقة من المغاربة المتطوعين معظمهم من القبائل المرينية عرفت بفرقة "الغزاة" أي المجاهدين، كان اعتماد الأمراء النصريين عليها أكثر من اعتمادهم على غيرها، وكان يعين على رأس هذه الفرقة - التي تضم أيضا مجموعة من زناتة المغرب الأوسط - شيخ من العائلة المرينية الحاكمة.

وإذا كان لفرقة الغزاة تأثير على مسار العلاقات الخارجية كما سنرى، فإنها كانت أحيانا تمارس أعمالا سلبية بالقصر السلطاني نظرا لما أصبح لشيوخها من نفوذ متزايد خلال فترات ضعف الأمراء، فشيخ الغزاة ابن أبي العلاء

بين الطرفين، فأقدها جيش "الغزاة" المغاربة؛ كما عرفت انقلابا داخليا أدى إلى تولي فرع نصري آخر كرسي الإمارة رافقه تصدع الجبهة الداخلية، وتحالف المعارضة مع القشتاليين؛ بينما كان المغرب المريني منشغلا بظروف داخلية لم تسمح له بدور فعال في الأندلس، فلم ينقذها من السقوط بيد النصارى غير الجند المغاربة "الغزاة" الذين كانوا في خدمة الإمارة النصرية، إلى حين ظهور السلطان أبي الحسن المريني وإعادة التنسيق مع النصريين في ثلاثينيات القرن الثامن.

وهكذا ظل الدور المغربي مستمرا لحماية الأندلس من النصارى سواء بتدخل الجيوش النظامية عندما تسمح الظروف بذلك، أو بواسطة المتطوعين المقيمين في الأندلس أو المستنفرين من المغرب عند الضرورة.

ابن أبي زرع، القرطاس؛ ابن خلدون، العبر؛ يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، الجزائر، 1980؛ ابن الخطيب، للمحة البدرية؛ الإحاطة؛ عزراوي، الغرب الإسلامي؛ أربياس، بنو مرين في الاتفاقيات المرية بين أركون وغرناطة، ص. 193، 1963؛ مارمول، إفريقيا، الرباط، 1984.

Dufourcq, L'Espagne Catalane...

النصريون (أمراء غرناطة والعلاقة مع المغرب)، تحمل المغاربة عبء فتح الأندلس وحمايتها طيلة ثمانية قرون، فقد تم فتحها على أيديهم، ثم قاموا بحماية الثغور في الفترتين الأموية والطائفية رغم عدم الارتباط سياسيا بين الجهتين؛ وازداد الدور المغربي في عصري المرابطين والموحدين الذين باشروا النفوذ السياسي على الأندلس، وقاموا بدور الدفاع عنها في وجه الإسبان، إلى أن دخل الموحدون في مرحلة ضعف خلال النصف الأول من القرن السابع (13)، فظهرت الحركات الانفصالية شرقا (إفريقية وتلمسان) وشمالا (الأندلس)، ولكن في إطار كيانات سياسية متناحرة سهلت على الإسبان الاستيلاء على معظم البلاد الأندلسية حتى لم يبق منها في أواسط القرن السابع (13) إلا شريط ضيق بين الساحل والداخل يمتد طولا بين المضيق وشرق إقليم المرية، والذي تشكلت فيه إمارة بني الأحمر منذ استقرارها في غرناطة سنة 635 / 1238، وهي الإمارة الوحيدة التي كتب لها البقاء إلى نهاية القرن التاسع (15) خاصة بفضل الدعم المغربي الرسمي والشعبي.

ينتمي بنو الأحمر أو بنو نصر إلى أصل عربي متصل بالصحابي الجليل سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري، وكان أول أمراء بني الأحمر هو محمد بن يوسف ابن نصر (635 - 671) ولقبه الغالب بالله. كانت أيام حكمه عصيبة بسبب الصراع بينه وبين بقية أمراء الأندلس المتنافسين، وانشغال الموحدون بالمغرب وأمراء كل من تلمسان وإفريقية بالمشاكل الداخلية عن تقديم العون الضروري ضد الإسبان، فحاول التخفيف من ضغط القشتاليين بدفع الإتاوة سنويا إليهم، في وقت كان هؤلاء يثبتون أقدامهم فيما استولوا عليه من مدن

أميرا مرينيا مدعما له لمنافسة السلطان على العرش وهو عثمان بن أبي العلاء شيخ غزاة منطقة مالقة، الذي أثار فتنة في شمال المغرب استمرت إلى سنة 708 تمكن بعدها السلطان المريني أبو الربيع سليمان من استرجاع سبتة. وإذا كانت العلاقات المرينية النصرية خلال العقدین الثاني والثالث تميزت بالفتنور بسبب المكانة التي ظل يحظى بها ابن أبي العلاء لدى العرش النصری، فإن المرینین من جهتهم في هذه الفترة كانوا يعانون من مشاكل داخلية منعتهم من الدعم الفعال والرسمي للأندلس والاكتفاء بالمجاهدين المتطوعين، إلى أن وصل أبو الحسن المريني إلى السلطة فتغيرت الأحوال إيجابيا لصالح النصرين.

وخلال ثلاثينيات القرن الثامن طرأت عوامل عززت الروابط بين السلطان أبي الحسن وأمرء غرناطة، فقد تجدد الضغط القشتالي على هؤلاء، وأصبح من الضروري طلب الدعم المريني، لكن بني أبي العلاء كانوا يعاكسون هذا الاتجاه خوفا من أن يتم التقارب على حسابهم، فكانوا وراء اغتيال الأمير النصری محمد الرابع (725-733) خلال عودته من جبل الفتح (طارق) الذي تعاون مع الجيش المريني لاسترجاعه من يد القشتاليين وكان قد سقط بيدهم سنة 709. وعزم أبو الحجاج يوسف (733-755) رغم موقف بني أبي العلاء على الاستمرار في الارتباط بأبي الحسن المريني، بل تنازل له عن منطقة شمال المضيق أو الثغر المريني مرة أخرى (جبل طارق، الجزيرة الخضراء، رندة) ليمارس منه المرينيون مهمة الدعم للإمارة النصرية وحماية شمال المضيق. وهذا التعاون هو الذي مكن أبا الحسن من فرض اتفاقية هدنة مع القشتاليين تحرمهم من الإتاوة السنوية التي كانوا يأخذونها من النصرين منذ تأسيس إمارتهم.

لكن هزيمة المرينيين بقيادة أبي الحسن والنصرين بقيادة أبي الحجاج يوسف في معركة طريف (Rio Salado) سنة 741 شجعت النصارى على الزحف نحو المضيق فتمكنوا من الاستيلاء على الجزيرة الخضراء سنة 744 وظلت بيدهم مدة ثلاثين سنة قبل استرجاعها، واستغلوا انشغال أبي الحسن بمشاكل إفريقية منذ هزيمته في القيروان، وقيام ابنه أبي عنان في المغرب منافسا له، فحاصروا جبل الفتح خلال سنة 750 / 1349 ولم ينته الحصار إلا بتفشي وباء الطاعون في الجيش النصراني وهلاك الملك القشتالي وكثير من جيشه. ثم دخل المرينيون بعد موت أبي عنان آخر سنة 759 في فترة ضعف طويلة الأمد، غير أن الإمدادات المادية والبشرية كانت تتوالى على الأندلس إضافة إلى الدعم بالأسطول في فترات الاستقرار النسبي بالمغرب رغم توقف جوازات السلاطين المرينيين إليها. وتزامنت فترة الضعف المريني خلال معظم النصف الثاني من القرن الثامن مع وجود الأمير الغني بالله على عرش غرناطة في مدة إمارته الثانية (763-793)، وقد مكنته ظروف الاضطرابات المتتالية في الممالك الإسبانية خاصة قشتالة من أن يظهر بقوة على الساحة الإسبانية لدعم

المريني كان أحد أعضاء مجلس الأمير النصری وميثابة رئيس فرقة الأمن الداخلي أيضا، وهذا النفوذ جعله يدخل في تنافس مع بعض وزراء الأمير، وما يتبع ذلك من مؤامرات، فكان ابن أبي العلاء وراء اغتيال الأمير أبي الوليد إسماعيل سنة 725، ثم كان مقتل الوزير المنافس له ابن المحروق بعد ذلك إرضاء له، كما تم قتل الأمير محمد بن إسماعيل سنة 733 من طرف بني أبي العلاء. غير أن الأدوار الإيجابية لهذه الفرقة كانت تغطي على مثل هذه السلبات، فقد ظلت تشكل فرقة أمن داخلي لحماية الأمراء الحاكمين من منافسيهم مثلما حدث في آخر سنة 763 حين حدثت محاولة انقلاب على الأمير الغني بالله فأقشله جيش الغزاة المغاربة بغرناطة، وفي نفس الوقت ظلت هذه الفرقة تحمي البلاد من الهجمات القشتالية، وبرز دورها أكثر عندما يتعذر وصول الدعم المريني من المغرب كما حدث خلال العقدین الثاني والثالث من القرن الثامن. غير أن إلغاء المشيخة المرينية للغزاة وإسناد قيادتها لعناصر من الأسرة النصرية منذ سنة 771 أدى إلى إضعاف حماس الجند المغربي الذي لم تعد تربطه برئيسه أية عصبية، وستنعكس سلبات هذا الوضع على القدرة الدفاعية للإمارة خصوصا بعد نهاية عصر أميرها القوي الغني بالله سنة 793، والذي تلتته فترة التراجع النهائي الذي استمر ما يقرب من قرن قبل نهاية الإمارة.

كانت العلاقات بين المرينيين والنصرين تتكرر من حين لآخر بسبب دسائس بعض الجهات سواء من قشتالة أو إمارة بني زيان الناشئة بتلمسان أو بسبب المنافسة الداخلية على العرش في الأندلس مثلما حدث من طرف بني اشقيلولة أصحاب الأمير النصری الغالب بالله - مؤسس الإمارة - الذين تمردوا على ابنه محمد الفقيه (671-701) وأقحموا المرينيين في نزاعهم بتحويل بيعتهم في منطقتي مالقة ووادي آش إلى السلطان يعقوب، مما جعل أمير غرناطة يتخوف من تكرار تجربة يوسف بن تاشفين المرابطي مع ملوك الطوائف، وهذا التخوف دعمه تخوف أمير تلمسان من قوة المرينيين وإمكانية إعادة توحيد بلاد المغرب، فكان التحالف يتم غالبا بين الأندلسيين والتلمسانيين ويحاول هؤلاء عرقلة الجواز المريني إلى الأندلس إن كان بغير رضی النصرين. غير أن السلطان يوسف بن يعقوب أنهى مشكلة بني اشقيلولة بمنحهم إقطاعات في المغرب لتجنيد الفتنة في الأندلس، وحد من تدخله فيما وراء البحر بعدما لاحظ تحالف أمير غرناطة مع القشتاليين على أخذ مدينة طريف من يد المرينيين سنة 691، فتمسك بها النصارى ولم تعد أبدا إلى يد المسلمين، وهذا ما جعل قشتالة طرفا مشاركا في مراقبة المضيق وزاد من طمعها في سد باب الإمدادات المغربية.

وعندما حاصر السلطان يوسف المريني مدينة تلمسان حصاره الطويل (698-706) تدخل أمير غرناطة محمد الثالث المعروف بالملخوع (701-709) للتخفيف من ذلك، فاستولى على مدينة سبتة (705-709) وأرسل إلى المغرب

الأُموي - وذكر له الباع الطويل في هذا الفن. والقول المقصود عند الحوات هو :
 وكان قد سألنيه ابن سعيد ذو الشرف الرفيع والرأي السديد
 وهو غريض العصر بل معبدهُ ومَن له الباع الطويل مدده
 إبراهيم التادلي، التذكار لما في التذكرة من الطب مع الاختصار ؛
 سليمان الحوات، أرجوزة كشف القناع عن وجه تأثير الطبوع في
 الطباع، خ. ح، رقم 4229 ؛ محمد النوني، البحث العلمي، ع 14
 و15، س 6 شوال، رمضان، 1388. 1389 / يناير - دجنبر، 1969،
 ص. 159.

عبد العزيز بن عبد الجليل

النجيري، محمد بن محمد الفقيه العلامة القاضي
 محمد بن الحاج محمد بن الحسين بن علي بن الطيب النجيري
 الأصل الفاسي الدار والمنشأ. ولد بمدينة فاس عام 1282،
 وبعدما أتم حفظ القرآن الكريم برواياته السبع ولازم الدروس
 بجامعة القرويين، أجازة علماؤها، ومن جملة شيوخه العلامة
 رئيس المجلس العلمي آنذاك سيدي أحمد بن الخياط.
 بعد تخرجه من القرويين شرع في التدريس بها، وكان
 يتقاضى الصلة كالعلماء، وفي مقيد بخط يده أنه نودي
 عليه إلى دار المخزن أيام السلطان مولاي عبد العزيز في شهر
 شعبان عام 1323، وفي مقيد آخر أنه خرج من دار المخزن في
 فاتح شعبان عام 1325، وكان عمله بدار المخزن تعليم
 الشرفاء والهاشمية الملكية المبادئ الدينية والعلمية صحبة
 رفيقه الفقيه التهامي الطافي.

أما أيام السلطان مولاي عبد الحفيظ، فإن صاحب
 الترجمة استقر بفاس حيث بنى دارا بدرج حسان بحومة
 البليدة. ولما كان المجاهدون من جبالة يؤمنون بمدينة فاس
 لمهاجمة الفرنسيين، وقع اختيار القيادة العسكرية لجيش
 الاحتلال على دار محمد النجيري لا تخاذاها قاعدة لهم في
 مواجهتهم للمجاهدين نظرا لموقعها الاستراتيجي، إلا أنه
 امتنع من إفراغ الدار وتسليمها إلى الحامية الفرنسية، فوقع
 بينه وبين الحاكم العسكري خصام عنيف واقتحم الجيش
 الفرنسي الدار واحتلها وعلى إثر هذه الواقعة قرر الهجرة إلى
 المشرق، فغادر مدينة فاس يوم 20 رجب عام 1330 قاصدا
 مدينة وجدة، فوجد هناك عدة تلامذة له فأكرموا مشواه، كما
 وجد عناية كبيرة من الباشا ابن عبد الواحد، فأرجعوه عن
 فكرة الهجرة إلى المشرق، فشرع يدرس في أحد مساجد وجدة
 إلى أن علم بخبره السلطان مولاي يوسف وحاجبه التهامي
 اعبابو الذي كان أحد تلامذته، فبعثا إلى باشا وجدة ليوجهه
 إلى الرباط.

خرج المترجم من وجدة قاصدا الرباط الذي وصله يوم 8
 رجب عام 1333، ولما لقي السلطان عينه معلما للشرفاء من
 جملتهم محمد الخامس، وإماما لمسجد القصر، وبقي هكذا
 إلى أن عين قاضيا بقبيلة بني حسن بدار بلعامري بتاريخ 25
 ذي القعدة عام 1337، وقد وقعت بينه وبين المراقب المدني

طرف ضد طرف آخر ليشغلها عن مهاجمة ثغور إمارته، كما
 ظهر على الساحة المغربية بالتدخل أحيانا في تعيين أو عزل
 بعض السلاطين المرينيين، مما زاد في حدة الانقسامات
 السياسية وظهور حالات التمرد في أكثر من جهة. واستقرت
 أحوال المغرب نسبيًا خلال العقد الأخير من القرن الثامن
 والأول من اللاحق قبل أن يدخل مرحلة الاحتضار منذ سقوط
 سبتة واندلاع الفتنة التي انتهت بسقوط الدولة المرينية سنة
 869 وقيام الدولة الوطاسية العاجزة عن توحيد البلاد
 وحمايتها من الضغط الأجنبي على السواحل، وعن تقديم
 الدعم لبلاد الأندلس التي كانت بدورها في مرحلة احتضار
 قبل سقوطها نهائيًا سنة 897 / 1492. كما أن الدولة
 الحفصية التي كان يرجى دعمها دخلت بدورها في النصف
 الثاني من القرن التاسع مرحلة الانحطاط النهائي بالتدرج.
 هكذا بدأ تطويق الإمارة النصرية بالاستيلاء على سبتة
 في الضفة الجنوبية للمضيق سنة 818 / 1415 ثم جبل طارق
 سنة 867 فسد باب المضيق في وجه أي دعم من الجنوب،
 واشتد الحال على الأندلس بتحريض الكنيسة ضد المسلمين
 بعد سقوط القسطنطينية العاصمة البيزنطية بيد العثمانيين
 المسلمين في منتصف القرن التاسع، ولم يبق إلا تجاوز
 الخلافات بين قشتالة وأركون بحصول اتحاد الملكتين في
 مملكة واحدة تمكنت في عام اكتشاف أمريكا من القضاء على
 الدولة النصرية بسقوط آخر معاقلها غرناطة سنة 897 /
 1492. وتحولت بلاد المغرب إلى ملجأ للمسلمين واليهود
 الفارين من الأندلس بما فيهم آخر ملوك غرناطة أبو عبد الله
 محمد المخلوع الذي استقر بفاس، وأصبح المغرب يواجه
 الضغط الإسباني والبرتغالي على سواحل، وبذلك انتقل
 الصراع بين الطرفين من التراب الأندلسي الإسباني إلى
 التراب المغربي.

ابن عذاري، البيان المغرب ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، الرباط،
 1973 ؛ مجهول، الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط،
 1972 ؛ ابن خلدون، العبر، 1968 ؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار
 غرناطة، القاهرة، 1974 - 1977 ؛ أ. عزاوي، الغرب الإسلامي من
 خلال رسائله ؛ معلمة المغرب، بنو أبي العلاء، ع 18، 6124 -
 6125 ؛ عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتصرين، 1966.
 أحمد عزاوي

ابن نصيحة (الموسيقي) أحد رجالات الموسيقى
 الأندلسية بفاس على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله
 (1171 - 1204). كان ملازما له حتى اعتبره إبراهيم التادلي
 في "التذكرة الأنطاكية" بمثابة الموصلي مع الخليفة الرشيد.
 ويرجع الأستاذ محمد النوني أن يكون المترجم هو الذي
 كناه الأديب أبو الربيع سليمان الحوات "بابن سعيد" في
 افتتاحية أرجوزته حول ترتيب طبوع الآلة الأندلسية، فذكر
 أنه وضع هذه الأرجوزة باقتراح منه، وحلاه فيها بـ "غريض
 العصر ومعبده" - وهما من كبار المغنيين في العهد

تتكامل بعد لكونها مسلسلا مستمر البناء والتحول والتكيف مع مختلف المستجدات على الصعيد العالمي.

لقد استفاد التيار العام في اتجاه عولمة قضايا الجندر والمساواة بين الرجال والنساء خلال العقود الأخيرة من مساهمة وكتابات نساء ينتمين إلى بلدان عربية وإسلامية من الداخل أو من الخارج، ممن حاولن أن يكتبن عن أوضاعهن بعدما كان هذا حكرا على النساء الغربيات، ونذكر، على سبيل المثال لا الحصر فاطمة المرينسي ونوال السعداوي ورفعت الحسن وليلى أحمد وسعاد جوزيف وماركو بدران وغيرهن. كما أن الحركات النسائية في هذه المنطقة أدلت بدلوها في إغناء فكر وتجارب الحركة النسائية العالمية خصوصا خلال العقد الأخير انطلاقا من تجربتها الخاصة ومن نضالها ضد كل المحاولات الهادفة إلى تطويقها داخل حدود "الخصوصية" والهوية". وهكذا أصبح الفكر النسائي العالمي يشكل حاليا نتاج مسلسل عولمة تجارب وإغناء من طرف نساء ينتمين إلى ثقافات وديانات وأنظمة سياسية واجتماعية متنوعة. وقد ساهمت المؤتمرات الدولية المنظمة من طرف الأمم المتحدة خلال العقد الأخير، إلى حد كبير، في بلورة هذا الاتجاه خاصة خلال مؤتمرات فيينا والقاهرة وكونهاكن وبيجين. كما أثر في هذا المسار بعمق، سقوط الأنظمة الاشتراكية ابتداء من منتصف الثمانينيات، الشيء الذي سمح بنوع من توحيد الرؤيا داخل الحركة النسائية بعد ما كانت خلال الحرب الباردة وقبل سقوط المعسكر الاشتراكي منقسمة بشكل عام إلى قسمين :

. حركة نسائية ليبرالية تنتمي أساسا إلى الدول الصناعية الغربية، التي كانت تركز خطابها على ضرورة إعادة النظر في العلاقات بين النساء والرجال وعلى عدم المساواة بين الجنسين في جميع الميادين. هذه المطالب كانت تتم من الداخل وفي إطار النظام الاقتصادي والسياسي الليبرالي بدون أن تهدف إلى مساواة أو إلى إعادة النظر في الأسس التي يرتكز عليها هذا النظام.

. حركة نسائية تابعة للمنظومة الاشتراكية والتي كانت، عكس الأولى، تطعن في النظام الاقتصادي الليبرالي كمسؤول عن التفاوتات بين الدول الرأسمالية والدول السائرة في طريق النمو، أو دول الجنوب. كما أنها كانت تعتبر أن التناقض الأساسي هو تناقض طبقي، وأن مشكل التمييز بين الرجال والنساء ما هو إلا نتيجة تسلط الطبقة البرجوازية على الطبقة العاملة وأن تحرير هذه الأخيرة ووصولها إلى السلطة كفيل بإعادة الاعتبار للمرأة والقضاء على كل أشكال التمييز ضدها.

كان لهذين العاملين أثر كبير في بروز وتقوية الحركة النسائية المطالبة بالمساواة وليس فقط بتحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للنساء في عدد كبير من دول العالم الثالث ومنها المغرب. ومكن ذلك من تطوير فكر جديد يطرح قضية المرأة ضمن قضايا التنمية الاقتصادية لهذه البلدان.

عدة مخصصات في شأن تفويت أراضي الجماعة للمعمرين، فكان دائما يمانع في ذلك ويقف إلى جانب المواطنين الذين كانوا ضحية المعمرين الذين يسلبونهم أراضيهم. لما علم المعمرون بأمره، اشتد غضبهم عليه، فطالبوا بمتابعته على عرقلته لأشغالهم الجائرة، إلا أن السلطان مولاي يوسف كان يدافع عنه ويشد عضده، وهكذا كان في محنة مع السلطة الفرنسية طيلة مدة القضاء بدار بلعامري إلى أن أعياه ذلك وطلب الإعفاء، فالتحق بوظيفة الإمامة بالقصر الملكي ليؤم المغرب والعشاء فقط. وفي عام 1340 عينه السلطان قاضيا على قبيلة أولاد سعيد بالشاوية، فصدر التنبيه من السلطة الفرنسية العليا إلى المراقب المدني بأولاد سعيد لتعمل على التضييق به، وفعلا تعرض إلى المضايقة من طرف المراقب الفرنسي، فتقدم بطلب الانتقال، فعين قاضيا بتوريرت بتاريخ 15 شوال عام 1345، فلقى نفس التضييق، فطلب الانتقال من توريرت أو الإعفاء، فنقل قاضيا إلى قبائل زعير بتاريخ 17 ربيع الأول عام 1346، ونظراً لمناواته للاستعمار لقي تضييقا من طرفهم أينما حل وارتحل، فرفعت به التقارير إلى السلطان، فكان يطالبهم بالحجة التي لم تثبت قط، وهكذا قدم طلبه بالإعفاء من القضاء بزعير ورجع إلى وظيفته القديمة الإمامة وذلك في جمادى الأولى عام 1347.

توفي في متم جمادى الثانية عام 1353، ودفن بضريح سيدي بوعزة قرب السوق البلدي بباب الأحد بمدينة الرباط.

محمد ابن سودة، قبيلة زعير قديما وحديشا، ج 2، ص. 144، ع. السلام ابن سودة، إتحاف المطالع، ج 2، ص. 478، مجلة محكمة، العدد 4 نونبر، 2004، ص. 118.

بوعبيد التركي

نضال النساء المغربيات، عرفت العقود الأخيرة، على المستوى العالمي، تناميا كبيرا لثقافة حقوق الإنسان وحقوق المرأة والمساواة بين الجنسين. وقد كانت الحركة النسائية العالمية وراء تسريع وتيرة هذا التنامي ونشر إيديولوجية عدم التمييز عبر قنوات منها عدد من الشبكات والفضاءات كتلك التي وفرتها هيئات الأمم المتحدة. لقد كان عطاء الحركة النسائية بكل انتماءاتها الجغرافية، ومشاربها الثقافية واللغوية في تقوية هذه الثقافة متميزا بكل المقاييس. وإذا كانت مساهمة الحركة النسائية الغربية (أوروبا وأمريكا الشمالية) حاسما في بداية هذا القرن، فإن نساء دول الجنوب ودول ما يسمى بالعالم الثالث بما فيها الدول العربية والإسلامية لم يكن أقل أهمية في مجال توسيع مفاهيم المساواة لتشمل جوانب كانت غائبة سابقا مثل الحقوق الاقتصادية، قضية الفقر، قضية العنصرية، الطبقات الاجتماعية. وإن السمة البارزة لعطاء مكونات هذه الحركة يكمن في كونها اختبرت وواجهت الميز وثقل النظام البطريركي من خلال تجارب متنوعة ومختلفة في ذات الوقت. وساهم هذا المعطى بقوة في إضفاء البعد الكوني على الفكر النسائي الحالي، بالرغم من أن هذه الكونية لم

لكن هذا التيار سيواجه في العقد الموالي (التسعينيات) تيارا سياسيا وأيديولوجيا مناهضا، وهو يتمثل في الإسلام السياسي الذي يستند إلى مجموعة من الأسس أهمها الدين لمحاربة حقوق المرأة. وإذا كان التيار المناهض لحقوق المرأة يتواجد في كل البلدان باختلاف أنظمتها السياسية والاقتصادية في أمريكا وأوروبا وفي دول العالم الثالث، فإنه يكتسي طابعا خاصا في الدول العربية والإسلامية لأسباب مختلفة مرتبطة بمخلفات الاستعمار وطبيعة الأنظمة السياسية غير الديمقراطية. ويعزى ذلك لكون العديد منها عملت مباشرة بعد الاستقلال على استعمال الإسلام كسلاح للحد من انتشار التيارات الاشتراكية واليسارية ومحاربتها، ومحاولة بناء مشروعاتها السياسية على أساس ديني في غياب الآليات والمؤسسات الديمقراطية. من جهة أخرى، إن إخفاق هذه الدول في التحكم في مجموعة من الإكراهات الداخلية (الوتيرة السريعة للنمو الديموغرافي، مشكل إيجاد فرص الشغل للجميع وخاصة الشباب المتخرج من الجامعات، توفير مقاعد في المدارس للجميع، مشكل الفقر الخ) أدى إلى تنامي ظاهرة تهميش فئات واسعة من المجتمع بما في ذلك الطبقات الوسطى التي لم تستطع الأحزاب السياسية التقليدية تأطيرها نظرا لعدة اعتبارات ذاتية وموضوعية. كل هذه الظروف بالإضافة طبعاً إلى سيطرة الإسلام السياسي في إيران على الحكم ودور بعض الدول العربية المنتهية إلى منطقة الخليج وحلفائها الغربيين الهادف إلى تطويق المدّ الاشتراكي في المنطقة العربية كان لها أثر كبير في بروز وتنامي الإسلام السياسي في المنطقة.

المغرب ومتطلبات الحداثة :

في هذا السياق، وبالرغم من افتراضات المحللين السياسيين من الخارج والداخل، فإن المغرب لم يكن بمعزل عن هذه التأثيرات الخارجية. إن التطورات السياسية الأخيرة تظهر حدود الفكرة القائلة بأن خصوصية النظام الملكي في المغرب تجعله في مأمن عن المد الإسلامي. صحيح أن المغرب يتوفر على ظروف خاصة مقارنة بباقي بلدان العالم العربي بما في ذلك كون الملك في نفس الوقت أمير المؤمنين، يتولى السلطة السياسية والدينية في آن واحد، وكون المغرب عرف منذ الاستقلال تعددية حزبية استمرت حتى خلال الأزمات السياسية في الستينيات وبداية السبعينيات، وكونه يعرف منذ العقد الأخير انفراجا سياسيا واتساعا لمجال الحريات الفردية والجماعية. لكن كل هذه العوامل لم تجعله في مأمن من تأثير الحركات الإسلامية المناوئة لمطلب المساواة بين الرجال والنساء. وبالرغم من أن خطاب النخب السياسية يرمي إلى ترسيخ "التجربة المتميزة" للمغرب، المبنية على التوفيق بين "الأصالة والمعاصرة"، يتنامى تياران متعارضان :

من جهة، الحركة النسائية وحلفاؤها من المجتمع المدني

التي تطالب المسؤولين السياسيين بتوضيح مشروعهم وموقفهم في مجال حقوق الإنسان وحقوق المرأة، وخاصة في المجال القانوني (مدونة الأحوال الشخصية).

من جهة ثانية التيار الإسلامي، ابتداء من التسعينيات، والذي بعض مكوناته المؤسسات الرسمية بما في ذلك البرلمان مطالبة بالرجوع إلى الأصل وإلى ما تسميه تطبيقا صحيحا للإسلام.

لقد انعكس هذا الوضع على الساحة، بحدّة أحيانا كما حدث مع الخطة الوطنية لإدماج المرأة في التنمية، مما جعل المغرب يتأرجح بين خيارين متناقضين :

الأول يتعلق برغبة المسؤولين السياسيين في ترسيخ صورة المغرب كدولة ديمقراطية وعصرية تندرج في إطار العولمة. وتتجلى هذه الإرادة مثلاً في الدور الذي قامت به الدولة على مستوى المنظمة العالمية للتجارة، واتفاقية الشراكة مع الاتحاد الأوروبي فضلا عن مجموعة من الإصلاحات القانونية والمؤسسية الرامية إلى تحديث وعصرنة البلاد.

الثاني يتعلق بالخطاب حول الهوية، وضرورة حماية هذه الأخيرة من المؤثرات الخارجية ومن التهديدات التي تمثلها "العولمة" والتي ينظر إليها كخطر يهدد القيم الروحية والأخلاقية الموروثة باعتبارها مشروعا تغريبيا في كينونته وليس دينامية أو إمكانية متاحة للجميع.

المثير للانتباه أن العولمة أصبحت ميدانا لإنتاج خطاب أيديولوجي جديد يحاول الدفع إلى اتخاذ مواقف مسبقة إما معها أو ضدها. مع العلم أن معارضة العولمة لا تمنع ولم تمنع مناهضتها من تبنى نتاجاتها التقنية والتكنولوجية. في هذا الاتجاه، يمكن تلخيص مضمون الخطاب السائد حاليا حول هذه القضية كالتالي :

العولمة كمفهوم مرادف للغرب، وهذا يعني بشكل آلي إجهازها على الهوية، مما يشكل خطرا على القيم الأسرية وبالتالي على المرأة التي تعتبر أساس الأسرة وحامية الهوية. العولمة تفيد أن بقية دول العالم ضد الدول العربية والدول الإسلامية فلا مناص من محاربتها.

هكذا نجد أن جميع الاتفاقيات الدولية المرتبطة بحقوق المرأة تعتبر من طرف الحركات الإسلامية جزءا من هذه العولمة التي تهدف إلى تدمير القيم والهوية الوطنية والعربية والإسلامية وبالتالي وجب محاربتها بكل الوسائل. لقد اتضح هذا المنحنى خلال مؤتمر بيجينغ العالمي الأخير حول المرأة (1995) حيث حشدت الحركات الإسلامية العالمية كل قواها وأظهرت مدى قدرتها على التعاضد والتنسيق، سنوات قبل أحداث 11 سبتمبر 2001، لتغير اتجاه ونتائج هذا المؤتمر لصالح أطروحتها. ومن المتوقع أن يتصاعد نشاطها في السنوات المقبلة بهدف التأثير على الفكر النسائي العالمي وجعله يتراجع على مجموعة من المكتسبات التي حصل عليها خلال العقود الأخيرة. ظهر هذا جليا عبر المعارك التي

على العمل الوطني أو العمل الاجتماعي / الخيري أو هما معا.

- السمة الثالثة تتجلى، خاصة بالنسبة لتجربة "أخوات الصفا" في بداية طرح قضايا تتعلق بالأحوال الشخصية، ومن ذلك وضع حد للزواج المبكر وتنظيم الطلاق والحد من تعدد الزوجات.

الجيل الأول من جمعيات ما بعد الاستقلال : 1956 - 1984.

المرحلة الأولى : 1956 - 1975 : استمرارية الفعل الاجتماعي.

مباشرة بعد الاستقلال طغت الجمعيات ذات الطابع الاجتماعي والخيري. ففي هذا الإطار أنشأ حزب الاستقلال مجموعة من الجمعيات كجمعية "المواساة" (1956) لرعاية الفتيات اليتيمات والمحتاجات وتقديم إعانات للمعوزين والمرضى. كما أنشئت في سنة 1963 جمعية "حماية الأسرة" التي سعت لتمتين الروابط الأسرية وحماية الأمومة والطفولة وتمكين الفتيات والنساء من مهارات يدوية. تمثلت التجربة الجديدة الوحيدة التي عرفتها هذه الفترة في خلق الاتحاد التقدمي للنساء المغربيات سنة 1962 في إطار الاتحاد المغربي للشغل بهدف انضمام الشغليات للنقابات.

ثم سادت ظروف سياسية جعلت الدولة تنفرد بالساحة، فبادرت بخلق الاتحاد النسائي المغربي كمنظمة رسمية سنة 1969 معتمدة على بنيتها الإدارية في جل العمليات، وموجهة عمل الاتحاد نحو الفعل الاجتماعي بمختلف تجلياته. كما تم خلق الجمعية المغربية للتخطيط العائلي سنة 1981 لدعم الخطة الرسمية في الحد من النمو الديمغرافي الذي صار يعتبر من معيقات تطور البلاد.

رغم تلك الظروف، فإن حضور النساء لم يغيب بشكل مطلق، بل ارتبط أساسا بالنضال السياسي في إطار الأحزاب الوطنية والتقدمية من أجل الحريات ودمقرطة المؤسسات، كما نشطت طالبات حزبيات وغير حزبيات في صفوف الاتحاد الوطني لطلبة المغرب - أقوى نقابة طلابية في البلاد - قبل وبعد منعه، وفي عدة جمعيات مهنية وثقافية. وخلال عقدين من الاستقلال يُسجل بشكل عام، خارج المشاركة الضعيفة عدديا للنساء في الأحزاب السياسية وبشكل أهم نسبيا في النقابات، استمرارية في نشاط الجمعيات على مستويين :

- على مستوى الأهداف طفى مجدداً الفعل الاجتماعي المحض.

- على مستوى التأطير، نشأت الجمعيات الجديدة إما بمبادرة حزبية، أو نقابية، أو حكومية.

وتجدر الإشارة لكون الجمعيات المذكورة باستثناء الاتحاد التقدمي للنساء المغربيات، لا تزال تمارس أنشطتها إلى اليوم ضمن نفس الأهداف عموما، ومنها من وسع من دائرة ذلك

عرفها المغرب خلال السنوات الأخيرة، خاصة تلك التي تواجه فيها المدافعون عن الخطة الوطنية لإدماج المرأة في التنمية ومعارضوها (1998 - 2000). وقد بدا واضحا أن الحركات الإسلامية تتبنى استراتيجية تهدف إلى تفادي النقاش حول القضايا المرتبطة بالعمق أي بالأوضاع المزرية للأغلبية الساحقة من المغربيات في القرى وفي المدن من أمية ويطالة وأشغال شاقة ووفيات الأمهات عند الولادة، وعنق ضد النساء، لتجعل النقاش يتمحور أساسا حول الإطار المرجعي للمطالب النسائية المتعلقة بضرورة التغيير والذي يعتبر إطاراً علمانياً لأنه يركز بالأساس على مرجعية الأمم المتحدة. ومن الاستراتيجيات التي تبناها الإسلام السياسي بالمغرب حصر النقاش في مجال القيم والثقافة ومعارضة الآخر، أي الغرب والعمولة وبيجينغ والأمم المتحدة واتفاقية سيداو... حتى يتسنى تطويق الحركة النسائية ضمن حدود الهوية العشائرية، واعتبار كل تجاوز لتلك الحدود خيانة وعمالة وتبعية عمياء للغرب. وفي إطار كهذا حيث الصراع والتقاطب تضطر الحركة النسائية لإيجاد استراتيجيات تتكيف حيناً وتواجه أحياناً أخرى من أجل انتزاع مكاسب ملموسة لصالح النساء.

ويهدف توضيح القدرات الحالية لهذه الحركة، وكذا مواطن القوة والضعف في نضالها اليومي ضد إيدولوجية تقصيرها وتحكم عليها بكونها دخيلة ومفتقدة للمشروعية، من المفيد التذكير بالمحطات الكبرى التي مرت منها هذه الحركة حتى تتمكن من فهم استراتيجياتها الحالية الساعية لطرح مسألة المساواة بين الرجال والنساء في أجندة التغييرات السياسية والاجتماعية الجارية حالياً بالمغرب.

فإذا تتبعنا تاريخ الحركة النسائية المغربية يمكن، عموماً، الوقوف عند ثلاث محطات كبرى. الأولى إبان الاستعمار، الثانية من الاستقلال (1956) إلى منتصف الثمانينيات، الثالثة من 1998 إلى الآن.

أولى الجمعيات النسائية في عهد الاستعمار : الكفاح الوطني :

يعتبر الفرع النسائي لحزب الاستقلال (1944) واتحاد نساء المغرب - الحزب الشيوعي المغربي (1944) وجمعية أخوات الصفا - حزب الشورى والاستقلال (1946) أولى التنظيمات النسائية التي نشأت في هذه الفترة. وقد تمت تلك النشأة في ظروف معقدة تميزت من جهة بتأجج المطالبة بالاستقلال ومن جهة أخرى بتصادم الأفكار التحررية مع البنية البطريركية للمجتمع. وقد اتسمت التنظيمات النسائية في المرحلة الاستعمارية بثلاث سمات أساسية :

- السمة الأولى، كونها نشأت بتوجيه من أحزاب سياسية درست نخبها بالخارج وتأثرت بالفكر النهضوي أو الإيديولوجيا الماركسية لكنها لم تكن مستعدة على مستوى الممارسة لتفعيل آرائها بالكامل لعوامل يختلط فيها الذاتي بالموضوعي.

- السمة الثانية تكمن في تركيز تلك التنظيمات عموماً

النشاط وتشارك حاليا في إنجاز مشاريع تنمية متفاوتة الأهمية.

المرحلة الثانية : 1975 - 1984 : حركية القطاعات النسائية الحزبية.

يُعتبر منتصف السبعينيات لحظة فاصلة في تاريخ المغرب، وذلك ببداية انفراج سياسي نسبي. ففي هذا المناخ الجديد استأنفت أحزاب المعارضة نشاطها بعد أن عانت من المضايقات، واتسع نطاق تحرك مناضلاتها في أوساط النساء. هكذا بدأت تهيكّل قطاعات نسائية داخل الأحزاب الوطنية والتقدمية بما في ذلك القطاع النسائي لكل من حزب الاستقلال (الذي كون لاحقا منظمة المرأة الاستقلالية) والاتحاد الوطني للقوات الشعبية وللإتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية وحزب التقدم والاشتراكية ومنظمة العمل الديمقراطي الشعبي. وقد اتجهت القطاعات النسائية الحزبية نحو أنشطة اجتماعية وتحسيسية (محو الأمية، التوعية الصحية والقانونية...) بالموازاة مع طرح إشكالية وضع المرأة بمطالب أكثر وضوحا وجذرية، تتصل بمدونة الأحوال الشخصية التي صدرت مباشرة بعد استقلال المغرب (1957) ومشاركة النساء في الحياة السياسية، وحقوق التمدد والعمل. ولعل أهم ما يبرز من تطور خطاب هذه القطاعات النسائية الحزبية تأرجح بين اتجاهين : من جهة، الالتزام الصارم بتوجه أحزابهن، باعتبارهن قنوات تبليغ مواقف وتصورات تلك الأحزاب، ومن جهة ثانية بداية تبلور هوية نسائية مستقلة.

إن المغرب كسائر بلدان العالم تأثر بالحركية التي انبعثت من الأمم المتحدة في تعاملها مع قضية المرأة. فكانت سنة 1975 السنة الدولية للمرأة، وأعلن عن عشرية الأمم المتحدة للمرأة (1976 - 1985). وكان صدور اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (1979)، مناسبة لتكثيف أنشطة القطاعات النسائية الحزبية وتطوير تحاليلها. فضلا عن مواصلة القطاعات الحزبية لنشاطها، بدأت جمعيات جديدة ترى النور، إذ تأسست جمعية التضامن العائلي سنة 1977، ورابطة موظفات القطاع العمومي والشبه العمومي سنة 1980، وجمعية المصباح سنة 1981، وجمعية النساء ذوات المهن الحرة، وجمعية النساء ذوات المهن القانونية... كما تشكلت أندية نسائية بعدة دور للشباب من مناضلات سابقات في صفوف الاتحاد الوطني لطلبة المغرب (نقابة الطلبة المغاربة التي كانت حاضرة بشكل قوي على الساحة السياسية إلى حدود بداية التسعينيات) ونشيطات بعض المجموعات اليسارية الجديدة. وتيمز هذا العقد بتضافر عوامل خارجية وداخلية لإعطاء دفعة جديدة للفعل النسائي الذي اتسم بالاستمرارية وبالتجديد في آن واحد :

- تمثلت ملامح الاستمرار في العمل الاجتماعي الذي مارسته جمعيات جديدة وقطاعات نسائية حزبية. وقد كانت دوافع هذه القطاعات بالخصوص مزدوجة : من جهة، الاستجابة لحاجيات ملموسة لدى النساء الفقيرات، ومن جهة

ثانية توظيف رصيد التواصل مع النساء بهدف توسيع قاعدة أو نفوذ أحزابهن.

- أما ملامح التجديد فتجلت في ظهور الجمعيات القطاعية (موظفات، مهن حرة)، وفي اتساع نشاط الحزبيات ليشمل، فضلا عن العمل الاجتماعي، مطالب نسائية وفي مقدمتها تغيير مدونة الأحوال الشخصية وضمان مشاركة النساء في الحياة السياسية.

مع ذلك لم تتوفر هذه التنظيمات على مشروع واضح يهيكلها، فظل الحزبي منها أسير توجهات الأحزاب التي أفرزتها رغم محاولات التميز التي لم تخل من جرأة، كما انشغلت الجمعيات القطاعية خاصة منها تلك التي استمرت في الوجود بالاهتمامات المهنية أكثر من انشغالها بالاجتماعات النسائية.

الجيل الثاني من جمعيات ما بعد الاستقلال : 1985 إلى الآن.

شكلت سنة 1985 بداية تحول كبير في تاريخ الحركة النسائية إلى اليوم. إذ إلى جانب الجمعيات ذات الطابع الاجتماعي التي سبق تأسيسها والجمعيات القطاعية تشكلت جمعيات جديدة دشنت لعهد الجيل الثاني بعد الاستقلال. لقد مهدت ظروف دولية، وعوامل سياسية وسوسولوجية داخلية لهذا التحول النوعي والكمي. فتزايد الوعي بموقع القضية النسائية ضمن الشأن السياسي والاجتماعي، وفي الدفع بانخراط النساء في دينامية جديدة اعتبرت بمثابة "انفجار للطاقات"، وهي دينامية واكبت على مستوى التجليات ظاهرتين بارزتين طبعتا العقد الأخير :

الظاهرة الأولى : تتمثل في اتجاه نساء انحدر معظمن من مختلف مكونات الحركة الوطنية والتقدمية، نحو خلق جمعيات نسائية مستقلة. كانت أولى هذه التنظيمات الجمعية الديمقراطية لنساء المغرب (1985) التي تلاها اتحاد العمل النسائي (1987) ثم الجمعية المغربية لحقوق النساء، والجمعية المغربية للنساء التقدميات (1992) والرابطة الديمقراطية لحقوق المرأة (1993) ثم جمعية جسور (1995). وهي جمعيات تتشابه عموما من حيث خطابها النسواني، وطبيعة أهدافها التي تلتقي حول القضاء على التمييز ضد المرأة في الفضاء الخاص والعمومي وبناء المساواة على مستوى القانون والممارسات والذهنيات، مع تباين في لغتها وأشكال وحجم فعلها. وقد عبر هذا المخاض عن وعي مزدوج بمحدودية الاهتمام بالقضية النسائية في الحياة الحزبية وضمن أولويات جدول أعمالها. فمن جهة، ظلت القضية في الغالب شأنا خاصا بالنساء محمولا من طرف المناضلات دون غيرهن. ومن جهة ثانية بدت البنات الحزبية غير مناسبة لتفعيل المطالب النسائية في عمقها ما دامت رهانا يستلزم إعادة النظر في مرتكزات إيديولوجية رهنت تحرر المرأة "بتحرر المجتمع"، أو "انعتاق الطبقة العاملة". وقد تم التوجه نحو الاستقلالية على مراحل. ففي المرحلة الأولى تجلّت هذه

الاستقلالية على مستوى المطالب والخطاب قبل أن تنتقل إلى مرحلة رفض الوصاية "الرجالية" من طرف المناضلات الحزيبات من جهة، وتدرك عدم تقبل الأطر الحزبية هذا التوجه باعتباره خروجاً عن الضوابط المنظمة للعمل الحزبي، من جهة أخرى.

الظاهرة الثانية : تتمثل في تعددية التعبير النسائي الذي لم يسبق له مثيل، وفي تنوع روافده المنظمة وغير المنظمة التي تساهم مجتمعة في التركيز على حقوق النساء ومن تحليات ذلك :

- ظهور جمعيات نسائية متخصصة بميدان أو مجال معين كرد فعل أمام التحولات المجتمعية مثل جمعيات النساء المقاولات وغيرها.

- تأسيس مراكز متخصصة في المساعدة القانونية والنفسية للنساء، بمن فيهن ضحايا العنف، بمبادرة من الجمعيات أو بشكل مستقل عنها.

- تخصيص جمعيات تنمية لحيز من اهتمامها المباشر للنساء دون أن تكون جمعيات نسائية بالمعنى المتعارف عليه.

- بروز مجموعات نسائية أو مختلطة منظمة وغير منظمة (مجموعات بحث) مع تطور الكتابة النسائية والكتابة عن النساء وظهور صحافة نسائية مستقلة في البداية ومهنية حالياً.

- تنظيم مسالك البحث في قضايا المرأة داخل الجامعات كتكوين كرسي اليونسكو "المرأة وحقوقها" وإطلاق تجربة وحدات التكوين والبحث في إطار تحضير الدكتوراة حول المرأة والتنمية (الرباط والقيظرة...) أو الجندر (فاس).

ويعد العقد الأخير مرحلة تهيكل الحركة النسائية التعددية في ظل اتساع النسيج الجمعوي الذي يتقاسم في بعض مجالات اهتمامه موضوع تطوير وضع النساء. ففي سنة 1995 كانت توجد بالمغرب حوالي 35 جمعية نسائية حسب دراسة لوزارة التشغيل والشؤون الاجتماعية، 50٪ منها يقل عمرها عن 10 سنوات و25٪ تكونت بعد 1990. أما دليل المنظمات غير الحكومية العاملة في مجال "إدماج المرأة في التنمية" الذي أصدرته وزارة الشؤون الخارجية والتعاون سنة 1997، فإنه يقدم 71 جمعية منها جمعيات نسائية بمعناها الضيق وجمعيات قائمة بدرجة كبيرة على تلبية حاجات النساء.

الدينامية والاستراتيجيات الحديثة :

ابتداءً من منتصف التسعينيات تقوت الدينامية الجمعوية مستغلة بذلك ظرفية سياسية إيجابية تمحورت أهم أحداثها حول إطلاق سراح المعتقلين السياسيين وتوسيع مجال الحريات. وخلال السنوات الأخيرة بالخصوص، تأسست العديد من الجمعيات خارج محور الرباط - البيضاء (الذي كان يستقطب جلها في السابق) مركزاً أنشطتها على اهتمامات آتية أو استراتيجية. كما تطورت ممارسة التنسيق بين

الجمعيات من أجل معارك محددة مستفيدة من وحدة الأهداف مع التنوع في الاهتمامات والأنشطة والفئات المستهدفة. صحيح أن عدد الجمعيات النسائية بالنسبة لبلد المغرب، لا يزال قليلاً وتأطيره العددي ضعيفاً لكن الأدوار التي تقوم بها هذه الجمعيات، يجعلها من أبرز قنوات التعبير عن حركة اجتماعية وسياسية لفائدة حقوق النساء، ومن العناصر المساهمة في توسيع فضاءات ممارسة المواطنة. وتبنت الحركة النسائية حسب الظروف عدة استراتيجيات مستغلة كل الدعامات المتاحة ومستفيدة من التناقضات المذكورة سابقاً. وفي هذا الإطار وظفت الحركة لصالح قضاياها ديباجة الدستور منذ تعديل 1992 التي تنص على اعتراف المغرب بحقوق الإنسان كما هي مصطلح عليها كونها معتمدة صورة "المغرب الحداثي" التي صارت مكوناً بارزاً للخطاب السياسي السائد في العديد من الأوساط. من هذه الاستراتيجيات مثلاً، الانخراط في تحالفات أقامتها الجمعيات النسائية داخلياً وخارجياً. على المستوى الداخلي تعاملت الجمعيات مع العديد من مكونات الحركة الحقوقية والنقابية وبعض الأحزاب السياسية. وتم ذلك بمناسبة أنشطة تعبوية أو ترافعية أو تحسيسية تناولت إما التأثير على السياسات الحكومية، أو تعديل القوانين أو غير ذلك. وعلى المستوى الخارجي، اتخذ الانفتاح عدة أشكال وقام على عدة آليات. فقد انخرطت الجمعيات النسائية في مسلسل مؤتمرات الأمم المتحدة التي تناولت قضايا النساء (فينا 93، القاهرة 94، بيجين 95، بيجينغ + 5...) تحضيراً ومشاركة. كما ربطت علاقات مع شبكات جهوية وعالمية (شبكة عاتشة، مجموعة 95 المغاربية من أجل المساواة، أويد A.W.I.D، ويدو W.E.D.O، الشراكة الدولية للتضامن، إكواليتي ناو...) على هامش تلك المؤتمرات، كما استغلت الحركة النسائية إمكانيات الاتصال بممثلي وممثلات حكومات وأحزاب وبرلمانات من عدة بلدان أوروبية وأمريكية في بلدانهم أو أثناء زيارات رسمية للمغرب.

من الاستراتيجيات المعتمدة أيضاً التعامل مع المرجعية القائمة على الخصوصية بطريقة بديلة عن الاستعمال التقليدي المناهض للمساواة. لقد حرصت الحركة النسائية خاصة بمناسبة معاركها لإصلاح مدونة الأحوال الشخصية على عدم ترك المجال فارغاً للقوى المحافظة التي تستغل الدين لأغراض سياسية، وبرزت عدة مبادرات من داخل الحركة لتملك التراث الديني بدون عقدة نقص سواء من خلال تنظيم التظاهرات أو الكتابات. وساهمت أعمال مشتركة في إطار "مجموعة 95 المغاربية من أجل المساواة" التي تضم فعاليات نسائية من المغرب والجزائر وتونس في توفير أدوات داعمة منها أساساً إصدار كتاب مائة إجراء ومقتضيات، ودليل المساواة في الأسرة بالمغرب العربي. وإن المتتبع للساحة النسائية في السنوات الأخيرة يمكن أن يميز بين أربع

محطات بارزة تفاعلت من خلالها عوامل داخلية وخارجية لتفعيل حركية لم يسبق لها مثيل :

الأولى : تتمثل في اتفاقية الأمم المتحدة المتعلقة بالقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة. لقد جعلت الحركة النسائية والحقوقية من هذه الآلية الدولية مناسبة للضغط على الحكومة من أجل المصادقة عليها. وقد تم ذلك سنة 1993 (بتحفظات هامة)، لتنتقل دينامية جديدة في اتجاهين أساسيين ومتراپطين :

- العمل من أجل رفع التحفظات، لكونها أفرغت الاتفاقية من روحها ومن أهم المقتضيات التي تضمن المساواة بين الجنسين وخاصة في العلاقات الأسرية.

- ممارسة المهمة الموكولة للمنظمات غير الحكومية المتمثلة في تتبع مدى وفاء الدولة بالتزاماتها من خلال التقارير الموازية. إلى حد الآن أنجزت الحكومة تقريرين (الأول في 1996 والثاني 2000) وفي كلتا المناسبتين بادرت الجمعيات، بتنسيق من الجمعية الديمقراطية لنساء المغرب، لوضع التقرير الموازي باعتباره أداة مساءلة ومراقبة للحكومة وتحسيس الرأي العام.

الثانية : تتعلق بالخطة الوطنية لإدماج المرأة في التنمية التي أنجزت خلال السنة الأولى من حكومة التناوب (1998 - 1999) تطبيقاً لإحدى مقررات مؤتمر بيجينغ (1995). لقد شكل مشروع هذه الخطة - التي وضعتها الحكومة بتشارك مع الجمعيات - من حيث التصور والمقاربة والإجراءات المقترحة قطيعة مع الماضي الذي كان يختزل حاجيات النساء في المساعدة الاجتماعية ويعزل قضاياهن عن باقي القضايا الجوهرية للمجتمع. وإذا كانت الحكومة قد تراجعت عنها بسبب المد المحافظ، فإن الحركة النسائية بادرت لخلق تحالفات واسعة مع جمعيات مدنية في إطار "شبكة دعم الخطة" التي ضمت ما يزيد عن 200 جمعية نسائية وحقوقية وتنموية، وفعاليات سياسية وتقابلية في إطار "جبهة حقوق المرأة". وقد ساهمت هذه المبادرات في تغذية نقاش وطني وتظاهرات شعبية لم يسبق لها مثيل حول أوضاع وحقوق النساء ورواناتها المجتمعية.

الثالثة : تتعلق بالتفاعل مع الدينامية الدولية التي واكبت المسيرة العالمية للنساء ضد الفقر والعنف. لقد انضم المغرب إليها، وتشكلت لجنة عريضة من أجل التحضير لمسيرة الرباط في 12 مارس 2000، التي عبأت مئات الآلاف من النساء والرجال حول مطلب المساواة، والتي اتخذت طابعاً خاصاً لكونها تزامنت مع ظرفية الجدل حول خطة إدماج المرأة في التنمية.

الرابعة : تتمحور حول ثلاثة أهداف مباشرة عبأت الحركة النسائية خلال السنوات الخمس الأخيرة وهي : الدفع بمشاركة النساء في مراكز القرار السياسي، مناهضة العنف ضد النساء، وإصلاح مدونة الأحوال الشخصية في اتجاه يضمن المساواة بين الجنسين.

بالنسبة للهدف الأول، استفادت الحركة من النقاش الدولي حول آليات سد النقص المهول في تواجد النساء في مواقع القرار واستطاعت ليس فحسب طرحه وإغناؤه من خلال "مجموعة العشرين من أجل إصلاح القانون الانتخابي" بل أيضاً الضغط على القوى السياسية من أجل اتخاذ تدابير تشجيعية لفائدة النساء سواء على مستوى هيئاتها القيادية أو إبان الانتخابات التشريعية (سبتمبر 2002) التي جعلت نسبة النساء في الغرفة الأولى من البرلمان تنتقل من 0,6 بالمائة إلى ما يقرب 10 في المائة أي بالأرقام من 2 إلى 35 نائبة حالياً.

الهدف الثاني : ارتبط بطرح أعمق لموضوع العنف ووسائل مواجهته سواء من خلال آليات الحماية أو الوقاية أو دعم النساء بشكل مباشر. من أجل ذلك اشتغلت الجمعيات باحترافية على تعديل القوانين وخاصة القانون الجنائي وقانون الشغل، ونظمت فضلاً عن الأعداد المتزايدة من مراكز الاستقبال والتوجيه القانوني والنفسى للنساء حملات تحسيسية واسعة منها، على سبيل المثال، الوقفات التي نظمت أمام المحاكم بمختلف جهات البلاد في 10 ديسمبر 2002، كما طورت إمكانياتها الذاتية من أجل دعم النساء ضحايا العنف. ومن نتائج ذلك :

- على المستوى المطلبي، الحصول على مكاسب هامة إثر التعديلات التي طرأت على القوانين المشار إليها (2003) وخاصة في مجالي العنف الأسري والتحرش الجنسي، وانخراط قطاعات حكومية، وخاصة وزارة العدل، لأول مرة في التاريخ في مشاريع تستهدف صراحة مواجهة ظاهرة العنف ضد النساء.

على المستوى الداخلي، الوعي بأهمية تقوية القدرات الذاتية من أجل المبادرات الملموسة، كان من أهمها تكوين شبكة "أناروز" التي تجمع بين أزيد من عشرين مركزاً لإرشاد النساء ضحايا العنف وإطلاق مسلسل يتوخى تطوير وتوحيد أدوات الاشتغال (تقنيات الاستماع، قاعدة البيانات، تقارير سنوية...)، ورصد الجهود للربط بين العمل الميداني بالعمل الترافعي.

الهدف الثالث، بهم مدونة الأحوال الشخصية. وهو يختزل - بالنظر لطابعه الهيكلي والاستراتيجي - مجموع التراكمات التي تشكلت عبر العقود الماضية. ففي مارس 2001 تكونت مجموعة "ربيع المساواة" من أجل قانون أسري يضمن المساواة بين الجنسين، من قبل 9 جمعيات (صار عددها لاحقاً 26) مستفيدة من الحركة التي رافقت مشروع الخطة الوطنية لإدماج المرأة في التنمية. وقد عملت المجموعة بشكل منتهج ومستمر كقوة اقتراح وترافع وتحسيس تجاه اللجنة الاستشارية المكلفة من طرف الملك بمراجعة مدونة الأحوال الشخصية، وتجاه القوى الفاعلة في الدولة والمجتمع والرأي العام. في هذا الإطار، طورت المجموعة خلال الثلاث سنوات الأخيرة، تجربة فريدة ومتميزة وظفت فيها قدراتها

الهائلة على التشبيك والتخطيط والتعبئة وحشد التحالفات، بتكيف ذكي مع المحيط السياسي والاجتماعي والثقافي، من أجل تغيير شامل للمدونة حتى تصان كرامة النساء ويسوى بينهن وبين الرجال في العلاقات الأسرية. لقد شكل تغيير المدونة، بدون منازع، مطلباً رافق تاريخ الحركة النسائية منذ بداياتها. فقد ساهم بالنظر لعنقه السياسي، في تطور الحركة ونضجها، وهذا ما تم توظيفه في المقاربة المعتمدة ل طرح الملف في السنوات الأخيرة، وفي الدينامية التي أدت إلى تحقيق مكاسب هامة وذات أثر دال على حياة النساء على مستويين:

- مسار الإصلاح، بما أتاحه، في حد ذاته، من فرص لتقوية القدرات النضالية للجمعيات، وللحركة من أجل حقوق النساء بصفة عامة،

- منتوج الإصلاح، وخاصة منه ما يتعلق بالمقتضيات التي تنص على جعل الأسرة تحت الرعاية المشتركة للزوجين، وإلغاء الولاية على المرأة الرشيدة في الزواج، وإلغاء طاعة الزوجة للزوج، والإقرار بالمساواة في الحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوجين.

هذه التجربة هي الآن موضوع توثيق من قبل الجمعية الديمقراطية لنساء المغرب لاستخلاص دروس يمكن أن تفيد الحركة النسائية المغربية لتوجيه المراحل المقبلة، كما يمكن أن تفيد جمعيات ومكونات أخرى للحركة النسائية في العالم الإسلامي بصفة خاصة، ممن يصطدم نضالها بمقاومات يستغل فيها الدين لشرعنة التمييز.

هكذا سجل المغرب بعد خمسة عقود من استقلاله تحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية عميقة، وهو ينخرط الآن في دينامية تغيير ساهمت فيها الحركة النسائية بقوة من خلال إرساء دعائم ثقافة المساواة والمواطنة. وبالرغم من التحديات الكبيرة التي تواجه هذه الحركة على مستوى استكمال استقلاليتها والرفع من درجة احترافيتها وانفتاحها الضروري على الجيل الشاب، فإن دورها المتزايد سيكون من العوامل المحفزة على تسريع وتيرة التحولات الجارية وجعل المساواة قضية تنصدر الانتقال بالمشروع الديمقراطي والحداثي للمغرب من الطموح إلى الواقع.

ربيعة الناصري وأمينة المريني

النظم البيئية الطبيعية : تعيش على سطح الكرة

الأرضية فسيفساء من رابطات حياتية (Biocoenoses) تنتمي كل واحدة منها إلى وحدة حياتية (Biome) معينة، وتتميز برابطتها النباتية. ولكل رابطة حياتية كائنات لها صلات عديدة مع بعضها البعض وترجع أهم هذه العلاقات إلى الجوانب المتعلقة بالتغذية والتوزيع البيوجغرافي. أي أن هذه الكائنات توجد في صراع متواصل من أجل التغذية والمكان. وتتعلق الرابطة الحياتية تعلقاً وثيقاً بالعوامل اللاحياتية للوسط الذي تعيش فيه. وهكذا فإن عوامل المناخ والتربة هي

التي تحدد التركيب النوعي والبنية والمجال للرابطة، وتؤمن اشتغال شبكة التغذية، متيحة بذلك التركيبات العضوية وتيارات وتحويلات المواد المعدنية والعضوية، مما ينتج عنه كمية من الكتلة الحياتية في مختلف مستويات السلسلة الغذائية. وهكذا فإن كل رابطة حياتية تكون مع الأساس الترابي الذي يغذيها، والمناخ الذي تنغمس فيه، نظاماً وظيفياً وهو النظام البيئي الذي يعتبر الوحدة البيئية الأساسية التي من الممكن أن تشتغل في غاية التوازن في حالة عدم وجود عامل من عوامل التدهور. إذن فالنظام البيئي هو كيان من مركبات حيوية وكيميائية تشتغل بصفة دورية، وتتفاعل فيه الكائنات الحية مع عوامل الوسط اللاحياتي. كل واحد من الكائنات والعوامل يؤثر على الآخرين، وكل واحد منها يعتبر ضروريا لضمان العيش في انسجام كامل.

يشمل النظام البيئي المكونات التالية

- المنتجون : وهي النباتات الخضراء التي تحول الطاقة الضوئية لأشعة الشمس إلى طاقة كيميائية كامنة تتراكم في مركبات عضوية مبلورة ابتداء من مواد معدنية مستمدة من الوسط الخارجي اللاحياتي.

- المستهلكون : وهي الكائنات الحية التي تتغذى من

المركبات العضوية المعتمدة. وهي تشمل :

- المستهلكين من الدرجة الأولى أو الحيوانات العاشبة

والطفيليات من نبات وحيوان.

- المستهلكين من الدرجة الثانية وهي الحيوانات اللاحمة

التي تعيش على العاشبة.

- المستهلكين من الدرجة الثالثة وهي الحيوانات اللاحمة

التي تعيش على حيوانات لاحمة أخرى.

من بين المستهلكين نجد : المرجعون أي الحيوانات التي

تعيش على الجثث مثل الضباع والنسور، ثم النفاويون أو

المفككون وهي الحيوانات التي تعيش على المواد العضوية

الميتة والمواد الغائطية، وتحولها إلى دبال.

- المحلولون : وحدهم أو مع النفاويين يحولون المواد

العضوية إلى دبال، وهم يشملون البكتيريا والفطريات.

- المعدنون : وهي الكائنات الحية من البكتيريا

والفطريات التي تحول المواد العضوية إلى عناصر معدنية

تقتصمها النباتات بجذورها.

- المثبتون للنيتروجين : وهي كائنات حية تثبت

النيتروجين الجزئي وتتغذى منه لكنها في نفس الوقت تعيش

على المواد العضوية المبلورة.

لكل مستوى من السلسلة الغذائية كتلة حياتية تمثل في

الحقيقة تراكم للطاقة في هذا المستوى على شكل كيميائي.

والإنتاجية هي الكتلة الحياتية التي تكونت في فترة معينة

ومساحة معينة. يعرف الانتقال من مستوى إلى مستوى آخر

تدهوراً جزء كبير من الطاقة الكامنة. وهكذا فإن جزءاً كبيراً

من الطاقة الشمسية يتبدد على شكل حرارة، ولا يستغل

المنتجون في عملية التخليق الضوئي إلا أقل من 1 أو 2/ من الطاقة الشمسية. وكذلك الشأن بالنسبة للمستويات الأخرى، إذ أن كل مرور من مستوى إلى مستوى آخر يعرف تبدا كبيرا للطاقة الكيماوية وذلك بتحويلها إلى الحرارة. ولا يبقى إلا جزء صغير من الطاقة الكيماوية لبلورة الانتاجية التي تعرف انخفاضا في كميتها من مستوى إلى مستوى موال. وتجدد الإشارة إلى أنه من الممكن أن تكون تبادلات بين الأنظمة البيئية كما هو الشأن لتلك التي تصادف في الأحواض النهرية : انتقال الدبال أو الحيوانات.

وينفرد المغرب في منطقة حوض البحر المتوسط بمجالاته الجغرافية والتضاريسية والمناخية، والصخرية. فمن حيث الجانب الجغرافي يتواجد المغرب في موقع متميز ذي واجهتين بحريتين، وما بين أوروبا وإفريقيا وأرضه شديدة التجزئة في طبيعتها بفعل وجود عدة سلاسل جبال شاهقة يفوق بعضها 4000 م من الارتفاع ومساحات شاسعة من السهول والهضاب والحمامات نظرا لهذا الموقع الجغرافي المتميز، والتقسيمات التضاريسية، يظهر المغرب جميع أنواع البيومناخات (صحراوية، جافة، شبه جافة، شبه رطبة، رطبة، جد رطبة ذات الأشكال الدافئة والمعتدلة، والبادرة، والقارسة والقارسة جدا) والطوابق النباتية المتوسطة (تحت المتوسطي، المتوسطي الدافئ، المتوسطي، فوق المتوسطي، الجبلي المتوسطي، فوق الجبلي المتوسطي) بالإضافة إلى المنطقة المدارية الصحراوية. ومعدل المقاييس المطرية يتراوح ما بين 30 وأكثر من 2000 مم سنويا.

بدون أن نسترسل في التفاصيل المتعلقة بكل جوانب التنوع البيولوجي نود أو نعطي هنا لمحة قصيرة عن البنيات النباتية المنتجة في النظم البيئية وتوزيعها البيوجغرافي. وفي هذا الإطار تجدر الإشارة إلى أن ما يقارب مائة نوع شجري تنظم أو تساهم في تنظيم التشكيلات النباتية الغابوية، وشبه الغابوية. وشبه السهبية، والماطورالية والسهبية وغيرها. بالإضافة إلى هذه التشكيلات توجد أنماط أخرى صحراوية واسعة الانتشار وأخرى خاصة بالمناطق الرطبة أو المالحة أو الرملية وقبل أن نسردها الأنواع المنظمة للنظم البيئية نرى من الأفيد أن تعرف بأنماط التشكيلات النباتية :

- الغابة : تشكيلة نباتية كثيفة تسودها أشجار تتميز بجذوعها البارزة، وترافقها أنواع نباتية أخرى مرتبطة فيتوسوسيلوجيا بالغابة وتعيش في الطبقتين الشجرية والعشبية.

- شبه الغابة : تشكيلة نباتية لا تتعدى 6 أو 7م تسودها شبه أشجار وشجيرات، وتكون قريبة في بنياتها أو حتى في ديناميتها من الغابة. فهي إما أوجية في حالة عدم توفر الظروف البيئية للغابة، كشبه غابات العرعار البربري وشبه غابات العرعار الأحمر المثبتة للكثبان الرملية الساحلية. وإما في طريق التطور التقدمي في اتجاه الغابة أو التراجع في اتجاه تكوين الماطورال. ومن هذه الفئة نجد على

سبيل المثال تشكيلات المنسفة الناتجة عن قطع الغابة أو تشكيلات الضرو والمخلنج الشجري، والريحان، وباخناو والبلوط القرمزي ...

- الماطورال : لفظ مأخوذ عن اللغة الاسبانية وهو يعني التشكيلة النباتية التي يقل ارتفاعها عن 2 م، والتي تسودها جنيبات أو جنيبات معمرة مثل أنواع القستوس وجنيسطا وأنواع عديدة من فصيلة الشفويات وأخرى. وللماطورال مدلول دينامي إذ أنه يمثل تطورا تراجعيا ناتجا عن شبه الغابة أو تقدما في اتجاهها.

- شبه السهب : تشكيلة نباتية مكونة من أشجار وشجيرات متناثرة في تشكيلة سهبية. وهي إما أوجية في حالة انعدام الظروف المناخية لتكوين الغابة كما هو الشأن في المناطق البيومناخية شبه الجافة والجافة مثل تشكيلات أركان وتشكيلات العرعار الأحمر القارية. وإما ناتجة عن تدهور التشكيلات الغابوية القريبة من هذه المناطق. وفي هذه الحالة، فإن تدهورها يؤدي إلى تكوين التشكيلات السهبية. - السهب (انظر السهب).

أما الأنواع الشجرية التي تشكل النظم البيئية الغابوية وشبه الغابوية وشبه السهبية والصحراوية فهي :

- الشوح المغربي *Abies maroccana*، الأرز الأطلسي *Tetraclinis articulata*، العرعر البربري *Cedrus atlantica*، العرعر الأحمر *Juniperus phoenicea*، العرعر الفواح *Juniperus thurifera*، العرعر الكادي *Juniperus oxycedrus*، الصنوبر الحلبي *Pinus halepensis*، الصنوبر المغربي *Pinus pinaster var. maghrebiana*، الصنوبر الإيبيري *Pinus pinaster var. iberica*، الصنوبر الأسود الموريطاني *Pinus nigra var. clusiana*، السرو الأطلسي *Cupressus atlantica*، بلوط الزان *Quercus faginea*، البلوط الزغبي *Quercus pyrenaica*، البلوط القرمزي *Quercus humilis*، البلوط الأخضر *Quercus rotundifolia*، البلوط الفليني *Quercus suber*، البلوط القرمزي *Quercus coccofera*، ارگان *Argana spinosa*، البطم الأطلسي *Pistacia atlantica*، الزيتون البري *Olea europaea var.*، الطلع المغربي *Acacia gummifera*، الطلع الصحراوي *Acacia raddiana*، طلع اهرنبرجيانا *Acacia ehrenbergiana*، الخروب *Ceratonia siliqua*، الزقوم *Rhus tripartitum*، السماق *Balanites aegyptiaca*.

أنواع وتشكيلات نباتية أخرى :

- سهب النباتات الشوكية المغطية لقم الجبال الشاهقة، وهي مكونة من أنواع عديدة وواسعة الانتشار، سهب الحلفاء *Stipa tenacissima*، سهب أنواع الشيح - *Artemisia inculta*، *Artemisia mesatlantica*، تشكيلات أنواع الرتم وأنواع فصيلة الفراشيات : *Retama monosperma*، *R.dasycarpa*، تشكيلات الوديان المكونة من أنواع الطرفاء *Tamarix articulata* *Tamarix camariensis*

من الطلع المغربي انقرضت أخيراً بسبب الاجتثاث لممارسة الزراعة والرعي وجمع الحطب.
الأطلس الكبير الغربي والشياطمة وحاحا وسوس والأطلس الصغير :

- بيومناحات شبه جافة ومحليا جافة، أنظمة غابوية أو شبه غابوية أو شبه سهبية من البلوط الأخضر والعرعر البربري والعرعر الأحمر وأرگان، ومحليا السرو الأطلسي، أنظمة سهبية تتواجد في بعض المناطق الهضابية.
المناطق الصحراوية :

- بيومناحات صحراوية ومحليا جافة، أنظمة صحراوية مكونة من أشجار الطلع والزقوم وأتيل والأتل أو الطرفاء، أنظمة سهبية تعيش في نجد الحمادة.
أبحاث شخصية.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris, et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p.

عبد الملك بتعبيد

النظيفي، محمد بن عبد الواحد بن حسن العالم الورع والصوفي المرابي والباحث في علوم القوم، ينتمي إلى قبيلة إدا ونظيف الواقعة بالأطلس الصغير الأوسط.

ولد بفخدة آيت كين سنة 1270 / 1853. وما كاد يبلغ سن التعليم حتى أدخله والده الكتاب عند الفقيه محمد بن علي الهوزالي، ثم عند الفقيه محمد بن عبد الدائم بقرية تاملوت، وعندما أتقن حفظ القرآن الكريم بقرائه المتعددة أرسله لطلب العلم بمدرسة أكادير الهنا عند الفقيه عبد الرحمان بن محمد من آل الحسين؛ ثم تابع دراسته عند الشيخ أحمد بن موسى الطاطائي بمدرسة تاتلت حيث زاوية اليعقوبيين الناصريين. فلامه مدة أربع عشرة سنة. وارتحل معه إلى مدرسة إيماديدن. وعندما حصل العلوم التي تدرس بسوس قرر أن يتوجه إلى جهة مراکش رغبة منه في المزيد من المعرفة. فحط رحاله عند الشيخ علي بن بوجمعة المسفيوي بمدرسة أخليج بوربكة فمكث عنده مدة، لمس أستاذه خلالها نجابته وسعة محصله العلمي وولعه بالقراءة. وهذه الخصال الحميدة ظاهرة مبكرة تميز بها عن أقرانه، وشهد الثقات بها كما شهدوا باعتزاله للهو واللعب. ولعل فراسة شيخه المسفيوي جعلته ينصحه بالذهاب إلى فاس لتعميق تكوينه بجامع القرويين. وفعلا لبى رغبته وحضر المجالس العلمية بهذه المدينة التي أقام بها 14 شهراً.

بعدهما قضى الطالب محمد النظيفي هذه الفترة الدراسية بالقرويين، عاد للقاء شيخه بوربكة فرأى فيه أستاذه القدرة على التدريس فكان الأمر كذلك، فشارط في المدارس العتيقة بالبادية وملأها علماً وتربية. وطالت إقامته بمدرسة أكرگور الواقعة على الضفة اليمنى لوادي نفيس في الشمال الغربي لهضبة كيك، وهي إذ ذاك تحت سلطة القائد الطيب الكندافي. فأقبل عليه طلبتها وملأ جهتها علماً وتربية،

والصفصاف *Salix pedicellata* والحوار *Populus alba*, *P. nigra* و*euphratica* والدردار *Fraxinus angustifolia*, تشكيلات المناطق الرطبة والميهبة، تشكيلات الأراضي المالحه، سهب الرق والكتبان الرملية الصحراوية.

3 - التوزيع البيوجغرافي للنظم البيئية (انظر "الغابة" و"الطوايق النباتية") :

- مناطق الريف والشمال الشرقي وتازكا :
- بيومناحات شبه رطبة، رطبة، وجد رطبة ومحليا شبه جافة.

- أنظمة غابوية من البلوط الفليني والبلوط الأخضر والبلوط القرمزي، وبلوط الزان والبلوط الزغبى، والعرعر البربري، والزيتون البري والصنوبر البحري المغربي، والصنوبر الإيبيري، والصنوبر الحلبي. تغطي القمم غابات من الأرز، ومحليا يصادف الشوح المغربي، وبعض الباقات من الصنوبر الأسود.

- تشكيلات الماطورال الواسعة الانتشار.
- الأطلس المتوسط والأطلس الكبير الشرقي :
- بيومناحات شبه رطبة، ورطبة، ومحليا شبه جافة، أنظمة غابوية من البلوط الأخضر وبلوط الزان والأرز الأطلسي ومحليا العرعر البربري والعرعر الأحمر، أنظمة سهبية باردة من القنتات الشوكية.

- الغرب والمعمورة ودكالة والشاوية وعبدة وتادلة :
- بيومناحات شبه جافة ومحليا شبه رطبة، أنظمة غابوية من البلوط الفليني والعرعر البربري والعرعر الأحمر، أنظمة غابوية من الزيتون البري انقرضت بسبب الاجتثاث لفائدة الزراعة والرعي في النصف الأخير من شبه الأطلسي وهي الفترة الأخيرة التي نعيشها من الرباعي.
- الهضبة الوسطى :

- بيومناحات شبه جافة وشبه رطبة، أنظمة غابوية من البلوط الفليني والبلوط الأخضر والعرعر البربري ومحليا الزيتون البري.

- الهضاب العليا للمغرب الشرقي :
- بيومناحات شبه جافة، وجافة، أنظمة غابوية من البلوط الأخضر، والصنوبر الحلبي والعرعر الأحمر، والعرعر البربري، أنظمة شبه غابوية وشبه سهبية من البطم الأطلسي انقرضت بسبب الاجتثاث لفائدة الرعي والزراعة والحطب وصناعة الصابون، أنظمة سهبية من الحلفاء والشحج.

- المنطقة الوسطى من الأطلس الكبير :
- بيومناحات شبه جافة وشبه رطبة، أنظمة غابوية من البلوط الأخضر والعرعر الأحمر والعرعر الفواح والعرعر البربري وقليل من الصنوبر الحلبي، أنظمة سهبية باردة فوق قمم الجبال من القنتات الشوكية.

- الحوز والرحامنة :
- بيومناحات جافة ومحليا شبه جافة، أنظمة شبه سهبية

محمد النظيفي، الطيب الفائح : م. المختار السوسي، المعسول، 19 : 137 ؛ رجالات العلم العربي بسوس، ص. 208 ؛ سوس العالمية، ص. 208 ؛ ع. السلام بن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، 2 : 395. 410 ؛ إتحاف المطالع، 2 : 517 ؛ محمد الميموني، صلاة الفاتح بين المعتقد والمعتقد ؛ عبد الواحد النظيفي، أدب الصوفية التجانيين بالمغرب، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، مرقونة ؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، 10 : 266 ؛ الحسين السكنتاني، جريدة العلم، 26 / 10 / 2003 ؛ أحمد الازمي، الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي، ج 2 ؛ محمد النظيفي، مبادئ الإشراف والإسعاد فيما للتجاني من الأذكار والأوراد.

محمد ماكامان

النعام، للذكر والجمع والنعامة للأنثى، طائر من أكبر الطيور الحية حجما في العالم يعجز عن الطيران لأن الأجنحة ضامرة ومتوقفة عن النمو في حين أنه سريع الركض والجري لطول ساقيه المتكيفة على المشي. عرف البدو تدجينه منذ زمن بعيد وكان يستعمل في ترحالهم من منطقة لأخرى ويربونه لأكل لحومه.

يصنف إلى الطيور العداة Ratites وفصيلة النعاميات Struthionidae، منه أربعة أصناف يعيشون في إفريقيا : نعام أفريقيا الشمالية Struthio camelus camelus والنعام الصومالي Struthio camelus molybdophanes والنعام الاسترالي الذي يعيش في إفريقيا الجنوبية وأستراليا Struthio camelus australis و نعام مسائس Struthio camelus massaicus نعام أفريقيا الشمالية أو النعام أحمر العنق هو النوع الوحيد الذي يعيش في الأوساط الجنوبية المغربية، يدعى بالفرنسية Autruche à cou rouge وبالانجليزية Ostrich red neck.



يبلغ علوه الأقصى 2.50 مترا ويبلغ وزنه الأقصى 120. 130 كيلوكرام. الرأس صغير جدا والعنق طويل أحمر اللون يكسوه زغب رمادي بني، العينان كرويتان سوداويتان، المنقار قصير وعريض مصفر ؛ تتميز الذكور عن الإناث بلون ريشه الأسود والأبيض على الجناحين والذيل والذي يكتسبونه بعد بلوغهم سنتين من عمرهم بينما يبقى لون الإناث والصغار رماديا بنيا يتماشى مع مظهر بيئة المعيشة فيساعد

وتشاء الأقدار أن تشهد سنة 1309 تحولا في مساره الروحي وانتقاله من الطريقة الناصرية التي كان عليها هو ووالده وأهله إلى التجانية على يد الشيخ أحمد المحمودي الدرعي نسبا والمراكشي دارا ومدفنا. ولما أحس أن الطيب الكندافي عزم على توليته خطة القضاء قتلص من هذه الولاية وأظهر رغبتة في زيارة ضريح مولاي إبراهيم مع أهله ؛ فوجدها فرصة للالتحاق بمراكش بتنسيق مع شيخه المحمودي ؛ فدخل هذه المدينة في شوال عام 1317 واستقر بها. فذاع صيته بها. وعمت شهرته آفاق المغرب وخارجه بعطائاته العلمية وتربيته الروحية للمريدين طيلة هذه الفترة الطويلة التي قضاها بالحصراء. والجدير بالملاحظة أن سنة 1309 تؤرخ بداية تألقه وشهرته. ففي هذه السنة أجازة الشيخ أحمد المحمودي في التصوف حيث ورد في هذه الإجازة قوله : وليعلم الواقف عليه أنا أجزنا أخانا وصديقنا الفقيه النبيه الأمد السعيد ع الأريب الأسعد الفقيه البركة الحاج محمد بن عبد الواحد بن الحسن النظيفي آمنه الله في أذكار هذه الطريقة اللازمة وغيرها تبعها لها أعني التجانية الأحمدية ...، إلى أن يقول فيجتنب بغاية جهده طريقة التفريط بمتابعة الهوى بالترخيص والتساهل التي هي فساد وإضلال وخذلان ... " وهذه الإجازة محررة في 5 شوال 1309 وأشار إلى سنه الصوفي في الدررة الخريدة.

وفي 21 صفر 1310 أجازة الشيخ الحسين بن أحمد الإفرائي علامة سوس المتوفى سنة 1328 في الطريقة التجانية بسندها وشروطها وأذكارها وأورادها ووظيفتها المعلومة. والإجازة الثالثة من العلامة محمد گنون المتوفى سنة 1326 وهي مؤرخة بـ 14 ربيع النبوي سنة 1310 وتشمل التصوف والطريقة التجانية وصحيح البخاري وموطأ الإمام مالك مع ذكر السند، وقد أشار إليها في منظومة تحتوي على 13 بيتا. والإجازة الرابعة في الطريقة كذلك في شوال سنة 1311 من طرف الشيخ العالم المربي عبد الله أكنسوس المتوفى عام 1317.

وأقبل الشيخ على هذه الطريقة باحثا ومؤلفا ومربيا فأسس زاويته التي تحمل اسمه سنة 1335 بباب فتوح لما ضاقت داره بالمريدين بعدما غادر الزاوية الكنسوسية.

ووجدت هذه الكفاءة العلمية ومشیخة التدريس والتربية ما يوازيها من الكتابة نثرا ونظما، أغلبها في الطريق التجانية وفقها. وتميزت منهجيته باعتماد الشروح، ومخاطبة السالكين والمتعلمين حسب عقولهم. وقد أبان فيها عن مقدرته العلمية والأدبية : النثرية والتنظيمية. واعتمد الأراجيز والمنظومات التعليمية. وتتبع أحداث عصره.

توفي سنة 1366 / 1947 بمراكش، وتم دفنه بغرفة كان قد اقتطعها من الزاوية وأوصى بأن يدفن فيها، فرتاه محبوبه من الأدباء، وما أكثر القصائد التي قيلت في مدحه وراثته وفي حله وترحاله. وأما قيدومية الزاوية فما زالت متداولة بين أبنائه.

محمد رضاني، الحباري، معلمة الغرب، ج 10، ص. 3303.
3304: الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات
العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.
C. Harisson, *Les nids, les oeufs et les poussins*
d'Europe en couleurs, Elsevier, 1977, 430 p.
محمد رضاني

نعناع، يسمى هذا النبات بالعربية النعناع أو لقامة
وبالفرنسية *Menthe verte* ويطلق عليه *Mentha viridis*
كاسم علمي. إنه نبات عشبي معمر ينتمي إلى فصيلة
الشفوية (Lamiaceae) له أزهار مجمعة على شكل سنابل.
إنه سريع الانتشار عن طريق الجذور.

إن المنطقة المتوسطية هي موطنه الأصلي، وهو الآن شائع
بأوروبا وغرب آسيا والشرق الأوسط. يشمل النعناع أنواعا
عديدة منتشرة عبر العالم. إن جنس المانتا يشمل 8 أنواع
بالمغرب، منها قيسية لاتصادف في البلدان الأخرى غير
المغرب ويتعلق الأمر بمانتا سيفيولانس *M. Suaveolens*
ومنها شبه دخيلة كالنعناع العادي *Mentha viridis* والنعناع
الحر أو العبيدي أو نعناع الفطور *M. piperita* اللذان يزرعان
على مساحات كبيرة وشاسعة في مناطق مكناس وسطات
والجديدة ومراكش وبنو ملال وأكادير وتيزنيت. وأكثر
الأنواع استعمالا هي النباتات التالية: النعناع العادي
Mentha viridis والنعناع الحر أو العبيدي أو نعناع الفطور *M.*
piperita وفليو *M. pulegium* (انظر فليو) الذي يتواجد
بالأماكن التي تغمرها المياه في فصل الشتاء في الطابق
المتوسطي الحار والمعتدل شبه الجاف وشبه الرطب والرطب.
تعرف تشكيلات هذا النوع تدهورا خطيرا يكاد يؤدي بها
للاتقراض وذلك بسبب عمليات القطف المفرط المحبذ من
طرف السكان نظرا لفوائده العديدة فيما يخص
التطبيب التقليدي.

لقد بلغت قيمة صادرات المغرب من النعناع العبيدي *M.*
piperita وفليو *M. pulegium* والنعناع المصدر طازجا
Mentha viridis، 1,42 مليون درهم في السنة ما بين 1995
و1998. وهذه الصادرات تمثل 2,74 بالمائة من الصادرات
المغربية من النباتات الجافة والزيوت الطيارة وعلى سبيل
المثال نجد أن قيمة الكميات المنتجة من النعناع *M. piperita*
كمادة عطرية تدخل في عدة تحضيرات من السواد
الغذائية والعطرية وفي الأدوية والتجميل وصناعة
المشروبات الروحية.

إن النعناع جد غني بمادة الكرفون (L - carvone) 70٪،
المانتول (Menthol) والسينول (Cinéol). وبعد النعناع
Mentha viridis من المشروبات المغربية الأصيلة. يتم
استخراج الزيوت الطيارة من النعناع الحر *M. piperita* عن
طريق التقطير البخار. إن النعناع نبات طبي ذو فوائد عديدة
لأنه يزيل الألم ويطهر، ومضاد للتشنج ومهضم ومهدئ.
والنعناع منبه للجهاز العصبي الخارجي وفي نفس الوقت

على التستتر وعدم جلب أنظار الأعداء كالضباع والفهود
والثعالب وعناق الأرض والطيور الكواسر. القائمتان طويلتان
محمرتان عاريتان، تتوفر القدمان على أصبعين، وهذه ميزة
الطيور الراكضة السريعة المشي كالنعامة والحباري وسواق
الإبل. تعتبر بيضة النعامة أكبر خلية حيوانية في الوجود في
الوقت الحاضر.

النعام طائر شديد الفزع والحذر، كثير الانتباه وقليل
الذكاء؛ انفرادي أكثر ما هو اجتماعي، يفضل العزلة إلا في
فترة التوالد وتربية الصغار حيث تتكون مجموعة متعددة
الأفراد يترأسها ذكر واحد وبضع إناث. يألف المناطق
الصحراوية وشبه الصحراوية الغنية بالوحدات والينابيع
ويتغذى من الأعشاب الطرية وبراعم الأشجار ومن بعض
أنواع الحبوب، ويلتهم أحيانا بعض الحشرات والزواحف.
يعيش في مجموعات قليلة الأفراد ويركض بسرعة قوية عند
الإزعاج هروبا من أعدائه وقد تصل سرعته أحيانا 56 كلم
في الساعة. يعمر النعام حوالي 40 سنة.

تصير ذكور النعام عدوانية خلال فترة التزاوج فينفرد
الذكر بمجموعة من الإناث يتراوح عددهن بين 3 و5 وأحيانا
أكثر من 6 تنزعها أقواهن لتتكفل بالحضانة وتربية
الصغار. يصنع الزوج حفرة على الأرض بين الحشائش لتضع
فيها الأنثى المتزعمة حوالي 12 بيضة وتتبعها بالتوالي
الإناث الأخرى ليصبح مجموع البيض 30-40. تدوم مدة
الحضانة حوالي ستة أسابيع من طرف الزعيمة نهارا ومن
طرف الزوج ليلا. يبلغ قطر البيضة 20 سم وتزن 1.1-2
كيلوكرام وسعتها 1.4 لترا. تستطيع الصغار المشي بعد أيام
قليلة من التفقيس وترافق الأبوين لتبحث عن الأكل فيكون
عدد المجموعة مرتفعا خلال شهرين أو ثلاثة.

عرف نوع النعام مضايقة شديدة من طرف الإنسان خلال
القرنين الأخيرين بسبب في انقراض هذا الطائر في أوساط
إفريقيا الشمالية بصفة عامة. يستعمل الريش في الألبسة
كالقبعات وغيرها وتآكل لحومه في كثير من دول البحر
المتوسط وأفريقيا وأستراليا وغيرها. ومع إنشاء المنتزه
الوطني لسوس ماسة والمنتزه الوطني الإفريقي اللذين يمتازان
بتنوع المواطن وبوفرة النباتات والوحيش، تمت محاولة تربية
وتناسل بعض أنواع الحيوانات الصحراوية كالمهاة وغزال مهر
والنعامة لاسترجاع هذه الأنواع المنقرضة إلى مواطنها
الأصلية مستقبلا حتى تستعيد المناطق الجافة وشبه الجافة
المغربية قيمتها الحقيقية على مستوى الوحيش. لقد لعب
النعام دوراً حيوياً في الحفاظ على التوازن البيئي وتلبية
حاجيات الإنسان المعيشية.

وقد اهتم بعض الخواص في السنوات الأخيرة بتربية
النعامة حمراء العنق في ضواحي المغرب الشرقي بناحية عين
بني مطهر لإنتاج اللحوم والجلود والريش. وأعطت هذه
المحاولة نتائج مرضية.

بوفرة المجاري المائية ونوعية الأعشاب المسماة محليا تشات والصالحة لتربية الأغنام والخيول. يساهم الغطاء النباتي وحركية المدّ والجزر الموفرة للأسماك في تشجيع الطيور المهاجرة على التبييض وفي نشاط الصيد التقليدي بالبحيرة.

لهذه الأسباب وغيرها تم اعتبار النعيلة محمية طبيعية منذ سنة 1962 حسب قانون رامسار الدولي نظرا لدورها كمحطة لمرور حوالي 250 نوع من الطيور المهاجرة ما بين شمال وجنوب الساحل الأطلسي الرابط بين إفريقيا وأروبا.

من المنظور التاريخي تحيط بالبحيرة مواقع أثرية كثيرة تعود في مجملها إلى ما قبل التاريخ فبينما كانت البعثة العلمية المتعددة التخصصات حول الصحراء تقوم بجرد لخريطة أثرية للمنطقة إذ أعادت اكتشاف المواقع الأثرية لإشكيكن قريبا من كارة الصوف. والموقع عبارة عن بقايا حصون وبناءات دائرية الشكل تعود في تقديرنا إلى ما بين 3000 و6000 سنة. تقول إحدى خرائط الكنيسة المنقولة من أصل قديم سنة 1492 بوجود مدينة قديمة تسمى بابل. وإذا كنا لا نتوفر اليوم على ما يكفي من المعطيات الأركيولوجية، فإن حجم الموقع الأثري يكشف بما لا يدع مجالا للشك عن إحدى مظاهر بداية العمران البشري الأقدم. أما من حيث تاريخ المنطقة منذ ما بعد الإسلام، فإن الساحل الأطلسي قد تميز باقترابه من الطريق الساحلية الرابطة بين نول لمطة عاصمة المرابطين بوادي نول وملاحية إيجيل التاريخية وهي محال إقامة قبيلة مجاط.

مصطفى ناعمي

النفامشة ← زعير

النفلة، لفظ يطلق على عدة أنواع من جنس ميليلوتوس "Melilotus" ومن فصيلة الفوليات "Fabaceae" ومن بينها النفلة الطبيعية "M. officinalis" والنفلة البيضاء "Melilotus alba". إنها نباتات حولية أو ثنائية الحول ذات أوراق ثلاثية ومسننة، الأزهار بيضاء أو صفراء مجتمعة وممتدة على أعلى السيقان، وهي من النباتات التي يزورها النحل لإنتاج العسل.

تعتبر النفلة من النباتات العلفية ذات الجودة المتوسطة، إلا أنها تحتوي على مادة الكومارين مما جعلها مسممة عند الاستهلاك حينما تكون خضراء طازجة. وتستعمل كذلك لتسميد الأرض كسائر الفوليات.

تتكيف النفلة مع التربة الجافة بفضل جذورها القوية، إلا أنها تخشى الرطوبة المفرطة والحموضة. يصل الإنتاج من 10 إلى 15 طن للهكتار. وتقطع مرتين أو ثلاث مرات خلال السنة.

قادر على تهدئة الأعصاب في حالة تهيجها. يستعمل لتسكين الألم الموضعي حيث تسخن أوراقه، وتوضع في كيس من الكتان ويوضع فوق الألم. ولعلاج الزكام توضع كمية من أوراق النعناع في الماء الساخن في إناء عار ويترك البخار ينتشر داخل الحجرة ليختلط بهوائها. ويجب الانتباه إلى أن الأوراق الفعالة من النعناع هي التي تقطف قبل الازهار لأنها أغنى بعقار المانتول وغيره. ويستعمل النعناع لعلاج الالتهاب الجلدي، وذلك بوضع مزيج من النعناع المفروم مع الخل فوق مكان الإصابة، كما يستعمل مغلي الأوراق، للفرغرة ولتطهير الحلق والفم والتخلص من الروائح الكريهة.

يعتبر مغلي أوراق النعناع من أنجح الأدوية لمعالجة وتسكين المغص المعوي، ومغص الرحم، وطرده الغازات المعوية، ويكسب الجسم نشاطا وحيوية. ويدخل في تركيبة وصنع بعض المواد مثل : معجون الأسنان، الحلويات، السكريات وبعض المشروبات.

A. Aafi, M. Fechtal & M. S. Taleb, *Espèces remarquables de la flore du Maroc*, MCEF, DREF, Rabat, Maroc, 2002, 146 p. ; A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris, et Kalima wa Diman, Rabat, 2000, 360 p. ; A. Metro & Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora, La nature au Maroc, Soc. des Sc. Nat. au Maroc*, Rabat, 1955, 498 p.

عبد الرحمان عافي

النعيلة، بحيرة طبيعية يطلق على القسم الأرضي الفاصل بين الرجل البحرية والساحل الأطلسي المحاذي للصحراء الموازي للجزر الخالدات اسم خنيفيس. والنعيلة تصغير وتشبه بالنعل الصغير. ومع ذلك فهي أكبر محمية طبيعية على الساحل الأطلسي. فجنوب غرب رأس النير (إيخف النير) يمثل منخفض مصب وادي أدري البداية الفعلية للبحيرة. وهي تقع على بعد 120 كلم جنوب مدينة طنطان و150 كلم شمال مدينة العيون أي حوالي 70 كلم شمال مدينة طرفاية التي تعد بمثابة أقرب نقطة إلى جزيرة فويرتي فينتورا إحدى جزر الأرخيبيل الكناري.

يعتبر هذا الموقع مجالا صحراويا ذا مناخ حيوي معتدل وتربة رسوبية جيدة ساهمت في توفير بنية نباتية حية متعددة الأصناف. يعتبر فم أكويطير (أكويدير) النقطة الرابطة بين البحيرة والمحيط الأطلسي. فهي تمثل بحيرة ممتدة على طول أزيد من 18 كلم تنتهي من الناحية الجنوبية بسبخة تازغة. تخلو هذه السبخة من النبات خلافا للبحيرة وهي تمتد على طول تسعة كلمترات وعرض خمسة كلمترات تغطيها إبان المد مياه المحيط لتتبخر بعد ذلك مخلقة ورائها غطاءً من مادة الملح البحري الصالحة للاستغلال التجاري.

تنوع وتكثر المجاري المائية وسط البحيرة مقسمة إياها إلى قسمين، شمالي هو أقرب ما يكون لخنيفيس مساحته حوالي خمسة كلمترات مربعة، وجنوبي يسمى الكرعان يتميز

أليبرت هيل 1962، النبات الإقتصادي، تر. زاهر عبد المجيد
وأخرون، القاهرة، نيويورك؛ معلومات شخصية.
J. M. Clement, Larousse agricole, éd. Larousse, Paris,
1981.

عبد النبي زين العابدين

النفسير، آلة نفخ معدنية في طرفها منفع يؤدي الريح إلى أنبوب طويل مخروطي الشكل خال من الثقوب. يستخدم النفير في المناسبات والأفراح العائلية كالعقيقة والختان وإعلان الزواج، كما يستخدم من طرف الفرقة العيساوية وخاصة في مرحلة "الحضرة". يقوم استخدام النفير على طريقة خاصة، بحيث يتم شحن الفم بكمية وافرة من الهواء الذي يجري تصريفه عبر المنفع، ويواكب هذه العملية التنفّس المتواصل عن طريق الأنف بغرض تعويض الهواء المصروف.

وتضطلع آلة النفير بإحداث صوت صاخب يتكرر أداؤه على نحو يتداخل مع نقرات الطبول وضربات القراقب.

A. Chottin, *Tableau de la musique marocaine*, imp. réunies, Casablanca, p. 168.
عبد العزيز بن عبد الجليل

النفسير، (مدينة -) ورد ذكرها كمدينة غنية عامرة بمبانيها وأنشطتها التجارية والحرفية في بعض كتب التاريخ الإسلامية والمغربية منذ فتح المغرب إلى أيام الموحدين. ذكر بعض المؤرخين فتحها من طرف عقبة بن نافع وإدريس الثاني. وأشار إلى ذكرها البكري والإدرسي وابن خلدون، لكن لم يشر إليها حسن الوزان الذي زار معظم أقاليم المغرب. لقد تردد كثيرا ذكرها كمدينة غنية بأموالها ومنتوجاتها وأنها تقع على نهر نفيس وعلى طريق الدير الرابط بين كوز كمرفاً على مصب وادي تانسيفت ومدن الدير إمينتانوت وأمزميز وأغمات وأنادي (سيدي رحال) ودمنات. فالواقع المرجح لها هو مخرج وادي نفيس من خوانق آخر سلاسل الأطلس إلى مجال سهلي مستو وهو عبارة عن حوض تفصله تلال نجد كماسة عن سهل الحوز ويعرف بسهل أمزميز. حيث امتد نفوذ القبيلة الجبلية كدموية، واستقرت قبيلة أولاد مطاع بالضفة اليسرى وأزكيتة بالضفة اليمنى. لكن السكان المحليين وهم أمازيغ في معظمهم لا يعرفون مدينة هنا باسم النفيس، ولا توجد مدينة حقيقية مطلقاً. والواقع أن كلمة نفيس مستمدة من وادي نفيس بعد تعريبه من أسيف، أو نفيس ومعناها وادي العيون المتدفقة، وقيل إن الكلمة مستمدة من إفيس وهي الضلع الذي مازال موجوداً بغابات جباله. ويرجح الباحثون المهتمون بالموضوع أن نفيس لم تكن مدينة بالمفهوم التقليدي، فلم تكن مكاناً واحداً محدد المعالم، بل هي مجموعة قرى كثيرة السكان والبنيان ممتدة بالضفة اليسرى لوادي نفيس عند حافة جرف الوادي أو مخارج أودية ثانوية مبتعدة عن أخطار فيضان الواد، تستفيد من السقي من سواقي وادي نفيس ووادي أنجال

وأودية ثانوية أخرى بالإضافة إلى عيون وآبار. ونجد نفس الظاهرة في وادي ماسة، ومدينة ماسة في التاريخ الوسيط تطلق على مجموعة قرى متقاربة على طول مقطع مميز بضفة الوادي. وهناك من يرجح إطلاق الاسم على قرية تتميز بأفضل موقع بهذا السهل ومجال زراعي غني بضفة الوادي اليسرى مكان بحيرة سد للاتاكركوست غمرتها مياهها ونقلت إلى سافلة السد، كانت تعرف بأمزوغ لتوفرها على بعض عناصر التمدين الإسلامي مسجد لصلاة الجمعة - حمام - دكاكين - ضريح سبعة رجال - وسوق أسبوعي وإنزلة لإقامة خيام أصحاب القوافل، كانت تعرف بتاكركوست. وهناك من يرجح إطلاق الاسم على خرائب مآثر عمرانية بعالية قرية أمزوغ على طريق أمزميز كان يسكن ببعض منازلها يهود. ويلاحظ أنه بعد حكم الموحدين لم يعد أي كاتب يشير إلى وجود مدينة النفيس، ولعل ذلك ناتج من تغيير طرق القوافل من الدير إلى مراكش بعد تحولها إلى مدينة كبرى وعاصمة للمغرب، تجتذب تيارات تجارية بقوة. وقد اشتهرت مدينة النفيس أو مجموع قرى النفيس بزراعة العنب الجيد بكميات كبيرة تقترب من زراعة وحيدة، بإقامة الدالية من القصب. وكان يعالج محلياً بالعصر والتجفيف لصناعة محلول حلو خائر يعرف بالروب، كانت له تجارة واسعة بجنوب المغرب إذ يوسق إلى مراكش على البغال التي تدخل من باب جنوبي: باب الرب، وكان يستعمله المراكشيون في تحلية الحلويات والمشروبات، بينما يصنعه اليهود ويحولونه إلى خمر عنب. ويقال إنه كان يشتريه التجار لبيعه للبرتغاليين بأسفي إبان استقرارهم بأسفي والمجديدة. ولعل ثمن بيعه لليهود والبرتغال والحضريين المراكشيين مقابل نفود معدنية، هو الذي جعل مدينة النفيس تشتهر بغناها الاقتصادي والمالي. وما زال لعنب وادي نفيس شهرة كبيرة إلى اليوم إذ توسعت مجالات زراعته خاصة بمخروط وادي نفيس بوسط سهل الحوز الغربي. بحث ميداني وبيولوجرافي وأثري تاريخي وجغرافي.

أحمد هوزالي

نفيس (واد -) إحدى الروافد المهمة المكونة للحوض الهيدروغرافي لتانسيفت. ويعمل على تحريك كميات مائية مهمة من السفح الشمالي لأطلس مراكش تقدر بحوالي 5400 ل / الثانية. وبذلك يحتل المرتبة الأولى بالمقارنة مع باقي الوديان الرافدة لواد تانسيفت. واسمه مشتق من البربرية التي تعني "الضلع"، أي واد الضباع. كما نجده في كلمة "كغنيسة" وهي اسم لمجموعة قبيلة استوطنت قديماً واد نفيس. وتعني الكتلة الجبلية. كما نجده كذلك في كلمة "أزمواكغنييس" وتعني المرج.

يشكل واد نفيس ورافده حوض سكب تقدر مساحته بحوالي 1703 كلم² حتى سد للاتاكركوست. ينبع من هضبة تيشكا بقلب الأطلس الكبير المراكشي، ويبلغ طوله الإجمالي 181 كلم، منها 150 كلم بالجبل. والباقي بالسهل. يحده من

الشرق حوض غيغاية، ومن الجنوب منطقة تقسيم المياه بين سفحي الأطلس، ومن الغرب عالية حوض سكساوة وحوض أسيف المال، في حين يشكل وادي تانسيفت مستوى قاعدته شمالاً.

يتكون حوض تغذية واد نفيس من مجموعتين تضارسييتين غير متساويتين هما : الجزء الجبلي ويمثل حوالي 80 ٪ من مساحة الحوض ثم الجزء السهلي.

- يتكون الجزء الجبلي من كتل جبلية ضخمة تشرف بسفوح وعرة على واد نفيس.

- شرق الواد تنتصب كتل وانوكريم - تازاغارت والتي تضم أكبر الارتفاعات 4088 بجبل وانوكريم. وتقل الارتفاعات غرباً نحو وادي نفيس وشمالاً في اتجاه الحاشية الجبلية، بحيث لا يتعدى علو عرف جبل تاخرخورت المشرف على ويرگان 2200 م. والقمم عامة حادة، لكن توجد أخرى مسطحة.

- وغرب واد نفيس نجد كتلاً جبلية مقابلة للكتل الشرقية لكنها أقل علواً وهي من العالية نحو السافلة : عرف إكدات - تدافلت الذي توجد به أعلى نقطة ارتفاع (3616م)، ثم جبل أرداد (3579 م)، عرف جبل غوزة (3280م) الطويل والذي تتخلله فجاج مثل تيزي تنسلت وتيزي ملول، ثم بالحاشية الجبلية نجد عرف تراردين المطل على منخفض الحوض.

- بعالية الحوض، أي منابيع واد نفيس، نجد هضبة تيشكا التي يصل أقصى ارتفاعها 3000م مع تدرج طبغرافي في اتجاه السافلة.

- وسط هذه الكتل يجري واد نفيس في وادي متعمق عبارة عن منخفض كبير وطويل أطلسي الاتجاه من المنبع حتى إجوكان، ثم يصبح اتجاهه من الجنوب نحو الشمال حتى مخرجه. على طول هذا المسار يتكون وادي نفيس من توالي مجالات ضيقة عبارة عن خوانق وأخرى متسعة عبارة عن منخفضات طيجبلية أهمها من العالية نحو السافلة :

+ منخفض تاغونداث التي توجد به قصبية تاغونداث التاريخية.

+ منخفض ثلاث - ن - يعقوب الذي توجد بعاليته قصبية تنمل الموحدية.

+ ثم منخفض إماريغا - ويرگان الذي يتميز بالاتساع والتهوية.

- الجزء السهلي يوافق سافلة حوض نفيس :

عند خروجه من الجبل يتعمق وادي نفيس بالدير وعند اجنيزاه لهضبة كماسة الشرقية. ويخروجه من هذه الأخيرة يصبح تعمقه خفيفاً جداً لدرجة أنه يكاد يجري فوق السطح كما هو الحال بالحوض الغربي. وعند اقترابه من مقرنه مع مستوى قاعدته تانسيفت بتعمق قليلاً. ويلعب هنا دور المصرف لمياه السديمة المتوحة.

إن موقع حوض وادي نفيس بالسفح الشمالي لأطلس مراکش، وكذلك أهمية وتدرج الارتفاعات وعامل توجيه

السفوح ومسار التيارات الهوائية، كل ذلك يجعل منه مجالاً تتدرج فيه المعطيات المناخية من تساقطات وحرارة وأنواع المناخات.

فعلى مستوى التساقطات التي يتلقاها حوض وادي نفيس فإنها تعرف تغيرات مجالية إذ تزداد وفرةً من سافلته نحو عاليته مع تزايد الارتفاع، لكن هذا ليس بقاعدة عامة إذ يتدخل عامل التوجيه في تغييرها. مثلاً محطة مراکش بجوار سافلة حوض وادي نفيس بالسهل تتلقي 242 ملم كمعدل سنوي. وهي نفس الكمية التي يتلقاها حوض ثلاث - ن - يعقوب 240 ملم رغم وجوده عند ارتفاع 1400م. ذلك أن المناطق المنخفضة الطيجبلية والواقعة في مجال المطر والتيارات الشمالية الرطبة تتميز بنوع من الجفاف، في حين تعرف القمم المشرفة المواجهة للتيارات الرطبة تساقطات مهمة قد تتعدى 800 ملم كمتوسط سنوي. وكلما توغلنا نحو عالية الحوض والقمم العليا كلما ازدادت إمكانية نزول الثلج الذي قد تنزل حدوده حتى ارتفاع 1000م خلال السنوات الرطبة. وخلال السنوات الجافة لا تتجاوز 2000م. سمك الثلوج يبلغ أقصاه أكثر من 2م بالمناطق التي يفوق علوها 2400م.

كما تعرف التساقطات تغيرات زمنية كذلك، وهي تغيرات بيسنوية وشهرية وفصلية. فعلى المستوى السنوي تتعاقب بالحوض سنوات رطبة تفوق فيها التساقطات المعدل السنوي بكثير كما حدث بمحطة إدني سنة 1943 إذ تلتقت 1060 ملم، وسنوات فقر تنزل فيها التساقطات عن المتوسط السنوي بكثير كذلك مثل ما حدث بنفس المحطة سنة 1944 حيث لم تتلق سوى 382 ملم.

أما على المستوى الفصلي فالتساقطات بالحوض تعرف اختلافات واضحة بسافلته ووسطه فنظام التساقطات (ربيع - شتاء - خريف - صيف) وبعاليته فنظامها (شتاء - خريف - ربيع - صيف). وبذلك يبقى فصل الصيف الأقل تساقطاً بمجموع الحوض، لكن يحدث أن تنزل بالحوض أمطار صيفية عاصفية تؤدي إلى امتطاحات كارثية.

وعلى مستوى الشهور يعتبر شهر يوليو أكثر الشهور جفافاً بجميع محطات حوض وادي نفيس. بالعالية يظهر أن أكثر الشهور رطوبةً هو نونبر، حيث تبدأ الثلوج في التساقط حتى شهر ماي. وبالوسط والسافلة يحتل شهر أبريل المرتبة الأولى من حيث الرطوبة. ومع شهر ماي يبدأ الثلج في الذوبان أو قبله قليلاً، مما يؤثر على صبيب واد نفيس وروافده وعلى نظام جريانه الذي يتميز بكونه من النوع المطر ثلجي.

أما فيما يخص الحرارة فإن معدلاتها السنوية تزداد عكس الارتفاع مع تزايدها بالأحواض الطيجبلية. أسخن الشهور هو غشت بسافلة الحوض (تاكركوست 27,4°) وشهر يوليو بعاليته (تيزي - ن - تست 24°). ويعتبر شهر يناير أبرد شهر بكل محطات حوض وادي نفيس.

ونظراً لتنوع طيفرافية الحوض واختلاف معطياته المناخية نجد به غطاء نباتيا متنوعاً، غير أنه لم يحافظ على امتداده المجالي الأصلي وعلى كشافته لتعرضه للتدهور خاصة بالمناطق التي عرفت تعميراً قديماً كالجزة السهلي والدير أو بقعور الأودية والمنخفضات الطيجيلية أو بالسفوح السفلى والقمم العليا (نباتات شوكية قصيرة). وهكذا نجد بهذه المناطق نباتات جفيفة منفرجة جد متدهورة أهمها العُنباب *Ziziphus lotus* والسنت *Accacia gummifera* وبطم الأطلس *Pistocia atlantica*.

أما الغابات فتكسو السفوح الوسطى أساساً من الجزء الجبلي وتتكون من: البلوط الأخضر أو "الكروش" *Quercus ilex* وهو أكثر انتشاراً بالحوض وخاصة بكتلة تراردين وجبل تاخرخورت، ثم نجد أربعة أنواع من العرعر هي: العفصية أو العرعر المفصلي "أزوكا" *Tetraclinis articulata* ونجده أسفل مستوى البلوط الأخضر بمنخفضي ويرگان وإماريغا، ثم العرعر الأحمر أو الفينيقي *Juniperus phoenicea* "أيفس" والعرعر المجنح أو الكادي "تاقا" *Juniperus exycedrus*. وهما ينتشران ما بين 1500 و1750 م، وأخيراً العرعار الفواح "تاوالت" *Juniperus thurifera* الذي نجده بالخصوص بسفوح كتلة وانوكريم.

كما نجد سرو الأطلس *Cupressus atlantica* "أزل" المههد بالانقراض. ثم الضرو أو المصطكا *Pistacia lentiscus* بمنخفض إماريغا والبطم الأطلسي *Pistocia atlantica* "إكغ" والذي عرف تدهوراً مهماً جداً. هذا بالإضافة إلى نباتات عشبية كثيرة.

هذه الظروف البيومناخية أدت إلى إيجاد مستويات بيومناخية تتدرج من السافلة نحو العالية: من المستوى الجاف ذي فصل الشتاء المعتدل (تاكركوست) إلى المستوى شبه جاف ذي الفصل المعتدل (أميزمير)، ثم المستوى شبه الجاف ذي فصل الشتاء البارد (تزكي)، ثلاث - ن - يعقوب وتيزي نتست).

كما أدت هذه الظروف وبالتظافر مع باقي عوامل التترُّب الأخرى إلى إيجاد أترية متنوعة بالحوض، لكنها تتميز عموماً بضعف تطورها وامتدادها المجالي، حيث تتركز بالمنخفضات والدير والسافلة وبقعور الأودية فوق الدرجات، بينما تبدو السفوح في معظمها عارية من أي غطاء ترابي حقيقي.

وأهم أنواع التربة التي تجدها بالحوض هي: بالجبل تربة "إكيدى" تربة "أزكار" / "أباغوغ"، تربة أشيبان" ثم تربة "إضلي" وبالدير والسهل نجد: تربة "أبياض" والحصري بالدير وتربة "أرقوان" أو "رقوان" بالحوز الغربي ثم التربة المالحة غرب مقرن وادي نفيس بواد تانسيفت.

يعتبر وادي نفيس المحور الهيدروغرافي الرئيسي بالحوض. تغذية مجموعة من الروافد أهمها من العالية نحو السافلة: بالجانب الشرقي نجد الوديان: واد أگنديس ورافده، واد

وانوكريم، واد أمزگورن، واد تالفنارت، واد إمگدال ثم واد أراضن - ويرگان، وأخيراً واد أماسين - ماريغا.

- بالجانب الغربي نجد الوديان: واد أگدمت، واد آيت احساين، ثم واد أميزمير الذي ينبع من كتلة گوزة ورأس أو مليل (3280 م) ليصب بواد نفيس بعالية سد تاكركوست (657م). وبذلك يشكل حوض سكب رافداً لحوض نفيس.

ويتميز واد نفيس بقطاع طولي ذي انحدار يبلغ في المتوسط 17٪. وهو انحدار ملحوظ بالعالية ويخف في اتجاه السافلة. أما روافده فالسمة الغالبة لانحدار قطاعاتها الطولية هي القوة. كل ذلك يطبع الجريان بطابع العنف خاصة أثناء الامتطاحات الاستثنائية.

توجد بحوض وادي نفيس ثلاث محطات لقياس الصبيب هي من العالية نحو السافلة: أگرنكوريس إمين لحمام وللاتاكركوست. وبحكم موقعها فهي لا تعطى مقارنة مجالية دقيقة للصبيب، ولكن تقربنا من ذلك إذ يلاحظ تباين مجالي من العالية نحو السافلة.

استغلت مياه الحوض لبناء سد للاتاكركوست (29-1935) بهدف توفير مياه الري وإنتاج الطاقة الكهربائية وتزويد مدينة مراكش بالماء الشروب وتنظيم جريان الوادي. ويزود السد حالياً مناجم گماسة الواقعة شرقيه بالمياه.

كما يلعب واد نفيس دوراً مهماً في تغذية السديمة المتوحة بالحوز الغربي وتصريف مياهها بمنطقة مقرنة بواد تانسيفت. وقد تطورت بهذا المجال عمليات حفر الآبار وتكاثرت لضخ مياه السديمة، مما أدى إلى استنزافها، وذلك لتلبية حاجيات مراكش من الماء والزراعة المسقية.

يعرف حوض واد نفيس حالياً تدهوراً مستمراً بسبب تدهور الغطاء النباتي بكيفية تصاعدية (تصح صاعد) من الشمال نحو الجنوب أو من قعور الأودية في اتجاه القمم. ويرجع ذلك إلى النمو والضغط الديمغرافيين المتزايدين على المجال، مما أدى إلى توسيع المجالات المنزرعة على حساب الغابة. كل ذلك تسبب في تعرض الحوض لتعرية قوية بمختلف مظاهرها، مما أدى إلى توصل بحيرة السد التي زيد في علو حاجزها للرفع من مخزونها المائي خاصة وأن حوض وادي نفيس الذي هو جزء من الحوض الهيدروغرافي تعرض لأزمات وعجز مائي خاصة خلال الفترات الجافة والصيف حيث يصبح للماء دور حاسم في النشاط الفلاحي الذي لا يقوم إلا بوجود الماء في مثل هذه المجالات.

عبد الجليل الكرينة، حوض نفيس، الدينامية الطبيعية لحوض جبلي، الأطلس الكبير، دبلوم الدراسات العليا، الرباط، 1993؛ أحمد زروال، ملاحظات حول مشاكل الإعداد وهشاشة الوسط الطبيعي بالأودية الجبلية إثر فيضان 17 / 8 / 1995، الملتقى الثامن للجيومورفولوجيين المغاربة، مراكش، 1999.

J. Dresch, Recherches sur l'évolution du relief dans le massif central du Grand Atlas, le Haouz et le Sous, éd. Arrault, Tours, 1941; H. Gaussen, J. Debrach et F. Joly, Précipitations annuelles, Atlas du Maroc, planche n° 4a, Rabat, 1958; Notes et mémoires du service géologique n° 231, Ressources en eau du Maroc, t. 3, Domaines atlasique et sud-atlasique, Rabat, 1977; A. Abou Obayd, Etude hydrologique de bassin-versant du N'Fis, Prévision des

apports au niveau du barrage Lalla Takerkoust, Ecole Mohammadia, Rabat, 1980 ; M. Al-Ifriqui, *Introduction à l'étude de la végétation du massif Tighardine, Haut Atlas occidental*, Marrakech, 1983 ; A. Ajakane, *Etude hydrobiologique du bassin-versant de l'oued N'Fis (Haut Atlas Marocain)*, Thèse de 3ème cycle, Marrakech, 1988 ; A. Bellaoui, *Les pays de l'Adrar N'Dren, étude géographique du Haut-Atlas de Marrakech*, Thèse d'état, Tours, 1989 ; A. Nahid, *Les remplissages sédimentaires superficiels des bassins intramontagneux inscrits dans le permo-trias*, Thèse de 3ème cycle, Marrakech, 1990 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, t. 1, Rabat, 1983.

أحمد زروال

النقاوة، رفائيل بن مردخاي حبر أبا عن جد وأحد

كبار أعيان ملاح سلا حيث كانت ولادته سنة 1848، وهو سليل إفرايم النقاوة حبر تلمسان وديفينا (15) وأبراهام قاضي سلا ومعسكر وتونس وليفورن ومؤلف "كريم حمير". تتلمذ على صهره إشار أصراف ببلدته وخلفه بعد هجرته المفاجئة إلى الأرض المقدسة حيث توفي؛ انصرف مدة للاشتغال ببيع الأثواب بزئقة القناصل بالرباط، ثم شدّ بعدها الرحال إلى الجزائر وإسبانيا وفرنسا، جامعا بين العلم والتجارة.

وعن سن يناهز الخمسة والخمسين عينته سلطات الحماية سنة 1913 عضوا بأول لجنة بلدية مختلطة (Commission Municipale Mixte) بسلا إلى جانب المحميين شاويل بن إسوي وصيون بن حايت، ثم تجددت عضويته بهذه اللجنة إلى أن أعلن يوم 4 ماي 1925 عن انسحابه لأسباب صحية، فخلفه نجله ميخائيل؛ وبموازاة مع مهامه البلدية كان يرأس المحكمة الرئسية العليا (Haut Tribunal Rabbinique) منذ تأسيسها سنة 1918.

يعتبر رفائيل النقاوة من أشهر رجال زمنه تدينا ونفودا، وقد حظي برصيد كبير من الاحترام والتقدير بين أبناء دينه، كما كانت تربطه ببعض أعيان مدينة سلا علاقة ودية كانت تتجلى بالخصوص في لقاءات منتظمة مع المؤرخ أبي عبد الله محمد بن علي الدكالي صاحب "أحوال اليهود بالمغرب قديما وحديثا"، وهو أحد مؤلفاته التي تجهل مظانها.

توفي في شهر غشت سنة 1935 بسلا وبها أصبح قبره مزارا يقصد من جهات مختلفة بمناسبة عيد الهيلولة السنوي، وقد خلف عدة كتب منها "قارني رعيم" و"بعمون زهاب" (1912) و"تعافوت رعيم".

محمد بن علي الدكالي، الإتحاف الوجيز، تح. مصطفى بوشعراء، الطبعة الثانية، سلا، 1996، ص. 241؛ مادة "التلمود"، معلمة المغرب، ج 8، سلا، 1995.

Lettre en date du 28/3/1913 du chef de bataillon Bussy au Consul de France à Rabat ; *Divers procès-verbaux de la Commission Municipale Mixte de Salé de 1913 à 1935* ; K. L. Brown, Au urban view of Moroccan history Salé, 1000-1800, in *Hespéris Tamuda*, vol. XII, 1971, p. 5-106 ; A Moroccan City and its Jewish Quarter, dans "Studies in Judaism and Islam", Jérusalem, 1981 ; P. Marty, Les institutions isralites au Maroc, dans "Revue des Etudes Islamiques" année 1930, cahier III ; Haïm Zafrani, Les juifs du Maroc ; Pédagogie juive en terre d'Islam, *Hespéris*, t. XLIII, 1er et 2ème trimestre, 1956.

محمد الفقير

النقسييس، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حسب ما تشهد به وثائق لعدة بعثات الرهبان الذين زاروا المدينة في مهمة افتداء الأسرى النصارى في فترات مختلفة في الوقت الذي كان فيه أولاد النقسييس يحكمون تطوان وناحياتها؛ وهذه الشهادات المعاصرة للأحداث تنفي ما يؤكد البعض بأن أصل هذه الأسرة من قبيلة بني يدر الجبلية حيث توجد هناك قرية تعرف بالنقاوسة بفرقة العنصر؛ والحقيقة هي أنهم عندما هاجروا من الأندلس استقروا أول مرة بالقبيلة المذكورة ومنها انتقلوا إلى تطوان في الربع الأخير من القرن التاسع الهجري حيث فرضوا وجودهم وتمكنوا من حكم المدينة وناحياتها لمدة قرن من الزمن.

وكان أول فرد من هذه الأسرة الذي أخذ على عاتقه الدفاع عن حوزة الوطن المهدد بالوجود البرتغالي في كل من مدينتي سبتة وطنجة حيث اتخذ لقب مقدم المجاهدين هو المقدم عيسى الأول الذي تولى حكم تطوان وناحياتها من سنة 985 إلى 996 (1578-1588) وكان بالمدينة حاكم تابع له يتولى أمرها مباشرة اسمه أحمد ابن بوكر، بدليل ما جاء في تقرير أعده الحاكم البرتغالي لمدينة سبتة يوم 3 ماي 1588 (6 جمادى الثانية 996) يقول فيه: "النقسييس الذي يزعمنا باستمرار منذ عشر سنوات قام بزيارة إلى ناحية الجزيرة الواقعة ضواحي هذه المدينة (سبتة) صحية قائده بتطوان المسمى ابن بوكر الذي يزور هذه الناحية لأول مرة وهو تحت نفوذ النقسييس".

النقسييس، أحمد بن أحمد بن عيسى، حكم تطوان

مرتين، المرة الأولى من سنة 1030 / 1621 إلى يوم 18 ذي الحجة 1031 / 24 أكتوبر 1622 وذلك بمعية إخوانه عبد الله والحاج محمد وعيسى؛ وأما في المرة الثانية فقد كان يحكم المدينة بالتناوب مع إخوانه المذكورين ابتداء من يوم 19 ذي الحجة 1031 / 25 أكتوبر 1622.

وفي ذي القعدة 1036 / غشت 1627 قتله أحمد بوعلوي صحبة أخويه الحاج محمد وعيسى.

النقسييس، أحمد بن عيد الكريم بن عيسى بن أحمد

بن عيسى، هو الذي طرد من تطوان القائد عبد الله الغزواني الذي كان قد عينه الخضر غيلان على إثر وفاة المقدم عيد الكريم بن عيسى الثاني، وتولى أحمد حكم تطوان سنة 1071 / 1660.

وحيث إن غيلان كان قد قضى على نفوذ الديلايين في الشمال في أواخر سنة 1070 فلم يكن المقدم أحمد مستعدا لتكون تطوان خارجة عن طاعته وهو الحاكم المطلق بالشمال، الأمر الذي جعل غيلان يقوم بمحاصرة المدينة يوم 16 شوال 1072 / 4 يوليو 1662 فما كان على النقسييس إلا أن

la gente de guerre de Tetuan (المقدم والقائد العام لمجاهدي تطوان).

ومما إن تولى حكم المدينة حتى أعلن عدم اعترافه بالسلطان الشيخ المامون ودخوله تحت طاعة السلطان مولاي زيدان، بحجة أنه كان على علم بالاتصالات الجارية بين المامون وإسبان وقد انتهت بالتوقيع على الاتفاقية السرية المبرمة مع ملك إسبانيا يوم 9 جمادى الثانية 1018 / 9 سبتمبر 1609 ، التزم بمقتضاها بتسليم العرائش لفيليبى الثالث Felipe III.

وعلى إثر دخول أحمد النقيس تحت طاعة مولاي زيدان فقد عين قائدا ممثلا له بتطوان هو على بودبيرة، غير أن وثائق افتداء الأسرى النصارى سنة 1609 تؤكد أن الرهبان كانوا يباشرون العملية مع النقيس.

وابتداء من سنة 1019 / 1610 لجأ إلى تطوان عدد كبير من الأندلسيين الذين طردهم الملك فيليبى الثالث، وقد جاء في رسالة من ذوق مدينة سيدونة إلى الملك المذكور بتاريخ 2 يناير 1614 (21 ذي القعدة 1022) أن عدد الأندلسيين الذين اختاروا تطوان دار هجرتهم يقدر بعشرة آلاف نسمة، وهم الذين أنشؤوا الحومة التي كانت تعرف برباط الأندلس وتعرف اليوم بحومة السانية.

وظل أحمد النقيس يحكم المدينة إلى أن حاصره بها الشيخ المامون وأرغمه على تركها يوم 14 شعبان 1019 / فاتح نوفمبر 1610 حيث لجأ إلى قبيلة بني حزم.

والمرّة الأخيرة التي حكم فيها أحمد النقيس المدينة كان من سنة 1022 إلى 1031 / 1613. 1622 حيث تقول الوثائق الإسبانية إنه في نفس اليوم الذي اغتيل فيه الشيخ المامون وهو 26 رجب 1022 / 10 سبتمبر 1613 تمكن النقيس من استرجاع تطوان وأعلن عن طاعته للسلطان عبد الله بن الشيخ المامون الذي عين ممثلا له بالمدينة القائد حمو ابن عمر. وفي يوم 20 ذي الحجة 1023 / 21 يناير 1615 غادر ابن عمر تطوان متوجها إلى فاس، وفي اليوم التالي أعلن النقيس عن دخوله تحت طاعة السلطان مولاي زيدان الذي عينه القائد ابن مومن ممثلا له بتطوان، وكان رد فعل السلطان عبد الله أنه أرسل جنوده لحصار تطوان للمرة الأولى من يوم 26 ربيع الأول إلى 11 ربيع الثاني 1024 / من 25 أبريل إلى 10 ماي 1615، ولكن دون جدوى؛ الأمر الذي جعله يعود الكرة ويحاصر المدينة مرة ثانية في شهر جمادى الأولى 1027 / ماي 1618 فما كان على أحمد النقيس إلا أن دخل من جديد تحت طاعة سلطان فاس.

وفي سنة 1030 / 1621 أشرك أحمد النقيس معه في الحكم أبناءه عبد الله وأحمد والحاج محمد وعيسى بالإضافة إلى صهره أحمد مفضل بدليل أن الإخوان الأربعة كانوا يوقعون الرسائل الموجهة إلى الرهبان الإسبان الذين كانوا ينتظرون بسببته الإذن للدخول إلى أرض المغرب في السنة المذكورة.

اعترف بنفوذ غيلان الذي عين ممثلا له بالمدينة القائد المؤذن. ومن أحداث تطوان في هذه المدة أنه في يوم 8 رجب 1071 / 9 مارس 1661 تمت عملية افتداء مجموعة من الأسرى النصارى؛ وفي سنة 1073 / 1663 أشرك أحمد بن عبد الكريم معه في حكم تطوان عمه أحمد بن عيسى بن أحمد بن عيسى.

وفي يوم 7 صفر 1074 / 10 سبتمبر 1663 استقبل الخضر غيلان بتطوان الأمير دييغو فيليبى ذي بالما Diego Felipe de Palma مبعوث الملك الإسباني فيليبى الرابع Felipe IV؛ وظل المبعوث بالمدينة إلى يوم 10 من نفس الشهر / 13 سبتمبر حيث توجه إلى أصيلا رفقة الخضر غيلان.

وشارك أحمد بن عبد الكريم صحبة عمه أحمد بن عيسى بجانب الخضر غيلان في المعركة التي جرت على أبواب مدينة طنجة يوم 7 شوال 1074 / 3 ماي 1664 وقتل فيها الحاكم الإنجليزي الكونت تيفيوت Teviot و19 من الضباط وطبيب و396 من الجنود أي ما مجموعه 431 نفر.

وفي سنة 1075 (1664) حل محل القائد المؤذن القائد ابن العروسي ممثلا للخضر غيلان بتطوان.

وفي يوم 11 ربيع الأول 1078 / 31 غشت 1667 ألقى السلطان مولاي رشيد القبض على أحمد بن عبد الكريم النقيس وعمه أحمد بن عيسى وأرسلهما إلى فاس صحبة 20 من أفراد عائلتهما.

النقيس، أحمد بن عيسى، تولى حكم تطوان ثلاث مرات: الأولى من سنة 996 إلى 1006 / 1588 - 1597 حيث ورد اسمه كمقدم للجهاد في المصادر البرتغالية الشيء الذي يخالف ما يقوله المؤرخ محمد داود حيث يؤكد أنه كان زعيم المجاهدين، إلا أنه لم يكن متوليا حكم تطوان في ذلك العهد ونحن نعلم أن داود لم يطلع على الوثائق البرتغالية ولم يأت بأية حجة تؤيد كلامه.

صحيح أن أحمد النقيس لم يكن آنذاك هو الحاكم المباشر لتطوان ولكنه كان له نفوذ على من يحكمها مباشرة وهو أحمد ابن بوكر المذكور بدليل أن هذا الأخير تقول عنه الوثائق البرتغالية إنه كان بجانب أحمد بن عيسى النقيس في المعركة التي جرت بينه وبين البرتغاليين بضواحي سبتة يوم 24 محرم 997 / 9 ديسمبر 1588 وقد انتصر فيها المغاربة على الغزاة حيث قتلوا منهم 45 رجلا وأسروا 203 من بينهم 35 طفلا.

والحكم الثاني للمدينة من طرف أحمد بن عيسى النقيس كان من 1016 إلى 1019 / 1607 - 1610 حيث تقول المصادر الإسبانية إنه تولى الحكم في شهر رجب 1016 (نوفمبر 1607) كما تنوّر على الرسالة التي وجهها المقدم المذكور إلى حاكم سبتة بتاريخ 25 رجب 1016 / 15 نوفمبر 1607 يصف نفسه فيها بـ *almocadem y capitan general de*

وتتوفر على بعض الوثائق الخاصة بالعلاقات التي كانت لأحمد النقيس مع انكلترا وهولندا.
توفي بتطوان يوم الاثنين 18 ذي الحجة 1031 / 24 أكتوبر 1622.

وليس عبد الكريم بن عيسى الثاني بن أحمد بن عيسى الأول، ويتعلق الأمر بسند الأمان بمثابة تأشيرة الدخول إلى أرض المغرب الذي أصدره عبد الكريم بن أحمد يوم 23 أكتوبر 1656.

النقيس، أحمد بن عيسى بن أحمد بن عيسى، أشركه ابن أخيه أحمد بن عبد الكريم بن عيسى بن أحمد بن عيسى في حكم تطوان من سنة 1073 إلى 1078 / 1663 - 1667 ؛ وهو الذي كان بجانب الحضرة غيلان في الهجوم على مدينة طنجة يوم 8 ذي القعدة 1073 / 14 يونيو 1663.

النقيس، عبد الكريم بن عيسى بن أحمد بن عيسى الأول، تولى حكم تطوان مرتين : الأولى من سنة 1063 إلى 1066 / 1653 - 1656 وهو الذي باشر عملية افتداء 123 من الأسرى النصرى جرت في شهر صفر 1064 / يناير 1654.

وتتوفر على الرسالة التي وجهها أحمد بن عبد الكريم وأحمد بن عيسى إلى الحاكم الإنجليزي بطنجة الكونت تيفيوت Teviot يوم 13 صفر 1074 / 16 سبتمبر 1663) يعبران فيها عن حسن نيتهما واستعدادهما لاستقبال السفن الإنجليزية بميناء مرتين.

وفي شهر شوال من نفس السنة (غشت) حاصر المرابط الحضرة غيلان مدينة تطوان فما كان على المقدم عبد الكريم إلا أن خضع لنفوذ غيلان الذي عين القائد عبد الله الغزواني ممثلاً له بالمدينة.

وتتوفر على الرسالة التي وجهها أحمد بن عبد الكريم وأحمد بن عيسى إلى الحاكم الإنجليزي بطنجة الكونت تيفيوت Teviot يوم 13 صفر 1074 / 16 سبتمبر 1663) يعبران فيها عن حسن نيتهما واستعدادهما لاستقبال السفن الإنجليزية بميناء مرتين.

وهو الذي أجرى مباحثات سياسية مع الأميرين الإنجليزيين بلاك Black ومونطاغو Montagu حول إمكانية إبرام معاهدة صلح بين الطرفين، وذلك في شعبان 1066 / يونيو 1656.

النقيس، عبد الكريم بن أحمد بن عيسى، يقول المؤرخ البرتغالي كوريبا ذا فرانكا إن هذا المجاهد كان مع أخيه عبد الله يرباط في سببته عندما قتل إخوانه الثلاثة الحاج محمد وأحمد وعيسى سنة 1036 / 1627 ؛ وقد ظل مع أخيه عبد الله يتابع حصار سببته، بدليل أنه في ربيع الثاني 1038 ديسمبر 1628 جرت بضواحي المدينة المذكورة معركة انهزم فيها عبد الكريم، كما جرت بنفس المكان يوم 14 رمضان 1038 / 7 ماي 1629 معركة أخرى جرح فيها المقدم المذكور.

وفي سنة 1068 / 1657 عاد ليحكم تطوان للمرة الثانية تحت طاعة الزاوية الدلائية. وكان المقدم عبد الكريم النقيس من بين الموقعين على معاهدة السلم والتجارة بين الزاوية المذكورة وإنكلترا بتاريخ 8 ذي القعدة 1067 / 19 غشت 1657.

وفي شوال 1038 / يونيو 1629 تمكن من استرجاع مدينة تطوان ؛ وابتداء من يوم 25 جمادى الأولى 1039 / 10 يناير 1630 ضرب الحصار على مدينة سببته.

وفي يوم 13 جمادى الأولى 1069 / 6 فبراير 1659 وقع على اتفاقية حول حرية التبادل التجاري بين سببته وتطوان ماعدا الاتجار في الحبوب والخيول والخزف.
توفي سنة 1070 / 1660 وهو مازال يعترف بنفوذ الزاوية الدلائية.

وفي يوم 25 ربيع الأول 1041 / 21 أكتوبر 1631 استطاع صاحب المرابط العياشي القائد سليمان بن يوسف أخديم الاستيلاء على تطوان بمساعدة أحمد بوعلي، ففر المقدم عبد الكريم النقيس صحبة أخيه عبد الله إلى قرية ترعة ومنها لجأ عند الإسبان بمدينة سببته.

النقيس، عبد الله بن أحمد بن عيسى، تولى حكم تطوان أربع مرات : الأولى من سنة 1030 إلى 1031 / 1621 - 1622 عندما أشركه والده في حكم المدينة صحبة إخوانه الثلاثة أحمد والحاج محمد وعيسى. وابتداء من يوم 19 ذي الحجة 1031 / 25 أكتوبر 1622) حكم المدينة بالتناوب مع إخوانه أحمد والحاج محمد وعيسى.

ويقول المؤرخ البرتغالي كوريبا ذا فرانكا أنه في يوم 27 شعبان 1033 / 14 يونيو 1624 جرت بضواحي سببته معركة انهزم فيها أولاد النقيس ؛ وفي شهر ربيع الثاني 1034 / فبراير 1625 تمت عملية افتداء مجموعة من الأسرى النصرى باشرها بطنجة كاتب النقيس قاسم قردناش.

وفي يوم 26 شعبان من السنة المذكورة / يونيو 1625 زار تطوان للمرة الثانية جون هاريسون مبعوث ملك انكلترا الذي أجرى مذاكرات سرية مع أولاد النقيس حول إبرام حلف من أجل محاربة ملك إسبانيا فيليب الرابع. وعندما قتل إخوانه

وتتوفر على حجة قاطعة تثبت أن الذي كان يحكم تطوان في السنة المذكورة هو عبد الكريم بن أحمد بن عيسى الأول

الثلاثة أحمد والحاج محمد وعيسى في ذي القعدة 1036 / غشت 1627 نجح عبد الله من المذبحة التي قام بها أحمد بوعلی لأنه كان يحاصر مدينة سبتة.

وعاد عبد الله ليحكم تطوان للمرة الثالثة من سنة 1036 إلى 1038 / 1627 . 1629 والرابعة من سنة 1038 إلى 1041 (1629 . 1631) حيث تمكن من طرد أحمد بوعلی من المدينة والقضاء على ديوان الأهالي.

وتتحدث الوثائق البرتغالية عن الحصار الذي ضربه عبد الله على مدينة سبتة ابتداء من يوم 25 جمادى الأولى 1039 / 10 يناير 1630 وعن المعركة التي جرت بضواحي المدينة المذكورة يوم 7 ربيع الأول 1040 / 14 أكتوبر 1631.

وفي يوم 25 ربيع الأول 1041 / 21 أكتوبر 1631 اضطر إلى الفرار من المدينة صحبة أخيه عبد الكريم حيث توجهوا إلى قرية ترغة بغمارة، على إثر مؤامرة دبرها أصحاب المرباط العياشي مع بعض سكان تطوان، ومن ترغة لجأ عبد الله إلى سبتة والغالب على الظن أنه توفي هناك.

النقسي، (الحاج -) محمد بن أحمد بن عيسى، حكم تطوان مرتين : المرة الأولى عندما أشركه والده معه في الحكم صحبة إخوته الثلاثة عبد الله وأحمد وعيسى وذلك من سنة 1030 / 1621 إلى يوم 18 ذي الحجة 1031 / 24 أكتوبر 1622.

وفي المرة الثانية تولى حكم تطوان بالتناوب مع إخوته الثلاثة عبد الله وأحمد وعيسى ابتداء من يوم 19 ذي الحجة 1031 / 25 أكتوبر 1622.

وفي ذي القعدة 1036 / غشت 1627 لقي حتفه صحبة أخويه أحمد وعيسى على يد أحمد بوعلی.

النقسي، محمد الجد. تقول جميع المصادر الأجنبية إن هذا المقدم كان أول فرد من أسرة النقسي تولى قيادة تطوان مباشرة من سنة 1006 إلى 1016 / 1597 . 1607 وحيث إن المؤرخ محمد داود يقول إنه لم يقف على شيء من أخبار هذا المقدم فإننا نجد المؤرخ البرتغالي كوريا دا فرانكا Correa da Franca يقول في تاريخه المخطوط إنه كان يخضع لسلطة أحمد المنصور الذهبي إلى غاية سنة 1011 / 1603 حيث دخل تحت طاعة السلطان الشيخ المامون.

ونجد في نفس المخطوط أن المقدم محمد أطلق سراح بعض الأسرى البرتغاليين الذين سلمهم بسبتة خادمه أحمد الحداد يوم 24 شعبان 1016 / 14 ديسمبر 1607.

وفي عهد المقدم المذكور هاجر إلى تطوان كثير من المسلمين الذين ثاروا بالبشارت Alpujarras بناحية غرناطة وهم الذين أسسوا حومة الطرانكات.

النقسي، محمد بن عيسى بن أحمد بن عيسى. تولى حكم تطوان من سنة 1050 إلى 1063 / 1640 . 1653، وهو الذي أبرم مع أول حاكم إسباني حل بسبتة الجنرال خوان فيرنانديث ذي كورضبة Juan Fernandez de Cordoba اتفاقية حسن الجوار بتاريخ ذي الحجة 1050 أبريل 1641. وفي سنة 1051 / 1641 اعترف بنفوذ الزاوية الدلائية التي مثلها بتطوان القائد الغزواني بن أبي بكر.

والمقدم محمد النقسي هو الذي يشر عملية افتداء 116 من الأسرى النصارى قام بها الرهبان أگودو ذي لا روكا Agudo de la Roca وميشيل ديبات Michel Diaz ودييغوفايخو Diego Vellejo.

وجرت بتطوان عملية افتداء أخرى للأسرى يوم 4 صفر 1055 / 4 أبريل 1645 أسفرت على تحرير 210 أسير.

وفي جمادى الأولى 1055 / يوليو 1645 تم تحديد اتفاقية حسن الجوار مع الحاكم الإسباني بسبتة الكونت ذي دوريس فيدراس Conde de Torres Vedras.

وفي شهر شوال 1056 (12 نوفمبر 1046) وصلت إلى تطوان بعثة مسيحية أخرى تمكنت من افتداء 103 أسير نصراني.

وذكر المؤرخ محمد داود الهجوم الذي قام به المقدم محمد النقسي على سبتة حيث سقط أسيرا بيده ابن حاكم المدينة المذكورة سنة 1058 / 1648 وقال داود إنه لم يعرف عنها شيئاً، في حين نجد في الوثائق الإسبانية أن الهجوم جرى يوم 20 شعبان 1058 / 9 سبتمبر 1648 حيث تمكن المغاربة من اقتحام أحد الحصون الإسبانية كانت به حامية تتكون من 44 من الجنود والضباط قتلوا كلهم باستثناء جندي واحد والقبطان فرانشيسكو سواريت Francisco Suarez ابن حاكم سبتة المركيز ذي طروثيفال Marqués de Trocifal ؛ وقد ظل الأسيران بتطوان إلى أن تم افتداؤهما في صفر 1059 / مارس 1649 مقابل إطلاق سراح 19 أسير مغربي. توفي المقدم محمد بتطوان سنة 1063 / 1653.

النقسي، مفضل بن أحمد بن عيسى بن أحمد بن عيسى، تولى حكم تطوان في ظروف غامضة سنة 1083 / 1672 وهو الذي استقبل صهره الخضر غيلان عند عودته من الجزائر إلى تطوان يوم 24 جمادى الثانية 1083 / 17 أكتوبر 1672.

وعلى إثر مقتل الخضر غيلان في المعركة التي جرت بينه وبين السلطان مولاي إسماعيل اضطر مفضل النقسي للفرار إلى مدينة سبتة يوم 5 جمادى الثانية 1084 / 17 سبتمبر 1673.

ومن بين أفراد عائلته الذين رافقوه عند لجوئه لسبتة وعددهم أكثر من ستين رجلاً وثلاثة نساء لم تذكر الوثائق الإسبانية أسماء سوى أربعة منهم وهم :

- عيسى بن عبد الله بن أحمد بن عيسى النقيس، الذي توفي بسبب سنة 1097 / 1686. وعيسى بن محمد بن عيسى بن أحمد بن عيسى وعبد الكريم بن عيسى بن عبد الله بن أحمد بن عيسى وأحمد بن عيسى بن عبد الله بن أحمد بن عيسى.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، الجديد في تاريخ تطاون، الجزء الأول، حكام المدينة، تطاون، 2000.

محمد ابن عزوز حكيم

النقود الصغرى : المغرب مملكة عربية بملوكها من قدماء الأمازيغ أمثال يوبا وتاكفاريناس وبوكوس، وقد سَكُوا نقوداً منذ القرن الثاني قبل الميلاد مما تحتفظ به متاحفنا الوطنية والمجموعات الخاصة إلى الآن.

وكانت نقود الشعب المغربي تحكي فصول تاريخه الطويل، فقد كان شعب المغرب آخر الشعوب التي خضعت في التاريخ القديم للسيطرة الرومانية وأول من تخلص منها، واستعصى على الوندال والبيزنطيين. وبعد الإسلام كان أول من استقل عن التبعية للشرق بعد الأدارسة فكون إمبراطوريات قوية مثل المرابطين والموحدين والمرينيين والسعديين والعلويين، الذين استعصوا كذلك على الأتراك.

وكان وجود النقود الأجنبية وتداولها بالمغرب عبر أحقاب التاريخ القديم والحديث دليلاً على العلاقات المستمرة عبر مراحل من التفاعل والصراع فخلف في حفائنا الأثرية في المدن والبوادي قطعاً شاهدة من النقود الفينيقية والقرطاجية، ونقود الروم والبيزنطيين، كما خلف بعد ذلك عدداً من قطع النقود البرتغالية والإسبانية والإنجليزية والفرنسية.



- أما صناعة النقود المغربية فقد كانت متأثرة بأنظمة السك المتعارفة في دور الضرب القديمة وبالاعراف الناجمة عن العقيدة. ففي ما قبل الإسلام كانت النقود المغربية تحمل صور الملوك، أو صور علامات خصب الأرض من سنابل وغيرها، وبعد الفتح الإسلامي ضرب أمويو المشرق بطنجة نقوداً برونزية صغيرة مشوهة، نقشوا عليها إما صوراً ملكية أو كتابات ورموزاً قديمة، أو كتبوا عليها الشهادتين "لا إله إلا الله محمد رسول الله" شبيهة بنموذج نقود عبد الله بن

مروان. وكانت أول قطعة نقدية تعرفنا عليها هي قطعة نحاسية ضربت في عهد موسى بن نصير غداة فتح الأندلس سنة 92 / 711، كتب عليها وفي الوجه الأول "لا إله إلا الله وحده". وفي الوجه الثاني "ضرب سنة اثنتين وسبعين"، مكتوبة بالخط الكوفي، وعلى غرار ما قام به عمال الأمويين، كان قواد الحاميات العباسية في الرباطات ما بين القيروان وطنجة يضربون نقوداً نحاسية لأجل فرقهم العسكرية وخاصة في سنة 172 في عهد عبد الوهاب الرستومي في تاهرت.

- وفي هذه الأثناء استقبل المغرب في وليي مولاي إدريس الأول مؤسس الدولة الإدريسية. وفي عهد هذه الدولة أخصينا خمسة وعشرين معملاً لضرب النقود امتدت من طنجة إلى فاس والعالية في الأطلس المتوسط إلى تدغة وزيز. وقد ضربت دراهم فضية زنتها 14 قيراطاً أي 2,735 غ وضربت فلوس نحاسية وهي نادرة جداً. ولم تضرب إطلاقاً النقود الذهبية لانعدام المناجم الذهبية، وجميع القطع النقدية إنما كتبت بالخط الكوفي ذي الحروف المستقيمة المركنة.

وقد تكاثرت عدد دور الضرب في عهد إدريس الثاني انطلاقاً من سنة 192 / 808. وكانت السكة تضرب بتدغة في درعة التي كانت تابعة لفرقة من الخوارج الصُفْرية على يد عامل من عمال الأدارسة، كما كانت تضرب في مختلف المعامل مستعملة فضة مناجم فزاز، منجم جبل عوام غرب مريرت بالأطلس المتوسط. وكانت الدولة الإدريسية هدفاً لهجوم الفاطميين، وهجوم الأمويين بالأندلس، وفي إطار هذا الصراع ضرب العمال الأمويون والفاطميون بفاس نقوداً باسم سلاطينهم. وعند انتهاء العهد الإدريسي سنة 375 / 985، كان الأمويون قد استقلوا بالأندلس. ولما انهار حكمهم تحت قوة الحموديين في مدينة مالقة والجزيرة، (أصل الحموديين من سبته وأصيلاً وهم أحفاد الأدارسة)، سيطروا على خلافة قرطبة لمدة طويلة فضربوا دراهم ودنانير أندلسية وهي نقود نهاية عهد الأمويين بالأندلس.

أما مدينة سجلماسة، فبعد أن تأسست سنة 140 / 757 وتطورت في عهد دولة بني مدرار، وقع تحول عن مدينة تدغة، وأصبح طريق تجارة الذهب بواسطة القوافل الواردة من السنغال يمر بسجلماسة ويمتد شمالاً نحو المغرب وشرقاً نحو إفريقيا وتونس. وانتشرت بسجلماسة في هذه الفترة دنانير شاكزية نسبة إلى محمد بن الفتح الشاكر لدين الله (331 - 347 / 943 - 958)، ضربها على النمط الفاطمي وأعلن نفسه سنة 342 / 951 أميراً للمومنين هناك. كما انتشر المذهب الشيعي على يد عبد الله الشيعي في عهد اليسع 297 / 909 فـضربت بها الدراهم والدنانير على يد القائد جوهر باسم المعز لدين الله الفاطمي دامت إلى سنة 365 / 976.

كما استولى على المدينة خزون المغراوي، فـضرب دنانير أموية باسم هشام الثالث المؤيد بالله. وضربت دنانير الذهب في عهد مسعود بن وانودين آخر أيام مغراوة وكانت من

وتكاثر بالخصوص عدد دور الضرب فبلغ أوجه في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي، وأهمها في سجل ماسة وتارودانت وتكتب "رودانة" أو "المحمدية" كما سميت أيضاً "المهدية" ثم في مراكش وكتاوة في درعة وفي فاس كذلك. وكان طراز النقود السعدية مستديراً، فكان نقش الدنانير أشبه بنقش الموحدين، عليها كتابات من صنف خط "الثلاث المغربي" في أكثر إصداراتها، وكانت العناية بالخطوط عموماً. وبخصوص الأرقام فقد كان محمد المهدي السعدي يؤرخ دنانيره بالأرقام اليونانية وكانت تدعى الأرقام القبطية الفاسية، وكانت أصولها قد جاءت من مصر، حيث كان الأقباط يستعملونها في محاسباتهم في العهد الأموي بالمشرق، فانتقلت إلى إسبانيا في القرن 12، ثم جاءت إلى المغرب في القرن 13، فجرى استعمالها منذ هذه الفترة. وقد أرخ بعض الملوك السعديين نقودهم بأن كتبوها بالحروف. ومع آخر ملوك العهد السعدي أبي العباس أحمد الثاني ظهرت "الأرقام الغبارية على الدرهم الفضية، وهي قريبة في شكلها من الأرقام التي نسميها عربية (1 - 2 - 3 مع اختلاف في رقمي أربعة وخمسة وهما على صورة حرف العين أولهما يمد أفقي وثانيهما بشرطة مائلة). كما كانت النقود البرونزية مؤرخة بالأرقام الهندية خاصة في عهد الدلائين. أما من حيث الوزن، فقد كان الدينار في بداية عهد الدولة يزن 3,9080 (أي 20 قيراطاً) وهو وزن الزكاة وله نصف دينار وربع دينار. وكان نصف الدرهم يزن 1,5632 غ ويدعى "القيراط". ولهذا النصف نصف وربع أي ثمن الدرهم الحسابي. وفي عهد أحمد المنصور الذهبي ارتفع وزن الدينار إلى وزن الدينار الموحد فوزن 4,6896 غ (أي 24 قيراطاً) وهو الذي ضرب بالدينار المضاعف وكان يسمى الدولة (Dobla) ويزن 9,3792، وفي عهده كذلك كثر ضرب النقود الذهبية وتعددت دور الضرب وعلى رأسها بالخصوص "كتاوة" بدرعة، لأن أحمد المنصور كان قد تزود بكثير من الذهب في حملته إلى السودان. أما الدرهم فكان يزن في عهده 3,28 غ، وله نصف يسمى "القيراط" وقد ضرب الدراهم المضاعفة زنتها 6,56 غ، ويعتبر هذا إصلاحاً للدرهم والعودة به إلى وزن الدرهم الشرعي في علاقته بالدينار، فالدرهم يساوي تسعة أعشار الدينار، والدينار، يزن 4,6896 غ والدرهم يزن 3,28272 غ.



الطراز الخشن، عليه اعتمد أول أمراء المرابطين يحيى بن عمر اللمتوني وأخوه أبو بكر سنة 446 / 1055.

في العهد المرابطي ضربت نقود ذهبية فضوية جميلة جداً كما ضرب الدينار في المغرب والأندلس وفي تلمسان أيضاً وكان وزن الدينار هو الوزن الشرعي، وهو 72 حبة من الشعير وتساوي 4,25 غ، وله أجزاء من الدرهم وهي نصف وربع وثلث ونصف وثلثين وربع ثمن من الدرهم، ويزن الدرهم الشرعي الأندلسي نصف الدينار وهو 2,125 غ، وبه يمكن استخراج وزن الأجزاء المذكورة. وكان الطراز المرابطي مؤسساً على الاستدارة. وقد كتبت على الوجه "الآية القرآنية" ومن يتبع غير الإسلام، (وهي الآية: 85 من آل عمران) وكتب على الظهر عبارة "الإمام عبد الله أمير المؤمنين"، وهي تؤكد ولاء أمير المسلمين بالمغرب للخلافة العباسية بالمشرق.

وفي العهد الموحي أدخل الموحدون على النقود أسلوباً نقدياً جديداً في هندسته وهو الشكل الرباعي، وهو إما مربع وسط دائرة في الدنانير الذهبية أو يتخذ النقود شكلاً رباعياً كما هو الشأن في قطعة نصف الدرهم. ولذلك ينعت محمد المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية بـ "صاحب الدرهم المربع". وقد كتب عليه في الوجه "الله ربنا، محمد رسولنا، المهدي إمامنا" وفي الظهر "لا إله إلا الله، الأمر كله لله، لا قوة إلا بالله". وضرب عبد المؤمن بن علي درهماً مستديراً وزنه نصف دينار 2,125 غ، بينما ضرب أبو يوسف يعقوب المنصور الدينار الوافي وهو ضعف الدينار السابق وسماه الإسنبان الدولية (Dobla)، وله جزآن النصف والربع. وبصعب تحديد وزن الدرهم في المنظومة الموحدية على حين تتسم النقود بعبارة "المهدي إمام الأمة أو المهدي إمامنا، كما أن الخليفة يسمى بأمر المؤمنين. وفي الفترة الموحدية ضرب الحفصيون نقوداً تخالف النقود الموحدية في الطراز لأنها أكثر منها زخرفة ولكنها توافقت في الوزن.

وفي العهد المريني شيدت معامل لسك النقود بالمغرب عموماً ممتدة إلى تلمسان ومهدية. وقد تعدد الطراز الهندسي للقطع كما تعددت الخطوط مع سيادة خط الثلث التي تدنت جودتها، واستبدلت عبارة "المهدي إمامنا" في النقود الفضية الموحدية بعبارة "القرآن إمامنا" لدى المرينيين، وعبارة "القرآن كلام الله" على الدنانير الذهبية. ويعتبر لقب "أمير المسلمين" من أكثر الألقاب المرينية استعمالاً، كما تظهر على النقود ألقاب أخرى مثل: "أمير المؤمنين"، و"خليفة" و"لقب مولانا" و"لقب ابن الأمراء الراشدين" أو "ابن الخلفاء الراشد".

وتتشابه في هذه النقود أسماء كثير من الملوك، وقد أمكن تشكيل تاريخ المرينيين النقدي بفضل دراسة نعوتهم وألقابهم. وبموازاة مع العهد المريني ضرب كل من بني زيان وبني عبد الواد بتلمسان وبني نصر بغرناطة، ثم بني وطاس بالمغرب دنانير على نفس النقش والوزن.

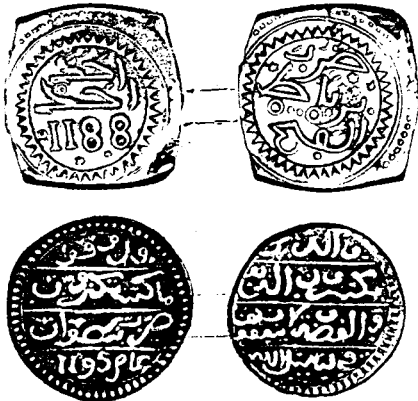
وفي العهد السعدي، عرفت صناعة النقود تعدداً في دور الضرب وتنوعاً في الكتابة واختلافاً في شكل أرقام التواريخ.

كما دخل إلى المغرب الريال الإسباني من 27 غ والريال الفرنسي من 25 غ، فارتفع صرفهما على حساب المثلثال فحاول إصلاحه بظهير 1852.

وعلى غرار والده أصدر محمد بن عبد الرحمان نقوداً فضية ونحاسية فحاول حصر صرف المثلثال والريال الفرنسي في سعر 32,5 أوقية نحاسية، وحاول كذلك سنة 1863 ضرب النقود في باريس ثم عدل عن ذلك عملاً بنصح السفير البريطاني. وقد أغرقت الأسواق بكميات من النقود الفضية والنحاسية المزورتين فأصدر ظهير 1869 "لرد السكة لأصلها الأصلي" المبني على الدرهم والمثلثال لكن بدون جدوى تحت هيمنة المصالح الأجنبية.

وفي عهد السلطان مولاي الحسن تحسّن وضع البلاد المالي فاستطاع تسديد غرامة حرب تطوان في نهاية 1885 وقد ضبط الأوضاع الداخلية، وواجه الضغوط الأجنبية بسياسة متبصرة.

وبخصوص المجال التقديري انتهج إصلاحاً نقدياً حديثاً يطمح إلى اتخاذ نقود مُمائلة للنقود الأوربية في صناعتها وقوتها، فوقع أمام اختيارين، أحدهما جلب الآلات العصرية بأوروبا وتأسيس "ماكينة" للسك بالمغرب، والثاني : التعاقد مع بعض الدول الأوربية لضرب نقود المغرب عندها، وقد صادف صعوبات جمة في الحصول على استيراد الآلات. ولم يستطع إنشاء "ماكينة السكة" بفاس إلا بعد عشر سنوات 1308 / 1891، ولكنه شرع فور الانتهاء من مؤتمر مدريد في عقد أول "كنطرة السكة" في باريس. ومنذ ذلك الحين انتقل ضرب النقود المغربية إلى معالم أوروبا، فكان طراز السكة الحسنية من خمس قطع فضية : قطعة المثلثال، ويسمى "الريال الحسني" وزنه 29,116 غ وعياره 900 في الألف ثم نصفه وربعه، والدرهم ونصف الدرهم. ولظروف متداخلة تعرض الإصلاح الحسني لعدة اختلالات فظل المشكل النقدي قائماً.



ورغم ذلك فقد سار السلطان مولاي عبد العزيز على سياسة والده وضرب النقود على نفس الطراز في باريس بل عدد دور الضرب فضرب سكتة في كل من باريس وبرلين وبرمنكهام ولندن معتمداً على نموذجين من الزخرفة وعلى

وكان مولاي زيدان قد ضرب في مراكش مثقالاً من 10 دراهم من وزن درهم الزكاة. ويزن هذا المثلثال 27,356 غ، ويوافق الريال الإسباني الوزان 27 غ، وتميزت نقود مولاي زيدان بتوقيعه الذي يشبه الطغراء التركية مركبة من حروف مزخرفة معها عبارة الحمد لله. وفي آخر العهد السعودي ضرب بعض الصلحاء الثائرين وهو أبو العباس المهدي سنة 1021 / 1612 دنانير ودرهم في كل من مراكش وسجلماسة وكتاوة، كما أن أمراء الشبانان بعد حصارهم مراكش واغتيال أحمد السعودي الثاني ضرب القائد عبد الكريم الشباني دراهم مستديرة سنة 1070 / 1659.

وفي فاس قام الدلائيون بضرب أنصاف الدرهم سنة 1072 / 1662. وعلى العموم فإن الدنانير الذهبية السعودية أكثر من الدراهم الفضية أما النقود البرنزية فهي نادرة الوجود.

- وللنقود العلوية تاريخ طويل وقد دشنها السلطان مولاي رشيد بإصلاح نقدي سنة 1081 / 1670 حيث ضرب أنصاف الدراهم الفضة سماها "الموزونات" وكانت تزن 1,166 غ وهي تعادل ثلث الدينار البندقي الذهبي، وكانت كتابتها بخط الثلث المغربي ومؤرخة بالأرقام الغبارية. وألغى قطعة النحاس "الأشقبوية" المربعة وضرب فلوساً مستديرة، وجعل صرف الموزونة المذكورة 24 فلساً.

ولم تظهر الدنانير الذهبية للمولى الرشيد إلا مجرد إشارات، بينما كانت الدنانير الذهبية الإسماعيلية تزن 3,50 غ وهو وزن البندقي، كما ضرب هذا السلطان الدراهم الفضية وأنصافها التي تدعى "الموزونة" وتزن 0,91 غ وضرب أيضاً فلوس النحاس. وقد تردت وضعية النقود بعد وفاة السلطان مولاي إسماعيل، ولم تعالج محاولات مولاي عبد الله جوهر المشكل. وكان أهم إصلاح نقدي هو الذي قام به السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة 1180 / 1760 فأعاد للدرهم الفضي وزنه الشرعي وهو : 2,9116 غ. وضرب نقداً بديعاً مستديراً من فئة عشرة دراهم باسم المثلثال كتبت عليه (سورة التوبة 34 و35). كما ضرب مثقالاً مربعاً يحمل عبارة أحد أحد وتاريخ الضرب واسم دار الضرب، وهذا المثلثال أكبر قطعة فضية ضربت في القرن 18 ولم تضرب قطعة من حجمها إلا في العهد الحسني. ولم ينجح ما أراد من ضرب البندقي الذهبي في مدريد سنة 1201 / 1787 لأسباب سياسية.

وفي عهد السلطان مولاي سليمان ضرب البندقي، يحمل اسم دار الضرب وتاريخ الضرب، وقد ضرب الدراهم وهي ناقصة الوزن في هذا العهد، وكانت النقود البرنزية قد نقش عليها درع داود وخاتم سليمان وهي علامة مولاي سليمان.

وفي عهد مولاي عبد الرحمان بن هشام وأثناء استيلاء الإسبان على تطوان سنة 1860 كانت الغرامة الناجمة عن خروجهم منها قد أدت إلى إفراغ بيت مال المغرب، فقرر ضرب فلوس النحاس لتعويض النقود الفضية في الأسواق،

الوزن الشرعي. ومنذ سنة 1903 حاول تطبيق النظام العشاري اللاتيني فنقص من الريال الفضي وجعل وزنه 25 وصرفه 500 موزونة نحاسية، حيث الموزونة تعادل سنتيما واحدا وقد ضرب النقود النحاسية على أساس الموزونة ومضاعفاتها : 1 و2 و5 و10 موزونات، ضربها في كل من "ماكينة السكة" بفاس وفي باريس ولندن. وأدى هذا التغيير النقدي إلى حدوث اضطراب في مختلف الأسواق فاضطر السلطان إلى إلغاء النظام العشري والعودة إلى نظام المثقال الذي يصرف بعشرة دراهم، كل درهم بأربع موزونات فضية وكل موزونة بـ 24 فلسا فكان الدرهم بـ 96 فلسا والمثقال بـ 960 فلسا.

وفي عهد السلطانين مولاي عبد الحفيظ ثم مولاي يوسف بعده، تواصل ضرب النقود الفضية بنفس الطراز الهندسي الحسيني باسم الريال الحفيظي والريال اليوسفي وأجزائهما، فكانت تصرف العملة الحسنية والعزيرية والحفيظية واليوسفية إلى أن قامت الحماية الفرنسية سنة 1920 بإلغاء نظام النقود الفضية الحسنية واستبدالها بنظام الفرنك الفرنسي من النقود الورقية والمعدنية التي كانت تضرب باسم السكة المحمدية في عهد محمد الخامس واستمرت طوال عهد الحماية الفرنسية إلى سنة 1956.

وبعد الاستقلال سعت الدولة المغربية إلى توحيد النظام النقدي فطورته في عدة مراحل شملت عهد الملكين محمد الخامس والحسن الثاني طيب الله ثراهما وعهد جلالة الملك محمد السادس نصره الله. فمنذ سنة 1958 قررت إلغاء تبعية الفرنك المغربي للفرنك الفرنسي وكذلك إلغاء "البنك المخزني المغربي" وإحلال "بنك المغرب" محله سنة 1959. وفي نفس السنة تم إصدار نقود مغربية باسم "الدرهم" (10 سنتيم) كوحدة نقدية رسميا، على شكل قطع معدنية وأوراق بنكية، وللدرهم أجزاء هي : النصف (50 سنتيم) و20 سم و10 و5 و1 و10 وله مضاعفات 1 درهم و2 و5 و10 و50 و100 و200.

وأهم إنجاز تحقق في عهد الاستقلال هو تأسيس دار السكة سنة 1987 ، فتحقق بهذا الإنجاز استقلال القطاع النقدي بعد أن كانت نقودنا لمدة قرن كامل تسك بمعامل أوروبا وأصبحت العملة الوطنية مشمولة برعاية الدولة كرمز من رموز سيادة البلاد وفخارها.

أفا عمر، تاريخ النقود المغربية في القرن الثامن عشر، الدار البيضاء، 1993 ؛ مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن 19، الدار البيضاء، 1988 ؛ تاريخ المغرب المعاصر، الدار البيضاء، 2002 ؛ عبد الرحيم شعبان، المسكوكات الموحدة في تاريخ المغرب الوسيط، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، الرباط، 1996 ؛ المسكوكات المرينية من خلال المجموعة النقدية لبنك المغرب والمتحف الأثري بالرباط، ومجموعات أخرى عمومية وشخصية، دكتورة الدولة، كلية الآداب، الرباط ؛ نور الدين مفتاح، فهرس المسكوكات الذهبية والفضية المغربية بالمتحف الأثري بالرباط، خزنة المعهد الأثري، الرباط، 1995 ؛ فاطمة الزهراء الحريف، النقود القديمة،

دراسات أثرية، معهد الآثار، الرباط ؛ مولاي رشيد المصطفى، حانون والمغرب، مجلة كلية الآداب، الرباط، عدد 10 سنة 1984 ج حليلة غازي، آثار الفينيقيين والقرطاجيين بملكة المغرب القديم، مجلة كلية الآداب بالرباط عدد 26 ؛ دانيال اوسطاش، المسكوكات المرابطية - كاتالوك - مخطوط، بنك المغرب بالرباط، بقصد الطبع 2006 باللغة الفرنسية ؛ عبد العزيز توري، حول كنز صغير حديث الاكتشاف، مجلة المناهل وزارة الثقافة، الرباط، عدد 30 سنة 1984 ؛ الفهرس العام للمسكوكات المغربية من العهد الإدريس إلى العهد السعدي.

Joseph Dominique Brethes, Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques, Casablanca, Imp/ Les Annales Marocaines, 1939 ؛ Daniel Eustache, Corpus des dirhams idrisites et contemporains, Etudes sur la numismatique et l'histoire monétaire du Maroc, Rabat, 1970-1971 ؛ Corpus des monnaies Alawites, Collection de La Banque du Maroc, et autres Collections Mondiales, Publiques et Privées, Rabat, 1984. عمر أفا

النقوش الصخرية ، ويطلق على صور الإنسان والحيوانات والأدوات والرموز والكتابات... التي نقشها الإنسان القديم على صخور الجبال والهضاب وغيرها. وهي غير الرسوم الصخرية، والفرق بينهما أن هذه الأخيرة يستعمل في إنجاز لوحاتها أصباغ طبيعية، بينما تستعمل الأدوات الحادة للنقش على الصخر.

وتتركز مواقع النقوش الصخرية بالمغرب بالمناطق الصحراوية وهوامشها الشمالية، كمنطقة باني - درعة (بالخصوص في أقاليم كلميم - طاطا - آسا - ورزازات - فكيك)، ومجدها كذلك في مناطق كثيرة من جبال الأطلس الصغير والكبير، بينما الرسوم الصخرية قليلة في المجال المغربي.

تعتبر النقوش الصخرية من أهم الوثائق الأثرية التي اعتمدها الباحثون أثناء محاولاتهم كتابة تاريخ الحضارة المغربية القديمة، لأن كل ما نقشه الإنسان القديم على اللوحات الصخرية، ليس إلا انعكاسا لمحيطه البيئي وواقعه المعيش وفكره. وهكذا ينطلق الباحثون من هذه النقوش الصخرية، مستعينين بباقي المعطيات التاريخية، في محاولاتهم تأويل دلالاتها متوخين من ذلك إعادة تشكيل مختلف الظروف (البيئية والحضارية) التي أنتجتها.

تعود أولى الأبحاث التي اهتمت بدراسة النقوش الصخرية المغربية إلى الفترة الاستعمارية، شأنها في ذلك شأن الأبحاث التي توخت دراسة نقوش باقي مناطق إفريقية الشمالية والصحراوية المجاورة لها جهة الجنوب. وقد طغى على هذه الأبحاث في البداية وصف المواقع وإعطاء بعض الإحصائيات لنقوشها. وأنجز الكثير من هذه الأبحاث الأولية على يد هواة عسكريين أو باحثين غير متخصصين. ولما بدأت النقوش الصخرية المغربية تثير اهتمام بعض المختصين الأجانب، كان البحث المهتم بالفن الصخري (أي النقوش والرسوم) قد قطع أشواطا في المجال الجزائري والليبي والصحراوي، ولذلك أثرت نتائجه على المهتمين بالنقوش الصخرية في المجال المغربي الذي تقل به مواقع هذه الرسوم.

بمعتقدات ساكنة تلك البقاع إبان تلك الفترات الموعلة في القدم.

وقد ساعد على قيام هذا الأساس الحضاري المشترك في مناطق تمتد في المحيط الأطلسي غربا إلى الحدود المصرية شرقا وإلى أقصى مناطق الصحراء جنوبا، تشابه الظروف المناخية التي كانت في فترة إنحياز النقوش الصخرية مغايرة لما هو سائد اليوم في هذه المناطق. وما يؤكد ذلك حضور الحيوانات الكبرى في اللوحات المنقوشة كالزرافات والفيلة والبقرات ووحيد القرن... الخ، والتي لا يمكنها أن تعيش إلا في ظل مناخ يتميز بتساقطات مطرية غزيرة. هكذا إذن يظهر أن النقوش الصخرية يمكنها أن تفسر سبب قيام حضارة مزدهرة وموعلة في القدم على أرض المغرب وصحرائها، وتكون في الوقت نفسه دليلا على عظمة تلك الحضارة، لأن ازدهار الفن لا يمكنه أن يعكس إلا ازدهار الحضارة وتوفر أسباب الرخاء، حسب مقياس تلك الفترة.

II - النقوش الصخرية المغربية شاهد على تطور تقنيات التعدين بالمغرب القديم :

إذا كانت نقوش الجنوب المغربي تعكس، حياة العصور الحجرية، فإن النقوش الصخرية بالأطلس الكبير على وجه الخصوص تبين أن ساكنة المغرب القديم استطاعت أن تتحول من تلقاء نفسها من حياة العصر الحجري إلى حياة أكثر تطورا. تشهد عليها المئات من الأسلحة المعدنية المنقوشة على مواقع الأطلس الكبير وتمتد إلى مناطق باني درعة.

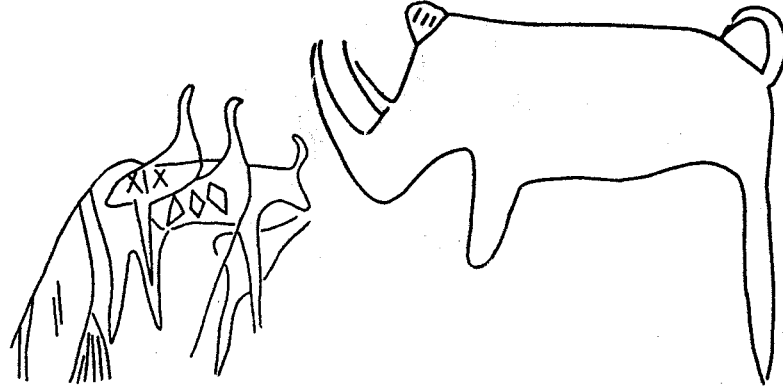
ويرجع الفضل للنقوش الصخرية في كونها السبابة - قبل الأركيولوجيا - إلى إبراز أن ساكنة المغرب القديم عرفوا واستعملوا المعادن في الفترة نفسها التي استعملتها فيها ساكنة العالم المتوسطي، الذي كان يشكل محور حضارات العالم القديم. وتنفرد النقوش الصخرية المغربية عن مثيلاتها في باقي المناطق الشمال إفريقية والصحراوية بميزة خاصة، تتجلى في أن بها أكبر عدد من لوحات الأسلحة المنقوشة. وتتركز غالبية هذه الأسلحة في مواقع أوكيمدن وياكور بالأطلس الكبير، وتليها من حيث الأهمية الأسلحة المعدنية المنقوشة بالجنوب المغربي وبالضبط مواقع منطقة باني درعة. وقد كانت هذه الخاصية وراء ظهور دراسات عديدة حول الأسلحة المعدنية المنقوشة على اللوحات الصخرية بالمغرب، بل واختيرت هذه الأسلحة كموضوع للدراسة ببعض الجامعات الأجنبية، وأنجزت حولها أبحاث أكاديمية كأطروحتي شنوركيان (R. Chenorkian) ورودريك (A. Rodrigue).

لقد بينت مختلف الدراسات التي تناولت هذه الأسلحة أن ساكنة المغرب القديم استعملوا منذ الألف الثاني قبل الميلاد - على الأقل - مختلف الأسلحة المعدنية من دروع وفؤوس ورماح وحراب وغيرها، مما يبين حصول طفرة حضارية، لأن استعمال المعادن كان بمثابة قفزة حضارية كبرى لدى الشعوب القديمة. وستأتي النصوص الإغريقية واللاتينية منذ القرن الخامس قبل الميلاد لتتحدث بدورها عن هذه الأسلحة التي نقشها الأمازيغ القدامى قروناً كثيرة قبل ذلك، واستمر الكثير منها حتى في الفترة الوسيطة.

ومما ترتب عن هذا السبق تعميم نتائج الدراسات التي تمت بالمجال الجزائري والليبي والصحراوي على نقوش المجال المغربي. ويظهر ذلك في إسقاط التصنيف نفسه على نقوش المغرب، ولم يتم التفكير في نقد هذا المنهج إلا بعد أن أحدث المنتزه الوطني للنقوش الصخرية (في تحناوت لينتقل بعد ذلك إلى مراكش) الذي بدأ فريق باحثيه تقييم ما كتب عن النقوش الصخرية المغربية وإعداد دراسات جديدة حولها، تأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات المحلية للفن الصخري المغربي. ومع ذلك فقد ساهمت مجهودات الباحثين الأجانب في معرفة الكثير عن النقوش الصخرية ببلدنا، بل وإن أبحاثهم هي الطاغية في هذا الجانب، لأن هذه "الوثائق الصخرية" - كما يسميها المختصون - لم تتل بعد العناية التي تستحقها من طرف الباحثين المغاربة أو المغاربيين.

ولمعرفة مدى مساهمة النقوش الصخرية المغربية في التعريف بحضارة هذا البلد وتاريخه القديمين، نتوقف عند بعض الجوانب الأساسية :

I - النقوش الصخرية شاهدة على العمق التاريخي والإفريقي للحضارة المغربية :



يبرز هذا الجانب بالخصوص نقوش المناطق الصحراوية المغربية وهوامشها الشمالية خصوصا المنتشرة منها بمناطق باني درعة، إذ تتركز بهذه المناطق - حسب ما هو معروف لحد الآن - أقدم النقوش الصخرية بالمجال المغربي. ويقدر الباحثون بداية تاريخها بما بين نهاية العصر الحجري القديم وبداية العصر الحجري الحديث. ونجد بهذه النقوش لوحات جسدت عليها مختلف أوجه الحياة اليومية لإنسان تلك الفترة (قنص الحيوانات أو تدجينها أو الإنسان مع البسته أو عدد من الرموز...) شبيهة لتلك التي نجدها في نقوش باقي مناطق شمال إفريقيا والصحراء. ويؤكد هذا التشابه وجود أساس حضاري مشترك لدى ساكنة هذه المناطق المغاربية والصحراوية، ويعود إلى أقدم فترات التاريخ الإنساني بهذه الربوع. ويتفق جل الباحثين على أن جذور هذا الأساس الحضاري المشترك إفريقية صحراوية. ونلمس ذلك بوضوح في تشابه طرق قنص الحيوانات التي جسدها الفنانون على اللوحات المنقوشة وكذلك في تشابه طرق استعمال الحيوانات المدجنة كطريقة ركوبها أو حلبها. كما نلاحظ تشابها في اللباس وفي العديد من الرموز (دوائر مختلفة، أشكال حلزونية، مربعات، مكعبات...) التي قد يكون لها علاقة

III - النقوش الصخرية شاهدة على تطور تقنيات النقل
المغرب القديم :

قليل منا من يعلم أن ساكنة المغرب القديم طوروا وسائل نقلهم فلم يكتفوا بركوب الدواب وحدها. وتعتبر النقوش الصخرية أقدم دليل شاهد على حصول تطور في مجال النقل، من خلال حفظها صور العربات التي ينتقل عليها أسلافنا. وتتركز هذه العربات المنقوشة على اللوحات الصخرية في مواقع الجنوب المغربي، كما عثر على نماذج منها في نقوش الأطلس الكبير. وتبين تلك اللوحات أن ساكنة هذه البقاع استعملت العجلة الدوالية، التي تعتبر من أهم ما ابتكره الإنسان القديم بعد خروجه من حياة العصور الحجرية. وقد سمحت مثل هذه اللوحات - وغيرها في نقوش ورسوم باقي المناطق الشمال إفريقية والصحراوية - بالتعرف على شكل العربة التي استعملتها ساكنة شمال إفريقيا القديم قبل أن تتحدث عن ذلك المصادر الإغريقية واللاتينية. وتبين لوحات العربات بالمجال المغربي أن السكان استعملوا الخيول والثيران في جرها. وإذا كانت الغالبية تجرها الثيران، فإن التفسير الذي أعطاه الباحثون لذلك هو شهرة المغرب القديم بتجارة المعادن، التي يحتمل أن تكون العربات التي تجرها الثيران قد لعبت فيها دورا. ومع ذلك فالعربات التي تجرها الخيول موجودة كذلك بالمجال المغربي، بل وتبين لوحة بمنطقة درعة عربة تجرها أربعة خيول، ونحن نعلم عن هيرودوت أن ساكنة شمال إفريقيا علموا للإغريق هذا النوع من العربات.

هكذا تبين النقوش الصخرية المغربية تطور وسائل النقل القديمة، مما يعني ضمنا وجود "طرق" يعنى بإصلاحها لكي تبقى صالحة لمرور العربات. وتؤكد النصوص القديمة هذا الاستعمال عندما ذكر استعمال العربة لدى ساكنة الجنوب المغربي من طرف الجغرافي سطرابون.

IV - النقوش الصخرية أقدم دليل على استعمال ساكنة المغرب للكتابة :

بينت النقوش الصخرية المغربية أن هذا البلد من المناطق التي ظهرت بها أقدم الكتابات المعروفة في حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي. وإذا كانت دراسة الكتابة على اللوحات الصخرية المغربية ما تزال دون المستوى المطلوب، خصوصا تلك المنتشرة في الهوامش الصحراوية الجنوبية، فإن النقيشة التي عثر عليها بموقع عزيب نكيس بالأطلس الكبير بينت دون شك تجذر الكتابة في تاريخ المجتمع المغربي. لقد اعتبرتها غالبية الدراسات إلى حدود نهاية القرن العشرين أقدم كتابة بشمال إفريقيا وذلك قبل أن تكتشف كتابات أخرى أقدم منها بالمناطق الصحراوية. ونقيشة عزيب نكيس هذه تتكون من ستة عشر حرفا لم نستطع بعد قراءة مضمونها، لكنها تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن ساكنة المغرب التي تقطن هذه الجبال كانت تعرف الكتابة على الأقل في القرن السابع قبل الميلاد، إذا أخذنا بأحدث التواريخ التي أعطيت لهذه النقيشة، لأن هناك من الباحثين الأجانب من اقترح تاريخها بحوالي القرن العاشر قبل الميلاد أو قبل ذلك بقليل.

تلك بإيجاز بعض الجوانب التاريخية والحضارية التي

وضحتها لنا النقوش الصخرية المغربية، والتي يمكنها أن تقدمنا بالمزيد كلما اعتنينا بدراستها. لكن للأسف لا تزال هذه النقوش الصخرية تتعرض للتلف، ولم تؤخذ مأخذ الجد على اعتبارها إحدى الموروثات الحضارية التي يجب أن تشملها سباغ الرعاية ونشجع الباحثين على دراستها.

J. Malhomme, *Corpus des gravures rupestres du grand Atlas*, 1ère partie, P.S.A.M, n°13, Rabat, 1959 ; L'homme à l'inscription des Azibes n'Ikkis ; Yagour (Notes et documents, in *B.A.M*, tome IV, 1960, p. 411-417 ; Le bronze II dans le grand Atlas : les sacrifices humains, in *B.A.M*, t. 3, 1958-1959, p. 379-387 ; Les armes gravées du grand Atlas, in *Congrès préhistorique de France, XIV session, 1953*, p. 395-402 ; R. Maury, Une route préhistorique à travers le Sahara occidental, in *B.I.F.A.N*, 1947, p. 341-357 ; M. Reiné, Les gravures pariétales libyco-berbères de la haute vallée du Draa, *Antiquités Africaines*, t. 3, 1969, p. 35-54 ; A. Rodrigue, *Les gravures rupestres du Haut Atlas Marocain : Typologie, analyse, essai de chronologie*, Thèse de doctorat du 3ème cycle, Université de Provence, LAPMO, 2 vol., 1996 ; A. Salih [et al.], L'art rupestre de l'Oukaimeden, Haut Atlas Maroc: Occupation humaine et économie pastoral, in *Beiträge zur Allgemeinen und vergleichenden Archäologie*, Ban 18, 1998, p. 253-295 ; L'art rupestre : Un chien culturel en danger, in *Journée internationale des musées, n° 3, mai 1997*, p. 11 ; S. Searight, Imaoun : a unique Rock art site in South Morocco, in *Sahara*, 8, 1996, p. 79-82 ; A. Simoneau, Les chasseurs-pasteurs du Drâa moyen et les problèmes de la néolithisation dans le sud marocain, in *R.G.M.*, n° 16, 1969, p. 97-116 ; G. Souville, Aspects religieux des gravures rupestres du Haut Atlas marocain, in *115 congr. nat. soc. sav., Avignon, 5e colloque sur l'histoire et l'archéologie du nord*, 1990, p. 51-58 ; Essai d'interprétation des gravures rupestres du Haut Atlas marocain, comptes rendus des séances de l'année 1991, *C.R.A.I*, 1991, p. 767-782 ; J. Spruytte, *Attelages antiques libyens. Archéologie saharienne expérimentale*, Ed. Maison des sciences de l'homme, Paris, 1996 ; A. Turcat, Sur l'origine des chars rupestres sahariens, in *T.I.A.P*, t. XXVI, Université Toulouse-Le Mirail, 1984, p. 105-166 ; R. Wolff, Contribution à l'étude des chars rupestres du sud marocain, in *les Chars préhistoriques du Sahara*, Aix-en-Provence, 1982, p. 139-151.

الزنگادي، محمد بن أبي القاسم، يرجع أصله إلى

أولاد سيدي بلقاسم أزروال، المنتسبين إلى الأدارسة، والذين يعتقدون أن جدهم الأعلى استقر عند بني وراين منذ زمن بعيد. ومن هذا المكان انتقلت فرقة منهم إل جهة أنقاد. ومن هنا جاءت كنيسته، الزنگادي، أو الأنكادي نسبة إلى تلك الجهة، أي السهول المحيطة بمدينة وجدة، والتي انصرف اسمها إلى القبائل العربية التي استوطنتها منذ أواسط القرن الميلادي الرابع عشر.

لا نعرف شيئا عن حياة الزنگادي الأولى، إلا ما نقله المختار السوسي عن القاضي محمد بن سعيد الجراري الذي كان كاتباً. فقد أورد أن المترجم تلقى تربية صوفية، على الطريقة الدرقاوية، وكان شجاعاً لا يبالي بالموت. ووصفه فقال : "إن الزنگادي رجل طوال نحيف... صوته ذو غنة". وكان أمياً، لم يحفظ سوى بعض الأذكار والتوسلات، مثل الدعاء الناصري.

والظاهر أن الزنگادي ظل مغسوراً حتى اندلاع تمرد بوحمارة حيث انضم إليه، وعمل في صفوف جيشه، فأصبح من أخلص أعوانه. فكانت تلك المدة التي قضها بجانب

بوحامرة مرحلة حاسمة في حياته، حيث تم شحذ شخصيته ؛ فضلا عما تلقاه من تكوين في ميدان الحرب. ولما اعتقل ذلك المتمرد سنة 1909 ، لاذ النكادي بالفرار. فساقه القدر إلى تافيلالت، حيث بات، ذات ليلة، بضريح مولاي علي الشريف. ولما اتصل بالقيم على الضريح أخبره بما كان يلاقيه المسلمون في تافيلالت من عنت من قبل الفرنسيين. ودله في ذات الوقت، على مبارك أوشطو التوزونيني الذي كان يستعد آنذاك لقيادة أعمال المقاومة. فاتصل به في مقر إقامته بجبل صاغرو. يقول المهدي الناصري : "وقد وجده على مبدئه، فتتلمذ له، وجد في خدمته، ولازمه على النصيحة سرا وجهرا... فقدمه على أعوانه، فكان صاحب سره ومشورته".

يتضح من هذه الفقرة أن المهدي الناصري، وهو يكن أشد العداء للرجلين معا، لم يسعه إلا أن يعترف بعلو كعب المترجم في ميدان الإعداد لحوض الحروب ؛ لأن التوزونيني لم يكن من السذاجة بمكان حتى يعين النكادي في منصب خطير كهذا، لو لم يتفرس فيه مخايل القدرة والنجدة والكفاءة. لكل ذلك، أصبح النكادي القائد الأعلى لجيش صاحبه، بل جعله في مرتبة وزير حريته. وقد تألق نجمه خاصة لما أحرزا معا انتصارات بينة على القوات الفرنسية ؛ بدت بواكبرها مع اغتيال الضابط Oustry، وبلغت الذروة في معركة البطحاء يوم تاسع غشت 1918. ذلك الانتصار الذي أربك تخطيط الفرنسيين، وفل عزيمتهم حتى اضطروا إلى التوقف حوالي سنة، لمراجعة استراتيجيتهم. بل إن النكادي استولى على تيغمرت التي لم يكن في تافيلالت مركز سواها. وقام الرجلان، جنبا إلى جنب طوال تلك المدة، بتحمل أعباء مقاومة الفرنسيين حتى هبت عليهما ريح الخلافات بسبب تعدد السعيات والوشايات بينهما. فضلا عن أن التوزونيني قد اقترب بعض ما استوجب قلب ظهر المجن له ؛ وهو الأمر الذي دفع النكادي إلى الاتفاق مع بعض مقربيه على اغتياله في 23 أكتوبر 1919.

وبذلك آل أمر القيادة إلى المترجم، الذي خلف القتيل على رأس المقاومين. وكان أول عمل قام به، أن بادر بإطلاق سراح كثير من اعتقالهم التوزونيني، وفيهم عدد من الشرفاء. وظهرت منه بوادر الرحمة، حيث عمل على تأليف القلوب ؛ فكتب له الناس البيعة على الجهاد ؛ الأمر الذي أهله للتصدد لمحاربة المحتلين الفرنسيين في تافيلالت ونواحيها، طوال عشر سنوات تقريبا. وما يذكر أن النكادي كان شديد الخلق على اليهود. ولعل لذلك اتصالا بكون زوجة الضابط أوستري (Oustry) يهودية. ذلك الضابط الفرنسي الذي كابد معه أهل تلك الجهة أمورا لا تكيف، قبل أن يدبر له التوزونيني والنكادي مكيدة الاغتيال السابقة الإشارة.

ويصدد أخلاقه، يقول محمد بن سعيد الجزائري : "كان [النكادي] كثير التهجد، والتضرع إلى الله... "محافظا

على صلواته". والغالب على الظن أنه أقرب إلى الزهد، حيث "كان مخشوشنا، لم يتأق في مأكلا ولا مشرب، ولا ملبس". وما يؤكد ذلك أنه "كان نقي الإزار، فلم يزد على زوجة واحدة، على عكس مبارك أوشطو" ؛ وكان : "يتجهد في آخر الليل دائما... يضيف صاحب المعسول نقلا عن مخبره، القاضي الجزائري : "وكثيرا ما أسمعنا ونحن في فسطاط إزاء فسطاطه... يتضرع إلى الله ويتلو القصيدة الشهيرة لابن ناصر بغنة خاصة...". يذكر المختار السوسي أن المجال الذي سيطر عليه النكادي انحصر في تافيلالت، وهي قاعدة ارتكازه، لكن نفوذه امتد إلى مجال واسع، شمل ألنيف وتازارين وصاغرو. وهذه الجهة هي مجال قبائل عاتية، معظمها من آيت عطة، أهل الصحراء، وآيت مرغاد؛ بالإضافة إلى آيت حديدو. ولعل تمرس تلك القبائل بالعيش على القلة، وشطف العيش، والبيئة الطبيعية القاسية، والفترة التي جبلت عليها، قد أهلتها لمنح جيش خاض مع النكادي أعتى مقاومة للاحتلال الفرنسي ؛ على الرغم من قلة عتاده وعدده ؛ وبهم استطاع إيقاف زحف واحد من أحدث الجيوش في العالم يومئذ. ولعل من فطنة النكادي الفطرية أنه لم يهمل بعض المؤسسات التي كان لها أكبر نفوذ بين الناس يومئذ، محاولا ضمها إلى جانبه. في هذا السياق نذكر أنه بعث برسالة - ولعلها لم تكن الوحيدة - إلى زاوية تامگروت الناصرية التي كان لها أتباع في تلك الربوع. ولعله كان يعي تمام الوعي أنه إذا تمكن من استمالة شيخها، فإنه يفيد منها في عدة جوانب ؛ من أهمها تعبئة الناس للجهاد، وتوفير المؤن. معنى ذلك أن النكادي لم يهمل أي وسيلة تمكنه من الاستمرار في المقاومة. وفي ذات الصدد نشير إلى أنه لم يستطع أن يقرب إليه شيخ تامگروت، أحمد بن أبي بكر الناصري، الأمر الذي جعله لا يتردد في تدبير اغتياله، بواسطة ثلاثة من أتباعه إلمشان آيت عطة.

وسائل النكادي الحربية، من عتاد ومال كانت محدودة، لذلك توقفت جهوده أمام عدم التكافؤ العكسري مع خصومه الفرنسيين ؛ فاضطر إلى الفرار - مع جماعة من آيت عطة - إلى سوس سنة 1349 / 1931. ولم يزل متنقلا، صحبة من رافقوه، بين تامانارت وتاغجيجت وإفران، إلى أن داهمهم جيش الاحتلال أواخر سنة 1352 / 1933، فأسروا جميعا، ونقل المترجم إلى أنگاد، حيث لبث حتى وفاته سنة 1958.

وثائق زاوية تامگروت ؛ المهدي الناصري، نعت الغطريس القسيس ؛ محمد السوسي، المعسول، ج. 16.

G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse...*

أحمد عمالك

النكافة. لعل الكلمة من العربية الفصحى "النَّجفة" أو "النجافة" التي تعني الإشراف على الشيء ويسميتها المغاربة "الشرافة" أي التزيين أو التزويق الذي يعلو البناية أو الأبواب

وما إلى ذلك، ومن هنا أطلق المشاركة - في تقديري - اسم النجفة على "الشرا" التي تعلو القاعات والقباب الضخمة فتزيدها جمالا وهيبه.

العلاقة بين هذا المعنى و"النجافة" المعروفة في المغرب واضحة فالكلمة هي نفسها - مع نطق حرف الجيم بالطريقة المصرية - وهي تعني تلك المرأة المشرفة على تزوين "العروسين" وإبرازهما للجمهور في أحسن صورة وأجملها ؛ بدأت النجافة كامرأة خبيرة في التجميل والتزوين تقدم خدماتها تطوعاً في المدن والبوادي ويستعان بها خاصة في الأعراس وتحديداً في حفلات الزفاف.

بدأت النجافة بسيطة في خدماتها وأدواتها لتصبح اليوم وفي تطور سريع شبه مقابلة تتطلب أموالا كثيرة، وتعددت خدماتها وتنوعت لتشمل كراء الألبسة الخاصة بالعرسان - وباقي عناصر التجميل والتزوين من حلي وجواهر وما إلى ذلك، وتكتري "الطيفير" و"العمارة" وغيرها وأصبح لها طاقم من المساعدين والخدم ذكورا وإناثا ؛ ومازال تطورها مستمرا فبعض النجافات أصبحت متعهدات حفلات، تتعاقدن مع أصحاب العرس على ما هم في حاجة إليه من أجواق وطبالة وغياطة ودقايقية ... ويتم التعاقد معها على الصفقة كلها أو جزئها ؛ والتمن يحدده قانون السوق وما يطلبه أصحاب العرس ؛ هذا في المدن وبعض العائلات الثرية في البوادي، أما في الأحياء الفقيرة وفي البوادي فما زالت النجافة التقليدية البسيطة تقدم خدماتها لأهل العروس خاصة مقابل أجر زهيد أو ابتغاء أجر الآخرة.

المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ؛ الحسن الوزان، وصف إفريقيا، الرباط، 1981 ؛ م. حجاج الطويل، بحوث ميدانية، أسطرة وثائقية خاصة.

محمد حجاج الطويل

النكثافيون ، أول من تولى القيادة منهم على حاحة الشمالية هو عدي (سعيد) بن علي أومبارك، كان ذلك سنة (1298 / 1880) بعد إلقاء القبض على القائد مبارك أنفلوس. والقائد عدي كان رجلا خيرا يشتغل بالفلاحة وله أملاك كثيرة فاختاره السلطان المولى الحسن الأول لمعرفته بصلاحه وغناه يوم كان مرابطا بجيوشه في معسكر بوريقي من قبيلة نكثافة، ولم يطل عهد القائد عدي إذ توفي عام (1305 / 1887) فخلفه ابنه الحسن بن عدي قائدا، وأخوه مبارك بن عدي خليفة وبعد أربع سنوات من الحكم على قبيلة نكثافة وإيداوكرض وإيداوسارن انتزعت منهم القيادة على إثر غارتهم على تاسيلان تاكوشت في آيت زلطن مع عبد الله القاضي، فقد أرسل إليهم السلطان يستقدمهم إليه، لكن القائد الحسن بن عدي مات في الطريق إثر تناوله سما أعده لذلك، إذ جاء بوخاري السلطان ونزل بالموضع المسمى (تالعرصت) حيث ألقى القبض على خليفته مبارك بن عدي يوم فاتح ربيع النبوي سنة 1309 / 1891. وقضى بسجن

المصباح بمراكش سبع سنوات، ويعد إطلاق سراحه، ظل متطلعا إلى الحكم مما جعله يحقد على إينفلاس، وله في ذلك أشياخ، مما جعله يهجم على مقر قيادتهم سنة 1327 / 1909 في بداية عهد القائد الشاب محمد بن أحمد أنفلوس، فدخل هو وأنصاره (تيمسوريين) وأسروا القائد محمد وخليفته مبارك وأهلها وهموا بقتلها، لكن أعيان القبيلة هددوهم بأنهم سيخربون عليهم الدار ويقتلون أهلهم إذا مسوا القائد وأهله بسوء، وبينما كانت فرسان القبيلة تتجمع لإغاثة القائد الشاب أسرع مبارك بن عدي فجمع أحسن ما في دار القائد أنفلوس من أسلحة ومال وغيرها وحملها على الإبل والبغال تاركا القائد وأهله مكبلين، ولما حضرت القبيلة أطلقوا سراح القائد، واقتفوا آثار مبارك بن عدي متوجهين إلى داره رغبة في إلقاء القبض عليه، لكنه مر عليها دون أن يدخل كما كان متوقعا ملتجنا إلى قبيلة امتوكة، فأخذ القائد وأعيان القبيلة كل ما في دار مبارك بن عدي. وأخرجوا النساء والأطفال وخربوها عن آخرها انتقاما. وقيل إنه كان ينظر إلى داره بواسطة منظار مقرب، فرأى الغبار، فعلم أنها خربت، فقال لرجل من أصحابه : (راست سول بنون سوکيا) يعني : أنهم سيبنونها مرغمين على حمل الطين بأطراف ثيابهم، فكان الأمر كذلك، فبعد أن قضى في النفي خمس سنوات (1327 / 1909 / 1331 / 1912) بمتوكة جاءته فرصة استعصاء أمر إخضاع حاحة المقاومة لجنود الاحتلال الفرنسي بقيادة البطل الشهير محمد أنفلوس، فشاور دهاقنة الاستعمار الفرنسي أنصارهم من قواد الحوز في قضية حرب حاحة، فأشار عليهم القائد المتوكي وغيره بأن الحديد لن يفل إلا بالحديد، والنجاح هو أن تجعلوا قيادة نكثافة وحاحة الشمالية لابن عم النفلوسي السيد مبارك بن عدي الذي نفاه عن وطنه سنين، وتلتزموا له بالقيادة في موضع عدوه بعد الغلبة فاستقدمه الفرنسيون من منفاه بأزغار العسعاس بمتوكة إلى الصورة، فجاء عن طريق الشياظمة متجنباً المرور بحاحة الهانجة ضد النصاري وكل من والاهم - من أعداء الإسلام - فاستقبله الفرنسيون في جماعة من أصحابه بحفاوة، وذلك في غضون الأسبوع الأول من شهر يناير 1913 ، بعد أن انهزم الجيش الفرنسي لأول مرة وتم حصاره بدار الحاج علي القاضي من يوم 17 / 12 / 1912 إلى يوم 24 / 12 من نفس السنة حسب ما تفيدته المذكرة اليومية لأحد الضباط المرافقين للحملة الفرنسية بقيادة (اليوتونون البيرت) و(القبطان ماسوتي)، لذلك أخذ الفرنسيون يعدون العدة بمساعدة السيد مبارك بن عدي للقضاء على أنفلوس، ونسف قصبته (تيمسوريين) التي هي مركز المال والسلاح الذي يتقوى به المجاهدون، فأعدوا خطة محكمة في ظرف أسبوعين، ابتدأوا بالعمل على إضعاف جبهة المجاهدين مع أنفلوس من الداخل، فسدوا أموالا كثيرة ورسائل الاستمالة بواسطة أصحاب القائد الموعود مبارك بن عدي الذي يقول

فيها للناس : (إن هذا الوادي سيمر ولا بد - يعني جيوش الاحتلال - فما بالكم وأنتم تلقون بأنفسكم أمام جيش مرهب وافق عليه السلطان بنفسه، وأنتم تعارضونه ولا تخافون، وها أنا توليت القيادة عليكم، فأنتم أولى الناس عندنا).

كما وردت على الصورة فحيدات ومعدات حربية من الدار البيضاء ومراكش في نفس المدة. وفي يوم 1.7.1913 انطلقت جيوش الاحتلال من الصورة برفقة مبارك بن عدي مستهدفة القضاء على مقاومة أنفلوس ومن معه من المجاهدين، وذلك بالقبض عليه وقصف قصبته (تيمسوريين) بالمدافع، لأنها مركز المقاومة، وقد رسم لهم مبارك بن عدي طريقا تجنبهم أخطار الاصطدام بالمقاومين داخل البلاد، فسلك الحدود الشمالية بين حاحة والشياطمة مارا بأزليف وأيت السرايدي، لكن كثرة الجيش الفرنسي هذه المرة والذي يشبهه المشاهدون بالسحب السوداء يرسل الرصاص أمامه كالمنظر الوابل، حالت دون مجابهة رجال المقاومة له، فصاروا يسايرونه رشقا بالرصاص في جانبه، ثم نصبوا له كميناً في وادي تاقدوت وآخر في جبل "تيجرت" و"آيت باها" و"بيسناس" و"إيباشراتن" واستغرقت هذه المعارك خمسة أيام دون الوصول إلى الهدف، قتل فيها في اليوم الأول من الفرنسيين 13 قتيلاً وجرح منهم 75 جندياً. وفي يوم 11 من نفس الشهر عادت الحملة إلى الصورة لتجدد قواتها ويستعيد الجنود نشاطهم، وبعد أسبوع خرجت الحملة الثالثة يوم 20 يناير 1913 متجهة صوب دار أنفلوس متنقلة عبر النقط الآتية :

- يوم 20 يناير 1913 : الانطلاق من الصورة بقيادة الجنيرال برولار رفقة مبارك بن عدي.
- يوم 21 يناير 1913 : تم شراء التميمون من سوق حد درى للجيش كالحبوب واللحم.
- يوم 22 يناير 1913 : كان المرور عبر ثلاثاء الحنشان إلى دار القائد خبان الموالي لفرنسا.
- يوم 23 يناير 1913 : الانتقال من دار خبان إلى سهل بورريقي حيث نشب قتال حاد.
- يوم 24 يناير 1913 : تم الانطلاق من بورريقي في السادسة صباحاً نحو زاوية أوحسان.
وابتدأ القتال على الساعة السادسة وعشرين دقيقة وهناك أظهر المجاهدون قوة وشجاعة نادرة.

- وفي يوم 25 يناير على الساعة السادسة صباحاً انطلقت جيوش الاحتلال من زاوية أوحسان نحو دار أنفلوس عبر مواقع اشترت فيها المقاومة وهي : أعلى سوق السبت، وأكاموض وبيسناس، وإيمي نتقاندوت ثم الوصول إلى دار أنفلوس بتيمسوريين على الساعة 11 صباحاً وقد أبلى المجاهدون في هذه المواقع بلاءً حسناً، وأعطوا المثل الأعلى في التضحية دفاعاً عن الحرية والدين والوطن، واستشهد منهم خلق كثير، كما مات من جنود الاحتلال مثل ذلك. وأظهر القائد مبارك شجاعته وكفائه للفرنسيين، كما جاء

في كلمة تأبينه ألقاها الحاكم الفرنسي يوم وفاته عام (1374/1954) حيث قال : (لقد تأسفت فرنسا لإصابتها بوفاة عضو من أعضاء حكومتها العديم النظر بفرنسا والمغرب... التقى مع الجيش الفرنسي الذي أقبل من مدينة مراكش سنة 1913 إلى دار أنفلوس بالشياطمة، وكان ذا عقل وشجاعة وثبات ورأي سديد، عارفاً طرق النجاة والسلامة من مهالك الحرب بالبلد، فصار يتقدم الجيش إلى أن التقى الجمعان بوادي السبت في فم تاقدوت، ودارت رحى الحرب بين الفريقين، حتى أشرف الجينرال على الانهزام والإدبار وضاعت عليه الأرض بما رحبت، وأغلق عليه باب الحيل أمام صلابة جنود ولد أنفلوس، وشدة بأس فرسانه برصد وادي تاقدوت فوجه الرأي إلى الفقيه، فرأى رأياً فازت به فرنسا بالنصر على ابن أنفلوس في معركة (تيمسوريين) ورأى الفقيه الذي فازت به فرنسا : هو التوجه إلى مكان عال على دار أنفلوس (بتيمسوريين) وركبوا فيه المدافع التي قبلوا بها قصبته أنفلوس وخربوا داره، فخرج كل من فيها رجالاً ونساءً وأطفالاً، ووقع الارتباك في صفوف المجاهدين، فترفقوا عن قائدهم أنفلوس الذي هرب بعياله إلى جبل تاريون بآيت عيسى، مستقراً بدار صديقه الشيخ عبد الله عيسى، فالتف حوله سكان قبائل إيداكيلول وآيت عيسى وإيدواتان، فقادهم لمحاصرة مركز تمار الذي دخلته الجيوش الفرنسية عنوة فعزلت القائد عبد الرحمان الكيلولي الداعي إلى الجهاد، وولت مكانه ابن عمه الحاج المحسن بن محمد أوفقيير الكيلولي. وبعد يومين من الحرب هربت جموع المجاهدين أمام القوات الفرنسية المعضدة دائماً بوجود أنصار القائد مبارك الذين ظلوا يلاحقون أنفلوس حتى استسلم ملتجئاً إلى زاوية ايسقال بإيدواتان عند الشيخ الصوفي السيد الحاج المحسن الكروتتي (ت. 1347 / 1928) مستأمناً على نفسه وأولاده وأمواله حتى توسط له أكبر أعدائه القائد عبد الملك المتوكي لدى إدارة الحماية أخذاً له العهد والمواثيق على أن يعيش بعيداً عن المجاهدين في حاحة، فاختار مدينة مراكش التي عاش فيها معزلاً مكرماً إلى أن توفي سنة 1357 / 1938. وبذلك صفا الجو للقائد مبارك بن عدي الذي

تولى قيادة نكافة وإيداكروض وإيدوايسارن.

توفي في يوم 3 شوال عام 1374 / 1954.

م. المختار السوسي، المعسول، ج. 3، ص. 407 : مذكرة يومية لأحد ضباط الفرنسيين المراقبين لجيوش الاحتلال : محمد الصوري، الكتاب المتنقل، مخطوط متداول : آيت الحاج محند، مظاهر الحياة الثقافية بحاحة وإيدواتان، أطروحة : تحريات ميدانية. محند آيت الحاج

النكور (حجرة -) أو جزر الحسيمة، أرخبيل. كان يدعى في القديم سيكس إنسولاس، ويشمل ست جزر، ذكرته مسالك أنطونينوس في بداية القرن الثالث للميلاد بكل دقة باسم "سيكس إنسولاس" "Sex Insulas". وعرفته المصادر الوسيطية المغربية باسم "حجرة نكور"، كما أوردت الخرائط

والتقارير الأوربية في العصر الحديث هذه الجزر تحت اسم Albouzaines أو Albouzéme أو Albouzémes. وقد ادعى الفرنسيون كذبا أنهم بذلك ترجموا اسمها العربي الخزامى.

يقع هذا الأرخبيل في وسط خليج يعرف تاريخيا باسم خليج المزمة، واليوم باسم خليج الحسيمة La Baie d'Al Hucemas. يحده الخليج شرقا برأس يعرف في الخرائط الحديثة للمنطقة باسم رأس كيلاتيس Calalas, Caladas, Quilatés, Quilatis، وذكرته بعض الخرائط الوسيطة أحيانا باسم "طرف كرط" Tarf Gharet، وأشارت إليه مسالك أنطونينوس باسم "رأس القصب" Promontorium Cannarum". أما غربا فيحد هذا الخليج برأس قليل الارتفاع يدعى اليوم في الأرشيفات الفرنسية باسم الرأس الموري Cap Maure، وفي الأرشيفات الإسبانية وبعض الخرائط باسم Morro Nuevo أو Cap El Cap Nuevo Cencil، علما أن العديد من الخرائط البحرية للقرون الوسطى وإن أشارت إلى هذا الرأس فهي لم تعطه أية تسمية. كما أن جغرافية بطليموس ومسالك أنطونينوس قد تجاهلتا الموقع نهائيا ولم تذكراه ولو بالإشارة. والمسافة طولا بين رأس كيلاتيس في شرق خليج الحسيمة والرأس الموري في غربه لا تفوق العشرين كيلومترا، في حين أن عرض هذا الخليج من الشمال إلى الجنوب لا يتعدى ثمانية كيلومترات.

تضاريس الرأسين وعرة ولا نبات فيها، إلا أنها تنحدر باتجاه وسط ساحل الخليج وتنتهي في السفح بسهل خصب يخرج منه مجريان، وادي نكور شرقا ووادي غيس غربا. ويتميز خليج الحسيمة طبيعيا بإمكانية رسو السفن فيه بكل طمأنينة إذا انعدمت الرياح أو كان هبوبها من البر في اتجاه البحر، أما إذا كانت تهب من البحر في اتجاه البر فإن الرسو يصعب بسبب عنف البحر، وإذا كان يمكن للسفن أن ترسو وسط الجزر كما ورد في نصائح دليل مسالك البحر الأبيض المتوسط لسنة 1669.

وينقسم أرخبيل سيكس إنسولاس جغرافيا إلى أرخبيلين صغيرين كل واحد يشمل ثلاث جزر.

أولهما: أرخبيل لا يزال يعرف إلى اليوم باسم "أرخبيل الحسيمة" أو "جزر الحسيمة" أو "حجرة نكور". ويقع في قعر الخليج على بعد ثلاث كيلومترات إلى الغرب من مصب نهر غيس، وعلى بعد حوالي عشر كيلومترات في البحر جنوب شرق مدينة الحسيمة الحالية. لا يبعد هذا الأرخبيل عن الشاطئ إلا بما هو أقل من 1300 متر فقط.

أكبر جزر هذا الأرخبيل، ولعلها المقصودة بحجرة نكور، تعرف اليوم باسم القشلة La Kachla، نسبة إلى قصر محصن بأربعة أبراج ذات شكل أسطواني، أقامه الإسبان هناك منذ القرن السابع عشر. طول الجزيرة 170 م وعرضها 75 م أعلى نقطة بها لا يتعدى 250 م. وهي الجزيرة الوحيدة المأهولة في هذا الأرخبيل. ويدعى الإسبان أن السلطان السعدي عبد الله

الغالب قد تنازل لهم عنها سنة 1560 منعا لأتراك الجزائر من الاستقرار بها. ولكنهم لم يدخلوها رسميا إلا يوم 28 غشت 1673 بعدما فشلت المفاوضات الفرنسية مع السلطان مولاي رشيد العلوي لاستغلال الجزيرة تجاريا.

وإلى الغرب من جزيرة القشلة، تقع جزيرتان صغيرتان غير مأهولتين، بهما عدة مقابر.

ثانيهما: أرخبيل كان يتكون من ثلاث جزرات صغيرة جدا، كانت تقع إلى الشمال من مدينة الحسيمة الحالية، ربط ما بينها الإسبان برصيف موصول بالشاطئ مكونين بذلك ميناء حديثا لهذه المدينة.

وقد تجاهل المؤرخون والجغرافيون والرحالة الأقدمون هذه الجزر الست "سيكس إنسولاس"، ونكتفي بالإشارة في هذا الصدد إلى خلو رحلة حانون من أي إشارة إلى هذه الجزر، وإلى جهل أو تجاهل بلينيوس الشيخ ويطليموس لها. وأول من اهتم بأرخبيل "سيكس إنسولاس" وذكره بالقصد هو صاحب مسالك أنطونينوس في بداية القرن الثالث للميلاد وجعله خطأ على بعد ثلاثين ميلا غرب رأس القصب Promontorium Cannarum عوض خمسة عشر ميلا صوابا. مما يجعلنا نفهم أن القيمة الملاحية لهذا الأرخبيل لم تستغل إلا مع البحارة الرومان - أو قبلهم بقليل - الذين جمعوا في تسمية واحدة "سيكس إنسولاس" الأرخبيلين الصغيرين معا بجزرهما الست تمييزا لهما عن أرخبيل Tres Insulas "تريس أنسولاس" (الجزر الجعفرية) الواقع بين مليلية ومصب نهر ملوية.

ورغم ما قيل سابقا عن احتلال إسبانيا رسميا لجزيرة نكور منذ سنة 1673، فإن المقاومة المغربية لم تتوقف ولم تسمح لإسبانيا باستغلال حقيقي للجزر استراتيجيا أو تجاريا إلا منذ سنة 1925 تاريخ انهزام المقاومة الريفية بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي أمام تحالف القوات الاستعمارية الفرنسية والإسبانية.

إبراهيم بوطالب، وبوغالب العطار، ستة ومليمة، تاريخ وواقع، منشورات المحرر، الدار البيضاء، ماي، 1981؛ مارمول كربخال، إفريقيا، تر. م. حجي وآخرين، الرباط، 1984؛ حسن الوزان، وصف إفريقيا، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، بيروت، ط. 2، 1983.

Carte Topographique du Maroc, au 1/500.000, feuille d'Oujda, Publication de l'Institut Géographique National, Paris, 1954; Elie de la Primaudie, Les villes maritimes du Maroc, Revue Africaine, n° 16, 1872, p. 105 - 135; L'itinéraire d'Antonin, d'après: l/Lapie, Recueil des itinéraires anciens, Paris, 1844; 2/ éd. Ernest Leroux, Paris, 1929; Portulan de la Méditerranée, 1669, M. de la Bibliothèque Nationale, F. R. 741; Roget Raymond, Le Maroc chez les auteurs anciens, éd. Les Belles Lettres, Paris, 1924; Index de topographie antique du Maroc, P.S.A.M., 4, Paris, 1938; Tissot Charles, Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane, Mémoires des savants étrangers, 1ère série, t. IX, Paris, 1878; Tofiño de San Miguel, Derrotero de las Costas de España y de su correspondiente de Africa, 1787; Vincendon Demoulin, Description nautique de la côte nord du Maroc, Paris, 1857.

محمد اللبار

نكور ، مدينة مغربية قديمة كانت تقع بالريف قرب الوادي المسمى باسمها غير بعيدة عن مدينة الحسيمة. وأصل الكلمة من أنكور التي تعني في الأمازيغية التيس. اختلف المؤرخون في ظروف تأسيس المدينة، فقد ذكر البكري وغيره أن القائد صالح بن منصور الحميري هو الذي افتتح إقليم نكور بعد سنة 86 هـ عندما دخل المغرب رفقة موسى بن نصير زمن الوليد بن عبد الملك الأموي، وأن حفيده سعيد بن إدريس هو الذي أسس المدينة سنة 123 هـ واتخذها عاصمة لإمارته المعروفة بإمارة بني صالح. كما ذكر في مكان آخر أن أحد حفدة صالح، واسمه أبو أيوب إسماعيل، بنى المدينة القديمة التي خربها موسى بن أبي العافية سنة 317 هـ وأدار بها السور وحصنها. أما ابن خلدون فقد نسب اختطاط المدينة لإدريس أحد حفدة صالح وذكر أنه اختطها في عدوة الوادي، أما ابنه سعيد فأكملها واتخذها عاصمة. في حين يرى صاحب الاستبصار وغيره أن نكور مدينة قديمة أزلية كانت معروفة قبل قدوم جد بني صالح إلى المنطقة. في مقابل ذلك اتفقت المصادر على أن المدينة كانت تقع على بعد خمسة أميال من البحر بين رواب وجبال قبالة مرسية والمرية ببر الأندلس، وأن لها نهرين أحدهما يعرف بنكور والآخر يعرف بغييس. وقد خصها البكري بوصف دقيق يحتفظ بالمظاهر الكبرى لهندستها، فذكر أن بها جامعاً كبيراً وأن لها أربعة أبواب، في القبلة باب سليمان وبين القبلة والجوف باب بني ورياغل وفي الغرب باب المصلى وفي الجوف باب اليهود، وأن سورها مصنوع من اللبن وحماماتها كثيرة. كما كان للمدينة أهمية كبرى في اقتصاد المنطقة من خلال أسواقها العامرة الممتدة وبساتينها الكثيرة وفواكهها الطيبة لا سيما الكمثري والرمان، وهي كثيرة خشب العرعار والأرز، وتقصدها سفن التجارة من الأندلس خاصة من مراسي المرية ومالقة.

كان لموقع المدينة وتنوع أنشطتها الاقتصادية ما شجع القادمين إليها من العرب الفاتحين على الاستقرار حتى أن صالح بن منصور الحميري قائد موسى بن نصير عندما عاد إلى المنطقة في المرة الثانية حوال سنة 92 هـ عمل على تثبيت الإسلام بين أهلها من بربر صنهاجة وغمارة بعد أن ارتد أكثرهم، ويادر إلى تعزيز استقراره بتأسيس إمارة بني صالح التي شهدت تقلبات تاريخية مهمة وعانت من مشاكل متعددة جراء النزاعات العائلية والهجمات الخارجية التي تعرضت لها المدينة، من أبرزها الغارات التي قام بها النورمانديون سنة 244 / 859 فتغلبوا عليها وانتهبوا وسوا من فيها ومكنوا بها ثمانية أيام. ثم غزاها العبيديون سنوات 305 / 917 و 308 / 920 و 323 / 935 وقتلوا بعض أمرائها واستباحوا حرمانها. وهاجمها موسى بن أبي العافية سنوات 317 / 929 و 320 / 932 وبالغ جيشه في استباحتها وهدم أسوارها وتخريب ديارها ونسف آثارها ثم

كان آخر هجوم عليها سنة 473 / 1080 على يد يوسف بن تاشفين وذلك في إطار حملاته العسكرية لفتح المناطق الشرقية من بلاد المغرب فخرجت وأنهى حكم أسرة بني صالح بها.

ويظهر من تاريخ المدينة أنها عانت من سياسة العنف الذي مارسه عليها الطامعون في موقعها وخيراتها، فكان توالي الخراب عليها وتفرق أهلها في البلاد من الأسباب الرئيسية التي ساهمت في اندراس معالمها حتى أنها لم تعمر بعد ذلك. ويفيد ابن الخطيب أنه في إحدى جولاته بالمنطقة (القرن 8 / 14) شاهد آثارها ماثلة وبقايا جدرانها شاهدة، وأنها أصبحت في زمنه مزارع لبني ورياغل. كما تحدث البوعياشي في كتابه عن حرب الريف عن آثار مدينة نكور فذكر أنها أصبحت أطلالا ومازالت رسوم سورها المحيط بها ظاهرة، وقد عثر العمال المشتغلون في تعبيد الطريق على آثار مهمة من الحيطان وأواني الخزف، كما عثر فيها على نقود ذهبية مهمة من الوجهة التاريخية.

ابن حيان، المتيسر، ج 5، مدريد، 1979؛ البكري، المغرب، باريس، 1965؛ مجهول، الاستبصار، الدار البيضاء، 1985؛ الحميري، الروض المعطار، بيروت، 1984؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، بيروت، 1983؛ ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972؛ ابن الخطيب، إعمال الأعلام، القسم الثالث، الرباط، 1964؛ ابن خلدون، العبر، ج 2، بيروت، 2000؛ نفسه، ج 7، بيروت، 1978؛ أحمد الكناسي، المدن الإسلامية المدرسة في شمال المغرب، تطوان، 1959؛ محمد الفاسي، الأعلام الجغرافية المغربية، مجلة البنية، العدد رقم 1، 1962؛ أحمد البوعياشي، حرب الريف التحريرية ومراحل النضال، ج 1، طنجة، 1974.

رشيد السلامي

نيلس Nilis مرجة في موريطانية Mauretania أو المغرب القديم. أفاد بلنيوس الأكبر أنها مرجة تغذي منابع النيل، اعتمادا على فكرة الملك يوبا الثاني. ورد في النص ما يلي: "دلت أبحاث الملك يوبا أن منابع النيل تنطلق من جبل يوجد في موريطانية السفلى، غير بعيد من المحيط (حيث يصدر وادي) سرعان ما يتحول إلى مرجة تدعى نيلس. وفيها توجد الأسماك التالية: Alabetes, coracins et silures. وقد جلب منها يوبا تمساحا كذليل على أن النيل ينبع من هناك، وقد أودعه في معبد إزيس بقصرية. حيث نشاهده حاليا. ويقال إن فيضانات النيل مرتبطة بغزارة الأمطار والثلوج التي تسقط في موريطانية. (والنهر) حينما يخرج من هذه المرجة يجري في مجالات رملية وقاحلة، إلى أن يختفي على طول عدة أيام من المشي. ثم ينهمر خارج مرجة كبيرة جدا تقع في موريطانية القيصرية في بلاد الماسيوليين. والواقع أن وفرة الأمطار التي اشتهرت بها موريطانية وجبال الأطلس جعلت القديما يبلورون فكرة مفادها أن نهر النيل ينبع من موريطانية. وأقدم خبر وصلنا في هذا الموضوع يتعلق بشخص إغريقي يدعى أتمين Eutymene من مدينة

الوسطى، ويعد حاليا من الحيوانات النادرة في المغرب حيث يتراوح عدده بين 8.10 أفراد موزعون على الريف والأطلس المتوسط. وقد كان النمر يعيش سابقا في الصحراء المغربية وفي هضاب أدرار الموريتانية وكان يتوالد في مغارات أزيلال. بعد تقلص شديد لمعظم مجموعاته في كثير من الأقطار خلال العقود الأخيرة فأصبح توزيعه الجغرافي يقتصر حاليا على القارتين الأفريقية والآسيوية.

وهو حيوان ضخم وقوي بين الأسد والنمر المخطط الآسيوي، طويل القامة وذيله طويل غزير الشعر. الفروة فاتحة في لون سفا الذرة كثيفة الشعر قصيرته ومرقطة بالسواد، تجتمع الرقطة كالحلق على الظاهر والجانبين خلافا لما في الفهد، البطن فاتح وخال من الرقطة. العفرة قصيرة على العنق والرأس قصير وعريض. الأذنان صغيرتان ودائرتان، الذيل مرقط ينتهي بحلقات سوداء، القوائم معدة للجرى والقفز وأصابعها شديدة الحركة ومزودة بمخالب مغزلية قوية ومعقوفة على شكل برائن قابلة للانقباض. تنطوي المخالب داخل أغمدة أثناء الراحة وتبرز بفضل عضلات قابضة في حالات التوتر أو الدفاع عن النفس أو الهجوم.

يتراوح وزن الكبار بين 40 و80 كيلوغراما ويبلغ طول الذكور جمعا بين الرأس والجسم 130.190 سم وطول الذيل 70.100 وطوله عند الغارب 50.70 سم. يبلغ طول الإناث 110.140 سم وطول الذيل 60.75 سم والطول عند الغارب 40.65 سم. صيغة أسنانه كالتالي: 3/3 أسنان، 1/1 أنياب، 3/2 أضراس أمامية، 1/1 أضراس = 30 سنا متكاملة تتمثل في قواطع حادة وأنياب قوية وطويلة وأضراس طاحنة أمامية قاطعة.

يصيد فريسته في بداية النهار وعند الغروب. يألف الأماكن الغابوية والعارية السهوية ويعيش منفردا أو مزدوجا أو في مجموعات أسرية صغيرة لا يتعدى عددها 6 أفراد. يتكون غذاؤه من مختلف الحيوانات اللبونة والطيور. تدوم مدة الحمل 90.105 يوما وتنجب الإناث 2.3 صغار تحرسها وتعنتي بها 15.18 شهرا وتصير بالغة بين سنتين و3 سنوات وتعمر حوالي 12 سنة. تزن الصغار عند الولادة 430.570 غراما وتفتح عينها بعد 3 أيام.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988؛ أمين المعلوف، معجم الحيوان، القاهرة، 1932.

A. Lakhdar Ghazal, J.P. Fartouat et M. Thevenot, *Faune du Maroc, Les Mammifères*, Albums didactiques, Rabat, 73 p.; S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc, Trav. Inst. Sci. Série Zoologie, n° 41*, Rabat, 1986.

محمد رضاني

النمروري، العلودي بن إسماعيل ولد حوالي 1927

بدوار أولاد أحمد بقبيلة السماعلة، دائرة وادي زم. انخرط في التنظيم المسمي "اليد المتوكل على الله" سنة 1953. ويشهادة رئيسه فوزي سعيد، "كان هذا المقاوم نشيطا في

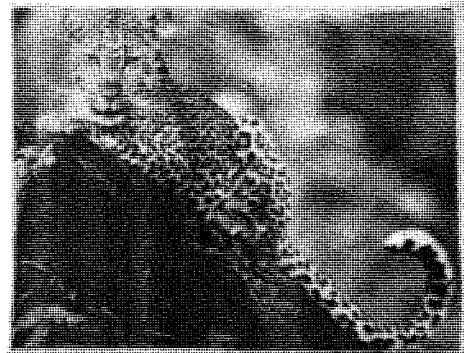
مسالية Massalia وهي مرسيلية، عاش في القرن السادس قبل الميلاد. قام الرجل برحلة حول المحيط الأطلس، وكان يعتقد أن منابع النيل تنطلق من المناطق المجاورة للمحيط. كما اهتم هيردوت بهذه المسألة دون التوصل إلى رأي واضح. ومثله فعل الفيلسوف الإغريقي أرسطو، والمهندس الروماني وترووس. ثم إن الملك يوبا الثاني الذي اشتهر ككاتب، اهتم بالموضوع معتمدا على أبحاث ميدانية وعلى مصادر من بينها الكتب البونية. واستمر الكتاب يتداولون فكرة انطلاق منابع النيل من موريطانية على أساس الاعتبارات التالية: ذوبان ثلوج جبال الأطلس في فصل الصيف، حيث تحدث فيضانات نهر النيل وتجمع مياه الأطلس في وديان ومرجات، تتسرب عبر الصحراء لتنهزم منها منابع النيل وتشابه الحيوانات النهرية بين وديان موريطانية ونهر النيل، مثل التماسيح وأفراس النهر وغيرها.

محمد مجدوب، 1998، دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، مرقونة.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924; J. Desanges, *Recherches sur l'activité des méditerranéens aux confins de l'Afrique*, dans *Collection de l'Ecole Française de Rome*, 38, 1978; Idem., *Commentaire de Pline l'Ancien, L'Histoire Naturelle*, Livre 5, 1-46, 1980, Les Belles-Lettres, Paris.

محمد مجدوب

النمر، حيوان بري لاهم من الثدييات الوحشية النشالة، عرف مضايقة شديدة من لدن الرعاة والبدو لبيع جلده الذي يتخذ منه الفراء الثمينة والمشهورة. يسمى في المغرب العربي نمر وبالأمازيغية أغيلاس وفي الصحراء المغربية قينس وكزمام وأكرزام. الصيد المحظور لهذا الحيوان وانتشار السكان والرعاة في المناطق النائية هدداه بالانقراض ولم تبق منه إلا أفراد قليلة توجد جملها في المحميات أو في حدائق الحيوانات العمومية.



يصنف في رتبة السنوريات الكبار Féliidés وفصيلة Felidae ويسمى علميا Panthera pardus (Linnaeus, 1758) وبالفرنسية Léopard و Pantherè وبالإنجليزية Leopard و Panther. حيوان محمي وموطنه على وجه الحصر المناطق الجبلية الريفية والأطلسية والهضبة

أعماله النضالية، فنجح في وضع القنابل في أماكن مختارة، وكان يوزع المناشير التحريضية ... إلى أن أُلقي عليه القبض حيث قضى بسجن فضالة مدة شهر ونصف، وقضى نصف شهر آخر بأحد المعتقلات بالدار البيضاء. وبعد إطلاق سراحه، عاد للنضال من جديد، فشارك بكل عزيمة ووطنية في انتفاضة مدينة وادي زم يوم 20 غشت 1955، حيث ثمَّ اغتياله من طرف جنود الاحتلال يوم 27 غشت 1955.

شهداء الاستقلال، الجزء الثاني، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، غشت، 1988.

نمري، طامو بنت أمبارك ولدت سنة 1907 بأولاد عمر، دائرة خريبكة. باشرت النضال الوطني ضد المستعمر بعد انضمامها للمنظمة السرية التي كان يديرها سليمان المصطفى. ساهمت إلى جانب أفراد الخلية في نشر الوعي الوطني وفي تشجيع المقاومين وتوزيع المناشير... شاركت في مظاهرة 20 غشت 1955.

توفيت سنة 1990.

المرأة المغربية في ملحمة الاستقلال والوحدة، ج 1، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، 2002.

صالح شكاك

السنس (Mustala putorius furo L.) من الثدييات اللاحمة الصغيرة - من فصيلة العرسيات (Mustelidae). طوله 38 سم جمعاً بين الرأس والجسم، يبلغ طول ذيله 14 سم وقوائمه الخلفية 4,8 سم. الشيء الذي يصور حيواناً ذا شكل طولي ومضغوط فوق قوائم جد قصيرة. رأسه منبج وعيناه صغيرتان وحظمه مدبب. يغطي جسمه شعرٌ طويل خاصة فوق الظهر. لونه أصهب كدر. لكنه يصير فاتحاً جهة الرأس إلى حد البياض الكدر مع بقعة سوداء حول العينين. يختلف الحال بالنسبة للأوروبي الموسوم بالنصوع فهو أبيض مصفر، مع دكنة جهة البطن واحمرار في العينين.



عدد أسنانه 34 فقط، بنقصان ضرس أمامي من كل جهة. الطواحن حادة وعرض الضرس العلوي أكبر من طوله وهي خاصيات تدل على ميوله الدموية.

ينقض بعنف على فرائسه من الحمام والدجاج والأرانب، يقتلها خنقا، يمتص الدم ويبتلع الدماغ. يأكل الضفادع والعظاية والثعابين. يميز الحفشات غير السامة منها بدون تردد

وينقض عليها لأول وهلة وبكل جرأة، يهشم عمودها الفقري ويأكلها. لكنه عندما يصادف الأفاعي يقترب منها بحذر ويحاول أن يسكها من وسط جسمها مستعملاً كل الحيل لتجنب أنيابها السامة. أما إذا لدغته الأفاعي فهي لا تقتله بل تتسبب في مرضه فقط.

تضع الأنثى مرتين في السنة من 5 إلى 8 أفراد وقد يصل العدد إلى 13. تبقى الصغار كفيفة لمدة أسبوعين أو ثلاث، تتكفل الأنثى خلالها بالعناية بها بكثير من الحنو.

لا يمكن القول بأنه قابل للتدجين حقيقة. كل ما هناك أن الإنسان قد استطاع استغلال ميوله الدموي لصالحه. فهو يربيه داخل صندوق أو قفص مفروش بالتبن أو الحشيش الذي يجب تجديده مرارا. كما تلزم حماية الحيوان الحبيس من البرد. وتغذيته بالخيز والحليب والبيض، على أن الوجبة المفضلة تبقى هي اللحم الطري. من الصعب جعل هذا الحيوان أليفاً والسماح له بمغادرة القفص ليتبع صاحبه مثلاً كما لو كان كلباً. فهو في الغالب بمجرد ما يفلت من سجنه، يقصد الغابة، يستولي فيها على جحر يسكنه، وسرعان ما يفقد كل علاقة كانت تربطه بالإنسان. لكن الفصل البارد يقطع دابر هذا الحيوان نظراً لحساسيته العالية لانخفاض الحرارة، باستثناء القلة قليلة منه التي تستطيع العودة إلى مكان تدجينها السابق.

وتتعدّر معرفة البيئة الطبيعية التي يقطنها في حالته المتوحشة. لقد جاء في بعض الأبحاث أن الحيوان كان يسكن إفريقيا الشمالية ومنها انطلق إلى أوروبا لكن بدون أية أدلة على ذلك. وقد ذهب بعضهم إلى الإشارة إلى أن معقله الأصلي يوجد في جبال الريف الوسطى بين شفشاون ونهر النكور.

A. Cabura, *Los Mamíferos de Marruecos*, Trabajos Mus. nas. Ciencias nat., Serv. Zool. 57 : 1 - 361, 1932 ; Menegary, *Vie des animaux illustrée : les Mammifères*, Librairie Benllière et Fols, Paris, 480-81 ; J.B. Panouse, *Les Mammifères du Maroc. Primates, carnivores et Artiodactyles*, Trav. Inst. Sci. Serv. Zool, n° 5 : 67-71.

محمد الرضاني

الشميشي، أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الشريف مولاي أحمد، فقيه علامة، صاحب مشاركة، كان يتقن الأدب والتاريخ ويقرض الشعر، ولد بفاس حوالي عام 1308، وفي عام 1326 التحق بجامعة القرويين، فأخذ عن العلامة سيدي محمد الإبراهيمي والفقهاء العلامة سيدي عبد السلام بن عبد النبي غازي والقاضي مولاي أحمد بن المامون البلغيشي وغيرهم.

وظف المترجم عدلاً بأحباس المارستان بفاس سنة 1336، ثم عين ناظراً لأحباس صفرو عام 1349، ولأحباس مدينة الجديدة وأزمور عام 1352، ثم ناظراً لأحباس المارستان بفاس عام 1359 إلى أن أعفي من ذلك عام 1375.

ويعتبر من أول من كتبوا في الجرائد والمجلات وخصوصاً جريدة "السعادة"، وله بعض التأليف منها مسامرة بعنوان : "تاريخ الشعر والشعراء بفاس"، وكتاب "تجيب المقال في ذكر من لقب بما قال". وتأليف في قضاء مدينة فاس لم يكمل ورحلة حجازية لم تتم كذلك.

توفي ليلة الثلاثاء 26 رمضان عام 1386، ودفن بقدان الغرباء خارج باب المحروق بفاس.

محمد بن الفاطمي، إسعاف الاخوان، ص. 29-33؛ عبد السلام ابن سودة، إتحاف المطالع، 2: 590؛ إدريس بن الماحي، معجم المطبوعات، ص. 348.

النميشي، محمد الفقيه العلامة المدرس، المطلع الحافظ، كان كثير التدريس والإفادة، وله اليد الطولى في النوازل والتوثيق، وهو آخر من كتب الوثيقة بالنصوص الفقهية، وكانت له شهرة بذلك، يقصده الناس. أخذ العلم عن الشيخ أحمد ابن الخياط والشيخ عبد الله بن إدريس البدرائي والشيخ عبد السلام الهواري.

توفي يوم الأحد متم ربيع الأول عام 1339، ودفن بزاوية الشيخ قاسم ابن رحمون بفاس.

عبد الهادي التازي، جامع القرويين، 3: 817؛ عبد السلام ابن سودة، إتحاف المطالع، 2: 427؛ وسل النصال، ص. 21-22. بوعبيد التركي

نهل Nuhul اسم ثان لنهر دارا Dara في المغرب القديم، الذي كان يدعى بموريطانية Paul Orose, 1, 2, 13. غير أن دوزانج يربط نهول بالاسم المشهور في جنوب غرب المغرب وهو نون ونول، ويرى أن لهذه الأسماء علاقة مع ما راج في المغرب القديم من أن منابع نهر النيل تنطلق من موريطانية (انظر مادة نليس).

محمد مجدوب، 1998، دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، مرقونة.

J. Desanges, Commentaire de Pline l'Ancien, L'Histoire Naturelle, Livre 5, 1-46, Les Belles Lettres, Paris, 1980.

محمد مجدوب

النوازل (جمع نازلة) مسائل وقضايا دينية ودينية تحدث للمسلم، ويريد أن يعرف حكم الله فيها، وهي التي يفصل فيها القضاة طبقاً للفقهاء الإسلامي. وقد نشأت النوازل والفقهاء معاً زمن الصحابة والتابعين، وعرفت كلمة واحدة بفقهاء السلف، ولم تتميز النوازل كفرع مستقل إلا بعد اكتمال التشريع الإسلامي وتدوين فقه المذاهب وإغلاق باب الاجتهاد المطلق في مطلع القرن الرابع الهجري.

عرف فقه النوازل في المذاهب كلها بحيويته وارتباطه بالأحداث الواقعة المتجددة، واستجابته لمتطلبات الناس في مختلف الظروف والبيئات، واستمر الحوار بين المفتين والقضاة والفقهاء عامة، وبذلك لم تعرف كتب النوازل الرتابة التي عرفتتها كتب الفقه الأخرى. وتوسعت كتب نوازل المالكية في المغرب الإسلامي بظهور صنف جديد إلى جانب كتب الفتاوى، أو الأسئلة والأجوبة المعتادة، نشأ عن خطة الشورى

التي بُني عليها القضاء في المغرب والأندلس، إذ كان القضاة يستفتون الفقهاء المشاورين الذين يعينهم الخليفة أو الأمير، ولا يمشون حكماً إلا بعد أخذ رأيهم، ونتج عن فتاواهم ما عرف بمسائل الأحكام.

وإذا كان من خصائص النوازل عموماً الواقعية والتجديد وتنوع التأليف والطابع المحلي، فإن نوازل المالكية بالخصوص أكثر ارتباطاً بالواقعية منذ كان الإمام مالك يستتكف عن الخوض في الفرضيات ولا يجيب إلا عن المسائل التي وقعت بالفعل. لذلك كثر التأليف في النوازل عند المالكية، وبخاصة فقهاء الغرب الإسلامي الذين التزموا بهذا المذهب منذ أخذهم روادهم عن الإمام مالك مباشرة في المدينة، واستمروا على ذلك إلى اليوم.

واشتهر بالخصوص من بين مئات كتب نوازل المغاربة موسوعتان فريدتان هما: "المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب" لأحمد بن يحيى الونشريسي الفاسي، وهو أوثق سجل لاجتهادات فقهاء هذه المنطقة طوال سبعة قرون؛ و"النوازل الجديدة الكبرى في أجوبة أهل فاس وغيرهم من البدو والقرى" أو "المعيار الجديد الجامع المغرب عن فتاوى المتأخرين من أهل المغرب" لمحمد المهدي الوزاني الفاسي.

ولهذا تعتبر هاتان الموسوعتان من أهم المصادر الأساسية التي يرجع إليها، ويعتمد عليها كل من يبحث في تاريخ تطور الفكر الإسلامي بالمغرب وإفريقية والأندلس.

محمد حجي، نظرات في النوازل الفقهية؛ ع. العزيز بنعبد الله، معلمة الفقه المالكي؛ فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية، ج 2. عبد الرحمن القباج

نوالة، نوع من السكن الريفي الذي يعتبر واحداً من المنشآت السكنية التي تطبع المجال الريفي المغربي. وهذه المنشآت مختلفة النوع والنشاط. كما أنها نتاج ثقافي، اجتماعي واقتصادي.

"النوالة" سكن كان مستعملاً ومنتشراً بكثرة بالأرياف المغربية التي تتلام وحياة البداوة والنجعة، أي يطبع جل المناطق حيث كانت تعيش كثير من القبائل الرحل أو أنصاف الرحل في السهول والهضاب الأطلنتية. كانت "النوالة" تستعمل كسكن قار لكنه يتميز بالهشاشة والهزال نظراً لنوعية المواد المستعملة في البناء ونظراً لمستوى العيش الضعيف لمستعمليه.

فمن حيث المواد الأولية المستعملة نجد القصب أو أغصان الدفلى أو أغصان الخروع، أي نباتات ليننة ورخوة يمكن تشكيلها بسهولة وهي التي تكون الهيكل. بعد إزالة القشور والأغصان الصغيرة يتم تثبيت هذه المواد في الأرض وتنسج بشكل شبكي مائل. وترتبط مناطق التقاطع بحبال من القنب التي تدعى محلياً "الشميط" أو بأشرطة من الدوم. ويتم لباس الهيكل ببقايا سوق القمح "الحصيد" والتي تدعى

والبعض يتواجد في فواصل معينة للتناسل والتكاثر أو للأكل. والتنوع الحيوي لطيور النورس في المغرب راجع لوفرة الشواطئ والبحيرات ومصبات الأنهار التي تتميز بمناخ متباين ومتنوع غني بالأسماك والقشريات. وتعتبر محمية المرجة الزرقاء الطبيعية التي تقع جنوب العرائش وضاية سيدي بوغاية والوالدية وخنفيس وشرم الداخلة وبحيرة الناظور مناطق ذات أهمية وطنية وإقليمية ودولية حيث ينتشر فيها عدد كبير من أنواع الطيور المائية البحرية التي يعيش الكثير منها بين النباتات الكثيفة. فيحلول الخريف يؤدي وجود آلاف الطيور المهاجرة إلى تحويل هذه المناطق الرطبة الساحلية إلى بانوراما رائعة من أسراب النورس والزمج في أماكن المد والجزر للاستراحة وللبحث عن الديدان والقواقع والقشريات التي يلقي بها البحر على الشواطئ.

من أهم أنواع النورس الشائعة في المغرب نورس الرنجة أو النورس الفضي. يسمى علميا *Larus argentatus* وبالفرنسية *Goéland argenté* وبالإنجليزية *Herring gull*. يبلغ طوله 56. 66 سم من المنقار إلى الذيل والطيور البالغة جميلة اللون رمادية من أعلى مشوبة بالسواد، الأجنحة سوداء بها بقع بيضاء. الصغار مبرقشة بالرمادي والبني خلال الحولين الأولين من عمرها وبهذا تختلف عن الأفراد البالغة.

النورس الكبير ذو الظهر الأسود *Larus marinus* أكبر أنواع النورس يبلغ طوله 79 سم وهو جميل المنظر، ريشه أسود فاتح على الظهر ومنقاره أحمر ولكنه قرصان شير فهو يهاجم ويقتل الطيور الصغيرة ويفترس الأسماك البحرية ويمكن اعتباره طائر الفرائس وهو شائع على السواحل المغربية طول السنة ويمكن مشاهدته بالقرب من الشواطئ. النورس الأسمر *Larus fuscus* أصغر حجما إذ لا يتعدى طوله 53 سم. ظهره رمادي أردوازي والأقدام صفراء.

النورس الصغير *Larus minutus* يبلغ طوله 30 سم فقط وهو أصغر أنواع طيور النورس وتتواجد أفراده على الشواطئ المغربية خلال الخريف ويتكاثر في أوروبا. يألف النورس المناطق الباردة والمعتدلة ويندر وجوده في المناطق الاستوائية وبعض منها مثل النورس العاجي الأبيض الجميل، يقتصر وجوده على المناطق القطبية يتكاثر بين الصخور الشاطئية الصعبة المنال وبين أعشاب البحيرات والكثبان الرملية أو الجزر الصغيرة حيث لا يزعجها أحد.

النورس من الطيور الأكثر تأقلا مع الظروف المناخية والبيئية، تبيض الأنثى من بيضتين إلى أربع بيضات في فترة أبريل إلى يونيو تبعا لنوع النورس، ويغطي صغار النورس زغب قصير عند الفقس، ويمكنها أن تتحرك خلال أيام قليلة إذا كان العش على أرض مستوية ويغذي الأبوان الصغار بمقيئ وهو طعام راجع من الحوصلة. تنمو الفراخ بسرعة ويمكنها أن تطير بعد شهر أو ستة أسابيع وفي البداية يكون لون الصغار مبرقشا باللون البني، وتمر 3 سنوات قبل أن يتم تكون الريش الدائم في الأفراد البالغة.

"بالبرومي" أو نبات البردي اليابس والذي ينبت كثيرا بالولجات بجوار المجاري المائية حيث يتم جمه ونشره ليحفظ. ويدعى البردي محليا "بشليايط" ولعل التسمية مشتقة من الشلطاء أو الشلطة لأنه يشبه السكنين في الحدة أو الأسهم الطويلة. يربط الكساء بأغصان من القصب أو الخروع أو الدفلى وتسيح "النواله" أحيانا نبات السدر اليابس حتى لا يتعرض الكساء للأكل من طرف الماشية. ونظرا لطبيعة هذا السكن كثيرا ما كان يتعرض للحريق. لذا يتم أحيانا تغطيته بالطين.

وتتخذ "النواله" أشكالا متنوعة، لكن الشكل الهندسي الغالب هو الشكل الأسطواني - المخروطي، بحيث تكون دائرية ومنتسعة بالقاعدة ومخروطة بالقامة. وكانت "النوالات" تتجمع أحيانا مشكلة دوارا يطلق عليه اسم "النوايل"، وأحيانا أخرى تكون منعزلة، وقد تكون لهذا النوع من السكن وظيفة أو عدة وظائف كالإقامة، والخزن والضيافة. وقد تكون "النواله" جزءا من سكن صلب كأن نجد دارا صلبة بجوارها نواله.

وبالعزبان التي كانت منتشرة بالشاوية أو بسهل الحوز كنا نجد بجوار سكن صاحب الملك سكنا مكونا من "نوالات" متكدة يتجمع فيها المخابرون من خدم وبيازرة مزارعين وخماسة وكلهم مرتبطون به. وهنا تعتبر "النواله" نوعا متميزا من السكن يعكس التمايز الاجتماعي والتبعية الاقتصادية.

لكن هذا النوع من السكن الذي ظل يميز المشهد الريفي خاصة بالسهول والهضاب الأطلنتية. قد تراجع كثيرا إن لم نقل قد اختفى. وذلك ارتباطا بالتحويلات السوسيوقتصادية والاستقرار البشري. وحل محله نمط جديد من السكن الصلب الذي أصبح طاغيا على المشهد الريفي.

أحمد زروال، العزيب، معلمة المغرب، ج. 18، مطابع سلا، 1424 /

2003
P. Pascon, *Etudes rurales, Idées et enquêtes sur la campagne marocaine*, S.M.E.R., Rabat, 1980 ; Types d'habitat et problèmes d'aménagement du territoire au Maroc, R.G.M., n° 13, Rabat, 1968 ; J. Le Coz, Douar et centre rural du campement au bourg, R.G.M., n° 8, 1965 ; A. Noin, Types d'habitat, R.G.M., n° 8, 1965.
أحمد زروال

النورس ، كما في المعاجم جنس طيور بحرية تألف مناطق المد والجزر لمصبات الأنهار والبحيرات والشواطئ الرملية، وبجوار المدن الساحلية وموانئ الصيد. يعلو في الجو ثم يغطس في الماء لافتراس الأسماك والقشريات ولا يقع على الجيف. يعرف في سواحل المغرب بعوا وعواوا وطائر البحر وفي سوريا ولبنان باللورنس والرورنس وفي مصر بالنورس وزمج الماء.

يصنف علميا في رتبة كفيات الأرجل وفصيلة النورسيات Laridae. منه حوالي 20 نوعا يعيشون في السواحل المغربية بعضها زائر جوال والبعض مقيم مستوطن

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988؛ أمين المعلوف، معجم الحيوان، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p.; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Elsevier, 1977, 430 p.

محمد رضاني

نوصيري، عبد الله بن محمد (أوشن) : ولد يوم 01 / 02 / 1924، بدوار أكرار / Agara بآيت إسحاق إحدى فروع قبيلة آيت أمر بحاحا الجنوبية، ونشأ في وسط عائلته ببلدته، ثم اشتغل بالفلاحة. انتقل إلى مدينة أكادير طلبا للرزق، فصار بها رجل أعمال متميزاً، أهلته مهنته لتكوين علاقات شخصية مع عدد من سكان المدينة، ولم يكن له نشاط سياسي قبل سنة 1952. غير أن نمو الوعي الوطني، وازدياد وتيرة الغليان الشعبي لدى المغاربة بسبب التصريحات والنوايا السيئة والتصرفات المناقضة لبنود معاهدة الحماية، والمضايقات والاستفزازات التي أصبح الملك محمد الخامس يتعرض لها من طرف المقيمين العامين الفرنسيين : ابتداء من سنة 1950، كل ذلك دفع بكثير من الوطنيين بأكادير إلى التفكير في الأعمال الفدائية في وقت مبكر، قبل نفي الملك سنة 1953. فانخرط عبد الله أوشن (النوصيري) في المقاومة، وعمل على تكوين خلية فدائية سماها بـ "الفرقة التحريرية"، تكونت من السادة : عبد الله أوشن (النوصيري) السالف الذكر رئيس الخلية، وزكي مولاي إدريس بن المختار المراكشي، ومحمد بن العربي الشيشاوي الملقب بـ "الفقيه"، اللذين توليا قيادة فروع الخلية، وإبراهيم بن الحاج بوسلام، وعلي باغوغ، وإبراهيم بن محمد الكنسوسي، وإبراهيم بن محمد التيوتي، وبلكو بركة بن فرجي، وعبد الرحمان السرخيني، وميلود بن بوجمعة بن محمد الملقب بـ "عود البحر".

عمل المترجم له صحبة بعض رفاقه على إبلاغ القصر الملكي بنشاطهم. واتصل بشكل خاص بولي العهد آنذاك الأمير مولاي الحسن في حي السويسي بالرباط لإخباره بنشاط الوطنيين وقرارهم ببدء العمليات المسلحة ضد الاستعمار، وذلك قبل انطلاق شرارتها الأولى بأكادير. وفي سياق ذلك، كان باشا المدينة يستدعي الوطنيين والمشتبه بهم في الانتماء إلى حزب الاستقلال أو غيره، ويحذرهم ويتوعدهم ويُرهبهم كما فعل مع السادة : قاسم بن حيون وزكي الإدريسي مولاي إدريس بن المختار، ومحمد نايت الطالب، على سبيل المثال.

وابتداء من شهر دجنبر 1952، أصبحت "الفروع الصغرى للفرقة التحريرية" جاهزة بعد توفرها على بعض الأسلحة اليدوية الخفيفة، ومتفجرات من صنع محلي، وقنيات مملوءة بالبنزين. (گوگتایل مولوتوف) .، وكمية من البارود، ومناشير، ورسائل التهديد. واشترك عبد الله أوشن

(النوصيري) مع محمد بن العربي الشيشاوي وميلود بن بوجمعة الملقب بـ "عود البحر"، في مهمة الإعداد والتخطيط، وتوزيع الأدوار والتنسيق؛ ثم بدأوا في عمليات تنفيذ الأعمال المسلحة.

وقد شنت عناصر الشرطة الفرنسية حملة واسعة النطاق بأكادير، بعد وقوع تلك العمليات، أسفرت عن اعتقال بعض عناصر الخلية السالفة الذكر، وداهمت بيوتهم ومحلات أعمالهم ووجدت فيها قنينات البنزين والمتفجرات والبارود، واستجوبت عائلاتهم. وتعلق الأمر بالسادة : إبراهيم التيوتي، وعبد الله أوشن (النوصيري)، وعبد الرحمان السرخيني وغيرهم. وقد خضعوا كلهم لاستجوابات الشرطة الفرنسية، تحت التعذيب والتنكيل والإهانات، ثم قدمتهم إلى المحكمة العسكرية بالدار البيضاء لمحاكمتهم، وسجنوا بالسجن المدني هناك منذ يوم 02 / 01 / 1953. وكان الحكم الصادر في حق عبد الله أوشن (النوصيري) هو ست سنوات سجنًا وعشرين سنة نفيًا، أمضى منها أربعًا في سجن القنيطرة. - (رقم الاعتقال : 2634) .، وأطلق سراحه يوم 23 يناير 1956، بعد عودة الملك محمد الخامس وحصول المغرب على الاستقلال.

وبعد خروجه من السجن، عاد إلى مدينة أكادير واستقر بها، وظل يمارس بها أعماله في السمسة والتجارة إلى أن وافته المنية سنة 2003.

خالد أوشن، الوعي الاجتماعي بالمقاومة الوطنية، نموذج أكادير، 1953 / 1956؛ بحث لنيل الإجازة في التاريخ 1987 بجامعة محمد الخامس بالرباط، مرقون؛ معلومات عن المقاوم المذكور بالندوية السامية لقدماء وأعضاء جيش التحرير بأكادير؛ عبد الرحيم الوردغي، المقاومة المغربية ضد الحماية الفرنسية، 1952 / 1956، دار ابن خلدون، الرباط، 1982، ص. 93؛ أحمد مجيد بن جلول، ترجمة كتاب: أيتها العدالة، يا موطن الإنسان. لمؤلفه، جان شارل لوكران، ج 1، منشورات الندوية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، 1984، ص. 63 - 83.

خالد أوشن

نوكيس شارل، 1876. 1970 سادس مقيم عام في عهد الحماية الفرنسية، وثاني كبار ضباط الجيش الفرنسي الذين أسند إليهم أمر إدارة مصالح الاستعمار بعد ليوطي وقبل جوان وكيوم وبوايي دي لاتور، جاء تعيينه على رأس الإقامة العامة في الرباط من قبل حكومة الجبهة الشعبية في شتنبر 1936 وقت كانت الحرب الأهلية الإسبانية قد اندلعت منذ شهرين وصارت غيوم الحرب العالمية الثانية تتلبد، فبدأ من الضروري أن تجمع سلطات الحماية المدنية والعسكرية في يد واحدة، ولم يكن أحد يومئذ ليتقدم على الجنرال نوكيس في ذلك نظرا لمؤهلاته العالية وخبرته بشؤون المغرب وبلوغه أعلى المراتب العسكرية.

ولد سنة 1876 في الجنوب الشرقي من فرنسا في أسرة من تلك الأسر المغمورة التي تعوض عما ينقصها من سعة

مدينة فاس في ربيع سنة 1925. ولذلك نال رتبة الجينرال، وأسندت إليه إدارة المدرسة التطبيقية للمدفعية في ضاحية باريز، ترأسها إلى أن عاد إلى المغرب سنة 1929 ليرأس الديوان العسكري للمقيم العام لوسيان سان Lucien Saint. وأثناء ذلك وضعت الخطة العامة لإتمام عمليات "الباسيفكاسيون" وتصفية ما ظلّ متمنعا من جيوب المقاومة في الأطلس الكبير وفي التخوم الصحراوية. ويرتبط ذلك بصدور ظهير 16 ماي 1930 الرامي إلى عزل القبائل الأمازيغية عن أحكام الشريعة الإسلامية. وكان نوغيس هو المسؤول عما جرى من قمع مظاهرات الحركة الوطنية المغربية الناشئة في المدن الكبرى احتجاجا على الظهير المذكور.



ولكنه عرف كيف يتملص من تلك المسؤولية بأن غادر المغرب سنة 1931 ليقود الفيلق العاشر للمشاة في باريس. على أنه سرعان ما عاد إلى إفريقيا الشمالية لقيادة الجيش التاسع عشر من الجزائر العاصمة، فتعمق اطلاعه على أحوال الشعب الجزائري في الوقت الذي انكب فيه على وضع مخطط الاستنفار العام الذي سيعمل به سنة 1939 عند اندلاع الحرب العالمية الثانية، بحيث أضحي من كبار ضباط الجيش الفرنسي، فصار عضوا من أعضاء المجلس الأعلى للحرب بعد أن رقي إلى درجة جنرال دي كور دارمي وأسند إليه أمر التفتيش العام لجيوش إفريقيا الشمالية في يونيو 1936. فلا غرابة في إقدام حكومة الجبهة الشعبية على تعيينه مقيما عاما في الرباط في صيف تلك السنة بعد أن صممت العزم على إقالة سلفه مارسيل بيوطون لأفكاره اليمينية المتطرفة ولتعاطفه الإيديولوجي مع ثورة الجنرال فرانكو المنطلقة من منطقة الحماية الإسبانية فصار من اللازم استبداله بمن يدافع عن الحماية الفرنسية في المغرب بدون هواده. ولم تجد الحكومة الشعبية الفرنسية أحسن من نوغيس الذي تردد في قبول المنصب لأنه لم يكن من أنصار الجبهة الشعبية لا من قريب ولا من بعيد ولأنه كان يخشى من

ذات اليد بالتمسك بالعقيدة الدينية والتفاني في احترام التقاليد والأعراف، فتابع الشوط الأول من دراسته في ثانوية كاثوليكية حرة التي التحق منها بمدرسة بوليتكنيك الذائعة الصيت بفضل نبوغه في الرياضيات. وفي مدرسة بوليتكنيك اختار التخصص في فنون الحرب وفي هندسة المدفعية على وجه التخصص. ولما تخرج منها سنة 1897، فإنه ألحق بشكنة منعزلة في جبال الألب، وكان ذلك بمثابة إقصاء يتعرض له أمثاله من الضباط الملتزمين بممارسة الطقوس الكنائسية والناشرين من سياسة العلمانية التي يمارسها النظام الجمهوري الحاكم. وانتهاز شارل نوغيس ذلك فرصة ليعزز معلوماته بأن انكب على دراسة القانون حتى حصل على درجة الدكتوراه في جامعة إيكس - آن - بروفانس، كما انكب على دراسة الكارطوغرافية أو فنون وضع الخرائط، فاحتاج إلى فترة من التدريب الميداني قضاه في إفريقيا الشمالية متنقلا بين تونس والجزائر قبل أن يعين بالجنوب الشرقي الجزائري تحت قيادة ليوطي في عين الصفراء، فأصبح محسوبا من "فريقه" مكلفا بوضع الخرائط الممهدة لغزو المغرب، مما جعله يتعرف على البلاد وعلى سكانها ويتشبع بمبادئ "السياسة الأهلية" الرامية إلى التستر على أساليب الإكراه في فتح البلاد المغربية بشتى أساليب المخاتلة والمخادعة. ثم إن نوغيس ألحق بالأركان العامة لقيادة جيوش الاحتلال بعد عقد الحماية وتعيين ليوطي أول مقيم عام فكان من حاشيته المقربة إلى أن اشتعلت نيران الحرب العالمية الأولى فعاد مهرولا إلى فرنسا ليشترك في العديد من المعارك في سلاح المدفعية. ولما عين ليوطي وزير للدفاع في دجنبر 1916 التحق نوغيس بديوانه. لكن التجربة سرعان ما باءت بالفشل فعاد ليوطي إلى الرباط مقيما عاما، وعاد نوغيس إلى ميادين القتال حيث أبلى البلاء الحسن ونال تنويه رؤسائه بمواهبه في الرماية ورباطة الجأش في القتال.

ويوم وضعت الحرب أوزارها التحق نوغيس بديوان ألكساندر مييران Alexandre Millerand الذي كان مندوب فرنسا العام على إقليم الألزاس واللورين المسترجع من ألمانيا. وهناك تمرس على العمل الإداري وأعجب به فتأهل ليدخل ديوان مييران المنتخب رئيسا للجمهورية سنة 1920، فانفتحت أمامه أبواب الدوائر العليا والصالونات البارزية التي تتخذ فيها كثير من القرارات الحاسمة. وهكذا تمكن سنة 1921 من الاقتسار بنبت الوزير تيسوفيل ديلكاسي Théophile Delcassé فازدادت قدما رسوخاً وسط أولي الحل والعقد وخاصة منها الأوساط المنتهجة لقضايا الاستعمار اضطر مييران إلى الاستقالة من رئاسة الجمهورية، فإن نوغيس عاد إلى المغرب ليقف إلى جانب أستاذه ليوطي في قمع الثورة الريفية، قائدا لبعض فرق جيش الاحتلال على جبهة وادي ورغة. وقد اعترف المقيم العام تيودور ستيك Théodore Steeg، خلف ليوطي في الإقامة العامة ذات مرة، بأن نوغيس هو الذي حال بين مجاهدي الريف وبين أن يدخلوا

الشعارات التحررية لليسار الفرنسي. لكنه قبل عندما تأكد أن القاسم المشترك الوحيد الذي يجمع بينه وبين حكومة ليون بلوم Léon Blum هو دعم الحماية الفرنسية في المغرب في تلك الأثناء والدفاع عنها بكل الوسائل، وقد اشترط أن لا تتخذ الحكومة أدنى قرار يتصل بشؤون المغرب إلا بعد التشاور معه. وهكذا حلّ مقيما عاما في الرباط في منتصف شتنبر 1936 ليمتد حكمه إلى يونيو 1943، مدة تناهز سبع سنوات بلغت فيها الحماية الفرنسية أوج نفوذها بفضل ما أبداه الجنرال نوغييس من قدرة على اجتياز جلّ الحواجز وركوب أعلى الأمواج والصمود للعواصف المتلاحقة التي تميزت بها تلك السنوات.

وأول ما اصطدم به هو انتقال المقاومة الوطنية من الجبال والبوادي إلى المدن والتجمعات الحضرية، إذ كانت الجيوش الفرنسية قد استطاعت تطويع آخر معاقل المقاومة المسلحة في الأعراس سنة 1934. بيد أن تلك السنة هي بالضبط سنة تقديم برنامج الإصلاح من قبل كتلة العمل الوطني التي صارت صفوفها تنتظم وتزداد ثباتا وإقداما بما كان من الفوز في معاركها ضدا على الظهير البربري وبما صار لها من الدوي في الجماهير الشعبية التي أبان أول إحصاء رسمي للسكان سنة 1936 أن أعدادهم فاقت ستة ملايين نسمة فهي في تزايد مطرد وفي قلق كبير بسبب ما تعاقب على المغرب من السنوات العجاف ففر الناس من البوادي نحو المدن محتشدين في ضواحيها في سكن عشوائي مهمش، معززين صفوف الحركة الوطنية ومشجعين إياها على المزيد من الكفاح. فكان على نوغييس أن يواجه المظاهرات الوطنية الجماهيرية أسابيع معدودة بعد حلوله بالإقامة العامة، فأمر بإلقاء القبض على من خرج من الزعماء يتظاهر في الشوارع مع المتظاهرين، ثم ما لبث أن أطلق سراحهم ليعود إلى سياسة القمع بعد أن تشكل الحزبان الوطني بقيادة علال الفاسي والقومي بقيادة محمد بن الحسن الوزاني في ربيع سنة 1937 التي كانت فيها ذروة القحط والمجاعة، واندلعت فيها جراء ذلك مظاهرات مكناس في شهر شتنبر بسبب ما اتخذته السلطات المحلية من التدابير لمعالجة ندرة المياه، وجراء القمع البشع للمظاهرات التي قتل فيها من قتل وجرح الكثير وسيقت الوجوه الوطنية البارزة إلى السجن، وفي مقدمتهم علال الفاسي الذي نفى إلى الكابون ومحمد بن الحسن الوزاني الذي نفى إلى أسا في التخوم الصحراوية. وكان من دهاء نوغييس أنه لفّ أعمال القمع تلك في سلسلة من التدابير السياسية التي سرعان ما أطفأت نيران الغضب الشعبي في المدن، منها إبداء العناية بالحرفيين وتخفيف العبء الجبائي عنهم والعناية بالسكن السليم للجماهير العمالية في كبريات المدن، ومنها في البوادي وضع برنامج متكامل لبناء السدود للتحكم في عدم انتظام الأمطار وفي قضايا الري. وكان من دهائه أيضا إدراكه لحظر ما جرى في مطلع الثلاثينيات من التقارب بين السلطان الشاب سيدي

محمد بن يوسف وبين زعماء الحركة الوطنية الذين كان جلهم من سنه. وقد استفاد نوغييس مما ألمّ بالعاهل من المتاعب الصحية في نهاية 1937 وبداية 1938 ليحاول نيل تأييده لما كان يتخذ من القرارات، لا سيما وأن السنوات العجاف انتهت وعادت الظرفية الاقتصادية إلى ما هو أحسن فاشتغلت الجماهير بأسباب الرزق.

واستطاع نوغييس أيضا التغلب على قلق الجالية الاستعمارية المتمثل في غليان كبار العمرين من جهة اليمين وفي تحركات فروع الأحزاب اليسارية الفرنسية في البلاد المركبة من نخبة عمالية مقتدرة كثيفة الصفوف. فمن جهة العمرين لم يجد كبير عناء في إنسانتهم حكم سلفه في الإقامة العامة مارسيل بيروتون بما أبداه من التعاطف معهم ومن القدرة على قمع الحركة الوطنية وشعب الجماهير، وذلك في أقل من سنة بعد تعيينه، واستصداره لظهير يحرم العمال المغاربة من التكتل النقابي. أما من جهة النقابات وفروع الأحزاب الفرنسية اليسارية، فإنه ذكرها بمنطق من لا يقبل الجدل بأن المغرب ليس هو فرنسا، وأن ممارسة نشاطاتها ونضالاتها والتلويح بشعاراتها الطبقية في المغرب فيه مسّ بالوجود الفرنسي جملة وتفصيلا، فلا مناص من التفتن لذلك ومن التذكر بأن الجالية الأوربية أقلية قليلة وسط الجماهير المغربية المتنامية، وأن سر بقائها والحفاظ على مصالحها يقتضي التبصر ووحدة الصف والالتفاف حول قائدها الطبيعي الذي هو المقيم العام دون سواه. وهكذا وجدت الأوساط الاستعمارية في نوغييس "الشاف" أو القائد الذي ظلت تنتظره منذ استقالة ليوطي سنة 1925.

وتصدى كذلك لما صار يحرق بمنطقة الحماية الفرنسية من المخاطر من جهة منطقة الحماية الإسبانية بعد انتصار التمرد العسكري بقيادة الجنرال فرانكو على النظام الجمهوري في بلاده واعتماده من أجل ذلك على مساعدة الديكتاتوريتين الطالينانية والألمانية، مما فتح الباب مجددا أمام الألمان للتجسس على خصومهم الفرنسيين ومحاولة النيل من نفوذهم في المغرب خاصة وفي إفريقيا الشمالية بصفة أعم للتشويش على تحركات الأساطيل الفرنسية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط. وبلغت العلاقات بين المنطقتين درجة من التوتر والحدة في طليعة سنة 1937 أنذرت باشتغال نيران الحرب بين الجانبين، لولا أن الجانب الإسباني كان عاجزا وراغبا عن فتح جبهة حربية أجنبية وهو في خضم الحرب الأهلية. ونال بذلك نوغييس مزيدا من السمعة والتألق. ثم لما اندلعت الحرب العالمية الثانية في شتنبر 1939، فإن القيادة العليا للجيوش الفرنسية المرابطة في شمال إفريقيا أسندت على التو إلى نوغييس. ولكن ما أن دخلت الجيوش الألمانية غازية إلى العاصمة الفرنسية دون كبير عناء في ربيع 1940 حتى سقطت الحكومة الفرنسية الشرعية وقام مقامها ديكتاتورية المارشال بيتان Pétain الذي بادر إلى إبرام الهدنة مع نظيره الألماني هيتلر Hitler، فوجد نوغييس

نفسه في زويدة ظل يقاومها بكل ما أوتي من مكر ودهاء إلى أن اضطر إلى اللجوء إلى البرتغال فرارا من الجنرال ديكول De Gaulle ، ذلك بأنه انحاز في يونيو 1940 للمارشال بيتان واستهان بديكول معتبرا إياه دمية في قبضة إنكلترا. وكان هاجس نوغييس الوحيد هو أن يبقى المغرب في قبضة فرنسا، فانبرى يحميه من كل الأطماع المنافسة ليقينه أن انهزام فرنسا لن يزيد تلك الأطماع إلا جرأة وتكالبا، سواء في ذلك إنجلترا ومن ورائها الولايات المتحدة الأمريكية، أو ألمانيا التي كان يرى أنها لا ترمي من خلال الهدنة سوى للحلول محل فرنسا في إفريقيا الشمالية. وصار نوغييس بخطة متناقضة يجمال الأطراف المتنازعة في الظاهر ويقاومها ويعرقل مخططاتها في الخفاء. مما جعل الجميع يقف على حذر منه ويتوجس خيفة من مكره وحيله. فقد رامت حكومة المارشال بيتان التخلص منه في صيف 1940. لكنه عرف كيف يتجنب غضبها فانتمت منه بأن عينت مكانه الجنرال فيكان Weygand قائدا للجيش الفرنسية في شمال إفريقيا بحيث انحصرت سلطة نوغييس عند مسؤوليات المقيم العام في الرباط. ثم صارت الضغوط الأمريكية تشتد في المغرب بسبب حاجة الأسواق المغربية إلى البضائع الأمريكية وخاصة منها النفط الذي كان نوغييس في أمس الحاجة إليه ليوهم المغاربة بأن فرنسا لا تزال هم مصدر الخير والرواج، وأيضا بسبب الاستعداد لنزول الجيوش الأمريكية على الشواطئ المغربية، وقد جرى في النصف الأول من نونبر 1942 دون أن يتم إشعار نوغييس به فكان مفاجأة غير سارة حاول مقاومتها كما حاول عيثا إرغام السلطان على مغادرة الرباط للتحصن والتترس بفاس. لكن السلطان رفض ذلك مثلما رفض لنوغييس أن يطبق في المغرب ما أقرته حكومة المارشال بيتان من القوانين المعادية لليهود. والحالة هذه فإن نوغييس لم يعد يتحكم في ما يجري في المغرب منذ خريف 1942 ، ذلك بأنه وقف كالمترجم في مؤتمر أنفا وفي لقاء العاهل المغربي بالرئيس فرانكلين روزفلت (يناير 1942). كما عجز عن القيام بأي دور بناء في السباق على الحكم بين الجنرالين دي كول بصفة كونه ممثل المقاومة الشعبية الفرنسية وجيرو Giraud بصفة كونه مرشح الأمريكان الذين كانوا نافرين كل النفور من ديكول، مثلما كان نوغييس نافرا منه. فلما مالت الكفة لصالح الجنرال ديكول لقيادة حكومة فرنسا الحرة كما كان يقال، فإن أول ما أقدم عليه من القرارات هو عزل نوغييس من الإقامة العامة في الرباط، مطالبا بمحاكمته بتهمة الخيانة والامتناع عن مقاومة العدو الألماني. فاضطر نوغييس إلى الفرار إلى البرتغال، قائلا في خطبة الوداع: "المرء زائل ويبقى المغرب وفرنسا". وقد حكم عليه غيابيا بعد الحرب بعشرين سنة من الأشغال الشاقة. لكنه منح السراح المؤقت سنة 1954. وحاولت الحكومة الفرنسية الاستعانة به في فك الأزمة مع محمد الخامس في شهر شتنبر

1955 ، ثم منح العفو الشامل بعد عودة الجنرال دي كول إلى فرنسا ليقضي آخر السنوات من حياته الممتدة في تمام الإهمال والنسيان إلا ما كان من الملك الحسن الثاني الذي ظل يأمر بتفقد أحواله حتى إذا وافاه الأجل المحتوم كان ممثل المغرب في باريس هو الشخصية الرسمية الوحيدة التي حضرت الجنازة.

علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، طنجة، 1947 : محمد بن الحسن الوزاني، حياة وجهاد، الدار البيضاء، 1982 هوسنطن وليام، الحماية الفرنسية بالمغرب بين الأوج والأفول تحت قيادة الجنرال نوغييس، 1936 - 1943 تعريب إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب، الرباط، 2001.

Ch.-A Julien, *Le Maroc face aux impérialismes 1415-1956*, Ed. Jeune Afrique, 1978.

إبراهيم بوطالب

نومر (أولاد -) (قبيلة)، النسبة إليهم النومري، اسم يطلق على قبيلة عربية تستوطن جزءا من سهل سوس جنوب وادي والغاس (ماسة). يحدها شمالا : ماسة، جنوبا : الحتابيب، غربا : المحيط الأطلسي، شرقا : المعدر. وإذا قارنا المجال الترابي للقبيلة كما حدده وثيقة الحيازة المؤرخة بتاريخ 1197 / 82 - 1783 بالوضعية الحالية، فمن الواضح أنه عرف تقلصا واضحا.

ما تتوفر عليه لمقاربة أهل ونسب أولاد نومر، عبارة عن وثيقة بدون تاريخ، تتضمن ما تحتفظ به الذاكرة الجماعية من أن النومريين ينتسبون إلى همام المدعو النومر بن عامر الهامل المكنى بأبي السباع من زوجته الثانية وهي من إيدواوسمال. لذا فهم فرع لقبيلة أولاد بوسيع.

لا تتوفر على معطيات تسمح بتحديد تاريخ وظروف استقرارهم، بيد أن ما تتداوله الروايات، أن مواطنهم كانت بوادي نون، وكانوا يرتحلون بين الصحراء وبسيط سوس للانتجاع. وقد تمكن عدد منهم من الاستقرار في بداية الأمر بمنطقة عكريان قبل الانتقال إلى مستقرهم الحالي. وتباين في هذا الصدد، الروايات في تفسير دواعي هذا الاستقرار، فمنها ما يربط ذلك بفترة الفوضى التي سادت المنطقة مع نهاية حكم الدولة المرينية، ارتباطا بالخطة التي نهجتها هذه الأخيرة في تعاملها مع بسيط سوس، حيث اقتطعت مجالات تربية لبعض القبائل العربية. وثمة أخرى تربط ذلك بتداعيات مشاركة السباعيين في حركة الجهاد خاصة بالسواحل الأطلسية الجنوبية، مما مهد السبيل لاستقرارهم بالمنطقة. كما لا تستبعد روايات أخرى، كون السلطان مولاي إسماعيل هو من أنزلهم بسوس واقتطع لهم الأراضي التي يستقرون بها، بعد فترة وجيزة من قضاة على تمرد أحمد بن محرز الذي احتضى مدة من الزمن بجبال جزولة. لذا يستبعد أن يكون هذا الإنعام مرتبطا بضرورة ضمان التحكم في ممر استراتيجي جنوب وادي والغاس، خاصة إذا علمنا أن

"تابريدا" أو مسلك القوافل التجارية الساحلي يمر بتراب أولاد نومر.

مهما يكن من أمر، فإن النوميديين "عمرنا جميع ما احتوت عليه الحدود الأربعة، بجميع أنواع العمارة كلها من الحث والحصاد والبنيان وحفر الآبار وقطع الهرجان والدغموس... وغرس الأشجار المنتفع بها، ورعي الغنم وسائر البهائم" (وثيقة مؤرخة بتاريخ أوائل ذي القعدة 1197) وأن القبائل المحيطة بهم تشهد بصحة تلك الحياة. وقد جد لهم الأمير محمد بن عبد الله بإيعاز من والده، ملكية مستقرهم. وحظي النوميديون بالتفاتة من قبل سلاطين الدولة العلوية، حيث أنعم عليهم بمجموعة من ظواهر التوقير والاحترام، وأُسقطت عنهم المغارم والكلف المخزنية. لهذا كان تراب أولاد نومر، شأنه في ذلك شأن جيرانهم الخنايب، في مأمن من الصراعات رغم انضوائها تحت مظلة قبيلة المعدر. ولم تسجل الروايات إلا ما كان يجمعها مع الخنايب من مناوشات ظرفية مرتبطة أساسا بخلافات حول الأرض.

تتميز القبيلة بتنوع مكوناتها رغم انتمائها إلى جد مشترك، لهذا نجد الأفاذ الأصلية (أهل البودراري، مبارك بن الطالب، عيرش، حمدي سعيد، سيدي مبارك، علي بن حميدة، بن الحسين، العبل، بن الخاضير)، وانضافت إليها فصائل أخرى ذخيلة (أهل حميدة، حميتي، البلال، الداخيم، الناجم، بوستة، بلعسري، موسى، موسى، بوذا، بكاس...). ولقد أصبح عنصر الانتماء إلى جد مشترك والانتساب إلى الأدرسة عاملا موحدا وباعثا على نسج علاقات مستمرة مع باقي الفصائل السباعية المستقرة بالصحراء وحوز مراكش. تتكلم دواوير أولاد نومر العربية الدارجة، كما يتقن سكانها التخاطب بلهجة تاشلحيت بسبب الجوار والتمازج.

وثائق محلية؛ تحريات ميدانية؛ عبد الله السباعي، الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع، 1986، ص. 33-43، ظواهر مخزنية؛ معلمة المغرب، ص. 1711.

أحمد بومزكو

نوميديّة والمغرب القديم، يمكن أن نتبع علاقة أهل نوميديّة Numidia أو الجزائر حاليا، بأهل موريطانية Mauretania أو المغرب القديم خلال عهد ملوك البلدين، ابتداء من أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، حيث قامت في نوميديّة مملكتان يُعرف رعاياها بالماسوليّين Masyles الذين حكموا شرق البلاد، وعاصمتهم هي كيرتا Cirta، والماسيسوليّين Masaesyles الذين حكموا غربها، وعاصمتهم سيگا Siga. ومجال نوميديّة ينتهي غربا بوادي ملوكة Mulucha، الذي كان حدا فاصلا بين الماسيسوليّين والملوك الموريين. وفي الشرق فإن مجال نوميديّة يتصل بالإقليم الذي كان خاضعا لقرطاجة في بلاد تونس الحالية. وأما العلاقة بين أهل نوميديّة وأهل المغرب القديم فإن النصوص تسمح فقط

بمتبع جانبيها السياسي، من خلال مواقف الملوك الموريين من الملوك النوميديين.

أول موقف يتعلق بمساعدة الموريين للملك الماسيسولي سيفاكس Syphax سنة 213 قبل الميلاد، لما هاجمه الملك الماسوليّ غايا Gaia بدعم من قرطاجة. وفي ظروف مماثلة نقف على حاجة الأمير الماسوليّ مسنيسا Massinissa إلى مساعدة الموريين سنة 206 قبل الميلاد في استرجاع مملكة والده غايا التي انتزعها سيفاكس بموافقة قرطاجة، بعدما تنكرت للدور الإيجابي الذي التزمه غايا، حينما قدم لها مساعدة عسكرية في الحرب البونية الثانية، وكلف ابنه مسنيس بقيادة الجنود الذين وضعهم تحت تصرف القرطاجيين في إسبانية. ففي هذه الظروف حكم الملك الموري باگا Baga. وكل ما نعرفه عن عهده مستمد من خبر وحيد أشار إلى استجابته لمساندة مسنيسا، وقدم له أربعة ألف محارب رافقوه في طريق العودة إلى بلاده، لمواجهة خصومه السياسيين من الماسيسوليّين والقرطاجيين. ولقد اشترط باگا أن يعود رجاله بمجرد وصول مسنيسا. قال تيتوس في هذا الصدد: "لما علم مسنيسا بوفاة عمه وابن عمه الشقيق، عبر من إسبانيا إلى موريطانية حيث يحكم باگا على الموريين. وبعدما بالغ في التوسل إليه لطلب المساعدة، أمده بأربعة ألف من الموريين لمراقبته في الطريق فقط، ولم يوافق على مشاركتهم في الحرب. انطلق مسنيسا مع الموريين، وبعث رسالة إلى أصدقائه والده وإلى أنصاره هو. ولما وصل إلى حدود مملكته، وجد فقط حوالي خمسمائة نوميدي في استقباله. وحينئذ عاد الموريون إلى ملكهم كما تم الاتفاق على ذلك، برغم أن القوات التي التحقت به كانت أقل مما توقع، ولا تكفي للمهمة التي جاء من أجلها".

المعروف أن المهمة التي ذهب مسنيسا من أجلها إلى نوميديّة هي مواجهة سيفكس والمشاركة في حملة سكيبو Scipio على قرطاجة في أواخر الحرب البونية الثانية. والنص السالف ذكره يوحي بأن مسنيسا طلب من باگا مساعدته في هذه المهمة. والغالب أن الأمير الماسوليّ عرض على الملك الموري أيضا التحالف مع الرومان، فرفض ذلك رفضا باتا، برغم إلحاح وتوسل مسنيسا كما ورد في النص. ويبدو أن الملك الموري استجاب لحد أدنى من مساعدة الأمير النوميدي نظرا لعدالة قضيته، وذلك بتأمين وصوله إلى بلاده التي سلبها سيفكس. وتأكيد المؤرخ على أن الموريين عادوا إلى ملكهم حسب الاتفاق، يدل على رفض الملك الموري لأي شكل من أشكال المشاركة الرسمية في الصراع القرطاجي الروماني، الذي صار مسنيسا متورطا فيه.

وأيا ما كان الحال، فالواضح أن هذه المساعدات المورية للجيران النوميديين، تنعكس سلبيا على الأهداف التوسعية لقرطاجة، ولا ريب في أن هذه المواقف المورية تمثل مقاومة وتصديا لتطلعات القرطاجيين إلى فرض هيمنتهم على الملوك الأفارقة. ولما احتد الصراع القرطاجي الروماني تورط الملوك

النومديون في الحرب البونية الثانية. وعلى العكس من ذلك، ليس هناك نص صريح يفيد أن ملوك المورين تدخلوا في هذا الصراع. وبعد ذلك نجد نوعا من الانسجام في جو من العلاقات الاقتصادية بين المورين والنوميديين في عهد ماسينيسا، الذي انفرد بحكم نوميديا بعد القضاء على مملكة الماسيسيليين. وهذا الانسجام توحي به قطع نقدية لماسينيسا تم العثور عليها في بعض المواقع الأثرية بالمغرب. وقطع من أمفورات الأقواس المورية 2-3، Kouass، التي تم العثور عليها في بعض المواقع الأثرية بالجزائر. وربما دامت هذه العلاقة في عهد ماسينيسا حتى وفاته سنة 148 قبل الميلاد. ثم في عهد ابنه ميكبسا Micipsa المتوفى سنة 118 قبل الميلاد.

وأما العلاقات السياسية فإن النصوص التاريخية أفصحت عنها بمناسبة حرب يوغرطة. وحينئذ نجد العلاقة مستوترة بين الملك الموري بكوس Bocchus الأول والملك النوميدي يوغرطة Iugurtha، برغم أن هذا الأخير كان قد تزوج ابنة بكوس. وهدفه من هذا الزواج هو ضمان ولاء المورين إلى صفه، وهو يتطلع إلى الانفراد بحكم نوميديا، خصوصا وأن رعايا الملك بكوس كانوا يرفضون التعامل مع الرومان. وهذا ما جعل يوغرطة يراهن على مناصرتهم لقصيته. غير أن ذلك أغضب بكوس، فشن هجوما على يوغرطة وانتزع منه مجالا تريبايا في غرب نوميديا، ظل الملك متشبثا به في محاججته للرومان لما تفاوض معهم خلال حرب يوغرطة. قال سالوست ما يلي: "فأجاب بكوس بكلام مسالم ثم أضاف كلمات دافع بها عن نفسه فقال إذا كان قد حمل السلاح، فلم يكن ذلك عن عداة للرومانيين، بل كان حماية لمملكته، وأن القسم من نوميديا الذي طرد عنه يوغرطة بقوة السلاح قد أصبح ملكا له بحق الاستيلاء، وأنه لم يقدر على رؤية ماريوس يعيث به مفسدا، وزيادة على ذلك فإن السفراء الذين سبق أن بعثهم يطلبون صداقة رومة قد صرفوا عنها بهوان. وأخيرا فإنه لا يتوقف عند الماضي وأنه سيبعث بسفارة جديدة إلى مجلس الشيوخ إذا أذن له ماريوس في ذلك".

ورغم ذلك بقي ليوغرطة أنصار من بين المورين، وهم الذين أثروا على الملك لإعلان التحالف مع يوغرطة. قال عنه سالوست في هذا الصدد: "فقد قدم الهدايا العظيمة والوعود التي هي أعظم منها واجتذب إليه خواص مستشاري الملك بكوس. ويمعونتهم أخذ يداخل الملك نفسه ويحضه على إعلان الحرب على الرومانيين. فنجح فيما أراد، خصوصا وأن بكوس عند بداية الحرب ضد يوغرطة كان قد بعث إلى رومة وقدما يطلب عقد حلف. ولكن برغم ما كان يلوح على المذاكرات من فوائد لنا في هذه الحرب، فإنها قد أخفقت بسبب دسائس بعض الرجال الذين أعمتهم الأطماع واعتادوا أن يستفيدوا الأموال من كل شيء، مما هو حسن ومما هو قبيح. وزيادة على هذا فإن يوغرطة قد تزوج بنت بكوس.

والحق أن هذا الرباط لا يعتد به عند النوميديين والمورين. إذ أن لكل واحد - حسب موارده - عدة نساء، فليعضهم عشرة، وللآخرين أكثر وللملوك أكثر وأكثر. ولذلك يُفقد التعاطف في هذه الكثرة. وليس لواحدة منهن المكانة التي للقرينة الحقيقية، وإنما كلهن محقرات على السواء".

ويواصل الكاتب حديثه عن علاقة الملكين قائلا: "واجتمع الجيشان إذن في مكان اتفق عليه الملكان. وبعد أن حلفا الأيمان أوقد يوغرطة حمية بكوس فقال إن الرومانيين شعب ظالم لا حد لأطماعه وهو عدو لجميع الجنس الإنساني. ينتحلون لمحاربة النوع الإنساني نفس العلل التي سلحت أيديهم لمحاربتهم هو وكثير من الأمم الأخرى. تلك العلل هي حاجتهم للسيطرة التي جعلت منهم أعداء لجميع الدول. فالיום هم العدو وبالأمر كان القرطاجيون والملك برسي Persée وفي الغد سيكون عدوا كل من يرويه أغنى من غيره". وبعد عدد من الخطب الماثلة قرر الملك أن يزحف على كيرتة Cirta، الموقع الذي جعل به ميتلوس Metellus غنائمه وأساراه وأمتعته. وهكذا كان يوغرطة يرى أنهما إما أن يستوليا على المدينة، وفي ذلك تعويض لهما على أتعابهما، وإما أن يستطيعا الاشتباك في المعركة ضد القائد الروماني إذا هب لنجدة حلفائه. ذلك أن النوميدي المحتال لم يكن يسرع إلا لأمر واحد، وهو أن يدفع بكوساً إلى القطيعة العلنية، خوفا من أن هذا الأمير من طول ما انتظر، قد يفضل أي حل آخر غير الحرب".

ولما علم القائد ميتلوس بتحالف الملكين قرر التريث، خصوصا لما علم أن القيادة آلت لماريوس Marius في رومة. وشرح سالوست موقف ميتلوس قائلا: "وتوقفت استعداداته بسبب حنقه. فصار يرى من الجنون أن يعرض بنفسه في قضية لم تعد تعنيه. فبعث إلى بكوس وفدا يدعوه إلى أن لا يجاهر الشعب الروماني بالعداء بدون سبب، وأن لديه الآن فرصة حسنة ليرتبط معه بمعاهدة تحالف وصداقة أجدى عليه من الحرب. وأيا ما كانت ثقته في قواته، فيجب أن لا يغامر بما هو متأكد في سبيل المشكوك فيه. وزاد قائلا إن الحرب يسهل الدخول فيها ولكن الأصعب هو إنهاؤها، وليس دائما في مقدور المرء أن يبدأها وأن يتمها هو. وأن المبادأة بها في متناول كل إنسان ولو كان جباناً. أما وقفها فمتعلق بإرادة الغالب. فعليه إذن أن يعتبر مصلحته ومصلحة مملكته. وأن لا يربط حظه السعيد بحالة يوغرطة اليائسة. فأجاب الملك على هذه الإنذارات بلهجة معتدلة قائلا إنه يود السلم، ولكنه يشفق على يوغرطة بما هو فيه. فإذا منح لهذا الأمير ما يمنحه له، فسيسهل الاتفاق على جميع النقط. وجوابا على هذا بعث القائد إلى بكوس ببعض المقترحات. فقبل الملك منها بعضا ورفض البعض. وهكذا مر الزمان في رسائل تُبعث وتُرد عليها. بينما الحرب - كما أراد ميتلوس - تُؤخر ولا يُشرع فيها".

وبعد ذلك تكلف ماريوس بقيادة الجيش الروماني، وألحق

هزائم بقوات يوغرطة، خاصة بعدما استولى على مدينة كبسا Capsa. وحينئذ أخبرنا سالوست بمناشدة يوغرطة لبكوس كي يَنْصُمَ إليه لمواجهة ماريوس. قال الكاتب : "أضاع إذن يوغرطة مواقع حصينة أخرى ثمينة بالنسبة إليه، كما فقد قسما كبيرا من كتوزه. فبعث إلى بكوس يروجوه أن يسرع بالقدوم مع جيوشه إلى نوميديا لأن وقت خوض المعارك قد حل. ولكنه لما علم بترده، وأنه يحصي فوائد السلم والحرب ولا يستطيع أن يبت في الأمر، اشترى خواص الملك بالهدايا، ووعد الملك الموري نفسه بثالث نوميديا إن وقع طرد الرومانيين عن إفريقية أو إذا ترك له عقد الصلح ملكته سالمة. وأغرقت هذه الوعود بكوس، فوافى يوغرطة بجموع كثيرة من الرجال، ولما اجتمع الجيشان قصدا ماريوس الذي كان متجها إلى معسكرات الشتاء، فانقضا عليه حين لم يبق من النهار سوى عشره، مؤملين أن الليل القريب سيحجمهما إذا اندحرا، وأنه لم يضايقهما في شيء إذا غلبا نظرا لمعرفتهما للبلاد. أما الرومانيون فعلى النقيض من ذلك، يجعلهم الظلام في كلتا الحالتين في موقف أكثر صعوبة. وهكذا ففي الوقت الذي كانت فيه الأنباء ترد على ماريوس من مختلف الجهات تعلمه بوصول الأعداء، كان هؤلاء قد وقعوا عليه فعلا. وقبل أن يتمكن الجيش من أخذ صفوفه للمعركة، بل قبل أن يجمع الأمتعة، وباختصار قبل أن تصله أي إشارة أو أمر، أغار عليه الفرسان الموريون والجيتوليين بغير صفوف مسوأة ولا طريقة محكمة. وإنما كان الهجوم بجماعات تكونت حسبما اتفق. ورغم من الاضطراب الذي أحدثته هذا الخطر المفاجئ، فإن الرومانيين لم ينسوا شجاعتهم. فبعضهم حملوا أسلحتهم أو حموا رفاقهم الذين كانوا يتسلحون، وبعضهم امتطوا خيولهم وقصدوا العدو، حتى إن الحرب شبعت غارة قطاع الطريق لا معركة منظمة. فلا صفوف ولا أعلام، وإنما اختلط الفرسان بالمشاة. فبعض يتقهقر وآخرون يقتلون، وبينما عدد كبير يقاوم العدو من أمام مقاومة شديدة، إذا بهم يجدون أنفسهم وقد أحيط بهم من خلف. فلم تكف القيمة ولا الأسلحة لحماية أصحابها، لأن الأعداء كانوا أكثر عددا، وكانوا منتشرين بكل مكان. وأخيرا فإن قدماء الجنود الذين أكسبتهم سنهم خبرة حرب، وكذلك الجنود الجدد، كونوا الرحي حيثما جمعهم الميدان أو الصدفة. ويفضل هذه المناورة التي تمكنهم في أن واحد من صيانة أنفسهم، ومن أن يكونوا في جميع الجهات، واجهوا هجمات العدو من غير صف".

ويفيد الكاتب أن ماريوس انقض على جنود الملكين لما تمكن منهم النوم، موضحا ما يلي : "اطمأن ماريوس أشد ما يكون الاطمئنان لغفلة العدو، فأصدر أمره بالمحافظة على الصمت التام. ومنع حتى نافخي الأبواق من تقسيم الليل لتغيير الحراس كما هي العادة. وعند بزوغ ضوء الصباح، حين كان الأعداء قد حطهم التعب واستأثر بهم النعاس، أمر فجأة الحراس وأبواق الفرق والكوكبات والفيالق أن يزعقوا

بإشاراتهم جميعا دفعة واحدة. كما أمر الجنود أن يصرخوا صراخهم الحربي وأن يندفعوا إلى خارج الأبواب : فاستفاق الموريون والجيتوليون مذعورين من هذا الضجيج المجهول المرعب. ولم يقدر على الفرار ولا على حمل أسلحتهم، ولا على فعل أي شيء، لأن اللغظ والصراخ وفقدان النجدة والهجوم العنيف من جانب رجالنا والهياج والخوف، كل ذلك أغرق الأعداء في ذعر قريب من الجنون. وأخيرا صدوا جميعا وأخذ أكثرهم أسلحتهم وإشاراتهم. وقُتل منهم في هذه المعركة أكثر مما قتل في جميع المعارك السابقة، لأن النوم ثم الفزع المباغت عرقلهم عن الفرار.

ثم تحدث الكاتب عن المعركة الثانية التي خاضها الملكان معا ضد ماريوس وهو متجه إلى كيرتا، وذلك بعد مرور أربعة أيام على المعركة الأولى. وبعد سرد بعض وقائع هذه المعركة، أفاد بما يلي : "وقع صولا Sulla على جناح الموزين، أثناء عودته بعد القضاء على الخصوم، فتراجع بكوس بسرعة، وأراد يوغرطة أن يساند جنوده وأن يحافظ على انتصار كاد يكون محققا. ولكن لما أحاط به الفرسان ورأى جميع جنوده يسقطون على اليمين واليسار، حمل بمفرده ولجج في شق الطريق بين سهام العدو ورماحه. وفي تلك الأثناء كان ماريوس قد هزم خيالة العدو وتسارع لنجدة جنوده الذين علم أنهم على وشك الاندحار. فانتصت كل شيء بهزيمة النوميديين. وكان منظر السهل الفسيح منظرًا مرعبا. ليس إلا المطاردة والفرار والتقتيل والأسر. الرجال والخيول طرعى على الأرض تكسومهم الجروح. لا يستطيعون أن يفروا، ولا أن يبقوا بدون حراك، فينتصبون برهة ثم يخرون في الحال. وختاما، فحيثما اتجه النظر رأى الأرض مغطاة بالسهام والتروس وبالجنث المجندلة في برك الدماء".

وبعد حرب يوغرطة، صار بكوس صديقا وحليفا للرومان، وظل مرتبطا بسولا. واعترفت رومة بسيادته على القسم الذي انتزعه قبل ذلك من يوغرطة. وقد رسخ الملك بكوس حكمه على غرب نوميديا بإصداره لعملة تحمل على الوجه صورة الملك واسمه، وعلى الظهر اسم مدينة سيگا. كما وردت إشارات في نصوص أخرى حول موقف الملك من حرب يوغرطة. وهي أخبار لا تختلف كثيرا عما جاء عند سالوست، أهمها حديث بلوترخوس عن العداء بين بكوس ويوغرطة رغم أنه كان صهرا له قبل الحرب. وأهم ما طبع واقع الموريين في هذا الظرف هو قيامهم بشورة ضد بكوس. والغالب أن النوميديين الذي خضعوا لسيادته قد ثاروا أيضا ضده. لكنه تمكن من القضاء على هذه الشورة سنة 90 قبل الميلاد.

وفي سنة 81 قبل الميلاد، قامت ثورة في شرق نوميديا، يتزعمها الملك هيارباس Hiarbas الذي أطاح بالملك هيمبسال Hiempsal. وحينئذ بعث صولا بمساعدة بومبيوس Pompeus إلى ولاية أفريقيا Africa. حيث تمكن من القضاء على حاكمها الروماني الموالي لماريوس Marius. ثم استعان بأمير

موري يدعى بگود Bogud بن بكوس في قتل هبارباس بمدينة بولا ريكية Bulla Regia، وأرجع الحكم لهيميسال.

وبعد ذلك تختفي عنا أخبار الملوك الموريين والنوميديين، إلى أن زار شخص روماني يدعى واتنيوس Vatenius مملكتي هيميسال النوميدي وماستانسوسوس Mastanesosus الموري. وهذا كل ما نعرفه عن مستانيسوسوس بواسطة الخبر الوحيد الذي أكد سيادته على المملكة المورية. غير أنه من الواجب أن نقف عند التصورات التي تكونت لدى الدارسين المحدثين، وتعود إلى عهد هذا الملك الموري، الذي انطلى عليهم أمر حكمه بموريطانية. يتعلق الأمر بما روجوه من تكهنات حول اضطراب أحوال المملكة المورية، أو الممالك الأفريقية عموما بعد اتصال شخص روماني يدعى ستيوس Sittius بموريطانية منذ سنة 64 ق. م.، حيث كانت له علاقة اقتصادية مع ملكها، وهو الملك مستانيسوس، الذي كان يحكم بعد ذلك بستنين. ونعلم من جهة أخرى أن كتيلنا Catilina كان يعلق أمله على مساعدة ستيوس الذي كان موجودا عند الملك الموري.

الغالب أن ستيوس كان قد تعاطى للنشاط العسكري في جيوش الملك الموري نفسه، بعد فشل مشروعه التجاري. ولا يحق القول إن ستيوس قد كون جيشا لحسابه الخاص، أو كانت له إمارة بإفريقيا قبل الصراع بين قيصر Caesar وبومبيوس. نلتص الحجة على ذلك من قول ديون كاسيوس إن ستيوس كان قائدا في جيش بكوس الثاني، مؤكدا أن قوات ستيوس في حرب أفريقيا كانت قليلة. ولعله يقصد بذلك المرتزقة الإيطاليين الذين عبروا معه من إسبانيا إلى موريطانية. أغلب الظن أن ستيوس مارس نشاطه العسكري في قوات مستانيسوسون، ثم واصل نفس المهمة في عهد ولده بكوس الثاني. وليس هناك ما يعزز قول أبيانوس الذي زعم أن ستيوس شارك في حروب ملوك ليبيا ضد بعضهم البعض، وكان النصر حليفا للجهة التي يحارب معها. يبدو أن هذا المؤرخ يشير إلى دور ستيوس في حملة بكوس الثاني ضد الملك النوميدي يوبا الأول سنة 47 ق. م. لصالح قيصر. في حين يرى كسيل أن هذا النشاط العسكري لستيوس يمتد من 64 إلى 47 ق. م.

هناك دوافع قد تجعل النوميديين يتطلعون إلى استرجاع جزء من بلادهم شملته سيادة الموريين منذ حرب يوغرطة. لكنها فكرة مستبعدة نظرا للظروف التي تحيط بهذه السيادة، وسيادة ملوك نوميديا أنفسهم في القرن الأخير قبل الميلاد، وهي تتسم بالتدخل الروماني في شؤون الملوك. وهذا لا يسمح بالقول إن الملوك النوميديين كانوا يتعلقون بهذه الوطنية، بسبب نجاح رومة في ترويض هؤلاء منذ الحرب البونية الثانية، وترويض الموريين منذ حرب يوغرطة. والواقع

أن ما أثار هموم الكتاب القدماء والمحدثين هو تظاهر يوبا بالعظمة، وتجاوزه لمثلي السلطة الرومانية في ولاية أفريقيا، بعد قضائه على كوربو، حيث أصبح هو الأمر النهائي. الواقع أن الفترة التي تفصل بين الحرب الأهلية التي قامت بين سولا وماريوس، والحرب الأهلية التي قامت في منتصف القرن الأخير قبل الميلاد بين بومبيوس وقيصر، كانت الممالك الأفريقية خلالها هادئة، بعد تسوية شؤونها إثر النصر الذي أحرزه بومبيوس لصالح قائده سولا سنة 81 قبل الميلاد. والواقع أن ملوك شمال إفريقيا كانوا على ولاء تام لبومبيوس في عهد الملوك الموريين مستانيسوسوس وبكوس الثاني وبگود والملكين النوميديين هيميسال ويوبا الأول.

وبعد ذلك نتقل إلى عهد بكوس الثاني. فقد حكم القسم الغربي من نوميديا منذ منتصف القرن الأخير قبل الميلاد، بعد تقسيم مجال نفوذ الموريين إلى مملكتين يفصل بينهما وادي ملوكة. لقد أوحى ذكرى اسم بكوس للبعض أن هذا الملك ابن لبكوس الأول، لكن نتائج البحث حول النقود حسمت في نسب هذا الملك ووضعت حداً لتضارب آراء المحدثين، اللهم إلا من ظل في غفلة من أمره. إنه هو الملك الموري الوحيد الذي نعرف نسبه. فقد أكدت عملته انتسابه لوالده مستانيسوسوس. والغالب أنه ورث العرش عن والده. ونستبعد أن يكون أبا للملك بگود المعاصر له، والذي لم يخلد نسبه على نقوده. انفرد سولان بذكر مدينة يول Iol كعاصمة لبكوس الثاني. أما بلنيوس الشيخ الذي يعتمد على سولان بالأساس، فتحدث عن وضعية يول في عهد يوبا الثاني Iuba، الذي أعطاها اسم قيصرية Caesarea.

ولا نعرف حدود مملكة بكوس شرقا على الأقل في بداية حكمه، وأغلب الظن أنها كانت تطابق الحدود التي خلفها بكوس الأول ومستانيسوسوس. غير أن انتصار قيصر سنة 46 ق. م. مكن بكوس من توسيع مجال نفوذه إلى واد أمبساگا Ampsaga في شرق نوميديا. والواقع أن الفضل يعود إلى بكوس الثاني في ضرب قوات الملك النوميدي يوبا الأول، المتحالف مع أتباع بومبيوس في ولاية أفريقيا. فاحتل الملك الموري مدينة كيرتا، التي صمّم ملكها الفعلي على استرجاعها. ازدادت رقعة مملكة بكوس اتساعا بعد مشاركته في الهجوم الذي نظّمته قوات أكتافوس Octavius ضد الملك بگود سنة 38 ق. م. انتقاما منه بعد تحالفه مع أنطونيوس Antonius. وحينئذ أعيد توحيد المملكة المورية. وبلغت أقصى توسعها بين المحيط ونهر أمبساگا Ampsaga. ولا ندري أي شيء عن ظروف حكم بكوس بعد توحيد المملكة، إلى أن وافته المنية سنة 33 ق. م. ليبقى مصير البلاد رهن إشارة أكتافوس، الذي عجز عن ضمها للإمبراطورية الرومانية بسبب مقاومة الموريين. وحينئذ اضطر

جريان وادي أسكا الذي يتمكن من النفاذ إلى البحر جنوب كلتة آيت باعمران.

يتميز حوض وادي نون على غرار باقي أحواض المناطق القرب صحراوية بجريان متقطع، لكنه يحدث بشكل فجائي ويأتي في ظرف وجيز بحمولة مائية كبيرة قد تتجاوز 100 متر مكعب في الثانية يمكن أن تحدث فيضانات مدمرة كالتي تهدد مدينة كلميم.

ويقدم الحوض موارد مائية جوفية مهمة نسبيا تساعد على ظهورها البنية الجيولوجية المحلية المشكلة من صخور كاربوناتية عند السطح الجنوبي للأطلس الصغير، ومن تكوينات سطحية تغطي المنخفضات المتعددة داخل وحدة جبل باني المتنوي.

إن وادي نون بسبب موقعه الوسطي بين شمال وجنوب المغرب، ويسبب رطوبته النسبية على هامش الصحراء الإفريقية الكبرى، ظل يشكل مجالا مفضلا لعبور القوافل التجارية قديما، وظل يشكل قبلة يقصدها الرحل من كل الأصقاع لما يقدمه من مجال رعوي غني، ولما يوفره من موقع للتبادل التجاري. لذلك فإن موقع كلميم اشتهر كسوق لبيع الجمال على الصعيدين الجهوي والوطني.

لقد عرف الإنسان منذ القديم كيف يستفيد من هذه الموارد المائية السطحية والجوفية وطور نظاما زراعيا، يجمع بين الرعي والزراعة المسقية داخل الواحات، وأيضاً زراعة الفيض والمدر وهما نشاطان زراعيان بعليان يعتمدان على مياه فيضانات الأودية المحلية. وتتمثل التقنيات المستعملة في تعبئة المياه السطحية والجوفية في السدود التحويلية والسواقي التي تم تحديث عدد مهم منها بتدخل من الدولة، وأيضاً في الخطارات المنتشرة تقريبا عند كل واحات الحوض. غير أن هذه الأخيرة بدأت تنضب تدريجيا جراء إدخال المضخات الآلية وتحت ضغط السنوات الجافة التي ضربت المنطقة خلال العقود الأخيرة.

وقد أصبح اليوم وادي نون مغريا للاستثمار في ميدان زراعة البواكير نظرا لطبيعة طقسه وجودة مياهه خصوصا عن طريق اعتماد تقنيات الري الموضعي المقتصد في استعمال مياه السقي.

وبالإضافة إلى الاستعمال الزراعي لمياه الحوض، فإنه يتم الآن استغلال الموارد المائية الجوفية المحلية على نطاق واسع من أجل تزويد الساكنة الحضرية بالماء الشروب بمدينة كلميم، وكذلك مدينتي طنطان والوطية على مسافة تتجاوز 120 كلم.

الحسن المحداد

نونخة أو **نانونخة** أو بتيكوتيس فيرتسلاتا Ptychotis verticillata
نبات عشبي وحولي من فصيلة الخيميات Apiaceae

إلى تولية يوبا الثاني النوميدي على المملكة المورية. وقد أجمعت النصوص على أن أكتافيوس وهب له مملكة الموريين. ومنذئذ حل عهد الحماية الرومانية بشكل صريح في موريطانية. وصار اسم موريطانية يطلق على كل المجال الخاضع ليوبا الثاني وضمته قسم هام من نوميديا. وترسخ إقبال اسم نوميديا لما ضمت رومة هذا المجال إلى إمبراطوريتها. ففي موريطانية الأصلية التي تناسب بلاد المغرب، أقيمت ولاية رومانية تدعى موريطانية الطنجية، نسبة إلى طنجة. وأما مجال نوميديا فصار يحتضن ولاية رومانية أخرى تدعى موريطانية القيصرية، نسبة إلى مدينة قيصرية.

سالوست، حرب يوغرطة، تر. محمد التازي سعود، فاس، 1982 ؛ محمد مجدوب، أضواء على أوضاع موروسية من خلال حرب يوغرطة، بحوث، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، ع. 2-3، ص. 61-82، 1990 ؛ مملكة الموريين وعلاقتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م. رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، مرقونة، 1990 ؛ العملة الملكية في المغرب القديم، بحوث مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، ع. 5، ص. 47، 60، 1992 ؛ المملكة المورية وحدودها في المغرب القديم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، سلسلة الندوات، 6، ص. 7، 20، 1999.

S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, t. 7-8, 1928 ; J. Mazard, *Corpus Nummorum Numidiae Mauritanaeque*, Paris, 1955 ; G. Camps, *Aux origines de la berbérie, Massinissa ou le début de l'histoire dans Libyca*, 6, 1960 ; *Origines du royaume massyle, dans Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb*, 3, p. 29-38, 1967 ; Sosus ou Mastanesosus roi de Maurétanie 80 ? à 49 ? av. J.-C. dans *Encyclopédie Berbère*, édition provisoire, 5, p. 1-6, 1970 ; *Les derniers rois numides Massinissa II et Arabion*, dans *B.C.T.H., N.S., 17 B*, 1981, Paris, p. 303-10, 1984 ; J.G. Fevrier, Bocchus le jeune et les Sosii, dans *Sémitica*, 11, p. 9-15, 1961 ; M. Euzennat, *Le roi Sosus et la dynastie maurétanienne*, dans *Mélanges Carcopino*, p. 333-9, 1966 ; F. Decret et M. Fantar, *L'Afrique du nord dans l'antiquité des origines au 5ème siècle*, Paris, 1981 ; A. Jodin, *Volubilis Regia Iubae, contribution à l'étude des civilisations du Maroc préclaudien*, Paris, 1987 ; M. Majdoub, *Les luttes du début du 1er siècle av. J.-C au nord de la Maurétanie*, dans *Collection de l'école française de Rome*, 166, p. 235-8, 1992 ; *Pompeus Magnus et les rois maures*, dans *Africa Romana*, 12, p. 1321-8, 1998 ; *Octavius et la Maurétanie*, dans *Africa Romana*, 13, p. 1725-37, 2000.

محمد مجدوب

نون (وادي)، تمتد المنطقة المشهورة بوادي نون عند المجال الواقع عند قدم النهاية الجنوبية الغربية للأطلس الصغير، وهي منطقة نالت شهرتها عند عموم المغاربة لكونها شكلت منطلقا لحملة الشيخ أحمد الهيبة الذي عبأ قبائل تكتة والقبائل المحيطة بها لمنازلة الجيش الفرنسي سنة 1912 بسيدي بوعثمان بضواحي مراكش.

تتوافق هذه المنطقة من الناحية الجغرافية مع الحوض المعروف بالصيد - نون، وهو حوض يمتد على مساحة حوالي 7.000 كلم من ثلاثة ورافد أساسية هي : أم لعشار والصيد ووركونون التي تلتقي عند منخفض كلميم وتتوحد في محور

إنه نبات بري لا يتجاوز ارتفاعه 40 سم، رفيع الساق لكنه جرد متفرع. أوراقه مجزأة ورفيعة وذات طول كبير نسبياً. إزهاره خيمية. ثماره بيضوية الشكل ولا يتعدى طولها 1 مم.



يعيش النوع طبيعياً بشمال إفريقيا المتوسطية، تجمع نونخة بكميات كبيرة في منطقة بني يزناسن لبيعها للعشايق وبائع الحلزون الذي يطبخ في محلول بهذا النبات. بالإضافة إلى استعمالها لتعطير الوصفة المطبخية للحلزون، تستخدم نونخة لمعالجة الحمى وبعض أمراض المعدة والأمعاء.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, Médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Ibis Press, Paris, 1997, 779 p.

عبد المالك بنعبيد

يحتمل أن تكون أمريكا الجنوبية الموطن الأصلي لنوارة الشمس، ولكنها تزرع منذ زمن بعيد في أماكن مختلفة بالعالم. دخلت إلى أوربا أو إفريقيا عن طريق إسبانيا في القرن السادس عشر.

تزرع نوارة الشمس أساساً لاستخراج الزيت من البذور التي تحتوي على 32.45 في المائة من زيت أصفر ذهبي ناصع لا يقل عن زيت الزيتون في قيمته الغذائية والطبية، وهو زيت ممتاز للمائدة ويستعمل في الماركين وكذلك في إنتاج الصابون. كما تستعمل البذور كغذاء جيد للطيور والدواجن والماشية، وحتى الإنسان يستهلكها مقلية بعد قليها، وتستعمل أيضاً لإنتاج مواد علفية أو لتزوين الحدائق بجمال أزهارها.

تزرع نوارة الشمس في المناطق المعتدلة وهي من الزراعات الربيعية وتحتاج إلى تربة خفيفة وعميقة. تنبت البذور عندما تكون الحرارة أعلى من 5 درجات، إلا أنها تتحمل البرودة والجفاف أكثر من الذرة. احتياجاتها المطرية تصل إلى 550.650 ملم، إلا أنها شديدة الحساسية للجفاف في فترة الإزهار. تنتشر زراعة نوارة الشمس في المغرب خصوصاً في سهول السائيس والغرب ودكالة وتادلة وملوية. ألبير هيل، *النبات الإقتصادي*، تر. زاهر عبد المجيد وآخرون، القاهرة، نيويورك، 1962؛ معلومات شخصية.

J.M. Clement, Larousse Agricole, éd. Larousse, Paris, 1981.

عبد النبي زين العابدين

النيشان، كلمة "نيشان" ترسم في قواميس اللغة التركية "نشان" (nisan) بدون ياء. وهي كلمة من أصل فارسي تعني "العلامة" و"الإشارة" و"الأثر". وقد دخلت اللغة التركية بلفظها ومعناها فأطلقت على العلامة التي تنصب للتدرب على الرماية، كما أطلقت على عملية تسديد السلاح نحو النقطة المعين ضربها. ويراد بها، أيضاً، في بعض البلاد الشرقية كمصر، مثلاً، الشارة المميزة للرتب العسكرية أو الوسام.

وفي الدولة العثمانية أطلق لفظ "نشان" على طغراء (طرة) البادشاه، وعلى الوثائق التي تحتوي على هذه الطغراء؛ وقد تكون هذه الوثائق عسبارة عن فرمان (Firman)، أو برات (Berat)، أو حكم (Hüküm)، أو توقيع (Terki)، أو غيرها.

أما بالنسبة للمغرب فيبدو أن دخول هذا اللفظ قد ارتبط باستخدام السلاح الناري، وباحتكاك المغاربة بالأتراك منذ العصر السعودي. ويستشف من بعض الإشارات التاريخية أن تداول كلمة "نيشان" في المغرب اقتصر على المجال العسكري.

"قالنيشان" عند الرماة هو ضرب الإشارة، وتصويب البندقية نحو الهدف المراد ضربه. وهذا المعنى هو الذي أشرنا إلى تداوله عند الأتراك، كما يعني "النيشان" عند أهل الرماية علامة التسديد الموجودة عند نهاية مدفع البندقية.

نوارة الشمس، أو عباد الشمس أو علميا هيليونتوس أنيسوس "Helianthus annuus" من فصيلة النجميات "Asteraceae" نبات حولي ذو أوراق عريضة وارتفاع يصل



من 1 إلى 4 أمتار وذلك حسب الظروف البيئية والضروب. الأزهار صفراء مجتمعة بشكل دائري توحى بشكل الشمس الذي تظل في اتجاهها مما جعلها تسمى كذلك عباد الشمس. تلقيح الأزهار يتم عن طريق الحشرات وبالأخص النحل مما يجعلها من النباتات المنتجة للعسل. بذور نوارة الشمس مختلفة الأحجام والشكل واللون، منها السوداء وأخرى مخططة بالأسود والأبيض.

وشكل ضرب الإشارة أو النيشان جزءا هاما من حرفة الرماية وكيفية اكتسابها. وحدد شيوخ الرماية قواعد خاصة ومراحل يتوجب على المتدرب اتباعها، كطريقة إمساك البندقية وعدم تحريك الرأس، و"تسريح العين مع النيشان". وكانت الإشارة تتشكل من أحجار توضع فوق بعضها البعض بالنسبة للمبتدئ. ويحرص شيخ الرماية على أن يمر المتعلم من ثلاثة أحجار مثلا إلى حجرين فواحد. وعلامة التمكن من النيشان هو أن يصيب الرامي الحجر في وسطه. كما يحرص الشيخ على إبعاد الهدف تدريجيا من الرامي حتى يصل به إلى المسافة المطلوبة.

محمد المنوني، قطعة عن نشاط الرماية الشعبية بالجنوب المغربي، مجلة الباحث، ج. 1، 1972، ص. 107-136.

Ismail Hakki Uzunçarşılı, *Osmanlı Devletinin saray teşkilâtı*, Ankara, Türk tarih kurumu basimevi, 1988 ; Ferit Devellioglu, *Osmanlıca - Türkçe Ansiklopedil Lûgat*, Ankara, Aydın kitabevi yayinlar, 13. baski, 1996.

نزهة عقيلي

النيكتيبير ، بالعجمية يذكر الجغرافي بطليموس مواطنهم جنوب البانكا وكناني وشمال السهل الأحمر ذي الإحداثيات 30، 9° و30°. ونظرا لصعوبة تحديد مواطن البانكا وكناني وبالتالي النيكتيبير، فمن الأفضل أن نبدأ من محاولة تحديد موقع السهل الأحمر الذي أشار إليه بطليموس. ولكن، ما المقصود بالسهل الأحمر ؟ فهل البحيرة الحمراء الواقعة غرب مراكش والمحصورة بين تانسيفت والأطلس الكبير ؟ أو الأراضي الحمراء الواقعة جنوب نهر أم الربيع والتي تشمل هضاب الرحامنة ؟ فإذا كان المقصود بالسهل الأحمر هو المنطقة المحصورة بين أم الربيع وتانسيفت، يمكن أن نضع مواطنهم شمال نهر أم الربيع في جزء من هضبة الفوسفاط وعند المناطق التي يلتقي فيها أم الربيع بروافده. أما إذا كان المقصود بها البحيرة الحمراء الواقعة غرب مراكش فنقترح كمواطن لهم شمال وادي تانسيفت بين منطقة الجبيلات والصفة اليمنى لوادي تانسيفت. وسواء كان السهل الأحمر هو المنطقة المحصورة بين أم الربيع وتانسيفت أو الواقعة غرب مراكش، فإن مواطنهم تتأرجح بين شمال نهر أم الربيع وشمال نهر تانسيفت.

مصطفى أعشي

النيّة، محمد بلعربي، ولد سنة 1928 بدوار الوراقة جمعة رباح بقبيلة أولاد حريز. وبعد أن درس مدة غير طويلة بأحد الكتاتيب القرآنية هناك، هاجر وأسرته إلى مدينة الدار البيضاء حوالي سنة 1935، فاستقر بدوار سي أحمد المجاور لأوراش معمل الجير والإسمنت (لافارج Lafarge) وللمجازر البلدية التابعة لمدينة الدار البيضاء والمعروفة باسم "البوطوار". اشتغل في هذه المجازر مباشرة حتى صار جزارا مؤهلا ومحترفا.

أخذ يتعرف، مثل كثير من شباب كريان سنطرال، على الأفكار الوطنية التي كان ينشرها حزب الاستقلال في هذا الحى الصفيحي أحد قلاع الحصينة المعروفة في مدينة الدار

البيضاء آنذاك، فانخرط في صفوفه حوالي سنة 1945. ولعب في فريق الاتحاد الوطني البيضاوي المعروف بأحرفه الأولى (الطاس T.A.S.) وهو فريق كان من وراء تأسيسه مسؤولو الحزب الأوائل في كريان سنطرال، وعلى رأسهم محمد العبيدي، وكان مرامهم بث الوعي الوطني في صفوف لاعبيه واستقطاب جمهوره إلى الحزب. ومن المعروف أن الوطنيين قد قاموا بنفس الدور في باقي أحياء الدار البيضاء التي تأوي المغاربة على الخصوص. ولا بأس من سوق نموذج فريق الوداد الرياضي البيضاوي وما قام به رئيسه ومؤسسه الحاج محمد بن جلون المشهور بلقب "شوكولا".

نشط النية في صفوف الحزب الذي كان يعمل على تأطير أعضائه بواسطة النشرات التي كانت تصل من قيادته في الرباط وترديد الأناشيد الوطنية ودروس محو الأمية وغير ذلك. ولما انفجرت حوادث فرحات حشاد العنيفة في كريان سنطرال يوم الأحد 7 دجنبر 1952 ويوم الإثنين 8 دجنبر الموالي، ساهم فيها النية، كغيره من الوطنيين، بنقل ضحايا المجزرة الرهيبة التي ارتكبتها القوات الفرنسية إلى مسجد الحاج عبد الرحمان بدر مولاى الشريف المجاور لدور الصفيح من أجل علاج الجرحى على يد الدكتور عبد الكريم الخطيب وغسل القتلى قبل نقلهم إلى مقبرة ابن مسيك لدفنهم.

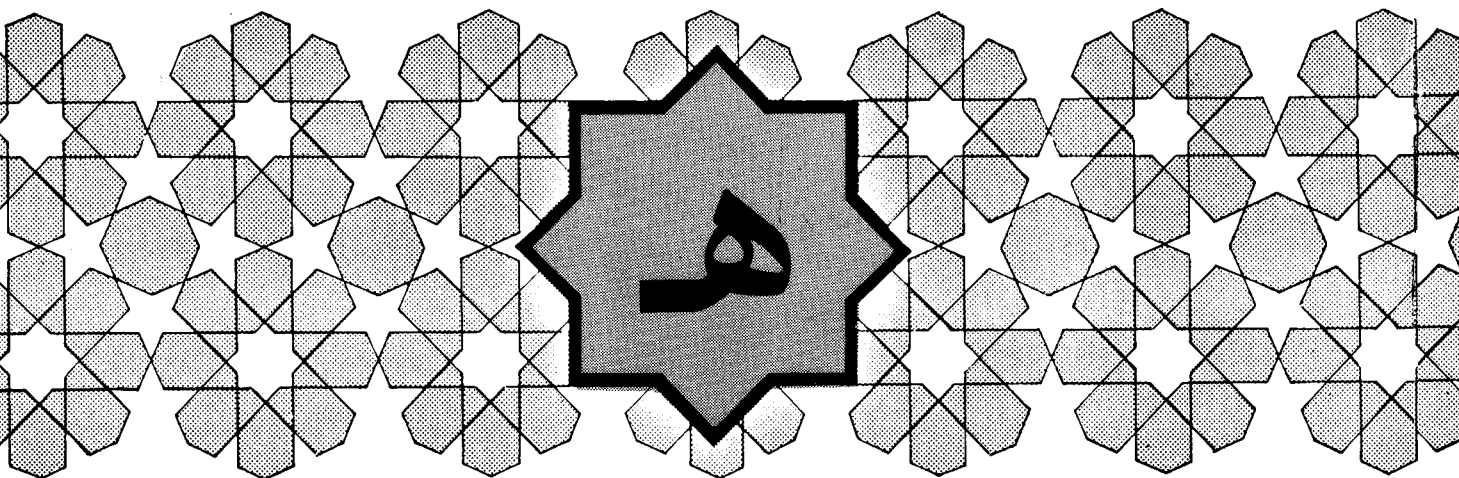
وبعد نفي السلطان محمد بن يوسف، انخرط النية في المنظمة السرية، إحدى أهم المنظمات الفدائية المسلحة التي تأسست من أجل مقاومة الاستعمار وأذنايه. وشارك في العديد من العمليات الفدائية ولما عاد السلطان الشرعي من المنفى وأعلن الاستقلال، بدأت مرحلة جديدة من التطور السياسي، طبعها التوتر الحاد الذي اتخذ عدة أشكال مثل الاقتتال بين المنظمات الفدائية والتناحر حتى داخل بعض هذه الهيئات ولاسيما في صفوف المنظمة السرية. وكان من ضحايا هذا الاقتتال في صفوف المقاومة بكريان سنطرال محمد بن المكى "هوشيمين" وإبراهيم واليزيد ورحال المسكينى ومحمد السرجان ومحمد النجار والجيلالي المسكينى، وكان النية هدفا من أهداف مخططي التصفيات، دون أن يتمكنوا منه.

بعد الاستقلال، ظل النية يتعيش من عمله في "البوطوار"، كما ظل مشغولا، ولدة طويلة، بفريق الطاس الذي صار أحد مسيريه. وعاد مدة إلى حزب الاستقلال بعد عودته إلى العلنية، إلى أن ترشح في الانتخابات البلدية والتشريعية في الحى المحمدي باسم جبهة الدفاع عن المؤسسات الدستورية التي أسسها أحمد رضا أكديرة سنة 1963. وحسب شهادة عائلته، فقد عاد إلى حزبه الأصلي بعد ذلك، ويظهر أنه صار مهموما بفريق الطاس أكثر بعد ذلك.

توفي يوم 27 مارس 1999.

المدونية السامية لقدامى المقاومين وأعضاء جيش التحرير، بطاقة المقاومة رقم 521375؛ الرواية الشفوية.

نجيب تقي



الهاشمي، محمد العربي بن محمد ينتمي نسبه إلى يوسف بن مولاي علي الشريف العلوي الحسني المدغري قاضي مدغرة. رحل إلى فاس لطلب العلم والتقى هناك بالشيخ أحمد البدوي، الذي أثر عليه بقوة. وقد أخذ عنه الكثير من أمور التصوف. وحينما رجع إلى مدغرة في أواسط القرن الثالث عشر (19)، التف حوله عدد من التلاميذ والمريدين، وأضحى شيخ الطريقة الدرقاوية بلا منازع. وامتد نفوذه إلى المناطق المجاورة لمدغرة، بل شمل جل مناطق المغرب خلال الثلث الأخير من هذا القرن. وقد لمس ذلك الرحالة الفرنسي شارل دي فوكو، واعتبره واحداً من الزعماء الروحانيين في المغرب، على نفس مستوى مولاي عبد السلام الوزاني، وسيدي ابن داود، وسيدي محمد بويكر (إمهاوش) ومولاي عبد الله بن حساين. وذكر نفس الرحالة، أن السلطان مولاي الحسن كان يبعث إلى هذا الشيخ الدرقاوي بصلة العشور كل عام، وأن قيمة ذلك بلغت 40 قنطاراً سنة 1881.

لكن العلاقات الودية بين السلطان الحسن الأول وهذا الصالح انقلبت إلى عداً مستحكماً، بسبب إصرار هذا الأخير على استنقار الناس للجهاد ضد رغبة المخزن، الذي كان يرى أن الدعوة إلى الجهاد في غياب تكافؤ القوة مع الأوربيين، ودون إذن الإمام تؤدي إلى الفتنة وتسلط الكفار. وكان محمد العربي الهاشمي قد وزع منشوراً مطولاً للتحريض على الجهاد منذ عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، سنة 1280 / 1863، بعد أن وصلته أخبار عن انشغال الأوربيين على المراسي المغربية وممازجتهم لسكانها، ثم انتشارهم في البوادي بقصد البيع والشراء، مما اعتبره مؤشراً لسيطرتهم وإلحاق المغرب بنفوذهم. لذلك هيا المنشور وفرقه على العلماء والشرفاء وعامة الناس، داعياً إلى حمل السلاح، ومما جاء فيه " (...) وكيف يذهب الإسلام ويضمحل أمره دون قتال

هاردى (جورج) Hardy (Georges) مؤرخ وجغرافي متخصص في إفريقيا. ولد في 5 ماي 1884، درس بالمدرسة العليا للأستاذة (1904)، حصل على شهادة التبريز في التاريخ والجغرافية (1907). عمل أستاذاً للقانون ببورج (Bourges) وأورليانس (Orléans) (1908 - 1912). ثم عين مديراً للتعليم بإفريقيا الغربية الفرنسية (1912 - 1918). حصل على الدكتوراه في الآداب سنة 1919 في موضوع حول التعليم بالسنگال. وعمل مديراً عاماً للتكوين والفنون الجميلة والآثار بالمغرب ما بين 1919 و1926، ثم مديراً للمدرسة الاستعمارية (1926 - 1934). انتخب عضواً في أكاديمية العلوم الاستعمارية (علوم ما وراء البحار) سنة 1928. ثم عميداً بأكاديمية الجزائر (1934 - 1937) ثم بأكاديمية ليل (1937 - 1940) فأكاديمية الجزائر (1940 - 1943). تقاعد سنة 1944. توفي في ماي 1972. ومن أهم مولفاته :

- *Les grandes lignes de la géographie du Maroc* (en collaboration avec Jean Célérier), Ed. Larose, Paris, 1922.
- *L'enfant marocain* (en collaboration avec Louis Brunot), Ed. Larose, Paris, 1925.
- *L'âme marocaine d'après la littérature française*, Ed. Larose, Paris, 1926.
- *Histoire de la colonisation française*, Ed. Larose, Paris, 1928.
- *Nos grands problèmes coloniaux*, Colin, 1929.
- *Les grandes étapes de l'histoire du Maroc* (en collaboration avec Paul Avrès), Ed. Larose, 1931.
- *La justice indigène au Maroc, Europe-Nouvelle, sep. 1931* ; *Le congrès de la société indigène, Outre-Mer, 4^o trim., 1931* ; *L'alimentation des indigènes au Maroc, La Géographie, LVIII, 1932.*
- *Géographie et colonisation*, Ed. Gallimard, 1933.
- *Lyautey et l'enseignement, B.C.A.F., n°8, 1934.*
- *Histoire sociale de la colonisation française*, Ed. Larose, 1953.

صالح شكاك

حركة الجهاد ضد الفرنسيين في التخوم الجنوبية الشرقية للمغرب، وأحمد السبعي الشريف السغروشنى، الذي قاد حركة جهادية بعد احتلال قوات فرنسية لمركز المنقوب بالقرب من بوذنيب سنة 1325 / 1907. وهذا ما يبين أن دعوته إلى الجهاد وجدت امتدادا لها عند بعض مرديه.

كتب محمد العربي الهاشمي في آخر حياته "رسالة الإذن"، وزعها في مختلف أنحاء المغرب، وأخبر فيها بحصول الإذن له في إرشاد الخلف.

توفي في أواخر جمادى الثانية 1309 / 1892.

محمد العربي الهاشمي، رسالة للتحريض على الجهاد، مخطوط بالخزانة العامة، الرباط، مجموع رقم د 3353، ص. 57-81؛ إدريس الفضلي، الدرر البهية والمجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية، فاس، ج 1، ص. 274؛ ابن إبراهيم التعارجي المراكشي، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، ج 7، ص. 80-84؛ محمد المنوني، مظاهر بقعة المغرب الحديث، بيروت، 1985، ج 1، ص. 350-351، ج 2، ص. 444-447؛ أحمد مزبان، مساهمة في دراسة المجتمع الواحي بالجنوب الشرقي المغربي خلال القرن 19، كلية الآداب، فاس، 1985، 2، ص. 540-541.

742

Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc, 1883-1884*, Paris, 1985, p. 352.

أحمد المكاوي

هانريس، بول Paul Henrys كان إلى جانب هانري

بيريو Henri Berriau وبويميرو Poeymirau وبول ديلماس Paul Delmas، وغيرهم، من أبرز العسكريين في "فريق" الجنرال ليوطي، في بدايات الحماية، ومن الضباط البارزين الذين جمعتهم بالجنرال، في منطقة الحدود المغربية - الجزائرية، علاقة متينة وصدافة قوية، في العقد الأول من القرن العشرين. وقد لازم هانريس الجنرال ليوطي في منطقة الحدود في فترة تمتد من سنة 1903، التي شغل فيها - تحت إمرة الجنرال - منصب رئيس أركان الحرب، في مركز العين الصفراء، إلى سنة 1910، التي ارتقى فيها إلى رتبة كولونيل. وكان هانريس، بناء على هذه العوامل، من الضباط الذين التحقوا بالمغرب، بعد أن تسلم الجنرال ليوطي مهام الإقامة العامة، في أبريل 1912؛ إذ تولى، في ظل "النظام الجديد"، رئاسة فرق الخيالة ابتداء من غشت 1912، وارتبط اسمه، منذ ذلك التاريخ، بالعمليات العسكرية التي أشرف عليها بالأطلس المتوسط ونواحي تازة وأعالي ورغة.

تزايدت، مع مرور الأيام، مهام وأعباء هذا الضابط، الذي ارتقى في صيف سنة 1913 إلى رتبة جنرال دي بريجاد Général de Brigade، وتبرز مركزه، في الجهاز الإداري - العسكري الاستعماري، إذ كان يكلف، في فترات غياب الجنرال ليوطي، المقيم العام والقائد العام لقوات الاحتلال، بالنيابة عنه في الإشراف على الأمور العسكرية بالبلاد. كما أنه عين، في نهاية نفس السنة، حاكما عسكريا على إقليم

ولا جلا، والقطر معمور بالموحدين، وأهل الدين في سائر البلاد والأمر بالجهاد شملهم عند حلول عدو الدين بأرض المسلمين (...). ولا منفعة لأخذ الحذر إلا قبل الاستيلاء، والمسلمون لا مندوحة لهم على القتال، إما أن يقاتلوا الكفرة لنصرة دين الله، وإما أن يستولوا فيحملوا المسلمين على قتال إخوانهم قهرا (...). ولا يد من أحدهما، وقد اختارت لنا الشريعة المطهرة (...) مقاتلتهم ومنازلتهم".

أضحى الشيخ الدرقاوي مصدر إزعاج مستمر للسلطان مع تكتف رسائله الداعية إلى الجهاد، بعد أن بلغته أصداء متتابعة عن التوغل الفرنسي في المناطق الصحراوية المتاخمة لتافيلالت، فوجه عددا من الرسائل إلى مختلف أنحاء المغرب، مستنهما القبائل للجهاد، مثلما حصل سنة 1305 / 1888. وكان سكان قصور فكيك قد كاتبوا محمد العربي الهاشمي سنة 1887، من أجل مؤازرتهم في جهاد الفرنسيين، غير أن المخزن تصدى لهم، إذ كتب السلطان إليهم متنوعا بأقصى الزواجر، مبينا رأيه في الجهاد، معبرا عن مقتته لهذا المرباط، قائلا: "خدامنا الأتجاد، قبيلة أهل فجيح كافة (...) العربي بن درقاوة نادى بالجهاد وندب إليه عن عجلة اعتمادا على ما اختلج في وهمه وأداه إليه زعمه من غير أن ينظر في العواقب ولا عرف ما ينبتني على ذلك من المصائب، فالدين النصيحة، وحذار حذار أن يستفزكم ذلك أو يغركم ما هناك، وأنه بوصوله إليكم نأمركم أن تفلعوا عنه ولا تلقوا إليه بالا، ولا تلتفتوا إليه حالا واستقبالا، ومن اقتحم ذلك أو شيئا فقد تعرض لسخط الله ورسوله (...). وعقوبتنا أشد عقوبة (...) على أن الجهاد معناه الدفاع عن المسلمين وصون حوزتهم كما هو الدأب والديدن ما أمكن، ولا نعدل عنه بعمون الله." وقد تعززت هذه الرسالة بخطبة الجمعة، التي لا شك أنها أعدت بإيعاز من ممثل المخزن في المنطقة، حيث ألح فيها على ضرورة التشبث بالمهادنة والتعايش مع الفرنسيين، والتأكيد على أن الجهاد لا يمكن أن يتم إلا بترخيص من السلطان، وذلك لسحب الشرعية عن دعوة هذا الشيخ الدرقاوي، وما ورد فيها... فعضوا رحمكم الله على سيرة أميركم مع جواركم بالنواجذ ولا تحلوا عراها بحلم ناسك أو زاهد (محمد العربي الهاشمي) فريا...".

وقد ذكر ابن إبراهيم التعارجي أن السلطان مولاي الحسن، من شدة حنقه على محمد العربي الهاشمي. كان يخاطبه في رسائله بـ "أكابر مجرميها"، وكثيرا ما سجن أتباعه. وأن السلطان قصد من توجهه إلى تافيلالت إلقاء القبض عليه، وقد سرّ كثيرا لما بلغه خبر وفاته. كما ذكر أن الشيخ بنى ببلدته مدغرة قصرين على هيئة دار الملوك، من كثرة المرافق. وكان له خدام يحضرته كثيرون يجاوزون الألف من الملازمين.

ومن أهم تلامذته ومريديه، الصوفي الحسن التمكديستي السوسي، والشيخ بوعمامة من أولاد سيدي الشيخ، متزعم

مكناس، نتيجة لما كان يحتله الإقليم من أهمية في الاستراتيجية العسكرية المهيأة آنذاك.

ولم تنحصر مهامه وأدواره في الميدان العسكري ومجال الاستراتيجية العسكرية، إذ كان تأثيره على ليوطي، قويا، في مجال السياسة الاستعمارية، خصوصا في ميدان "السياسة البربرية". ونشير، في هذا الصدد، إلى أن التقارير التي كتبها، في فترة إشرافه على العمليات العسكرية بالأطلس المتوسط، كانت الأساس الذي استلهم منه ليوطي بعض مبادئ هذه السياسة، التي عرفت انطلاقها الأولى بصور ظهير 11 شتنبر 1914، الخاص "بالعوائد البربرية".

ونظرا لأهمية دور الجنرال هانريس في النسق الاستعماري، فقد تشبث به اليوطي بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى، وكلفه بالقيادة العسكرية في الجبهة الشمالية المواجهة للريف. لكن التطورات التي عرفتتها الحرب في أوروبا، أرغمت ليوطي، في صيف سنة 1916، على الاستغناء عنه فرجع إلى فرنسا، ولو أنه لم يستقر بها بشكل نهائي، إذ أقام، لفتترات معينة، بالمشرق العربي وبلاد البلقان وألمانيا، قبل أن يعود، في آخر المطاف، إلى باريس.

توفي في 6 نونبر 1943.

عبد الحميد احسانين، أصول سياسة فرنسا البربرية إلى غاية سنة 1930، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، بوليوز، 1987، مرقون؛ بوشنتي بوعسرية، مكناس، المدينة الجديدة التأسيس - البنيات الإدارية - التناقضات، 1911 - 1939، منشورات عمادة جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، 1999، ص. 505؛ جريدة السعادة، 8.9.1915.

Moshe Gershovitch, *French military rule in Morocco, Colonialism and its consequences*, Franck Cass, London - Portland, Or, 2000.

عبد الحميد احسانين

ابن هاني، السبتى محمد بن علي بن هاني اللخمي
السبتى، يكنى أبا عبد الله. أصله من إشبيلية وينحدر من بيت شهير الحسب والنسب. أخذ القراءات والنحو عن أبي إسحاق الغافقي وأبي بكر بن عبيدة النحوي وأبي عبد الله بن حريث. كان إماما في العربية وحافظا للأقوال وأديبا بارعا الخط مشاركا في الأصلين وقائما على القراءات. كان يقرئ بمسجد القفال من سبتة حيث تتلمذ عليه الكثير من طلبة المدينة والوافدين عليها. من صفاته أنه كان كثير الخشوع والقناعة، شامخ الأنف على أهل الرياسة حافظا للمروءة. من مؤلفاته كتاب "شرح التسهيل لابن مالك" الذي يعتبره ابن الخطيب من أجل كتبه وأبدعها وأحبها إلى الناس لشدة الإقبال عليه. كما يوجد من بين مؤلفاته "الغرة الطالعة في شعر المائة السابعة" و"إنشاد الضوال وإرشاد السوال في لحن العامة"، و"قوت المقيم". كما دون ترسل أبي المطرف بن عميرة وضمنه في سفرين، وله أيضا أرجوزة في الفرائض.

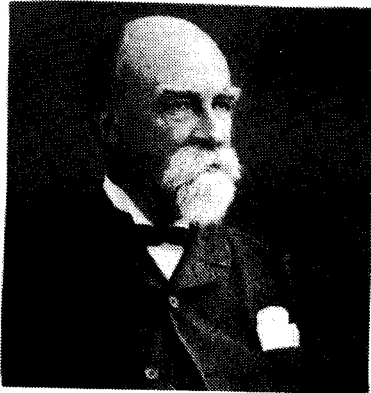
توفي سنة 733 / 32 - 1333 شهيدا في جبل الفتح من ثغور الأندلس حين حاصره النصارى، ودفن بروضه بني

خمسین بالجزيرة الخضراء. وقد رثاه عدد من شعراء عصره في قصائد مطولة من بينهم قاضي الجماعة أبو القاسم الحسني والقاضي أبو بكر بن شبرين.

السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تج. محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 1، ص. 192؛ بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، تج. محمد بن تاويت، مجلة تطوان، ع 9؛ 1964، ص. 175؛ ابن الجوزي، غاية النهاية في طبقات القراء، تج. برجيستراسير (G. Bergstrasser)، ج 2، مصر، 1352 / 1933، ص. 211 - 212؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تج. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، ج 3، ص. 145 - 154.

زوليخة بنرمضان

هاي، دجون درومند، (1816 - 1893)، سفير إنجلترا في المغرب لمدة أربعة عقود إذ أقام مفاوضا ساميا لبلده في طنجة من مارس 1845 إلى يونيه 1886، فعاش الثلث الأخير من عهد المولى عبد الرحمان وعهد خلفه سيدي محمد (الرابع) بكامله وأزيد من نصف عهد مولاي الحسن (الأول). وتلك مرحلة حاسمة من تاريخ المغرب استمات الملوك المذكورون خلالها في إبطال المناورات الإمبريالية الرامية إلى النيل من سيادة الوطن ومن ترابه، معتمدين على ما أدركوا من سياسة إنجلترا يومئذ في صيانة الأوضاع الدبلوماسية القائمة التي كان من مقتضياتها دعم وجود الدولة المغربية على ضعفها نظرا لموقعها الاستراتيجي على البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي والسهر على حرية تنقلات الأسطول الإنجليزي وعلى سلامة مرسى جبل طارق لكونه قاعدة بحرية أساسية هنالك. وقد حل المترجم له بالمغرب لتكريس هذه الخطة على أرض الواقع. وعزل عن منصبه أربعين سنة بعد ذلك عندما أخذت رياح التغيير تنذر بقرب توجه الدبلوماسية الإنجليزية لتوجهات أخرى.



ولد دجون درومند هاي في مدينة فالانسيين Valencienne بفرنسا في يونيه 1816 ونشأ وترى في مدينة

إيدينبورغ إلى سنة 1832. زار المغرب لأول مرة في الخامسة عشرة من عمره، إذ كان والده وليام أوريول درومند هاي (William Auriol Drummond Hay) قنصل إنجلترا العام في المغرب منذ 1820. وعاد الشاب دجون إلى المغرب سنة 1838 فجال في الأقاليم الشمالية ودون رحلته في كتاب تحت عنوان Western Barbary. وفي سنة 1839 التحق بوزارة الخارجية ليعين سنة 1840 ملحقا بالسفارة الإنجليزية باصطنبول وينتقل بعد ذلك إلى الإسكندرية في مصر لمساعدة قنصل بلده العام هنالك.

وفي 29 يوليوز 1844 عين رسميا في المغرب لمساعدة والده وقت تأزم العلاقات بين المغرب وفرنسا الماضية في احتلال الجزائر. وحيث إن والده ما لبث أن توفي في طنجة بعد ذلك ببضعة أشهر، فإن الإبن أصبح هو الممثل الأسمى لإنجلترا في المغرب لمدة ما كان أحد يتوقع أنها ستطول أربعة عقود ولكنها امتدت بالفعل لأزيد من أربعين سنة، مما يوحي بتوافق الشن وطبقه، فإن استقرار الدبلوماسية الإنجليزية في المنطقة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وجد في دجون درومند هاي الترجمان المناسب والدبلوماسي الكيس الماهر والسمسار اللبق الحاذق والمنافع عن مصالح بلده ومواطنيه، الملح لدى ملوك المغرب في تمام الاحترام والإجلال ليسلكوا مسالك الإصلاح. وحيث إنه ما لبث أن صار هو عميد السلك الدبلوماسي المقيم يومئذ بطنجة، فإنه كان بمثابة سن الرمح من الضغوط الأوربية على المغرب كي يفتح أسواقه أمام مبادرات تجارهم. وصار له من النفوذ ما جعله يتدخل في الشادة والفاذة في البلاد. فيلح لدى سيدي محمد بن عبد الرحمان ليصدر ظهيرا يوصي العمال وخدام الدولة خيرا باليهود (1864)، ويتوسط في النزاعات التي تقع بين المغرب ودول أخرى مثل ما فعل غداة معركة إسلي مع فرنسا (غشت 1844) وغداة حرب تطوان مع إسبانيا (1850). وفي قضية الحماية الفردية التي صارت بضاعة يتهافت عليها ذوو الأغراض من المغاربة، فهو الذي أوحى للسلطان مولاي الحسن بدعوة مؤتمر دولي في مادريد بقصد جعل حد لتفاهم تلك المعضلة. بيد أن أكبر منجزاته في المغرب هي إرغامه السلطان المولى عبد الرحمان على إمضاء اتفاقية مع إنجلترا (دجنبر 1856) أزاحت كل القيود المخزنية السابقة عن الواردات المغربية. وكان ذلك فتحا مبينا للتجار الإنجليز أولا، ثم لباقي تجار أوربا الذين صارت بضائعهم تكتسح الأسواق المغربية وتغير بذلك العادات والتقاليد، فضلا عن وأدها للصناعات اليدوية الوطنية. وما فتى دجون درومند هاي يقدم ذلك على أنه ربح للمغرب وياب مفتوح على الرقى في حوار محفوف من كل جانب بالكلام الدبلوماسي المعسول، مطوي في العمق على إدراك مرهف بمقتضيات ميزان القوى. وكان المترجم له يستعين في الغالب بالوزراء المغاربة لإبلاغ مطالبه ورسائله إلى الملوك. بل ذهب به الحال إلى إقامة شبكة للاستخبار صار رئيسها في العهد

الحسني بوبكر بن البشير الغنجاوي الذي كان يظلمه من مراكش على كل ما يجري بدار المخزن. وكان المخزن على بينة من كل ذلك. ولكنه كان ملزما بالتدرع بالصدقة المغربية الإنجليزية ليعطل ما كان يحاك ضد البلاد من المؤامرات من جهة فرنسا وإسبانيا على وجه التخصيص.

هكذا أقام دجون درومند هاي سفيرا لبلده في المغرب، يضطلع بدور المرشد غير المعين أو المقيم العام قبل أن تفرض الحماية على البلاد، فكان يشير ويستشار، وينصح ويؤنب، ويحتج ويوبخ، ويدهن ويكيس بلسان أبعد أحيانا في الطنز ولكنه لم يخرج أبدا عن الواجب للدولة المغربية من الاحترام. فقال له مولاي الحسن في رسالة التوديع على لسان المفضل غريب: "بأن ما ذكرته من ثقة سيدنا ومولانا جده ومولانا والده قدسهما الله بك صحيح معروف عند كل أحد، وكذلك هو أيده الله يثق بك ويعدك محبا صدوقا، وبأن ما ذكرته من أن محبة الجانين لم تتغير في خدمتك صحيح، فإن محبة الجانين هي نتيجة خدمتك وتحقيق نظر دولتك المحبة فيك وتصديق ظنها وفرادتها المصيبة في جانبك. وقد ازدادت صفاء ورسوخا وفاء بتأسيك في دولتك الفخيمة في المحبة والمودة في الأقوال والأفعال".

خالد بن الصغير، المغرب وإيطاليا العظمى في القرن التاسع عشر، 1856 - 1886، ولادة الدار البيضاء، 1990؛ المغرب في الأرشيف البريطاني، مراسلات جون دراموند هاي مع المخزن، 1846 - 1886، ولادة الدار البيضاء، 1992؛ بريطانيا وإشكالية الإصلاح في المغرب، 1886 - 1904، دار أبي رزاق، الرباط، 2003.
J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe (1830 - 1894)*, Paris, P.U.F., 1963.
إبراهيم بوطالب

هَبْرِي (جبل -) كتلة بركانية تعلو الهضاب الواسعة الجوراسية للمنطقة الوسطى من الأطلس المتوسط. فمن هذه المجالات المسطحة للزمن الثاني، انبعثت خلال الفترة الممتدة ما بين 10 و 15 ألف سنة خلت، عدة براكين من بينها جبل هَبْرِي وهَبْرِي وغيرها، من حيث تدفقت كميات كبيرة من البازالت على هذه الهضاب.

يوجد جبل هبري على بعد 15 كلم جنوب شرق أزرو على الطريق الرابط ما بين هذه المدينة ومدينة ميدلت وفي مفترق الطريق المؤدي إلى إفران. يتمثل بركان هبري الحامد على شكل مخروط ذي قاعدة تبلغ 600 م وعلو 150 م فوق سطح الهضبة، وفوهة يصل عمقها 80 م. أما ارتفاعه فوق سطح البحر فهو 2104 م. ويعم جبل هبري بيومناخ رطب ذو شتاء بارد أو شديد البرودة، إذ أن معدل التساقطات المطرية السنوية يكاد يقارب 1000 مم ومعظمها على شكل ثلوج، بينما معدل الحرارة الدنيا لأبرد شهر يقدر بحوالي 4,5 أو 5 درجة مائوية تحت الصفر.

كما هو الشأن بالنسبة للعديد من الجبال البركانية في المنطقة، ينحصر الغطاء النباتي الغابوي على المخروط الجبلي دون أن يتجاوز قدمه إلى الهضبة. تتكون الغابة من نوعين

الهبيرية (زاوية -) تقع الزاوية الأصلية بجبال بني يزناسن قرب ضريح الولي الصالح سيدي عبد الله بن عزة في الجهة الجنوبية من هذه الجبال المقابلة لسهل أمجاد حيث مدينة وجدة.

مؤسس الزاوية أو مجددتها هو الولي الصالح سيدي أحمد المعروف بالصالح، غير أن شهرتها - حسب ما وصلنا من روايات - كانت في عهد مشيخة ابنه سيدي محمد الحاج الهبري؛ فهو من سلالة سيدي عبد الله بن عزة المذكور الذي ينتهي نسبه إلى المولى إدريس مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب. لا نعرف تاريخ ميلاد سيدي محمد الحاج الهبري، أما وفاته فكانت قبل احتلال الفرنسيين للمنطقة الشرقية حوالي 1317 / 1900.

انتشر إشعاع الزاوية في شرق المغرب وغرب الجزائر، ولا يزال لها أتباع في المنطقتين بل وفي جهات أبعد. وهي تعتمد - في الأصل - الطريقة الشاذلية (نسبة إلى الولي الصالح أبي الحسن الشاذلي تلميذ القطب مولاي عبد السلام ابن مشيش)، وقد ارتبطت بها الطريقة الدرقاوية نسبة إلى الولي الصالح مولاي العربي الدرقاوي (القرن الثامن عشر)؛ وقد تأثر بهذه الطريقة مؤسس الزاوية سيدي محمد الحاج الهبري بواسطة شيخه سيدي محمد بن قدور الوكيل (القرن 19) صاحب زاوية جبل كركر الواقعة جنوب إقليم الناظور، ولا زال أتباع الزاوية الهبرية يعرفون بدرقاوة.

يروى عن شيخ الزاوية كرامات كثيرة لا تزال شفوية لحد الآن - حسب علمنا - كما تروى كرامات عن بعض أبنائه مثل مولاي العربي (جد الوالدة من جهة أبيها)، إذ كان أحد الصلحاء الزهاد المستجابي الدعاء، وكان يرفض التشهير به بكراماته، فرفض أن يخلف أباه في مشيخة الزاوية تاركا ذلك لأخيه سيدي محمد الحاج محمد الهبري الذي ظهرت عليه كرامات أيضا في حياة أبيه، فنصحته بتوسيع دائرة التربية الدينية للزاوية، فأنشأ زاوية أخرى قرب السعيدية ورثت دور الزاوية الجبلية الأصلية.

اختار الشيخ الابن سيدي محمد الهبري لبناء زاويته مكانا كان يعرف بـ "الضريوة" على وادي كيس قبل مصبه في البحر (بجوار السعيدية) بمسافة تبلغ حوالي سبع كيلومترات ضمن مجال قبيلة بني منقوش التي وهبت له أرضا بنيت عليها الزاوية، إلا أن تاريخ بنائها غير دقيق، ولكن المعروف أن شيخ الزاوية بناها في حياة أبيه الحاج الهبري صاحب زاوية الجبل، وكان سن الابن الشيخ آنذاك لا تقل عن الخمسين سنة، بل هناك بعض الروايات الشفوية التي تجعل بناءها في العقد الأخير من القرن التاسع عشر إن لم يكن العقد الذي سبقه رغم أن البناء في البداية لم يكن من الحجر وإنما من القصب.

انتبه الاستعمار الفرنسي إلى تأثير الزاوية الذي كان يتجاوز الحدود المغربية إلى غرب الجزائر خاصة خلال الحرب العالمية الأولى فاتهمت شيخها بربط الاتصال مع ألمانيا،

سائدين وهما أرز الأطلس والبلوط الأخضر. فالأرز يكاد ينفرد على الواجهة الشمالية والشمالية الغربية ليشكل غابة عالية وكثيفة، بينما يجبر في التشارك مع السنديان الأخضر على الواجهات الأخرى وخاصة الجنوبية منها لتنظيم غابة مختلطة تعيش فيها تشكيلتا النوعين السائدين. ويرافق النوعين عدد من الأنواع الشجرية والشجيرية النادرة بالمغرب بالإضافة إلى أصناف عديدة من نباتات أخرى. غير أن هذه الغابة اجتثت على شريط من الواجهة الشمالية لفسح المجال وفتح المسار لممارسة رياضة الترحلق على الثلوج. ويلاحظ مع ذلك عملية التجديد الطبيعي لأرز الأطلس وخاصة في هوامش الغابة وفي الفرجات على الواجهة الشمالية، وكذلك في تشكيلات السنديان الأخضر على الواجهة الجنوبية.

يعتبر جبل هبري أحد المواقع ذات القيمة البيولوجية والبيئية التي صنفت في شبكة المحميات الطبيعية بالمغرب علاوة على كونه يقع داخل المنتزه الوطني لإقران على حدوده الشرقية.

استطلاعات ميدانية.

عبد المالك بنعبيد

الهبري، بوعدة بن عبد القادر نسبة إلى هبرة الموجودة بولاية وهران الجزائرية، وهي بطن من بطون قبيلة سويد الهلالية. وكان الهبري هذا يوهم الناس بقدرته على الإتيان بالخوارق ويتعاطى السحر. ظهر أمره أول مرة في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان (1859 - 1873) عندما ثار بسهولة أنكاد بالقرب من وجدة، ثم عاد إلى الظهور مرة ثانية بعد وقت قصير من مبايعة مولاي الحسن الذي جهز له حركة خرجت من فاس في شهر رجب 1291 / غشت 1874. وبينما كان السلطان مقيماً عند آيت سفروشن هجم عليه الهبري بجموعه، لكن المحلة السلطانية تفوقت عليه نتيجة استعمال المدفعية، فتفرق أنصار الهبري وألقي القبض على عدد منهم.

وحتى يستأصل مولاي الحسن داء هذا الثائر جهز له حملة جديدة لمقاتلة أتباعه ضمن قبائل بني سادن وآيت سفروشن وبني وراين، فجاه أعيان هذه القبائل تائبين؛ وبعد مدة جيء بالهبري أسيراً إلى السلطان، وكانت قبيلة بني كلال قرب تازة هي التي ألقته عليه القبض. وبعد أن تدخل شيخ الزاوية الوزانية لصالحه، قبل السلطان أن يحقن دمه وأن يودعه السجن بفاس. وبقي بالسجن مدة إلى أن تقرر نقله إلى مراكش، فمات في الطريق في ظروف غامضة. ويظهر أن السلطان مولاي الحسن قرر تصفيته على الرغم من تشفع سيدي عبد السلام الوزاني لصالحه وحصول هذا الأخير على تعهد من السلطان بعدم قتله.

أحمد الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، 1956، ج 1، عبد الرحمان ابن زيدان، إتخاف أعلام الناس، ج 2.

E. Michaux-Bellaire, La maison d'Ouezzane, Revue du Monde Musulman, 1908, p. 23-89.

محمد المنصور

ففتحه إلى شرق الجزائر سنة 1914 وبقي في المنفى ثلاث سنوات ونصف، وهذه المدة مكنت الشيخ من تكوين أتباع للزاوية في شرق الجزائر وخاصة في مدينة عنابة. وإذا كان هذا شيئاً إيجابياً بالنسبة لتوسيع إشعاع الزاوية فإن الجانب السلبي هو تدمير المستعمر خلال نفي الشيخ المذكور للعديد من الكتب التي كانت في مقر الزاوية المعروف قديماً بالضربة (السعيدية)، ثم ضاع معظم ما بقي من هذه الكتب خلال حرب التحرير الجزائرية بين 1954 و1962 حيث كانت مبانى الزاوية وغيرها من المداشر القريبة من الحدود تتعرض للقصف المدفعي بشكل شبه يومي من طرف المستعمر الفرنسي بالجزائر بسبب الدعم الذي كان يقدمه المغاربة سكان منطقة الحدود لجيش التحرير الجزائري. مثل هذه الظروف هي التي جعلتنا نعتمد على الرواية الشفوية فيما يتعلق بتاريخ هذه الزاوية، وكذلك فيما يتعلق بتاريخ سلالة الولي الصالح سيدي عبد الله بن عزة، هذا باستثناء بعض الظواهر السلطانية التي تأمر الولاة بتوقيع الشرفاء أولاد الولي المذكور التي كانت مجموعة منها محفوظة لدى بعض نقباء هؤلاء الشرفاء، وقد تسلمت مديرية الوثائق الملكية مجموعة من هذه الظواهر (راجع في المعلمة مادة : عزة (أولاد -).

منذ موت الشيخ محمد الهبري (الابن) آخر سنة 1939 ضعف إشعاع الزاوية ولكنها لم تفقد أتباعها، فرغم ظهور بعض الزوايا الفرعية فإن زاوية الضربة ظلت تعتبر الزاوية الأم، وظل شيوخها يتمتعون بالاحترام الكامل سواء من الأتباع في شرق المغرب أو في الجزائر. وقد توالى على المشيخة بعد الولي المذكور ابنه الشيخ سيدي أحمد مدة تزيد عن عشر سنوات حاول خلالها الإبقاء على هيبة ومكانة الزاوية، ثم خلفه بعد وفاته ابنه سيدي علي وكان صغير السن، بحيث وجد نفسه في وضع صعب تجاه ضغط الاستعمار وأعدائه، وهو ضغط كان يمارس أيضاً على أتباع الزاوية إبان فترة المقاومة المغربية خاصة بعد نفي السلطان محمد بن يوسف. وبعد أن توفي الشيخ في الجزائر بعيداً عن الزاوية سنة 1962 في ظروف غامضة، خلفه في المشيخة عمه سيدي عمر وابن الولي سيدي محمد الهبري، فاستمر في المشيخة نحواً من 38 سنة بحيث تجاوز عمره التسعين سنة عند وفاته في شهر رجب 1421 / أكتوبر من سنة 2000.

تقام في الزاوية مواسم "الحضرة" مساء كل خميس، وكذا الأعياد الدينية كعيد المولد النبوي، كما يقام موسم عام كل صيف يجتمع فيه أتباع الزاوية الوافدون خاصة من جهتي شرق المغرب وغرب الجزائر.

وثائق وظواهر مخزنية خاصة : روايات شفوية.

أحمد عزايي

الهبط ، بلاد الماء والتضاريس، ذلك أن المنخفضات تشغلها المرجات الموسمية على امتداد قدم الأعراف النوميديّة والجبال متوسطة العلو المحيطة بالقصر الكبير من جهة والهضاب الساحلية المفتوحة على المحيط بين وادي تهادرت

(شمال مدينة أصيلة) والمرجة الزرقاء (مولاي بوسلهام) من جهة أخرى.

يترتب عن صعوبة تحديد مجال الهبط تعذر معالجة واقية للوضعية الاجتماعية والاقتصادية خاصة وأن المنطقة توحى بمؤشرات مجتمع عتيق (Archaïque) وفي نفس الوقت بملامح مجتمع تراتبي وعناصر عرقية تركيبية من كل صوب.

فمعالم المجتمع الهبطي لم تتضح إلا من خلال كتابات الفرنسيين بعدما تركز اهتمامهم على المنطقة طوال القرن 19 استعداداً لبسط نفوذ الاستعمار.

1 - الجذور التاريخية للهبط :

- يعرف الحسن بن محمد الوزان الفاسي ناحية الهبط كما يلي : "تبتدئ هذه الناحية جنوباً عند وادي ورغة لتنتهي شمالاً على المحيط، وتتأخم غرباً مستنقعات أزغار، وشرقاً الجبال المشرفة على أعمدة هرقل. ويبلغ عرضها نحو ثمانين ميلاً، وطولها نحو مائة ميل". واستناداً لما أورده الوزان، يعيد Michaux-Bellaire (1911) نفس التعريف لمنطقة الهبط : "تتضمن منطقة الهبط القديم سهول الغرب، والخلوط وجزءاً من المناطق المرتفعة المعروفة اليوم باسم اجباله (سكان الجبال)".

ويرى ابن خلدون أن سكان منطقة الهبط قبل مجيء العرب كان يقتصر على جزء من كنفدرالية المصامدة، علماً أن الثنائي المتشكل من كنفدرالية صنهاجة وكنفدرالية زناتة كانت تنتشر في باقي المناطق الأطلسية والجنوبية.

تأثرت المنطقة ما بين القرنين 12 و17 بالموجات البشرية العربية القادمة من المشرق وكذلك باستقرار الأدارسة والشرفاء، وخلق الزوايا التي سهرت على تنظيم الجهاد (مولاي عبد السلام بن مشيش، سيدي مزوار، زاوية تغازوت، إلخ) خصوصاً خلال مراحل ضعف الحكم المركزي.

من شأن هذا المعطى التاريخي توضيح جانب من بنية وأصل سكان المنطقة التي يبقى الطابع العربي هو الغالب عليها من الناحية الإثنية واللغوية. ويرى المؤرخون أن قبيلة الخلط (الخلوط) ذات الأصل العربي تشكل الغالبية المطلقة لسكان المنطقة. فالخلط قبيلة عربية وقوة عسكرية مستقلة تعاملت مع معظم ملوك الأسر الحاكمة بالمغرب، واعترفت دائماً بالأقوى منهم واستمر ذلك إلى حدود القرن 16. وقد هزمها الملك الوطاسي أبو حسون الذي حولها إلى وضعية قبيلة "نايبة".

يقول الغريباوي (1981) أن الخلوطة من بني هلال، أصلهم من الحجاز، جلبهم يعقوب المنصور الموحد سنة 1188-1189 إلى المغرب (مع أبناء عمومتهم قبيلة رياح). وعلى عكس بني رياح الذين سكنوا مرحلياً جنوب العرائش بين القصر الكبير والغرب والمحيط، أي فيما عرف آنذاك بالهبط، استقر الخلط في معظم الأقاليم المغربية. ومنذ نكبة المرينيين عاشت قبيلة الخلوطة مرحلة الضعف إلى أن استعان بهم المنصور الذهبي خلال واقعة وادي المخازن سنة 1578 التي أعادت لهم الاعتبار. وبسبب تظلم بني حسان من جورهم، عاقبهم المنصور بتجريدتهم من السلاح وبتهجيرهم إلى

تداول أسماء أماكن بريرية أصلية بجوار أخرى عربية مثل جبالة، الرمل، الليمونة، ميمونة، الرميلات، القصر الكبير، العرائش، العوامرة، الخ. ولعل اعتماد أسماء الأماكن (Toponymie) يعتبر في الدراسات الاجتماعية منهجا وطريقة تضاهي الدراسات التي تعتمد المرجعية الإثنية.

2 - سكان الهبط :

يغلب على الظن، من خلال قراءة كتب من قبيل ما خلفه الدارسون القدماء مثل البكري، وابن خلدون، والوزان، والناصرى، الخ، وكذلك ما خلفه الدارسون المحدثون مثل العروى، والغرباوي، Michaux-Bellaire الخ. أن ساكنة بلاد الهبط تمحورت في الغالب حوالي المجال الجغرافي المنحدر من أعالي جبال الريف في اتجاه المحيط الأطلنطي بين :
- مولاي بوسلهام جنوبا (من المرجة الزرقاء وعلى امتداد روافد سبو : مدا، ردا، وورغة).

- ومدينة أصيلة شمالا (مصب وادي تهدارت).
يتميز هذا المجال بكثافة ديمغرافية عالية مقارنة بالمتوسط الوطني (37 ن / كم²). ويمكن تفسير هذه الوضعية البشرية بأسباب أهمها الثقل التاريخي المتمثل في العمق الأمازيغي وفي نظرة الحكم المركزي بفاس أو مراکش أو مكناس إلى هذا المجال من حيث اعتباره ملجأ للمعارضين السياسيين وللفرق والزوايا، كما أنه ظل لقرون ممر للقوافل التجارية (وجود العديد من مداشر الزواج على طول طريق التجارة الرابط بين فاس وطنجة)، ومستقرا للعديد من المتصوفين. واعتبارا للمواجهات الأتلية مع الصليبيين تأثرت المنطقة بتعرضها للعديد من الهجمات البحرية التي أجبرت السكان على التراجع والاحتماء بالجبال من جهة واستقبال مسلمي الأندلس الفارين من محاكم التفتيش بدءا من القرن 15 من جهة أخرى.

أثرت هذه الصيرورة التاريخية في الملكية العقارية لبلاد الهبط. فهي تحتفظ بقوانين وأنماط إنتاج قديمة وحديثة مما أدى لتداخل وتعقد البنية العقارية حيث يمكن تلخيص أهم ملامحها على الشكل التالي :

• ملكية حديثة للشركات (وطنية وأجنبية) بحوض اللوكوس الأسفل وفي هضبة رمل العرائش.

أراضي الملك بالهبط الداخلي (تراكم تاريخي ونمط إنتاج خاص بقبائل اجباله).

أراضي الملك المنتشرة حديثا حوالي المدن، بسبب استثمار المغاربة المهاجرين بالخارج، واستقبال المهاجرين من الريف الأوسط والشرقي، وتحسن مستوى عيش بعض السكان. أضف إلى هذا، تغيير البنية العقارية لبعض الأراضي من وضعية ملك الجماعة (المرجات مثلا) إلى ملك الخواص.

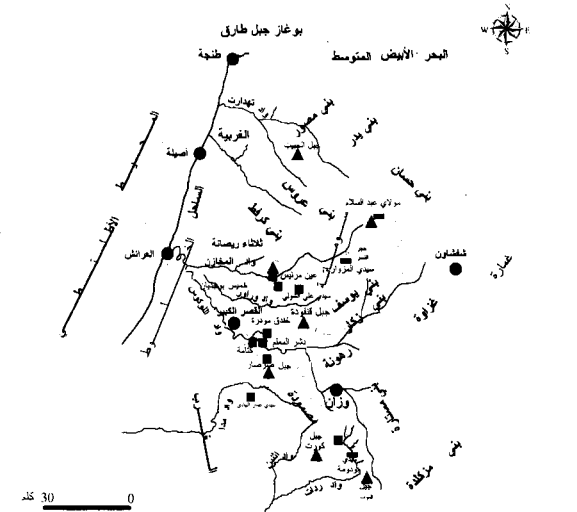
أراضي محبسة للمساجد والأولياء والزوايا حوالي مدينة القصر الكبير. وينتشر بعضها لفائدة الأشراف حوالي أربعاء عياشة وجبل الحبيب وخميس بني عروس (أنساب الولي الصالح القطب مولاي عبد السلام بن مشيش).

الصحراء فرفصوا. وأخيرا فرض عليهم الاستقرار النهائي ببلاد الهبط، جنوب العرائش، محتلين بذلك مجال بني رياح. هكذا، وبحسب ابن خلدون، يستقر "اليوم" الخلط بحوض اللوكوس الأسفل وجزء من بلاد الهبط بعد أن أرغموا غمارة بني حسان على التراجع إلى الجبال الداخلية. وبذلك يستخلص من هذه الصيرورة التاريخية تداخل وغنى المنطقة من الناحية العرقية.

أما بلاد الهبط فيعرفها الغرباوي (1976)، بالمجال المتسع من الأراضي المنخفضة والمنحدرة من جبال الريف الغربي حيث يبدأ الإبحار في اتجاه الأندلس التي كانت تحتاج خلال مراحل الفتح الإسلامي الأولى، إلى أعداد كبيرة من المحاربين، قبل أن تصبح فيما بعد ملجأ لأفواج المهاجرين الباحثين عن حياة أفضل. وخلال المرحلتين معا، شهد مجال "الهبط" هبوط أعداد كبيرة من السكان الجبليين في اتجاه المحيط، بحثا عن الجهاد أو التوسع إلى أن أصبح المصطلح العربي "الهبط" يعني أكثر ما يعني مجال النزول في اتجاه المحيط الأطلنطي.

ودونما اعتبار دقة الاتجاهات بين الباحثين القدامى والجدد حول جغرافية الهبط أو التداخل العرقي (Ethnique) مع المكاني - الموقعي (Toponymique)، ودون مناقشة صفة "القدم" الواردة في تعريف الباحث الاجتماعي الفرنسي؛ يمكن توطين منطقة الهبط داخل المجال المنحصر بين وادي ورغة جنوبا، ووادي لاو شرقا ثم البوغاز والمحيط الأطلنطي شمالا وغربا. وبذلك يكون مجال بلاد الهبط هو ما يعرف اليوم بـ "الريف الغربي".

من خلال هذا الإطار العام، يبدو أن أصل التسمية عربي ومكاني من الناحية الجغرافية (Toponymique)، فهو يعني الانحدار الطبغرافي أو المجال المنحدر. علما أن بشمال المغرب الكثير من التسميات الأمازيغية من قبيل تازة (باب)، الشاوان (قرون الحيوان)، تطاوين (العين البيضاء)، الفحص (السهل أو المقاطعة) الخ.



وفهم من هذا أن أثر انتشار الإسلام ومعه اللغة العربية انعكس على أسماء الأماكن بشمال المغرب، وهو ما أدى إلى

أراضي الجماعة والجيش المنتشرة في حوض اللوكوس وفي هضبة الرمل (نظرا لمحدودية استغلال الأرض لدى عرب الخلووط واعتمادهم الكبير على تربية الحيوانات).
أراضي الدولة في هضبة خميس الساحل (أراضي الريسوني، عميل الإسبان).

أراضي مسترجعة من المستعمر وموزعة على صغار الفلاحين في إطار تدعيم السقي الكبير بالمنطقة (المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي باللوكوس).

3 - وضعية الهبط الراهنة :

الهبط تسمية لمجال جغرافي ذي شخصية قائمة استقرت به قبائل من أصول متباينة : أمازيغية في البداية وعربية فيما بعد، ثم خليط لاحقا. وعلى الرغم من كثرة تردد الاسم (الهبط) لدى الكتاب القدامى، فقد اجتنب معظمهم التحديد الجغرافي للمجال ولأعداد الساكنة. وهو وضع استمر لبداية القرن 20 حيث ظهرت كتابات الغربيين التكميلية.

وقد عرفت هذه البلاد تمدا وتقلصا حسب مراحل التاريخ الممتدة من عصر الأدراسة إلى بداية القرن الماضي وفرض الحماية على المغرب حيث تصادف اليوم لدى الكتاب الغربيين المعاصرين ولدى من لحقهم من المغاربة دراسات تهم مجال الهبط، مع قليل من الاختلاف في التحديد الجغرافي، وذلك تحت تسمية: "الريف الغربي".

ولعل تزايد اهتمام الغربيين بهذا الإقليم سبب تضمنه لمقومات استغلالية من قبيل المؤهلات الفلاحية الكبيرة (مصادر مياه وفيرة، السقي الكبير بمنطقة "الرمل")، وإمكانية تجارة التهريب، وممارسة الهجرة السرية عبر زوارق الموت، والمخدرات، الخ. يتجلى ذلك أحيانا في شكل مساعدات مقنعة مالية وتقنية وعلمية يتم تقديمها، وكذلك في صبغة تشجيع الجمعيات غير حكومية (خاصة منها تلك التي تهتم بمجال البيئة) أو بتدعيم مشاريع التنمية مثل بناء الطرق وفك العزلة عن العالم القروي عبر تزويده بالماء الشروب أو ربطه بشبكة الكهرباء.

لقد أدى تغيير الوضع الاقتصادي منذ بداية الستينيات وإعطاء الأسبقية للفلاحة في برامج التنمية الجهوية إلى جلب يد عاملة وفيرة قدمت من المناطق المغربية الأخرى (برنامج السقي الكبير، زراعة الشمندر وقصب السكر، مشروع زراعة الشاي، منتوج فلاحة التصدير كالحوامض وتوت الأرض، الصيد البحري بالعرائش، الصناعات الغذائية الخ...). كما شهدت المنطقة أحيانا، استقرار أجناب تقنيين ومستثمرين في مجالات الصيد البحري والفلاحة والصناعات الغذائية.

نتج عن هذه الدينامية تشكيل متجدد لسكانة إقليم الهبط حيث يكتسي حاليا نمط فسيفساء عرقية يصعب تحديدها بسهولة. وتزداد هذه الصعوبة بسبب تبني السلطات المختصة لسياسية إلغاء الإطار القبلي مباشرة بعد

الاستقلال. لكن وعلى الرغم من هذا، يمكن تقديم التوزيع الجغرافي لسكانة الإقليم، على وجه التقريب، كما يلي :
ينتشر "اجبالة" فوق المرتفعات الجبلية الداخلية (سوماتة، بني جرفط، الخ) وهم ينحدرون من قبيلة غمارة التي أصبحت مستعربة.

ينتشر العرب "العروبية" في المناطق السهلية والهضبية الساحلية (هضبة الرمل وخميس الساحل) وينحدرون في معظمهم من قبيلة الخلووط.

يسكن الهبط الساحلي ما بين وادي اللوكوس وتاهدارات، قبائل مركبة وحديثة التكوين (القرنين 18 و 19) قبائل الساحل والغربية.

يستقطب الثلاثي الحضري لمدينة العرائش والقصر الكبير وأصيلة كل الأصول المغربية، غير أن هذا لم يمنع استمرار بعض مداخل (دواوير) الزواج على صيغتها الأصلية عبر الطرق التاريخية الرابطة بين فاس وطنجة (طريق القوافل التجارية)، أو بجوار محطات تربية الأبقار والمخيل (العدير) : مداخل عين العبيد، البكار، بوصافي، أولاد المصباح الكوخل، الخ. فهؤلاء الزواج يتميزون إلى حدود اليوم، وخلافا لما يحيط بهم من مداخل، بتربية الجمال والتخصص في زراعة النعناع.

ع. الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، 1983، بيروت : ح. الوزان، وصف إفريقيا، 1983، بيروت.

G. Ayache, *Les origines de la guerre du Rif*, Publications de la Sorbonne, SMER, Rabat, 1981 ; Ch.-A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, Ed. J.A., Paris, 1978 ; A. El Gharbaoui, *La terre et l'homme dans la péninsule tingitaine*, Trav. Inst. Scient. Série Géol. et Géogr. Phy., N° 15, Rabat, 1981 ; La terre et l'homme dans le Habt de Larache, *Homme, terre et eaux*, n° 21, p. 13-33, 1976 ; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain, 1830 - 1912*, Centre Culturel, Casablanca, 1993 ; E. Michaux-Bellaire, *Quelques tribus de montagne de la région du Habt, A.M., vol. 17, 1911, p. 186 ; Les tribus arabes de la vallée de Lekkos, A.M., vol. 4, p. 6; 1905 ; L'organisme marocain, Revue du Monde Musulman, vol. 9, p. 1-43, 1909 ; El Qçar es-Seghir, R.M.M., vol. 16, p. 329-375, 1911 ; El Qçar el-Kebir : une ville de province au Maroc septentrional, A.M., vol. 4, p. 1-228, 1905 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Thèse, Rabat, 1977.*

عبد المالك السلوي وبوشتي الفلاح

الهبطي الصماتي، محمد بن أبي جمعة، أبو عبد

الله، أحد العلماء المتخصصين في علم القراءات، خصه الكتاني في سلوة الأنفاس بترجمة واقية، قال فيها : "عالم فاس في وقته، فقيه نحوي، فرضي، أستاذ مقري، عارف بالقراءات، مرجوع إليه فيها، وكان موصوفا بالخير والفلاح والبركة والصلاح، وهو ذو أحوال عجيبة وأسرار غريبة".

من مؤلفاته : رسالة الوقف أو تقييد وقف القرآن، مؤلف عمل تلاميذه على نشره في جميع جهات المغرب، يقول عنه الأستاذ حجي : "إن المصاحف المغربية ما تزال تكتب وتطبع

حتى اليوم بوقف الإمام الهبتي". عمدة الفقير في عبادة
العلي الكبير، وهو مخطوط الخزانة العامة بالرباط.

توفي بمدينة فاس سنة 930 / 1523.

ابن القاضي، درة المجال، تح. أبو النور، 2 : 152 ؛ جذوة
الاقتباس، 1 : 321 القادري، نشر الثاني، تح. حجي والتوفيق،
1 : 35 ؛ الكتاني، سلوة الأنفاس، طبعة، 2004، 2 : 76 ؛
التنبوكتي، نيل الابتهاج، 585 ؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، تح.
خيالي، 1 : 400 ؛ محمد حجي، الحركة الفكرية، 2 : 374 ؛ كنون،
النوع المغربي، 1 : 250.

الهبتي، عبد الله بن محمد أحد علماء غمارة من
جبل الأشهب كما ذكر الأستاذ حجي، وأصله من صنهاجة
طنجة كما نقل القادري في نشر الثاني عن تمتع الأسماع في
ذكر الجزولي والتابع.

تلقي تعليمه الأولي بجبال غمارة والهبط، ثم رحل إلى
فاس ليأخذ عن علمائها، وأشهرهم أحمد الزقاق، ويسلك
طريق "القوم" على يد الشيخ الصوفي عبد الله الغزواني
المتوفى سنة 935، وكان كما يقول ابن عسكر : "يحتج
بكلام الغزواني ويستشهد بنثره ونظمه".

وفي مسقط رأسه بالجبل يؤسس زاويته، ليمارس
التدريس بها والتوجيه، هدفه توعية الناس بأمور دينهم،
ودعوتهم إلى سلوك الطريق السوي، حريصا على تعليم
النساء ورتوجيهن دون تمييز بينهن وبين الرجال.

نعتته ابن القاضي في درة المجال "بالولي الصالح
الصوفي"، وقال عنه الناصري في الاستقصا : "كان من أهل
الورع والدين والاتباع للسنة، والأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر"، وأفرد له ابن عسكر ترجمة وافية في دوحة الناشر،
جاء في أولها : "فريد عصره وأعجوبة دهره، الإمام العارف
بالله وأحكامه، الشيخ العالم الزاهد المحقق، جندي زمانه".

أما الحضيكي فتحدث عنه بإعجاب، وحلاه بقوله : "كان
كبير الشأن، عالي الهمة والرتبة، راسخ القدم في مقام
العرفان، لا يجارى في ميدان المعرفة".

من مؤلفاته : "الألفية السننية في تنبيه العامة والخاصة
على ما أوقعوا من التغيير في الملة الإسلامية" : وهو رجز
ينتقد أحوال المجتمع في جبال غمارة ويدعو إلى الإصلاح
والتمسك بالإسلام عقيدة وسلوكا، مخطوط الخزانة الحسنية،
وله منظومات أخرى مخطوطة في العقائد تصب كلها في
الدعوة إلى الإصلاح، كما أن له مشاركة في المناظرات
الدينية مع علماء عصره.

توفي عام 963 / 1555.

ابن القاضي، درة المجال، تح. أبو النور، 3 : 60 ؛ جذوة الاقتباس،
2 : 440 ؛ القادري، نشر الثاني، تح. حجي والتوفيق، 1 : 35 ؛
الفاسي، تمتع الأسماع، 68 - 69 ؛ الحضيكي، طبقات، 2 : 89 ؛
الناصر، الاستقصا، 5 : 87 - 88 ؛ الفاسي، مرآة المحاسن، ط ح

15 ؛ ابن عسكر، دوحة الناشر، تح. م. حجي، 15 ؛ كنون، النوع
المغربي، 1 : 251 ؛ محمد حجي، الحركة الفكرية، 2 : 466.

الهبتي، محمد بن عبد الله المعروف بالصغير هو ابن
الصوفي المشارك عبد الله الهبتي، تعلم في مدرسة أبيه
ونهج طريقته في التربية والتعليم، وصفه اليفرني في الصفة
بقوله : "كان مشاركا، متضلعا بالفنون، ولي مقام أبيه،
وقصدته الناس من النواحي".

اشتهر الهبتي الصغير بالنزاهة والاستقامة، فلم يبخل
بعلمه وتوجيهاته وفتاواه على الخاصة والعامة، وإلى جانب
رئاسته العلمية والصوفية، ولي خطة القضاء، فكان من أمثال
القضاة عدالة ونزاهة"، كما وصفه الأستاذ حجي.

من مؤلفاته : "كنز السعادة في بيان ما يحتاج إليه من
نطق بكلمة الشهادة"، وهو جواب على سؤال في موضوع
الإيمان والعمل، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط).

"المعرب الفصيح عن سيرة الشيخ الرضي النصيح" :
أرجوزة في ثلاثة وسبعين وثلاثمائة وألف بيت، ترجم فيها
لأبيه ترجمة وافية ولأشياخه وتلامذته، ملما بأحوال الطريقة
الجزولية / الشاذلية، كما ترجم لنفسه ولأخيه المعروف
بالكبير (مخطوط خزانة القرويين).

"مصطلحات الصوفية" : وهو مخطوط الخزانة الحسنية.
"كشف الأستار الغيبية عن وجه القصيدة الشعبية" : وهو
شرح لنونية أبي مدين الغوث المتوفى سنة 590، ولعله
مفقود.

"اختصار كشف الأستار الغيبية" : مخطوط خزانة
القرويين، والخزانة الحسنية.

توفي عام 1001 / 1593.

ترجم لنفسه في كتابه "المعرب الفصيح" : اليفرني، صفة من
انتشر، تح. خيالي، ص. 165 ؛ القادري، نشر الثاني، تح. حجي
والتوفيق، 1 : 35 ؛ الحضيكي، طبقات، 2 : 101 ؛ ابن سودة، دليل
مؤرخ المغرب الأقصى، 2 : 399 ؛ محمد حجي، الحركة الفكرية، 2 :
468 . 467

الهبتي، محمد بن عبد الله المعروف بالكبير هو ابن
عبد الله المتصرف، عرف بالكبير كما عرف أخوه بالصغير
للتمييز بينهما، من علماء بلاد الهبط، تفوق في علم
القراءات وعلوم القرآن، مارس التدريس في علوم كثيرة
بزاوية والده، وكان من العلماء المشاركين، ترجم له أخوه في
المعرب النصيح، وذكر "بأن له مشاركة في جميع الفنون التي
كان يدرسها أبوهما في زاويته".

توفي سنة 995.

المعرب الفصيح، مخطوط خزانة القرويين ؛ محمد حجي، الحركة
الفكرية، 2 : 468.

نحاة المريني

الهجوج، آلة موسيقية من ذوات الأوتار، تشكل ثالث أنواع الكنجيري وأكبرها حجما بعد الفرج والسويسدي. يستخدم الهجوج عند كناوة خاصة، والعادة أن تعلق بعنقه سبع قطع من القماش لكل قطعة لون خاص مما يحيل على ألوان "ملوك" الليلة الكناوية.

صندوق الهجوج من خشب صلب يحفر على شكل نصف بيضة، وعنقه مصنوع على شكل مخروطي. وله ثلاثة أوتار تربط في أقصى عنقه بواسطة خيوط سميكة. أما تسويتها فتكون على طبقة صوتية جهيرة، وذلك عن طريق جر الوتر واستبدال موضع عقدة الخيط.

صالح الشرقي، أعضاء على الموسيقى المغربية، المحمدية، 1977، ص. 37.

Ahmed Aydoun, *Musique du Maroc*, Ed. Eddif, 2002.
عبد العزيز بن عبد الجليل

الهدامي، فخذة كبيرة من أولاد سعيد، تنتشر أراضيها على الضفة اليمنى لوادي أم الربيع، وتتكون من الدواوير الآتية: المعاشات - أولاد سي بومجمر - الغنيميون - أولاد حدو - جديات - الثريات.

كان عدد خيام الهدامي في مطلع القرن العشرين حوالي 1887 خيمة، أي حوالي 9435 نسمة، وهي تشتهر بتربية الأغنام وتحتل الرتبة الأولى في كثرة قطعان الأغنام بأولاد سعيد.

Ville et tribus du Maroc, t. 2.
علال الخديفي

هداوة، تنتسب هذه الطريقة إلى مؤسسها "هدى" ذفين جبل العلم ببني عروس، كانت لسيدتي "هدى" عدة ألقاب مثل مول الدربال، مول أخميس ببني اعروس، مول الطبول، مول الخواتم، مول القنادل الضاوية ومول السيوف الماضية، مول الواد الأخضر ومول السبسي والمطوي. كانت ولادة سيدتي "هدى" بتافيلالت، حيث ترعرع، بدأ رحلته الأولى بالتوجه إلى بلاد السودان التي عاد منها إلى تافيلالت ليبدأ رحلة ثانية قاصدا فيها أضرحة ومزارات أقطاب التصوف المغربي، أمثال عبد السلام بن مشيش وبلعباس السبتي ومولاي إبراهيم وغيرهم.

أما المرحلة الجديدة من حياته فقد تميزت بالاستقرار، بعد جولته السياحية تلك، فكانت قبيلة بني اعروس مركز استقراره حيث أصبح له أتباع ساروا على عاداته في العيش والطقوس والمناسك والعادات كتطويل الشعر واللحية ولبس الدرباله وتدخين الكيف والضرب على الدعدوع وذلك بكل من فاس ومراكش وسوس. ومن كراماته دخول الأقران دون أن يحترق.

واعتمادا على ما ذكره برونيل فإن زاوية سيدتي "هدى" لازالت بقبيلة بني عروس على شكلها الأول، وهي تتكون من مجموعة من النوات تحيط بالضريح ويوجد في هذه

النوات الهرازز والطبول ثم هناك نواله أخرى توجد بها مكتبة، إضافة إلى المسجد.

وكان أتباع سيدي هدي عند عودتهم من زيارة مولاي عبد السلام بن مشيش، يقومون بزيارة قطبهم، وقبل وصولهم إلى الضريح يزورون معظم المزارات التي يجدونها في طريقهم.

ليست لهذه الطائفة طريقة معينة كما هو الشأن بالنسبة للشاذلية أو الجزولية، ففي نظرهم تبقى طريقتهم هي المثلى، لذلك لا يمكن استبدال الشيخ بآخر، ومن فعل ذلك اعتبروه من الزنادقة، غير أنه يسمح لهداوة باتباع أحوال أخرى مثل الحال الكناوي، والعيساوي، والحمدوشي والحال الجليلي، ويبدأ عادة الحال عندهم، بالذكر والجدبة وينتهي بتدخين الكيف.

ولهذه الطائفة طقوسها الخاصة بها، فالشخص الذي يرغب الدخول في زميرتهم، عليه مرافقة أفرادها والقيام ببعض المهام اليومية من تنظيف الدرابل ومصاحبتهم أينما حلوا، إلى المهام الروحية، كالذكر والحضرة والجدبة وتدخين الكيف، هكذا إلى أن يصبح هداويا بأمر من هداوة الذين يجتمعون بينهم ويجيزونه، ومنذ ذلك الحين، يشتري الهداوي الجديد، إبريقا وركيلة ومطويا، ويشرع في السياحة، وللإشارة هناك بعض النساء الهداويات.

ومما يميز الهداوي عن باقي أفراد الطوائف الأخرى، تدخين الكيف والحشيش وأكل المعجون، وليس الدرباله، وليس لهذه الطائفة ورد خاص بها حيث يكتفون بورد سيدي هدي ثم ورد مولاي الطيب رفيق سيدي هدي أو ورد مولاي يعقوب الذي يتمسك به هداوة بصفة خاصة. وعند مقامهم الموسمي يبني عروس، يقوم هداوة بمساعدة زوار الولي في عملية الاستحمام بالصهريج منشدين بعض الأجزاء من الورد: أمولاي يعقوب بجاه بن منصور ولالة شافية شان الله.

مولاي يعقوب بيت الله والولي بنمنصور

داوني لله ابن منصور أجبار المهريين

مولاي إدريس بيت الله، سيدي هدي، سايح الله محمد

حبيب الله مرسل.

وتتم الحضرة عبر مراحل حيث، يبدأون بالذكر صحبة الطبل والهراز، وأذكار أخرى ثم يقف المشاركون في الحضرة للجذب ويختمون بالفاتحة أو قول "الله يجعل فيه الخير يتصاب الله يجبر حال الخلاق مجموعين".

وتقام هذه الحضرة بزواية سيدي هدي، حيث يمارس هداوة الحضرة مرتين في اليوم، الأولى تبدأ في الفجر بعد الصلاة إلى طلوع الشمس، والثانية تكون بعد صلاة المغرب وتنتهي عند صلاة العشاء. إضافة إلى ما ذكرناه عن هذه الطائفة فمعظمهم فقراء محتاجون الشيء الذي يدفعهم إلى التسول، والمشى حفاة القدمين وعرارة الرأس، كما أن معظمهم عزفوا عن الزواج، بل ظلوا سائحين جوالين، معتبرين أنفسهم من أولياء الله الصالحين.

والملاحظ هو العلاقة الحميمة بين هداوة والقبط التي

الهدهد، يجتمع على هداهد وهداهيد، جنس من الطيور البرية متوسط القد على قدر السمنة والشحور، جميل المنظر؛ تنتصب على رأسه قلنسوة وهو مشهور بهذا الاسم في جميع الأقطار العربية وكنيته أبو الربيع وأبو عباد وأبو سجار وأبو روح وأبو الأخبار تبعاً لقوله تعالى في سورة النمل "وتفقد الطير فقال مالي لا أري الهدهد أم كان من الغائين، لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحه أو ليأتيني بسلطان مبين، فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به



وجئتك من سبأ نبأ يقين" .. يصنف إلى رتبة كوراسيفورم و Coraciiformes وفصيلة الضؤضئيات Upupidés يسمى علمياً Upupa epops وبالفرنسية Huppe fasciée وبالإنجليزية Hoopoe وبالإسبانية Abubilla وبالإيطالية Udod وبالروسية Udod.

منقار الهدهد طويل مدبب ومعقوف قليلاً، أعد باتقان للبحث عن الحشرات والديدان بين النباتات وتحت سطح الأرض ويشقوق جذوع الأشجار والصخور. له حويصلة وقانصة تهضم الطعام جيداً حيث يلتقط مواداً صلبة وحصى لتساعد القانص على الهضم.

الريش على الرأس والصدر والعنق ضارب إلى الصهبة وينتهي بالسواد، الظهر والجناحان مخططان بالأبيض والأسود والذيل عريض أسود اللون. الطيران غير منتظم ومتقطع على شكل قفزات متواصلة. يبلغ طول بسطة الجناحين 42-46 سم وطول الجسم 26-28 سم وتزن الكبار 50-80 جراماً. الذيل طويل مستقيم المؤخرة وينتهي ببقعة صغيرة بيضاء. يألف الغابات والأدغال بجبال الأطلس وجبال الريف والهضاب الوسطى والحدائق والبساتين المشجرة. يأتي إلى المغرب من إفريقيا الوسطى ابتداءً من مارس ويهاجر أيضاً في فصل الربيع إلى أوروبا الوسطى وآسيا ليتوالد ثم يعود في الخريف إلى إفريقيا الوسطى ليشتو جنوب الصحراء الأفريقية. يتوالد بين أبريل ويونيو وتبني الأنثى العش بين شقوق جدران المنازل المهجورة وشقوق جذوع الأشجار وكثيراً

حظيت بمكانة خاصة عند مقدم الزاوية الذي كان يطعمها من نفس الطعام الذي يتناوله هداوة. إضافة إلى كل هذا كانت لهذه الطائفة ألفاظ خاصة بها لا يفهمها إلا مريدوها وتدعى غوس.

R. Brunel, *Le monachisme, errant dans l'Islam, Sidi Heddi et Heddawa*, Maisonneuve et Larose, Paris, 2001.
علال رگوگ

هدراش (قصة -) شيدها المولى إسماعيل (1082 - 1139 / 1672 - 1727) إلى جوار قصبته المخزنية، ويحدد الفرنسي مويط Mouette الذي كان أسيراً بمدينة مكناس ما بين (1670 - 1681) موقعها قائلاً: "... وفي الجانب الجنوبي الشرقي من هذه القصبة [قصبة المخزن] قصة صغيرة بنيت سنة ثمانين وستمائة وألف مسحية تسمى الأودايا عرض أسوارها ستة أشبار ولها أبراج مربعة بشرفاتها تفصل بين القصبتين مقبرة" فالمقبرة هي مقبرة سيدي عمرو الحصري، أما القصبة الصغيرة فهي "قصبة هدراش" ونسبتها إلى الأوداية يعود إلى كون السلطان مولاي إسماعيل أسكن بها "رحى الأوديا" وهم قسم من جيش الأودايا الذي كان يتكون من ثلاث أقسام: رحى أهل سوس ورحى المغافرة ورحى الأودايا، وكانوا (أي رحى الأودايا) قد قدموا على السلطان أثناء دخوله لمدينة مراكش للمرة الثانية سنة (1088 / 1677) فأثبتهم في ديوان الجندية وأسكنهم - أولاً - بقصبة هدراش ثم بمدينة الرياض العنبري فيما بعد، وقد كانت أرض القصبة أرضاً خلاء قبل أن يعمرها المولى إسماعيل ويزودها بالماء والبنائات الضرورية منها "جامع قصبة هدراش" الذي يعرف حالياً بجامع لالة خضراء، وقد اعتبر الزباني بخرطه في كتابه "البيستان الظريف" هذا الجامع من إنشاءات السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1971 - 1204 / 1757 - 1790) والواقع أن هذا السلطان أعاد تجديده فقط لما أصابه وأصاب القصبة من خراب بعد وفاة مؤسسهما، والدليل أن ذكره ورد في الحوالات الحبسية الإسماعيلية عند الحديث عن تحجيسات المولى إسماعيل على هذا الجامع: "... ومكانة صغرى وأسطراب لمسجد قصبة هدراش" ويشير الضعيف إلى أن السلطان محمد بن عربية (1150 - 1151 / 1736 - 1738) قد أوقع الخراب بجزء كبير من قصبة هدراش.

حوالة الأحباس الكبرى، رقم 5، ص. 27؛ أبو القاسم الزباني، البيستان الظريف، تج. رشيد الزاوية، الرباط، 1992، ص. 482؛ عبد الرحمن ابن زيدان، *إنحاف أعلام الناس*، ج 1، ط 2، الرباط، 1990، ص. 145 - 146؛ مويط (ج)، *رحلة الأسير مويط*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1990، ص. 73 - 75؛ محمد المنوني، *دليل القصبة الإسماعيلية*، دعوة الحق، ع 6، ص. 10، مارس، 1667، ص. 107 - 120؛ ثريا يرادة، *الجيش المغربي، الدار البيضاء*، 1997، ص. 64.

رقية بلمقدم

كانت تقدمه قبيلة كلاوة - الواقعة تحت نفوذ القائد المدني الكلاوي - في هدية عيد الفطر من العام 1297 / 1880 إلى العام 1311 / 1894.

من كان يؤدي هذه الهدايا ؟ وما هو التطور الذي عرفته ؟

بالنسبة لسكان البوادي كانت تفرض، قبل ترتيب 1884، حسب ديوان كل قبيلة، مثلها في ذلك مثل بقية مختلف أنواع الجبايات، بحيث لم يكن يميز في الأداء "بين الغني والمتوسط والفقير". وإذا كان الترتيب الحسن المذكور قد حاول تدارك هذا الخلل، على أساس الفرق بالضعفاء والفقراء وأن يكون الأداء "بحسب ما يملكه كل واحد من الماشية والحيل والبغال والإبل والعقار والمال"، فإن هذا الترتيب انتهى بالفشل، بسبب رفض أصحاب الامتيازات من شرفاء وزوايا وقرود ومن انصاف إليهم من المحميين والمخالطين التنازل عن امتيازاتهم التقليدية، ومن ضمنها أداء الهدية. وكان من نتيجة ذلك أن الفقراء هم الذين ظلوا يتحملون أعباءها، كما كان الأمر في السابق. وفي حالة امتناعهم عن الأداء، بشكل جماعي، كانت تقيد في ذمتهم. ومن أمثلة ذلك أن من بين ما ترتب في ذمة قبيلة تجانة، إيالة القائد أحمد أمالك، من هدايا الأعياد الثلاثة من العام 1296 / 1879 إلى العام 1306 / 1889 : 4.340 ريالاً، وذلك عن 31 عيداً، بمعدل 140 ريالاً عن كل عيد.

أما بالنسبة لأهل الحواضر فكان يؤديها أصحاب الحرف والتجار، وذلك بتنسيق بين أمناء الحرف والأسواق من ناحية، والقائد من ناحية أخرى، كل حسب مستواه باعتبار الهدية في الأصل تؤدي بطيب نفس. بيد أن ما وقع في القبائل، وقع أيضاً في المدن. وهكذا لما أشكل الأمر على باشا فاس عبد الله بن أحمد، المعين حديثاً في الخدمة، وقبل أن يلجأ إلى السلطان لعرض المشكلة التي واجهته، كتب رسالة إلى الأمين السابق بفاس محمد المدني بنيس مستفسراً إياه عن كان يؤدي بفاس في عهده، أجابه في رسالة مؤرخة في 3 ذي قعدة 1296 / 18 نوفمبر 1878 : "فاعلم رعاك الله أن الهدية كانت تفرض على الضعفاء والمساكين وتسقط عن الأغنياء الذين بيدهم الظواهر بالتحريم ومن لهم تعلق واتصال بعامل البلد في الوقت. فأنهيت الأمر لمولانا المقدس بالله فكتب ظهيرا شريفا مضمنا أن الهدية يعطيها كل أحد وأصحاب الظواهر حسبهم التوقير والاحترام وإسقاط الكلف المخزنية عنهم، وأما الهدية فيعطونها كغيرهم. نعم، الأشراف وأهل العلم الذين بالأسواق جرت عاداتهم بعدم إعطائها. هذا محصل القضية وعلى ذلك كان العمل".

غير أن ظهير السلطان محمد بن عبد الرحمان (1859 - 1873) ظل مجرد حبر على ورق، كما هو الشأن أيضاً بالنسبة لعدد من الظواهر التي أصدرها السلطان المولى الحسن (1873 - 1894) في الموضوع. بل انضاف إلى أصحاب الظواهر من ذوي الامتيازات ومن "لهم اتصال وتعلق بعامل

ما تتخذ أعشاش نقار الخشب لتضع فيه البيض وتحضنه وحدها مدة 18 يوماً. تبيض 7.5 بيضات رمادية مزركشة بالبني ومنقطة بالأبيض، طول قطريها 18 x 26 ملم. تغادر الفراخ العش بعد 3.4 أسابيع. تتغذى من العناكب والحشرات والجراد والخنافس وديدان الفراشات والذباب والحلزونات. صيده غير مسموح به في المغرب ويعد من الطيور المحمية على الصعيد الوطني والعالمي.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

C. Harrison, *Les nids, les oeufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Elsevier, 1977, 430 p.

محمد رضاني

الهدية، ج. هدايا وهداوى وهداوي، وتعني لغة، من بين ما تعني - وهو الشائع - ما تحف به، أي بعث به إكراماً وتودداً. وفي الحديث الشريف "تهادوا تحابوا".

ويتبين من الوثائق المغربية المتعلقة بفترة القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أن الهدايا الرسمية السائدة في المجتمع المغربي كانت متنوعة بتنوع المناسبات والأهداف. ومن أشهرها، على الإطلاق، الهدية التي كان يقدمها سكان البوادي والحواضر إلى السلطان بمناسبة الأعياد الدينية الثلاثة، وهي عيد المولد النبوي وعيد الفطر وعيد الأضحى. وكانت العادة المتبعة في تقديم هدايا الأعياد أن يتوجه وفد رسمي يمثل أعيان القبيلة أو المدينة - وضمنهم، أحياناً، أعيان اليهود بالنسبة لبعض الحواضر - بإشراف القائد أو من ينوب عنه، رفقة عدد من المخازنية، يسمى بـ"العيادة" أو "الهداية"، إلى حيث يكون السلطان مقيماً، وذلك من أجل تجديد الولاء والطاعة من جهة، ومشاركة السلطان أفراحه واحتفالاته من جهة أخرى. وعند عودة العيادة إلى حال سبيلهم كان السلطان ينعم عليهم، بدوره، بهدية هي عبارة عن كسوة تتناسب ومقام كل شخص.

وعن نوع هذه الهدايا الموجهة إلى السلطان، فالملاحظ أنها ابتداءً من حكم السلطان المولى عبد الرحمان (1822 - 1859) وإلى حدود ثمانينيات القرن التاسع عشر كانت عينية وتمثل أجود وأشهر ما كانت تنتجه القبيلة أو المدينة، من خيول وبغال وسروج ومنسوجات صوفية وقطنية وحريرية وبلاغ وفخار وشمع وإماء، أحياناً. ثم ابتداءً من منتصف ثمانينيات القرن المذكور وإلى توقيع عقد الحماية أصبحت، في الغالب، توجه نقداً، لحاجة المخزن المتزايدة للمال.

وأما من حيث مقاديرها، فالملاحظ أنها كانت رمزية وظلت، على العموم، ثابتة سواء في شكلها العيني أو النقدي. فعلى سبيل المثال كان بعض قواد قبيلة الرحامنة يوجهون في هدية عيد الفطر قبل العام 1297 / 1880 فرساً واحداً. وابتداءً من هذا التاريخ وإلى حدود العام 1311 / 1894 أصبحوا يقدمون مائة ريال. وهو نفس المقدار التي

قطو Catus الرومانية ؛ وكلمة قطوس شائعة في الدارج في تونس وليبيا. وله أسماء كثيرة عند العرب منها الخيطل والخييدع وأبو خدش وأبو غزوان وأبو الهيثم وأبو شماخ والسنور والضيون والهر. ومن أسمائه الشائعة في المغرب القط والمش. يسميه الإيطاليون Gatto والإسبان والبرتغاليون Gato والأتراك Kedisi والإنجليز Cat والفرنسيون Chat والهولنديون Kat والألمان Katze.

والهر نوعان : أهلي ويري وحشي، وكل منهما يفترس ويأكل اللحم الحي ويناسب الإنسان في أمور كثيرة، فهو يعطس ويتشعب ويتمطى ويتناول الأشياء بيده. يعيش الهر البري حياة انفرادية في منطقة خاصة يحددها بالتبول بدون الدفن بينما يدفن بوله داخل منطقتة ولا يسمح للأفراد الأخرى من مشاركته مكان عيشه. وتحدث معارك بين الذكور عندما يدخل أحدهم منطقة الآخر ولكل هر رائحة خاصة به تميزه بها الأفراد الأخرى. يملك القط غددا في الحدود بجانبى الوجه وأعلى الفخذين بالقرب من بداية الذيل تفرز رائحة مميزة لكل فرد. ولذلك نلاحظ من عادة القط أنه يمسح هذين الجزأين على الجوف البارزة ويحتك بالأشخاص وبزوايا الجدران والصخور ليضع رائحته على نفس المكان فيبعد القطط الأخرى. وكثيرا ما نرى القط وهو يشم زوايا الجدران ليتأكد من مرور قط آخر. والحيوانات البرية المفترسة كالقطط والثعالب والأسود والضباع لها رائحة خاصة بها ومن يقرب من جحورها يشم تلك الرائحة، وهي نفس الرائحة التي يشمها الإنسان في حديقة الحيوان عندما يقرب من أقفاص الحيوانات المفترسة.

يعتبر المصريون القدماء أول من استأنس الهر البري وذلك قبل الميلاد ب 1500 سنة بعد أن طوروا زراعة الحبوب ولاحظوا الفئران تأكل محاصيلهم وتخربها فاهتموا بتربية الهر واستئناسه والإكثار منه لمحاربة القوارض. وينحدر أصل الهر المستأنس من الهر البري الإفريقي Felis sylvestris libyca ومع مرور العصور، عرف الهر تجانسات مع النوع الآسيوي المتوحش Felis sylvestris manul الذي يمتاز بطول الشعر الناعم. وقد أدى الانتقاء التجانسي إلى فرز عدد كبير من ضروب القط الأهلي.

تفرقت القطط في جميع أنحاء العالم وعاشت وحشية بعيدة عن الإنسان وحافظت على نسلها، أما القطط المستأنسة فقد نقلت مع المسافرين إلى مناطق آخر وتناقلت مع قطط مستأنسة من بلدان وقارات أخرى فتتبع أصولها ويكون القط البري أنقاها عرقا.

والهر يعلم صفاره الافتراس فيأتي لهم بفريسة مجروحة كالفأر ويتركهم يتدربون على الافتراس ويتعلمون العضة القاتلة من أعلى رقبة الفريسة. والعضة القاتلة مهمة لكل مفترس بحيث إن لم يأت بها صغيرا فلن يستطيع الصيد والافتراس كبيرا. لذلك نرى القطط المهجنة لا تفترس ولا تكترث للفئران لأنها لم تدرب على الافتراس، ولا تأكل إلا ما عودت عليه.

البلد"، أهل الحميات. وإذا بقينا في حدود مدينة فاس كما يتبين من إحدى الرسائل السلطانية الجوابية الموجهة إلى الباشا عبد الله بن أحمد بتاريخ 15 ذي حجة 1301 / 6 أكتوبر 1884 فإن أمين الرحويين الحاج محمد الأزرق الفاسي اشتكى من كونه أدى لوحده عن أهل حرفته عن ثلاثة أعياد 40 ربالا، كما أن ولده تحمل بدوره 20 ربالا أخرى، وعلت ذلك "أن 43 من أصحاب الأرحاء كانوا كلهم من أصحاب الظهائر ومتعلقين بأهل المراجعة و20 آخرين من أصحاب الحميات، ولم تبق الكلفة إلا على 12 أرحاء من الضعفاء الذين لا علاقة لهم بأحد". وتضيف الرسالة أن نفس الشيء وقع مع "جماعة الجزارة في بقاء الكلفة على ضعفائهم الذين لا علاقة لهم بأحد".

ولقد ازداد هذا الأمر استفحالا في عهد السلطان المولى عبد العزيز (1894. 1908) إلى درجة أن مدينة مراكش توقفت في العام 1896 عن توجيه هديتها المعتادة. وفي محاولة منه لمعالجة الوضع والحد من شطط العمال أصدر السلطان في 14 رجب 1314 / 19 دجنبر 1896 ظهيرا كلف بموجبه ثلاثة أمناء بمدينة مراكش "يتولون فرض جميع ما يفرض على أهل الحرف والأسواق بحيث لا يفرض العامل شيئا من دونهم [...] ويجعلون لكل واحد ما يناسب مما يلزم أهل حرفته أو سوقه من غير حيف أو شطط".

وإذا شرع هؤلاء الأمناء الثلاثة في فرض الهدية "وقسطوا على كل واحد ما نابه". توضح إحدى رسائل الحاجب أحمد بن موسى الجوابية الموجهة إلى الورزازي، خليفة عامل مراكش بتاريخ متم شوال 1315 / 23 مارس 1898 - "ألفوا عددا من المحررين وعددا قد اندثر بسبب الغلاء". ولما أضافوا إلى ذلك "عشر الدين للفريضة [أي ما كان متخلفا في ذمتهم] خرج على كل واحد منهم ما لا يقدر على أدائه وربما يأتي على جميع ما يروج بيده، فطلبوا التوسعة في عشر الدين إلى أن يبسر الله والاقتصار على دفع ما عدا ذلك"، فاستجيب إلى طلبهم.

تلك، بإيجاز، بعض ما آلت إليه هدية الأعياد. ومن ثم يتبين أن ما ذكره روجي لوطرونو في كتابه "فاس قبيل الحماية" من "أن الطوائف الحرفية المسورة هي التي كانت وحدها تقدم الهدية إلى السلطان" هو مجرد لغو وتشويه كلي لأبسط الحقائق، سواء بفاس أو بغيرها من المدن والقبائل.

وثائق، خ. ح. ع. بن زيدان، العز والصلوة في معالم نظم الدولة، ج. 1، 1961.

E.D. Michaux-Bellaire, Les impôts marocains, in Ar. Mar., vol. 1, 1904, p. 61-64 ; Rahma Bourqia, Don et théâtralité : réflexion sur le rituel du don (Hadiyya) offert au sultan au XIX siècle, in Hesperis - Tamuda vol. XXXI, F. unique, 1993, p. 61-75.
عبد العزيز الخليلي

الهر السجري ، أكثر ما يرد في الكتب من أسماء الهر هو السنور ونادرا ما يرد اسم القط. ولم تظهر كلمة قط في الشعر الجاهلي ويرجح أنها غير عربية بل أصلح من كلمة

يصنف الهر البري في رتبة اللواحم وفصيلة السنوريات Felidae ومنه المتوحش والمستأنس. صيغة الأسنان كالتالي : 3/3 قواطع ؛ 1/1 أنياب ؛ 3/2 أضراس أمامية ؛ 1/1 أضراس طاحنة = 30 سنا ؛ الضرس الأمامية والأضراس الطاحنة ضعيفة جدا.

يوجد في فك الهر أربعة أنياب، إثنان منها على كل فك تساعده على تمزيق لحم الفريسة أما الأضراس الصغيرة الستة فهي لتقطيع اللحم والأنياب الجانبية للتمزيق. وبما أن الهر يفتقر للطواحن فهو يأكل اللحم بتقطيعه وليس طحنه.

للهر خمسة أصابع في الأرجل الأمامية وأربعة في الأرجل الخلفية وفي كل إصبع مخلف ووسادة لحمية تساعده في المشي والتسلق والوثب وعدم الانزلاق. وفي باطن الكف توجد راحة لحمية أخرى. تتميز الأرجل الأمامية بوجود زائدة لحمية أسفل الكف والإصبع الخامسة، تساعد بالتثبيت عند تسلق الأشجار والجدران. في الأرجل الخلفية أربعة أصابع فقط وفي كل إصبع مخلب ولا توجد لحمية أسفل راحة الكف كما في اليدين.

لقد تم رصد نوعين من القطط البرية في المغرب يختلف توزيعها الجغرافي حسب نمط العيش والتكيف مع البيئة.

الهر البري الإفريقي يسمى علميا *Felis sylvestris*.
libyca forster, 1780 وبالفرنسية Chat ganté وبالإنجليزية African wild cat وبالإسبانية Gato montès africano. يعتبر الهر البري *Felis lybica* الأصل الذي انحدر منه القط المستأنس *Felis catus*. الفرو رمادية مخططة قليلا بالسواد الداكن. يتميز بخدود عريضة منتفخة وجلد مرتخي حول الرقبة في كلا الجهتين وقوائمه الأربعة عريضة بعض الشيء من الأصابع إلى الكتف وعلى ذيله خمس حلقات سوداء تبدأ من نهاية الذيل. جلده سميك وشعره غليظ قصير وكثيف. يبلغ طول جسمه من مقدمة الفم إلى بداية الذيل 50-73 سم وطول ذيله 25-33 وعلوه عند المغارب 30-36 سم ويزن 4-7 كيلوغرام، طول الساق الأمامية من الإصبع إلى عظم الكوع 18-20 سم وطول الساق الخلفية من الإصبع إلى عظم الكوع 11-13 سم. حجمه أكبر قليلا من القط المستأنس ولونه رمادي مصفر وعليه بقع وخطوط عمودية سوداء داكنة. الذيل قصير نسبيا يحمل خمس حلقات على الأقل من الشعر الأسود الداكن في مؤخرته. وشارباه دائما باللون الأبيض، وأنفه بني أو أبيض وشفته بيضاء وكذلك الرقبة. ويوجد خط أسود يبدأ من طرف كل عين وينتهي أسفل الأذن. الجوانب الخلفية للأذنين تكون بلون بني وحواف سوداء. الذكر أكبر حجما من الأنثى. تكيف الهر البري الإفريقي مع أوساط وبيئات المناطق شبه الجافة والرطبة وتوزعت أفراده في جميع أوساط القارة الإفريقية وشبه الجزيرة العربية باستثناء المناطق الصحراوية. يألف الأرياف والمناطق الجبلية وشائع في جبال الريف والهضاب العليا الوسطى والأطلس المتوسط والشمال الغربي للأطلس الكبير

والصغير ومرتفعات المناطق الصحراوية والصخور الشاطئية بجنوب المغرب منذ طانطان إلى الداخلة وكتلة زمور ووادي الذهب والساقية الحمراء. يختفي نهارا بين شقوق الصخور ويدخل الأدغال وفي المغاور ويستأنف نشاطه ليلا ليبحث عن طعامه المتكون من الفئران والسناجب والزواحف والطيور الصغيرة والضفادع والحشرات.

الهر البري الصغير يسمى علميا *Felis sylvestris margarita loche*, 1858 وبالفرنسية Chat des sables وبالإنجليزية Sand cat أصغر حجما من الهر البري الإفريقي ويبلغ طول جسمه 43-52 سم وذيله 23-31 ويبلغ طوله عند المغارب 24-30 سم يكسو الأذنان شعر كثيف، الشعر ناعم ومكثف أصفر رملي على الظهر وأبيض مصفر على العنق والبطن وتكون أذناه أفقيتين من على رأسه. يألف الأوساط الرملية الصحراوية بإفريقيا الشمالية وشبه الجزيرة العربية وآسيا الصغرى. يعد من الحيوانات النادرة في المغرب وقد تم رصده في مناطق فكيك وجنوب تافيلالت فقط. الصحراء التي يعيش فيها الهر الصغير لا يوجد بها ماء خصوصا في أشهر الصيف الحارة، والهر وباقى حيوانات الصحراء كالثعالب توفر فقدان الماء بعدم الخروج نهارا وتكتفي بالسوائل من الحيوانات التي تفترسها، وتشرب الماء شتاء عند سقوط الأمطار.

تتمد فترة التزاوج من فبراير إلى مارس وتدوم مدة الحمل 63 يوما تضع الهرة بعدها 2-4 وقد يبلغ عدد الصغار 8 وقد تلد الإناث مرة أخرى في شهر غشت. يولد الصغار مغمضين العينين وبعد 7-10 أيام تفتح عينها وتعني الأم بالصغار لمدة شهرين، ترضعهم شهراً كاملاً وبعد شهرين يخرجون ليلا مع الأبوين ليتعلموا الصيد. يكتمل النمو بعد 10 أشهر بعدها يعيشون في منطقة خاصة بكل فرد ويعمرن حوالي 15 سنة.

الحياة الليلية للهر البري وعيشه منفردا وسلوكه المتكتم وتشابهه مع القطط الأليفة منحه الفرصة للابتعاد عن اهتمام الإنسان، إلا أن كثرة المسالك والطرق التي تخترق البراري أدى إلى قتل عدد كبير من الأفراد ليلا تحت عجلات السيارات. من بين الأعداء في البراري الإنسان والظربان أما المفترسات الكبيرة فقد انقرضت، كالنمر والفهد وعناق الأرض، ولكن الطيور الجارحة الليلية قد تصيد صغار الهر.

L. Lynneborg, *Mammifères d'Europe*, Nathan, 1972, 237 p. ; S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*, Trav. Inst. Sci. Série Zoologie, n° 41, Rabat, 1986.
محمد رضاني ونجاة الحياطي

هَرَبْرُ أو هَرَبْل، طعام مغربي أصيل يهيأ من قمح وحليب مزوجين في الطبخ، تبدأ العملية أولا باختيار قمح يتم تبليله بماء ثم دقه في المهراس إلى أن تتفسخ أغشيته، ثم يطبخ ليلة كاملة في ماء، وبعد أن يهترئ تقوم سيدة البيت المشرفة عليه بتفقدته وتحريكه حتى لا يتجمد على

بعضه ؛ وبعد ذلك تضيف إليه كمية من الحليب تطبخها معه ؛ بعد ذلك يقدم لأهل البيت والضيوف في قساع طازجة، وهذا غالباً بعد أن يسقى زيتاً أو سمناً، فيتم تناوله بشغف ونهم من طرف المتحلقين، وهذا غالباً بالأبدي أو المعالق الخشبية.

لا تستطيع تهيئ هذا النوع من الأطعمة التي تخصص للفقير غالباً إلا حاذقات النساء وأكثرهن جرأة ورغبة في إظهار مهارتها وإرضاء عائلتها، كما أن هذه الأكلة لا تهيئ غالباً إلا في العائلات المسورة أو المترفة أما فقراء الناس ففرص تنعمهم بها تكون غالباً قليلة، وقد تتاح عن طريق الاشتغال أو تقديم خدمات لأفراد الأسر الأولى مثلاً، أو تذويقهم منها في حالة الجوار أو المرض.

الحسين شوقي

هرقل، هرقلس (معبود)، قدس الإغريق والرومان الآلهة كما خصصوا عبادة للأبطال الأسطوريين. فالبطل مخلوق يقترب من الآلهة نظراً لطبيعته الخارقة، وقد تغنى الشعراء ببطولات هؤلاء الأبطال الذين يمكن إدراج هرقل ضمنهم. فهو في نفس الوقت إله ويطل أي من أنصاف الآلهة لأنه آدمي لكنه أصبح في مصاف الآلهة وخصصت له نفس العبادة التي خصصت للآلهة الجهنمية.

لعبت عبادته إقبالا كبيرا في الولايات الإفريقية في ظل الوجود الروماني وتمت مطابقتها بالإله الصوري لمقارنته.

إن أسطورة هرقل حاضرة في شمال إفريقيا من تونس إلى المغرب (طنجة - لكسوس) إذ ارتبطت نشأة المدن بهذا البطل الأسطوري، وكان وراء تأسيس البعض منها ذكر على سبيل المثال مدينتي قفصة وإيكوسيوم (الجزائر). كما أن اسمه في بعض الطوبونيمات الإفريقية مثل موقع Calceus Herculis (القنطرة حاليا) بالجزائر وحامة هرقل Aquae Herculis أو حمام سيدي الحاج غير بعيد عنه.

واعتبر حاميا لبعض المدن بحيث يمكن أن نسوق في هذا الإطار مدينة لبدية بليبيا، وشواش وسوفيس بالبروقصلية (تونس).

ويعتبر هرقل أيضا الجد الأسطوري للأسرة الملكية، فالملك يوبا الثاني يزعم أنه ينحدر منه على اعتبار أن صوفاكس هو ابن هرقل من تنكا (Tinga) وهذا ما جعله ينزله منزلة خاصة ويمثله فوق نقوده.

هل كان للإله هرقل حضور في المغرب القديم ؟

لم يعثر لحد الآن على أي نقيشة تحمل اسم الإله، لكن يبدو أن له ارتباطا وثيقا بالأسطورة، فاسمه حاضر في مضيق الأعمدة (مضيق جبل طارق) الذي يحمل اسم أعمدة هرقل والذي شكل نقطة استدلال بالنسبة للقسم الغربي من شمال إفريقيا ومثل أيضا الحد الغربي للعالم المتحضر والأهل بالسكان. كما أن علاقته بالأسطورة تبدو من خلال

الاستمارات الواردة في النصوص والمتعلقة بوجود آثار تدل على عبادته مثل مغارة هرقل عند رأس سبارطيل ووجود معبد لإلهة بوقوع لكسوس وهو أقدم من معبد قانس، ووجود مذبح فوق جزيرة بنفس الموقع. وتحتفظ الطوبونيميا المغربية كذلك بنتوء يحمل اسم هرقل "Promontoire d'Hercule" والذي تمت مطابقتها برأس الحديد شمال موغادور. واحتضنت مدينة لكسوس بعض المشاهد الأسطورية المرتبطة بعبادة هرقل ومنها صراعه ضد العملاق أنطوس، ثم حداثق الهسبردس الفيحاء التي جاء إليها هرقل بحثا عن التفاحات الذهبية.

ومن البقايا الأثرية التي تم الكشف عنها هناك تماثلان من البرونز عشر عليهما في كل من بناصا ولكسوس، وفسيفساء أعمال هرقل بوليبي. بالإضافة إلى تماثيل أخرى عشر عليها ببعض المواقع الأخرى مثل طنجة وسبتة وتموسيدا. ولا زالت الذاكرة المغربية تحتفظ ببعض المغامرات الهركلية وخاصة منها المتعلقة بفصله للجبلين (أشو - دكالبي) واللذين كانا في الأصل جبلا واحدا ففرق هرقل بينهما ليصل البحر المتوسط بالمحيط الأطلنطي، وهناك أيضا مغارة هرقل قرب طنجة التي يعتقد المغاربة أنه وصل إليها عند قدومه للمغرب بحثا عن حداثق الهسبردس في لكسوس.

M. Le Glay, Hercule - Heraclés en Afrique du Nord, in *Heraclés d'une rive à l'autre de la Méditerranée, Bilan et perspective : Actes de la Table Ronde de Rome*, E.F de Rome, 1989, Bruxelles, Rome, 1992 ; C. Bonnet, Cultes et mythes de l'Heraclés tyrien en Méditerranée, *Studia phoenica VIII, Namur-Louvain, 1988* ; J. Toutain, *Les cultes païens dans l'empire romain I*, 1907 ; M. Jacynowka, Le culte d'Hercule romain au temps du Haut-empire, *A.N.R.W, II, 17, 2, 1981, p. 631-661* ; R. Thouvenot, La maison aux travaux d'Hercule, *P.S.A.M., VIII, 1948, p. 69-108* ; M. Tarradel, *Dos Bronzes de Lixus, Hercule y Antes, tesco y el minotoro, Tamuda, 1953, p. 59-81* ; G. Souville, Tête d'Hercule en bronze, *BAM, II, 1957, p. 186-187* ; R. Rebuffat, Les bronzes antiques d'Hercule à Tanger et à Arzila, *Ant. Afr., 7, 1971, p. 188*.
عبد العزيز بل الفايذة

هرماس، واحدة من الأسر العلمية التي نشطت الحركة العلمية بتارودانت حاضرة سوس خلال القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين. ونظرا لتفریط علماء سوس في تدوين أخبار أسرها، فإننا لا نعرف عن رجالات أسرة آل هرماس إلا القليل ممن برزوا في ساحة العلم خلال الفترة الأخيرة. ومنهم : الفقيه سيدي عمر بن الطاهر المقرئ الذي عمر مسجدي درب "أقة" ودرب "الكرارة" بتارودانت. والفقيه هرماس محمد الأب توفي سنة 1938، وأبناؤه الفقيه الوطني الحاج محمد بن محمد هرماس المتوفى عام 1990، والقاضي والأستاذ إسماعيل بن محمد المتوفى عام 1977، وكذا الفقيه والقاضي سيدي الحسن الملقب باللذعي، وأخوه الفقيه سيدي إبراهيم ابن الطاهر. هكذا سجل هؤلاء الرجال اسم عائلتهم ضمن الأسر العلمية لإقليم سوس، وساهموا بذلك في الحركة العلمية، لهذا القطر، وفي نشر العلم العربي الإسلامي بهذه الربوع.

المختار السوسي، العسول، خلال جزولة، ج. 4 : مصطفى السلوتي، البيوت العلمية في مدينة تارودانت خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين : الأسر العلمية في سوس، منشورات مجموعة البحث في الأدب العربي السوسي بكلية الآداب، أكادير، 2003.

مولاي الحسن السكراتي

الهرناشيون أو الهورناشيون كلمة تعني سكان مدينة هورناشيو Hornachos ، وهي موجودة في جنوب غربي إسبانيا بين إشبيلية وماردة بعيدة عن الأولى بنحو 170 كلم شمالا وعن الثانية بنحو 50 كلم جنوبا. والهرناشيون أو الهورناشيون هم الذين كونوا أهم جالية أندلسية قدمت إلى المغرب واستوطنت رباط الفتح أو القصبية قبل صدور قرارات الطرد من طرف الملك الإسباني فيليب الثالث سنة 1609، والقاضية بإلزام الموريسكيين بالجلء العام عن شبه جزيرة إيبيريا.

عرف الهورناشيون بصدق عقيدتهم الإسلامية، وكانوا يفضلون التكلم باللغة العربية وكان البعض منهم يجهل اللغة القشتالية، وبما أنهم سبقوا قرارات الطرد فقد أمكنهم أن يحملوا معهم أموالهم وأمتعتهم لمقرهم الجديد، وكانوا يكونون فئة ذات امتيازات خاصة بإسبانيا حيث كان لهم حق حمل السلاح باعتراف من الملك فيليب الثاني مقابل أداء 30.000 دوقية.

لما هاجروا إلى مصب أبي رقراق في بداية القرن السابع عشر استقبلهم السلطان السعدي زيدان بارتياح، وعزم هؤلاء على اختيار سكانهم على الضفة اليسرى للنهر، وأخذوا في إصلاح الدور المتداعية واستقروا بها مع عائلاتهم وأصلحوا الأسوار وأصبحت القصبية التي كانت شبه مخربة مدينة صغيرة.

ولما كانوا قد ورثوا غريزة حب الاستغلال والسيطرة خصوصا وأنهم عرفوا بالمحاربة والسلب وتزييف النقود وهو سلوك نفذوه ضد أعدائهم بإسبانيا فإنهم قاموا باستدعاء الأندلسيين الموجودين في باقي أجزاء الشمال الإفريقي وذهبوا إلى حد تسديد مصاريف نقلهم وجلبهم للاستقرار بالقرب من القصبية، خصوصا عندما طرد باقي الأندلسيين الموريسكيين سنتي 1609 و1610. والموريسكيون يتميزون عن الهورناشييين بكونهم يتكلمون عادة اللغة الإسبانية، ونسي الكثير منهم لغته الأصلية العربية، وقد حُمل بعضهم على اعتناق الديانة الكاثوليكية قهرا وكان الهورناشيون يعتبرونهم في درجة دنيا.

وكان مجيء الهورناشييين مع الموريسكيين المطرودين إلى الضفة اليسرى لنهر أبي رقراق قد بعث الحياة من جديد في مدينة يعقوب المنصور الموحد رباط الفتح أو سلا الجديدة، وهو الاسم الذي أصبح يطلق على هذه المدينة.

دخل الأندلسيون في طاعة السلطان السعدي وأخذوا يؤدون له 10٪ من الغنائم التي حصلوا عليها من عمليات الجهاد في البحر، لكن سرعان ما ساءت علاقاتهم معه بعد أن رغب في اغتيال المجاهد العياشي، وازدادت هذه العلاقة

توترا عندما أراد السلطان بعث الأندلسيين لإخماد فتنة وقعت بدرة، فرفضوا واستولوا على القصبية بالقوة وسدوا أبواب المدينة في وجه السلطان سنة 1627، وأسسوا حكما مستقلا على شكل جمهورية أوليغارشية يسيرها ديوان مكون من اثني عشر عضوا يجتمعون بالقصبية، وكان الرئيس يحمل لقب "الأميرال الكبير" وخلال شهر ماي من كل سنة كان ينتخب قائدان أحدهما للقصبية والآخر لسلا الجديدة، وكانت أموال الخزينة تتكون من الجمر ك وضرائب الميناء ورسوم الصيد، فيما يقدم الحكام للسلطان رقيقا متنوعا وأجمل البضائع المحصل عليها من عمليات الجهاد البحري.

قام الهورناشيون بتحصين البرج الذي يحمي الميناء كما حصنوا القصر واستقلوا بالحكم في القصبية محاولين أن يفرضوا أنفسهم سادة على أندلسي الرباط، وقد طالب هؤلاء الأخيرين - وهم أكثر عددا - باقتسام السلطة والحكم وموارد الجمارك والغنائم معهم، كما كانوا هم أيضا يريدون تقوية مدينتهم، فتوترت العلاقات واندلع الصراع بين الطرفين في شتنبر 1629، وساند سكان سلا الهورناشييين ضد الأندلسيين الذين ضربوا حصارا على القصبية، وانتهى الأمر بإبرام اتفاق ماي 1630 بين الجانبين نص على ما يلي :

1 - ينتخب أندلسيو الرباط قائدا ولكنه يستقر بالقصبية.
2 - يجتمع الديوان بالقصبية ويضم 16 عضوا ينتخبون بالتساوي من طرف المركزين الأندلسيين (8 للرباط و8 للقصبية).

3 - يكون للمدينتين نصيب متساو من غنائم الجهاد البحري وموارد الجمارك واثار ذلك عين أحمد بن عبد القادر صيرون قائدا للهورناشييين وعين عبد الله بن علي القصري قائدا للرباط.

لكن هذا الاتفاق انقطع وشب النزاع من جديد بسبب اتهام الأندلسيين جيرانهم الهورناشييين بخرق الاتفاق عندما حفر هؤلاء خندقا على طول أسوار القصبية من حيث الشرق، إلا أن الجماعتين كان عليهما أن يواجهها خصما مشتركا هو المجاهد العياشي - الذي انبرى في هذا الوقت محاربا النصارى المحتلين للشواطئ المغربية وخصوصا بالمعمورة - بسبب اتهامه إياهم بالتعامل مع النصارى، وعزم على قتالهم بعد أن استفتى العلماء في ذلك.

غير أن الفتوى التي أجازت قتالهم وهي فتوى علماء فاس واجهتها فتوى مضادة طلبها الأندلسيون من علماء مراکش أدانت العياشي وأظهرت تحوله من الجهاد إلى حب السيطرة والنفوذ.

وفي شتنبر 1635 قام صراع جديد بين الهورناشييين والأندلسيين، وطرد الهورناشييون من القصبية فالتجأوا إلى العياشي طالين مساعدته فحاصر القصبية من جديد وكان يدعي أنه يريد فقط انتزاعها وتسليمها للسلطان السعدي - حسبما زعمته المصادر الأوربية ..

وتدخل الأجانب في هذا الصراع حيث قدم الأسطول

الإنجليزي مساعدته للعباشي المحاصر للقصبة سنة 1637 ولم يتمكن الجيش السعودي من الوصول لفك الحصار . وبعد مفاوضات مع رئيس الأسطول الإنجليزي رفع الحصار عن القصبة ووصل دعم السلطة المركزية إليها وزكى السلطان عودة عبد الله بن علي القصري إلى منصبه بعد أن نزع عنه إثر ثورة داخلية، غير أن هذا الأخير اغتيل سنة 1638، فعاد العباشي لحصار القصبة لكنه اضطر إلى رفعه من جديد مدعياً أنه لم يبق مبرر له بعد وصول جنود السلطان، ووضعت القصبة رهن إشارة السلطان وعقد اتفاق يقضي بدخول الهرناشيين إلى الرباط واسترجاع أملاكهم بها.

ثم تجدد الصراع بتحريض من العباشي إذ أصبح الهرناشيون - بعد رجوعهم إلى المدينة هم سادة الرباط بمساعدة ألف من الأعراب الذين دخلوا المدينة لنقل التموين إليها - ولكنهم - أي الهرناشيون - فشلوا في محاولاتهم الاستيلاء على القصبة إذ دافع عنها الأندلسيون كما دافع عنها جنود السعوديين.

وبعد مقتل المجاهد العباشي في أبريل 1641 أصبحت القصبة محط اهتمام الدلائيين في شخص محمد الحاج الدلائي، وكان الهرناشيون طائعين له بدليل أنه أمرهم بمهاجمة القصبة برا سنة 1644 لكونه كان يشك في إخلاص الأندلسيين الذين اضطروا إلى الاستسلام له أخيراً، واستقر الدلائيون بالعدوتين اللتين عرفتا هدوءاً يكاد يكون تاماً إلى غاية سنة 1660.

في هذه السنة أعلنت الثورة ضد الدلائيين في سلا والرباط، لأن الأندلسيين كانوا يرون أنه من الإهانة أن يحكموا من طرف "برابرة ملوية" في حين أن أصلهم العربي العريق يخول لهم أن يكونوا أسياد المنطقة إذ كانوا يشعرون دائماً بالفارق الحضاري بينهم وبين الدلائيين. ودارت المعارك حيث قبيل الأندلسيون وسكان سلا القصبة التي كانت تُؤوي الأمير عبد الله الدلائي، وقد بقي محاصراً بها ثمانية عشر شهراً إلى أن نجح في الهروب منها في يونيو 1661 على متن سفينة إنجليزية، وفي 3 ماي 1664 قطعت القصبة كل علاقة مع الزاوية الدلائية ودخلت في حماية غيلان.

وانتخب الهرناشيون والأندلسيون الآخرون عبد القادر مرينو قائداً عاماً للقصبة والرباط، في حين انتخب الحاج محمد فنيش قائداً لسلا. ولكن الهدوء لم يدم كثيراً إذ سرعان ما عرض القائدان السابقان بكل من عبد القادر وروكسو Roxo وأحد أبناء عبد القادر صيرون في غشت 1665، وذلك لإخلاصهما لغيلان. لكن في يونيو من السنة اللاحقة هزم هذا الأخير من طرف المولى الرشيد العلوي الذي أصبح سيد القصبة بدون إطلاق النار، وفي الوقت نفسه انضمت إليه سلا والرباط، فهرب القائدان السابقان عميلاً غيلان وأعيد إلى منصبهما عبد القادر مرينو والحاج محمد فنيش، وهكذا أعيد الهدوء إلى المنطقة ولم يبق هناك منافسة بين الهرناشيين وجيرانهم.

وخلال تاريخ الدولة العلوية شكلت الأسر الهرناشية والأندلسية أكثر عائلات مدينة الرباط على الخصوص، ولعبت هذه الأسر أكبر دور في قيادة المدينة وسياساتها تارة في خضوع تام للسلطة المركزية وتارة أخرى في شبه استقلال تبعاً للتقلبات السياسية التي مرت بها البلاد، وكانت فترات الأزمات السياسية ومراحل انتقال الحكم قد سجلت نزوعاً إلى الاستقلال وقيام الثورات، وكذلك شكلت التحزبات وحدثت انشقاقات داخل المدينة نفسها وهذا ما شهدته سلا أيضاً خلال الأزمات السياسية للقرن الثامن عشر. وفي بداية عهد السلطان المولى عبد الرحمان مالت المدينتان الرباط وسلا إلى الهدوء وظلنا كذلك طيلة القرن الماضي باستثناء بعض الحوادث العارضة مثل حادثة سنة 1845 التي سجلت صراع الأسر الأندلسية والأخرى غير الأندلسية على السلطة في المدينة، عندما ثار أهل الرباط على العامل السويسي ونصبوا مكانه محمد بن الطاهر الزبدي الأندلسي.

وفي موازاة مع هذا التاريخ السياسي للهرناشيين وأندلسيي مصب أبي رقراق عامة، شكل الجهاد البحري أهم نشاط اقتصادي اجتماعي من الضروري معرفة دور الهرناشيين فيه وإدراك طبيعته وفهم مراحل ونتائجه.

لقد مورس الجهاد البحري من سنة 1610 إلى أواسط القرن التاسع عشر إلا أن أشد مراحل كانت بين سنتي 1610 و1668 وهي ثلاثة : الأولى من هذه المراحل بين 1610 و1626 حيث تم هذا الجهاد تحت إشراف الدولة السعودية. والمرحلة الثانية من 1627-إلى 1641 وهي مرحلة الاستقلال عن السلطة المركزية ووصلت العمليات البحرية فيها إلى مسافات بعيدة، أما المرحلة الثالثة فهي التي تمتد من 1641 إلى 1668 حيث مورس الجهاد البحري تحت سلطة الدلائيين - في حين أن المرحلة التي حلت في عهد الدولة العلوية فإن السلاطين هم الذين أشرفوا على عمليات الجهاد البحري وامتلكوا السفن "القرصانية" وأصبح رؤساء السفن عبارة عن موظفين كبار في الجيش البحري المخزني.

من الصعب الحديث عن تفاصيل الجهاد البحري الذي قاده أندلسيو مصب أبي رقراق، وكل ما يمكن ذكره في هذه النبذة هو بعض الخلاصات المركزة. لقد حمل الهرناشيون من إسبانيا ثرواتهم وذخائرهم وهي التي سمحت لهم بتمويل الأعمال الجهادية بالسفن التي شغلوا فيها الموريسكيين والتي وجهت لمحاربة الإسبان وغيرهم في البحر وسلب سفنهم واحتجاز أسراهم. وبفضل هذا التمويل - الذي لعب فيه اليهود أيضاً دوراً مهماً وخصوصاً يهود سلا العاطفين على مواطنيهم المطرودين من إسبانيا والبرتغال والهاربين إلى الأراضي المنخفضة - فكانت هولندا إذن تقدم مساعدة ضخمة للأندلسيين عن طريق هؤلاء - وبفضل الثبات العنيد للموريسكيين والاستعمال الحصيف للمنسقين وتشغيل الأسارى المسيحيين في السفن، فإن تنظيم الجهاد البحري بمصّب أبي رقراق حقق شأواً بعيداً ونجح نجاحاً باهراً لا من

حيث تهييء السفن وتجهيزها ماديا وبشريا ولا من حيث الأسفار والمغامرات والعمليات القرصانية ساعدها في ذلك شكل السفن وفعاليتها وسرعتها - وما لبثت نتائج هذا الجهاد البحري أن دوت في الأصقاع ويمكن إجمالها فيما يأتي :

1 - حققت أولى الانتصارات على السفن الإسبانية كانتقام ورد فعل للطرد من الفردوس المفقود ثم تساقطت سفن فرنسية وإنجليزية وهولندية وغيرها في يد المجاهدين الذين أسروا رعاياها.

2 - أصبحت كلمة "قرصنة سلا" نعتا لمجاهدي أبي رقرق لدى الأوربيين بما تشير من رعب في قلوب البحارة وراكبي البحر بسبب الصيت الذي أذاعته مغامرات المجاهدين الهرناشيين والموريسكيين.

3 - كانت الغنائم المترتبة عن هذا الجهاد أهم مورد مالي للقصبة وشكلت ثروات رؤساء البحر والبحارة، خصوصا عندما كانت العمليات مسيرة من طرفهم في استقلال عن السلطة، وقد توارث هذه الثروات الأبناء والأحفاد الذين أصبحوا أهم أعيان المدينة وطلبة التشكيل الاجتماعي المعاصر بها خصوصا لدى الذين امتنهنوا منهم تجارة التصدير والاستيراد فكونوا البورجوازية التجارية والعقارية لمدينة الرباط.

4 - أصبحت التجارة في ميناء أبي رقرق مزدهرة مع الدول الأوربية وساهمت العمليات البحرية بأسلابها وغنائمها في الازدهار التجاري.

5 - خطبت كثير من الدول الأوربية ود ما سمي "بجمهورية أبي رقرق" وخصوصا القصبة من أجل التفاوض في قضايا افتداء أسراها أو لدفع إتاوة لتفادي خطر الجهاد البحري الموريسكي أو من أجل إبرام العلاقات الدبلوماسية والتجارية.

ويمكن القول بأن الهرناشيين بأموالهم وثروتهم هم السبب فيما وصل إليه الجهاد البحري الموريسكي - انطلاقا من مصب أبي رقرق - من تجهيز واستثمار ونجاح، أملا في الانتقام من أعدائهم والعودة يوما ما إلى بلادهم الأصلية.

محمد حجي، الزاوية الدلانية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الرباط، 1964؛ محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و17، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991؛ الجمالية الأندلسية بمصّب أبي رقرق، التاريخ والحضارة، الندوة العلمية حول الرباط وسلا، منشورات جمعية رباط الفتح؛ روجي كواندرو، قرصنة سلا، تر. محمد حمود، نشر بمساهمة المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1991؛ ع. اللطيف الشاذلي، الحركة العياشية، كلية الآداب، الرباط، 1982؛ عبد الإله الفاسي، مدينة الرباط وأعيانها في القرن 19 وبداية القرن 20، جمعية رباط الفتح، 1996.

عبد الإله الفاسي

الهروشي، (الحاج -) التهامي، من مشاهير رجال

الملحون في القرن العشرين. ولد بفاس سنة 1912، ومنذ نعومة أظفاره تهيأ لأن يتعرف على أشياخ الفن، وأن ينهل من معارفهم. تتلمذ على نخبة من هؤلاء كان من بينهم الشيخ الغالي الدمناطي، والحاج أحمد الكندوز، والتهامي المدغري، والحاج أحمد الشرايلي.

وما لبث أن برز من بين أقرانه، فانقادت له ملكة الحفظ والإنشاد، وأصبح من خيرة المنشدين بما أوتي من جمال صوت، وجودة إلقاء، ورقة أداء. وفي هذا الصدد ينوه المرحوم الأستاذ محمد الفاسي بإشاده لقصيدة "التصلية" للشيخ الغالي الدمناطي والتي سجلها بإذاعة فاس في فاتح يناير 1946. وبعد تشكيل جوق الملحون بالإذاعة الوطنية في الخمسينيات كان الهروشي من بين الذين انضموا إليه إثر مقدمه من فاس إلى الرباط.

وللمترجم إسهامات في مجال النظم، فقد أنشأ قصائد في التغزل والعشاق، من بينها خدوج، والحراز، واعويشة، وازهيرو، والخلخال، والشمعة والديجور.

توفي بالرباط يوم 21 دجنبر 1978.

أبو بكر بنور، ضروب الغناء وعالمقة الفن، ط. 1، 2002، الرباط، ص. 157؛ محمد الفاسي، معلمة الملحون، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، ج. 2، ق. 2، ص. 189؛ عبد الله شقرون، الشعر الملحون في الإذاعة، نشر اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، 1989، ص. 94.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الهرّي (المعركة -)، لم تكن معركة الهري يوم 13 نونبر 1914 وليدة الصدفة. بل إنها تشكل حلقة من سلسلة المواجهات بين القبائل الزبانية والاحتلال الفرنسي، ونذكر منها :

- معركة مديونة سنة 1907، حيث حرض موحا وحمو الزباني قبائل الأطلس المتوسط للتصدي للقوات الغازية بالشاوية.

- مشاركة الزبانيين لإخوانهم المقاومين بتفيلالت في مواجهتهم للغزو الفرنسي القادم من الغرب الجزائري سنة 1908.

- مشاركتهم الفعالة أثناء الحصار الذي ضربته القبائل على العاصمة فاس بعد احتلالها من طرف الجيش الفرنسي سنة 1911.

- مساندة "موحا وسعيد الويراوي" في معارك القصيبة. وجدير بالإشارة إلى أن هذه التعبئة المستمرة لقبائل زيان ستزعج قوات الاحتلال وستدفعها إلى الإسراع باحتوائها واحتلال خنيفرة القلب النابض في الأطلس المتوسط - والتي تحولت إلى حاضرة بفضل جهود موحا وحمو الزباني : ذلك أن السلطان مولاي الحسن استقدمه إلى فاس سنة 1886 وعينه قائدا للمخزن بالأطلس المتوسط، وزوده بثلاثة مدافع من صنع إسباني، وعين له قائد الرحي "الزوكاتي" ليسهر

على تدريب رجاله، وعين أيضا العلاف "الشبوكي" لتموينهم، ولقد انتهت "موحا وحمو الزباني" فرصة إقامته بفاس للإعداد لمشروع تنمية مدينته، فاتصل بالتجار والحرفيين لحثهم لتعمير خنيفرة وتزويدها بما يلزم. وبسرعة تحولت خنيفرة من قرية تعبرها القوافل التجارية إلى حاضرة عامرة إذ ذكر "فرونسوا بيرجي" في كتابه "موحا وحمو الزباني 1877-1921" أصول ساكنة خنيفرة كما يلي :

- التجار القادمون من فاس 200 ، وأهل سوس (بقالة) وعددهم 80 ، وأهل الصحراء (دباغون وحرفيون) وعددهم 300 ، وأهل أبي الجعد : صناع 100 ، والسماعة وأهل تادلة والسراغنة وابني احسن 260 ، والبواخير والشرادة (قدماء العساكر) 80 ، والآخرين 200 ، وطلبة زيان 10 .

بلغ عدد سكان خنيفرة قبيل مجيء الفرنسيين 1230 . وتحديث الكتابات الاستعمارية عن مدينة يسير شؤونها أحد أبناء موحا وحمو وهو "الباشا حسن" بمساعدة حفيده "العبيدي" ، وقارنتها بمدن أوربا خلال القرون الوسطى التي يدير أمورها الأمراء الفيوداليون. وذلك لوضع الجهود التنموية لموحا وحمو في طي النسيان. وقد سهر العبيدي على نظافة المدينة بمساعدة الخليفة عمر المراكشي، حتى أصبحت حاضرة غاية في التنظيم، وقدوة في النظافة، وقد شعر المقيم العام ليوطي بأهمية هذه المدينة، لهذا أخذ يعد العدة لاحتلالها بعد احتلال بلاد بني مطير وزمور وجزء من بني مكيلد وخاصة بعد الانتهاء من احتلال تازة. كما أنه أدرك أنه لا يمكن الاحتفاظ بالسهول الأطلنطية أو ما يسميه "المغرب النافع" إلا باحتلال الأطلس المتوسط برمته، والذي يشكل العمق الاستراتيجي للسهول. فأسند قيادة العمليات للجنرال "هنريس" Henrys. وفي شهر يوليوز 1914، وضعت رهن إشارة الجنرال هذا الحامية العسكرية التي كانت مرابطة بناحية مكناس والرباط وتادلة والتي كان عدد أفرادها تقريبا 120 ألف رجل، ورسمت الخطة العسكرية لمحاصرة زيان على الشكل الآتي :

- الانطلاق من الشمال من مركز يطو الذي كان تحت قيادة كلوديل Claudel وكان يضم ما بين 5500 و6500 جندي بالإضافة إلى مركز وادي يفرن الذي أقام به الفرنسيون مركزا للذخيرة.

- الانطلاق من الغرب من مركز الماس ومولاي بوعزة، وكان هذا المركز يضم 3400 جندي مزودين بأحدث الأسلحة تحت قيادة الضابط كرو Cros.

- الانطلاق من الجنوب من مركز تادلة وكان يضم 4500 جندي تحت قيادة الضابط دوبلسيس Duplessis. فكان الهجوم في شكل كماشة ذات ثلاثة أذرع لاحتلال المدينة. وأما سلاح المجاهدين فكان على الشكل الآتي :

- بني مكيلد : 4000 بندقية، آيت يعقوب : 4000 بندقية و1500 فارس، آيت سكوكو : 1500 بندقية و1000 فارس ، المرابطون : أكثر من 1000 بندقية و1000 فارس. وفي 11 يونيو 1914 وصلت الجيوش الفرنسية إلى أعالي

وادي أم الربيع في إطار الاستعدادات لدخول خنيفرة، فغادر موحا وحمو المدينة في إطار تكتيك عسكري لمفاجأة العدو متراجعا نحو الجبال المجاورة لتنظيم الهجوم المضاد. وفي يوم 11 نونبر 1914 أخبر الكولونيل لافردور Laverdure قائد حامية خنيفرة أن موحا وحمو الزباني أقام معسكرا غير بعيد عن خنيفرة في منخفض تحيط به الجبال اسمه الهري. وتمكنت الجيوش الاستعمارية من احتلال خنيفرة يوم 12 يونيو 1914 إلا أنها وجدت المدينة فارغة من سكانها حيث غادروها، ونظموا الهجومات المتتالية على القوات الاستعمارية التي كانت تبدي انزعاجها من هذه العمليات وكان يريكها تطورها الخطير وفي هذا الصدد كتب الكولونيل فوانو Voinot يقول : "بعد احتلال - خنيفرة - غادرها زيان فتمكنت قواتنا من إقامة تحصينات عسكرية بالمدينة إلا أن قوات زيان كانت تدهم هذه القوات باستمرار وتكبدا خسائر فادحة : ففي 30 يونيو 1914 سقطت طوابيرنا في كمين نصبه زيان. فكانت الحصيلة 17 قتيلًا في صفوفنا بالإضافة إلى 77 جريحًا".

وكان وضع القوات الاستعمارية بخنيفرة جد صعب، خاصة لما وصلتها الأخبار عن بداية الهزائم الفرنسية في الحرب العالمية الأولى أمام الألمان، فاضطر الجنرال "ليوطي" إلى التوجه إلى خنيفرة صحبة الجنرال "هنريس" للرفع من معنويات الجنود المنهارة، وقد أصدر تعليماته قصد جلب الأعيان بمختلف الوسائل بواسطة الإغراءات والرشوة وإثارة النعرات القبلية، وكذلك توسيع شبكة التجسس، وترك الحرية للقيادة العسكرية في اتخاذ الإجراءات الملائمة، وهذا ما فتح المجال أمام حاكم خنيفرة "لافردور Laverdure" للاستعداد للهجوم على معسكر موحا وحمو الزباني في الهري.

ففي يوم الجمعة 13 نونبر غادر "لافردور" خنيفرة على الساعة الثالثة صباحا ومعه حوالي 1300 من الجنود أغلبهم من السينغاليين والجزائريين والتونسيين وحتى من الكوم المغاربة، يوظفهم 43 ضابطا ومقسمين إلى 4 مجموعات، كل مجموعة تحت قيادة ضابط سامي مثل المقدم كولونا دي ليكا Colonna Delecca والنقيب سيدو Sido وهورنيكيير Horneker والمقدم دورميلا Durmelat والمقدم فاجس Fages. وتقتضي الخطة التي وضعها "لافردور" أن تتمركز مجموعة كولونا دي ليكا على المرتفعات القريبة من الهري لتأمين تراجع باقي المجموعات بعد تنفيذ الهجوم، وأن تتوزع باقي المجموعات عند عبور وادي اشبوكة أحد روافد أم الربيع يمر قرب الهري وهي كالتالي :

- مجموعة هورنيكيير على اليمين، مجموعة فاجس على اليسار، مجموعة دورميلا في الوسط حيث يؤدي ذلك إلى محاصرة معسكر موحا وحمو من جميع الجهات.

بهذه الخطة ظن الكولونيل لافردور أن موحا وحمو في متناوله، وأن الأمر في غاية البساطة ويتلخص في مدهامة موحا وحمو واقتناصه بسرعة ثم الرجوع إلى خنيفرة، وفعلا

ولا تتوفر على برنامج محدد، واستغل دويلسييس انشغال زايان بنشوة الانتصار لإيصال أصوات استغاثته إلى القيادة العليا فوصلته الإمدادات، وذلك لمهاجمة المقاومين وفي هذا الصدد يقول الأستاذ عبد الله إبراهيم : "... وهكذا ففي 14 نونبر 1914 كانت نساء زايان وأطفالهم وشيوخهم - في حفل شعبي - "أحيدوس" للاحتفال بهذا الانتصار العظيم، في هذه الأثناء حلق فوق رؤوسهم شيء كربة الصوت : إنها الطائرات التي استعملت لأول مرة في المغرب لقبيلة هذا المحشد الآمن فكانت الحسائر مرتفعة". ورفض موحا وحمو الزباني الامتثال لدعوات الضباط الفرنسيين الذين طالبوه بالاستسلام، فكان يردد دائما "إنني أنتمي إلى ماض لا أريد خيانتة مهما كلف ذلك من ثمن"، وقاد معارك متتالية ضد الجيوش الاستعمارية في "سيدي الامين" و"أكلموس" وغرم العالي" والتي حقق خلالها انتصارا آخر سنة 1917، كما جرت معارك أخرى خلال أبريل 1920 حقق خلالها المقاومون تفوقا رغم اختلال موازين القوى. ولكن سبعة أعوام متتالية من المواجهة في حرب ضروس غير متكافئة يقودها ضباط وألوية لامعة أسماؤهم في التاريخ العسكري لفرنسا أمثال "هنريس" و"بويميرو Poemyreau" و"كولومبا Colombat" ودوسيز De Seize " ألجأت زيان إلى قمم الجبال والمسالك الوعرة، حيث أنهكتهم الظروف الطبيعية القاسية ومختلف أنواع الحرمان. ومع ذلك ظل موحا وحمو صامدا يحمل راية الحرية، ولم تضعف عزيمته حتى بعد أن حوصر واستسلم إخوته وأبناءؤه أنفسهم، إذ ظل يقاتل إلى أن أصابته رصاصة العدو والسلاح في يده يوم 27 مارس 1921 في معركة أزلاك نتزمورت، فكان يوما حزينا في المنطقة بأسرها. ولاحتواء غضب الجماهير نظم الاستعمار لقائد المقاومة جنازة بالمراسيم العسكرية.

وعلى كل، لقد كانت معركة الهري نتائج منها أنها شكلت أول هزيمة لفرنسا في المغرب وإلى هذا يذهب المختار السوسي بقوله : "ومن أكبر الوقائع في الحرب وقعة الهري التي استوصل فيها رؤساء الجنود الفرنسيين أكثر من 20 فيهم الكولونيالات والقبطنات والفسيانات. وتفصيلها أن العسكر الفرنسي تقدم بقوة عظيمة وتوغل في تلك الجبال إلى أن وصل الهري المذكور، فانقض عليه عسكر زيان ومن معهم، وسدوا عليهم المسالك التي سلكوها، وجعلوا يقتلونهم كيف شاءوا وبأسرون إلى أن أفنهم..."

وكتب الجنرال كيوم أحد الضباط الفرنسيين الذين شاركوا في الحملة على الأطلس المتوسط لاحقا في مؤلفه البربر المغاربة وتهدة الأطلس المتوسط 1912. 1933 ما يلي : " لم تمن قواتنا قط في شمال أفريقيا يمثل هذه الهزيمة المفجعة".

وشكل هذا الحصار حافزا كبيرا لحركة المقاومة الشعبية التي ظهرت في مختلف جهات المغرب تادالا، تافيلالت، ممر تازة، الجنوب الريفي... ومن هنا نفهم التعظيم الذي أحاطت به إدارة الحماية هزيمتها في الهري بحيث حاولت تبرير الهزيمة

أحاطت جيوش الاستعمار بمعسكر موحا وحمو من جميع الجهات فهاجمته بكل وحشية دون التفريق بين الأطفال والشيوخ والنساء العزل، فكان المنظر عبارة عن مذبحه رهيبه، هذه المذبحه التي تدل على أن العبارات التي كان ليوطي قد اتخذها شعارا مثل "التغلغل الهادي" و"إبراز القوة لتلافي استعمالها" و"طبيب أحسن من طابور عسكري" ما هي إلا أوشام جاهزة للديماغوجية والتضليل. وبعد ارتكاب الجريمة وفي غمرة الاحتفال بانتصاره، أخذت جيوش الاستعمار تستعد للرجوع إلى خنيفرة محملة بالغنائم، غير أن فرحتها لم تدم طويلا... إذ تمكن المقاومون الذين نجوا من المذبحه من إبلاغ أصواتهم إلى مختلف القبائل. وفي ظرف وجيز انضمت إلى قبائل زايان قبائل أخرى متناسية تناقضاتها الداخلية، ومن هذه القبائل آيت شرطا، آيت خويا، آيت بوهر، ايشقرن... يتقدمهم أبناء موحا وحمو الذين كانوا يعسكرون في مكان غير بعيد من الهري، وعندئذ أدرك الكولونيل "لافردور" أنه ألقى بنفسه ويقواته كلها في التهلكة، فحاول دون جدوى تنظيم انسحاب قواته في اتجاه خنيفرة، إلا أن المقاومين - الذين طوقوا جميع المسالك لمعرفة بتضاريس المنطقة حاصروا القوات المغيرة من كل جهة - وفي هذا الصدد يقول العالم أحمد بن قاسم المنصوري في كتابه كياء العنبر : "ثم هناك أولاد صناديد من أبناء موحا وحمو منهم حوسا وامهروق وباعدي وغيرهم تراكضوا للمعركة، فألبوا البلاء الحسن، مما جعلهم يرتطمون مع العدو في كل ثنية ومنعرج، وكادوا يتمسسون بالأيدي... فقصوا المدفعية فأخذت أنفاسها، وأعدم ناسها فاختل نظامها وتوازنها وانفصم ترابطها فانعدم تعاونها فتخطفتها الفرسان". ويقول الأستاذ عبد الله إبراهيم حول معركة الهري : "وقد عرف تاريخ المقاومة المغربية هنا لحظات مثيرة أذهل فيها المغاربة بذكائهم العسكري، أعداءهم الاستعماريين، وتنتصب معركة الهري في 13 نونبر 1914 في صف المعارك المغربية الممتازة ضد الاستعمار".

وتقدر خسائر الفرنسيين في هذه المعركة بـ 33 ضابطا، من مجموع 43 ضابطا ضمنهم الكولونيل "لافيردور" بالإضافة إلى 590 قتيل من الجنود ومئات الجرحى، وغنم المقاومون أسلحة كثيرة منها الرشاشات وبقية المدفعية الثقيلة والذخيرة الحربية.

وأما نسبة الحسائر بالنسبة لكل فئة من فئات الجنود المغيرين على الهري فهي كالتالي : 90% من الضباط هلكوا في الهري و71% من الجنود الفرنسيين 54% من الجزائريين 78% من المغاربة و56% من السينغاليين.

لقد قتلت الجيوش الاستعمارية المغيرة أربع نساء من خيمة موحا وحمو الزباني، وتم تبادل جثثهن بجثث أربعة ضباط.

وجدير بالإشارة أن القبائل لم تستغل انتصارها في الهري لاسترجاع خنيفرة، وهذا يعني أن المقاومة كانت عفوية

colonial de l'Atlantide à Lawrence d'Arabie Seghers, Paris, 1975 ; J. Saulay (Cl), *Les Goums marocains*, t. 1, La Koumia, Paris, 1981 ; Daniel Rivet, *Ethnographie et conquête du Moyen Atlas, 1912-1913*, in Presse de l'Ecole Normale Supérieure, Paris, 1980 ; Notes sur le pays Zayane, *Archives Berbères*, vol. 2, 1917.

عبد القادر بوراس

الهمزميري، حسن بن محمد الشاعر، ولد بأغامت سنة

1357 / 1939 تلقى تعليمه الأولي من حفظ القرآن وغيره بسقط رأسه، ثم التحق سنة 1375 / 1955 بكلية ابن يوسف. وفي سنة 1380 / 1960 عين كاتباً بنفس الكلية، وبعد سنة التحق بالمدرسة العليا للأساتذة بالرباط وبعد التخرج عين أستاذاً بثانوية محمد الخامس بباب أغامت. ثم انتسب لكلية اللغة العربية لإتمام دراسته، وتوسيع معارفه، إلى أن حاز شهادة الإجازة العليا. تولى إدارة إعدادية الصفاء بسيدي يوسف بن علي، ثم ثانوية التخيل إلى أن أصيب بمرض أقعده عن العمل، إلى أن توفي سنة 1420 / 2000. ترك ديوان شعر مخطوط عند ورثته.

أحمد متفكر، ذيل الإعلام بمن حل مراكز وأغامت من الأعلام. أحمد متفكر

الهمزميري، عبد الرحمن بن عبد الكريم، الأخ الأصغر

لأبي عبد الله بن عبد الكريم الهمزميري، لم تحدد المصادر تاريخ ميلاده بأغامت، وكان عالماً متديناً صوفياً. أورد ابن تجلات مواقف تؤكد اتساع ثقافته الإسلامية وعمقها :

فقد كان أخوه أبو عبد الله محمد الهمزميري كثير الثناء عليه والتنويه بعلمه وبمقامه الصوفي، فإذا قرئت عليه رسالة القشيري قال جاز أخى عبد الرحمان هذه المقامات كلها، إلا أنه لم يؤمر بالتصدر للمشيخة...

وقال تلميذه ابن البناء : كنت إذا أشكل علي شيء ركبت دابتي وانصرفت إلى أغامت أوريكة، فأجتمع بسيدي أبي زيد فيشرح لي ما أبهم علي من المسائل... وكان يجد الناس - أحيانا - متحلقين حوله يشرح لكل مسألته.

عرض عليه أحد علماء أزمور سبع عشرة مسألة من الأصول والفقه والفرائض. فأجاب عليها بإسهاب بمحض ابن البناء. وكان أبو زيد أبرز شيوخ ابن البناء العددي المراكشي، فقد دخل الطريقة الأغامتية على يديه وأعطاه ذكراً دخل به الحلوة مدة سنة، ودعا له.

ويفسر نبوغ ابن البناء في الهندسة والحساب والهيئة بدعاء شيخه له (مكنك الله من علم السماء، كما مكنك من علوم الأرض) وقيل بأنه أراه ليلة دائرة الفلك مشاهدة حتى عاين مجرى الشمس، وقال له "إن الله تعالى قد فتح لك فيما أريد" فأخذ من وقته في علم الهيئة والنجوم حتى أدرك منها الغاية. وألف فيها مؤلفات عديدة كان السباق فيها إلى إبداع نظريات، والوصول إلى أحكام كان لها شأن في المشرق والمغرب.

والصاقها بشخص واحد هو "لافرودور"، الذي وصف بأنه ضابط متهور قام بمبادرته من تلقاء نفسه دون تلقي الأوامر من القيادة العليا، وكان الهدف من ذلك التقليل من هول الهزيمة التي لحقت الجيوش الفرنسية في الهري، لأن إبراز هذا الانتصار كما حدث من شأنه تمريغ هيبة فرنسا في التراب، خاصة وأنها تخوض غمار الحرب العالمية الأولى، وحاول البعض إيجاد تبريرات لهذه الهزيمة مثل النقيب "سعيد كنون" الضابط الجزائري في الجيش الفرنسي الذي يرى أن لا فيردو انساق وراء نصائح عنصرين من "المخازنية" اللذين يريدان تصفية حسابهم مع موحا وحمو الزباني. وهما عمر وابن عمه حسن لهذا سهلاً أمام لا فيردو مأمورية مباغته موحا وحمو في الهري. وأضاف أن مساعديه المحنكين النقيبين "راكت برانكاكاز Ract Brancaz ومارو Marrot" نصّحاً بعدم الإقدام على هذه المغامرة. وكان سعيد كنون يريد أن يقول بأن الهزيمة تمت بسبب نصائح "مغربيين" وأما المارشال ليوطي فقد حاول التقليل منها فصرح يوم 15 يونيو 1914 : "لقد أخبرت أمس أن قواتنا خاضت معارك دموية بخنيفرة إلا أن اندلاع التمردين اصطدم بسد منيع تم احتواؤه بكل شجاعة" وعلى الرغم من هذا التصريح فقد ندد بخطة لا فيردو.

ولمحو آثار الهزيمة التجأت إدارة الحماية إلى مختلف الأساليب كالتعتيم وتوجيه الصحافة، بل إنه تم إنتاج أضخم فيلم في عهد الحماية على الإطلاق وهو "فيلم إيطو" الذي تدور أحداثه حول مقاومة موحا وحمو الزباني وذلك للرفع من معنويات الجنود الفرنسيين وتضليل الرأي العام الداخلي في فرنسا بحيث يقدم الفيلم مقاومة موحا وحمو الزباني كعمل من أعمال الانشقاق لقبائل "السيبة" والتي وقفت في وجه التمدن الذي يتجلى في إبراز دور الطبيب في معالجة الأهالي والمواشي والمهندس في شق الطرق. واستفترت فرنسا حوالي 8000 من المغاربة وكذلك مئات الجنود والآليات للتصوير لطمس نتائج الانتصار الذي حققه موحا وحمو في الهري.

وختاماً وإدراك أهمية معركة الهري في التاريخ الوطني على المؤرخ أن لا ينظر إلى فشلها في منع الاستعمار من احتلال البلاد، بل ينبغي عليه أن ينظر إلى اختلال موازين القوى بين الطرفين وإلى استماتة المغاربة للدفاع عن وطنهم رغم هذا الاختلال.

أحمد المنصوري، كباء العنبر، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ؛ مقالات عن المقاومة المسلحة والحركة الوطنية بالأطلس المتوسط 1907. 1956 أيام 11. 12. 13. نونبر، 1999، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير وجامعة مولاي إسماعيل مكناس ؛ عبد الله إبراهيم، مجلة نجمة، ع 4، 1980، ص. 6 ؛ عبد القادر بوراس، من ذكريات تاريخ المقاومة الشعبية المغربية، العلم 13 نونبر، 1991.

Maurice le Glay, *Les sentiers de la guerre et de l'amour*, 1930 ; *Les récits marocains des plaines et des monts*, 1948, Ed. Berger-Levrault ; François Berger, *Moha ou Hammou le Zaïani, un royaume berbère contemporain, 1877-1921*, Ed. de l'Atlas Marrakech ; Le Colonel Voinot, *Sur les traces des pacificateurs du Maroc*, Ed. Charles Lavauzelle, Paris, 1939 ; Said Guennoun (Capitaine), *La montagne berbère*, Ed. Oumnia, 1933 ; Les Frères Tharaud, *Marrakech et les seigneurs de l'Atlas*, Ed. Librairie, Paris, 1953 ; Pierre Boulanger, *Le cinéma*

وأكد ابن البناء ذلك عندما أقر بذهابه إلى شيخه كلما أشكل عليه شيء، أو استعصت على فهمه مسألة علمية. فيجد الجواب الشافي بدون سؤال منه، قال ابن قنفذ: "حدثني غير واحد ممن لقيت من الأعلام، أن انتفاع ابن البناء في علومه ومنزلته الدينية والدينية إنما كان من بركة الهزميري لأنه بلغ في دينه النهاية وفي دنياه الغاية".

تصدر أبو زيد للتدريس بأغمات وتولى رئاسة الطائفة بعد وفاة أخيه.

توفي سنة 706 / 1306 بفاس ودفن بها.

أبو عبد الله بن تجلات المراكشي، إثم العيينين ونزهة الناظرين في مناقب الأخوين، تج. محمد رابطة الدين، مرقون بخزانة كلية الآداب، الرباط، 1986؛ ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقيير، تج. محمد الفاسي، وأدولف فور. ط. الرباط، 1965؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، الرباط، 1973-1974؛ ابن المؤقت المراكشي، السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، 1335؛ ابن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثاة الأكياس من أقطاب من العلماء والصلحاء بفاس، ط. حجرية، بفاس 1318.

الهزميري، محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد بن يحيى، نسبة إلى قبيلة هزميرة من المصامدة استوطنوا بين أسوار مراكش وركراغة. ولد بأغمات أوربيكة في أوائل القرن السابع الهجري (13). ينتسب لأسرة متدينة، وعلى قدر لا بأس به من الغنى.

تلقى علوم العصر - على فقهاء أغمات، التي حافظت على مكانتها كمركز ثقافي وعلمي - وهي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وباقي العلوم الإسلامية بما فيها التصوف وآدابه.

من أشهر شيوخه: أبو علي التقموسي إمام مسجد أغمات، وأبو زكرياء يحيى بن راحيل الكنفيسي، وأبو الربيع الروداني، قال عنه ابن تجلات (... وكان شيخ قدوته مالك بن أنس رضي الله عنه، وقدوته في علم التصوف أبو حامد الغزالي. وكان في حياة أبويه يتسبب بتعليم الصبيان، فلما ماتا ترك التسبب وبقي على طريق التجريد... ولم يتزوج رحمة الله عليه حتى مات).

بعد الهزميري من أتباع أبي محمد صالح بن سعيد بن ينصارن الماجر (من أخص تلامذة عبد السلام بن مشيش) مؤسس الطائفة الماجرية بأسفي، وتسمى كذلك الطائفة الدكالية، وطائفة الحجاج، وهي سنية تقوم على محاربة البدع ومواجهة الأجنبي الدخيل. ولها شارات دافع عنها أحمد بن إبراهيم حفيد الشيخ أبي محمد صالح في كتابه المنهاج الواضح.

وقد أخذ عن عبد السلام بن مشيش، عن أبي مدين، عن علي بن حزم، عن أبي بكر بن العربي، عن الإمام الغزالي. ولذلك فتعاليم الهزميري هي مزيج مما في كتب الغزالي ورائية الشريشي ومذهب الملامتية. ويشترطون الشيخ في

طريق التصوف أن يتصف بالعلم والعمل والورع والزهد والتواضع والمعرفة بالله ودوام الذكر. وعلاماته الورع والإنصاف والتواضع ومداواة نفسه قبل غيره. أما المرید فيشترط فيه التلطف والتأدب مع شيخه، وعدم إنكار أحواله والاعتراض عليه، مع دوام الانتباه من الغفلة، والتبري من الحطوات المذمومة، والتدرج في أحوال محددة، إلى أن يؤذن له بتلاوة الأذكار.

ومن شروطها كذلك الخلوة لمدة معينة، وجواز السماع. وملخص أصول الطريقة:

اجتناب المحارم، أداء الفرائض، ترك الدنيا لأهلها مالا وجاها، الصدق، الإخلاص.

انتشرت هذه الطريقة خارج أغمات فبلغت قبائل هزرجة وهيلانة ودرعة وانتقلت إلى مدينة مراكش على يد أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي المعروف بابن البناء العددي المتوفى سنة 761 / 1359.

ومن تلامذة الهزميري كذلك:

- أبو عبد الله محمد بن تيجلات المراكشي مؤلف كتاب

إثم العيينين ونزهة الناظرين في مناقب الأخوين. تحدث فيه عن المترجم له وعن أخيه أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الكريم الهزميري وطائفتها وأتباعها.

- محمد بن أحمد بن شاطر الجمحي المراكشي.

توفي سنة 678 / 1279، ودفن بأغمات.

محمد بن تيجلات المراكشي، إثم العيينين ونزهة الناظرين في مناقب الأخوين، تج. رابطة الدين محمد، مرقون، خزانة كلية الآداب بالرباط، سنة 1986؛ ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقيير، تج. محمد الفاسي وأدولف فور، ط. الرباط، 1965؛ التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، تج. أحمد التوفيق، ط. الرباط، 1984؛ أحمد بن إبراهيم، المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح، مصر، 1933؛ محمد المنوني، وراق عن الحضرة المرينية، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1979.

حسن جلاب

هسبريات Hesperides، لقب يطلق على بنات الملك

أطلس الذي حكم موريطانية Mauretania أو المغرب القديم قبل الفترة الفنيقية. كما يطلق اسم الهسبريات على حداث كانت موجودة في ضواحي مدينة لكسوس، التي قال عنها بلنيوس الأكبر ما يلي: "إن القدماء جعلوا منها (لكسوس) موضوعا لقصص عجيبة، فجعلوا فيها حداث الهسبريات وقصر أنثايوس Anthaeus، وفيها تم مبارزته لهرقل" Pline Ancien, 5,3. وهذا يرتبط بالازدهار الذي تحقق في عهد الملك أطلس، ويشهد به ديودور الصقلي قائلا: "إن الأطلسيين رعايا أطلس هم أكثر الليبيين حضارة في هذه النواحي. فهم يمتلكون أرضا مزدهرة ومدنا كثيرة. ويحكي أن الآلهة ولدت في بلادهم بالمناطق القريبة من المحيط. وهذا موافق لما ورد في الأساطير الإغريقية" Diodore de Sicile, 3, 54, 1.

الفتيات بما وقع لهن، قتل القراصنة وأرجعهن إلى والدهن أطلس. واعترافا بالجميل لم يكتف أطلس بتمكين هرقل مما أتى من أجله (التفاح الذهبي) بل لفته دروسا في علم الفلك Astrologie، والمعلوم أن أطلس نبع في هذا العلم وصنع بمهارة كوكبا سماويا. وهذا ما جعل الناس يعتقدون أنه يحمل الكون فوق كتفيه. وربما أن هرقل هو أول من أتى إلى بلاد الإغريق بعلم الكروية، فقد قيل إنه أخذ عن أطلس حمل الكون" Diodore de Sicile, 4, 27.

محمد مجدوب، مختصر حول تاريخ موريطانية قبل السيطرة الرومانية، بحث، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، ع 6، ص. 149. 174. 1995؛ لكسوس في الفترة المورية: ملامح من التاريخ والتراث، المliche، مجلة تصدرها مجموعة البحث حول بلاد الهسب، ع 1، ص. 28. 8. 1997؛ دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، مرقونة، 1998؛ أضواء حول تاريخ المغرب قبل الفنيقيين، النشرة الأثرية المغربية، 20، تحت الطبع. J. Schmidt, Dictionnaire de mythologie grecque et latine, Paris, 1989. محمد مجدوب

هسبيريس، تمودا (مجلة -) تحتل مجلة هسبيريس - تمودا مكانة دولية مرموقة، وتعتبر أقدم مجلة مغربية استمرت في الصدور منذ تأسيسها بدون انقطاع. تأسست سنة 1921 بمعهد الدراسات العليا المغربية بالرباط في عهد الحماية، واختير لها اسم "هسبيريس". وتخصصت في التعريف بتاريخ المغرب وأرضه وسكانه ولغته وحضارته، مع اهتمام عام بتاريخ حضارة الغرب الإسلامي. وكانت تصدر بموازاتها باللغة الإسبانية مجلة أخرى في شمال المغرب تدعى مجلة تمودا Tamuda في الوقت الذي كان المغرب مقسما إلى منطقتين تحت الاحتلال الأجنبي. كان من الضروري بعد استقلال المغرب وبعد تأسيس كلية الآداب والعلوم الإنسانية بديلا عن معهد الدراسات العليا المغربية جمع هاتين المجلتين لإصدار مجلة جديدة واحدة سنة 1960 بعنوان: هسبيريس تمودا. تصدر باللغة الفرنسية والإسبانية وبجميع اللغات. ونظراً لأهمية هذه المجلة ولكونها ذخيرة عظيمة لا يستغنى عن رصيدها الوطني أي باحث في العلوم الإنسانية فقد قامت الكلية بإعادة طبع أعدادها الأولى التي نفذت وأخرجتها في حلة جديدة. وما تزال مجلة هسبيريس تصدر إلى اليوم وفيه لتخصصها ومستواها الرفيع في البحث وقد تعاقب على إدارة شؤونها أساتذة مقتدون بدءاً بالمؤرخ ليفي بروفنسال، وبعد الفقيه جرمان عياش يتولى الآن تنسيق أعمال هيئة تحريرها الأستاذ إبراهيم بوطالب منذ 1991 وصارت تنشر الأبحاث باللغة العربية إلى جانب باقي اللغات، وقد أصدرت مؤخراً العدد الأربعين سنة 2005 والكلية مصممة العزم على إصدار هذه المجلة التي يشترك فيها العديد من خيرة الأقلام

والجدير بالذكر أن ما تحقق في عهد الأطلسيين من تقدم حضاري ترك بصماته في الثقافة الإغريقية، كما يتضح من النص التالي: "ينبغي أن أتناول بتفصيل ما كان يروج عندهم من أساطير حول ميلاد الآلهة، لأنها لا تختلف كثيراً مع ما يروجه الإغريقون. إذن فالأطلسيون الذين يسكنون بالمناطق المتصلة بالمحيط ويمتلكون أرضاً مزدهرة، يتميزون عن جيرانهم بإيمانهم القوي وبمعاملة حسنة مع الأجانب. إنهم يؤكدون أن الآلهة ولدت في بلادهم. وهذا موافق لما يعتقدونه أشهر شعراء الإغريقين (يقصد هومروس) في حديثه على لسان هيرة Héra قائلاً: "سأذهب فعلاً لأزور حدود الأرض الحبيبة، المحيط حيث ولدت تيثوس Tithus الآلهة" Diodore de Sicile, 3, 56, 1-2.

في الحديث عن بنات أطلس قال نفس الكاتب: "كان لأطلس سبع بنات سميت بالأطلسيات نسبة إلى والدهن، وهن: Maia, Elektra, Taugété, Stéropé, Méropé, Alkuoné, Kelaino. ويزواجهن بالآلهة والأبطال تكون الجنس البشري. فمايا Maia تزوجت بزيوس Zeus وأنجبا هرميس Hermes صاحب اختراعات نافعة للناس. بينما أنجبت بقية الأطلسيات أبناء اشتهر بعضهم ببناء المدن وآخرون بتكوين عدة أمم. وهكذا فبعض الأقسام الباربارية والإغريقيون أنفسهم يعتبرون أن أسر أقدم أبطالهم تنحدر من هذه النساء التي تتميز بالحكمة. وبعد وفاتهن جعلهن الناس من الخالدات. فصاروا يتمثلونهن في أرجاء الكون وينعتونهن Les Pléades أو Les Nymphes. وهو اسم النساء عند الأطلسيين" Diodore de Sicile, 3, 60, 4-5. وأفاد نفس الكتاب في سياق آخر أن إطلاق اسم الهسبيريات على البنات هو نسبة إلى والدتهن هسبيريا Hesperia: Diodore de Sicile, 4, 027.

اشتهرت حدائق الهسبيريات بإنتاجها للتفاح الذهبي ويحرسها تينين ضخمن. وقد قضى عليه هرقل لما جاء إلى بلاد الأطلسيين يبحث عن التفاح الذهبي، خلال المهمة الثانية عشرة والأخيرة من أعماله البطولية. ويوضح ديدور الصقلي كنه هذا التفاح العجيب قائلاً: "اختلف رواة الأساطير حول مفهوم هذا التفاح. فاعتقد البعض بوجود تفاح ذهبي حقيقي في حدائق الهسبيريات بليبيا، التي يحرسها تينين ضخمن. بينما ظن الآخرون أن للهسبيريات قطعانا من الأغنام بديعة الجمال ولونها شبيه بالذهب. ولضرورة المبالغة الشعرية، نعتوا هذه الأغنام بالتفاح الذهبي، مثل تسمية الإلهة ونوس Venus بالمذبة نظراً لجمالها الفاتن" Diodore de Sicile, 4, 26. ونعلم أن هرقل أنقذ الهسبيريات، ولذلك عقد علاقة حميمة مع أطلس. قيل في هذا الصدد: "إن القراصنة الذين بعثهم يوزريس وجدوا بنات أطلس يمرحن في حديقة، فحفظوهن ولاذوا بالفرار بواسطة مراكبهم. غير أن هرقل فاجأهم وهم يتناولون طعامهم على الساحل. ولما سمع من

وتوزع على أوسع نطاق على المشتركين في الجامعات الأمريكية والأوروبية وعلى المستوى الوطني.

عمر أفا

هسكورة ، مجموعة قبلية كبيرة من أصول صنهاجية إخوة لمطة وكزولة المنتشرة بالأطلس الصغير ، كانت تعيش حياة رعي وتنقل بالدرجة الأولى وممارسة زراعات بورية ومسقية في بعض الأودية، استوطنت في القرون الوسطى الإسلامية مجالاً واسعاً يمتد من سهل الحوز الشرقي إلى الروافد العليا لوادي أم الربيع : الأخضر وتساوت والأطلس الكبير الأوسط والأطلس المتوسط وتادلة، يستغلون المراعي بالهضاب والمنخفضات، يمتد مجالهم إلى المنحدرات الجنوبية للأطلس الكبير الأوسط حيث مازالت قصبه سكورة تحتفظ باسمهم. ومع تزايد النمو الديموغرافي والاستقرار وممارسة الفلاحة فقدت القبيلة عصبيتها، وتمزقت وحدتها وانفتحت أراضيها لغيرها، مما سهل القضاء عليها واندماجها في قبائل أخرى خاصة عرب السراغنة الذين استوطنوا معظم سهل الحوز الشرقي، ومن مخلفاتهم هنا قبيلة زمران. والجدير بالذكر أن صفات السراغنة العرقية تدل على أنهم أقرب إلى أمازيغ الجبال منهم إلى عرب الصحاري الشرقية أو الجنوبية، مما يدل على أن هناك اختلاطاً وتمازجاً بشرياً كبيراً. لقد أشار ابن خلدون إلى الأصل الصنهاجي لهسكورة مضيفاً أنه بانضمامهم إلى صفوف حركة الموحدين، درج المؤرخون على اعتبارهم مصامدة رغم أنهم لم يتمتعوا بامتيازات المصامدة. لقد عرفوا في كتب التاريخ بهسكورة أما هم فقد يسمون أنفسهم : إسكرن، ومعناها الحجل، لكن المؤرخين كتبوا الاسم بإضافة الهاء كعادتهم في تعاملهم مع أسماء قبائل أمازيغية أخرى مثل هرغة لقبيلة أرغن وهزميرة لقبيلة أزمرن، لعل ذلك حدث بفعل تأثير الكتاب العبرانيين اليهود الذين يجعلون الهاء أداة تعريف مكان الألف واللام، وقد تواجدا بكثرة في جبال الأطلس، وأثروا في حياة الأمازيغ، لكن هؤلاء الآخرين يرفضون الاعتراف بذلك.

ابن خلدون، كتاب العبر، أحمد الناصري، الاستقصاء.

Encyclopédie de l'Islam.

أحمد هوزالي

الهسكوري، علي بن زكرياء ، كان من أهم زعماء هسكورة في النصف الثاني من القرن الثامن (14) برز كزعيم للمصامدة بعد انتهاء ترمذ شيخ هنتاة أبي ثابت عامر بن محمد سنة 771 ، وعندما نشأت إمارة أبي زيد عبد الرحمن بن أبي يفلوسن المريني سنة 776 برضى من سلطان فاس أبي العباس بن أبي سالم، كان ابن زكرياء في طاعة صاحب مراكش، قال صاحب *الحلل الموشية* عن هسكورة (سنة 783) وهو يصف القبائل التابعة للأمير عبد الرحمن : "وأما قبيلة هسكورة، فتصدر عنهم أفعال مشكورة" (189).

لكن عندما قام النزاع بين سلطان فاس وأمير مراكش وتضاعل موقف هذا الأخير، أرسل شيخ هسكورة طاعته إلى أبي العباس سلطان فاس، ولم ينجح أمير مراكش في استئلافه، ثم تمكن جيش السلطان من فتح مدينة مراكش، ثم فتح القصبه بعد حصار دام سبعة أو تسعة أشهر وذلك في آخر جمادى الثانية سنة 784. ويعد نجاح السلطان أبي العباس في فتح تلمسان دبر أمير غرناطة عملية خلعه ودعم أمير منافس له سنة 786.

عندما قدم أبو العباس المخلوع من الأندلس ليستولى السلطنة للمرة الثانية (789-796)، كان شيخ الهسكورة علي بن زكرياء ممن أخلصوا له، فاستولى على مدينة مراكش لصالح أبي العباس، وتحرك بقومه وعساكر مراكش نحو فاس لرغبة أبي العباس للمساهمة في حصار الوزير ابن ماساي وسلطانه الوثائق بها. هذا بينما كانت هنتاة في طاعة أبي العباس، حيث دعم شيخها قائد قصبه مراكش في غياب الهسكوري للامتناع بها دون أن يتمكن من الصمود.

دخل أبو العباس مدينة فاس في رمضان سنة 789، فجازى شيخ هسكورة بمنحه "الولاية الكبرى على المصامدة". غير أن السلطان وتحت تأثير وزيره محمد بن يوسف بن علال حول هذه الولاية إلى أحد أصحاب الوزير، فغضب الهسكوري، ويابح أحد قرابة السلطان، أي أنه حاول أن يجرب أسلوب عامر الهنتاتي مع السلطة المركزية قبل عشرين سنة مضت. فجهز إليه السلطان أبو العباس عساكره مع الوزيرين ابن علال وصالح بن حمو الياباني، وأمر والي درعة ليتقدم لحصار الهسكورة من الجنوب، فانهزموا وقبض على الشيخ ابن زكرياء واعتقل بفاس.

قتل سنة 796.

البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، ص. 67 : المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، ص. 52-53، الرباط، 1971 : مجهول، *الحلل الموشية في الأخبار المراكشية*، الدار البيضاء، 1979 : ابن خلدون، *العبر* : أحمد عزايوي، *الغرب الإسلامي*، دراسة تاريخية، ص. 197-200، أطروحة مرقونة.

أحمد عزايوي

الهسكوري، (الفقيه) محمد بن أحمد بن

صالح الأسفي. ولد عام 1906 بمدينة أسفي، ولج وهو في الخامسة من عمره الكتاب حيث أظهر نبوغاً وتفوقاً في حفظ القرآن الكريم. تنقل بعد ذلك بين عدد من الكتاتيب في محاولة منه لتعلم مواد أخرى إضافة إلى مادة القرآن. وفعلاً تأتي له ذلك إذ تمكن من متابعة دروس في النحو والحساب والتجويد. ومن بين الفقهاء الذين تتلمذ عليهم ذكر الفقيه الحاج أحمد بن إبراهيم الجبلي العلمي الضرير والفقيه سيدي علال بن حمو السكسيوي. بعد هذه المرحلة من الدراسة كان الطالب الهسكوري يحضر جل الدروس التي كانت تلتقى في المجالس العلمية في بعض مساجد المدينة. ولقد دون الفقيه

في إحدى مخطوطاته الصغيرة جميع مراحل التعليم آنذاك ووصف برامجه ومقرراته، كما أنه أعطى نبذة عن تاريخ التعليم بأسفي وعرف بعدد كبير من الفقهاء والمرين ممن عايشهم أو ممن سبقوه. قضى الهسكوري جميع مراحل تعليمه بسقط رأسه، ولم يرحل إلى فاس أو إلى مراكش كما كان جاريا به العمل آنذاك في أوساط طلبة العلم. ولقد عرف في إحدى وثائقه بعشرة من شيوخه من ضمنهم خمسة أجازوه، وهم سيدي محمد بن الحاج إدريس الحسني الإدريسي المعروف بمولاي الحاج وسيدي أحمد بن الحسن المطاعي وسيدي إدريس بن الحاج بناصر مبيته الأندلسي الأسفي والحاج الهاشمي الركوش الأندلسي الأسفي وسيدي محمد بن المحجوب الشيطمي الدروي.

دخل الفقيه الهسكوري الميدان السياسي الوطني من خلال نشاطه داخل المجموعة السلفية بأسفي التي أنشأتها في أواسط العشرينات من القرن الماضي ثلة من علماء المدينة التي كان يرأسها العالم والوطني الغيور محمد بن الطيب البوعمراني الذي كان على صلة وثيقة بباقي متزعمي الحركة الوطنية في مختلف المدن المغربية والذي كان كذلك على اتصال بمتشقي وسياسيي المشرق العربي. ونذكر من بين الأفراد الأوائل لهذه المجموعة السادة عبد السلام المستاري ومحمد الكانوني ومحمد بن الطيب الوزاني وإدريس بناصر مبيته ومحمد بن علي الريفي وأحمد البوعمراني ومحمد بن الطالب الفلكي ومحمد بن الكاهية ومولاي محمد البوعناني ومحمد علان... لقد قامت هذه الجماعة بعدة أعمال رائدة لنشر أفكار الحركة الوطنية منها إصدار مجلة خطية تحمل اسم "الدروس" وإنشاء فرقة مسرحية قدمت تمثيلات لها أبعاد دينية وسياسية وطنية، ولعب السلفيون الأسفيون الأوائل دورا بطوليا في محاربة الظهير البربري. ويمكن للمهتم الرجوع إلى هذا الموضوع في مذكرات المشقف والصحفي والوطني الكبير صالح العبيدي (انظره في معلمة المغرب، ج. 17، ص. 5935) الذي يذكر فيها هذه الملحة الوطنية والشخصيات التي قادتها. ولقد كان للفقيه الهسكوري دور غاية في الأهمية في إيصال الفكر السلفي إلى جميع الطبقات في المجتمع الأسفي المتعلمة منها وغير المتعلمة، كما كان له دور بارز في محاربة البدع والأعمال المشينة التي كانت تنتشر بين الناس وخاصة في الزوايا.

وبإزاء نشاطه في الحقلين الديني والوطني، كان للفقيه الهسكوري منذ شبابه ميول طبيعي إلى مهنة التعليم. وهذا ما دفعه إلى تأسيس كتاب عام 1928. وقد تطور هذا الكتاب التقليدي وعرف إصلاحات جوهرية مع مر الزمان واكتساب صاحبه الخبرة اللازمة لاحتكاكه برواد التعليم العصري الحر في كل من أسفي والمدن المغربية الأخرى، فتحول الكتاب إلى مؤسسة تترجم بين القديم والحديث وبين الطاولة والحصير وبين السبورة واللوح وبين الصمغ

والطباشير، وتحول في الأخير إلى مدرسة عصرية بعد 16 سنة. ومعلوم أن للتعليم الحر العصري في مدينة أسفي تاريخا طويلا يرجع عهده إلى نهاية العشرينيات من القرن الماضي، ذلك أن المحاولات الأولى لتأسيس مدرسة حرة جاءت في تلك الفترة على يد الفقهاء الكانوني والمستاري وإبراهيم العويني ومحمد بن الكاهية. لكن محاولاتهم لم يكتب لها النجاح لأن سلطات الحماية كانت دوما لها بالمرصاد، وكانت ترغم المدارس على إقفال أبوابها قبل أن تكتمل مراققتها. أما المحاولة اللاحقة فكانت ناجحة إلى حد كبير. ولقد كان من ورائها أحد أبرز وجوه العلم والتربية بالمدينة، وهو الفقيه مولاي عبد السلام بن مولاي الحاج الحسني الإدريسي (انظره في المعلقة، ج. 10، ص. 3430) الذي أسس عام 1930 مدرسة تعتمد برامجهما على أسس بيداغوجية حديثة وتستمد روحها بالأساس من فكر الحركة الوطنية السلفية. ولقد كان لهذه المؤسسة التي كانت تحمل اسم "المدرسة الأهلية الوطنية" شأن كبير في نشر العلم في المدينة، واستطاعت أن تصمد وتستمر في أداء مهمتها النبيلة إلى غاية 1946، وهي السنة التي أغلقت فيها أبوابها لعدة أسباب منها كثرة المضايقات ومحاربتها من قبل سلطات الحماية بشتى الوسائل.

أصبحت مدينة أسفي التي تغذت مدة طويلة من التعليم الحر العصري تشكو من فراغ في هذا الميدان. وفي هذه الظروف الصعبة قام الفقيه الهسكوري في يناير 1946 بفتح مدرسة حرة على نمط المدارس الرسمية. وكان الفقيه مؤازرا في هذه العملية الجريئة من قبل الحركة الوطنية وخاصة من قبل ملك البلاد الذي دعاه "إلى تنظيم تعليم الكتاب وتقسيمه إلى خمسة أقسام". وتغير اسم المؤسسة مع تغير طبيعتها ومهامها، فتحوّلت من "الكتاب القرآني العلمي" إلى "مدرسة الهداية الإسلامية". وقد عرفت المدرسة منذ نشأتها إقبالا كبيرا نظرا لسمعة صاحبها وتفانيه في حب العلم والوطن. ومن الأمور التي تثير الانتباه إقبال الفتيات عليها منذ أن فتحت أبوابها، فلقد بلغت نسبتهم خلال موسمها الدراسي الأول (1945، 1946) 41,30٪ من مجموع المسجلين بها، وخلال المدة المتراوحة ما بين 1946 و1954 كانت النسبة 42,41٪.

عرفت "مدرسة الهداية الإسلامية" تحت إدارة الفقيه الهسكوري توسعا مهما وأحدث عدة ملحقات لها، كما أنها احتضنت بالتدرج جميع أطوار التعليم من ابتدائي وإعدادي وثانوي وتخرجت منها مجموعات كثيرة من التلاميذ الذين كان لبعضهم شأن كبير في شتى مرافق الحياة في بلادنا.

ولا بد من التذكير بأن المدرسة عاشت منذ تأسيسها إلى غاية استقلال المغرب فترات صعبة للغاية وخاصة من 1950 إلى 1955. غير أنها، رغم الأزمات الحادة والصعاب المتعددة، استطاعت الصمود والاستمرار في أداء مهمتها

النبيلة، ويرجع الفضل، في كل هذا إلى تبصر وحكمة مؤسسها المرابي والوطني الكبير الفقيه محمد الهسكوري الذي أسهم إسهاما لا مثيل له في عملية التوعية الوطنية وانتشار اللغة العربية الفصحى والأدب العربي قديمه وحديثه لا في مدينة أسفي وحسب، بل في المغرب كله. ولهذه الأسباب كلها فإن أهل أسفي يكونون له كثيرا من الحب والتقدير. ولقد خلد مثقفوهم اسمه في العديد من الكتابات أبرزها كتاب المؤرخ الأستاذ إبراهيم كريدية الذي صدر عام 2000 تحت عنوان "الفقيه محمد الهسكوري".

توفي بأسفي يوم 25 أبريل عام 1987 ودفن بالزاوية الدرقاوية.

إبراهيم كريدية، محمد الهسكوري، مراكش، 2000؛ زيك مبارك ومحمد الخلوفي الصغير، الظهير البربري من خلال مذكرة صالح العبدوي، الرباط، 1993؛ عبد الرحيم العطاوي، من هو صالح العبدوي صاحب مذكرة حول الظهير البربري؟، مجلة المناهل، العدد 54، مارس 1997.

عبد الرحيم العطاوي

الهشتوكي الواسكاري، موسى بن بيورك بن الحسن نسبة إلى أسكار إحدى قرى سملالة. ويزعم الواسكاريون أنهم من ذرية الفقيه وگاك وأنهم متفرعون إلى ثلاثة أفراد وهي: 1- آيت الحر - 2- آيت الطالب - 3- آيت علي بن سعيد

وهناك أيضا واسكاريون غير وگاكين ويعرفون بالثقافيين الذين انتقل أسلافهم من قبيلة إدا وكثير ونزلوا فوق اسكار "اگي واسكار" وعرفت بيوتهم بالعلم وتدرسا وإفتاء. وكان لموسى الواسكاري شهرة في فن القراءات؛ فبعدما حفظ القرآن وحصل المتون بقبيلته توجه إلى فاس لينهل من منابع العلوم بجامعة القرويين والانتفاع بعلمائها واستجازتهم؛ فأجازه شيخ قرائها عبد الرحمان بن القاضي في فن القراءات وقال عنه باختصار "وقد عرض علي المجاز أبو عمران قصيدة الشاطبي عرضا جيدا فحدثته بأسانيدها كما عرض علي أيضا الدرر اللوامع عرضا جيدا فحدثته بالإسناد. وكذلك مورد الظمان، كما عرض علي رسالة القيرواني في الفقه فحدثته بسندي فيها. وكذلك التيسير والألفية فأجزته بالكل بأسانيد". وكان حصوله على هذه الإجازة في أواخر شهر ذي القعدة عام 1049. ولما عاد موسى إلى سوس اشتغل بالتدريس وتميز في فن القراءات وقيل عنه إنه أول من أدخل وقف الهبطي إلى هذا الإقليم غير أنه بعد وفاته تبنى الشيخ أحمد الصوابي (1095-1149) موقفا معارضا لهذا الوقف داعيا على من ينشره أو يعمل به.

توفي سنة 1108.

م. المختار السوسي، المعسول، 8: 126؛ رجالات العلم العربي بسوس، ص. 64؛ سعيد أعراب، القراء والقراءات بالمغرب، ص. 192؛ عبد الهادي حميتو، قراءة الإمام نافع عند المغاربة، 4: 192.

محمد ماگامان

الهلال الأسود ، إحدى منظمات المقاومة خلال

خمسنيات القرن الماضي، بل أقواها على الإطلاق لاعتبارين أساسين: كثرة العمليات الفدائية التي أنجزتها ضد عدد من غلاة الاستعمار ومماليه من المغاربة. واستمرار تمسكها بالسلاح بالرغم من عودة السلطان سيدي محمد بن يوسف يوم الأربعاء 16 نونبر 1955، والإعلان عن انتهاء العمل بمعاهدة الحماية وتكوين أول حكومة مغربية لفترة ما بعد الحماية، إذ كان لقائدها البارز عبد الله الحداوي تطلعات كبرى، فوضع قدرات المنظمة القتالية رهن إشارة جيش تحرير الجنوب، وأرسل مقاتلين لمؤازرة الجزائريين الذين كانوا يخوضون حرب التحرير ضد الفرنسيين.

عُدَّ تأسيس الهلال الأسود سنة 1954 حصيلة تحولات مهمة طرأت على بَنَى المغرب الاقتصادية والاجتماعية بعد الحرب العالمية الثانية، وكانت واضحة في مدن المغرب الكبرى مثل الدار البيضاء ويور ليوطي (القنيطرة) وفاس، وأيضاً حصيلة التحولات السياسية لما بعد الحرب الثانية وأهمها ظهور فرنسا بمظهر الدولة الاستعمارية الضعيفة، إذ استسلمت بعد أقل من سنة على اندلاع الحرب، ونجاح العديد من حركات التحرير لنيل الاستقلال، وانتهاء الحرب بانتصار "الديمقراطيات" الغربية ولم تكن هذه الصفة لتستقيم مع استمرار هذه "الديمقراطيات" في التثبيت بمستعمراتها.

وجاء ظهور الهلال الأسود ومنظمات مقاومة أخرى مثل اليد السوداء والمنظمة السرية وجيش الأطلس واليد الحسنية وغيرها نتيجة استنفاد جناح الحركة الوطنية السياسي كل أوراقه في أعقاب المأزق السياسي الذي وصله المغرب أولاً باعتقال ونفي قادة الحركة الوطنية السياسيين والنقابيين بعد حادثة الكاربير سنترال في 7 و8 و9 دجنبر 1952، وثانياً بعد نفي السلطان سيدي محمد بن يوسف، وقد أعطى نفي السلطان العمل المسلح المشروعية التي كان يفتقر إليها في نظر المترددين الذين ربطوا اللجوء إلى العمل المباشر بالاعتداء على مؤسسة العرش.

عُدَّت الهلال الأسود امتداداً لمنظمة اليد السوداء التي نجحت السلطات الفرنسية في تفكيكها في خريف 1953 باعتقال خمسة وخمسين (55) من أعضائها، بينما نجا خمسة أعضاء، وإصدار أحكام قاسية في حق المعتقلين منها الإعدام في حق أحمد بن محمد الحاج أحمد المدعو "الراشدي" المتهم بتصفية أحد مقدمي المدينة القديمة المدعو محمد بن العربي بن عبد الله يوم 3 أكتوبر 1953. وفي حق خمسة آخرين منهم ثلاثة في حالة فرار.

لقد تمكن الحسن الغلاوي بعد أن نجا من الاعتقال، من دمج خليتين كانتا قد تكونتا في درب السبليون بالمدينة الجديدة في الدار البيضاء بهدف تكوين تنظيم مسلح بديل لليد السوداء.

وهكذا عُقد في بيته اجتماع حضره المهدي الناموسي

وعبد الله الحداوي توج بالاتفاق على تأسيس تنظيم مسلح تحت اسم "الهلال الأسود" باقتراح من عبد الله الحداوي (1939-1956) الذي كان شغورفا بقراءة سلسلة "الهلال" لجرجي زيدان، وهي إحدى الدوريات التي كانت تفتد على المغرب من مصر.

بدأت عملية استقطاب الأفراد في حذر شديد خوفا من الوقوع في الأخطاء القاتلة التي قضت على منظمة اليد السوداء. وقد حرص المؤسسون والأعضاء الأوائل على أن تكون الاستقطابات من قلب درب السبليون. وكانت تجمع بين عدد من المنتسبين للهلال الأسود قرابة قوية (الأخوة والمصاهرة) أو صداقة متينة تعود إلى الجوار وأيام الدراسة في مدرسة المعلم بوشعيب الأزموري وملحقها النجاح أو المدرسة المحمدية أو مدرسة "كاميل ماتيو" التقنية أو مؤسسة عبد الكريم الخلو. أما البرنامج التي سعت المنظمة في تحقيقه فهو إلغاء عقد الحماية والاعتراف باستقلال المغرب ووضع برنامج اقتصادي واجتماعي وسياسي يحدد طريقة الاستفادة من خيرات البلاد.

وبالرغم مما كتب عن المقاومة المغربية، فإن تاريخ الهلال الأسود يعد الأكثر تعرضا للانباس بسبب الحملات المغرضة التي تعرض لها هذا التنظيم من قبل خصومه الذين سعوا في استقطابه، مثلما تم استقطاب باقي التنظيمات بهدف جعل رجال المقاومة ورقة ضغط على القصر؛ وذلك خلال فترة شد الحبل بين القصر والقادة الراديكاليين داخل حزب الاستقلال، والتي انطلقت مباشرة بعد استعادة سيادة المخزن وتشكيل الحكومة الوطنية الأولى.

وهكذا وجهت العديد من الاتهامات لمنظمة الهلال الأسود منها أنها تنظيم شيوعي؛ مع أن شعاره كان "حزبنا الإسلام، دستورنا القرآن، غايتنا الملك". ويعود هذا الحكم إلى علاقة الهلال الأسود القوية بالوطني عبد الله العياشي ومحمد الطيب البقالي صهر علي يعنة والذي أتى به عبد الله الحداوي ليتترجم منشورات الهلال الأسود إلى اللغة الفرنسية حتى تتم مخاطبة الرأي العام الفرنسي خاصة الليبيراليين، وبالمهندس الشيوعي عبد الكريم بن عبد الله. لقد كانت الهلال الأسود منظمة تقدمية وحدوية التأمث داخلها اتجاهات متعددة: مقاومون استقلاليون وشوريون وشيوعيون ولا منتمون.

واتهمت الهلال الأسود أيضا بتدبير محاولة اغتيال شخصية سامية بالرباط في صيف 1956، وكان مروجو هذه التهمة يقصدون السلطان سيدي محمد بن يوسف أو الأمير مولاي الحسن، مع أن عبد الله الحداوي كان لحظة اغتياله رفقة ثلاثة من قادة المنظمة ليلة السبت 28 يوليوز 1956 عاندا لتوه من الرباط بعد أن حظي هو ورفاقه باستقبال السلطان محمد بن يوسف، وكان عبد الله الحداوي يحاول دفع القصر إلى إيقاف حملات الاضطهاد التي كان يتعرض لها أعضاء المنظمة الذين رفضوا الانضمام إلى حزب الاستقلال.

وقد سقط في منزلق توجيه الاتهامات للهلال الأسود أجانب مهتمون بتاريخ الحركة الوطنية المغربية نذكر منهم "دوغلاس آشفورد" الذي زعم أن جميع زعماء حركة المقاومة تبرأوا من الهلال الأسود.

تكونت الهلال الأسود، التي بدأت نشاطها في الحقل المسلح بعمليات غير ذات أهمية، في مطلع عام 1954 من عدد من المجموعات: مجموعة درب السبليون، ومجموعة المدينة القديمة ومجموعة حي الأحباس، ومجموعة عين الشق ومجموعة درب مارتيني، ومجموعة الهادي الساهل ومجموعة علي بن الحسن.

ويصعب إعطاء رقم دقيق لعدد الأعضاء أولا للسرية التي طبعت عمل هذا التنظيم وثانيا لأن عبد الله الحداوي أتى بعدد مهم من الأفراد إلى المعسكرات الثلاثة التي أقامها للدفاع عن مكتسبات الاستقلال، وتكوين مقاتلين لموازرة الثورة الجزائرية، وأخيرا بسبب انضمام أعضاء منظمات أخرى مثل "اليد المتوكله على الله" و"أسد التحرير" و"لهيب جهنم"، ومن المرجح جدا أن يكون عدد الأعضاء قد تجاوز المائة والعشرين.

وكان المال والسلاح عصب الحياة بالنسبة لمنظمات المقاومة المسلحة. وبالنسبة للهلال الأسود، فقد تم الاعتماد على مساهمات العديد من الأفراد مثل الحاج بليوط بوشنتوف والمعلم بوشعيب الأزموري صاحب مدرسة الفلاح التي درس بها عبد الله الحداوي (كان مسجلا بها تحت رقم 826) وشقيقه محمد الحداوي، وملحقها النجاح، علاوة عن مساهمات أفراد آخرين، وأرغم عبد الله الحداوي تجارا يهودا بالمدينة القديمة وبدرج عمر على تقديم مساعدات مادية باعتبارهم مستفيدين من الوضع الحالي، إذ كانوا في منأى عن اضطهاد السلطات الفرنسية، ولم تتصد لهم المقاومة إلا في حالات نادرة جدا، كما تمكنت الهلال الأسود من إرغام بعض الموسرين على تقديم مساعدات، وقد توصلت إليهم الهلال بفضل البيانات التي توصلت بها من أشخاص كانوا يعملون بمصلحة الضرائب وكانت لهم علاقات مع الهلال الأسود.

وبفضل هذه الأموال تمكنت المنظمة من شراء سيارات والحصول على أسلحة خاصة من المنطقة الخليفية التي انتقل إليها عبد الله الحداوي وأحمد رزقي أكثر من مرة بجوازات ورخص مزورة.

وكان يتم وضع هذه الأسلحة في أماكن متعددة مثلا في عرصة ابن امسيك نسبة إلى أحد أعيان الدار البيضاء، وكان يقيم بالعرصة عبد الرحمان أبو مسلم وهو أحد أعضاء الهلال.

وكان جزء من أموال الهلال يخصص لأسر المعتقلين والشهداء، إذ أحدث عبد الله الحداوي صيغة للتضامن وحرص على أن يكون هذا التضامن منظما مثلا في نهاية كل شهر.

معروف ليلة الأربعاء 28 وصباح الخميس 29 شتنبر 1955 التي استشهد خلالها محمد الحداوي ورفيقه حجاج المزابي بعد رفضهما الاستسلام بالرغم من إدراكهما لعدم تكافؤ المعركة، وقد أصيبت خلالها زوجة حجاج المزابي فاطمة بنت بوشعيب بعدة رصاصات وهي حامل، ومع ذلك تعرضت لتعذيب قاس شأن الجيلاي الحداوي والد الشهيد محمد الحداوي وعبد الله الحداوي.

ومعركة زنقة القوس نسبة إلى زنقة متفرعة عن طريق مديونة (شارع محمد السادس) وقد استشهد خلالها محماد بن علي وأصيب محمد بن إدريس المعروف بـ "الصاحب" بينما استطاع أحمد نحيلة الإفلات وقد جرت أربعاً وعشرين ساعة قبل عودة السلطان محمد بن يوسف من المنفى (صباح الاثنين 14 نونبر 1955).

وبالرغم من كل النكسات التي تعرضت لها منظمة الهلال الأسود فإنها ظلت متمسكة بالسلاح، بل أتى عبد الله الحداوي بالمقاوم ندير بوزار - ذي الأصل الجزائري - لتدريب أعضاء الهلال على استعمال الأسلحة الحديثة التي استولت عليها المنظمة من القاعدة العسكرية في بور ليوطي، لكن اغتيال عبد الله الحداوي وخاله العربي السامي ومحمد الطيب البقالي ومصطفى بن موسى في كمين نصبه أفراد محسوبون على جهاز الأمن ليلة السبت 28 يوليوز 1956 قضى نهائياً على تطلعات هذه المنظمة.

وهذه قائمة بأسماء شهداء منظمة الهلال الأسود :

أولاً : المقاومون الذين استشهدوا في المواجهة مع الفرنسيين :

- محمد الحداوي : استشهدوا في معركة سيدي معروف ليلة 28 وصباح 29 شتنبر 1955. وحجاج المزابي : استشهد في نفس المواجهة. ومحمد بن المختار غرناوي : استشهد في يوليوز 1955 حين حاول تصفية جنديين فرنسيين لكن سلاحه تعطل. ومحماد بن علي : استشهد في معركة زنقة القوس صباح الإثنين 14 نونبر 1955.

ثانياً : المقاومون الذين استشهدوا برصاص أفراد التنظيمات الإرهابية الأوربية :

- الميلودي السامي : اغتاله أفراد من منظمة لابرزانس فرانسيز في منتصف أكتوبر 1955. انتقاماً من ابن أخته محمد الحداوي الذي أسقط العديد من الأوربيين.

ثالثاً : المقاومون الذي استشهدوا بتحريض من المنظمة السرية أو بواسطة سلاح أعضاء منها :

- امبارك القصري (المضاربي) : جرى إحراقه حياً بعد أن أشاع خصوم الهلال أنه عضو في إحدى منظمات الإرهاب الأوربية ولسوء حظه كان يحمل مسدساً. وشداد مولاي الحسن : اغتيل في مراكش سنة 1956. وأحمد الشرايبي : اغتيل بالدار البيضاء ليلة 7 فبراير 1956 وألقي بجثته في اليوم الموالي. وكان هدف القتل دفع الهلال إلى الانتقام مما قد يتسبب في إفساد زيارة السلطان محمد بن يوسف للدار

واستعملت الهلال الأسود المنشور للافتتاح على الرأي العام الوطني والفرنسي. وكان المنشور يخدم عدة أغراض : التعريف بميلاد المنظمة (المنشور الأول كان بعنوان من اليد السوداء إلى الهلال الأسود) والتعريف بنشاطها والتنديد بأفعال منظمات الإرهاب الأوربية والمطالبة باستقلال المغرب وعودة السلطان محمد بن يوسف، والتنديد بحملات الاضطهاد التي أخذت تتعرض لها بعد الإعلان عن استعادة سيادة المخزن، ورفض الاحتواء الحزبي، والتنديد أيضاً ببعض مظاهر الفساد الإداري كالرشوة التي أخذت في الاستشراء في الشهور الأولى من عام 1956.

وبعد أن اشتد عضد المنظمة انتقلت من مرحلة العمليات البسيطة إلى مرحلة العمليات المهمة، وكان ضحاياها من المهندسين والأطباء الذين ثبت للمنظمة انتماءهم لمنظمات العنف الإرهابي الأوربية، التي شجعت السلطات ميلادها وتطورها كإجراء لاستئصال العمل المسلح بعد فشل باقي الإجراءات الترغيبية والترهيبية والتنظيمية كتقسيم الدار البيضاء إلى عدد من المقاطعات (14 مقاطعة). وهكذا فعلاوة عن مهاجمة باعة التبغ والمقدمين ورجال الأمن وبيعة الخمر (كانوا في جلهم من أصل جزائري) والمتعاونين وأصحاب الحانات، وجهت الهلال الأسود ضربات موجعة لنظام الحماية فاقتصت من بعض الأطباء لعلاقتهم بـ "لابريزانس فرانسيز" وجناحها المسلح "اليد الحمراء"، مثل الطبيب الإيطالي "إيمانويل غارغانو" (Emmanuel Gargano) الذي قضى عبد الله الحداوي على حياته صباح الجمعة 7 يناير 1955، ومحاولة تصفية الطبيب "بيير دالباس" (Pierre Daleas) يوم الأربعاء 2 فبراير 1955، وقد تصدى له أيضاً عبد الله الحداوي الذي اعترف بإتيان هاتين العمليتين وعمليات أخرى خلال الاستنطاق الذي تم إثر اعتقاله يوم 26 يناير 1956.

ومن خلال مائة عملية من عمليات الهلال يمكن الخروج بالملاحظات التالية :

- عدد المغاربة الذين استهدفوا من قبل الهلال 29، منهم عدد قليل جداً من اليهود : خمسة كانوا ضمن زبائن إحدى الحانات.

- عدد الأوربيين الذين استهدفوا من قبل الهلال 25. وجهت الهلال ضربات لأهداف عسكرية (9 عمليات). وضعت قنابل بأماكن يرتادها الأوربيون على الخصوص.

- نفذت عمليات ضد مقاهي (مقهى لو تيرمينوس "Le Terminus" مثلاً). وضد حانة شي ماري "Chez Marie" مثلاً وضد ثكنات وأماكن للترفيه أو الاستحمام (مسيح في فندق).

- نفذت عمليات ضد حي البغاء المعروف بـ "بوسبير". نفذت عمليات ضد الحرس المتنقل (Garde Mobile). ومن عمليات الهلال الفدائية المهمة مواجهة سيدي

البيضاء وهي الأولى بعد انتهاء العمل بمعاهدة الحماية. وعبد
الكريم بن عبد الله : اغتيل بالدار البيضاء يوم 31 مارس
1956. ولحسن الكلاوي : اغتيل بالدار البيضاء يوم 16
يونيو 1956. واعمامو الزباني : اغتيل بالدار البيضاء يوم
30 يونيو 1956. وعبد الله الحدادي : اغتيل بالدار البيضاء
يوم 28 يوليوز 1956. والعربي السامي : اغتيل بالدار
البيضاء يوم 28 يوليوز 1956. ومحمد الطيب البقالي :
اغتيل بالدار البيضاء يوم 28 يوليوز 1956. ومصطفى بن
موسى : اغتيل بالدار البيضاء يوم 28 يوليوز 1956.
رابعا : المقاومون الذين جرى اختطافهم وما تزال أخبارهم
منقطعة عن ذويهم إلى الآن :

عبد السلام رشدي : اختطف أواخر يوليوز 1956. علي
بن حسن (علي عريف) : اختطف في غشت 1956. محمد
الرشيد (خبازر) : اختطف في غشت 1956. محمدا بن
سليمان (كرانفال) : اختطف في غشت 1956. محمد جودا
(شليحة) : اختطف في غشت 1956. ميلود الزباني :
اختطف في غشت 1956. عبد الرزاق الهراوي (فوزي) :
اختطف في غشت 1956. مصطفى هلمي : اختطف في غشت
1956. خليفة بن العربي : اختطف في غشت 1956. حسن
الكندافي : اختطف في غشت 1956. مطيع إدريس (مول
الخليب) : اختطف في غشت 1956.

محمد وحيد، مساهمة في دراسة الحركة الوطنية المغربية، مقاومة
الدار البيضاء، 1952-1956، أطروحة تمت مناقشتها في أكتوبر،
2001 : دوغلاس أشغورد، التطورات السياسية في المملكة المغربية،
تر. عائدة سليمان عارف ومصطفى أبو حامكة، مراجعة عبد الهادي
بوطلب، الدار البيضاء، 1963.

Stéphane Bernard, *Le conflit franco-marocain 1943-1956*, Bruxelles, Institut de Sociologie de
l'Université Libre de Bruxelles, 1963, 3 vol. ;
Charle-André Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*,
1415-1956, Paris, Jeune Afrique, 1978 ; Mbarek Zaki,
Résistance et armée de libération, Tanger, Presses des
établissements d'emballages, d'édition et de distribution
du nord, 1987.

محمد وحيد

ابن هلال السجلماسي، إبراهيم، بن علي المشنزي
الصنهاجي، ونسبه البعض إلى الزلاميط. أما كنيته فقد
اختلف فيها، فالبعض كناه بأبي سالم، والبعض الآخر بأبي
إسحاق.

ولد ابن هلال سنة 817 / 1414 ، أما مكان ولادته فغير
معروف. ولا تتحدث المصادر المتوفرة عن دراسته، الراجح أنه
حفظ القرآن والمتون في صغره، ثم تلقى العلوم الأولية على
يد علماء سجلماسة، لأن عاداتهم في الماضي ألا يرحل
الطالب إلى بلد آخر حتى يستوفي ما عند شيوخ بلده.
والثابت أنه درس بالقرويين وتلمسان.

عاش ابن هلال في ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية
صعبة (نهاية المرينيين وقسم من العصر الوطاسي)، كان لها
انعكاس على إنتاجه الفكري، الشيء الذي يتضح جليا في

ديباجة نوازل. ورغم هذه الأوضاع، فإنه خلف آثارا علمية
مهمة بعضها في الفقه - وهو أهم ميدان ألف فيه - وبعضها
في الحديث والتراجم والمراسلات.

ففي الفقه له أجوبة على نوازل كثيرة عرضت عليه في
مواضيع شتى من العبادات والمعاملات، جمعها ورتبها علي
بن أحمد الجزولي الجياني. ويبدو من خلال هذه النوازل
بلوغه مرتبة متقدمة من الاجتهاد وهو ما جعل ابن عسكر
يصفه بـ "شيخ الفتيا".

وفي الفقهيات دائما، قام ابن هلال بترتيب وتيسير
نوازل أبي الحسن الصغير وسماه "الدر الثمير على أجوبة أبي
الحسن الصغير". وضمنها بعض الإضافات والتعليقات، مما
يدل على تمكنه الفقهي. كما ألف شرحا لمختصر خليل في
الفقه المالكي وعلق عليه، ومؤلفا حول مناسك الحج، قام
كذلك بشرح مختصر ابن الحاجب الفرعي. ووضع تقييدا على
إخبارة الفقيه المغيلي الذي سماه "مصباح الأرواح في أصول
الفلاح". وله كذلك تأليف في البدع، واحد عبارة عن جواب
في مسألتي الشطح والرقص، والثاني سماه "الجواب العجيب
في الرد على بعض الفقهاء المبتدعة". أما في الحديث فله
كتاب شرح فيه صحيح البخاري، اختصر فيه فتح الباري
لابن حجر ووضعه في أربعة أسفار.

ولابن هلال في الفهارس والتراجم "مختصر الديباج
المذهب" لابن فرحون، وهو تأليف في طبقات المالكية. أما
فهرسته فقد أسسها على إجازة شيخه ابن مرزوق. وبالإضافة
إلى هذه المعارف قرض ابن هلال الشعر أيضا.

إن ثقافة ابن هلال الغزيرة والتنوع أهله لتحمّل
مسؤولية القضاء والإفتاء في مدينة سجلماسة. وقد مكنته
ثقافته ومنصبه القضائي من اتخاذ مواقف حفظها له
التاريخ، أهمها موقفه الرافض لطرد مولاي علي الشريف من
طرف أهل سجلماسة، وانصاع هؤلاء لرأيه. وموقفه المناهض
لليهود الذين استولوا على جانب مهم من اقتصاد البلاد
خلال الزمن الذي عاشه. إضافة إلى موقفه من الفقهاء
المبتدعة، الذين كانوا يضللون - من وجهة نظره - الناس
بخدعهم ورقصهم وشطحهم، مكذبا حججهم الواهية الباطلة،
مستدلا على بطلانها بالقرآن والأحاديث النبوية، وآراء
العلماء.

لم يقتصر دور إبراهيم بن هلال على التأليف والقضاء
والإفتاء، وإنما تصدى أيضا لتدريس القرآن والعلوم
الدينية بالقصر الذي استقر فيه بسجلماسة، وفي الجهات
القريبة منها.

توفي سنة 903 / 1497 عن عمر يناهز ستا وثمانين سنة.
ودفن بداخل قصر أولاد سيدي إبراهيم قرب المسجد في
حجرة تابعة له، ولا زال قبره موجودا إلى الآن.

إبراهيم بن هلال السجلماسي، فهرسة، مخطوط بالخزانة الحسنية،
الرباط، ص. 36. 85 : أبو سالم إبراهيم بن هلال السجلماسي،
أجوبة ابن هلال ، طبعة حجرية ؛ ابن عسكر، دوحة الناشر، تع.
محمد حجي، الرباط، 1397 / 1977 ؛ التنيكتي، نيل الابتهاج
بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية

الهاللي، إبراهيم بن المبارك بن علي الهاللي، ولد في مدينة مكناس عام 1320 / 1902 من بيت عريق في العلم. كانت دار سكناه تقع بحي "قاع وردة" في المدينة القديمة بمكناس قرب حديقة الحبول، قبل أن ينتقل للسكنى في حمرية بجوار مسجد إيران.

تربى في أحضان والده، وتولى إرشاده شقيقه السيد أحمد الهاللي، وأخوه المفتي السيد محمد فتاح الهاللي. دخل الكتاب القرآني، وأجاد القرآن حفظاً وإتقاناً حتى إنه اقتص في القراءات العشر بشقيها الصغير والكبير، وأجيز إجازات متعددة من علماء هذا الفن النادر، حتى إنه أصبح من أشهر المقرئين المجودين للقرآن.

مكنه العلم الذي تلقاه من ممارسة التدريس، حيث درس على يده أساتذة وطلبة القراءات السبع بالجمع والإفراد. وفي سنة 1980 انتدبته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب لعضوية لجنة تصحيح المصحف الشريف في ليبيا، وفي السنة الموالية انتدبته الوزارة نفسها لعضوية لجنة التحكيم في المؤتمر السنوي لحفظ القرآن وتجويده وتفسيره في دورته الثالثة بالملكة العربية السعودية. وفي السنة نفسها ساهم في تأسيس رابطة تجويد القرآن بمكناس، وأصبح بعد ذلك عضواً شرفياً فيها.

خاض إبراهيم الهاللي غمار الكفاح الوطني منذ سن مبكرة لأنه عاصر فرض الحماية على المغرب، وعانين الاضطهاد والقهر للذين عانى منهما المغاربة على يد المستعمرين الفرنسي والإسباني. وهكذا ساهم في مناهضة ما عرف بالظهير البربري 16 ماي 1930، وقاد المظاهرات الاحتجاجية في قضية ماء أبي فكران سنة 1937 باعتباره أحد أعمدة لجنة الدفاع عن هذا الماء، وأحد صانعي الحادثة ومؤطريها والمتبعين لها، وكان عضواً في اللجنة المنتخبة من طرف سكان مكناس وأعيانها ورجال الفكر فيها، وتحمل مسؤولية جمع التوقيعات من المواطنين في عريضة الاحتجاج التي ضمت فوق عشرة آلاف توقيع. ومنزله في المدينة القديمة احتضن تحرير العريضة الاحتجاجية في الموضوع من طرف ثلة من المكناسيين، رفعت للملك البلاد آنذاك يستصرخونه، ويرجون مساندته لهم. ولعل كل هذا أهله لتأليف كتاب "التبيان لمعركة أبي فكران"، وقد أثنى عليه الحاج أحمد معينو والأستاذ عبد العالي المنوني.

ولما انقسمت الحركة الوطنية في المغرب انحاز إلى "الحركة القومية" بقيادة محمد حسن الوزاني، وكان أحد مؤسسيها سنة 1937، وأصبح بعد ذلك عضواً عاملاً في المكتب السياسي لحزب الشورى والاستقلال عندما تأسس

سنة 1946. واحتج كثيراً على إلقاء القبض على قائدتي الحركة الوطنية آنذاك محمد حسن الوزاني وعلال الفاسي.

كان لإبراهيم الهاللي نشاط توعوي كبير في منطقة الأطلس، وأسفر نشاطه الوطني هذا، ومضايقته لمخططات الفرنسيين في المنطقة عن إلقاء القبض عليه سنة 1944، ومحاكمته من طرف المحكمة العسكرية في مكناس إلى جانب رفقائه الريفيين، وقد نجا من هذه المحاكمة بينما حكم على رفاقه بالإعدام. وبقي يتابع عمله سرا وجهراً، ويكافح في صفوف الحركة الوطنية، وينشر الوعي وأفكار النهضة في سكان الأطلس، حيث استطاع أن يكون عدة خلايا وأطر للحركة القومية أولاً ثم لحزب الشورى والاستقلال بعد ذلك في خنيفرة، والقباب، وأكروشن، وكلميمة، وقصر السوق (الرشيدية)، وإيتزر، وذلك رغم السيطرة العسكرية الفرنسية المفروضة على الأطلس إذ ذاك. وأضحى يشرف على الهيئات والمنظمات التابعة للحزب بكافة نواحي الأطلس المذكورة إلى نواحي ورزازات.

وفي سياق معارضته لسياسة المستعمر الفرنسي، أشرف على تأسيس المدارس الحرة التابعة لحزب الشورى والاستقلال في مكناس لمحاربة فرنسا، والحفاظ على اللغة العربية والتعاليم الإسلامية؛ وهكذا أسس مدرسة ابن خلدون سنة 1948، والمعهد المحمدي سنة 1950، ومدرسة الرشاد المكناسي. أما خارج مكناس فأسس مدرسة إيتزر.

بقي إبراهيم الهاللي مواصلاً لنضاله الوطني باستماتة، معاشاً للأحداث الوطنية، مسهماً بكل قواه في نشر مبادئ الشورى والاستقلال إلى أن نفى الفرنسيون ملك المغرب محمد بن يوسف سنة 1953، حينئذ ساهم في تنظيم المظاهرات، ورفع الاحتجاجات، إلى أن ألقى عليه القبض، ولقي من الشرطة أنواعاً من التعذيب، ثم حكم عليه بعامين حبساً نافذاً قضاها في سجن عين مومن والعاذر رغم كبر سنه. ولما خرج من السجن واصل كفاحه التحريري، فشغل عضوية لجنة الإسعافات لحوادث يوليو 1955، المعروفة بحادثة "الكرانفال". ونظم خلايا المقاومة والتحرير إلى أن حصل المغرب على استقلاله. وبعودة ملك المغرب محمد بن يوسف إلى عرشه، وتأسيس المجلس الوطني الاستشاري في 25 ذي الحجة 1375 / 3 غشت 1956، وتعيين أعضائه 76 في 15 ربيع الأول 1376 / 20 أكتوبر 1956 منهم ستة أعضاء من حزب الشورى والاستقلال، كان إبراهيم الهاللي من بينهم، حيث قضى في عضويته عامين ونيف، فكانت مواقفه في هذا المجلس مشرفة تشهد عليها مداخلاته فيه.

وبعد مرور 45 سنة على أحداث بوفكران، أقام المجلس البلدي لمكناس نصبا تذكاري في ساحة الهديم تخليداً لذكرى المعركة، إلا أن هذا النصب تضمن خطأ كبيراً ولحنا جلياً في الآيتين 169 و170 من سورة آل عمران، مما أحدث ضجة في الأوساط العلمية لمدينة مكناس، فتصدى إبراهيم الهاللي لهذا الخطأ عبر رسالتين وجههما إلى السلطة المحلية ليثير

انتباهها إليه، أرسل الأولى في 9 ذي الحجة 1402 / 8 أكتوبر 1982 إلى عامل مدينة مكناس، وأرسل الثانية بتاريخ 23 ذي الحجة 1404 / 19 سبتمبر 1984 إلى السيد رئيس المجلس البلدي للمدينة ذاتها.

توفي إبراهيم الهلالي في مدينة مكناس بعد مرض طويل عن سنة 99، وذلك بتاريخ 25 رجب 1422 / 13 أكتوبر 2001، وأقبر في زاوية سيدي الشريف الوافي، بجوار فندق عبر المحيط.

إبراهيم الهلالي، التبيان لمعركة أبي فكران مع وجوب اتباع رسم الإمام، الدار البيضاء، 1406 / 1985 : أحمد معنينو، المجلس الاستشاري ومعارضة حزب الشورى والاستقلال 1956. 1959، الدار البيضاء، 1407 / 1986 : محمد التطواني والعربي عيسى، تطور الممارسة الديمقراطية بالمغرب، ج 1، المجلس الوطني الاستشاري 1956. 1959، الرباط، 2000 : بوشتي بوعسرية، أحداث بوفكران بمكناس فاتح وثاني سبتمبر 1937، وزارة الثقافة، 1990.

محمد ياسر الهلالي

الهلالي، أحمد بن عبد العزيز بن علي بن محمد السجلماسي الشهير بالهلالي كنيته أبو العباس. ولد بسجلماسة سنة 1113 / 1701 ودرس على علمائها، وانتقل إلى مدينة فاس لاستكمال التكوين وأخذ العلم على علماء القرويين وفقهائها. وكانت له رحلة إلى الحجاز مرتين بقصد الحج. فلقى مشايخ مصر والحرمين الشريفين.

من شيوخه بالمغرب : أبو العباس أحمد الحبيب الصديقي اللمطي، أخذ عليه بسجلماسة وهو عمدته وإليه ينتسب توفي سنة 1165 / 1751. أحمد بن أبي القاسم الغنجاوي السجلماسي، نزيل الرباط. محمد بن عبد السلام بناني الفاسي المتوفى سنة 1163 / 1149، وقد أجازته، وهو شارح الاكتفا للكلاعي. أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي المتوفى سنة 1164 / 1150 أجازته. محمد بن الطيب بن محمد الشرفي الفاسي المتوفى سنة 1170 / 1756 بالمدينة المنورة.

أحمد بن مبارك السجلماسي مؤلف الذهب الإبريز، المتوفى سنة 1155 / 1742 أخذ عنه بفاس. أبو عبد الله محمد بن الحسين الكندوز المصمودي الفاسي المتوفى سنة 1148 / 1725. محمد الكبير بن محمد السرغيني العنبري المتوفى سنة 1164 / 1150 كان يحضر مجالسه بفاس. أبو العباس أحمد بن يوسف. أبو حفص عمر بن الكوش المكناسي.

من شيوخه المشاركة : مصطفى بن كمال الدين اليكري الشامي دفين مصر سنة 1162 / 1748. محمد بن سالم الحنفي. محمد بن حسن العجيمي المكي وغيرهم.

كان السجلماسي مهتما غاية الاهتمام بالرواية والأسانيد وله فهرسة سجل فيها أسانيد ومروياته نشرت بعناية الفقيه رشيد المصلوت سنة 1981.

وتتصل رواية السجلماسي بأسانيد علماء مراکش المتأخرين ومن هنا تأتي أهميتها. فالفقيه محمد بن محمد أزنيط المراكشي المتوفى سنة 1317 / 1899 أحد علماء المدينة

وإمام جامع الجزولي وخطيبه يتصل بالسجلماسي الهلالي عن طريق : الحسن بن الشداد العلوي. عن محمد بن المكي وغيرهما.

ومن ثم كان لمحمد أزنيط دور في استمرار هذا السند، إذ أن العلماء كانوا يرحلون إلى مراکش للأخذ عنه.

وقد أدرك مكانة علمية كبيرة عبر عنها مترجموه فهذا القادري يقول عنه (كان إماما في تحصيل العلوم وتحقيقها من نحو وبيان ومنطق ولغة وفقه وحديث وتفسير وهندسة وأدب وتاريخ ونسب) وقال (كان له اعتناء بالعلم وتحصيله، كثير العبادة، مقتصر على ما يعني، فلا تراه إلا مطالعا، ومدرسا أو ذاكرا...).

كما أسهبت المصادر في ذكر مناقبه وأخلاقه، فقد ذكر القادري بعضها بقوله (لا نظير له في علماء زمنه زهدا وورعا ودينا ومروة ومحبة في أهل البيت والصالحين والعلماء وطلبة العلم والضعفاء والمساكين، حريصا على نواب الخير وإهمال الفتن، وبعدا عن الرياسة والجاه والفضول).

وإضافة إلى حبه لآل البيت، كان يتعاهد زيارة الصالحين بفاس أحياء وأمواتا، ويفرق على المساكين ما يعطيه له السلطان محمد بن عبد الله من هبات وأموال.

وعندما بوع السلطان محمد بن عبد الله سأل عن أعلم الناس وأعلمهم، فقبل له الأحمدون يعني : أحمد بن عبد العزيز السجلماسي الهلالي. وأحمد بن عبد الله العربي الرباطي. وأحمد بن محمد الورداني.

وقد كان دائم الاتصال بالسلطان يزوره وينصحه، وكان هذا الأخير يصدق عليه من عطايه وصلاته، كما كان يزور بعض علماء فاس منهم : محمد بن الطيب القادري الذي زاره في بيته بفاس ومعه الشرفاء السجلماسيون قصد التبرك، وقال عنه : (وكان رضي الله عنه يرأسني كثيرا وذلك منه تأكيد للمحبة).

تصدر للتدريس بفاس وتخرج عليه عدد من العلماء منهم :

- أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن عبد المنعم السوسي الكرسيفي (ت. 1214 / 1799). لازمه بزأوته مدة طويلة، وروى عنه نصحه لطلبته بالإعراض عن خطة القضاء. وأبو محمد عبد القادر بن أحمد بن العربي بن شقرون الفاسي (ت. 1219 / 1717) دفن بالقبة الإدريسية. وأبو محمد عبد الله بن محمد الخياط القادري (ت. 1197 أو 1198 / 1782 أو 1783) دفن مع أبيه بزأوية القادريين بفاس. وأبو عبد الله محمد التاودي بنسودة، مفتي مدينة فاس (1209 / 1794). وأبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد السلام بن العربي الفاسي (ت. 1214 / 1799) وغيرهم كثير.

أما محمد بن الطيب القادري (ت. 1187 / 1773) صاحب نشر المثاني، فإنه أخذ عليه شمائل الترمذي بفاس، وبعض الأحاديث بثلاثة أسانيد : أحدها عن الشيخ النمرسي

الأزهري، والثاني والثالث عن الشيخ محمد الحفناوي المصري.

خلف السجلماسي مؤلفات مهمة في اللغة والفقه والوصايا والأدب...

توفي يوم 21 ربيع الأول سنة 1175 / 20 أكتوبر 1761، ودفن بمدغرة سجدلماسة.

رشيد المصلوت، إتحاف المعاصر والتالي، تر. الهلالي، 1982؛ المراكشي، الإعلام، 1974. 1983؛ محمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، الدار البيضاء، ط. 1، 1977؛ محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، بيروت، 1349؛ أحمد بن عبد العزيز السجلماسي الهلالي، فهرست، تح. رشيد المصلوت، 1981؛ محمد عبد الحفي الكتاني، فهرس الفهارس، بيروت، 1982؛ محمد بن عبد العباس السوسي الجزولي، المواهب القدسية في أسانيد بعض المشايخ الصوفية، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 97 ج، وطبعة أولى، مصر، 1952؛ موسوعة أعلام المغرب / نشر المثاني، تنسيق وتحقيق محمد حجي، 1996.

حسن جلاب

الهلالي، عبد الرحمان بن الطاهر، ازداد بالسماعلة

(دائرة وادي زم - إقليم خريبكة) سنة 1930، وتلقى تعليمه الأولي بمدينة الفقيه بن صالح ثم انتقل إلى المعهد الكناسي ثم إلى فاس ليكمل تعليمه بجامعة القرويين التي تخرج منها سنة 1949 وهي السنة التي انتقل فيها إلى الرباط حيث استقر نهائيا.

شارك في العمل الوطني منذ سنين شبابه الأولى حيث كان له اتصال بالمشمولين برحمة الله علال الفاسي والمهدي بنبركة والفقيه غازي ومولاي هاشم العلوي ومولاي العربي العلوي وبوشتي الجامعي ومحمد گنون وقاسم الزهيري...

كان عضوا بلجنة القيادة بالمنظمة المحمدية التي تم تأسيسها بقبيلة السماعلة وتضم السادة : الأفغاني الجليلي والهلالي مبارك ومحمد المنتصروشهيد عبد العزيز ومحمد بن المعطي الهلالي.

قامت هذه المنظمة بدور هام في مرحلة المقاومة ضد المستعمر الغاشم والمحددة أساسا في الفترة ما بين 53 و1955. فقد أعلنت عن استيائها من المخطط الاستعماري بنفي السلطان محمد الخامس إلى خارج الوطن فعبأت عريضة وقعتها عدد كبير من سكان السماعلة ووادي زم وبعثت بها مع وفد يتكون من ممثلين عن أعضاء المنظمة بأبي الجعد ووادي زم والسماعلة إلى المغفور له محمد الخامس بتاريخ 14 غشت 1953 عندما كان بمدينة الدار البيضاء. وأعلنت المنظمة إضرابا عن الاحتفال بعيد الأضحى وأصدرت بيانا تدعو فيه إلى لباس الزي الأسود تضامنا مع السلطان.

في هذه الأثناء كان عبد الرحمان الهلالي يعمية بعض الطلبة ممن تلقوا تعليما لا بأس به ينشرون أفكار المقاومة بين سكان المداشر والدواوير بتنسيق مع طلبة آخرين بكل من بني خيران وبني سمير وأولاد عبدون والشكران وأولاد عزوز وبني حسان والبراشوة والنواصر وآيت عمار...

وكان المقر الرسمي للمنظمة المحمدية يوجد بدوار السيلاعة بقبيلة السماعلة، كما كانت هنالك منظمات فدائية أخرى بالمنطقة تحمل أسماء منظمة اليد السوداء - المنظمة السرية - منظمة أسود التحرير - منظمة صوت الاتحاد - اليد المتوكله على الله - جيش الأطلس - القميص الأسود - الهلال الأسود - الموحدون.

وعلى غرار إخوانه المناضلين في صفوف المنظمة المحمدية فقد تعرض عبد الرحمان الهلالي للاعتقال أكثر من مرة حيث ألقى عليه القبض من طرف السلطات الاستعمارية بوادي زم بتهمة إلقاء قبلة داخل خيمة أحد المتعاونين مع الاستعمار سنة 1953، وذاق جميع أنواع التعذيب على يد البوليس الفرنسي.

وألقى عليه القبض في المرة الثانية بوشاية من طرف أحد المتعاونين مع الاستعمار ومقدم عبد الحفي الكتاني آنذاك بقبائل السماعلة بتاريخ 21 سبتمبر 1954، بسبب تحريض أهل البادية على عدم دفع الزكاة لعبد الحفي الكتاني وأتباعه.

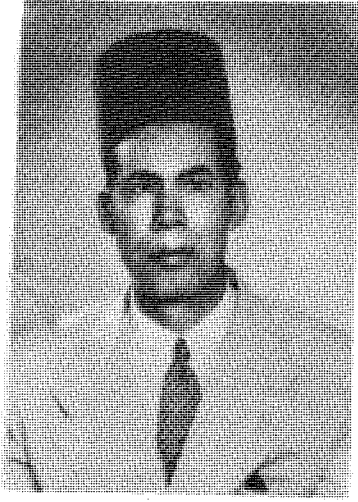
وتعرض لمحنة أخرى في سبيل إنقاذ المقاوم الشهير عبد العزيز العفاني الذي كان محاصرا بغابة بني زمور بالقرب من مولاي بوعزة من طرف كوكبة من الجيش الفرنسي بتهمة قتل الحاكم كارايور يوم 20 غشت 1955، حيث تم فعلا إنقاذ المقاوم الكبير بمساعدة من الجرجيني بنعيسى (المدير العام للتعاضدية العامة للأمن الوطني في مرحلة الاستقلال) والمقاوم المكي الشريف، وبقي عبد العزيز العفاني مختبئا لمدة 15 يوما بمنزل عبد الرحمان الهلالي.

وعلى إثر أحداث 20 غشت 1955 بوادي زم كلفت المنظمة كلا من مبارك الهلالي وعبد الرحمان الهلالي بكتابة تقرير مفصل عن الأحداث التي عرفتها المدينة والتي قتل فيها أزيد من 600 أوربي وعدد كبير من الشهداء وتم تسليم هذا التقرير لعبد الرحيم كديرة بالرباط الذي تكلف من قبل حزب الاستقلال بإرسال نسخة منه إلى الوفد المفاوض بإيكس لبيان بفرنسا.

لم يكن عبد الرحمان الهلالي يؤمن بالعنف أو يدعو إليه، بل كانت أحسن الطرق لديه هي طريقة الحوار والتفاوض والمجادلة العقلانية كما كانت لديه قناعة بأن رجال المقاومة يجب أن يكون من بينهم من يتقن العمل السياسي والتفاوضي وكذلك من يتقن حمل السلاح واستخدامه ضد العدو للدفاع عن النفس وطرده المستعمر الغاشم.

وفي هذا يقول مولاي هاشم العلوي في وثيقة أدلى بها إلى المندوبية السامية للمقاومة وتحمل طابع القصر الملكي : (فجئت بهم إلى منزلي - يقصد عبد الرحمان ومبارك الهلالي - وسألتهم هل لكم مسدسات أو سلاح أقوى فسكتنا...) لأنهما فعلا كانا لا يتوفران على سلاح (وربطت لهما صلة بالسيد الصنهاجي والسيد سرحان والسيد الزيراوي بشارع

بمصر. ومن مواهبه أنه إلى جانب لغة الضاد واللغة الأمازيغية، أقدم على تعلم العبرية والانجليزية والألمانية والفرنسية والإسبانية. ولا يوازي هذا الانفتاح على اللغات إلا شغفه الكبير بالترحال لاكتشاف العالم. فسافر دون ملل شرقا وغربا رغبة في توسيع أفق معارفه، وزار مصر والعراق والسعودية والهند، وجال في عواصم أوروبية عديدة، واستقر



به المقام لروح من الزمن في ألمانيا (ابتداء من سنة 1936 (أو 1937 ؟). وفي هذا البلد الأوربي اشتغل الهلالي معيدا في إحدى الجامعات حيث كان يدرس اللغة العربية وأدائها، وإلى جانب ذلك كان ينشط برنامجا في إذاعة برلين ويحضر أطروحة لنيل الدكتوراة في الفلسفة الإسلامية، وهو ما تحقق له سنة 1941. ولعل صوته في البرنامج الإذاعي الذي كان يبثه القسم العربي لراديو برلين هو الذي جعله محط اهتمام وترقب الاستخبارات الفرنسية. فمنذ أواخر الثلاثينيات من القرن العشرين، ترددت على صفحات النشرات السرية التي كانت تصدرها "مديرية الشؤون السياسية" بالرباط أخبار غير متيقنة مفادها أن تقي الدين الهلالي "صحفي جزائري" و"عميل للنازية الألمانية" ومناوئ للمصالح الفرنسية والإنجليزية في العالم الإسلامي. وقد كان تقي الدين فعلا من أولئك الذين اقتفوا أثر كل من مفتي القدس محمد الأمين الحسيني والأمير شكيب أرسلان في موالة الألمان لعل ذلك يساعد في إزاحة الهيمنة الاستعمارية على البلاد الإسلامية. أما صفة الصحفي "الجزائري" الواردة في تلك النشرات، فهي من قبيل الأخطاء التي يرتكبها المخبرون الذين يزودون المصالح الفرنسية بالمعلومات.

في سنة 1942، عاد تقي الدين الهلالي إلى المغرب حاملا لقب "الدكتور" الذي أحاطه بهالة من الهيبة في أوساط الطلبة والمتعلمين المغاربة فاستقر بتطوان لتدريس اللغة العربية وأدائها في "المعهد الحر". وكان اختياره الإقامة في المنطقة الخلفية طبيعيا، وذلك تفاديا لبطش الفرنسيين في منطقة نفوذهم بالمغرب، ولكون السلطات الإسبانية بالشمال، بالرغم من الحياء المعلن رسميا، تغض آتئذ الطرف عن الدعاية الألمانية الموجهة ضد الحلفاء. ولم يقتصر نشاط

آيت أوفلا، ودأبا على أعمالهما إلى أن قامت الثورة... وكان قتال عظيم لم يخطر ببال المستعمرين... فهذه قصتي مع من قاموا بثورة وادي زم).

أما المسيرة السياسية لعبد الرحمان الهلالي فتتخلص في نشاطه داخل هياكل حزب الاستقلال بكل من وادي زم والرباط، وقد كان من جملة المتخرفين في مشروع الحزب الجديد الاتحاد الوطني للقوات الشعبية الذي ستبدأ انتفاضته في 25 يناير 1959 بالدار البيضاء، ثم المؤتمر التأسيسي في 6 سبتمبر من نفس السنة برئاسة عبد الرحمان اليوسفي. حيث كان من الأعضاء المشاركين فيه. كما كان من الأعضاء المؤسسين للاتحاد المغربي للشغل، وكان يقوم بحملات تحسيسية وإلقاء خطابات باسم النقابة في عدة مدن مغربية كأزرو ووادي زم والرباط.

ويحكم انتمائه لسلك التعليم، فقد كان من الأعضاء النشيطين بالنقابة فضلا عن نشاطه كمناضل في صفوف الاتحاد الوطني للقوات الشعبية مما جعله يتعرض لعدة متابعات اضطرت له في سنة 1966 إلى تغيير مقر إقامته من مدينة الرباط إلى وادي زم.

ثم عاد إلى الرباط سنة 1975، وقد رفض المشاركة في أشغال المؤتمر الاستثنائي للاتحاد الوطني للقوات الشعبية الذي سيحمل ابتداء من سنة 1975 اسم الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، وحمد نشاطه الحزبي في نفس السنة بشكل نهائي لأسباب كان يبررها بخروج الحزب في تلك المرحلة عن منهجية النضال العقلاني.

أسس عبد الرحمان الهلالي أيضا رابطة حفظة القرآن الكريم بالمغرب والتي ظل يرأسها إلى حين وفاته، حيث كان من حفاظ القرآن الكريم ومن الملمين بقراءاته السبع، فضلا عن إلمامه بأصناف أخرى من العلوم الدينية واستكمال تكوينه في الطرق البيداغوجية الحديثة في التربية والتعليم كما تلقى تكوينا قانونيا بكلية الحقوق بالرباط في إطار نظام الكفاءة، وحصل على وسامين للرضى والاستحقاق الوطني من الدرجة الممتازة.

توفي في 13 غشت سنة 1989 إثر حادثة سير، وكان يزاول آنذاك مهمة مدير مرشد تربوي بمدرسة أحمد الراشدي بالرباط.

عبد الحكيم الهلالي

الهلالي، محمد تقي الدين بن عبد القادر فقيه وأديب وداعية إسلامي مغربي. من مواليد قصر أولاد عبد القادر بالريصاني سنة 1898 حفظ القرآن منذ نعومة أظفاره، كما رسخت قدماءه في التجويد والحديث والنحو العربي. وبعد التعليم الابتدائي في مسقط رأسه بتافيلالت، تردد على القرويين في فاس قبل أن يستكمل تكوينه في جامعة الأزهر

الهلالى على التدريس وعلى تعزيز الاتصال بين شكيب أرسلان وبعض الوطنيين المغاربة، ولكن عمل أيضا على بث معتقداته السلفية عبر الصحافة. وما قام به في هذا الصدد كتابة عدة مقالات في جريدة "الحياة" يفسر فيها كيف خرج من الطريقة التيجانية ليعانق الفكر السلفى بتأثير من بعض أعلامه وفي مقدمتهم محمد بن العربي العلوي. وقد أثار انتقاده اللاذع للطرقية حفيظة عدد غير يسير من فقهاء المنطقة وأعيانها المنخرطين في الطرق والزوايا، مما فتح الباب للسجال بين الطرفين.

وفي سنة 1946، أصدر مجلة "لسان الدين" تيمنا بلسان الدين بن الخطيب، صاحب الوزارتين، الذي كان معجبا به أيما إعجاب. وتمت مبادرته هذه بتعاون مع كل من عبد الله كنون وأحمد عبد السلام هارون. وفضلا عن المقالات الدينية التي كانت تشكل عمودها الفقري، فقد عملت هذه المجلة على نشر دروس في اللغة الإنجليزية ودعوة القراء إلى الإقبال عليها، وعيا من تقي الدين الهلالى، وهو الذي بدأ تعلمها عندما كان مقيما في الهند، بالصدارة التي أصبحت هذه اللغة تحتلها في عالم ما بعد الحرب. لكن سرعان ما التحق بالعراق تاركا المجلة بين يدي عبد الله كنون، فأقام ببلاد الرافدين حتى أطاح الجيش بالنظام الملكي (يوليو 1958)، ففضل الهجرة إلى المملكة العربية السعودية حيث عمل أستاذا بجامعة المدينة المنورة. وبعد مدة ولى راجعا إلى وطنه، فاشتغل أستاذا بكلية الآداب بفاس. وعلاوة على ذلك، كرس معظم نشاطه للدعوة الإسلامية على الطريقة الوهابية إماما وخطيبا وداعية في مساجد الدار البيضاء ومكناس وغيرها من الحواضر المغربية، وفيها من التوجه السياسي ما لم تكن السلطات الرسمية تنظر إليه بعين الرضى. وفي يوم 23 يونيو 1987 وافته المنية في الدار البيضاء عن سن تقارب التسعين عاما.

خلف الدكتور تقي الدين الهلالى أبناء وبنات في كل من المغرب والعراق والسعودية وألمانيا... كما خلف عشرات من المؤلفات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الدعوة إلى الله من أقطار مختلفة - الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية - سبيل الرشاد - كتاب مفتاح التفقه الأصيل في شرح مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الجليل...

جريدة العلم، 8 شتنبر، 1987، ص. 8 مجلة لسان الدين، تطوان، 1946؛ شهادات شفوية، خاصة من بعض أفراد عائلة تقي الدين الهلالى.

Résidence Générale : Les bulletins de renseignements de la direction des affaires politiques, 1936 - 1940 ; Robert Rezette, Les partis politiques marocains, Colin, Paris, 1955.

جامع بيضا

الهلالى، محمد (فتحا) بن المبارك بن علي من ذرية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصنهاجي نسباً، السجلماسي أصلاً، المكناسي مولداً وموطناً، علامة

مشارك ؛ تلقى دراسته على جماعة من علماء عصره، وتصدى للتدريس والإفتاء بالمذهب المالكي، فكان من جملة الفقهاء المتأخرين الذين أصدروا الفتوى على الطريقة القديمة.

اعتمد في تلقين دروسه على الحفظ والإملاء وهي الدروس التي استفاد منها الطلبة الذين حضروا مجالسه أمثال : محمد بن سعيد المكناسي الذي تتلمذ عليه، وذكره ضمن شيوخه ومحمد التراب الذي درس عليه رسالة القيرواني وحاشية سيدي ابن الحاج السلمي ومحمد المنوني الذي درس عليه الخلاصة من باب النعت إلى باب التكمير بشرح السيوطي المسمى النهجة واللامية الزقاقية بشرح التاودي ابن سودة وطرفا من أرجوزة. الاستعارة لابن كيران بشرح البوري، وأرجوزة البيقونية في مصطلح الحديث بشرح ابن خضراء، وبعضاً من الشرائع المحمدية للترمذي بشرح جسوس.

وقد ترك فتاوى في عدة كراريس، وتقاييد مخطوطة، منها ثلاثة تقاييد في الفقه وأصوله وهي :

1) تقييد إذافة عذاب الحريق لمن أوجب زكاة السيد لمال الرقيق، أو الانتصار لمذهب إمام الأئمة سيدنا مالك بصفع قفا من عميت عليه المسالك.

2) تقييد الرد على من انتقد حاشية المهدي الوزاني على شرح ميارة للمرشد المعين لابن عاشر الفاسي.

3) تقييد نهاية التحقيق في بيان الأفضل من أيام التشريع.

توفي بمسقط رأسه صباح يوم الأربعاء 26 جمادى الأولى 1372 / 11 فبراير 1953، ودفن بالزاوية الصادقية هناك.

الهلالى، محمد الهاشمي بن علي العروصي، قائد دكالة والحوز، كان وقائد أسفي عبد الرحمان بن ناصر العبيدي الوزيرين القائمين بأمر السلطان المولى هشام بن محمد وصاحبى الحل والعقد في دولته، الأول بعصبية وقبيلته المترامية الأطراف والثاني بكثرة ماله وجوده وكرمه.

ولما اشتدت شوكة السلطان المولى سليمان بالشمال وامتد نفوذه إلى الجنوب سنة 1211 / 1797، وتلاشت دولة المولى هشام، دخل المترجم له في طاعته فأقره على عمله وولاه مرسى الجديدة وأزمور، وكان أخوه يقاسمه الرياسة بدكالة، ويتولى دونه مرسى تيط ويصدر منها الوسق.

كان له اهتمام بالغ بالعمران، وقد جدد سقف الجامع الكبير بأزمور، والتقديم منه هو الصحن الحالي، ومدرسته التي بحذائه وهي الآن مهلمة ومعطلة، وجامع مولاي بوشعيب، وأسس الجامع الكبير بالجديدة المنسوب لابن الحمدونية، والمجسد الذي بداخله السور القديم والمدرسة التي تحولت فندقاً يحمل اسم الأداة.

توفي سنة 1214 / 1800.

عبد الرحمان القباج

هلوانة أو هدرابة، تقنيتان عتيقتان لاستخراج زيت الزيتون باليد في بضعة لترات خاصة بمنطقتي الحوز

والسراغنة. تشتركان في بعض المراحل التحضيرية وتختلفان في البعض الآخر. وتقوم بهما بالخصوص النسوة. ويطلق هذان المصطلحان على التقنية كما يطلقان على الزيت.

بالنسبة "لهدرابة" فهي طريقة لاستخراج الزيت بكيفية "باردة" حيث يتم هرس وسحق حبات الزيتون حفنة حفنة بالحجارة وفوق حجارة أخرى مفلطحة دائرية الشكل. ثم يتم عجن ودعك الزيتون المهروس جيداً باليد في إناء فخاري "قصرية". ويوضع العجين المحصل عليه في سلة من القصب ويترك للتسخين تحت أشعة الشمس. وبعد فترة يبدأ الزيت في السيلان من السلة إلى إناء. ثم يوتى بإناء آخر مملوء بالماء البارد، ثم يؤخذ جزء بعد جزء من العجين ويدعك بالأيدي في الماء. وبعد استراحة قصيرة جدا يطفو الزيت فوق الماء. حينئذ يتم عزله بواسطة مغرفة. وتكرر العملية عدة مرات حتى لا يبقى سوى بقايا النوايات والقشرة أو ما يدعى محلياً "المرجان" أو "مرجانة".

أما بالنسبة لهلوانة فيتم تهيين الزيت كما يلي : بعد جني حبات الزيتون طرية، وبعد عملية الهرس كما سبقت الإشارة، يخلط العجين بالماء الساخن ويدعك جيداً باليد ثم يوضع في جرة كبيرة من الطين المطبوخ أو من النحاس لتسخين وغلي الخليط شريطة أن تكون النار خفيفة. وذلك لتعويض التسخين بأشعة الشمس. وبعد فترة زمنية معينة يضاف الماء البارد ويترك الكل للاستراحة قليلاً. وبذلك يطفو الزيت الذي تتم تصفيته بمغرفة وتكرر العملية عدة مرات كما هو الحال بالنسبة لهدرابة. وتدعى الزيت المستخرجة بهذه الطريقة هلوانة أو توهلوانت أو تاهلوانت.

وتجرب الإشارة إلى أن هذه التقنية لاستخراج زيت الزيتون كانت سائدة بالأرياف المغربية المشهورة بزراعة شجر الزيتون في العهود القريبة منا إلى جانب المعاصر التقليدية التي تستخدم فيها الحجارة المحركة بالدواب. وتقوم بها النسوة لتلبية حاجيات الأسرة من مادة الزيت التي تكون قد استنفذت لدى الكثير من الغراسة. ويلاحظ حالياً التخلي عن هذه التقنية رغم الجودة العالية للزيت المستخرجة بواسطتها. وذلك نظراً لتطور المعاصر التقليدية وخاصة العصرية المحركة بمحركات كهربائية.

روايات شفوية ومقابلات ميدانية.

J. Flouriot, L'oléiculture dans la région de Marrakech, R.G.M., n°9, Rabat, 1966.
أحمد زروال

الهمداني، عبد الله بن غالب شيخ صالح وفقهه مشارك من بيت علم. أصله من مدينة نكور، وسكن سلفه بسببته. كان أبوه صاحب علم في الوثائق والفقه والحساب والفرائض، وله في ذلك تأليف. أما أبو محمد هذا فقد نوهت المصادر بعلمه وتقواه وجلالة قدره وفضله. حمل عن أشياخ

سبته، ورحل إلى الأندلس، فسمع من أبي محمد الأصيلي، وأبي بكر الزيندي، ورحل نحو 380 / 990. فدخل القيروان وسمع من الإمام أبي محمد بن أبي زيد القيرواني كتيبه وأبي محمد القباسي، وسمع بمصر من أبي بكر بن إسماعيل ابن المهندس وابن الوشاء، وقيل إنه دخل العراق. تعددت مواهبه فكان متفنناً في علوم متعددة، قائماً على المذهب المالكي حافظاً بليغاً أديباً شاعراً مجيداً. وكان يتقن الحساب والفرائض والوثائق. سمع عليه جماعة من أهل سبته منهم ابنه القاضي أبو عبد الله، وإسماعيل بن حمزة، وأبو محمد المسيلي، والقاضي ابن حجاج، وغيرهم. شاوره قاضي سبته ابن زويج في حياته، وشاوره غيره إلى أن مات. وما يدل على جلالته واشتهاره "أن رجلاً من أهل سبته رفع مسألة إلى فقهاء القيروان، فقيل له أليس ابن غالب حياً؟ قال نعم، قال : ما ينبغي لبلد فيه مثله أن يرفع منه سؤال".

توفي في صفر سنة 434 / 1042.

ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، ج 8، ص. 529؛ ابن فرحون، *الديباج المذهب*، ج 1، ص. 435 - 436.

محمد المغراوي

الهناتاي، عامر بن محمد وهناتة إحدى القبائل

المصمودية الكبرى التي كانت تستوطن جبل درن (الأطلس الكبير الغربي)، برز دورها في التاريخ الموحد، وقد توارثت إحدى أسرها حكم إفريقية وهي الأسرة الحفصية نسبة إلى الشيخ أبي حفص الهناتاي أحد أصحاب المهدي ابن تومرت. ولما انقرضت الدولة الموحدية، وتنوسي عهدها، أصبح السلاطين المرينيون يكلّفون شيوخ هناتة بأمر الحماية والولاية عليها كما فعل السلطان أبو سعيد مع موسى بن علي بن محمد الهناتاي، ثم مع أخيه محمد ثم أبناء هذا الأخير، ومنهم عامر (صاحب الترجمة) الذي عقد له السلطان أبو الحسن على قومه، وارتحل معه في الحركة إلى إفريقية وجعله على شرطة تونس.

ولما أفلح السلطان أبو الحسن عائداً إلى المغرب بحراً في الأشهر الأخيرة من سنة 750، جعل حرمه في سفينة كلّف بها عامر الهناتاي، وقد تجت هذه السفينة من الغرق الذي أصاب الأسطول المريني ووصلت إلى المرية بجنوب الإمارة النصرية بالأندلس، فبقي هناك مع حرم السلطان بسبب النزاع القائم بين أبي الحسن الذي وصل الجزائر بعد نجاته من الغرق وقبل تحركه نحو جنوب المغرب، وابنه أبي عنان القائم في فاس، فألحّ هذا على أبي عامر للعودة بالعائلة السلطانية، وتوسط أمير غرناطة للحصول على الأمان منه بعد وفاة أبي الحسن.

وفي غيبة عامر كان أخوه عبد العزيز نائباً عنه في الإشراف على هناتة، وتكلف مع قومه في الدفاع عن السلطان أبي الحسن إلى وفاته، ثم عقد له أبو عنان على قومه، إلى أن عاد أخوه عامر من المرية فتنازل له وأصبح

عبد العزيز نائباً عنه، بل عقد أبو عنان لعامر على سائر المصامدة ولاية وجباية سنة 754 / 1353.

لما توفي أبو عنان (759 / 1358) واستبد وزيره الحسن الفودودي بابنه السلطان الطفل أبي بكر السعيد ترك عامر الإقامة في مراكش واستقر بجبل هنتاتة ومعه محمد المعتمد بن أبي عنان، الذي كان أبوه عقد له على ولاية مراكش وهو صغير السن وأوصى به الهنتاتي، فبايعه ونزل به إلى مراكش، وعجز الوزير الفودودي عن إخضاعه. فلما استولى على السلطة بفاس أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن (760-762) وقد عليه عامر فعقد له على قومه، واشترك معه في الحركة إلى تلمسان سنة 761. واستمرت العلاقات عادية مع الحكومة المركزية حتى إن أبا سالم كان لا يهتم بسعاعات عامله بمراكش ضد عامر الهنتاتي.

بعد مقتل السلطان أبي سالم بدأت مرحلة ثانية في سياسة الهنتاتي، وهي اقتسام النفوذ مع الحكومة المركزية، أولاً بتفاهم مع الوزير عمر بن عبد الله الياباني المستبد بالسلطان المعتوه تاشفين بن أبي الحسن (762-763)، ثم بأبي زيان محمد بن عبد الرحمن بن أبي الحسن (763-767). وواجه عداء شيوخ بني مرين بسبب ذلك، بينما احتفظ الهنتاتي لديه بالأمير المنافس أبي الفضل ابن أبي سالم ليخفف من ضغط الشيوخ على الوزير، وهذا ما حدث عند حصارهم البلد الجديد بفاس (الحي السلطاني)، حيث زحف عامر الهنتاتي بقواته ومعه الأمير أبو الفضل نحو فاس، فتمكن الوزير من السيطرة على الوضع باستدعاء الأمير أبي زيان المذكور للسلطنة، وتراجع منافسوه نحو سجلماسة مستقلين بها خلال سنتي 763 / 764، وعقد الوزير مع الهنتاتي حلفاً ومقاسمة للمغرب لمواجهة التمرد في سجلماسة. أي أن المغرب أصبح في هذا الوقت موزعاً بين ثلاث قوى سياسية: قوة السلطة المركزية بفاس حيث يستبد الوزير عمر بسلطانه أبي زيان، وقوة الهنتاتي في مراكش والجنوب الغربي حيث يستبد بدوره بالأمير أبي الفضل المموه بإمارته، وقوة إمارة سجلماسة بقيادة الأمير عبد الحليم ثم أخيه عبد المومن ابني الأمير عمر الذي سبق أن تمرد على أبيه السلطان أبي سعيد حوالي سنة 720، ثم على أخيه السلطان أبي الحسن في أوائل الثلاثينيات. غير أن هذه الإمارة لم تستمر طويلاً بسبب النزاع بين الأخوين وأحلاف كل منهما، فلجأ الأمير عبد المومن إلى الهنتاتي، فأمسكه ليستعمله ورقة ضغط أخرى على حكومة فاس.

وظل عمر الياباني يحاول في فاس استمالة أو إخضاع الهنتاتي، خصوصاً وأن منطقتهم أصبحت ملجأ للمرينيين الغاضبين على الوزير، فإنهم حاولوا دفع الهنتاتي لنقل البيعة من أبي الفضل الذي يرتاح إليه الوزير عمر نسبياً إلى الأمير عبد المومن الذي يميل إليه مشايخ بني مرين. وكان لهؤلاء علاقة بحركة تمرد أخرى حدثت في دبدو وأصبحت تهدد فاساً من الجهة الشرقية. فلما قضى الوزير عمر على

هذا التمرد شرقاً صمّم على الحركة إلى الهنتاتي سنة 767. غير أن هذا أخرج الأمير عمر من المعتقل وأوهم بأنه بايعه، وذلك لكسب أشياع بني مرين بمن فيهم من كانوا في جيش الوزير، فانعقد الصلح بين الطرفين على أن تبقى إمارة مراكش وبلاد المصامدة على ما كانت عليه تحت نفوذ الهنتاتي، ثم أعاد هذا الأمير عبد المومن إلى معتقله وأبقى أبا الفضل في الإمارة مستبداً به. وتكررت هذه المناورة مرة أخرى في بداية سلطنة أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن (767-774)، فلما تمكن هذا من اغتيال الوزير عمر (في رمضان 768) واستعاد كامل سلطته، أراد أمير مراكش أبو الفضل أن يفعل نفس الشيء مع وزيره الهنتاتي، فقتل منافسه عبد المومن في معتقله، بينما تمكن الهنتاتي من ترك مراكش إلى جبل هنتاتة، وتظاهر بالتبعية للسلطان أبي فارس ووعده بالدعم ضد أبي الفضل. فلما تمكن أبو فارس من القضاء على أبي الفضل في جبال تادلا، ودخول مراكش، جاهر الهنتاتي بالعصيان، ونصب للإمارة بمنطقته أحد أمراء بني مرين؛ وفشل عامل مراكش من قبيل أبي فارس في حصار الهنتاتي بجبله في الوقت الذي كان أبو فارس يتهيأ للحركة نحو تلمسان المدعومة للهنتاتي؛ فاضطر إلى توجيه كافة قواته نحو جبل هنتاتة سنة 770، ودام حصار الجبل سنة كاملة، واستولى على حصونه الواحد تلو الآخر، وانفض عن الهنتاتي معسكره تدريجياً، ثم قبض عليه فازاراً نحو السوس، وتم الاستيلاء على جبل هنتاتة في رمضان 771، وقتل الهنتاتي بعدما عرضت عليه رسائله إلى سلطان تلمسان مستنجداً به، بحيث وصل هذا في غارة له حتى أحواز مكناسة. لهذا قام أبو فارس في السنة اللاحقة 772 بالقضاء على الإمارة الزبانية بفتح تلمسان التي استقر بها إلى وفاته 774.

إلا أن وحدة البلاد لم تستمر بعد أبي فارس فقد عاد الانقسام بظهور إمارة مربية جديدة في مراكش والجنوب وجدت تأييداً من هنتاتة ومن إمارة تلمسان التي عادت إلى الظهور، وكذا من الإمارة النصرية في جنوب الأندلس. وسيظل الجنوب المغربي موطن حركات التمرد إلى ظهور الدولة السعودية في مطلع القرن العاشر (16) انطلاقاً من المنطقة.

ابن خلدون، العبر، بيروت، 1968؛ ابن الخطيب، الإحاطة، القاهرة، 1977؛ نفاضة الجراب؛ المقري، نفع الطيب، بيروت، 1968؛ أزهار الرياض، المحمدية، 1978؛ أحمد عزاي، الغرب الإسلامي؛ معلمة المغرب.

أحمد عزاي

الهند والمغرب، منذ حصولها على الاستقلال، وضعت دولة الهند مجموعة من المبادئ المؤسسة لسياستها الخارجية من أهمها مساندة ودعم حركات التحرير الوطنية في الدول المستعمرة على اعتبار أنها هي نفسها عانت مرارة الاستعمار الغربي في أبشع صورته، وأنه من شأن ذلك السند

وقد كان لهذه الاعتبارات أثر كبير في الحد من تطور العلاقات بين المغرب والهند في الاتجاه الصحيح، بل إنها ساءت في العديد من المناسبات. ففي سنة 1969 بمناسبة انعقاد أول مؤتمر إسلامي - عقب حادثة إحراق المسجد الأقصى بالقدس - استدعت الحكومة المغربية الجمهورية الهندية للمشاركة على اعتبار أنها بلد يضم ما لا يقل عن مائة مليون مسلم. وحين وصول الوفد الهندي إلى قاعة المؤتمر أخبر بأن رئاسة الجلسة لا ترغب في مشاركته لأن باكستان تعارض ذلك. وقد اعتبرت الهند الحدث إهانة أخلاقية فقامت باستدعاء سفيرها في الرباط. وفي سنة 1971 أثناء الحرب الهندية الباكستانية، وقف المغرب إلى جانب باكستان باسم واجب تقديم الدعم والسند لبلد إسلامي في حربه ضد بلد آخر غير إسلامي. وتدهورت العلاقات في مناسبة أخرى سنة 1979 حيث صرح سفير المغرب بنيودلهي - عبد الحق السعداني - بأن دولة الهند تضطهد مواطنيها المسلمين، وهو وما اعتبرته حكومة الهند افتراء وتدخلًا في شؤونها الداخلية.

وقد كان لجميع هذه الوقائع أثر كبير في الدفع بالهند إلى اتخاذ موقف معاد للمغرب في موضوع وحدته الترابية. فانسجاما مع موقفها المبني في شأن القضايا الإقليمية التي يقترح أحد أطرافها المباشرين الاحتكام لمبدأ تقرير المصير، أعربت الهند في مناسبات عديدة عن مساندتها لنضال الشعب الصحراوي وشجبتها لسياسة الأمر الواقع المتبعة من لدن المغرب. وقد سعى المغرب إلى شرح موقفه للحكومة - زيارة المعطي بوعبيد سنة 1976 كمبعوث خاص لعرض جوهر المشكل، وكذلك زيارات خاصة للعديد من الشخصيات المغربية -، إلا أن هذه المحاولات باءت بالفشل إذ أقدمت حكومة راجيف غاندي سنة 1985 على الاعتراف بالجمهورية الصحراوية العربية الديمقراطية، وهو ما اعتبرته الحكومة المغربية تطورا خطيرا من شأنه فضلا عن إضعاف الموقف المغربي، فتح المجال أمام دول أخرى في آسيا وأمريكا اللاتينية لتحدي ما يعتبره المغرب مسألة غير قابلة للمساومة والتفريط. وكرد فعل فوري، أعلنت الحكومة المغربية عن قرار قطع العلاقات الدبلوماسية مع الهند، وهو وضع استمر إلى سنة 1988 حيث اتفق البلدان على العودة إلى الوضع العادي. وقد وجب انتظار يونيو 2000 لتتقدم الحكومة الهندية على سحب اعترافها بالجمهورية الصحراوية. ومنذئذ، تبادل الطرفان زيارات رسمية على أعلى مستوى للتأكيد على رغبتهما بتجاوز عقد الماضي والتأسيس لعلاقات صداقة وتعاون متينة، وهو ما ترجم على أرض الواقع في شكل اتفاقيات متنوعة مست جميع مجالات التعاون والاستثمار.

وقد عرفت العلاقات الهندية المغربية تطورا إيجابيا ملحوظا منذ سنة 2000. وتعود أسباب الوضع الجديد إلى

التأسيس لصداقات بين شعب الهند وشعوب إفريقيا، وهي في الحقيقة صداقات قديمة ومستديمة. وقد كان طبيعيا أن تولي حكومات نيودلهي أهمية متميزة للتطورات الطارئة في شمال إفريقيا بالنظر لمضاعفاتها على موازين القوى بين الكتلتين وعلى الوضع الهش في الشرق الأوسط. وعليه، ساهمت البعثة الهندية في نيويورك في الدفع بالملف المغربي للمناقشة أمام اللجن المختلفة، وأعرب مبعوث الهند في الأمم المتحدة في مداخلته بتاريخ 21 غشت 1953 عن موقف بلاده من نفي السلطان الشرعي واعتبر الحدث تهديدا للسلام العالمي، وطالب بالإسراع إلى إيجاد حل بمعية فرنسا يهيئ المغرب للحصول على استقلاله. وظل هذا الموقف ثابتا حيث جدد التعبير عنه خلال مؤتمر باندونغ الذي يعتبر بحق المنصة التي عبرت فيها الدبلوماسية الهندية رسميا وبشكل واضح عن إرادتها في المشاركة في تحقيق بعض التوازن بين العملاقين واتباع سياسية الحياد الإيجابي ودعم استقلال الدول الإفريقية.

ومن جهتهم، لم يجد الوطنيون المغاربة صعوبة في ربط صداقات مباشرة مع السياسيين الهنود العاملين في المنظمات الدولية وفي العواصم العربية. فالمغاربة لهم معرفة قديمة ببلاد الهند - رحلة بن بطوطة -، كما أنهم كانوا شديدي الإعجاب بالنموذج الهندي في الحصول على الاستقلال، فالتجربة تميزت بالواقعية والتعقل، أساسا لأنها تمت تحت قيادة مكونة من شطرين، واحد كاريزمائي عماده حكمة المهاتما غاندي، والثاني سياسي مثله حزب المؤتمر بقيادة جواهر لال نهرو.

وحين حصول المغرب على استقلاله، كانت كل المؤشرات تدل على أن العلاقات مع الهند ستكون من دون شك نموذجا للتعاون والتفاهم بين بلدين يربط بينهما أكثر من عنصر واثم. فهما فضلا عن الانتماء للعالم الثالث واحتلالهما لمكانة متميزة داخل كتلة عدم الانحياز واعتماد كليهما سياسة خارجية محايدة بشكل إيجابي وسعيهما إلى حل المشاكل الدولية عن طريق التوافق، يشتركان في الرغبة في تجاوز مخلفات الاستعمار ونهج سياسات تنمية تصبو إلى تحقيق التقدم والانسجام بين المكونات البشرية المختلفة. إلا أن ما حصل فعليا لم يكن في مستوى التطلعات، أولا لأن أجنحة الدبلوماسية المغربية وضعت في أولياتها تطبيع العلاقات مع الدول الشقيقة العربية والإسلامية، ومن ثمة ربطت علاقات متميزة مع جمهورية باكستان الإسلامية، وهو ما أثر سلبا على تطور العلاقات مع الهند. فملك المغرب استقبال أول سفير للهند سنة بعد استقباله لنظيره الباكستاني. وثانيا لأن المغرب ظل ينظر بكثير من الريبة إلى العلاقات المتميزة بين الهند ومصر الناصرية، فإلبدان طورا علاقات متميزة مع الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية وهو ما كانت تعتبره الرباط خطرا على التوازنات داخل إفريقيا والشرق الأوسط.

وقد زار مدينة مكناس وهو في مقتبل العمر. ولعله استقر بها في أواخر الثلاثينيات، يدل على ذلك أن اسمه مقيد في سجل تلامذة "مدرسة الآلة" في هذه الفترة، ومقرها يومئذ بدار الجامعي. وباستقراره بمكناس أخذ يجالس شيوخ الملحنون بها وينهل من معارفهم، وكان فيهم شيخ زجالي المدينة في بدايات القرن العشرين دون منازع بنعيسى الدراز، وآخرون أمثال المعلم برطال عازف الكنتيري، والمعلم بوبكر، والحاج المحجوب أحد حفاظ أزجال الطائفة العيساوية. وعن هؤلاء تلقى المترجم أصول الفن، وأصبح يجيد العزف على الكمنجة.



وفي بداية العقد الخامس من القرن العشرين وفق ابن هنية إلى تشكيل أول "جوق" للملحن بمكناس، وعمل تحت إشراف الإذاعة الوطنية في بحر عام 1957 على تسجيل مجموعة من القصائد بأصوات نخبة من أبناء المدينة، وكانت تلك مناسبة لاكتشاف صوت الفنان الراحل الحاج الحسين التوالي.

وقد واصل المترجم نشاطه الفني كعازف على الكمنجة في حظيرة جوق الملحنون حتى بعد أن آلت رئاسته إلى الحاج الحسين التوالي.

توفي بمكناس في شهر غشت 1992.
بطاقة خاصة.

عبد العزيز بن عبد المجيد

هوتان جورج Georges Hutin، ولد بمدينة باريس يوم 8 مارس سنة 1899. درس في المدرسة الابتدائية العليا توركو، ثم انتقل إلى الدار البيضاء سنة 1916، فولج المدرسة التطبيقية التي أنشئت من أجل تكوين المعلمين خلال الحرب. دخل إلى إدارة الحماية في الرباط سنة 1918، وفيها قضى مدة طويلة من حياته المهنية، إلى درجة "أن التذكير بمشواره الإداري قد يتحول إلى كتابة لفصل من تاريخ المقيمين العامين الذين تعاقبوا على المغرب منذ المارشال ليوطي إلى الجنرال نويس، والذين خدمهم دائما بإخلاص". فقد جعله الجنرال ليوطي سكرتيره الخاص، ثم عين في منصب مساعد رؤساء دواوين مختلف المقيمين العامين الذين تعاقبوا على

رغبة البلدين في تطوير علاقاتهما الاقتصادية. فالمغرب وجد في الهند زبونا واعدا خاصة فيما يتعلق بالمواد الكيماوية - مجموعة من الاتفاقيات بين المكتب الشريف للفوسفات وشركات هندية كبرى.. وفي المقابل، تدل مؤشرات عديدة على أن الهند ترغب في الاستفادة من اتفاقيات التجارة الحرة بين المغرب والولايات المتحدة الأمريكية ودول الاتحاد الأوربي وذلك عبر الاستثمار قصد التصدير مباشرة إلى شركاء المغرب. ويمكن الجزم بأن آفاق التعاون الاقتصادي بين البلدين واسعة بدليل اختيار بعض الشركات الهندية الكبرى تحويل جزء من رساميلها للاستثمار الثقيل في المغرب.

وتجدر الإشارة إلى أنه توجد بالمغرب جالية هندية مهمة. فمنذ السنوات الأولى للحماية، حلت بالمملكة مجموعات من التجار الهنود استقروا بأهم المدن - الدار البيضاء والرباط وطنجة وتطوان... - وتخصصوا في تجارة المواد الاستهلاكية والصرف. وخلال السنوات الأولى للاستقلال لعبوا أدوارا اقتصادية مهمة خاصة بعد رحيل التجار اليهود المغاربة.

وفيما يخص المبادلات الثقافية بين المغرب والهند، فهي إجمالا ضعيفة؛ فالاتفاقيات المنظمة لهذا التعاون - اتفاقية 12 يناير 1981 واتفاقية 10 ديسمبر 1979 واتفاقية 29 فبراير 2001 - لا توفر إطارات واعدة للتعاون والتبادل العلمي. ويستوجب التذكير باستثناس الجمهورية المغربي بالسينما الهندية، فهي تعتبر أحد أهم مصادر معرفة الشعب المغربي بواقع نظيره الهندي.

ويجمع جل المهتمين بالعلاقات المغربية الهندية على جدوى الرفع من حجم وقيمة المبادلات التجارية بين البلدين وتفعيل قنوات التنسيق السياسي لتفادي ظهور بؤر للتوتر بين البلدين. ويتطلب تحقيق الهدفين التأصيل للعلاقات بواسطة أسانيد قانونية إضافية وتكثيف اللقاءات السياسية - وزارية وبرلمانية - والتحالفات الاقتصادية والمبادلات الطلابية والثقافية.

Kulwant Senigh, *India and the Maghreb Africa : A Study of India's Relations with Libya, Tunisia, Algeria and Morocco*, New Delhi, Bahri Publications, 1993.

حنان السقاط

هنية (ابن -) محمد العماري من شيوخ طرب الملحنون المتأخرين بمكناس. ولد ببني عمار بضاحية زرهون عام 1922، ونشأ في أسرة ربها فلاح كان مولعا بإنشاد القصائد والسرابات وعزف الكمنجة.

ولع الفتى بالملحنون وعندما اشتد عوده أخذ يتردد على مدينة فاس، فكان يقصد مجلس التاجر مولاي علي التبر، حيث يجمع شيوخ الفن وفيهم من الحفاظ والمنشدين المعلم سلام الحياضي، والمعلم الوالي الذي كان يكره ويضرب على التعريجة، كما كان فيهم من كبار الأشياخ يومئذ العيساوي الفلوس، والغالي الدمناطي.

المغرب (ستيك ثم لوسيان سان ثم بونسو ثم نويس)، قبل أن يتولى في عهد نويس رئاسة سكرتاريته الخاصة إضافة إلى رئاسة مكتب الإدارة المركزية في الرباط. وفي ما بين 1940 و1943، شغل منصب مدير مكتب المغرب في باريس، ثم عين سنة 1944 نائب والي فوندوم Vendôme ثم سكرتيرا عاما لعمالة لوار - إي - شير Loir-et-Cher ونائب والي فالونسيان Valenciennes والي اللاند Les Landes.

ووضع سنة 1946 تحت تصرف والي منطقة السين La Seine الذي عينه مديرا لديوانه. ثم عين سكرتيرا عاما لعمالة السين، قبل أن تكلفه الحكومة بهذه المسؤولية بصفة مؤقتة إثر وفاة صاحبها Verlhomme في يوليو 1950. وعين في أكتوبر الموالي واليا على مقاطعة الألب البحرية Les Alpes Maritimes، وبهذه الصفة كان يترأس مجلسها الأعلى.

وعاد إلى إدارة الحماية بالمغرب من جديد بإلحاح من الجنرال غيوم المقيم العام، حيث أسند إليه مجلس الوزراء الفرنسي يوم 19 أكتوبر 1951 الكتابة العامة للحماية. وقد ظل في هذا المنصب السامي إلى أواخر يوليو 1954، وعرف عنه موقفه من خلع السلطان ابن يوسف، حيث أعلن معارضته الصريحة لهذه العملية، لما يترتب عليها من عواقب سيئة على فرنسا، ولعل قصر إدارة المنصب الذي شغله في الأخير بالمغرب دليل على ما وقع من خلاف بينه وبين باقي المسؤولين الفرنسيين بالمغرب والمتروبول في شأن علاج ما عرف في أواخر عهد الحماية بـ "الأزمة المغربية".

تميز هذا الرجل بمواقفه الشاذة عن مواقف باقي موظفي الإدارة الاستعمارية من عدد من القضايا الوطنية المغربية. وفي هذا الصدد، تحدثت بعض الأوساط الاشتراكية الفرنسية عن تغلغل الفكر الفاشستي والرجمي في حاشية نويس، مع استثناء هوتان "الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه"، وأكد شارل - أندري جوليان أنه كان الموظف السامي الوحيد الذي أعلن بوضوح معارضته لخلع السلطان، لما يترتب عليه من تأليب السكان المغاربة على فرنسا، في الوقت الذي ظل أغلبهم سلبين لحد الساعة. ولذلك، كان عرضة لانتقاد بعض الأوساط الفرنسية المتطرفة وسخريتها، كما فعلت جريدة زاديك في عددها الخامس الصادر يوم 8 أكتوبر 1954.

وبعد ذلك، أو كلت إليه عدة مناصب رسمية في فرنسا، فقد عين مستشارا تقنيا في ديوان فرانسوا ميتيران عندما تولى حقيبة الداخلية سنة 1954، قبل أن ينضم إلى ديوان أندري لو تروكي André Le Troquer رئيس الجمعية الوطنية الفرنسية في بداية سنة 1956. وسمحت له حياته المهنية بالحصول على عدد كبير من الأوسمة والميداليات، كوسام الشرف من درجة ضابط سنة 1938 و صليب الحرب الذي حازه سنة 1939، ولقب رفيق التحرير". إضافة إلى مهامه الإدارية، عرف هوتان باهتمامه بالشؤون الرياضية من خلال الألقاب التي في حوزته، فهو عضو مؤسس للجامعة المغربية لكرة القدم La Ligue Marocaine de Foot-Ball association

ونائب رئيسها ورئيس اللجنة الجهوية لحكام المغرب، ومؤسس فريق سطات ماروكان Stade Marocain ونائب رئيسه وعضو شرفي في الجامعة الفرنسية لكرة المستطيلة (الروكبي) وحكم تابع للجامعة الفرنسية للملاكمة وعضو المجلس الأعلى للرياضات الجامعية، دون الوقوف عند دوره في تنظيم كثير من الجولات الخاصة بسباق الدراجات والسيارات بالمغرب وإعداد البطولات بين أندية شمال إفريقيا.

Albert Ayache, *Le mouvement syndical au Maroc*, t. 1, 1919-1924, L'Harmattan, Paris, 1982, p. 165, 200 et 315 ; Stéphane Bernard, *Le conflit franco-marocain 1943-1956*, t. 1, Ed. L'Institut de sociologie de l'Université Libre de Bruxelles, 1963, p. 150 et 190 ; Hervé Bleuchot, *Les libéraux français au Maroc (1947-1955)*, Ed. de l'Université de Provence, 1973, p. 64 ; Charles-André Julien, *Le Maroc face aux impérialismes (1415-1956)*, Ed. J.A., Paris, 1978, p. 247, 251, 304, 306 et 365 ; Georges Oved, *La gauche française et le nationalisme marocain 1905-1955*, t. 2, L'Harmattan, Paris, 1984, p. 146 et 570 ; *Le Maroc Economique, Politique et Financier*, n° 647, 11-2-1956 ; *Le Courrier du Maroc*, 12-2-1938 ; *Le Petit Marocain*, 31-8-1928, 21-11-1944 et 6-2-1952 ; *La Vigie Marocaine*, 19-12-1946, 20-7-1950, 20-10-1951 et 29-7-1954 ; *Zadig*, n° 5, 8-10-1954.

نجيب تقي

ابن هود السلوي (الهادي، الماسي)، محمد بن عبد الله بن هود حسب البيان المغرب لابن عذاري والعبر لابن خلدون، أو هو محمد بن هود بن عبد الله حسب القرطاس لابن أبي زرع، وسماه البيهقي عمر بن الخياط وذكر أن لقبه بويكندي. كان أول من ثار على الموحدين بعد تغلبهم على المرابطين بفتح مراكش في الربع الأخير من سنة 541.

فيما يتعلق بمسألة الاسم، يظهر أنه محمد بن عبد الله كما في البيان والعبر لأنه تلقب بالهادي، والعادة أن من يتصف بالهداية أو المهديوية يكون اسمه كاسم الرسول (ص) واسم أبيه ؛ أما الاسم الذي ذكره البيهقي فيخلق إشكالا، فقد يكون اسمه الأصلي عمر قبل بدء دعوته - وكان المهدي بن تومرت مثلا غير اسم أبي حفص عمر الهنتاتي بعد أن كان اسمه الأصل فاصكا قبل دخوله في دعوته .، أما اسم أبيه الخياط فيظهر أنه مجرد صفة لكونه كان دلالا في السوق، ربما سوق الخياطة خاصة وأنه كان يبيع الكنايش (جمع كنبوش وهو غطاء للرأس مع معظم الوجه لاتقاء برد الصباح حسب دوزي في ملحقه) إذا صحت الرواية الموحدية التي تعمل عادة على التقليل من شأن الثوار اجتماعيا، فتجعلهم دائما من السوق والغوغاء... ووصفت هذه الرواية ابنه الماسي بأنه كان قصارا ببحر سلا أي يتكسب بغسل الثياب.

جعلت بعض المصادر ثورة ابن هود بعد فتح مراكش، وذكر صاحب القرطاس أنه حضر مع عبد المومن فتح مراكش ويايعه ثم خرج ثائرا عليه ؛ وانتشرت دعوته في مجال أرض كزولة خاصة ووصلت شرقا إلى سجلماسة، وامتدت من ماسة شمالا حتى سلا أي بين عصبية مصامدة السهول، التي خرجت عن طاعة الموحدين الذين تدعمهم عصبية مصامدة

من ذي الحجة يقع في سنة 542 وليس في سنة 541 (حسب جدول المطابقة الزمنية).

استفاد ابن هود من مجموعة عناصر مهمة من قدسية رباط ماسة ومسجده، ومن شيوع الفكر الشيعي بالمنطقة، إضافة إلى مجال العصبية الصنهاجية (جزولة) المعاكسة للموحدين، ثم انشغال المرابطين بالحرب الطويلة التي فرضها عليهم الموحدون، فقد اختار مكانا مقدسا هو رباط ماسة ومسجده الذي تحدث عن شهرته أحد رجال القرن الثالث، كما تحدث عنه البكري ومن بعده، وقال الحسن الوزان في القرن العاشر الهجري "يذكر عدد من المؤرخين أن المهدي المنتظر الذي سيملا الأرض عدال حسبما أخبر به النبي [ص] سيخرج من هذا المسجد". وكان شعار ثورة ابن هود هو الهداية أي أنه قلد المهدي في اللقب، فهذا مهدي وذاك هادي بحيث استفاد من انتشار الفكر الشيعي الذي استفاد منه ابن تومرت قبله، قال ابن الخطيب عنه إنه: "رمى الموحدون بحجرهم الذي رموا به البلاد"، أي أنه استفاد من بقايا تأثير الفكر الشيعي وانتشار فكرة المهودية بين الناس، ودعا إلى دعوته الإصلاحية البسيطة والبعيدة عن تعقيدات المذهب الموحد العنيف، ولكننا نجهل هذه المبادئ ربما لكون الموحدون لم يتركوا أي أثر لأعدائهم، وما ركزت عليه الرواية الموحدية الرسمية أنه كان يتظاهر بالزهد في رباط ماسة: "ارتسم برسم الانقطاع عن الناس فيما سلف من الأعوام، واشتغل على زعمه بالقيام والصيام"، واستمال الناس بخزعبلاته، واستهوى القلوب بمؤهلاته..."، وأنه كان يدعي "أنه بشرٌ بأن المنية في هذه الأعوام لا تصيبه، والنوائب لا تنويه، ويقول في سواه قولاً كثيراً، ويختلق على الله تعالى إفكا وزورا". أما عنصر الدعم القبلي للثورة فيشمل العصبية المصمودية غير الجبلية (الشريط من حاحة إلى سلا)، والعصبية الصنهاجية خاصة من جزولة التي كان معظم الأطلس الصغير وحواشيه مجالاً لها حتى إن ابن سعيد سماه جبل جزولة، وأكد البيذق هذا بالإشارة إلى كون الثورة في كزولة "فارتد معهم حاحة... ركراكه، هزميرة، هسكورة الوطا...". ويستبعد أن يكون ما ذكرته المصادر التاريخية من كون الماسي ثار على الموحدون بعد فتح مراكش، لقصر مدة نشر دعايته، بل إن رسالة النصر المشار إليها سابقاً تذكر لجوء ابن هود إلى رباط ماسة متعبداً أو مظهراً الزهد منذ سنوات "ارتسم الانقطاع عن الناس [زهداً] فيما سلف من الأعوام"، وهذا يعني أنه استفاد من انشغال المرابطين بالحرب الطويلة التي فرضها عليهم الموحدون، والتي امتدت زمنياً بين سنتي 534 و541 وجغرافياً من بلاد المصامدة إلى بلاد غمارة شمالاً ثم إلى منطقتي تلمسان ووهران، أي إخضاع القبائل الجبلية، ثم العودة من وهران لفتح المدن التي كانت مراكش آخرها.

ويظهر أن هناك تناقضات في الرواية الموحدية، التي انتقلت إلى المصادر المرينية كالبيان والقرطاس والعبر ومن

الجبال. وكان مركز الثورة رباط ماسة الشهير منذ القرن الثالث على الأقل حيث ذكر البيهقي أهمية دينيا وتجاريا، وهذا يعني أن هذه الثورة القريبة من مركز الدولة الموحدية كانت خطيرة عليها؛ وورد في رسالة موحدية أنه "أنته المخاطبات من بعد وكتب... فأقبل الناس المغتربون به من كل مكان وقبيل إليه... فقامت بدعوته جموع لا تحصى...". في وقت اندلعت ثورات أخرى بجهات المغرب الأقصى، فجعلها ابن خلدون شاملة لأرض المغرب (أي الأقصى) عدا فاس ومراكش، واستثنى صاحب القرطاس من الثورة مدينة مراكش فقط أي عامصة الموحدون. بحيث شجعت الثورة بقية المرابطين في غرناطة (من بني غانية) على محاولة إحياء دولتهم بالمغرب بقيادة والي فاس سابقا القائد المعروف بالصحراوي.

وجه الخليفة الموحد عبد المومن فرقة عسكرية من أهل السوس بقيادة القائد المسوفي أبي زكرياء يحيى أنكمار لقتال الماسي، فعاد منهزماً، ويظهر أن عبد المومن أرسل فرقة أخرى عادت بدورها منهزمة وكانت بقيادة ابن يكيث، فاضطر عبد المومن لإرسال قوات ضخمة نظامية وقبيلية (فرقة المرتزقة الروم، قبائل المصامدة وغيرهم) بزعامة أشياخ الموحدون وعلى رأسهم الشيخ أبو حفص الهنتاتي كبير معاوني عبد المومن وصاحب المهام الخطيرة، وودع عبد المومن جيشه خارج مراكش رفعا لمعنوياته. وعند المواجهة مع الماسي كان أتباعه من الرجالة نحو ستين ألف راجل إضافة إلى سبعمئات من الفرسان، بينما كان مقاتلو القوات الموحدية اثني عشر ألفاً نصفهم فرسان، وهذا ما يدل على اتساع دعاية الماسي، إلا أنه انهزم وقتل في المعركة ربما لنقص التنظيم على عكس ما تميزت به القوات الموحدية. ولا يبدو أن انتصار الموحدون كان سهلاً، فالرواية الرسمية تتحدث عن صمود أتباع الماسي وهم يرونه صامداً في المعركة، فلما قتل واضطر الناجون من المعركة من أتباعه إلى التراجع عابرين الوداي (ماسة) - نحو رباطهم فيما يظهر - ظلوا يقاومون حتى في هذه الحالة "وكان دخولهم في أول مدّة إلى حين ابتداء الوداي في جزره ونقصانه"، وهذا يفيد أن مدة الصمود بعد مقتل الماسي استمرت على الأقل نصف يوم أي حوالي ست ساعات وهي الفاصلة بين المد والجزر البحرين اللذين كان النهر يتأثر بهما للقرب من المصب. ومن غير المرجح أن يكون مقتل الماسي في 16 من ذي الحجة سنة 541 كما ذكرت بعض الروايات، أي بعد شهرين من فتح الموحدون لمراكش، فصاحب القرطاس يذكر وصول وفد إشبيلية لبيعة عبد المومن خلال سنة 542 فتأخر استقباله نحو سنة ونصف لانشغال عبد المومن بحرب الماسي، كما أن ابن الأبار في ترجمته لابن عطية الذي كتب رسالة النصر من ماسة إلى عبد المومن ذكر مقتل الماسي يوم الخميس 16 لذي الحجة سنة 542 / 6 ماي 1148، وهذا التاريخ صحيح لأن يوم الخميس (أو الجمعة) 16

أخذ عنها. فبعض هذه الروايات تذكر بيعة الماسي لعبيد المومن بمراكش قبل الثورة عليه، والمعروف أن الميساعين للخلفاء مباشرة لا يكونون من عامة الناس وإنما من عليية القوم ووفود القبائل والمدن، ولا يجوز أن يكون ممثل مدينة سلا موطنه من وسط اجتماعي واقتصادي مغمور (مبيض الثياب). كما أن والد الماسي الذي وصفته الرواية الموحدية بكونه دلالة يبيع الكنايبش أو خياطا كما عند البيذق، فإنه عندما ثارت سلا على عامل الموحدين قدمته عاملا ونائباً عن ابنه الماسي، وظل في ولايته إلى قدوم الصحراوي المرابطي من الأندلس فقتله حيث "وجده على غير الاستقامة معهم" أي غير موال للدعوة المرابطية الجديدة. فهل يعقل أن يختار أهل سلا رجلاً مغموراً ليتحمل مسؤولية بلدهم؟ إن الرواية الموحدية غير كافية وحدها للتعريف بخصوصها، فقد يكون الماسي أحد علماء عصره ومتصوفتها، وقد لا يقل أهمية عن زعيم الموحدين ابن تومرت، ولذا يبقى التساؤل مطروحا حول قيمة هذه الشخصية، وكذا عن شخصيات أخرى قادت الثورة منطلقاً من نفس المجال الجغرافي أي السوس والقبلي أي جزولة، مثل أبي قسبة والقحطاني والجزولي وغيرهم.

ابن أبي زرع، القرباس؛ ابن عذارى، البيان المغرب؛ ابن خلدون، العبر؛ البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص. 67؛ ابن الأبار، إعتاب الكتاب، دمشق، 1961؛ ابن الخطيب، الإحاطة؛ العيوني، كتاب البلدان؛ ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، بيروت، 1970؛ الحميري، الروض المغطر؛ الحسن الوزان، وصف إفريقيا، 1؛ 90، الرياض، 1980؛ مجهول، الحلل الموشية، ص. 146؛ أحمد عزوي، رسائل موحدية، الدار البيضاء، 1995 - 2001.

أحمد عزوي

هوري (الجنيرال - Huré Antoine Jules Joseph)، من أسرة أرستقراطية - تتوارث أفرادها العمل في الجيش - حتى أن أحد أبنائه أصبح بدوره جنيرالاً. تلقى تعليمه وتكوينه العسكري في مدرسة "سان سير"، وبعد الحرب العالمية الأولى التحق بالمغرب بالضباط الملتفين حول المقيم العام "ليوطي" في القيادة العليا، وخلال 1919 عين "العقيد هوري" كرئيس لفريق الضباط المكلفين بإخماد مقاومة تافيلالت تحت قيادة الجنيرال بوميسيرو Poymirau الذي جرح خلال معارك تافيلالت. فعوضه هوري. ووجهه "ليوطي" إلى منطقة ورغة سنة 1919، وذلك لإنقاذ القوات الفرنسية التي حاصرها المقاومون الريفيون وأبادوا جزءاً كبيراً منها. ونودي عليه إلى فرنسا ليعود إلى المغرب سنة 1925، وليشارك في الحرب الريفية على رأس وحدة الهندسة. وبعد نهاية حرب الريف تمت ترقبته إلى رتبة جنيرال وعين قائداً للقوات في المنطقة العسكرية بمراكش.

وقد خولت له سلطات واسعة من أجل استكمال التوسع في الناحية الوسطى للأطلس الكبير والواحات مثل ورزازات ودرعة ودادس وتدغة أو ما تسميه سلطات الحماية المرحلة النهائية من الاحتلال، وقد منحه المقيم العام "لوسيان سان"

Lucien Saint سلطات واسعة للقيام بهذه المهمة. وأحاط نفسه بمجموعة من الضباط اكتسبوا التجربة في الاحتلال والتوسع أمثال الجنرالين كاترو Catroux وجيرو، Giraud. أكسبته أبهة عسكرية إذ كان الضباط والجنود يخصصونه بإجلال كبير. وهي الهالة التي استمدتها من مؤطره "ليوطي". وتمكن في ظرف وجيز من مد نفوذ فرنسا نحو مراكش ودرعة ودادس وتدغة ما بين 1928 و1931 مستغلاً تراجع نفوذ باشا مراكش "الكلوي" في هذه المناطق، كما عمل على إخماد مقاومة آيت عطا بجبل صاغرو بقيادة عسو وسلام حيث أقام مركز قيادته بيومالين دادس على مشارف "صاغرو"، وقد صادق على الحطة التي استهدفت إحكام الحصار على صاغرو ما بين 28 فبراير 1933 / 19 و25 مارس 1933 لإرغام المقاومين على الاستسلام من فرط المجاعة والعطش بعد قنبلة عيون الماء وإحراق الماشية بالطيران الحربي (Le Blocus). وبذلك فتح المجال للجنرال هوري للحضور يوم 25 مارس 1933 إلى زاوية "خويا إبراهيم" لحضور مراسيم استسلام "عسو وسلام" حسب البرقية التي توصل بها. في حين أن عسو وسلام نزل للتفاوض وليس للاستسلام، ولولا حنكة المترجم "يلمدني" الذي حرك مضمون خطاب "هوري" المشحون بالرعب والتهديد لتحول اللقاء إلى هزيمة أخرى للضباط لو عرف عسو وسلام بمضمون الخطاب. وقد ساعدت هذه الانتصارات على تعيينه قائداً عاماً للقوات الفرنسية بالمغرب.

وعلى إثر نهاية مقاومة صاغرو تداولت صحف الاستعمار في فرنسا والمغرب التنويه به اسم الجنيرال هوري وأطلقت عليه "رجل الباسفنيكاسيون" L'homme de pacification الأول. وهذا ما شجعه للإشراف على إخماد مقاومة "آيت مرغاد"؛ بجبل "بادو" في غشت 1933. ونودي عليه ليصبح ضمن أهم الاستراتيجيين ومن عليية الضباط ضمن قيادة الأركان في فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية. وأحيط بالهالة والتمجيد من طرف العسكريين.

توفي سنة 1949.

Cl. Saulay Jean, *Histoire des Goums marocains*, t. I, Publics Réalisation, Paris, 1981 ; Henri Bordeaux, *Henry de Bourmazel*, Paris, 1939, Plom ; Général Catroux, *Lyautey le marocain*, Paris, 1952, Hachette ; Général Huré, *La pacification du Maroc, dernière étape 1931-1934*, Paris, 1946, René Julliard ; Lt. Colonel A. Juin, *Achèvement de la pacification de l'Atlas central*, in *Revue Militaire Française*, n° 163, janvier 1935 ; Colonel Belmadani, *Benhayoun*, Mémoires (indéties)

عبد القادر بوراس

الدهوزالي أو **هوزلي** هو اسم عسائلي لأسر من أصل

سوسي، وجدوا الاسم في رسوم أملاك أراضيهم، حيث يرد توالي أسماء الخلف والسلف متبوعة بكلمة الهوزالات. والقاسم المشترك بين المنتسبين لهذا الاسم هو انتمائهم إلى أسر فقهاء من قبيلة "إندوزال"، كما أطلق الاسم تاريخياً على بعض الأدباء والكتّاب والشعراء الذين برزوا في عهد الدولة السعودية وعملوا في بلاطها ككتّاب وأمناء، والمؤكّد

أن هذا الاسم هو اسم نسب إلى قبيلتين بسوس الأولى تعرف بإندوزال (بضم الدال) وهي الأصل تقيم بالجبال الشمالية للأطلس الصغير بدائرة إغرم جنوب تارودانت تحيط بها قبائل اكطوية شمالا وإداوزكري وسندالة غربا وإداوكنسوس جنوبا وإداونظيف شرقا وهذه الأخيرة تفصلها عن قبيلة متفرعة عنها انداوزال (بفتح الدال) انتقلت بعد ارتفاع الكثافة البشرية بموطنها الأصلي إلى مجال رعوي أوسع يتكون من تلال تكسوها غابات شجر الأركان. احترفت الرعي بالإضافة إلى زراعة بورية للحبوب وبعض أشجار اللوز والتين الشوكي. أما قبيلة إندوزال الأم فإنها تستقر بمناطق رطبة نسبيا لارتفاع جبالها وتساقط بعض الثلوج، تمارس زراعة مسقية بفقور الأودية والأحواض حيث تتوفر إمكانية السقي وزراعة بورية ببعض المنحدرات والمحدبات. والمعروف لدى الباحثين أن هذه التسمية مستمدة من أوزال أي الحديد، ذلك أن هؤلاء السكان كانوا يهتمون بحرف صهر المعادن خاصة معدن الحديد المؤكسد طبيعيا والذي يسهل صهره وقطعه والموجود في بعض الشقوق على شكل طبقات رقيقة غالبا، توجد مناجم تاريخية له بتيزي وانوس وتيزي فوكان بدائرة إغرم، يصهرون صخوره في أفران تعمل بالفحم الخشبي تتعرض لتهوية قوية بالريح، وقد وصفها بعض الباحثين الأوروبيين الذين شاهدوها في العقد الثاني من القرن (20)، يصنعون منه أدوات حديدية خاصة الخناجر وأدوات الفلاحة، كما يهتمون بصهر وتصنيع أدوات نحاسية، فيكون معنى التسمية إندوزال هي أهل الحديد.

إن الشيء اللافت للانتباه هو كيف ينسب بعض الأفراد إلى القبيلة أو القبيلتين باسم الأوزالي أو إندوزالي بينما ينتسب إليها آخرون باسم الهوزالي بإضافة الهاء كأداة تعريف بدل الألف واللام، وهذه ظاهرة تتكرر لدى كثير من القبائل بسوس والأطلس الكبير من هسكورة التي تنسب إلى قبيلة إسكورن أو هنتاتة بدل إنتانت. لقد ذكر بعض الباحثين أن العرب في اليمن تستبدل أداة التعريف "أل" بالهاء، إلا أنه لم تكن أي علاقة معروفة لهذه القبائل الأمازيغية الجبلية باليمن ولا بالمهاجرين العرب، كما يذكر بعضهم أن الهوزالي هي تعريب للأوزالي، لكن ما الدافع إلى ذلك؟ بناء على هذا الالتباس يرجح بعض الباحثين أن مصدر الهاء هو أثر اليهود ولغتهم العبرية إذ كان لهم وجود قوي بهذه القبيلة مازالت تشهد عليه بقايا قراهم وأسماء الأماكن وأسماء الأشخاص : يوسف، يعقوب، داود، إسحاق... والأساطير... حتى يقال إن اليهود هم من أدخل صناعة التعدين وصهر المعادن إلى سوس منذ أيام الفنيقيين وكذلك أيام الرومان. فقد مثل اليهود استمرارا لتوافد الفنيقيين والقرطاجيين الذين انطلقوا جميعا من نفس المنطقة الجغرافية وهي الساحل الشامي : سوريا، لبنان، فلسطين، وقد كان اليهود بمثابة تجار الإمبراطورية الرومانية خاصة بشمال

إفريقيا. لكن فقهاء وكتاب سوس القدامى ينكرون أثر اليهود عليهم بفعل تأثير الثقافة الإسلامية والوضع الاجتماعي الذي يعتبر اليهود ذميين يدفعون الجزية.

بحث سوسولوجي وجغرافي، أفكار من دوريات قديمة.

Hespéris-Tamuda ; Les Archives Berbères ; Les Archives du Maroc.

أحمد هوزالي

الهوزالي، أحمد بن يحيى، قائد قواد ولي العهد أبي

عبد الله محمد المامون ابن السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي (1012-986 / 1578-1603). مهر في ميداني النظم والنثر، فمن شعره في مدح السلطان المنصور القصيدة السينية التي مطلعها :

يا صاحبي مهلا علي وعرجا وخذا معي بأعنة الأفراس

كما عرف بقصائده المولدية. كان معاصرا لأكبر أدباء وعلماء عصره أمثال أبي العباس أحمد بن علي المنجور (ت. 995)، وأبي العباس أحمد بن قاسم القدومي (ت. 992) وغيرهما. أوفده السلطان صحبة القائد أحمد بن ودة العمراني إلى الآستانة، وذلك من أجل إصلاح سوء التفاهم السابق مع السلطان العثماني مراد وذلك سنة 989 حيث برهن المترجم عن لباقتة وحسن تصرفه.

توفي بفاس سنة 994 / 1586.

ابن القاضي، الجذوة، 1 : 159 ؛ درة المجال، 1 : 156 ؛ المنتقى المقصور، 1 : 243، نج. م. رزوق ؛ الناصري، الاستقصا، 5 : 95 . 97 ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 2 : 237 ؛ ع. بنعبد الله، الموسوعة المغربية للإعلام، 3 : 158 ؛ ع. بنمنصور، أعلام المغرب العربي، 5 : 200-202 ؛ محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، 2 : 944 ؛ ألف سنة من الوقفات، 320 ؛ م. المختار السوسي، رجالات العلم العربي في سوس، 23 ؛ سوس العالمية، 147-161.

الهوزالي، سعيد بن علي بن مسعود السوسي،

العلامة الفقيه، أحد أفراد الأسرة الهوزالية. ولد سنة 913 حلاه محمد المختار السوسي بـ "علامة فائق متفان. عالي الشأن في علمه وتدرسه وفي شهرته". أخذ عن علماء بارزين أمثال أبي القاسم بن عمر التفتوتي السوسي المعروف بالشيخ (ت. 953)، وأبي عبد الله محمد بن مهدي الغازي (ت. 979)، وأبي عثمان سعيد بن عبد الله التميمي (ت. 1003) وغيرهم. اشتغل بالتدريس، حيث أخذ عنه عدد من العلماء أمثال عبد الرحمان التامنارتي (ت. 1060 / 1650) مؤلف الفوائد الحجة، الذي نوه بمجالس علمه التي كان يتخللها توظيف المستملحات والنكت. ومن الكتب التي قرأها عليه مختصر خليل وألفية ابن مالك والعلوم الفاخرة للشعالبي وغيرها.

ومن أخذ عنه أيضا عمه أحمد بن مسعود الهوزالي (ت. 1030) الفقيه النوازي القاضي.

انخرط المترجم في سلك القضاء بتارودانت لعدة سنوات،

غير أنه ندم على ذلك في آخر حياته، ومن المزايا التي وصف بها استشارته لغيره من العلماء في القضايا التي تحتاج لذلك، مثل قضية التعامل ببيع الثنيا وغيرها.

توفي بتارودانت ليلة الاثنين 10 صفر 1001 / 1593.

ابن القاضي، درة المجال، 3 : 299-300 : الحضيكي، الطبقات، ج 2 : التمارني، الفوائد الجمة، 100-108، تح. اليزيد الراضي، ط 1، 1999 : ع. ابن إبراهيم، الإعلام، 10 : 147، 8 : 522-525 : م. المختار السوسي، المعسول، 7 : 47-51، سوس العالمة، ص. 185، رجالات العلم العربي في سوس، ص. 48 : محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، 3 : 1064-1065 : أ. البوزيدي، معلمة، 8 : 2493 : ابن سودة، الدليل، 2 : 288.

المكي مربي

الهوزالي، علي، الكاتب البارع الفقيه، أحد كتاب الإنشاء بباب ولي العهد بالحضرة الفاسية، من أهل سوس، وبيتهم بيت صلاح ودين، يقول المقرئ : "لقبته بالحضرة الفاسية حماها الله، وأنشدني كثيراً من نظمه في الموسم الميلادي وغيره، وكتبت عنه كثيراً من ذلك".

وقد أورد المقرئ في روضته مجموعة من أشعاره في مدح الرسول عليه السلام، وفي مدح ولي العهد الأمير المأمون السعدي، وبعض غزلياته، كما يشير إلى أن له مشاركة في العلوم والبيان والنحو وغيرها. كان حيا سنة 1012.

من شيوخه القاضي الحميدي والإمام المنجور وأبو القاسم الغساني وغيرهم.

المقرئ، روض الآس، ص. 99-108.

الهوزالي، محمد بن علي من شعراء السلطان أحمد المنصور السعدي، يعرف بالناطقة، تحدث عنه الفشتالي في *مناهل الصفا* أكثر من مرة، فهو من جلساء السلطان أحمد المنصور ومن شعرائه المقدمين، بل كان يلقب بشاعر الدولة، نعته ابن القاضي في *درة المجال*، 2 : 233 ب : "الأديب الناظم الناثر، نابغة زمانه"، وتذكر المصادر أنه أخذ عن أبي العباس المنجور وغيره من علماء الفترة، أغلب شعره في مدح المنصور وفي الإشادة بشخصه في مناسبات مختلفة، وله قصائد في التهئة بانتصارات المغاربة في معركة وادي المخازن وفي فتح السودان، كما أن له قصائد مولدية كان يشارك بها في الاحتفال بمولد الرسول عليه السلام أورد بعضها الفشتالي في *مناهل الصفا*.

والهوزالي هو قاضي الحضرة المحمدية (تارودانت)، وأحد المفتين الذين اشتهر أمرهم ونالوا الحظوة في مراكش وفي المناطق السوسية.

أشعاره موزعة في *مناهل الصفا* للفشتالي وفي *المنتقى المقصور* لابن القاضي وفي *نزهة الحادي لليفرني*، منها في مدح المنصور بعد فتح السودان :

لئن أسلمت أرض الجنوب مقادها فعن كئيب تلقي مقالدها مصر

وتزود زورا العراقة فتتهدي إليكم، وأعناق العدى خضع صغر وتخفق بالوادي المقدس رابسة عليك، وتهوي فيه ألوية حمر قال المقرئ في *روضة الآس* ص. 70 : "انفرد هذا الرجل بمعرفة كتاب *المنتبي* على ما أخبرت به، وله شرح *المنتبي*"، كما أشار إليه الأستاذ حجي في *الحركة الفكرية*، 2 : 408 : "شرح *ديوان المنتبي*، وهو مخطوط بسوس"، إلا أن التوصل إلى هذا الشرح متعذر.

وعلى الرغم من مكانته وشهرته، فلم تكن ترجمته في مصادر العصر وغيرها كافية لاستخلاص ترجمة وافية له، سواء تعلق الأمر بنشأته ودراسته أو بقضائه وفتواه في المحمدية أو بفترة إقامته في مراكش، وكذلك فيما يتعلق بوفاته.

توفي عام 1012.

الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. عبد الله غنون في مواضع متفرقة : ابن القاضي، *المنتقى المقصور*، تح. رزوق، 2 : 629-673 : *درة المجال*، 2 : 233 : اليفراني، *نزهة الحادي*، تح. الشاذلي، ص. 152-201 : التمارني، *الفوائد الجمة*، ص. 40 : الحضيكي، *طبقات*، 2 : 47 : ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5 : 182.

نحاة المريني

الهوزالي، محمد بن علي من العلماء المتخرجين بالزاوية الناصرية بتمغروت وعرف بمشاركته في مختلف الفنون ويتصرفه ويبد اغوجيته في التدريس حيث كان يستعين بالأمازيغية لتحصيل الفهم والهدف. ومثال ذلك ترجمته مختصر خليل إلى السوسية. وتخرج به طلاب كثيرون.

توفي سنة 1162.

م. المختار السوسي، *رجالات العلم بسوس*، ص. 75.

محمد ماگامان

هوشي مين، محمد بن المكي أحد الوجوه الوطنية التي اشتهرت في الدا البيضاء بدءاً من كريان سنطرال وانتهاء بدرب بوشنتوف. وكان يحمل عدة أسماء مستعارة مثل "غاندي" و"لعروبي" و"بولحية" وبالأخص "هوشي مين". والسبب في لقبه الأخير وجود بعض الشبه بينه وبين زعيم الثورة التحريرية في الفيتنام من حيث الالتحاء وضيق العينين. ولد بأحد دواوير أولاد فرج (دكالة) سنة 1924 أو 1925. لا تعلم شيئا عن ظروف هجرته إلى الدار البيضاء، ولكنه استقر في كريان سنطرال واشتغل في معمل كوزيما. وانخرط في صفوف حزب الاستقلال، بل وصار من أنشط عناصره في الحى الصفيحي ومعمل السكر. وكان نشاطه سبباً في طرده من الشركة، مع عدد كبير من المؤطرين النقابيين الآخرين مثل صالح المسكينى ومولاي الحسن "لويبر" وحسن الجناتي وحسن بن الميلودي ولوطفي واعمر السعيد وغيرهم. انخرط في المنظمة السرية إثر نفي السلطان ابن يوسف، واشتغل في صفوفها تحت إمرة إبراهيم

الروادني. أصدرت المحكمة الدائمة للقوات المسلحة الحكم الغيابي بإعدامه مرتين، أولاهما في بداية سنة 1954 والأخرى في نهايتها. نجح من اعتقال السلطات الاستعمارية، لكنه اختطف بعد الاستقلال، ووجد ميتاً بزنقة طيط مليل بين زنقة القاهرة وزنقة 23 بدرب الطلبة الشرفاء يوم السبت 2 رمضان 1375 ، في سياق الاقتتال الذي ثار بين المقاومين بعد الاستقلال.

الندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 526558.

هولندا والمغرب، احتفلت المملكة المغربية والهولندية خلال سنة 2005 بذكرى مرور أربعين سنة من العلاقات بين البلدين. وأقيمت بالمناسبة احتفالات متعددة هدفت إلى استحضار أهم محطات التقارب، والترسيخ للعلاقات المتميزة بين الطرفين خاصة وأنه توجد بهولندا جالية مغربية مهمة مندمجة ومؤطرة في جمعيات مدنية.

تؤكد المصادر التاريخية أن بدايات العلاقات بين البلدين تعود إلى أواخر القرن السادس عشر، حيث سعت "جماعة الإسطادوس" أو "الولايات العامة" إلى ربط علاقات تجارية ودبلوماسية مع الدولة المغربية التي كانت ما تزال تتمتع بهيبة واسعة على النطاق الدولي إثر انتصار معركة وادي المخازن. وانطلاقاً من العقد الأول من القرن السابع عشر، ربطت البلدين مجموعة من الموائيق والمعاهدات هدفت إلى تطبيع العلاقات وتقنين آليات التبادل والتواصل، والتأسيس لقواعد السلم الدائمة قصد وضع حد لأعمال القرصنة (الجهاد البحري) التي كانت نشيطة في عرض السواحل المغربية. وتطرقت المفاوضات كذلك لقضايا الأسرى الهولنديين بالمغرب وتسري نظرائهم المغاربة في أوروبا.

ويحتفظ الأرشيف الوطني بلاهاي بمجموعة من المراسلات المتبادلة بين المخزن المغربي وأمرأ الإسطادوس، شملت قضايا متعددة كالسلم والمبادلات التجارية والدعم بالمدد العسكرية. وقد برزت في هذه الفترة المتقدمة أسرة "بلاش" اليهودية التي أسندت إليها مهام المفاوضات والسفارة (موسى واسحق ودافيد بلاش).

وقد تطورت العلاقات بعد ذلك حيث ربط الهولنديون صلات وطيدة مع الدلايين ثم من بعدهم مع السلاطين العلويين، خاصة مع السلطان مولاي إسماعيل الذي حرص على الرفع من قيمة المبادلات التجارية والحصول على عدة (عسكرية لمواجهة الأخطار الخارجية والشورات الداخلية (معاهدة 1682)). وتعد أسرة طوليدانو اليهودية من أشهر الفاعلين في تحقيق هذا التقارب.

وتعززت العلاقات أكثر خلال القرن الثامن عشر حيث وفد على بلاد الإسطادوس مجموعة من السفراء المغاربة (أشهرهم عبد القادر بيريس السلاوي ممثل السلطان مولاي

عبد الله بن إسماعيل الذي عقد اتفاقية 1730). وفي المقابل، لعب القنصل الهولنديون دوراً رائداً في تنشيط المبادلات التجارية والرفع من قيمة المصالح والامتيازات لصالح تجار بلدهم (أهمهم الأخوان فرنسيس ولويس باتلير وديميتري كوليتي). وقد شدد هؤلاء على ضرورة صيانة وحماية السفن الهولندية وحمولاتها في المراسي المغربية.

وفي عهد سيدي محمد بن عبد الله، توطدت العلاقات أكثر فشملت ميادين التجارة والسلم والأمان (اتفاقية 1765)، حيث منحت الولايات العامة امتيازات تفضيلية بالمراسي المغربية، خصوصاً بالصويرة وأسفي والعرانش وتطوان. وقد أوفد السلطان المغربي عدة مبعوثين، أشهرهم محمد الرزيني بقصد شراء العدة العسكرية. وقام بالمقابل القنصل العام وببستير بلونط بدورهم في الدفاع عن المصالح الهولندية بالمغرب وترسيخ الامتيازات الخاصة. وخلال القرن التاسع عشر، تقلصت المصالح الهولندية بالمغرب تحت ضغط المنافسة البشرية للفرنسيين والإنجليز. فالاتفاقية المغربية الإنجليزية لسنة 1856 حدثت من التأثير الهولندي الذي أضحي تانويا ومرتبناً بتقلبات اللعبة السياسية داخل أوروبا وفي البحر الأبيض المتوسط. فالعلاقات المغربية الهولندية اقتصرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على المجالات الدبلوماسية وحل بعض القضايا الطارئة (نهب سفينة "أنا" من عرض خليج الحسيمة سنة 1895). ومع ذلك، استفاد العديد من الرعايا المغاربة (مسلمين ويهود) من الحمايا القنصلية الهولندية التي شكلت إحدى أهم آليات الحضور الهولندي بالمغرب.

وكانت المملكة الهولندية من أولى الدول التي اعترفت باستقلال المغرب وأقامت معه علاقات دبلوماسية واقتصادية متميزة أطرت لها مجموعة من الاتفاقيات الكبرى (سبع اتفاقيات) همت جميع ميادين التبادل والتعاون السياسي والتجاري والعسكري والثقافي والتشريعي... وتتأطر العلاقات بين البلدين عبر قنوات من نوعين: الأولى ثنائية والثانية تندرج ضمن آليات التعاون والتنسيق الأروبي (الاتحاد الأروبي).

تقطن بهولندا جالية مغربية مهمة تقدر بـ 350.000 نسمة، نسبة كبيرة منها تنتمي لمنطقة الريف. وقد استطاعت هذه الجالية بفضل مهاراتها من جهة، وسياسة الدمج المتبعة من طرف الدولة الهولندية من جهة أخرى، من الاندماج في المجتمع الهولندي مع الحفاظ على مقوماتها وهويتها الحضارية والدينية، وعلى أواصر الارتباط بالوطن الأم. ويشكل اليهود المغاربة جزءاً مهماً من هذه الجالية. ويعتبر هؤلاء المغاربة من أهم المستثمرين في الاقتصاد المغربي حيث بلغت حصة تحويلاتهم المالية، سنة 2002، أكثر من ثلاثة مليارات درهم. كما أن عدد مشاريع الاستثمار في تزايد مطرد. وللاستجابة للمتطلبات القانونية والاجتماعية والتعليمية لهذه الجالية، عقد المغرب وهولندا مجموعة من

الاتفاقيات الثنائية تحفظ لهم وضعاً خاصاً وجملة من الامتيازات ذات الطابع الاجتماعي. وإجمالاً، تعتبر العلاقات المغربية الهولندية نموذجاً للتعاون الشامل والإيجابي بين بلدين تربطهما أواصر تاريخية وروابط إنسانية راهنة.

محمد العمراني وعبد العزيز دبور

هوأرة (رقصة -) تستوطن هذه الرقصة منطقة جنوب غرب تارودانت حيث قبيلة هوأرة التي تتكلم العامية وسط القبائل الأمازيغية.

تبدو هذه الأخيرة من الناحية الفرجوية مثيرة وأصلية ومستحسنة تتميز بغرابتها وجاذبيتها، لكنها في نفس الوقت ذات أوجه دلالية عميقة المعنى متعددة اللوحات التأويلية تبدو لها ارتباطات مع معتقدات عميقة في الذاكرة الجماعية. وكغيرها من الرقصات الأخرى تتم عبر أطوار حيث نجد في البداية مجموعة من الراقصين من صف الرجال يقومون بحركات بالأرجل على شكل خطوات إلى الأمام ويتراجعون وفق إيقاع متناغم يشكل الناقوس عماده الأساسي إضافة إلى الطبل والتعريجة والطارة، وترافقه عملية الضرب بالأرجل والتصفيقات. بعدها ينطلق رجل وامرأة من صف الراقصين يقومون بحركات في الهواء كعملية القفز في اتجاه الأعلى، بينما يقوم الراقص بمفرده بتقديم بعض الحركات التعبيرية الإيحائية تندفع نحوه امرأة تحاول اللحاق به بخطى سريعة فيتخلص منها بحركات سريعة يدور خلالها حول نفسه. وفي نفس الوقت يتبادلان المواقع بالقفز عالياً في اتجاه الأعلى، وتقوم الراقصة بضربات قوية على الأرض، وبالقفز مسكة بأطراف قميصها "الدفينة"، وضمن هذه الحركات الإيحائية يتقدم الراقص في اتجاه المرأة يضرب بعضاً خفية يميناً وشمالاً في اتجاهها حيث تعود مهزومة إلى الصف ضمن باقي المشاركين، ويخرج الرجل منتصراً ضد المرأة، وهنا يصل الإيقاع إلى ثابايت أو النهاية.

إن جذور رقصة "هوأرة" تعود إلى أساطير مختلفة لها علاقة بصراع الإنسان ضد الطبيعة، والحياة التي يرمز لها بالمرأة لا سيما إذا وقفنا على أسطورة في المنطقة، تقول بأنه في العصور القديمة هاجم ثعبان كبير قبيلة هوأرة حيث تصدى له رجل شجاع في صراع قاتل انتهى بسيطرة الرجل على الثعبان.

علال رگوگ

هوأرة، قبيلة اعتبرها ابن خلدون ضمن القبائل الكبرى في سوس. احتسبتها الدراسات الحديثة "ضمن قبائل الخلط الذين كانوا في جيش بني مرين، ولما استحكم السعديون بفاس شتتوا هذا الجيش في أنحاء البلاد، فأبعدوا هوأرة من ناحية فاس إلى سوس، ونقلوا الشاردة من سوس إلى أحواز

فاس. إن استقرار هوأرة بسوس في هذه الفترة لا يتعارض مع ما ذهب إليه بعض الدراسات، من كون بعض الفروع الهوأرية وصلت إلى سوس في أيام ثورة بني إيدر أواخر الدولة السعدية". وما يؤكد حداثة استقرار هذه القبيلة في سوس عدم ورود اسمها ضمن قبائل ديوان قبائل سوس للحساني. وقد استقرت في منطقة خصبة من سهل سوس. وتذكر بعض المصادر أنها ساهمت، بشكل كبير، في الأحداث التاريخية لسوس، وخاصة في فترة المولى عبد الله العلوي. فقد قويت شوكتها وكانت بينها وبين هذا السلطان سنة 1147 / 1734 حروب هائلة إلى أن هزمها قائده قاسم بن ريسول وظفر بها وأظهره الله عليها، ونهبت أموالها وتشتت شملها وأذعن أهل سوس لطاعته". ولعل قبيلة هوأرة أصبحت منذ ذلك الوقت شيعة المولى عبد الله، وتصاهرت معه. وأخذت تقدم له التأييد التام. فهي التي قضت على ثورة محمد أوغلي بوتكولا الثائر بسوس سنة 1150 / 1738، حيث قتل في حرب هوأرة من عرب سوس. وفي سنة 1168 / 1754 ثار المكاوي وسيطر على تارودانت، "إلا أن الهشتوكيين وجيش الحكومة [هوأرة] تحت سلطة المولى سرور خليفة السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل في تلك المدينة لاقوه في بسيت (هشتوك) فأصيب الثائر في رأسه برصاصة...".

وتعد هوأرة، عادة، من القبائل المخزنية؛ فهي تتلقى عبر شيوخ زاوية تدسي ظهائر التوقير والاحترام من لدن السلاطين العلويين. ولم تذكر النصوص أنها انتمت إلى أحد الحلفين المشهورين بسوس. ونجدها في سنة 1251 قد أدت للمخزن من المال الناض ما يساوي 12921 مثقال. وأن مجموع مادفعته للمخزن من جمال وخيل يساوي 17073 مثقال.

وعند مرور دي سوكنزاك بسوس في نهاية القرن التاسع عشر، نجد يحده يحصى عشر فخذات من قبيلة هوأرة وهي: الكفشيات - آيت قرايش - أولاد سعيد - الكردان - أولاد حساين - أولاد علي - أولاد قارون - الحفرية - أولاد داحو، وأخيراً قبيلة المحمر.

وبخصوص قبيلة أولاد يحيى فهناك من اعتبرهم ضمن قبائل هوأرة، وهناك من يستبعد ذلك. وقد أشار إليها ابن خلدون (ق 14) ضمن حديثه عن القبائل العربية في سوس. ويعود تاريخ ذكرها في النصوص إلى سنة 1580، حيث نجدها مذكورة في ديوان قبائل سوس. كما أن الحسن الوزان (ق 16) أشار إلى أن "سكان تارودانت يؤدون لهؤلاء الأعراب خراجاً كثيراً". كما وردت أيضاً عند التمارتي (ق 17) في فتوى القاضي عيسى السكتاني، إذ "ستل [السكتاني] عما [...] يدعيه عرب أولاد يحيى في الأملاك التي بأحوازا [تارودانت]" فأجاب بما نصه: "الذي أراه وأدين به أن تارودانت مدينة قديمة وما بإزائها من الأراضي لأهلها فجلوا عنها وتركوها أو ماتوا عنها وأن عمارة العرب حادثة". ويفهم من فتوى قاضي الجماعة، أن

الهوراري، أحمد ابن العلامة المحقق الفلكي القاضي محمد بن أحمد ابن العلامة المحقق القاضي الخطيب الشهير علي الهواري.

ولد بفاس في شهر ربيع الأول عام 1311 ، وبعد حفظ القرآن الكريم سافر وهو ابن عشرة أعوام مع والده إلى الجزائر في بعثة الفقيه الكباص المكلفة آنذاك بتعيين الحدود الجزائرية المغربية. وبعد ذلك توجه معه إلى طنجة حيث عين والده بديوانتها وهناك أكمل حفظ القرآن وأخذ مبادئ اللغة العربية والتوحيد على والده الذي كان عمده في جميع أطوار تربيته وتهذيبه. ثم دخل المدرسة الفرنسية الابتدائية، وبعد أخذه نصيباً من علومها أرسله والده في بعثة من بعض الشبان المغاربة إلى بيروت للجمع بين التعليم العربي والفرنسي. وبعد قضاء طره منها عاد إلى طنجة سنة 1914.

إلا أن ظروف الحرب العالمية الأولى منعت من العودة إلى بيروت، فأتم دراسته بالكوليج الفرنسي بطنجة. ولما أتم تعليمه سنة 1916 ، عين كاتباً بدار النيابة في لجنة الأشغال العمومية ومحرراً لجريدة الترقى ثم عين كاتباً مترجماً بالقسم العدلي بالكتابة العامة للحكومة الشريفة بالرباط. ثم استقال منها، وذهب إلى فاس ففتح مدرسة خصوصية لتعليم اللغة الفرنسية. ثم ترك قيماً عليها ورحل إلى سلا حيث فتح مدرسة أخرى للغرض نفسه. ونظراً لنجاحه في هذا الميدان، استحسنت الحكومة فكرته وسعيه في نشر تعليم اللغة

الفرنسية، ففتحت له هناك مدرسة وجهزتها وأسندت أمرها إليه. فكانت أول مدرسة فرنسية أسست على يده بسلا. عاد إلى طنجة حيث كان والده مستشاراً شرعياً بدار النيابة ثم قاضياً بها فانخرط في وظيفة العدالة فكانت له مدرسة ثانية في ممارسة النوازل الشرعية. ولما عين والده عضواً بالمجلس الاستثنائي الأعلى بالرباط، انتقل معه، فعين سنة 1921 مترجماً في مراقبة سلا بقسم المندوبية. وفي بداية 1922 اتخذته إدارة جريدة السعادة محرراً لها إلى أن صار رئيس تحريرها. وفي سنة 1929 ، عينه المخزن الشريف عضواً بالمحكمة العليا الشريفة. وكان عضواً وكاتباً بجمعية أحباس الحرمين الشريفين وعضواً نائباً لدى المحكمة الفرنسية الابتدائية بالرباط. وأثناء ذلك توجه إلى باريس في بعثة تخطيط قبلة مسجدتها الإسلامي، ثم في سنة 1934 رخص له المخزن بالحج إلى بيت الله الحرام، فزار خلال سفره بلاد مصر والشام وفلسطين وتركيا وعدة عواصم من بلاد أوربا. وقد ألف في سفره هذا كتاب "دليل الحج والسياحة" سنة 1935 ، كما ألف كتاب "المستدركات السنوية في تعلم اللغة الفرنسية" سنة 1936. وفي سنة 1941 ألف كتاباً بعنوان : "الدين النصيحة" ويتضمن محاضرة ألقاها في مركز إذاعة راديو المغرب بالرباط يوم الخميس متم رمضان 1359 / 31 أكتوبر 1940 ، وخطاباً ألقاه في مسجد باريس بحضور جلالة الملك محمد الخامس. وأنعمت عليه الحكومة الفرنسية بوسام العلوم، كما أنعم عليه المخزن الشريف بالوسام العلوي المنيف

استقرار عرب أولاد يحيى حديث. وقد يعود إلى القرن الثالث عشر والرابع عشر، إبان ثورة علي الزكندري في سوس. ويعتقد المختار السوسي أنهم من بقايا قبيلة الشبان التي وصلت إلى سوس مع تلك الثورة. وللشبان فروع كثيرة في سوس كأولاد جرار. وغالبا ما تجمع هذه القبيلة ضمن قبائل رأس الوادي التي تشمل المنابهة، وتيسوت، وإرازان، وأيت بويكر، وأيت إيكاس، وإن كان صاحب ديوان قبائل سوس قد أفردا بأربعين سرجة فقط وهي قسم من قبائل هواره. ووردت في كناش الضرائب المخزنية سنة 1251 / 1835 بنصف القبيلة، مثلها مثل قبيلة المنابهة. وقد أدت للمخزن سنة 1251 / 1835 بمناسبة الأعياد الدينية ما مقداره 15000 مثقال، وأدت كذلك سنة 1253 / 1837 مامقداره 20000 مثقال. ويعني ذلك أنها أصبحت خلال هذه الفترة ضمن القبائل الخاضعة للمخزن.

م. المختار السوسي، المعسول، ج 14، الدار البيضاء، 1961 ؛ عمر أفا، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر، 1822 / 1906 ، كلية الآداب بأكادير، 1988 ؛ إبراهيم بن علي الحساني، ديوان قبائل سوس، تج. عمر أفا، 1989 ؛ عبد الكريم بن موسى الريفي، زهر الأكم، د. تج. أسية بنعددة، الدار البيضاء، 1992 ؛ م. الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، كلية الآداب بالرباط، 1992 ؛ الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تر. محمد حجي وأحمد الأخضر ؛ ع. الرحمان التسنارتي، الفوائد الجمدة في إسناد علوم الأمة، مخطوط بكلية الآداب بالرباط.

محمد حنداين

الهوراري (سيدي -) أحمد أحد أعيان مدينة إنزكان اشتغل "وكيلاً للغياب" في المحكمة الشرعية بالمدينة لمساعدة القاضي الشرعي في عهد الحماية، وبداية عهد الاستقلال. ازداد سنة 1908. أصل عائلته من قبيلة مسكينة شرق مدينة أكادير، كان والده حريصاً على أن يتعلم بمعيه أخيه علي بالمدارس العتيقة، فحفظ القرآن وانخرط في دراسة بعض العلوم التقليدية، فاشتغل باسم الهواري لدراسته بمدارس قبيلة هواره، بينما اشتهر أخوه علي باسم العيساوي، بعد انخراطهما معاً في الوظيفة المخزنية في عهد الحماية. وإلى جانب تعيينه في وظيفته "وكيل الغياب" سنة 1930 كانت له مصاهرة مع الشيخ حمو أحد أعيان سوس المشهورين، فكانت له وجاهة بالمدينة، واشتهر بالرزانة وعلو الهمة وبالكرم. ويعدُّ من حافظ علي ذاكرة المدينة في أعرافها بخصوص مواظبته على تزويد طلبة القرآن والعلم بالمؤن "الرتبية" بالمدرسة العتيقة المشهورة بإنزكان إلى بداية الاستقلال.

توفي ليلة القدر من رمضان 1388 موافق 18 دجنبر 1968.

مذكرات شخصية ؛ محمد بن علي العيساوي ابن أخيه، رواية شفوية، سنة 2004.

Livre d'or, Empire chérifien, Paris, 1936, p. 80.

عمر أفا

من درجة ضابط، وقلده سمو باي تونس نيشان الافتخار من درجة ضابط كذلك.

توفي ليلة الخميس ثامن ذي الحجة 1372 / 19 غشت 1953 بمدينة الدار البيضاء، ودفن بروضة أهل فاس بنفس المدينة.

محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج 9 : الدين النصيحة، الرباط، 1941.

صالح شكاك

الهواري، أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر

الهواري، من عرب تميم، فر إلى تونس صغيرا ثم عاد إلى المغرب وأقام به مدة ثم عاد إلى تونس، كان من أهل الخير والعبادة وصلاح الحالات، وحضور مجالس العلم ومحبة العلماء والصالحين والزهد، والاشتغال بتلاوة القرآن وابتذال النفس في خدمة المساجد والزوايا. كان موسوما كذلك بتخريب العادات والإخلال في الظاهر بأمر العبادات، وله الكرامات الظاهرة والمناقب السنية الباهرة.

اشتغل بتأديب الصبيان، ألف فيه العلامة عمر بن علي الجزائري الراشدي تأليفا سماه : "إبتسام العروس ووشي الطروس بمناقب الشيخ أحمد ابن عروس".

توفي صبيحة يوم السبت 8 صفر عام 868 بتونس.

المراكشي، الإعلام، 2 : 226 - 228 ؛ بنعبد الله، الموسوعة المغربية، 58 : 2

بوعبيد التركي

الهواري (ابن -) الحاج عبيد الرحمن أحد رجالات

الموسيقى الأندلسية بمدينة أسفي. ظهر على الساحة الفنية في العقد الرابع من القرن العشرين، فكان من ألمع من أنجبتهم المدينة في دنيا الآلة.

كان بلهوارى على إمام واسع بمستعملات الآلة، يحفظ نوياتها وميازينها، ويجيد العزف على البيانو والكمان. وقد فتح ناديا خاصا بحي التراب الصيني، يلتقي فيه الهواة بعد صلاة العصر من كل يوم، فيتمنون على حفظ الميازين وأداء التواشي، فإذا قضاوا صلاة العشاء عادوا للاجتماع في بيته.

التأم الهواة حول بلهوارى، وفيهم المنشدون والعازفون أمثال عازف البيانو عبد القادر بلحسن، وضاربو العود، أحمد الركيك وأحمد العويني، وعازفو الكمان : الحاج أحمد الوزاني، وعبد السلام الركيك، وعبد الواحد الحكيم، والربايبي التهامي الحمار، وعازف القانون مولاي عبد الرحمن الوزاني وآخرون.

ومن جهة أخرى فقد كان للحاج بلهوارى دور كبير في توثيق الروابط مع بعض مشاهير الآلة بالمغرب، فكانوا يتوافدون عليه ويقيمون في ضيافته أياما وأسابيع، يحضرون حلقات التمرين التي يشرف عليها في حي تراب الصيني

وفي ضيعته بجمعة سحيم، ويلقنون رواد المجلس الميازين وطرق العزف، وبذلك تحولت مجالس الحاج بلهوارى إلى مراكز تلقن فيها مستعملات الآلة.

ومن بين من توافد على الحاج بلهوارى وحضر هذه الحلقات فنانون مشهورون فيهم من فاس الفقيه المطيري، ومحمد بن عبد السلام البريحي، ومحمد دادي، وعزوز بناني، والغالي الشرايبي، ومن مراكش عبد السلام الخياطي، والحاج محمد بلفاطمي، وعباس بن الغالي، وعبد الله الحنفي، ومحمد بلمقدم، ومن الرباط أحمد بن المحجوب زنيير، ومن تطوان محمد العربي التمساني.

وقد شكل الحاج بلهوارى جوفا عمدته خريجو نادي حي تراب الصيني كمحمد الشقوري، وعبد القادر شيبوب، وعبد الواحد الحكيم، وشقيقه عبد القادر، وعبد السلام بنهيمة، وأحمد الرقاع ؛ وظل هذا الجوق قائما حتى وفاة مؤسسه، فألت رئاسته إلى تلميذه عبد القادر الحكيم.

توفي بلهوارى خلال موسم الحج في شهر ذي الحجة 1371 / غشت 1952.

ع. العزيز بن عبد الجليل، مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية، الدار البيضاء، 2000، ص. 256 - 259.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الهواري، عبد السلام بن محمد بن الطاهر، ولد

حوالي 1258 / 1842 من صدور علماء المغرب، وأحد الذين انتهت إليهم الرياسة الفقهية، ومن أهل المشاركة والاطلاع والحفظ والتضلع في الفقهيات واستنباط الجزئيات من الكليات. وكان على ما أثر عن بعض تلاميذه ومعاصره، يجلب في دروسه الكثير من النصوص ويستحضر في قراءة المختصر بالحطاب وغيره من شراحه مع البحث الكثير وتوضيح المشكلات وجمع المسائل والنظائر، وكان مرجعا في النوازل الفقهية، ممارسا للأحكام والتوثيق.

ولي قضاء فاس الجديد نائبا عن قاضي الجماعة عبد الهادي الصقلي، ثم استقل به، ونقل بعد ذلك لقضاء القصر الكبير ومنه لقضاء طنجة، وانتدب للنظر في بعض القضايا بمراكش، وبعد قفوله من هذه المهمة عين على قضاء ثغر الصويرة، وبعد إعفائه رجع إلى بلده فاس نائبا عن قاضي الجماعة بها عبد الله بن خضرا لمقصورة السماط، ولما توفي ابن خضرا استقل بها، ثم نقل لمقصورة الرصيف وبقي بها إلى آخر أيامه.

ألف الهواري عددا من المؤلفات منها شرحه لوثائق بناني المعمول بها عند أهل فاس والمغرب، شرح ألفاظها والمستغلق منها وجلب على كل جزئية ما تستدعيه من قواعد فقهية، وتطرق فيه إلى أهمية وشرف علم الوثائق موضحا صفات الموثق وعناصر الوثيقة مع عرض أمثلة من وثائق النكاح

الهُوَارِي، علي بن العربي الشيخ سيدي علي بن سيدي العربي بن بابا الهواري، شيخ زاوية سيدي الهواري الدرقاوية بفركلة (قرب تنجداد الحالية)، اشتهر وارتبط مصيره بأحداث تطورات الجنوب الشرقي للمغرب إبان الغزو الفرنسي سنة 1918.

يُعرفه المهدي الناصري الذي ترجم له وتناول الأحداث التي وجد الشيخ نفسه في خضمها وألت في النهاية إلى اغتياله بقوله : "واعلم أن هذا الشيخ كان من الفضال السادات الكمال [...] فَسَلَّ عنه أهل العلم والعقل والحجا، ومن كان ذا تقوى وكل ذوي نسك"، [...] فقد كان ... عجيب الحال كبير الشأن رفيع القدر [...] أخذ الطريقة الدرقاوية الشاذلية الزروقية عن والده الشيخ المشهور سيدي العربي بن بابا الهواري، وهو عن حجة الإسلام وكهف الأنام أبي عبد الله سيدي محمد العربي المدغري"، لتتصل سلسلة شيوخه إلى القطب مولاي عبد السلام بن مشيش.

كان له ولزاورته نفوذ لدى قبيلة آيت مرغاد المنتسمة لاحتفادية آيت يافلماں القوية بالمنطقة، ونظرا لتزعم درقاوي الجنوب الشرقي للجهاد ضد الغزو الفرنسي فإن الهواري لم يكن استثناء في البداية، إذ انضم مع آيت مرغاد سنة 1918 إلى زعيم المقاومة بتافيلالت مبارك التوزونيني عقب الانتصار الذي حققه خليفته بلقاسم النكاوي على رأس مجاهدي إيميلوان وآيت إنعزا وآيت خباش وبني محمد في معركة البطحاء في صيف تلك السنة. لكن الشيخ تراجع عن دعم المقاومة إذ "لما تيقن ... مقصود الفتان وأوباش من معه من أهل السفالة الأدران، ورأى من جبرهم وإكراههم الرجال على البيعة ما أطلععه على حقيقة الحال، وأن المقصود هو الفتنة والسعي في الأرض بالفساد، لا ما يزعمونه من قربة الجهاد، انقلب راجعا واسترجع وثاب ونوى عدم العود لموجبات الخسر والتباب. ولما توسط الطريق كتب لجيوش مرغاد خصوصا الأعيان وأهل الدين والصدق والإيمان، يقول لهم من كان منا والينا وصحت نيته واعتقاده فينا فليرجع لداره معنا، فليس تمّ جهاد بل طلب الملك والسعي في الأرض بالفساد وإيقاد نار الفتنة وسفك الدماء وإضرار العباد، فانقلب راجعا مع الشيخ كل من فيه فائدة ومنفعة ومعنى زائدة، فأسرّها في نفسه الفتان ولم يبدها له". ولم يكتف الشيخ الهواري بسحب دعمه وحمل آيت مرغاد على الابتعاد عن حركة المقاومة فحسب، بل انتقل إلى المعسكر المضاد بتحالفه مع التهامي الكلاوي المدعوم فرنسيا عندما قاد حركة إلى تودغا، لتشتبك خيوط الرهانات بين مصالح الفرنسيين وحليفهم الكلاوي وزعامة المقاومة بتافيلالت، فاحتدت التقاطبات القبلية بين الطرفين شهدت فيها المنطقة أحداثا ووقائع لا تزال كثير من جوانبها في حاجة إلى إيظاف اللثام عنها، "قاضطرب إذ ذلك أمر غريس وفركلة وكدر ماؤهما وكشر غوغاؤهما .. وعظم خطيئتهما"، إذ تدخلت جيوش التوزونيني بقوة لتثبيت سيطرته في الواحيتين التي

والطلاق والإرث والوكالة والشركة وغيرها. (طبع بفاس مرارا)، ومنها حاشيته على تحفة الحذاق للشيخ التاودي بن سودة التي شرح بها تحفة الحكام في مسائل الدعاوي والأحكام للإمام الزقاق، وكذا تأليفه في بدعة صلاة العيدين بالمساجد جماعات كلما صلت جماعة خلفتها جماعة أخرى، وتأليف في التعريف بشيخه أبي علي الحسن گنبور سماه تنوير الصدور بالتعريف بالحاج گنبور وغيره، وله غير ذلك.

توفي يوم الجمعة 23 جمادى الأخيرة عام 1328 / 1910 ودفن بالزاوية الشراذية بفاس عن يمين محرابها.

ع. الحفيظ الفاسي، رياض الجنة، 2 : 110-113. الإدريسي، معجم المطبوعات المغربية، 353-354. الحجوي، الفكر السامي، 4 : 147. م. الكستاني، تحفة الأكياس؛ زهر الآس، 2 : 248؛ الكتاني، فهرس الفهارس، 1 : 292؛ الزركلي، الأعلام، 4 : 132؛ إيقاظ السريرة، 135؛ معجم المؤلفين، 5 : 231؛ ليثي - بروفسال، مؤرخو الشرفا، 373؛ فهرس المخطوطات العربية، مج 5 : 95.

الهُوَارِي، علي بن أحمد، الفقيه النوازلي قاضي فاس الجديد، كان عدلا مبرزا بسماط فاس، تولى قضاء مراكش، والخطابة بمسجدها الأعظم، وفي آخر سنة 1272 انتقل لقضاء فاس الجديد نائبا عن الشريف العلامة القاضي بفاس البالي محمد - فتحا - بن عبد الرحمان العلوي الحسني، وبقي بها مدة ثم انتقل قاضيا لثغر الصويرة وبه أعفي.

اشتهر بالتدريس في جميع الفنون والمشاركة في علوم المعاني والبيان والمنطق وأصلي ابن الحاجب. انتفع أهل فاس وغيرهم من علمه الغزير، وأفادوا من معارفه المتعددة المشارب، فكانت مجالسه عامرة زاهرة، يؤمها أعيان فاس وكبرائها لما يتخللها من نكت علمية وفوائد دينية ودنيوية، لما كان يتمتع به من فطنة وحكمة بالغة، وكان صاحب فتوى يرجع إليه في مهمات المسائل وله فيها النظر الثاقب والمخرج الميسر. فبرع في تدريس الألفية بالتصريح وحاشية ابن كيران ويزيد معها حاشيتي يس على النظم والتصريح. وفي عام 1261 انتقل بأمر مولوي لمحروسة مراكش بقصد الإقراء مع أولاد السلطان، منهم مولاي العباس، في معقولات المنطق ومنقولات المذهب.

ألف تأليف منها نصيحة المغتر، إلى جانب ما أصدره من فتاوى في مسائل كثيرة تنبئ عن تبحر في الشريعة كما تظهر امتلاكه لناصية القول مسبوكة في وجوه من البيان بديعة.

توفي بفاس الجديد في 27 ذي الحجة 1299، ودفن بزاوية الشيخ بورمضان بالمنية.

المراكشي، الإعلام بن حل مراكش وأغمات من الأعلام، 9 : 249. 253؛ ابن سودة، إتحاف المطالع؛ موسوعة أعلام المغرب، 7 : 2673.

عبد المجيد بوكاري

أنظام كثيرة في فنون شتى، و أشعار أدبية ومكاتبات وأسجاع تنبئ عن علو كعبه في الأدب وعلوم العربية. توفي صبيحة يوم السبت 20 محرم 1220، ودفن بضريح سيدي أنوار، من درب سيدي العواد. جعفر الكتاني، الشرب المختصر والسر المنتظر من معين بعض أهل القرن الثالث عشر، ص. 7-8 : محمد الكتاني، تحفة الأكياس ومفاكحة الجلاس : زهر الآس، 2 : 247. عبد المجيد بوكاري

هوير، نوع من الرقص لا يزال يصادف في مناطق عبدة والشياطمة، وهناك تشابه كبير بين هذه الفرق وفرق أخرى مشهورة توجد في مختلف مناطق المغرب، ويتعلق الأمر "بعبيدات الرمي" فالهوير فرقة موسيقية. من الرجال يستعملون من الأدوات الموسيقية : "التعريجة" والبندير و"الصينية" و"المقص" وفي حالات أخرى يستعملون "الغصب" أو "المشروك" كأدوات للنفخ.

وتقوم المجموعة بالغناء على شكل جماعي، وفي أحيان أخرى يؤدي مقدم الفرقة بعض المقاطع، بصفة انفرادية وتردد الجماعة ما يقول. وهناك رجل يقوم بعملية الرقص، وأحيانا يتنكر في زي المرأة.

أما بخصوص ماتغنيه هذه الفرق من حيث النوع، فهو في غالبية عبارة عن بروال قد يكون صوفيا أو عاطفيا. ومن حيث النصوص الشعرية التي تؤديها فلا شيء يؤكد بأنها كانت مكتوبة من طرف شخص واحد، مما يعني أن أغلب كتاب هذه النصوص مجهولون. وهذه الحقيقة يمكننا لمسها في الميدان خصوصا في المواسم حيث تكثر عمليات ارتجال الشعر.

علال رگوگ

الدهيبة، الشيخ أحمد ولد في رمضان عام 1294 / 1875 بمضارب والده الشيخ ماء العينين بالساقية الحمراء. ورغم أنه لم يكن وحيدا في أسرته ولا أكبر إخوته ولا أصغرهم سنا، فقد حظي بمكانة خاصة عند والده، فكان يتعهد بنفسه ويخصه برعايته واهتمامه، ويضفي عليه أحسن الألقاب، فكان يلقبه بدليل الخيرات، وكان يهيئه منذ صغره لخلافته، فيصحبه معه في رحلاته وأسفاره ويجلسه في مجالسه ويجعله نائبا عنه في كثير من الأمور التي بينه مع السلاطين وغيرهم، فارتفع صيته بذلك وحسن في أكثر الأمصار، فمن ذلك توجيهه عام 1323 للسلطان مولاي عبد العزيز. ثم توجيهه أيضاً للسلطان مولاي عبد الحفيظ سنة 1327، فكان ذلك سببا لإغناء تجارته وتأهيله إلى تحمل المسؤولية. بعد وفاة والده الشيخ ماء العينين سنة 1328 / 1910، تولى إمارة الجهاد في الجنوب المغربي، فدخل مراكش سنة 1912 واشتبكت قواته مع الجيوش الفرنسية في سيدي بوعثمان، غير أن ضعف إمكانياته وتآمر بعض الخونة على

كان كثير من أتباع الهواري يقطنونها، وما لبثت زاويته ذاتها أن تعرضت لحصار قوات خليفتي التوزونيني العربي السريري ولحسن العيساوي المشكلة في أغلبها من آيت مرغاد، قبل أن يتولى قيادة العمليات الحربية بأعلي التزاري. وفي أوج محنة الشيخ ومعاناته من الحصار والعمليات الحربية انتقلت زعامة حركة المقاومة إلى محمد بلقاسم النكادي بعد تصفية التوزونيني في أكتوبر 1919، فبادر النكادي إلى مراسلة الشيخ الهواري طالبا الصفع عما سلف ونجح في استدراجه إلى تافيلالت، ثم لما مثل الشيخ وأصحابه بين يدي الفتان الأنكادي سلطان بل شيطان كل معاند مضادي الذي لم يزل على ضلالتة ممادي، أمر بهم فقتلوا واحدا بعد واحد يجعلهم بغم مدفع فتطير أشلاؤهم ... فلما أوتي بالشيخ وكان آخرهم قتلا، قصدا منهم ليرى ما حل بأصحابه تعنتا وخروجا عن الحق وميلا، وجد على أحسن الهيئات وفي غاية ما يكون من الثبات، يحرك شفثيه بالذكر والقراءة، ولم يرفع قط بصره ولم يلتفت وراءه، وحيثه تسيل عرقا كثيرا ووجهه يبرق بروقا ويتلأأ نورا، وهو كذلك حتى كوروا المدفع فطارت أوصال شلؤ مُمَزَّعٌ. وبعد تصفية الشيخ علي بن العربي الهواري يادر خلفاء النكادي إلى هدم زاويته "وطمس معالمها وتغيير محاسنها" على حد تعبير المهدي الناصري.

المهدي الناصري، نعت الفطرس، مخطوط خاص، صفرو، ورقة 114، ج 16، ص. 271-304 : م. المختار السوسي، المعسر، ج 16، ص. 287 وما بعدها. محمد بوكربط

الهواري، محمد بن طاهر، من أعيان القرن الرابع عشر، من القضاة المبرزين في الحضرة الإدريسية، ومن إليهم المرجع في المعوصات الشرعية، علامة فهامة، كثير المباحث في كل فن، اتصف بالإتقان، وعلم بالتحقيق والإيقان. أخذ عن عدة شيوخ كالعلامة أحمد الزبادي، أخذ عنه الأدب والعروض، وأخذ العربية والتفسير والحديث عن العلامة مولاي عبد الرحمان المنجرة، وأخذ الفقه والأصول والمنطق والبيان عن العلامة أبي حفص الفاسي. وأخذ عنه السلطان المولى سليمان النحو والأدب والمنطق والبيان وهو عمدته فيها. ولي القضاء بالحضرة الإدريسية في شعبان سنة 1195، فاستحسن سيرته وحمدت سريرته، ثم أصر ثم ولي في الدولة الزيادية.

وله تأليف عديدة منها : حاشية على شرح سيدي سعيد قدورة سماها اليواقيت المنشورة، وأرجوزة في علم الكلام، وأخرى في المنطق، وأخرى في أنواع الجناس سماها تحفة الجلاس في جمع ما جاء في الجناس، وأخرى فيما انفرد به ابن عاصم في تحفته من الصور عن مختصر خليل. إضافة

المقاومة المسلحة في الجنوب المغربي لم يمكنه من تحقيق مطامحه، فعاد إلى سوس وواصل مقاومة فرنسا.

خلف عدة أعمال أدبية وعلمية منها "سراج الظلم" مخطوط خاص "سراوقات الله الدافعات في البلايا والطواعين والأمراض والمهمات" مخطوط. أجوبة فقهية مختلفة طبع بعضها بذييل كتاب نعت البدايات وتوصيف النهايات لوالده الشيخ ماء العينين.

توفي سنة 1337 / 1919 بكردوس.

م. الغيث النعمة، الأبحر المعينية في الأمداح المعينية، ج 1، ورقة 14، مخطوط بالخزانة العامة، الرباط، رقم د 1376؛ ماء العينين بن العتيق، سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان، ورقة 128، مخطوط خاص؛ ديوان الشيخ أحمد الهيبة، جمع وتحقيق م. الظريف، ص. 25، 1998؛ محمد الظريف، الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين، ص. 48، منشورات مؤسسة الشيخ مريبه ربه، 2003.

هيبه، محمد سيداتي هو حفيد الشيخ ماء العينين من

ابنه الشيخ أحمد الهيبة، ولد بتنالت سنة 1335 / 1916. ونشأ في كنف عمه الشيخ مريبه ربه. ساهم بدور فعال في الدفاع عن وحدة المغرب وسيادته في أقاليمه الصحراوية بلسانه ومواقفه الوطنية، وقد سجن بسبب ذلك بجزر الخالدات هو وبعض رفاقه في الكفاح الوطني في أقاليم المغرب الجنوبية. بعد استقلال المغرب تولى رئاسة محكمة السد بإقليم طرفاية. خلف عدة أعمال أدبية منها :

- ديوان شعر في مختلف الأغراض، لا يزال مخطوطاً.

- عقد الجمان في محاسن الحسان، وهو مختارات شعرية في محاسن الحسان، لا يزال مخطوطاً عند ابنه الشاعر الأديب ماء العينين محمد الإمام بتارودانت.

توفي سنة 1393 / 1974.

محمد الظريف، الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين، ص. 160، منشورات مؤسسة الشيخ مريبه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، 2003.

محمد الظريف

الهيئة (رقصة -) شعبية منتشرة في سهول الغرب

وحوض سبو، تستمد تسميتها من "التهييت" بمعنى دعوة الشخص والصيح به، ومنه عبارة "تَيْهَيْتَ" الجارية على لسان العامة بمعنى "ينادي".

تنظم رقصة "الهيئة" في مناسبات الحفلات العامة والأعراس العائلية ومواسم الحصاد والجني. وهي تظاهرة احتفالية جماعية يشترك في أدائها الرجال والنساء. وذلك وفق حركات مضبوطة ومحددة تجسد معاني البطولة والفروسية والصمود. يقف الراقصون والراقصات صفين متقابلين، وتنفرد النساء بوضع "الشد" على وجوههن، و"الحمالات" على أذرعهن، وربط "الكررات" بشعورهن، وفي مشاهد شيقة نابضة بالحياة والرشاقة يتحرك الطرفان بين

تقدم إلى الأمام وتقهقر إلى الوراء، ثم يتوسط الساحة راقص وراقصة، فيخطون على إيقاع الطبل جيئة وذهاباً وفق حركات منتظمة يطلق عليها "حساب"؛ فإذا بلغت الرقصة مشهدها الأخير امتدت ضربات الطبل للإعلان عن نهايتها في حركة تسمى "التطبيقية" أو "السوسية".

تنحكم في إيقاع رقصة الهيئة ثلاثة أنساق تستمد خيوطها من رقصات احماشة وگناوة وجيلالة. وباستثناء نسق "حساب" الذي تضبطه هزات الأكتاف وضربات الأقدام، تبدو الأنساق الثلاثة منفتحة على صيغ مبتكرة يطبعها الارتجال والرغبة في التخلص من صرامة الوزن.

تعتمد رقصة الهيئة على الآلات النقرية الجلدية هي الطبل، والبندير، والتعريجة، وأكوال، إضافة إلى المقص المعدني، ولا مكان لآلات النفخ ولا لذوات الوتر في هذه الرقصة.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **هيدور**، أحد الثائرين على أبي الحسن المريني. كان في خدمة أبي عبد الرحمن ابن السلطان في مطبخه بمرتبة جزار. استغل في قيامه شبهه الكبير بالأمير. وسجن السلطان لولده بوجدة (738). دامت ثورته نحو العامين وامتدت ما بين متيجة وبيجاية.

يتكون أهم مساعديه من بني عامر الهلاليين المناوئين لأبي الحسن لميله إلى منافسيهم بني سويد، فأجلب بهم على حمدة بمتيجة. وإثر تراجعهم أمام ونزمار بن عريف السويدي، ابتعد شرقاً إلى ناحية بجاية والتحق ببني يراتن من زواوة فقامت بأمره شيختهم "شمسي". لكنها تخلت عنه بمجرد ما علمت بكذبه. والتجأ في آخر مطافه بزعيم الدواودية من أمراء رباح، يعقوب بن علي. وبايعه هناك من اجتمع حوله من بني عامر والديالم وأولاد ميمون. وانتهى الأمر بالقبض عليه بإيعاز من أبي بكر الحفصي؛ صهر أبي الحسن. وإشخاصه بمكان السلطان من سبتة سنة 740. فامتحن وقطعت أرجله من خلاف. وبقي حياً تحت جراية من الدولة.

توفي سنة 768.

ابن خلدون، ديوان العبر، 1959.

حسن الفكيكي

هيلولاً، تعتبر الهيلولاً أحد أهم المناسبات اليهودية

الشعبية؛ فهي بالنسبة لليهود الصفرديين على وجه الخصوص تخلد لموت أحد الأولياء الصالحين الذي ما تزال بركنه تشع وتجلب المصالح الأخلاقية والطبية والبركات. وقد شكل تخليد الهيلولاً بالنسبة للجماعات اليهودية المغربية منذ القديم لحظات فرح واحتفالية، حيث تحظى أضرحة مجموعة من الصديقين بعناية خاصة - عمران بن ديوان وداوود أذراع وداوود الأشقر وغيرهم...، فتتوجه نحوها وفود من الحجيج تقضي الليل في الصلوات والدعاء وقراءة

كانت تمثل، في منطقة الغرب، مصالح مجموعة فيديو Videau ، وهي المجموعة التي كانت عائلة زوجة هيو تمتلك جزءا من رأسمالها .

وقد عاد هيو إلى الخدمة العسكرية، بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى. وارتقى إلى رتبة كومندار، قبل الالتحاق بمصلحة الاستخبارات بالمغرب، حيث عُين رئيس مكتب من الدرجة الأولى ابتداء من 30 يناير 1915 (*Bulletin officiel*, 1915). وكلفه ليوطي، في نفس الفترة تقريبا، بتنظيم مركز الاستخبارات بمدينة طنجة. وفي يوليو 1916، كلف بشكل مؤقت، بالنيابة عن الكولونيل هانري بيرو Henri Berriau في تسيير مصلحة الاستعلامات، بعد أن انتقل هذا الأخير، إلى منطقة فاس للإشراف على سير الأمور بها. والتحق هيو، سنة 1917 "بمصلحة التجنيد بإفريقيا الشمالية" قبل أن يعين على رأس كتيبة زاوابة الثالثة bataillon des zouaves 3° .

ومع انتهاء الحرب العالمية الأولى، ترك هيو الخدمة العسكرية مرة ثانية، لكنه عاد إليها، بطلب من الجنرال ليوطي، الذي عينه نائب مدير إدارة الشؤون الأهلية ومصلحة الاستعلامات (أبريل 1919). وكان رئيسه وقتئذ، الجنرال موريل Général de Brigade Maurial الذي ترأس هذه الإدارة، بعد هانري بيرو، المتوفى في نهاية سنة 1918. لكن الكولونيل هيو تمكن من أن يمكس بمقاليده هذه الإدارة، بعد تعيين الجنرال موريل حاكما عسكريا على إقليم مكناس، في غشت 1920.

أصبح الكولونيل هيو من أبرز الشخصيات المؤثرة في الاستراتيجية الاستعمارية بالمغرب، ومن العناصر التي فرضت وجودها على الساحة السياسية في السنوات الأخيرة من مرحلة ليوطي بالمغرب. فقد مكنته تسييره لإدارة الشؤون الأهلية ومصلحة الاستعلامات من التحكم في المسائل المتعلقة بالسياسة الأهلية والأمن والاستخبار، ولو أن ذلك، كان يتسبب أحيانا، في حدوث بعض الخلافات بين العناصر المؤثرة في مجال السياسة الأهلية، في قمة الجهاز الاستعماري الفرنسي. يؤكد ذلك، الخلافات التي نشبت في فبراير 1925 ، بين العناصر الراغبة في دعم "السياسة البربرية"، بظهير يكرس عمل الجماعات في المجال القضائي، والكولونيل هيو، الذي عارض، بتأييد من دي سان كانتان De Saint Quentin الكاتب العام للحماية، المشروع المقترح.

لكن التطورات الخطيرة التي عرفها الوضع السياسي والعسكري في المغرب، لم تساعد الكولونيل هيو على المحافظة على موقعه المؤثر في قلب الجهاز الاستعماري، إذ أن استقالة ليوطي وتعيين طيودور ستيك، أدبًا إلى حدوث تغييرات هامة داخل الجهاز الإداري. وكان من أبرز هذه

قصائد التبرك والإشادة بفضائل الولي الصالح، وكذلك في الغناء والرقص وشرب الماحيا والسياحة. وعلى الرغم من التناقض الواضح في عدد اليهود المستقرين في المغرب، فإن مناسبات الهيلولا ما تزال تحتفظ بها لتتها. فعند حلولها، تتخذ السلطات الأمنية كافة الاحتياطات لتمر الاحتفالات في أحسن الظروف. وتتوافد على المغرب مجموعات من اليهود القادمين من إسرائيل وأمريكا الشمالية وأوروبا الغربية، وأغلبهم دأب على الحضور احتراما للتقاليد وحرصا على استمراريتها، وبعضهم للتكفير عن ذنب أو وفاء لعهد قطعه على نفسه... وفي المدن التي ما تزال بها جماعات منظمة -الدار البيضاء وفاس ومكناس ومراكش- تنظم أمسيات ساهرة تقرأ فيها الصلوات والدعاء للأسرة العلوية التي يعتبرها عموم اليهود أهم ضمانة لسلامتهم وأمنهم. حنان السقاط

هيهة، لعبة شعبية يمارسها الذكور في بعض الأرياف كما هو الحال بالنسبة لقبائل ورديغة. وتتمحور هذه اللعبة حول ثمانية إلى اثني عشر مارسا. يحتل أحدهم رقعة الوسط. يضع قدما على نقطة مركزية، ويشترط ألا تخرج قدمه عن هذه النقطة إلا فالضرب عليه يكون تباعا. أما القدم الأخرى، فيها يحمي ظهره من الضرب وبها قد يصطاد يدا طائشة. وفي هذه الحالة يعفى من المركز ويدخل من مسّت يده الحلبية. وقد يضع الشخص جلبابا أو غطاء على ظهره للتخفيف من قوة الضرب. أما باقي الأفراد فيكوتون دائرة، رافعين أيديهم إلى الأعلى، عليهم يصطادون فرصة يصيبون فيها ظهر الشخص الذي تدور حوله الدائرة. وتظل الدائرة في حركة دائمة في اتجاه معين، أما الأضواء فقسّم منها يردد : هيهه والقسم الثاني يجيب : هاوه. وبذلك تصبح الحلقة تردد : هيهه، هاوه. هيهه، هاوه.

تجربات ميدانية.

صالح شكاك

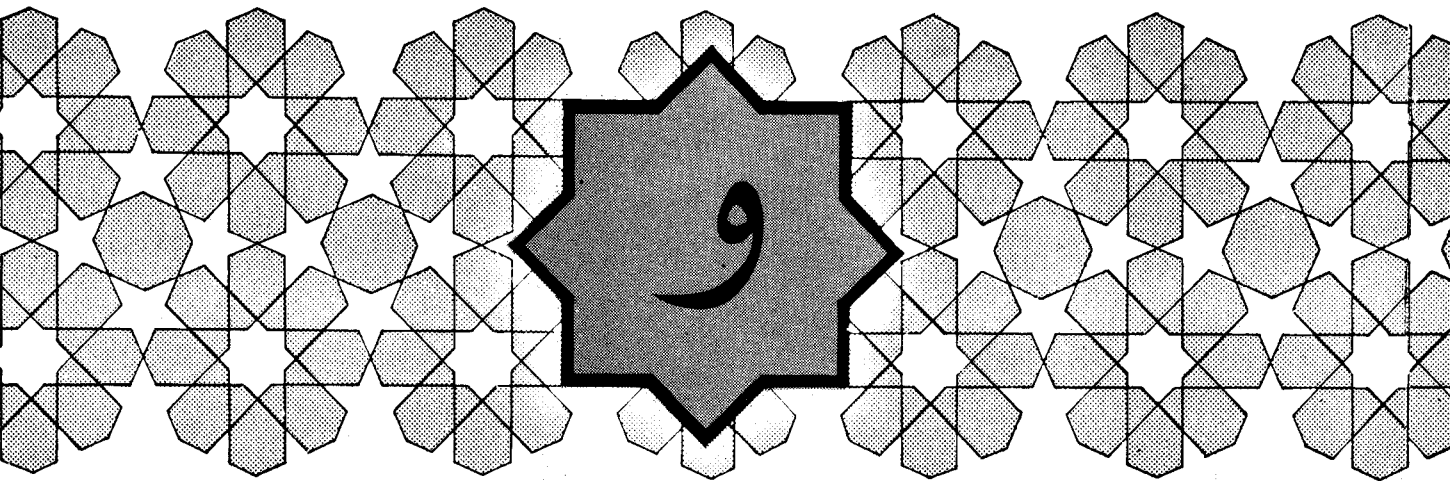
هيو، الكولونيل ، كان من خبراء الاستعلامات الذين ارتبط اسمهم بالمغرب، في المراحل الأولى من تاريخ الحماية، إذ تمكن، في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، من الوصول إلى منصب رئيس إدارة الشؤون الأهلية ومصلحة الاستعلامات. وقد أتى هذا الضابط، الذي ارتقى إلى رتبة قبطان في فرق المشاة، سنة 1907 ، من مصلحة الشؤون الأهلية بالجزائر. وكانت منطقة وهران، آخر منطقة اشتغل بها (1909 - 1912) ، قبل أن ينتقل إلى المغرب، بعد توقيع عقد الحماية، في 30 مارس 1912. لكن هيو لم يمارس عمله في المغرب في إطار الجيش أو الاستخبارات، بل انتقل إلى القطاع الخاص، ليشرّف على "الشركة الفلاحية المغربية" التي

التغييرات، تعيين بول دوكلو Paul Duclos ، القادم من الجزائر، رئيساً على إدارة الشؤون الأهلية ومصلحة الاستعلامات (قرار 19 فبراير 1926). أما الكولونيل هيو Huot، فقد عين حاكماً عسكرياً على إقليم تازة.

المجريدة الرسمية : جريدة السعادة : عبد الحميد احساين، أصول سياسة فرنسا البربرية إلى غاية سنة 1930، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، يوليو، 1987، بحث مرقون : علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي : إبراهيم بوطالب، بيرو هانري، معلمة المغرب، 6 : 1943.

Bertrand Desmazières, *P. de Sorbier de Pognado-resse, Le Colbert de Lyautey*, Rabat, 1912 - 1925 ; Rivet Daniel, *Lyautey et l'institution du protectorat*, (3 t.), Paris, éd. L'Harmattan, 1988.

عبد الحميد احساين



الوحدات بدرعة السفلى : نموذج قم زكيد في
درعة السفلى، أي في السفح الجنوبي للأطلس الصغير، وبالضبط سلسلة "باني" الثاني. وتمتد من جنوب تازناخت شمالا، إلى تيسينت جنوبا. تتشكل المنطقة إما من جبال، عبارة عن عوارض كوارتزيتية أو حثية (الحقب الأول) أو من منخفضات شيبستية على هيئة سهول طولية "الفيجات"، تتسع أحيانا إلى 20 كلم كما هو الحال بين أوكوم وقم زكيد المركز. ولا يوجد ما يفرق هذا الاتساع إلا في واحات زاغورة.

استوطن الإنسان هذا المكان منذ القديم وتفاعل معه، فأبدع نمطا تكيفيا رائدا أدى إلى التوافق بين التمرركز السكاني والتكثيف الزراعي، على الرغم من محدودية الموارد وضيق المساحة. إلا أن هذه العلاقة بدأت تعرف تدهورا واضحا في الآونة الأخيرة.

توجد بوحدات درعة السفلى، ومنها قم زكيد، منخفضات تدعى الفيجات، تشرف عليها قمم جبل باني الثاني التي انطلقت منها الأودية والسهول الجبلية طيلة الفترة البليورباعية مما أعطى درجات نشر ممتدة (تستغل زراعيًا) ومخاريط انصباب متطابقة سمحت بتراتب التربة والسدائم المائية. فتحوّلت الواحات، تبعًا لذلك، إلى مجال جذب واستقرار خصوصا عند مخارج العيون.

تتوفر قم زكيد على مطار منذ 1936، لكنه لم يوفر تسلسلا متصلا في التسجيلات. ومن خلال المعطيات الموجودة، تبين أن قم زكيد تتلقى ما بين 60 و80 ملم، متساوية مع زاغورة التي تعادلها في المستويين العرضي والارتفاعي، إذ تعرف 74 ملم من التساقط. أما تازناخت، فتسجل معدل 120 ملم نظرا لارتفاع أكبر. وتتميز التساقطات بهذه المناطق كلها بعدم الانتظام القاسي بتركز 75% منها في فصلي الخريف والربيع.

بخصوص الحرارة فإن متوسطها في قم زكيد يفوق 20 درجة، ويزيد معدل الحرارة القصوى على 30. الرياح شرقية إلى جنوبية شرقية جافة وجنوبية غربية إلى غربية رطبة، ويتعدى التبخر الكامن 2500 ملم في السنة.

هذه الظروف ليست هي الكفيلة بوجود الاستغلال الزراعي الواسع المكثف والاستيطان البشري القديم المميز للمنطقة. أهم من ذلك الوضع الجيومورفولوجي للوحدات، المقفلة بعوارض باني الثاني التي تنساب منها السيول فتغذي العيون والمنخفضات وتنظم صبيب الخطارات. وادي زكيد عند عاليته يتلقى كمية مطرية تضاعف ما يتلقاه في المركز مما يمكنه من أن يسيل عبر الواحات دون أن تتساقط في هذه الأخيرة أية كمية مطرية. من هنا نخلص إلى أن النسبة الجافة على مستوى التساقطات ليست بالضرورة "كارثية" على المستوى الزراعي إلا في حالة عمومية الجفاف، وأن طول وحدة فترة الشح المائي هي التي يكون لها انعكاسات وخيمة على النظام الواسع.

جدد لفترات الجفاف بالمنطقة :

تم الوقوف، حسب العقود والتسجيلات، على فترات الجفاف التالية بالمنطقة.

- فترة 1880 - 1884 : نجدها مؤرخة في العقود بالتاريخ الهجري 1300 - 1305.

- فترة 1910 - 1912 : تتوافق مع جفاف الساحل الإفريقي بين 1910 - 1916.

- فترة 1937 - 1941 : ارتبطت بالجفاف العام الذي هم المغرب بين 1934 - 1941.

- فترة 1945 - 1948 : أثرت على القطيع والنخيل أكثر من غيرها نظرا لتوالي وتقارب فترتين جافتين، بينهما أربع سنوات من توقف الجفاف فقط، لم تكن هي نفسها رطبة بما يكفي.

- فترة 1970 - 1979 : تزامنت بدورها مع جفاف الساحل

الإفريقي، مما يبدو أنه يؤكد ارتباط المنطقة بضغط الجبهة البيمدارية.

- فترة 1981 - 1986 : كانت بمثابة استمرار لما قبلها وكان لها تأثير كبير على المركب البيئي الواحي بأكمله، في 16 سنة من الجفاف كفيلة بإتلاف التوازنات.

فترات الرطوبة بين السلب والإيجاب.

تخللت فترات الجفاف، فترات موسومة بالترطيب

النسيي.

- 1919 - 1920 : ورد بشأنها في إحدى العقود "أن

الناس استبشروا بها خيرا واستمر تأثيرها على المنطقة أزيد من عشر سنوات". إذ تتبعنا هذا الاستشهاد، فسنة رطبة واحدة بالواحة تكفي لعشر سنين، لكن هذا لا يتأتى إلا مع تحقق سلسلة زمنية لا تنزل فيها قيمة التهاطلات عن 40 ملم / سنة.

- 1948 - 1969 : دخلت الواحات في نهضة بيئية جديدة.

خصوصا في موسم 1954 - 1955 ، حيث سجل أقصى تهاطل، بلغ 283 ملم. ونظرا لما أعدهته على المنطقة من خيارات، باستمرار الوفرة المائية في العيون والخطارات لسنوات، فإن الناس أرحوا بهذا الحدث. فهناك كذلك من سماه عام الجذب كما سماه آخرون عام الهدم.

- 1979 - 1980 : وصلت التساقطات إلى 254 ملم،

وأحدثت فيضانات كانت سلبياتها أكثر من إيجابياتها. إذ حطمت وردت جل خطارات الواحات لأنها جاءت بعد فترة جفاف طويلة. على العموم، يمكن اعتبار أوضاع التوازن التساقطي بالواحات من قبيل البقاء فوق عتبة 40 ملم سنويا، على أن تتخللها مرة واحدة على الأقل في كل عشر سنين يكون فيها التهاطل بمستوى 200 ملم.

تعتبر الشبكة الهيدروغرافية عنصر توازن وتدهور في آن واحد.

تنتمي المنطقة إجمالا إلى حوض واد زكيد، باستثناء الجزء الغربي الأقصى الذي يرتبط بحوض أسيف - ن - وولوز، وهو مجرى تصب مياهه في درعة السفلى عبر وادي تسينت. يغطي حوض زكيد، الذي يعتبر ضمن حوض درعة السفلى، حوالي 3000 كلم²، نصفها جبلي، بالسفح الجنوبي من الأطلس الصغير. أما حوض وولوز فيسقي مجال اسنكارن على مساحة تقدر بحوالي 250 كلم².

أهم الفيضانات التي عرفها فم زكيد كانت سنة 1920، 1954 / 55 و 1958 - 1959. يتميز الحوض بعدم الانتظام في الجريان بين روافده. فإذا كان واد أسميليل يساهم كل سنة بقسط من الماء، حتى في سنوات الجفاف، التي تعرف أقل من 40 مم، فإن واد إليغ بقي، على سبيل المثال، ثلاث سنوات بدون جريان، من 75 - 1976 إلى شتاء 77 - 1978. نفس الشيء بالنسبة لأسيف وولوز المرتبط بحوض تسينت، فإنه لم يمتطح من 1973 - 74 إلى سنة 1979 - 80، مما تسبب في موت 10 000 نخلة بإسنكارن وحدها. النتيجة أن الأهم

هيدروغرافيا ليس هو الجريان، بل الامتطاح، أي الفيض على الجوانب، ولو لثلاث مرات في السنة، لأن في ذلك إفادة للتربة المجاورة للوادي، ولأشجار النخيل وللسدائم المائية.

تقوم الشبكة الهيدروجولية بأدوار مفيدة للتوازن، ولكنها تحتاج إلى التجدد في معظمها.

هناك نوعان من السدائم المائية.

- سدم بليورباعية متجددة،

- سدم جيولوجية في الركيزة الأولية، غنية بالماء، ولكنها

محدودة التجدد.

أما السدم الجيولوجية المحدودة التجدد، فهي تنتشر في جل المجال وفي معظم الركائز الأولية، سواء الكلسية أو الحثية أو الشيستية. وهكذا، فإن المناطق الشاسعة المنزرعة "كالفيجات" و"الطريفية" تخزن، حسب الدراسات، كميات ماثلة من المياه، إلا أنها تحتاج إلى مصاريف باهضة في استغلالها.

بالإضافة إلى التعامل برفق نظرا لمحدودية تجدها.

وأما السدم البليورباعية القابلة للتجدد، فترتبط بمخاريط الانصباب والدرجات النهرية الممتدة والموروثة. ولقد ساعدت الوضعية شبه المغلقة للحوض، وبها تقسيمات داخلية، على التسرب البطيء للمياه، على المدى الطويل.

أعطت إحدى التحريات الهيدروجولية التي قام بها قسم المياه بإدارة التجهيز لوارزازات (G. Durozoy, 1975) بعض النتائج المعبرة.

جاء المعدل الإجمالي للتسرب بالنسبة لمجموع الحوض بقيمة 7٪. أما بالنسبة لمنخفضات الفيجات والطريفية، فهو يصل إلى حدود 12 ٪. ويصير في الجبل، حيث الركائز الكلسية والشيست - كلسية، من التواضع بمدى 2 إلى 3٪ فقط، نظرا لقوة الانحدارات.

تكون بذلك السدم الأكثر تجددا هي فرشات منخفضات الفيجات، ولهذا تركز بها أكثر من 400 بئر لسقي ضيعات الحواص، مما كان له تأثير على الصبيب الهيدروولوجي العام صبيب الخطارات على الخصوص.

كما نجد بالمنطقة سدا معلقة أو قريبة، تنشط في فترات الأمطار وتغذي المروج والبحيرات، نحددها على الخصوص في بحيرة إريقي، التي كانت إلى عهد قريب، حتى الستينيات، تمثل أهم المحميات الطبيعية بالمغرب، نظرا لكبرها ولوجود غابة رواقية تعيش عليها، تستوطنها حيوانات مثل الغزال والأيل والظبي والدامي و"الذئب"، وتؤمها طيور مهاجرة مختلفة الأنواع وتسبح في مياهها العديد من الأسماك. وقد عرفت على الخصوص باستيطان جالية هائلة من طير النحام. إلا أن بحيرة إريقي لم ترتبط فقط بالسديم المائية المعلقة بمياه واد درعة أثناء فيضاناته، ولهذا فإن الجفاف الذي لحق المنطقة منذ 1970 وإتلاف الرحل للمجرى الأصلي للوادي أدبا إلى نضوب وتحطم توازنات البحرية.

المهم أن المورد المائي السطحي والباطني يتكاملان في ظل شروط بيئية خاصة ويسهمان في توازنات المنطقة بتشكيل المورد التربوي والمورد النباتي.

أهم الأثرية المتوفرة في المجال هي :

التربة الطمي - رملية، التربة الرمل - طميية والتربة الرملية، والتوضعات المختلطة الأحجام.

توجد هذه الأثرية بالمنخفضات وعند أقدام الجبال وفوق الدرجات النهرية وعند مخارج العيون وعلى ضفاف الأودية. يمكن تصنيفها من الناحية الزمنية إلى صنفين.

- أثرية الرباعي القديم والأوسط، وتمثلها التربة الرملية الموجودة في النخيلة شمال قم زكيد، إلا أنها في باقي المجال لا تمثل سوى موروثات ضعيفة الانتشار.

- أثرية الرباعي الحديث والهولوسين، وهي عبارة عن انحراف الأودية والشعاب الذي يمتد على سطوح المنخفضات البيجيلية وأقدام الجبال، وهي الأكثر انتشارا في الميدان، ويمكن تصنيفها كأثرية رمل - طميية أو طمي - رملية. إلا أن الإرسابات الحالية لا تتشكل سوى من توضعات مختلطة الأحكام، دلالة على الخلل البيئي الذي غالبها ما يقوم بتحديث القطاعات الترابية بالإطماء.

لذا بات من الضروري تشييد حواجز وسدود تلبية من أجل التقليل من عوامل التحديث الترابي، سواء بالإزالة والبتتر، أو بالترسيب والإطمار، الذي تتعرض له أثرية التراث الرباعي الحديث والهولوسين الأربط مقارنة بفترتنا الحالية. وذلك حتى لا يتم القضاء على النظام البيئي الهش، المهيكل من طرف الموارد النباتية، والنخيل منها على الخصوص.

الغطاء النباتي المتفاعل مع الوضع الواحي :

سمحت الأوضاع المناخية والهيدرولوجية والهيدروجيولوجية والترايبية بتكوين غطاء عشبي موسمي قصير الدورة الإنباتية، فهو ينمو بعد سقوط المطر ويموت بعد التعمير بضعة أسابيع.

أما الغطاء الشجري فهناك السدرة والطلع مع وجود غابات رواقية بجانب الأودية مكونة من السمار والنباتات الإلف رملية والإلف ملحية. إلا أن أهم الأشجار التي تناغمت مع الوضعية الواحية هي النخيل، حيث ارتبط بها الإنسان ورعاها لكونها شكلت مورد رزقه ورمز تشبثه بالواحة.

عملت هذه الموارد جميعها على جذب الإنسان إلى الواحات عموما، وواحات قم زكيد من ضمنها إذ كانت منذ القديم مطمعا لقبائل كثيرة، مما فرض على الساكنة المحلية التحصن وراء أسوار وأبراج القصور والاندماج في نظام جماعي يحمي الواحات القبلية.

الإرث التاريخي دعامة للموروث البيئي.

دلت الحفريات والدراسات التي أجريت بالمجال على وجود العديد من الأماكن الأثرية التي ترجع إلى الحقبة النيوليتية كمغارة قم تازكرنما، على بعد 10 كلم جنوب مركز

قم زكيد، ومغارة حاسي الهويوة، بالقرب من تانكرنما، ومغارة إغان. بجماعة تليت، وعدة كهوف ومغاور بسيدي عبد النبي والديرهسية، قريبا من الحدود الجزائرية.

تحتوي هذه الأماكن على خطوط ونقوش جذارية ورسوم تبين طريقة صيد الغزال... ولقد قسورنت بعض الخطوط بحروف تفنّاع الأمازيغية فوجد تشابه كبير بينهما. كما عثر على أسس بناء غريبة وأدوات العصر النيوليتي، خصوصا ناحية الديرهسية وسيدي عبد النبي.

كل هذا يدل على مدى أقدمية الاستيطان بالمنطقة وأنها أمام تراث وطني وليس محليا فقط. أضف إلى هذا أن درعة السفلى لعبت أدوارا رائدة في تاريخ المغرب، وبالضبط عند نهاية الدولة الوطاسية، إذ كانت المنطلق الروحي للدولة السعدية. وفي هذا الصدد، يورد المؤرخون ومنهم الناصري، في كتابه الاستقصاء (القسم الأول، ج 5، دار الكتاب) نصا يبين أنه كان من المفروض أن تعقد البيعة للشيخ الصالح أبي عبد الله محمد بن مبارك الأفاوي، نسبة إلى أبا بدرعة السفلى، أثناء تأسيس الدولة السعدية، وأن الرجل الصالح قد امتنع وأشار على القوم بمبايعة شخصية ثانية من درعة كذلك هو أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله.

كانت نتيجة الأوضاع المضطربة، المطبوعة بالصراعات أن تكون خليط إثني، تشكل من العرب والأمازيغ، ترجمته العديد من اللهجات ونتجت عنه استعمالات متنوعة للأرض وتحكم قوي في الماء الذي كان مصدر الصراع وبزال.

إلا أن المورد المائي بدأ يعرف ندرة واضحة بالعلاقة مع الوضعية المناخية ومع عدد السكان المتزايد، فأصبح الموروث البيئي في خطر.

إحصائيات سكانية بقم زكيد :

1971 : 10 664 ؛ 1982 : 18234 ؛ 1994 : 25 524

أهم الموارد المائية بالنسبة للواحات يأتي من الخطارات التي شيدها الأقدمون، ومن آبار الضخ المرتبطة بالسدائم المائية التي تتغذى بمياه التساقطات والفيض. إلا أن واحات قم زكيد عرفت خسارة مائبة ناتجة عن جفاف 1972 - 1978 وعن الردم الذي تعرضت له الخطارات إثر فيضانات 1979 . 1980 التي أعقبت الجفاف. ومن ذلك الحين تم تسجيل حوالي 30 دوارا في حالة خصاص مائي، وتكلف قسم الموارد المائية بوزارة التجهيز بالبرنامج التالي :

- حفر آبار من أجل تقوية صبيب السواقي في سنوات الجفاف ؛

- حفر آبار قصد توفير الماء الصالح للشرب للسكان وللماشية ؛

- إيجاد موارد مائية جديدة من أجل السقي لتوسيع القطاع أو خلق قطاعات جديدة.

إلا أن المشاريع لم تكلل بالنجاح، باستثناء مشروع الماء الصالح للشرب، وأسباب الفشل غير معروفة. لكن في السنوات الأخيرة، أخذ أبناء المنطقة على عاتقهم النهوض

بالتنمية المجالية، فأقاموا مشاريع للإتارة والسقي والاستطلاع خوفا من أن تسقط الواحات في مسار التدهور التام. يؤدي هذا المسار في النظام الواحي إلى التصحر عبر النقص في الموارد المائية وتراجع الغطاء النباتي، وإلى تخلي السكان عبر تفكك النظام الجماعي والهجرة.

ارتباط توازن النظام الواحي بتنمية شاملة ومندمجة :
تقتضي التنمية الشاملة والمندمجة إعداد المجال الواحي في إطار الاهتمام بالمنظومة البيئية العامة حسب النهج التالي :

- تخلي الدولة عن سياسة الاهتمام بالمجالات المحظوظة وحدها، والاكتفاء بمراقبة المجالات المهمشة ؛
- اعتبار الواحات ضمن أولويات مخطط التنمية الريفية مع إعطاء السبق لواحات درعة السفلى ؛

- محاربة الجراد ببلدان الساحل الإفريقي قبل أن يصل إلى محور الواحات ؛

- تخصيص مداخيل هامة للتنمية الواحية تؤخذ من مختلف الصناديق المتخصصة : صندوق الكوارث الطبيعية، صندوق التنمية القروية، صندوق التنمية الفلاحية، صندوق تجهيز الطرق ؛

- إعادة الدور الذي كانت تقوم به الجماعة القبلية، والتنسيق بينها وبين الجماعة العصرية ؛

- خلق وحدات إنتاج صغرى لتثبيت وتشغيل الشباب ؛
- تشجيع المبادرات الفردية والجماعية التي تهدف إلى إقامة قطاعات تنمية منتجة.

والداعي إلى طرح هذه الشروط هو الضرورة الملحة، لأن الواحات الزكيدية خصوصا ودرعة السفلى عموما مشرفة على أوضاع التدهور الخطير. فمردوية النخيل والحناء على سبيل المثال قد نزلت في بعض الأماكن إلى أقل من 50%.

إلا أن اللوحة ليست كلها قائمة. لقد بدأت بوادر الإسعاف للنظام الواحي تظهر في السنوات الأخيرة :

- المبادرات الفردية المحلية لتوسيع الأراضي المسقية وحفر الآبار وتنوع المحاصيل من خضراوات وفواكه. كما أن إمداد المنطقة ببعض المياه، أعاد الحياة للنخيل الذي كان في عداد الموتى ؛

- كهربة القري بالمحركات من طرف السكان أنفسهم، دون تدخل أجهزة الدولة، باستثناء المركز ؛

- إيصال الماء الشروب إلى أهم القصور الصحراوية ؛
- تعبيد الطريق الرابطة بين تازناخت وفم زكيد، سنة

1988 ؛

- تعبيد الطريق الرابطة بين فم زكيد وعمالة طاطا مع بداية 1995 ؛

- إقامة تعاونيات للحليب وللمواد الغذائية وللصناعة التقليدية، ومركز للتكوين المهني وملاعب، إضافة إلى اكتمال حلقة التعليم الثانوي.

كما شرع في تنفيذ سلسلة من المشاريع هي :

- إيصال الكهرباء إلى الدائرة ؛

- بناء سد تلي، كان من المقرر أن ينجز في 1956 ؛

- مستشفى قروي بطاقة 80 سريرا ؛

- مكتب بريدي متكامل، مع إمكانية الربط الهاتفي المباشر ؛

- فرع للبنك الشعبي.

عموما، إذا كانت هذه المشاريع والمنجزات مهمة بالنسبة للواحات، فإن العنصر الأساسي الذي يجب التحكم فيه من أجل التنمية الشاملة هو تثبيت العنصر البشري بالحد من الهجرة وإيجاد فرص الشغل والمحافظة على التوازنات البيئية.

استثمار الموروثات واستغلال الموارد المحلية كمنتوج سياحي.

- استثمار الموروثات للتنشيط السياحي :

تعتبر البيئة الواحية كلها موروثات سواء من الناحية الطبيعية أو البشرية. إذ تعاقبت عليها حضارات موغلة في القدم، طبعت المنطقة. تحكي لنا الكهوف والمغارات من خلال الكتابات التي تجمع بين خط تفناغ والخط الليبي القديم أنماط استغلالية للمجال. ولقد سبق تقديم مجموع من المناطق، تحتوي على المواقع الأركيولوجية وأدوات العصر الحجري القديم بالإضافة إلى العديد من الموروثات الأخرى الواجب توظيفها ومنها :

- القصور الصحراوية كنموذج للعمارة الإسلامية التي يجب التعامل معها كتراث وطني ؛

- طرق تقسيم المياه المخصصة للسقي بين أفراد القبيلة ؛

- تعويض المواسم بمهرجانات ثقافية تعرف من خلالها :
الرباطات والشخصيات التي أسهمت في بناء المغرب أو أجزاء منه ؛
الزوايا التي أسهمت في نشر الإسلام بإفريقيا كزوايا تيسنت، المغممة، والزوايا اليعقوبية لسيد محند يعقوب ؛
الهوية الثقافية للإقليم.

- استغلال الموارد المحلية كمنتوج سياحي :

يمكن أن تقدم هذه الجهة من المغرب للسائح أجمل ما لديها من مشاهد نوعية : نظام الخطارات البديع ؛ امتداد الواحات النخيلية على جوانب الأودية ومصاب العيون ؛ بحيرة إريقي التي كانت تعتبر محمية عالمية للطيور المهاجرة ومركزا للوحيش (الغزال، الأروي، الدامي، الذئب...). وإذا كان الجفاف قد قضى على توازنها، فإنه بالإمكان أن تستعيد دورها البيئي والجمالي بتشبيد سدود مجاورة لها تزودها بالماء بعد إعدادها إعدادا جيدا ؛ شلالات عتيق قرب تسينت التي تشكل منظرا بيئيا رائعا واستثنائيا في مثل هذه المجالات.

إدرس الفاسي، 1982، الجفاف حول الصحراء، الطبيعة والسلوك البشري، دراسة بيئية، مجلة جغرافية المغرب، 6، ص، ج 37 - 50 ؛
محمد محيي الدين، التطورات البيوربانية بدكالة الجنوبية الغربية وهوامشها، د. د. ع، الرباط، 1990 ؛ سعيد باعلا، التجهيز

القروي بين تدخل الدولة ومبادرة المجموعات المحلية بواحة فم
زغيد نموذج الكهربية القروية، بحث الإجازة، كلية الآداب، أكادير،
1993.

A. Bencherifa, Ecologie culturelle de l'oasis de Figui, in *Aspects de l'agriculture irriguée au Maroc*, Rabat, 1992 ; M. Berriane, *L'espace touristique marocain*, ERA, 706, Urbanisation au Maghreb, CNRS, Université de Tours, 1990 ; Tourisme de montagne au Maroc, *Actes colloque, Environnement et développement*, p. 391-403, Rabat, 1992 ; *Direction de l'Hydraulique*, Enquête hydrogéologique dans la région de Fom Zguid, Ouarzazate, 1981 ; Th. Fox, Planifier la gestion des ressources naturelles nationales *Actes colloque, Environnement et développement*, p. 43-51, Rabat, 1992.

محمد محيي الدين

الواحة (مجلة) مغربية أصدرتها جمعية البعث الثقافي

بمكناس. صدر منها عددان اثنان : أولهما في شهر يوليوز 1966، وطبعت بمطبعة الشمال الإفريقي بالرباط. أما العدد الثاني فتاريخ صدوره 17 يناير 1967، وقد تم طبعه بمطبعة الازدهار بالرباط. ترأس تحرير المجلة الأستاذ أحمد الغرميلي، وأدارها الأستاذ محمد فجاج، وكلاهما من أسرة التعليم - يومئذ - بمكناس. وقد أرادا لها أن تكون "مجلة فكرية أدبية جامعة". تؤكد كلمة العدد الأول أن المجلة إنما هي حصيلة مجهودات تطمح إلى خلق مجال للتعبير عن الرأي، وتحريك النقاش حول القضايا التي تتصل بمبادئ المعرفة والأدب والفن وكل شيء يعتقد أنه يخدم حضارة شعبنا. وانطلاقا من الاقتناع بأن الأدب كان ولا يزال الغذاء الروحي والفكري لأي شعب مهما اختلفت ميولات أبنائه، وبأن في استطاعته - إذا كان يتقصى الصدق - أن يرفع من مكانة المجتمعات ويرقي بالإنسانية، فإن المجلة تأخذ على نفسها العمل بإخلاص على أن تجعل من نفسها مرآة صادقة تنعكس على صفحاتها كل الأفكار الملتزمة والتي تتوخى خدمة حضارتنا الأدبية والفنية والفكرية.

وعلى الرغم من أن "الواحة" لم تعمر طويلا إذ لم يتهيا لها أن تتجاوز عددها الثاني، فإن صفحاتها التي تقارب السبعين حافلة بمجموعة من الإسهامات التي تتوزعها موضوعات في السياسة، والأدب، والنقد، وأخبار الفن، والقصة، والحوار، وقضايا المرأة، مما يشكل رصيда معرفيا غنيا بتنوع مواده ومشاربه.

من كتاب المجلة : محمد السرجيني - حسن المنيعي - إدريس بنجلون - رضوان حدادو - حمادي التونسي - إدريس الخوري - مصطفى الرقي - فاطمة المدغري ... أما ديوان المجلة فقد حفل بمساهمات شعراء نذكر منهم : حسن الطربيق - بنسالم الدمناطي - عبد السلام الزيتوني - عبد النبي أبو العزم. ومن غرر ديوان المجلة قصيدة للشاعر المكناسي علال

بن الهاشمي القبلاي (الخياري) بعنوان مكناس مطلعها :

مكناس، إنك والجمال بموضع زاهي الرضاب قضيت فيه شبابي
بلد النخيل، حللت ربعك ذاكرة نشوات عمري من هوى وتصابي
الواحة، ع 1، يوليوز 1966، 32 صفحة، الرباط ؛ ع 2، 17 يناير
1967، الرباط، ص. 32.

عبد العزيز بن عبد الجليل

واد الذهب - الكويرة (جهة -) تكون إحدى الجهات

الصحراوية المغربية الثلاث، تغطي مساحة واسعة تجعل دائرتها الترابية تمتد حتى التخوم المغربية - الموريطانية، تعرف نسبة تمدن عالية تجعل حوالي 83% من السكان يستقرون بالمراكز الحضرية، وتزخر بموارد طبيعية وبشرية متنوعة تتمثل في المراعي الشاسعة وفي المصايد البحرية الغنية وفي المؤهلات السياحية الواعدة. ولقد أحدثت بناء على التقسيم الإداري الأخير الذي عرفته البلاد سنة 1997، أحدثت هذه الجهة لتشكيل إحدى أهم الجهات التي تغطي المناطق الصحراوية المغربية. تحدها من الشمال جهة العيون - بوجدور، ومن الشرق والجنوب الجمهورية الإسلامية الموريطانية، ومن الغرب المحيط الأطلنطي. فهي تمتد على مساحة 142 865 كلم²، أي حوالي خمس مساحة التراب الوطني وحوالي 40% من مجموع مساحة الجهات المغربية الصحراوية ؛ وتتشكل من إقليمين هما : إقليم وادي الذهب الذي أحدث سنة 1979 ويمثل 60,5% من مجموع مساحة الجهة، وإقليم أوسرد الذي أحدث مؤخرا ليغطي 39,5% من هذه المساحة. ويتوزع الإقليمان إلى أربع دوائر (العركوب، بشر أنزران، بشر الكندوز) و11 جماعة قروية (العركوب، إمليلي، بشر أنزران، أم دريكة، ميجك، غليبات الفولة، أوسرد، أغونيت، تشلا، الزوك، بشر الكندوز) وجماعتين حضريتين هما بلدية الداخلة العاصمة الإدارية والاقتصادية للجهة وبلدية الكويرة.

تتميز تضاريس الجهة ببنية بسيطة عبارة عن قاعدة قديمة، تنغرز في اتجاه الغرب تحت تكوينات رسوبية حديثة متنوعة تشكل قاعدة الوحدات الهضبية الغربية الشاسعة وسلسلة من السهول الساحلية. فالقاعدة القديمة تتوافق مع كتلة الرغيبات التي ترتبط بالقاعدة القديمة الإفريقية، وتقدم بروزات صخرية قديمة عبارة عن مواد متحولة تنتمي إلى الماقبل كبري، تخرقها تكوينات صخرية بلورية هرسينية على شكل بهرات غرانيتية متفاوتة الأهمية. ونظرا لقدم هذه الوحدة البنيوية وتنوع صخورها، فإن تضاريسها يغلب عليها طابع الهضاب الشاسعة المستوية، التي تتخللها مجموعة من المنخفضات المغلقة وتقطع رتابتها سلسلة من الأعراف والقمم المنعزلة. كما أن هناك قطاعات واسعة من هذه الهضاب تغطيها مجموعة من العروق الرملية.

في اتجاه الغرب تنغرز كتلة الرغيبات تحت التكوينات الصخرية الرسوبية المعروفة بالأحواض الساحلية، وهي عبارة عن طبقات أفقية تتشكل من صخور كاربوناتية تنتمي إلى الطباشيري والإيوسين. وتتوافق هذه المواد المنضدية مع شريط من الحمادات تتغير معالمه بين جنوب وشمال الجهة وعند القطع الشمالي تحتل هذه المواد مجالا واسعا، وتشكل حمادة حقيقية حول منطقة بشر أنزران ؛ أما عند القطع الجنوبي فإن هذا الحوض الرسوبي يتحول إلى شريط ضيق

بسبب انحصاره بين كتلة الرغيبات التي تتقدم بعيدا نحو الغرب، والمواد الحديثة الثلاثية والرابعة التي تشكل شريطا موازيا لخط الساحل. وعند الساحل يغيب المظهر التضاريسي الكنتلي والهضبي الداخلي ليحل محله مظهر متموج مرتبط بتداخل وتنوع التكوينات القارية والساحلية الحديثة، المكونة من مواد فتاتية متصلة ومن مواد رملية تتعرض لتحريك مستمر تحت تأثير الرياح.

ومن اللافت أن اتصال اليابسة بالبحر يتم بشكل تدريجي وبكيفية لا مثيل لها عند الساحل الإفريقي الشمالي، وينتج عن هذا الاتصال هضبة قارية شاسعة يتقدم عندها خط تساوي عمق المياه البحرية 200 م إلى حدود 130 كلم قبالة خط الساحل الممتد بين موقعي الداخلة ووجدور. وبذلك فإن ساحل جهة وادي الذهب - الكويرة يقدم أهم وأغنى المصايد المغربية الغنية بالرخويات والأسبوريات وسماك السردين.

بسبب موقعها عند أقصى جنوب المغرب وعند عروض مدارية، فإن جهة وادي الذهب - الكويرة تنتمي لوحدة المجال القاحل الذي تشله الصحراء الإفريقية الكبرى المشهورة بجفافها المفرط، غير أن محاذاتها للمحيط الأطلسي يجعل مناخها يتميز بنوع من الاعتدال خاصة عند الشريط الساحلي. لذلك فإن هذه الجهة تقدم نموذجا جيدا لنوع الصحاري الساحلية الضبابية، التي تتميز برطوبة نسبية عالية ونظام حراري معتدل.

يتميز الإطار المناخي العام للجهة باستقرار نظام خلايا الضغط المرتفع المدارية الذي يتسبب في الجفاف، وترتب عنه التيارات الهوائية القارية الشمالية / شمال - شرقية المعروفة بالرياح التجارية. وإذا كانت هذه الرياح القارية معروفة بجفافها وبارتفاع نسبة تردها بالمنطقة، فإن الرسم الذي يتخذه خط الساحل الأطلسي محليا يجعلها تساهم في تحريك المياه البحرية، ونشأة تيارات عمودية ترفع المياه العميقة الباردة إلى السطح. ومن حين لآخر ينقلب هذا الوضع حيث تستقر عند الساحل أنوية لضغط منخفض ينتج عنها هبوب رياح الشرقي التي ترفع درجات الحرارة وتؤدي إلى اندلاع زوابع غبارية قد تستمر على مدى عدة أيام.

وفي غياب الواردات المطرية الكافية، فإن ارتفاع معدلات الرطوبة النسبية عند الشريط الساحلي يشكل موردا مهما للرطوبة بالنسبة للحياة بشكل عام وعلى الخصوص بالنسبة للغطاء النباتي الذي يعرف كثافة وتغطية غير معهودة عند المجالات الجافة الشرقية. وإذا كان هذا الغطاء النباتي له مردودية اقتصادية مباشرة على قطاع الماشية، فإن له أيضا دوراً حيوياً على صعيد تثبيت التربة وصيانتها من عوامل التعرية المائية والريحية. ونظرا لشح الواردات المطرية، فإن فرص الحصول على موارد مائية متجددة تبقى جد محدودة. فالمياه السطحية ضعيفة كميا وكيفيا، والمياه

الجوفية ترتبط بشكل أساسي بالفرشات العميقة الموروثة عن الفترات المناخية الرطبة القديمة.

إن الطبيعة الجيولوجية تقدم مؤشرات واعدة حول إمكانيات توفر جهة وادي الذهب - الكويرة على مكانن للمحروقات داخل الحوض الرسوبي الثنائي - الثلاثي المستمر تحت المياه البحرية، كما أنها تتوفر على إمكانيات مهمة على مستوى مصادر الطاقة المتجددة من نوع الطاقة الريحية والطاقة الشمسية، وأيضا، فإن الامتداد الواسع للقاعدة القديمة المنتمية لكتلة الرغيبات يجعل الجهة تتوفر دون شك على طيف معدني فلزي متنوع لا يعرف عنه إلا الشيء القليل. وتبقى أهم المكامن المعدنية المعروفة هي تلك التي تهم معدن الحديد.

وتتميز الجهة بنمو ديموغرافي سريع، غير أن ساكنتها لا تمثل إلا 0,14% من مجموع سكان المغرب، و6,1% فقط من مجموع سكان الجهات المغربية الصحراوية. وهذا يجعلها منطقة فراغ سكاني يرتبط بمحدودية مواردها الطبيعية القارية، وبعدها الجغرافي، وأيضا بشساعة أراضيها. إذ الكثافة السكانية لا تتعدى 0,26 نسمة / كلم². وقد عرفت نموا ملحوظا جراء تزايد عدد السكان خلال العقدين الأخيرين، فقد انتقل حجم ساكنة الجهة من 21496 نسمة سنة 1982 إلى 36751 سنة 1994، أي بنسبة نمو 4,57% في السنة. وتعتبر هذه النسبة من نسب النمو الديموغرافي العالية المسجلة بباقي الجهات المغربية الصحراوية.

غالبية سكان جهة وادي الذهب - الكويرة يستقرون بالوسط الحضري، فنسبة التمدين تتجاوز 84%. ويرتبط هذا التوزيع السكاني اللامتكافئ بالدينامية الديموغرافية السريعة التي تعرفها مدينة الداخلة، والتي جعلتها تحتضن أكثر من 81% من مجموع ساكنة الجهة وحوالي 96% من مجموع السكان الحضريين المقيمين بهذه الجهة. ويتوزع باقي هؤلاء بمرکزین صغيرین جدا هما الكويرة والعركوب. ومن المرتقب أن تتعزز نسبة التمدين وتتوسع الشبكة الحضرية داخل الجهة بعدما تنتهي أشغال بناء وتجهيز المركز الحضري الجديد بموقع أوسرد.

وتشكل مدينة الداخلة اليوم القطب الحضري الرئيسي داخل الجهة، نشأت وتطورت كمركز بحري عند الساحل الشرقي من خليج وادي الذهب الذي يوفر ميناء طبيعيا يفتح على أحد أغنى وأكبر المصايد البحرية الوطنية. وقد تمكن هذا المركز الذي ظل يعاني من التهميش بسبب بعده الجغرافي، من الظفر غداة عودته إلى الوطن الأم بوظائف أخرى غير تلك المرتبطة بالنشاط البحري، مثل الصناعة والتجارة والخدمات والإدارة.

بالنظر إلى طبيعة عناصر الوسط المتميزة بجفاف المناخ ومحدودية الموارد المائية وفقر الأتربة، وحسب المعرفة المحدودة المتوفرة حول المكامن المعدنية والطاقية، فإن ركائز الاقتصاد الجهوي تنحصر في دعامتین أساسيتين هما استغلال الأحياء البحرية والزراعة المرتكزة على النشاط الرعوي بالدرجة

الأولى، وكل ما يترتب عن هذين المحورين من أنشطة حرفية وتجارية وخدمية وإدارية، إضافة إلى كون جهة وادي الذهب - الكويرة بحكم موقعها تبقى مرشحة للعب دور تجاري دولي موجه نحو دول إفريقيا الغربية.

على غرار باقي الجهات الصحراوية، يتم النشاط الفلاحي بجهة وادي الذهب - الكويرة في إطار نظام زراعي رعوي مبني على الترحال، لا تمثل زراعة الأرض إلا نشاطا تكميليا وعابرا يتوسع نسبيا خلال السنوات المطيرة، ويتراجع ويتوقف خلال السنوات الجافة التي تدوم مدة طويلة.

تتمثل الأراضي القابلة للزراعة في المجاري المائية وفي الكرارات التي تمثل منخفضات مغلقة تنتهي عندها الأودية التي تحمل إليها المواد الغرينية التي تشكل قاعدة غطاء ترابي غني نسبيا. ويبقى المحصول الوحيد القابل للنجاح عند هذه الأوساط هو الشعير الذي يدخل في نظام تغذية السكان وكذلك كعلف تكميلي للماشية في بعض الحالات.

تتوفر الجهة على دوائر سقوية محدودة المساحة، تعتمد على ما توفره الأثقاب المائية الأرتوازية ومجموعة من الآبار تستغل مياه الخزانات الجوفية المحلية بصيب إجمالي في حدود 200 ل / ث، وتتشكل هذه الدوائر من ثلاث وحدات هي تاورطة وظهر الحولي وتينبكر مجموع مساحتها حاليا هو 102 هكتار، وتبقى قابلة للتوسيع إلى حدود 225 هكتار. ورغم صغر المجال المسقي فإنه يساهم في تغطية جزء من حاجيات مدينة الداخلة من المنتوجات الزراعية من نوع الحليب والخضر والفواكه.

إن النشاط الفلاحي المسقي والبوري يبقى محدود الأهمية، ووقعه على الحياة الريفية محدود جدا بالقياس إلى النشاط الرعوي الذي يظل أساسيا لدى فئات عريضة من السكان، على الرغم من التحولات التي عرفها المجتمع خلال العقود الأخيرة. فبحكم طبيعة الوسط الصحراوي ومط عيش الترحال وتوفر مراعي شاسعة تتجاوز 12 مليون هكتار، تعتبر تربية الماشية النشاط الرئيسي لدى السكان الريفيين ولدى نسبة مهمة من السكان المستقرين بالمراكز الحضرية. وإذا كان من الصعب ضبط حجم القطيع بسبب نمط الترحال الذي يفرض التحرك المستمر للماشية، فإن التقديرات المتوفرة حاليا تفضي إلى أن الجهة تحتضن حوالي 96000 رأس، منها 40500 من الماعز و30500 من الغنم و25000 من الإبل. ومقارنة هذه التقديرات مع تقديرات السنوات الفارطة تظهر أن القطاع أخذ في التوسع، وأن التآطير الذي تقوم به مصالح الفلاحة على مستوى تنمية الموارد المائية، والمراقبة والعناية الصحية بالثروة الحيوانية، وتنفيذ وتنظيم برامج دعم الأعلاف، وغير ذلك من التدخلات بدأت تعطي أكلها.

كما أن عناصر الوسط الساحلي والبحري المحاذي والمقابل لجهة وادي الذهب - الكويرة تطورت وانتظمت بشكل جعل منها أحد أغنى الأوساط الأحيائية البحرية المغربية والعالية، التي تبحث عنها مراكز الصيد الوطنية والدولية

بالبحر. كما أن السواحل وخاصة عند خليج وادي الذهب توفر إمكانيات طبيعية وفرص نجاح مهمة لتربية الأحياء البحرية. وحتى تستفيد هذه الجهة من هذا المورد الطبيعي المتجدد، فقد تم التدخل من أجل توفير مركب مينائي عصري متطور يجمع بين وحدتين متباينتين: رصيف قابل للتوسع على شكل جزيرة في عرض مياه خليج وادي الذهب قادر على استقبال مراكب الصيد بأعالي البحار؛ وحي صناعي وترفيهي مرتبط بهذا المرسى بممر خاص، تم التخطيط لإعداده جنوب مدينة الداخلة على مساحة تتجاوز 270 هكتارا. وبالموازاة مع ذلك، فقد تم التفكير في وضع مجموعة من القرى العصرية للصيد على امتداد ساحل الجهة الذي يتجاوز 660 كلم. وفي انتظار أشغال المركب المينائي المذكور، ينحصر نشاط الصيد البحري في الصيد الساحلي الذي يزاوله عدد محدود من المراكب لكنه يساهم بحوالي 40٪ من حجم الإنتاج المحلي الإجمالي، وفي الصيد التقليدي الذي تنشطه حوالي 3500 زورق مجهز بمحرك تشغل أكثر من 12000 فرد. أما الإنتاج فإنه في تزايد مستمر وقدّر سنة 1998 بأكثر من 30000، 45٪ منها تمثله الرخويات، حوالي 40٪ يمثلها سمك السردين، والباقي تمثله أنواع السمك الأبيض.

تزخر جهة وادي الذهب - الكويرة بإمكانات سياحية غنية وشديدة التنوع تجمع بين المشاهد الصحراوية الأصيلة، والفضاء الطبيعية الفسيحة، والمناظر الساحلية المتغيرة المغربية بالقيام بأنشطة رياضية واستجمامية متعددة، وتقدم هذه المنطقة الصحراوية إرثا حضاريا نوعيا يبرز أحد الأوجه المصنئة للشخصية الثقافية المغربية. وقد تعزز هذا الغنى مؤخرا بعزم مصالح المياه والغابات على خلق مجالات محمية شاسعة، ستساعد على خلق الظروف المواتية لنمو وتطور بعض عناصر النبات والوحيش المهددة بالانقراض، والتي تمكن في نفس الوقت من تنشيط السياحة البيئية التي أصبحت سوقها الدولية تتوسع بشكل ملموس خلال السنوات الأخيرة. وعلى الرغم من المجهودات المبذولة على صعيد البنيات التحتية مثل ربط الجهة بشبكة الطرق البرية الوطنية وأيضا شبكة النقل الجوي الداخلي، فإن عدد السياح الوافدين يبقى محدودا مما يدعو إلى المزيد من العمل من أجل خلق مجال سياحي قادر على استثمار الموارد الطبيعية والثقافية المتوفرة.

إن جهة وادي الذهب - الكويرة تزخر بإمكانات اقتصادية واعدة، يمكن في حالة إيجاد السبل الكفيلة باستثمارها بشكل جيد ومستديم أن تصبح إحدى الجهات المغربية النامية على الرغم من موقعها الجغرافي الذي يجعل منها منطقة صحراوية حدودية ونائية.

تحريرات ميدانية.

الحسن المحداد

حالياً)، حيث يتميز هذا الموقع بملاءمة التكوينات الجيولوجية، إذ يتكون قعر الوادي أساساً من الشبست الحثي غير النافذ الذي من شأنه أن يحول دون تسرب المياه المعبأة بالسد. وقد انتهت أشغال بناء السد سنة 1931 حيث كانت طاقة الخزن به تقدر بـ 18.000.000 م³، في حوض تبلغ مساحته 240 هكتار. وقد شيد حوض Vanne على بعد 5 كلم في اتجاه السافلة، لتجميع المياه الآتية من السد حيث يتم توزيعها على قناتين من الأسمنت المسلح إحداهما رئيسية يصل صبيبها إلى 450 ل / ث تمتد على الضفة اليمنى، وبلغ طولها ما يناهز 14 كلم، أي إلى حدود مركز سيدي موسى المجدوب، أما القناة الأخرى فثانوية وتمتد بالضفة اليسرى على طول 4 كلم بصبيب يقع في حدود 50 ل/ث، وكان الغرض من هذه التجهيزات في البداية هو سقي : 1400 هكتار بسافلة السد، غير أن المساحة المسقية تراجعت أثناء السبعينيات من القرن العشرين إلى حوالي 400 هكتار بسبب التلاشي التدريجي للسواقي، وكذا الشيخوخة التي أصابت السد مبكراً بسبب تراكم الأوحال في حقناته لعدة سنوات دون العمل على إزالتها، فتقلصت طاقته الاستيعابية إلى أقل من النصف مع بداية التسعينيات، في حين كان من الأفيد تقنيا واقتصاديا إزالة الرواسب من الحقينة بصفة تدريجية والاستفادة منها بإعادة نشرها بمواقع تعرضت تربتها للإزالة كبعض المساحات السفحية والمقالع بسافلة السد بغية إعادة إحيائها. وهكذا لم يعد لهذا السد الآن (نهاية القرن العشرين) أي دور في سقي الأراضي بالمجال الفلاحي الموجود في سافلة الوادي، فضلا عن عدم تزويده للمراكز الحضرية والتجمعات السكنية الريفية المجاورة بالماء الصالح للشرب، وهذه المزايا يمكن تحقيقها بواسطة استصلاح وإعادة تأهيل السد، مع العلم أنه بالإمكان كذلك استغلال البحيرة كفضاء ومكان للسياحة والترفيه قصد الحصول على موارد مالية يمكن صرفها في مشاريع تهدف إلى حمايتها من التوحد ومن أجل مد قنوات السقي وصيانتها.

وثائق إدارة سد وادي المالح : المختار الأكلح، دينامية المجال الفلاحي بهضبة بنسليمان، أطروحة دكتوراه الدولة في جغرافية الأرياف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، أبريل، 2001.

المختار الأكلح

وادريم (آيت -) قبيلة من قبائل سوس، تقع عند مقدمة جبال الأطلس الصغير ممتدة نحو الجنوب الشرقي لمنطقة هشتوكة عند موقع إدا غاران وإدا وبوزيا التي تحدها غربا، وتمتد شمالاً إلى إمي مزين وآيت فارس التي تفصلها عن مركز آيت باها، ومن الجنوب تمتد نحو قبيلة آيت حامد، وشرقا تحدها قبيلة آيت والياض وتحيط بها مواضع كبرى هي آيت ويگمسان وإيمديون وآيت أوغان وإيمكيون وآيت تيكشيران وآيت إيفوس. ومن مداشرها : آيت المعلم، آيت بلخير، آيت الزاويت، أكنبوش، تاسيلا، إيفغل، آيت الطالب إبراهيم.

واد المالح، حوض إجمالي يقدر بحوالي 2800 كلم²، يعتبر وادي المالح من أهم الأودية على صعيد بلاد الشاوية ككل ؛ فهو دائم الجريان ؛ إذ بالإضافة إلى العيون المتعددة التي تتسلل مياهها لهذا الوادي، فإنه يتغذى أيضا ببعض الروافد، خاصة من الضفة اليسرى، أهمها وادي زميرن ووادي العطاش بالعالية ووادي الحصار بالسافلة. وقد بلغ الصبيب الأقصى لوادي المالح في يناير 1996 عند محطة القياس بالسد ما قدره 80 م³ / ث، مع وارد مائي سنوي يصل في المعدل إلى 120 مليون م³، متجاوزا بكثير مثيله عند أودية مجاورة كالنيفيخ والشراط، وهذه الكميات المائية مرتبطة أساسا بحجم التساقطات المطرية ولا سيما بالهضبة الوسطى حيث توجد منابع روافده الأساسية. وترجع تسمية هذا الواد بالمالح إلى ارتفاع درجة ملوحة مياهه التي تصل خارج فترات الفيضان إلى 2 غ / ل، ويعزى ذلك بالأساس إلى ارتفاع درجة ملوحة مياه بعض العيون المزودة له (الارتباطها بطبقة الترياس الغنية بالأملاح)، ومن هذه العيون نذكر بالخصوص عين الصهريج بجماعة سيدي موسى المجدوب وعيون المغبرة بجماعة سيدي موسى بنعلي وعين مكون بالجنوب - الغربي لجماعة مليلة. لكن رغم الملوحة النسبية لمياه هذا الوادي فإنها تلعب دوراً هاماً في ازدهار زراعة الخضراوات على ضفاف مجراه، باعتبارها المصدر الرئيسي للسقي، خاصة بالضفاف الوسطى والسفلى عند جماعتي سيدي موسى بن علي وسيدي موسى المجدوب اللتين يقطعهما وادي المالح من الجنوب - الشرقي نحو الشمال - الغربي، وحيث اتساع قعر الوادي يتراوح حسب المواقع من زهاء 300 م إلى حوالي 1200 م، كلها مغطاة بتوضعات ترابية خصبة. مما جعل سكان المنطقة يلتجئون منذ القديم لاستغلال هذه المياه في سقي المزروعات بطرق تقليدية. وقد تنبّهت السلطات الاستعمارية الفرنسية منذ السنوات الأولى لاحتلال المغرب في بداية العقد الثاني من القرن العشرين إلى أهمية المؤهلات الاقتصادية وغيرها لشريط وادي المالح فشرعوا في بناء سد على هذا الوادي سنة 1928.

تجريات ميدانية.

Direction des Mines, de la Géologie et de l'Energie, Ressources en eau du Maroc, t. 2, Rabat, 1975, p. 156 ; Monographie de la Direction Provinciale des Travaux Publiques de Benslimane, Service des Eaux, 1999, p. 3-4 ; Direction des Mines..., op. cit., p. 157.

واد المالح (سدّ -) مع الدخول الرسمي للاستعمار الفرنسي إلى المغرب سنة 1912 أصبح شريط وادي المالح محط أنظار المعمرين لما يتوفر عليه من مؤهلات فلاحية وترفيهية قل نظيرها ببلاد الشاوية، وللاستفادة من هذه المؤهلات بادرت السلطات الاستعمارية لوضع مخطط لتهيئة حوض الوادي منذ 1920، وفي مارس 1928 تم الشروع في تشييد الوادي في موقع يبعد فقط بحوالي 19 كلم من مصبه في المحيط الأطلنطي بجوار مدينة فضالة آنذاك (المحمدية

جنسياتهم كالتالي :

| مغاربة | يونانيون | إيطاليون | إسبان | فرنسيون |
|--------|----------|----------|-------|---------|
| 1.785 | 16 | 20 | 100 | 295 |

وحسب إحصاء 1926، انتقل عدد سكان وادي زم إلى حوالي 3.045 نسمة، شكل منهم الفرنسيون 426 نسمة، وبلغ عدد الأجانب 177 نسمة، وظل المغاربة يشكلون الأغلبية بحوالي 2.445 نسمة. وفي سنة 1951، كان عدد سكان وادي زم يناهز 13.774 نسمة، احتل فيها المسلمون الأغلبية بحوالي 11.469 نسمة. وحسب إحصاء شتنبر 1994، بلغ عدد سكان بلدية وادي زم 73.953 نسمة، موزعة على 13.762 سكن، شكلت الإناث 51,29٪، واحتل الصغار أقل من 15 سنة 34,09٪ من المجموع، في حين بلغت نسبة الساكنة النشيطة (ما بين 15 و59 سنة) 58,57٪. ووصلت نسبة الأمية في صفوف السكان البالغين عشر سنوات فما فوق 38,31٪. و73,06٪ من المنازل مكهربة، و47,88٪ مرتبطة بشبكة الماء الصالح للشرب.

وخلال فترة الحماية، انتقلت وادي زم من مكتب للاستخبارات لمراقبة بني خيران وورديفة سنة 1916 إلى دائرة راقبت وادي زم أبا الجعد وبني زمور إضافة إلى ورديفة وبني خيران والسماعلة. وخلال الثلاثينيات كانت وادي زم دائرة تابعة لجهة الشاوية، راقبت ملحقة أبي الجعد ومكتب وادي زم وملحقة دار ولد زيدوح. وخلال الخمسينيات كانت وادي زم عاصمة لإقليم يشرف كذلك على ملحقة خريبكة. اشتهرت بانتفاضة 20 غشت 1955، تلك الانتفاضة التي خلفت خسائر مادية وبشرية ثقيلة في صفوف المغاربة كما في صفوف الأوربيين، وهي اليوم بلدية وفي نفس الوقت دائرة تشرف على عدة قيادات في إطار التبعية الإدارية لإقليم خريبكة وجهة الشاوية وورديفة.

عبد الكريم العبدوني، يتيمة العقود الوسطى، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، 305 ك.

Reyronnet Raymond, *Tadla, pays Zaïan, Moyen Atlas*, Alger, 1923 ; *Recensement Générale de la Population et de l'Habitat de 1994*.
صالح شكاك

وادي المخازن (معركة -) هو وادي يقع على مشارف

قصر كتامة (القصر الكبير)، شهدت ضفته الجنوبية إحدى أشهر المعارك في تاريخ المغرب والبرتغال معا.

كان للزراع على العرش بين العاهل السعودي المتوكل (981 - 983 موافق 1573 - 1575)، وعميه عبد الملك المعتصم وأحمد المنصور تأثير أساسي في التطورات التي أدت إلى المعركة وما كان لها من أصداء داخل المغرب وخارجه. وقد قرر كل من المعتصم وأخيه أحمد إقصاء

وتعتبر هذه الحدود البارزة على الخريطة الطوبوغرافية لسنة 1934 هي نفس الحدود التي وردت في كتاب : ديوان قبائل سوس في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي في القرن السادس عشر، حيث يقول "وأهل وادريم من واد سغوغ [شمالاً] إلى حدهم بأزيلال من الجوف [أي الغرب] وحدهم من اليمين [أي الجنوب] بمائتي سرجة". وكانت السرجة تساوي 75 شخصاً في المقياس السعودي، فكان بذلك عدد سكان آيت وادريم يبلغ 15.000 نسمة وهو عدد هائل يومئذ إذ يعادل سكان قبيلة آيت حمد المجاورة لها ويشكل ضعف عدد سكان قبيلة سندالة، ومن حيث التقسيم الإداري فأيت وادريم منسوبة إلى قبائل هشتوكة قديماً وهو نفس التقسيم الذي تحتفظ به الآن فهي تنتمي إلى عمالة شتوكة آيت بها. وقد أنجبت قبيلة آيت وادريم عدداً من العلماء نذكر من بينهم الأستاذ محمد الوديعي وهو من أساتذة معهد محمد الخامس بتارودانت المشهورين، كما أنجبت العديد من التجار المستقرين في بعض المدن المغربية أمثال : سي عابد الوديعي وغيره (انظر المعلمة) وكذا العديد من العمال المهاجرين خاصة إلى فرنسا وبلجيكا وغيرها.

الحساني إبراهيم، ديوان قبائل سوس في عهد أحمد المنصور الذهبي، تنج. عمر أفا، 1989، ص. 23 ؛ خريطة سنة 1936، خرائط طبوغرافية 200 مليم مدينة تارودانت وتافراوت ؛ المتوكل الساحلي، معهد محمد الخامس بتارودانت، الدار البيضاء، 1985، ص. 165. عمر أفا

وادي زم، يعتقد أن اسم المدينة يعني وادي السباع على اعتبار أن كلمة إيزم بالأمازيغية تعني السبع. وكانت وادي زم في الأصل قصبية من القصب التي شيدت في عهد السلطان مولاي إسماعيل وورد اسمها ميثوثا هنا وهناك في بعض المصادر. ففي معرض حديثه عن الأزمة السياسية التي عرفها المغرب بعد وفاة المولى إسماعيل، أشار أحمد الناصري إلى "أن السلطان المولى عبد الله كان مقيماً في هذه المدة عند البربر وأنه تبع المولى المستضيء عند خروجه من مكناسة [...] وسار في اعتراضه إلى أن بلغ قصبية وادي الزم [...] وفي خامس عشر رجب ثلاث وخمسين ومائة وألف تحرك السلطان المولى عبد الله من الزم إلى مكناسة". وجاء في البيتيمة في شأن ولي تادلة الشيخ بلقاسم بن محمد الزعري "وكان له عزيب في بلد ورديفة وهو نازل مع أصحابه في موضع يقال له وادي الزم".

وبالنظر إلى موقعها الاستراتيجي ووفرة مياهها، اتخذ منها الفرنسيون ثكنة عسكرية للربط مع المراكز الخلفية بالشاوية وللتقدم نحو باقي الأطلس المتوسط. وإلى الغرب من الثكنة تكونت نواة المدينة. ففي سنة 1916، كانت نواة المدينة تمتد بجانب الطريق الرابطة بين ابن أحمد وأبي الجعد والفقير بن صالح، بينما بلغ عدد سكانها حوالي 400 نسمة. وانتقل عددهم في سنة 1920 إلى 1200 نسمة، 300 منهم أورييون. وفي سنة 1921، توزع سكان وادي زم حسب

المتوكل الذي وصف بالقسوة فالتمس مساعدة عسكرية من الخليفة العثماني سليم، حيث استقبلهما في القسطنطينية وكانت تلك فرصة ثمينة بالنسبة لأحمد المنصور ليطلع على التنظيمات العسكرية والتقنيات الحربية لدى العثمانيين وليقتبس الكثير منها فيما بعد، عندما تولى الملك بعد أخيه عبد الملك.

وأحاله السلطان العثماني على تمثليه بالجزائر. ومن هناك عادا إلى المغرب يصحبهما خمسة آلاف جندي وضابط بعثادهم مقابل تعهدات بتعويض الجيش التركي بمجرد إقضاء المتوكل. ومن الأتراك أو العلوج العاملين في صفوفهم، اتخذ المعتصم حاجبه رضوان. وأدت هزائم المتوكل إلى استنجاهه مباشرة بالعاهل البرتغالي الشاب دون سباستيان الذي التزم المتوكل أمامه بتنازلات ترابية قد تجرد المغرب من كل سواحل له حساب البرتغال. وبدأت استعدادات سريعة فيما يبدو من الجانب البرتغالي لمواجهة عبد الملك المعتصم وأنصاره. وكان عبد الملك قبل ذلك قد فرض نفسه سلطانا على معظم المناطق المغربية، وأسند إلى أخيه أحمد إمارة فاس والأقاليم المرتبطة بها. أما المتوكل فقد حاول أن يثبت أقدامه بسوس التي استولى عليها فترة قصيرة، وقد كانت تمد يدها إلى المعارضين من العلماء والأمراء الذين يعدون منهم، لكن ما لبث المعتصم أن استرجع سوس، وكاد عرشه يتزعزع بمراكش أيضا. وقد بدا أن الجبهة الداخلية غير متماسكة لدى النظام السعدي. وقد حاول المتوكل وهو يتحرك مع الجيش البرتغالي نحو المغرب، أن يضغط على العلماء والأشراف والصلحاء والجند مهدداً إياهم في خطاب مطول بسوء العاقبة إن لم يتراجعوا عن بيعه عبد الملك، لكنه تلقى من علماء فاس وياقي أطراف المعارضة، مذكرة مطولة ترمي المتوكل بالخيانة وتتهمه بجلب العار والهوان إلى مواطنيه. والواقع أن المتوكل حسب رواية كل من العسكري وابن القاضي التزم التخلي عن كل التراب الساحلي المغربي لدون سباستيان الذي طمعه طموح الشباب في احتلال كل ما بقي من سواحل المغرب خارجا عن سيطرة البرتغال وإسبان. وذلك أن سواحل الأطلسي خاصة، تؤمن سهولها المزيد من الثروات الزراعية والسمكية، كما أن الموانئ الجنوبية خير محط لسفن المحتل قبل مواصلة سيرها عند الاقتضاء إلى سواحل إفريقيا الغربية. تم إن وضع اليد على الساحل المغربي جملة يخنق عملية التبادل الاقتصادي المباشر بين المغرب وأوروبا.

ويدون شك، فإن أحمد المنصور بوجه خاص وسائر الأطراف الوطنية الواعية، كانت تدرك جيدا مغامرة المتوكل وحليفه البرتغالي دون سباستيان الذي لقي معارضة حقيقية لمشروعه غير المدروس بكيفية عميقة. وحسب وثائق دوكاستري (فرنسا، مجلد 1) فقد تسلط على عبد الملك مرض الكوليرا الذي كان منه هلاكه قبل نشوب المعركة مباشرة، ولكن عبد الملك كان قد اتخذ الحيطة لتكبيد العدو

في أضعف الاحتمالات أكثر ما يمكن من الخسائر. لذلك أمر بإخلاء أصيلا من سكانها لكي يطمع فيها الجيش البرتغالي، إذ اتخذ القرار باستدراج هذا الجيش إلى الداخل لأنه قدم بأسطوله عبر الساحل الأطلسي، واحتل أصيلا فعلا وهناك رواية أخرى تنسب إلى قائد أصيلا أنه توأما مع المتوكل لتسليمها إلى البرتغال، ثم تقدمت القوات البرية البرتغالية يحاذيها الأسطول من جهة البحر. وأخيراً تخطت قنطرة وادي المخازن وعسكرت بفحص القصر الكبير تاركة النهر وراءها، بينما عسكر الجيش المغربي تاركا وادي المخازن شماله. وكان دون سباستيان قد أبحر قبل هذه الأحداث سراً إلى سبتة ليتقصى الأوضاع المغربية عن كثب، كما كان شأنه بطنجة أيضا، غير أن تطور الأحداث تجاوز معلوماته السطحية عن القبائل ذات الشكيمة بشمال المغرب، كما أن عنصر المفاجأة في الصدام المسلح كان نقطة القوة في صفوف المغاربة.

وقد ذكرت تقديرات مختلفة بشأن أعداد الجيشين وفرقهما. فقد تنزل إلى نحو ستين ألفا أو ترتفع إلى مازاد على المائة ألف لدى كل من الفريقين، لكن الاعتبار العددي لم يكن هو الذي حسم المعركة، لأن كلاً من الجيشين كانت تتقدمه فرقة المدفعية، وكانت كلتاها تتوفر على 36 مدفعا. ورجال المدفعية هم حتى هذه الفترة أتراك في عامتهم بالنسبة للجانب المغربي. وكما كان لدى هذا الجانب نظاميون ومنتوعة من الصلحاء والعلماء وغيرهم، فقد كان الجانب البرتغالي يتقدمه قساوسة بأعلامهم وصلبانهم. وعندما احتشد عسكر سباستيان عمد الطرف المغربي إلى هدم القنطرة التي كان قد عبرها البرتغال.

وفي يوم 30 جمادى الأولى 986 الموافق 4 غشت 1578 أخذ القساوسة يرددون الصلوات والابتهالات وسائر الجند البرتغالي وقيادته في حالة خشوع، فبادرت مدفعية الجيش المغربي إلى إطلاق نيرانها على صفوف العدو حيث نالت منها قتلا وترويعا، وتدافع الناجون إلى وادي المخازن، ففضى كثير منهم غرقاً. وتمكنت أعداد أخرى من اللحاق بالسفن لتعود من حيث أتت. وكان عبد الملك المعتصم قد هلك من الكوليرا قبل بدء المعركة التي قُتل فيها أيضا كل من سباستيان وحليفه المتوكل؛ لذلك أطلقت الرواية الأوروبية اسم معركة الملوك الثلاثة على هذه الواقعة التي تحمل اسم معركة وادي المخازن في الرواية المغربية حتى الآن. على أن الجيش المغربي، وبخاصة المنتوعة من الصلحاء، تعقبوا أعداد المنهزمين وأنخنوا فيهم قتلا. ولا تلتفت الرواية المغربية إلى دور المدفعية الذي كان حاسماً لصالح الجانب المغربي والذي أوضحه هوفر Hoefffer في كتابه (إمبراطورية المغرب)، لكن المصادر العربية المغربية نوهت بدور رضوان الحاجب الذي أخفى موت المعتصم، وكان يوجه التعليمات إلى الجيش باسمه.

ويجسد هنري طيراس، كمحلل تاريخي، الترتيب الذي

ورزازات، وهذا بحث له أهله. أما اختفاء همزة الوصل في وارزىك، فذلك ما يؤكد أن الاسم يعود إلى لهجة قبيلة - لمطة - الأمازيغية.

وسيدي وارزك هذا صالح يزار، يقال بأنه باعمراني قديم، وموقعه في جنوب مدينة سيدي إفني، على بعد حوالي 18 كلم.

وترجع أهمية موقعه إلى وجود عين غزيرة بجانب الضريح، عندما يقع الجزر في المحيط، وفي تلك المياه يسقى السكان، وتشرب الحيوانات الأليفة والمتوحشة، والمياه الساخنة صالحة لأمراض جلدية، مثل المياه الموجودة في عين أبأينو قرب - أكلسيم - . وهناك من يرجع وفاة الولي إلى القرن 11، وأن قبته ترجع إلى سنة 1282 مثل الصالح سيدي محمد بن عبد الله، ومدرسة المسيدرة، وذلك من تشجيع القائد الحاحي، خليفة السلطان، وهناك إشارات بأنه يستغل من وراء ذلك المعادن ونقل تجارة الصحراء إلى الصويرة، وهذا ميدان آخر.

وتبرز أهمية الموقع من تلك المياه، حيث تنزل القوافل التجارية، وقد أشار البكري إليها، كما أنه مرسي طبيعي، لذلك رشع في عهد السلطان الحسن الأول، في رحلته إلى سوس سنة 1299 فقال ابن زيدان : (وألزم العمال جوار المراسي، الأريع : وهي مرسي سيدي محمد بن عبد الله، ومرسي سيدي وارزىك، ومرسي إيسنك بأيت باعمران، ومرسي - أكلو). مع العلم أن - إيسنك - كان بعيدا عن المحيط بحوالي عشرين / كلم والموقع حاليا مرشح لاستثمارات سياحية، بفضل وجود طقس معتدل، وسهل وجبل، ورمال ذهبية، كما أنه قريب من المدينة على الطريق الساحلية، ويتوفر على ثروة سمكية.

ابن زيدان، إتخاف أعلام الناس، ج 2، ط 2 : الحسين جهادي، جانب من تاريخ آيت باعمران.

الحسين جهادي

وازقور أو وزقور أو زقور، مدينة أثرية ودار لسك

النقود خلال الفترة الإدريسية. واعتمادا على مجموعة من القطع النقدية، يرجع أن تكون المدينة قد أسست من طرف المولى إدريس الثاني ما بين سنتي 192 و197 / 809 - 814، إذ تم العثور على عدة دراهم مؤرخة، تؤكد أن تاريخ بدء سك النقود بوازقور يرجع إلى سنة 193 / 808 - 809. وفي محاولة لتوطيق الموقع، يرى الباحث "كولان" أن مدينة وازقور المتندسة قد تتواجد على وادي بوازقور، أحد روافد الضفة اليسرى لنهر أم الربيع، على بعد حوالي ثلاث كيلومترات جنوب مدينة خنيفرة.

ومما يزيد الأمر تعقيدا أن مدينة وازقور قد وردت عند عدد من المؤرخين، لكن فقط أثناء جرد المراكز والحواضر المتواجدة بالمغرب الأقصى، دون إعطاء تفاصيل عن موقعها أو عن مكوناتها ودورها. وفي نفس الوقت، يظهر أن

اتخذته الفرق المغربية، وهو على شكل هلال يسمح للجناحين بحركة أسرع، بينما الشكل التريبي للفرق البرتغالية يحد من مرونة تحركها، أما دوكاستري فيسوق رواية تقدر قتلى المغاربة بـ 18 ألفاً، وقتلى البرتغال بـ 25 ألفاً. ولاشك أن التقدير هنا بالنسبة للطرف المغربي مبالغ فيه كثيراً، لأنه يقتضي أن الجانب البرتغالي الذي فقد أعداداً ضخمة من رجاله بصورة مفاجئة وسريعة استرد أنفاسه فوراً وحقق ما يُشبه نصراً بدل الهزيمة، ومن دون شك، فإن الطرف البرتغالي غامر في معركة غير مدروسة الجوانب والأبعاد، بشرياً، وآليا واستراتيجياً، والرواية التي ساقها أبو الحسن الفاسي تفيد أن جيش سياستيان تمكن من اختراق ميسرة الجند المغربي بفعالية، لكن ما لبثت صفوف هذا الجناح أن كرت على العدو وتعقبت فلوله.

ومهما يكن من أمر، فإن أحمد المنصور نظر إلى انتصار وادي المخازن من زاوية منفرجة تسع من الاحتمالات ما لا تسعه زاوية حادة. فلم يكد يسلم جثة دون سياستيان إلى ذويه وأوليائه حتى أخذ يفكر في استثمار هزيمة البرتغال لنقل المعركة إلى التراب الإسباني على مراحل عسكرية ودبلوماسية، ومن ثم حاول أن يحظى بدعم مادي استراتيجي من جاره الأبعد جنوباً في مالي : أسكية إسحق الذي كان ردهً سيئاً، وأدى إلى فتح السعديين للسودان، دون أن تتحقق طموحات المنصور في فتح إسبانيا بالرغم من الجهود الدبلوماسية التي بذلها لإقناع البريطانيين بمشاركته عسكرياً وسياسياً. وأثناء ذلك وحتى الآن، ظلت إسبانيا تحكم قبضتها على سبتة ومليلية.

عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا، تح. عبد الله گتون، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1384 / 1964 : محمد الصغير الإفرائي، نزهة الحادي، تح. عبد اللطيف الشاذلي، الدار البيضاء، 1998 : ابن العياشي محمد الكناسي، مخطوط، ص. 96 - 99، خ. ع، الرباط : أبو القاسم الزباني، الترجمان المغرب، خ. ع، الرباط : أبوراس العسكري، الخبير المغرب، مخطوط، خ. ع، الرباط، ك 226 : أحمد الناصري، الاستقصا، ج 5، ص. 69 - 84، الدار البيضاء، 1955 : محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ج 2، كلية الآداب، الرباط، 1410 / 1989.

Marmol (Carabajal), *Histoire des chérifs et des royaumes du Maroc*, Paris ; F. Hoefler, *Empire du Maroc*, Paris, 1848 ; De Castries (Henry), *Sources inédites de l'histoire du Maroc, France I*, Paris ; Auguste Cour, *L'établissement des dynasties des chorfa au Maroc*, Paris, 1904 ; Lévy Provençal, *Les historiens des chorfa*, Paris, 1922 ; Funck Brentano, Art. Al-Mansour, in *Encyclopédie de l'Islam*.

إبراهيم حركات

وارزك ، هكذا ينطق عند المحليين، وانفرد القاضي

سيدي محمد وُبلُوشُ الباعمراني بخط يده بأنه وارزك علي، بينما كتبه الشريف ابن زيدان هكذا ورزىك، بزيادة الياء قبل الكاف. قد يكون هذا العلم مركبا من كلمتين : وار + زىك، ومعنى ذلك، الواقع وراء الجرف، وهو كذلك جغرافيا، على غرار واردادات، أي وراء وديان دادس، المحرفة إلى

المصادر التي تحدثت عن المدينة قد نقلت عن بعضها، إذ نجد نفس المعلومات عند كل من ذكرها. ويروي المقدسي أن "زقور" في "يدي ولد إدريس بن إدريس بن عبد الله". وفي القرن 5 / 11، وأثناء حديثه عن تقسيم إمارة بني إدريس، أورد البكري أن "وازقور" كانت من نصيب عيسى الذي فضلها على سلا (شالة) واتخذها مقراً له، وهو ما يدفع إلى الاعتقاد بأن المدينة قد كانت أهم وأعظم شأنًا من باقي حواضر "عمله"، يقوي هذا الافتراض أن عيسى "صاحب وازقور" عندما ثار على أخيه محمد، صاحب فاس، "ونكث طاعته" وانهزم أمام جيوش أخيه عمر، فإنه فر من وازقور "وهرب إلى سلا".

ومن خلال دراسة للقطع النقدية الإدريسية والقطع المعاصرة لها، استطاع دانييل أوسطاش أن يبرز مكانة وازقور ويؤكد أن الموقع قد لعب دوراً متميزاً في سك النقود الإدريسية، حيث أبانت قراءاته أن وازقور ضربت دراهم بشكل متواصل على عهد إدريس الثاني، منذ سنة 197 / 815.814، تحمّل مأثورة مدار وجهها بخط كوفي بسيط عبارة "وزقور مدينة إدريس" و "بسم الله ضرب هذا الدرهم بوزقور سنة..."، وبقيت على عهد خلفه كمرکز نشيط للسكة حتى وفاة الأمير داوود ابن إدريس سنة 270 / 885. وقد فقدت المدينة أهميتها مباشرة بعد هذا التوقف المفاجئ لدار السكة بها، مما جعل بعض الرواة يخلطون بينها وبين مرسى أزموور على الساحل الأطلسي، وجعل آخرين يصفونها بـ "الموضع" مثل البكري، الذي أورد أن المرحلة العاشرة على الطريق الرابط بين مدينتي أغمات وفاس هي "موضع يعرف بأوزقور كان يسكنه قوم يعرفون ببني موسى من ربيعة الأندلس، فاستفسدوا إلى من جاورهم وأسأوا عشرتهم فحاربوهم، فغلب الأندلسيون وقتل منهم كثير وافترق باقيهم ببلاد أغمات، وبقي منهم بأوزقور نفر يسير بالأمان، فهم إلى اليوم".

البكري، المسالك والممالك، 1965؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، الطبعة الثانية، 1906؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، الرباط، 1999؛ ابن خلدون، كتاب العبر، الجزء الرابع، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.

Ibn al-Faqih al-Hamadani, *Abrégé du livre des pays*, trad. H. Massé, Damas, 1973 ; G. S. Colin, *Fāzāz, Encyclopédie de l'Isma, 2ème éd., t. 2, p. 894-895* ; D. Eustache, *Etudes sur la numismatique et l'histoire du Maroc, Corpus des dirhams idrisites et contemporains*, Rabat, 1970-1971. أحمد صالح الطاهري

الدواسلامي، التامدرتي حسن، ينسب إلى أسرة الشرفاء الدواسلميين المنتشرين في جزولة؛ والده مبارك بن مسعود البعقلي المعدري، أحد رجالات العلم في القرن الثالث عشر (19)، والمذكور بالإنجاز الشعري كما كان خاله الحاج الحسين الأخصاصي فقيهاً ناسكاً. أما صاحب الترجمة فوصفه السوسي بثاني اثنين في

سهل سوس في عصره؛ مع تقدم على أقرانه لانفتاحه على معارف عصره، إضافة إلى تقيبه عن أخبار علماء عصره، والاطلاع على فتاويهم وعلى نوادر صوفية عصره وعلمائه عامة في حسن استحضار.

أخذ عن عبد العزيز الأودزي القرطبي في الفقه، ثم لازم والده المشار إليه في علوم العربية والفقه والأصول والبيان والحديث والتفسير. ولما توفي والده سنة 1350 / 1931 خلفه في التدريس بمدرسة أخرب بيلفاح في هشتوكة سوس، ولم يلبث أن انقطع عن التدريس ليتولى خطة العدالة بسبب عدم الاتفاق مع بعض أفراد القبيلة؛ وبعد استقلال المغرب انتقل إلى أكادير قاضياً ثم عضواً بقسم الاستئناف الجهوي إلى سنة 1382 / 1962 ثم رئيساً لهذا القسم الذي توفي أثناء القيام بمهمته فيه سنة 1386 / 1966.

وصف الحسن التامدرتي بالحنوي البار والفقيه الناقد البصير في دقائق الفقه والعمل السوسي والأصول والبيان مع يد طولى في التاريخ وعلوم الأدب. بدأ كتاباً في تراجم علماء سوس بلغ به ثلاثين ترجمة ووصفت بالإنصاف وحسن التتبع إلا أنها ضاعت، كما اشتغل بمنظومة أبي زيد عبد الرحمان الجشتيمي (1269 / 1852) من الرجز والتي شرحها محمد الأزاريفي وغيره. وهي في نحو 1667 بيتاً في العمل السوسي (انظر شرحها مطبوعاً بتحقيق عبد الله الجشتيمي - وهو غير صاحب المنظومة وتسمى أيضاً نظم ما ليس في المختصر).

م. المختار السوسي، سوس العالة، 197. 218. المعسول، 12 : 249. 260. 262. 263. 265 : العمل السوسي في الميدان القضائي، 21.

محمد البايك

واسول، اسم اشتهر به محمد بن الفتح بن ميمون بن مدرار الصفري الخارجي. قام بسجلماسة وتلكها سنة 321 / 933 فادعى الخلافة وتسمى بأمير المؤمنين وتلقب بالشاكر لله وضرب الدنانير والدرهم التي عرفت بالشاكرية وكانت في غاية الطيب.

اشتهر بالعدل وإقامة السنة خلال مدة حكمه إلى أن غزاه قائد العبديين جوهر الصقلي وحاصره بسجلماسة وضيق عليه الخناق إلى أن دخلها بالسيف، فقبض على الشاكر وأوثقه في الحديد وحمله أسيراً إلى مدينة فاس سنة 349 / 960. وعندما انتهى جوهر من غزواته في المغرب حمل الشاكر مع أمراء زناتة والأدارسة إلى إفريقية أسارى في أقفاص من خشب على ظهور الجمال وجعل على رؤوسهم قلاتيس من لبد مستطيلة منبثة بالقرون، فطيف بهم في أسواق القيروان ثم المهديية حيث قام بحبسهم إلى أن ماتوا في سجنها، وفي رواية أخرى ذكر ابن عذاري أو واسول قتل

بسجل ماساة في رجب من سنة 347 / 958 بعد أن غدر به قوم من مدغرة وسلموه إلى جوهر الصقلي.

ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، بيروت، 1983؛ ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، القسم الثالث، الدار البيضاء، 1964؛ مجهول، مفاخر البربر، الرباط، 1934؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1974.

رشيد السلامي

الوافي، المهدي بن محمد ولد بمدينة مراكش 1356 / 1937، حفظ القرآن الكريم في سن مبكر. التحق بابتدائي جامعة ابن يوسف سنة 1366 / 1946، واستمر يتدرج في أسلاكه إلى أن نال شهادة العالمية سنة 1379 / 1958 شعبة الشريعة الإسلامية. ومن شيوخه نذكر السادة العلماء :

- السيد عماد الدين محمد، الشريف مولاي الصديق العلوي، الشريف مولاي الطيب المريني، السيد محمد بن عبد الرزاق، السيد أحمد الكنسوسي، السيد عبد السلام جبران، وغيرهم كثير.

وفي سنة 1379 / 1959 التحق بالمعهد التربوي بالرباط لمدة سنة تدريبية، بعدها عين أستاذا للسلك الثاني بشانوية ابن يوسف. ولم تشغله أعباء التعليم عن تحقيق طموحه العلمي، فانتسب إلى كلية الحقوق التي تابع بها الدروس إلى أن حصل على شهادة الإجازة في الحقوق بالرباط، ثم حصل على شهادة في الصحافة، ثم ازداد طموحه وشغفه بالمعرفة، فالتحق بدار الحديث الحسنية فتخرج منها وهياً رسالة دبلوم الدراسات العليا، ثم دكتوراه الدولة، فعين أستاذا مساعداً، ثم محاضراً بكلية اللغة العربية لمدة خمس وعشرين سنة، بعدها عين عميداً بنفس الكلية مدة خمس سنوات. ومنها التحق أستاذا بكلية الحقوق.

مؤلفاته المطبوعة :

- 1- الاجتهاد في الشريعة الإسلامية : نشأته وتطوره. رسالة دبلوم الدراسات العليا لدار الحديث.
 - 2- فقه الإمام ابن عبد البر.
 - 3- الإمام مالك وكتابه الموطأ.
 - 4- الموجز في التشريع الإسلامي.
 - 5- الإسلام والتطور.
 - 6- فقه الفقهاء السبعة في جزأين، رسالة الدكتوراه.
- توفي يوم الاثنين 23 شوال 1417 / 3 مارس 1997، ودفن بمقبرة باب دكالة.

المجلة المغربية للاقتصاد والقانون المقارن، العدد 31، سنة 1999، كلية الحقوق مراكش؛ أحمد المتفكر، ذيل الإعلام.

أحمد متفكر

والحاج، أحمد من أسرة رباطية عرفت بالجهاد، له صيت ذائع في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان، كان بحرباً

يقوم بتدريب الشبان على الجهاد في عرض البحار. خاض عدة عمليات لمحاربة التهريب في الشمال. ففي 21 جمادى الأولى من سنة 1257 / 11 يوليوز 1841 كلفه السلطان برصد السفن الأجنبية التي كانت آنذاك تقوم بوسق المواد الممنوع تصديرها، وفي شعبان من السنة نفسها، شتبر 1841 أسر الراجس والحاج سفينة فلشوا الإسبانية التي أمر السلطان بالاحتفاظ بطاقمها في انتظار إجراء المفاوضات بشأنهم مع المسؤولين الإسبان. كما كان يتكلف بقيادة السفن المقلدة للحجاج المغاربة، ففي جمادى الأولى من سنة 1253 / غشت 1837 استأذن الرئيس والحاج السلطان في نقل الحجاج بمركبه فأذن له وحمل معه مؤونة ستة أشهر، وكان عدد بحريته ثلاثة عشر، وأجرت السفينة بعشرة ربات، وكانت تحمل تسع مائة شخص. وأمر السلطان عامله عبد السلام السلاوي بأن يشرف على هذه العملية، وأن يسقط من الكراء كمانية المركب والباقى يدفع لبيت المال والثلث الباقي للرئيس والبحرية.

الفاسي، مدينة الرباط، ص. 17.

عبد الإله الفاسي

الوالي، عبد السلام بن أحمد، ولد بفاس في أوائل القرن العشرين حيث حفظ القرآن الكريم، وتابع دراسته الفقهية والعلمية بالقرويين. كان يقرض الشعر في أغراض شتى ويميل إلى دعوة الإصلاح، ورفع المستوى الاجتماعي للمرأة. بالإضافة إلى ما كان يتميز به من روح وطنية صادقة عرضته إلى الاعتقال سنة 1937، والزج به في سجن كوليمبا الرهيب، ذلك السجن الذي ابتليت فيه مجموعة من أبناء مختلف طبقات الشعب المغربي أشد البلاء وفي ظليعتهم العلماء أمثال : محمد القري وعبد العزيز ابن إدريس وعبد الهادي الشرايبي وغيرهم كثير.

وعندما أطلق سراحه، وتنسم عبير الحرية عاد إلى مسقط رأسه حيث انخرط في سلك التعليم الخاص، وفتح كتاباً قرآنياً في المدينة القديمة لتلقين الناشئة مبادئ القراءة والكتابة وتربيتها على التمسك بأركان الدين الإسلامي الخنيف، والاقتراء بنهج السلف الصالح إلى أن وافته المنية في الربع الأخير من القرن الماضي للميلاد ودفن بمحضر أهله وبني عشيرته.

محمد الكتاني، من ذكريات سجين مكافح، ص. 181-182؛ لقاء خاص مع ابن أخ المترجم له.

عبد الرحمن القباج

والي المظالم، اقترن اسم "والي المظالم" بمؤسسة ولاية المظالم، التي تعتبر من أهم الولايات الإسلامية المتخصصة في رفع المظالم. وقد حدّد "الماوردي" الشروط الواجب توفرها في والي المظالم في : "أن يكون جليل القدر، نافذ الأمر، عظيم الهيبة، ظاهر العفة، قليل الطمع، كثير الورع، لأنه يحتاج في نظره إلى سطوة الحماة، وثبت القضاة، فيحتاج

السلطة والقرارات الصادرة عن أجهزة الدولة، التي تسبب لهم ضرراً أو تلحق بهم حيفاً، وضد الأحكام الجائرة التي يصدرها القضاة، أو التي تتنافى مع أحكام الشرع الحنيف. وقد تعاقب على شغل منصب "وزير الشكايات" شخصيات مرموقة مشهود لها بالنزاهة والكفاية والمروءة من بينها: الفقيه اليماني، والفقيه عبد الله الروسي في عهد السلطان مولاي إسماعيل، والفقيه الإمام عبد الله القصار، وبعده العلامة محمد بن أحمد أكنسوس في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، والفقيه محمد الصفار، والفقيه علي المسفيوي في عهد السلطان مولاي الحسن الأول، وأحمد بن موسى (الصدر الأعظم) في عهد السلطان مولاي عبد العزيز، والوزير محمد بن كبور، والفقيه عبد الله المتوگي في عهد السلطان مولاي عبد الحفيظ. لقد كان وزير الشكايات يقوم بدور المنسق والمراقب المركزي على السلطات السفلى، ويصحح تجاوزات هذه السلطات في حل النزاعات ذات العلاقة بمنح الامتيازات والمعاشات.

وكما تدل على ذلك تسميتها، فقد كانت وزارة الشكايات تعمل جاهدة للحد من ظاهرة استغلال السلطة وسوء تدبير المرافق العمومية.

وبسبب نظام الحماية على المغرب ألغيت هذه الوزارة، وعمدت سلطات الحماية إلى تقسيم خطة المظالم إلى قسمين: قسم أضيف إلى الصدارة العظمى، والقسم الآخر إلى وزارة العدالة التي أحدثها السلطان مولاي يوسف. وبقي الأمر على هذه الحال إلى أن تم إحداث مكتب الأبحاث والإرشادات سنة 1956 بعد حصول المغرب على استقلاله، حيث عهد إليه بتلقي الشكايات الواردة على القصر الملكي والبحث فيها.

وعند اعتلاء صاحب الجلالة الملك محمد السادس العرش أحدث مؤسسة ديوان المظالم بتاريخ 9 دجنبر 2001، وعين بظهير السيد سليمان العلوي واليا للمظالم بتاريخ 12 دجنبر 2002، وعهد إليه بتأسيس ديوان المظالم في ثوبه الجديد. ويمكن استخلاص الأسباب الموجبة لإحداث هذه المؤسسة من خلال استقراء مضامين الرسالة الملكية التي تلاها صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد بمقر أكاديمية المملكة المغربية، بمناسبة تخليد ذكرى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وتمثل في:

- "تعزيز الأجهزة الملزمة برفع المظالم وإحقاق الحقوق وحماية الحريات التي تعد من أقدس مهام جلالته الملك أمير المؤمنين؛

- التأكيد على النهج الذي سار عليه أسلاف جلالته، الذين عملوا دوماً على إحداث مؤسسات بجانبهم تتولى اطلاعهم على ما قد يلحق رعاياهم من مظالم، وإصلاح ما قد يصدر عن بعض المسؤولين الإداريين من أخطاء وتقصات؛

- تفعيل الأثر للمفهوم الجديد للسلطة، القائم على

إلى الجمع بين صفات الفريقين، وأن يكون بجلالة القدر نافذاً في الجهتين، فإن كان ممن يملك الأمور العامة كالوزراء والأمراء، لم يحتج النظر فيها إلى تقليد وكان له بعموم ولايته النظر فيها. وإن كان ممن لم يفوض إليه عموم النظر، احتج إلى تقليد وتولية إذا اجتمعت فيه الشروط المتقدمة". وكان الخلفاء يتولون بأنفسهم النظر في مظالم الرعية، ويخصصون يوماً أو يومين في الأسبوع لسماع المظالم وردّها، وكانوا يتدبّون القضاة للبت في الخصومات الناشئة بين الأفراد. إلا أنه بعد اتساع رقعة الخلافة والتغيرات التي طرأت على الأنظمة السياسية والاجتماعية، اضطر الخلفاء إلى إحداث ديوان متخصص للنظر في المظالم والفصل في القضايا المعقدة التي استعصى حلها على القضاة والمحاسبين. وكان مجلس والي المظالم يعقد بحضور خمسة أصناف من المستشارين من القضاة والحكام والحماة والأعوان والفقهاء والكتاب والشهود.

ويشمل اختصاصه النظر في تعدي الولاة على الرعية، وجور العمال فيما يجوبونه من مال، وفي مواكبة أعمال كتاب الدواوين، وتظلم المسترزقة من نقص أرزاقهم، ورد الغصب السلطانية، ومشاركة الأوقاف العامة والخاصة، وتنفيذ الأحكام التي عجز القضاة عن تنفيذها، والنظر فيما عجز عنه الناظرون من الحسبة في المصالح العامة، ومراعاة العبادات الظاهرة كالجموع والأعياد والحج والجهاد من تقصير فيها وإخلال بشروطها، والنظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين.

وقد عرف المغرب بدوره نظام "والي المظالم" وولاية المظالم، الذي انتقل إليه عبر المشرق والأندلس، حيث كان والي المظالم باعتباره مفوضاً من طرف الخليفة أو السلطان يتمتع بسلطات واختصاصات واسعة، يمارس من خلالها الرقابة على العمال والمحاسبين والقضاة. إلا أن ذلك لم يكن ليحول دون تخصيص جلسات أسبوعية للبت في المظالم من طرف الخلفاء الذين تعاقبوا على حكم المغرب، من مرابطين وموحدين ومرينيين وسعديين وعلويين.

وهكذا "كان المنصور الموحدي يقعد للناس عامة، لا يحجب عنه صغيراً أو كبيراً، حتى اختصم إليه رجلان في نصف درهم فقضى بينهما".

وفي عهده تقلد "أبو القاسم بن بقي" ولاية المظالم وقضاء الجماعة براكش، واشترط عليه قبل توليته "أن يكون قعوده بحيث يسمع حكمه، فكان يقعد في موضع بينه وبين أمير المؤمنين ستر من ألواح".

وفي عهد الدولة العلوية تطورت مؤسسة ولاية المظالم وارتقت إلى درجة وزارة، وأصبح المسؤول عنها يعرف باسم "وزير الشكايات"، وكان يجلس إلى جانب الصدر الأعظم ووزير البحر وأمين الأمناء والعلاف، أي ضمن التشكيلة الحكومية. وكان اختصاصه يمتد إلى النظر في التظلمات والشكاوى المرفوعة إليه من طرف المواطنين ضد جور رجال

بتنمية التواصل بشأن القضايا ذات الصلة، بما قد يعترض بعض المواطنين من صعوبات خاصة في علاقاتهم بالإدارة.

ويقوم والي المظالم بأمر من جلالة الملك بالبحث في القضايا التي تدخل في مجال اختصاصاته، ويقدم لجلالته تقريرا بنتائج تحرياته، كما يتولى النظر في شكاوى وتظلمات المواطنين الذين يعتبرون أنفسهم ضحايا أي قرار أو عمل يتنافى مع مبادئ سيادة القانون والإنصاف، صادر عن إدارات الدولة، أو الجماعات المحلية، أو المؤسسات العمومية، أو أي هيئة عهد إليها بصلاحيات السلطة العمومية. وإلى جانب المسطرة الخاصة بمعالجة التظلمات والشكايات، بإمكان والي المظالم القيام بدور حيوي من أجل الوساطة لتسوية الخلافات في بعض القضايا التي يرغب الأطراف، أي الإدارة والمتعاملين معها من الأشخاص الذاتيين أو الاعتباريين الخاضعين للقانون الخاص، في إيجاد تسوية عاجلة وحل منصف للخلاف.

ومن جهة أخرى يتعين على والي المظالم أن يرفع تقريرا سنويا إلى صاحب الجلالة، عن حصيلة التظلمات والشكايات وطلبات التسوية ومآلها، وبرنامج المؤسسة على المدى القصير والمتوسط، وموجزا عن الوضعية المالية لديوان المظالم. ينشر هذا التقرير كليا أو جزئيا بأمر من جلالة الملك في الجريدة الرسمية.

كما يتعين عليه أن يرفع إلى الوزير الأول، بالإضافة إلى التوصيات العامة بشأن التدابير الكفيلة بإحقاق الحق بخصوص التظلمات المعروضة عليه، تقارير تتضمن اطلاعه، عند الاقتضاء، عن حالات امتناع الإدارات المعنية عن تنفيذ الأحكام القضائية أو تنفيذ الحلول المقترحة من قبل والي المظالم، ويقدم بذلك الملاحظات والاقتراحات الكفيلة بإصلاح مواطن الخلل في سير الجهاز الإداري، وتحسين أدائه، وإصلاح النصوص القانونية المتعلقة به. كما يقدم تقريرا سنويا إلى المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان، يتناول القضايا التي تهم النهوض بهذه الحقوق في نطاق اختصاصه، وفق أحكام المادة 13 من الظهير المحدث لمؤسسة ديوان المظالم، والمادة 59 من نظامها الداخلي.

ومن جهة أخرى ألزمت المادة الخامسة عشرة من الظهير المحدث للمؤسسة، والي المظالم بأن يعرض على مصادقة جلالة الملك نظاما داخليا يحدد على الخصوص :

- الهيكلية الإدارية والمالية والمحاسبية لديوان المظالم ؛
- الاختصاصات والتفويض المخول للمندوبين الوزاريين والجهويين لوالي المظالم ؛

- مسطرة وشروط تقديم التظلمات والشكايات والبت فيها.

وتنفذا لمقتضيات هذه المادة قام والي المظالم بتقديم النظام الداخلي إلى صاحب الجلالة بالقصر الملكي بتطوان بتاريخ 3 شتنبر 2003، فتفضل نصره الله، بالمصادقة عليه، والموافقة على التوصيات والاقتراحات المرفوعة إلى جلالته. الذي أصدر أمره السامي بالمصادقة على ذلك بظهير شريف.

جعلها في خدمة المواطن والتنمية، وعلى قريبا منه، والتزامها بضوابط سيادة القانون والإنصاف ؛

- حرص جلالة الملك على أن يجعل من هذه المؤسسة أداة فعالة لتطوير التواصل بين المواطنين والإدارة، ووسيلة مرنة وتوفيقية ومبسطة للنظر في تظلمات وشكايات المواطنين، وملاذا آمنا للذين يعتبرون أنفسهم ضحايا أي قرار أو عمل مخالف للقانون أو مشوب بعدم الإنصاف، صادر عن أي إدارة أو هيئة عهد إليها بممارسة السلطة العمومية ؛
- تخفيف عبء الشكايات الإدارية عن المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان".

ومن جهة أخرى أكدت ديباجة الظهير المحدث للمؤسسة على بيان الأسباب التي استوجبت هذا الإحداث، والتي يمكن إجمالها في :

- "إتمام البناء الذي بدأ بتشبيده جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، لإعلاء كلمة الحق والعدل والإنصاف، بإحداث المحاكم الإدارية والمجلس الاستشاري لحقوق الإنسان ؛
- تجسيد الإرادة الملكية في توطيد ما تحقق في هذا المجال من مكتسبات ؛

- الاستجابة لما يصبو إليه المواطنون من إنصاف في مواجهتهم للإجراءات الإدارية التي تزداد تعقيدا بالنظر لما يطبع القضايا المطروحة على الإدارة من تكاثر وتقنية متطورة، ولصعوبة تكييف المرافق العمومية مع متطلبات بعض الحالات الخصوصية ؛

تكملة المهام التي يقوم بها الجهاز القضائي بما له من مساطر معقدة بطبيعتها وما يحكمه من قوانين عامة ؛
- تدعيم الدور الذي يضطلع به المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان في مجال الاختصاصات الموكولة إليه".

وتتميز مؤسسة ديوان المظالم بميزتين أساسيتين هما :
- استقلالها عن الأجهزة التنفيذية والتشريعية والقضائية، مما يمكنها من التجرد التام في البت في التظلمات المحالة عليها ؛

- اعتبارها قوة اقتراحية للإصلاح التشريعي والإداري والقضائي.

ويتم تعيين والي المظالم من طرف جلالة الملك بظهير لمدة ست سنوات قابلة للتجديد، من بين الشخصيات المتشعبة بمبادئ العدل والإنصاف، والمشهود لها بالاستقامة والنزاهة الفكرية والمادية، والمتوفرة على خبرة واسعة وتجربة طويلة في مجال التسيير وممارسة الشأن العام.

وقد عهد إليه بمقتضى الظهير المحدث للمؤسسة بممارسة الاختصاصات المسندة إليه بمساعدة مندوبين له يقوم بموافقة جلالة الملك بتعيينهم وإنهاء مهامهم، في كل من الوزارة الأولى والقطاعات الوزارية، ويمكنه أيضا تعيين مندوبين جهويين في المراكز الرئيسية للجهات، وحرص على أن يؤديوا مهامهم بكامل الاستقلالية والتجرد. كما يمكن لجلالة الملك أن يعين بديوان المظالم، عند الاقتضاء، مندوبين مكلفين

ومن المعلوم أن إحداث مؤسسة ديوان المظالم، وسيرها على النهج القائم على استلهام مقاصد الشريعة السمحة، وتقاليدنا الحضارية في إيجاد حلول مغربية لقضايا مغربية، لا ينعها من الانفتاح على القيم المثلى للتراث الإنساني المشترك، والإفادة مما يعرفه من مؤسسات ماثلة في النظم المعاصرة. وتحقيقاً لهذه الغاية تربط مؤسسة ديوان المظالم علاقات تعاون وشراكة وتبادل للمعلومات والخبرات مع أغلب المؤسسات ذات الأهداف المشتركة، كمؤسسات الأوميدسمان (Ombudsman) في الدول الإسكندنافية وغيرها، ومؤسسة الوسيط في فرنسا وغيرها من الدول الأوروبية والإفريقية، ومؤسسة المدافع عن شعب في إسبانيا، وحامي المواطن في كندا، وحامي العدالة في البرتغال، ومؤسسة الموفق الإداري في تونس... (حوالي 100 مؤسسة).

واستناداً إلى أحكام النظام الداخلي، يعتبر والي المظالم الممثل القانوني لمؤسسة ديوان المظالم والناطق الرسمي باسمها. وهو الذي يتولى مهمة الأمر بالصرف للاعتمادات المخصصة للتسيير والتجهيز، في حدود الاعتمادات المقيدة ضمن ميزانية البلاط الملكي.

الموارد، الأحكام السلطانية والولايات : عبد الواحد المراكشي، المعجب في تاريخ المغرب : مولاي هاشم العلوي، أطوار ولاية المظالم عبر التاريخ : الظهير الشريف رقم 1.56.276 بتاريخ 6 ربيع الثاني 1376 (10 نوفمبر 1956) يتعلق بإحداث وتنظيم مكتب الأبحاث والإرشادات لدى جلالة السلطان : الظهير الشريف رقم 1.56.325 بتاريخ 15 رمضان 1376 (16 أبريل 1957) يتعلق بنفس المكتب : الظهير الشريف رقم 1.01.298 بتاريخ 23 رمضان 1422 (9 ديسمبر 2001) يتعلق بإحداث مؤسسة ديوان المظالم : الظهير الشريف رقم 1.02.337 بتاريخ 7 شوال 1423 (12 ديسمبر 2002) يتعلق بتعيين والي المظالم : الظهير الشريف رقم 1.03.240 بتاريخ 9 شوال 1424 (4 ديسمبر 2003) يتعلق بالمصادقة على النظام الداخلي لديوان المظالم : خطاب صاحب جلالة الملك محمد السادس بمناسبة اليوم العالمي لحقوق الإنسان بتاريخ 9 دجنبر 2001 بمناسبة ختم الظهير الشريف المحدث لمؤسسة ديوان المظالم : خطاب صاحب جلالة الملك محمد السادس بتاريخ 10 دجنبر 2001 بمناسبة حفل تنصيب والي المظالم بالقصر الملكي العامر بالرباط : البلاغ الصادر عن الديوان الملكي إثر استقبال جلالة الملك محمد السادس لوالي المظالم ومصادقته على النظام الداخلي للمؤسسة بتاريخ 2 شتنبر 2003.

سليمان العلوي

وانودين، (ابن) أسرة هنتاتية موحدية، جدّها الأكبر هو وانودين بن يصميت الهنتاني المصمودي، انتقل من الجبل إلى هرغة في تاريخ غير مضبوط. لعب أبناؤها أدواراً هامة في الجهاز المخزني الموحد الإداري والعسكري منذ بداياته الأولى على عهد محمد بن تومرت وخليفته عبد المومن بن علي، مستفيدين مما كان لبعض أفرادها من صلات شخصية تتجاوز حدود الدفاع عن المذهب الموحد التومري إلى المصاهرة وتقاسم السلطة. وكما كان لأفرادها دور إلى جانب

كبار الأسيخ والسادة من بني عبد المومن في قيام الدولة وإشاعها كان لهم دور في أفول نجمها وانهارها.
نظم الجمان، 87.

وانودين (ابن) **محمد أبو عبد الله** قائد ميداني، التحق بالأندلس مع أبي إسحاق إبراهيم بن عبد المومن لرد هجومات النصارى عن إشبيلية وأحوازها، وفك الحصار عن بعض الحصون، وأوصل إليها مساعدات غذائية في جمادى الثانية 578 / أكتوبر 1182 وانتصر على النصارى في طلبيرة وحمل غنائم منها إلى إشبيلية.

نكل به يوسف بن عبد المومن في صفر 580 / ماي - يونيو 1184 عندما أصبح نفوذه قويا بالأندلس. نفي إلى إفريقية، وهذا النفي أول محاولة من السادة أبناء عبد المومن للتخلص بالإبعاد نحو الأطراف الأسيخ الحفاظ والذي سيمهد فيما بعد لتولية أبي محمد عبد الواحد الحفصي أمر إفريقية لدفع خطر بني غانية.

البيان المغرب، 3 : 127 - 132 : المن بالإمامة، ص. 251.

إبراهيم أنوار

وانودين (ابن -) **محمد بن أبي يعقوب** يوسف، ذكر ابن عذاري أنه نشأ على الطهارة الدينية وتلاوة كتاب الله تعالى مع العقائد المهدوية، وكان يعرض الموطأ في مجلس الخليفة عبد المومن، ولذلك قربه إليه وجعله من جلسائه وخاصته، وقدمه قائداً على جيوشه وأصبحه معه في غزواته وحضر معه فتح بجاية سنة 547 / 1153 والمهدية سنة 555 / 1160. وفي عهد الخليفة يوسف بن عبد المومن شارك في قيادة جيش الموحدين إلى الأندلس سنة 560 / 1165، ثم أشرف بنفسه على محاربة ابن مردنيش شرق الأندلس سنة 570 / 1175، وهزم النصارى أهل شنترين وواجه جيوش الطاغية أدفونش بكثير من الحصون والقلاع. كما رافق الخليفة في غزوته إلى إشبيلية سنة 577 / 1181 ولعب دوراً كبيراً في قيادة جيوش الموحدين إلى مدينة طلبيرة وفي تحقيق انتصارات باهرة. وقد أظهر في حروبه ضد المتمردين بالأندلس إقداماً وصبراً ودفاعاً وقراعاً لم يظهر مثله إلا في زمان الأبرار المجاهدين الأخيار على حدّ تعبير ابن صاحب الصلاة، غير أن المنافسين والحاقدين سرعان ما تمكنوا من الإيقاع به عند الخليفة فنكل به وأمر بإيقافه وتغريبه بحصن غافق من ثغور الأندلس سنة 580 / 1184 ليستقر بعد ذلك بتونس.

البيدق، أخبار المهدي، الرباط، 1971 : ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، بيروت، 1987 : ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، بيروت، 1985 : ابن خلدون، العبير، ج 6، بيروت، 2000 : امبروسيو هوشي ميراندا، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، تعريب عبد الواحد أكغير، الدار البيضاء، 2004.

رشيد السلامي

وانودين (ابن) يوسف، شيخ من أشياخ قبيلة هنتاتة، نزل بداره محمد بن تومرت قبل بيعته عام 515 / 1121 . 1122 . وبإيعه عام 516 / 1122 . تاريخ بيعة معظم هنتاتة، شارك في إدماج قبيلة جزولة ضمن صفوف الموحدين. شارك إلى جانب عبد المومن بن علي الغومي على رأس فرقة عسكرية كلفت بغزو شرق المغرب وقبائل مديونة بالمغرب الأوسط عام 537 / 1142 . 1143 . كان عضواً في مجلس الخمسين الذي أسسه محمد بن تومرت، توفي في طريق عودته إلى فاس من المغرب الأوسط وذلك عام 544 / 1149 . 1150 هو والد أبي عبد الله محمد وأخو أبي طاهر تميم وأبي محمد عبد الحق.

أخبار المهدي، 82، 100 : الأنساب، 33.

إبراهيم أنوار

وانوكريم : وانو تعني باللهجة المحلية الأمازيغية الظهر، وقد أطلق على مراعيه الجنوبية المعروفة لدى سكان گندافة بالأطلس الكبير المراكشي قبل أن يطلق على قممه. هو أحد أهم جبال كتلة توكال يقع غرب قممها يفصله عنها المجرى الأعلى لوادي غيغاية (أسيف آيت ميزان) الذي يشرف عليه بسفوح عمودية لانطباقه على فوالق تميل إلى السواد، لأنه جبل يتكون من مصهورات بركانية صلبة ذات لون أسود : الأنديزيت تختلط أحيانا مع صخور حث وطين وكونغولوميرا. مما يعطي للجبل منحدرات صعبة وإفريزات وقمم ثانوية فهو يمتد على شكل عرف طويل من الجنوب إلى الشمال فاصلا بين غيغاية شرقا ووادي أرزان (المجرى الأعلى لوادي أزادن رافد وادي نفيس) بالشمال الشرقي ووادي وانوكريم (المجرى الأعلى لوادي أگنديس رافد وادي نفيس) بالجنوب الشرقي يكاد يتصل في وسطه بالقمة المستوية لجبل تازغارت : 3980 متر، لا يفصله عنها إلا فج تيزي ملوب الرابط بين الواديين السابقين : 3875م ونظرا لامتداده الطولي وتكوين حلبتين جليديتين بسفوحه الشرقية هما : أمغراس، إكلوا وإغزر ن بوايمغاز، فإنه يتميز بثلاث قمم : قمة بيكنوس بشماله : 4002 متر، وقمة وانوكريم 4089م بنهايته الجنوبية. وهي القمة الثانية بالمغرب بعد توكال، وقد سميت بهذا الاسم لوجود أرضية ومستوية صخرية قرب قمته تحيط بها صخور ويقربها حفرة ماء (من الثلوج الذائبة) يصعد إليها بعض الرعاة، فيتوضؤون بالماء ويطعمون الصلاة بهذا المسجد الطبيعي (تيمزگيدة)، وأسهل طريق للصعود إلى هذه القمم هي الانطلاق من تيزي واگان 3750م الفاصلة بين المجاري العليا لكل من أگنديس جنوباً وغيغاية شمالاً أو الصعود عبر المجاري العليا لوادي أزادن أو مراعي وانوكريم. وتشرف سفوحه الجنوبية الشرقية مع السفوح الجنوبية لجبل تازاغرت على روافد وادي وانوكريم التي تكون أحد أهم المراعي الجبلية : أكداال وانوكريم بها بضعة عزبان يستغلها سكان وادي أگنديس وبعض قبائل گندافة.

بحث ميداني وخرانطي : أحمد هوزالي، التحولات الجبلية والاقتصادية وحركة التمدين بالأطلس الكبير المراكشي، طريق تحاوت تيزي ن تاست.

Jean Drsrech, Le massif du Tobkal : guide alpin.

أحمد هوزالي

واوزگيت (آيت -) مجموعة قبلية كانت تتكون منذ أواخر القرن التاسع عشر من تسع عشرة قبيلة تضم 57 فرقة وحوالي 459 قرية متمركزة حول جبل سيروا والسفح الجنوبي لأطلس مراكش. ورغم أن هذه المجموعة القبلية لم تعد تجمعها روابط تنظيمية ملموسة، فإنها احتفظت بخصائص مشتركة تميزها إلى حد كبير عن غيرها مثل اللباس وطرق إعداد الطعام والسكن وفنون الغناء والرقص الجماعيين "أحواش" ... وهي خصائص تعود بالدرجة الأولى إلى التكيف مع شروط الحياة المحلية خلال قرون طويلة من الاستقرار، أكثر مما تعود إلى أصل مشترك لا يقوم عليه دليل صحيح. ومع أن اسم آيت واوزگيت مازال يستعمل اليوم فلا نجد من يقدم تفسيراً مقنعاً لدلوله رغم تعدد المحاولات، ويمكن الاكتفاء حالياً بترجيح التفسير الذي يربط معنى الاسم بصناعة الزرابي التي اشتهرت بها بلاد آيت ووزگيت.

وتتصل هذه المجموعة بروابط قديمة مع مجموعتين أخريتين إحداهما على الضفة اليمنى لوادي درعة الأوسط جنوب شرق سيروا تضم قبائل آيت الضوشن وآيت سمگان لگراو وآيت ساون وآيت تاسلا، وتعرف الأخرى باسم وزگيتة التي تقع بهضبة كيك على وادي نفيس. ويرجع أن هذه القبيلة الأخيرة تشكلت من هجرة قديمة قدمت من بلاد آيت واوزگيت خاصة في العهد الموحد، حيث كانت تشكل آنذاك بطنا من بطون قبيلة إينتاتن الموحدية التي لم يعد لاسمها اليوم وجود. وقد خضعت وزگيتة لقادة گندافة سنة 1875.

إبراهيم ياسين، جنوب أطلس مراكش تحت حكم الفرنسيين والقادة الكلاويين، دار أبي رسقراق، الرباط، 2003 ؛ عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج 1، الرباط، 1968.

M. Marquilly, Rapport de reconnaissance au Siroua : Les Aït Waouzuguit, S. R., 1er novembre 1912, A. Diplomatiques de Nantes, Maroc 435, p. 37 ; R. Montagne, Les berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc, Casablanca 1989, p. 36, 54, 186 ; Pierre Amard, Textes berbères des Aït Ououzuguite, Aix-en-Provence 1997, p. 30-41 ; J. Dresch et J. de Lepiney, Le massif du Tobkal, 3ème éd., Casablanca 1993, p. 56.

إبراهيم ياسين

الوهر، تكسو جسم الإبل مادة لا هي بالصفوف ولا هي شعر تسمى وبراً، وقد أودع الخالق سبحانه سراً من أسرارها في هذه المادة وفي الإبل التي أمرنا بالتأمل فيها : "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت الآية"، فالوهر يقوم بدور مزدوج مثله مثل البنات التقليدية المبنية "بالطابية"، يكون داخلها بارداً صيفاً دافئاً شتاءً ؛ وبما أن الجمل - سفينة الصحراء - يعيش في بيئة ذات تفاوت حراري كبير (المدي

الحراري اليومي ما بين 40° - 50° نهاراً و 5° - 0° ليلاً)، فالوير يقوم بدور المكيف لحرارة جسم الجمل، وقد حاول الإنسان الصحراوي استغلال هذه الخاصية، فصنع من الوبر أنسجة سميكة اتخذ منها الخيام وصنع منها بعض الأمتعة وبعض ملابسها، وإذا خلط الوبر بالصوف أو الشعر أوهما معاً كان أكثر صلابة، فتصنع منه الحبال والأحزمة والأشرطة ذات الاستعمالات المختلفة، وصنعت منه الغرائر والتلاليس (جمع تليس) لحمل المواد الصلبة على ظهور الجمال مثل الحبوب والقطاني وغيرها.

كان الوبر مادة وسلعة للتبادل التجاري الداخلي والخارجي، فالصحراويون يلتجؤون إلى مدن وأسواق التخوم الصحراوية الشمالية للتزود بالحبوب من قمح وشعير وبضائع أخرى مقابل مواد ومنتجات صحراوية منها الوبر؛ والوبر أنواع أجوده الأبيض، وما كان مصدره الجمل القوي اليافع. نسيج الوبر اليوم يعتبر من المنسوجات الطيبة، فبعض المصابين بالأمراض الجلدية وأمراض الحساسية وأنواع من الروماتيزم ينصحهم الأطباء بارتداء الملابس الداخلية المصنوعة من الوبر، وليس ذلك غريباً إذا علمنا أن الوبر كان مادة تستعمل في الطب الشعبي؛ وهناك علاجات أخرى يستخدم فيها الوبر يمكن الرجوع فيها لذوي الاختصاص.

البكري، المغرب، باريز، 1965؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ليدن، 1938؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، الطبعة الإيطالية نابولي، بدون تاريخ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، الرباط، 1972؛ محمد الطويل، النقل والتنقل، أطروحة دكتوراه الدولة كلية الآداب بالرباط.

J. Meunié, *Le Maroc saharien...*, Paris, 1982; Mauny, *Géographie de l'Occident Africain au moyen âge*, Dakar, 1966.

محمد حجاج الطويل

في أحواز تافراوت بالأطلس الصغير وأول من هاجر منهم مضطراً إلى آيت باعمران سعيد (حسب رواية العائلة). وأول من اشتهر من عائلة الوجداري إبراهيم بن سعيد، قال عنه الإكبراري: كان رجلاً ظريفاً رقيقاً، جواداً كريماً تولى مرتبة أنفلوس بعد وفاة والده، ارتقى بفضل صفات محمودة فيه وطموح، فكان أحد عمال السلطان مولاي الحسن الأول سنة 1299، وإذ بعد تقسيم قبيلة آيت بوبكر إلى آيت إخلف كان عامل السلطان هو أحمد بن الشيخ همّو الخلفي (معلمة المغرب، 3796) وإلى آيت النص وكلن عامله مترجمنا هذا.

وقد سُجِّل غلظاً متمعداً إنجازها لبناء المرسى في إسكّ وهو يبعد عن المحيط بأكثر من عشرين / كلم. إذ ليس له مناص من أن يغامر بالترامي على جزء من قبيلة آيت إخلف للوصول إلى المحيط، وجاء في رسالة السلطان الحسن الأول سنة 1301 (خدمنا إبراهيم أسعيد، بلغ علمنا أنك صرت تترامى على أولاد السيد محند بن يوسف وتروم إدخالهم في ولايتك، مع أنهم في ولاية الخديم أحمد بن همّو...) وذلك في سنة 1301. ولما استنكر المخزن هذا الترامي، أعلن حرباً قبلية كانت نتيجتها خسائر كبيرة في الرجال والخيل وحرقت الديار في معركة المسيد الأحمر، حيث قتل هذا العامل وأخوه سنة 1304. ثم تولى ابنه القائد محمد، وقال عنه الإكبراري: فهو على منوال أبيه إلا أنه ليس التكحل كالكحل، فهو رجل صبور حليم... وإليه يرجع بناء - تيكمتي ن وُكَلِيد؛ دار الملك، لحراسة الشاطئ بمرلفت، لكنه قتل غدراً لأنه غدر بخصوصه بدوره، فكان جزاؤه من جنس العمل.

إتحاف أعلام الناس، ج 2 ص. 337؛ علي المحمدي، السلطة والمجتمع؛ الإكبراري، روضة الأفتان في وفيات الأعيان، ص. 118؛ أنوش، ظهيران لعائلة الوجداري؛ الحسين جهادي، استجابات جانب من تاريخ آيت باعمران.

الحسين جهادي

وجدة (جغرافياً -) تشكل أهم قطب حضري بالمغرب الشرقي، وتلعب عدة أدوار إدارية واقتصادية وثقافية، باعتبارها مقراً للجهة الشرقية (التي تضم أقاليم الناظور، وجدة - أنكاد، بركان، تاوريرت، جرادة، فكيغ) والولاية وعمالة لإقليم وجدة - أنكاد، وتحتمض جامعة محمد الأول. لكن يجب الاعتراف بأن موقعها الحدودي والجيوستراتيجي، أصبح يفرض عليها مجموعة من الإكراهات التي أخذت تعرقل نموها الاقتصادي. فنظراً للروابط التاريخية التي كانت تربطها مع المجال الحدودي المغربي الجزائري (تلمسان، مغنية وهران) كان بإمكانها أن تلعب أدواراً دولية هامة، وتشكل معبراً للسواح المغاربيين والعرب والأجانب، لولا العامل الجيوستراتيجي المجدد منذ استقلال الجزائر، باستثناء مدة قصيرة تم فيها فتح الحدود في نهاية الثمانينيات والتي سرعان ما أغلقت من جديد، وهو ما أصبح يطلق عليه "حدود الجدار".

يمكن التأكيد على أن التطور الديموغرافي الإيجابي الكبير الذي عرفته مدينة وجدة خلال القرن 20 وبداية الألفية

وَجَاهَهُ، محمد تقي الله بن علي الشيخ ابن الشيخ محمد تقي الله ابن الشيخ محمد فاضل بن مامين الملقب بوجاهه، من رموز المقاومة في الصحراء المغربية خلال النصف الأول من القرن الماضي، واجه الفرنسيين في عدة مواقع لا تزال الذاكرة الشعبية تحتفظ بها باعتزاز رفقة مجموعة من المجاهدين مثل أخيه محمد المامون وإسماعيل ولد الباردي والشيخ ابن الأجر وأحمد حمادي وعلي ولد ميارة وغيرهم. ومن أبرز وقائعه معهم وقعة أم اغواكب التي قتل فيها أحد الضباط الفرنسيين.

توفي في معركة بوقرن يوم 5 ماي 1924.

إسماعيل ولد الباردي، محمد دحمان، ص. 59، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه، 1999؛ حوليات أهل الشيخ ماء العينين ومنطقة أدرار، ص. 55، تعليق سيدي أحمد بن أحمد سالم، مرقون خاص. محمد الظريف

الوجداري، عائلة باعمرانية، لها دور كبير في أحداث الإقليم، ما بين (1299 - 1325) أصلها من دوار تاكضيشت

كانت المدينة في بداية القرن 20 محصورة داخل أسوارها على مساحة ضيقة تقدر بـ 28 هـ يعيش داخلها حوالي 6500 نسمة حين احتلالها سنة 1907 ، لتتعدى مساحتها 4400 هـ في نهاية القرن 20 . ويفسر هذا التطور السريع لسكانتها ومساحة توسعها بالتطورات الهامة بعد هذا التاريخ. فباستقبالها جاليات أجنبية هامة، (جزائرية وأوربية...) تجاوزت بعد ذلك حدود الأسوار، وتكونت أنوية متعددة تحيط بمرکز المدينة المشكل من المدينة القديمة، وحي أوروبي، وحي عصري. ونشأت عدة أحياء هامشية، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، منها أحياء الطوبة وكولوج في شمال المدينة على الطريق المؤدية إلى أحفير بركان، وأحياء في غرب المدينة مكونة من : أولاد الشريف، انكادي سي لحضر والمير علي .. وتوسعت المدينة في الجهة الشرقية في حي ظهر لمحلة (لازاري) وسيدي يحي، ونشأت أحياء عصرية جديدة في جنوب - شرق المدينة منها حي المسيرة (زنكوط) والقدس قرب الجامعة. كما توسع البناء على محور الغرب (طريق الغرب : في اتجاه تازة فاس...)، وفي اتجاه بوعرفة وفيكيك.

وبصفة عامة فإن المدينة عرفت توسعا ديموغرافيا كبيرا بعد استقلال البلاد وعرفت توسعا عمرانيا سريعا للسكن غير اللائق ملفت للنظر منذ 1991. فإذا كانت الإحصائيات تشير في بداية التسعينيات إلى ما يقرب من 18.650 ن تسكن هذه الأحياء على مساحة 238 هـ، فإن ساكنة هذه الأحياء قد قفزت إلى 120.000 ن على مساحة 340 هـ حسب مونوغرافية بلدية وجدة لسنة 1996. وتوسعت المدينة في كل اتجاهات المحاور الكبرى للطرق.

إن وجدة، باعتبارها عاصمة المغرب الشرقي، تعتبر مدينة خدمات بامتياز لكل الجهة الشرقية، فهي تتوفر على أكبر المستشفيات (الفارابي)، والعيادات، وأهم التخصصات الطبية، والجامعة، وأهم الأسواق التجارية المهيكلة وغير المهيكلة (أسواق التهريب من الجزائر ومليبية). وتتوفر على محطة كبرى للقطار، ومطار دولي في ضاحيتها ببني درار يخدم الجالية المغربية ببلاد المهجر (أوروبا أساسا). غير أن النشاط الصناعي ضعيف، يقتصر على بعض الصناعات الاستهلاكية والغذائية. ولا يملك الوسائل الضرورية لتلبية طلبات ساكنة الجهة الشرقية.

فعلى المستوى الصحي، لا توفر وجدة إلا سريرا واحدا لحوالي 520 نسمة، وطيبيا واحد لـ 1882 نسمة، وعبادة طبية خاصة لأكثر من 3500 نسمة. وعلى الرغم من أهمية العائدات المالية للهجرة إلى الخارج، وأهمية رواج تجارة التهريب، لم تتمكن وجدة من هيكلة اقتصادها، حيث أغلب هذه الموارد المالية موجهة للاستهلاك، مثل ميادين التغذية واللباس والسكن، كما يتم تصدير جزء مهم من العائدات المالية إلى جهات ذات حيوية اقتصادية مهمة مثل الدار البيضاء. حاليا، يمكن الوقوف على مؤشرات وظواهر الأزمة

الثالثة لم يشهد له مثيل خلال القرون التسع الماضية. لقد كان عدد سكان وجدة سنة 1910 حوالي 6829 نسمة، أزيد من نصفهم مسلمون، يعيشون بسلاح مع اليهود والجزائرين، إضافة إلى عدد من الفرنسيين والأوربيين (363 نسمة). فنظرا لعاملي الاستعمارين الفرنسي والأسباني اللذين احتلا البلاد، وموقع المدينة على الحدود مع الجزائر المحتلة آنذاك من طرف فرنسا، سهل تسرب هذه العناصر إلى وجدة، مما يفسر النسب المتقاربة بين المغاربة والأجانب القاطنين بالمدينة في الفترة 1926 - 1936. كما أن الظروف التاريخية والاقتصادية والسياسية والإنسانية تحكمت إلى حد كبير في السكان عبر الحدود للاستقرار بالمدينة.

وتضاعف عدد سكانها ثلاث مرات تقريبا في الفترة 1910 - 1926 ليصل إلى 20.000 ن. وفي الفترة اللاحقة تضاعف سكانها أربع مرات ليبلغ قبيل الاستقلال حوالي 80.854 ن، وشكل فيها المغاربة المسلمون نسبة 62.2٪، إضافة إلى عدد هام من الجزائريين (14.500 ن) والفرنسيين والأوربيين (12.880 ن).

واحتلت المدينة المرتبة الثامنة (260.000 ن) من بين 14 مدينة مغربية في إحصاء 1982. ولم يعد يمثل الأجانب بالمدينة سوى 1.7٪ من مجموع سكانها.

وبرزت الطفرة السكانية الكبيرة للمدينة في نتائج إحصاء 1994، لعاملي الهجرة القروية والنمو الطبيعي، إذ بلغ عدد سكانها 357996 ن، لا تشكل فيهم الجالية الأجنبية سوى 1٪، مع اختفاء اليهود المغاربة بالمدينة (علما بأن عددهم سنة 1952 بلغ حوالي 3.170 ن). ويشير آخر إحصاء أجري سنة 2004 إلى أن عدد سكان المدينة قد بلغ 400738 ن موزعة على 82128 أسرة، بنسبة زيادة سنوية قدرت بـ 1.2٪ خلال الفترة (1994 - 2004).

أمام غلق المناجم المعدنية (الفحم بجرادة...) واشتداد الجفاف وتدهور الأراضي بأرياف وجدة والجهة الشرقية، تم شبه إفراغ لعدد من دواوير البوادي المجاورة (جبال بني يزناسن... والظهرة...)، وإن نسبة هامة من النازحين استقرت بالمدينة. وتفيد الإسقاطات الديمغرافية استمرار تراجع سكان البوادي في كل أقاليم الجهة الشرقية، وتزايد سكان مدينة وجدة بحوالي 50٪ خلال 25 سنة المقبلة.

هذا التطور الديموغرافي الكبير لم يواكبه تطور اقتصادي وتنموي لتلبية حاجيات وطلبات السكان. فما ميز المدينة خلال العقود الأخيرة هو توسعها العمراني أفقيا وعموديا، فتعددت بذلك الأحياء المتسترة والعشوائية، التي تنقصها التجهيزات الضرورية.

فمن حيث تطور نسبيها الحضري وأحيائها يمكن تقسيم ذلك في ارتباط مع التحولات التي تعرفها المدينة والبلاد، إلى ثلاث مراحل كبرى : خلال الحماية كمرحلة أولى، وبعد الاستقلال كمرحلة ثانية، وبعد المسيرة الخضراء إلى الآن كمرحلة ثالثة.

التي تعاني منها المدينة، منها إغلاق العديد من الفنادق السياحية والمحلات التجارية، أو اشتغالها ببطء، كما تتزايد أعداد الباعة المتجولين والأحياء غير القانونية وتدهور المدينة العتيقة.

هكذا، يمكن الجزم بأن مدينة وجدة لم تعد لها الهيمنة المطلقة كما كان عليه الحال سابقا، خاصة بعد نمو أقطاب حضرية جديدة أصبحت تنافسها في الوظائف الإدارية والاقتصادية. فأمام تصاعد أهمية بركان كمركز للإقليم، والناطور كميناء جهوي ومركز تجاري كبير، وأمام مشروع شق طريق وسكة حديدية بين تاويريرت والناطور وبناء مركب سياعي دولي بشاطئ السعيدية، ومشروع مد المدار الطريقي الرابط بين طنجة والسعيدية سينزلق، لا محالة، مركز الثقل الجهوي نحو شمال الجهة. لذا يمكن الاستنتاج بأن قوة وجدة لم تعد تتركز على نشاطها الصناعي والتجاري، بقدر ما تعتمد على التجهيزات الكبيرة التي تتوفر عليها في ميدان الخدمات المتميزة والمصالح الإدارية العليا.

ولكن رغم هذه العوائق والمنافسة الجديدة، تظل مدينة وجدة بدون منازع أهم تجمع حضري وإشعاعي بالجهة الشرقية. إنما تدعو الضرورة مع ذلك دعمها من طرف الدولة في إطار مقارنة تنموية خاصة، تراعي الظروف المحيطة بالمدينة، لتقوم بدورها التنموي المهيكل لمجال الجهة الشرقية وأساسا الأرياف والمراكز الناشئة.

حاليا، أمام المنعطف الخطير الذي تشكله العولمة، أصبح من المطلوب أن تبقى للمدينة وظيفة بناء سرح المغرب العربي إذا تغلب منطق التعاون والتكامل الجهوي، ووظيفة بناء جامعة متكاملة، وذلك ببناء المعاهد والمدارس العليا المتخصصة في القضايا الجهوية، مثل قضايا الجفاف والتصحر، وذلك سعيا وراء البحث والابتكار لبناء اقتصاد قائم على أسس متينة. ولا شك أن قرار بناء كلية للطب والصيدلة بالمدينة يسير في هذا الاتجاه، والذي سيعزز بنايات البحث والدراسات المتخصصة بالمدينة وبالجهة الشرقية.

موسى كرزازي، الحركة السكانية الأفقية وبعض انعكاساتها بوجدة، كعاصمة للمغرب الشرقي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، جامعة محمد الخامس، سلسلة ندوات ومناظرات، 1992؛ وزارة إعداد التراب الوطني والبيئة والتنمية والإسكان، 2000؛ تصميم التنمية وإعداد المجال بالجهة الشرقية؛ زروقي المبلود، 2004، الحدود وتنظيم المجال المحلي والجهوي بالمغرب الشرقي، دكتوراه دولة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة (غير منشورة)؛ مؤلفات مشتركة سلسلة إحياء التراث، (تنسيق المصطفى مولاي رشيد)؛ وجدة حاضرة الألفية،

2003؛ وجدة والجهة الشرقية، (2)، 2005.

Recensements Généraux de la Population et de l' Habitat (Dir. de la Statistique HCP), Rabat ; Kerzazi Moussa, Migration rurale et développement au Maroc, Pub. FLSH, Univ Mohammed V, Série Thèses et mémoire, n°55 (Chapitre Maroc oriental) ; Troin J -F (Sous la dir) et al, 2002, Maroc : Région, pays, territoires, Tarik édit, Maisonneuve & Larose.

شاكر المبلود وموسى كرزازي

وجدة، (تاريخ -) من أقدم المدن المغربية تأسيسا ونشأة؛ حيث يرجع تاريخ تأسيسها إلى سنة 384 / 994، على يد زيري بن عطية المغراوي لتكون عاصمة إدارية لدولته وقاعدة عسكرية وحصنا متيعا يلتجئ إليه وقت الحاجة. واختير لها موقع وسط، ثغر بين الإيالتين، المغرب الأقصى والمغرب الأوسط، هذا الموقع الذي أثر فيها طول تاريخها، سواء من الناحية السياسية أو من الناحية العمرانية. قد ورد ذكر وجدة، في المصادر القديمة بأسماء متعددة ومتباينة المعنى، بعضها أخذ معناه من المكان الذي توجد به المدينة، وبعضها من اسم النبات الذي يكثر بمنطقتها، وبعضها من الطبوغرافية. ومن أهم هذه الأسماء التي حملتها وجدة عبر تاريخها: مدينة دقيوس، ومدينة السدرة ومدينة الحيرة ومدينة السلطان ومدينة وجدة؛ وهذا الاسم الأخير ذكره لأول مرة الواقي في القرن الثاني الهجري، والتصق بالمدينة إلى حد الآن.

اقترن تأسيس وجدة باسم زيري بن عطية المغراوي، حيث تذكر المصادر أنه اختط المدينة في رجب سنة 384 / غشت 994 "وأنزله عساكره وحشمه، واستعمل عليها ذويه، ونقل إليها ذخيرته، وأعددها معتصما، وكانت ثغرا للعالتين، المغرب الأقصى والأوسط". لكن هناك إشارات عديدة في المصادر، تبين من خلالها أن مدينة وجدة كانت موجودة قبل القرن الرابع الهجري (10)، وأن زيري بن عطية قام بإعادة بنائها وتجديدها، أو ببناء وجدة أخرى فوق أنقاضها.

لم تخضع مدينة وجدة إلى حد الآن لدراسة أركيولوجية شاملة لأي فترة من الفترات التاريخية البعيدة. ولكن هذا لا يمنع من القول بأن بعض الأماكن بالضاحية المحيطة بها خضعت لدراسة أركيولوجية، قام بها متخصصون أمثال جون وماريون، وج. صمويل وكزبل وغيرهم... وتوصلت إلى نتائج أولية لا بأس بها، إلا أنها تبقى غير نهائية. لكن ما هو ثابت تاريخيا، أن الإنسان قد استقر منذ آلاف السنين بناحية المدينة، وبالضبط بمنطقة تافوغالت بأحوازها، كما أنه قد استقر منذ زمن بعيد بالموقع أو بالقرب منه. يؤكد هذا، بالإضافة إلى البقايا الأثرية الموجودة بالمنطقة، وجود آثار استغلال قديم للرصاص بالناحية.

إن الظروف السياسية التي عمت شمال إفريقيا خلال القرن الخامس الهجري بسبب الهلاليين الذين تقاسموا البلاد، بالإضافة إلى الأعراب الذين عاشوا فسادا في القيروان خاصة بعد أن اضطر المعز سنة 449 / 1057 إلى التخلي عن عاصمته القيروان والتوجه إلى المهديّة، أدت إلى تعميم الفوضى في سائر البلاد، فاضطرب أمر إفريقيا وخرب عمرانها، وازداد أمرها اضطرابا بعد اشتداد الصراع بين الأعراب الرحل الزناتيين والهلاليين، فسيطر الأعراب على نواحي تلمسان، وتأثرت الطرق التجارية المؤدية إليها،

فتعطل بذلك دور طريق تلمسان نحو سجلماسة، وأصبحت الحاجة إلى بناء مدينة جديدة بعيدة عن متناول الأعراب، أمرا ضروريا. لذلك سارع يعلى بن بلغين الورتغيني وهو أصلا من تجار إفريقية، لبناء مدينة جديدة محاذية لحاضرة مغراوة خلال العقد الخامس من القرن 5 أي بعد عام 440 / 1049 لكي تقوم بهذا الدور التجاري. وبذلك أصبحت وجدة عبارة عن مدينتين، وصفهما البكري بقوله "مدينتان مسورتان، أحدث إحداهما يعلى بن بلغين الورتغيني، بعد أربعين وأربعمائة، يسكن في المحدثّة التجار وفيها أسواق، والجامع خارج المدينتين".

وفي إطار توحيد المغرب تحت قيادة المرابطين، انطلق يوسف بن تاشفين على رأس جيوش جرارة نحو المناطق الشرقية، وبدأ رأسا بمهاجمة مدينة وجدة ودخلها سنة 474 / 1081 - 1082. إلا أنه منذ أن دخل المرابطون تلمسان أصبحت هذه المدينة قاعدة للدولة شرقا، وصارت تمثل ثغرا من ثغورها. وبذلك أصبحت وجدة من أحواز تلمسان، تابعة لواليها محمد بن تينغمر وقابعة تحت ظله، لتبقى كذلك إلى حدود سنة 510 / 1116 أي حدود مرور المهدي بن تومرت بها عند عودته من الشرق رفقة أصحابه.

وظلت مدينة وجدة على ولائها للمرابطين، إلى أن سقطت تلمسان تحت ضربات جيوش الموحدين بقيادة عبد المؤمن، فانطلق منها في حملته على وجدة. ويفهم من المصادر أن وجدة أبدت مقاومة كبيرة للموحدين بقيادة واليها المرابطي أبي بكر بن سامغين، ولم يتمكن الموحدون من دخولها إلا بعد تحطيم أسوارها وقتل واليها، وذلك سنة 540 / 1145.

وفي عهد بني مرين عانت مدينة وجدة اضطرابات كثيرة نظرا لوجود بني عبد الواد في تلمسان، وكان همهم هو السيطرة على وجدة باعتبارها مركزا تجاريا مهما بين سجلماسة والشرق قبل الوصول إلى تلمسان. وهذا النزاع أدى إلى تحطيمها مرارا ثم إعادة بنائها. وكانت البداية مع الحرب الضروس التي دارت بين يغموراسن من بني زيان ويعقوب المريني، بوادي إسلي في منتصف رجب من سنة 670 / 1272، والتي انتهت بانتهزام يغموراسن. ولما انتهى أبو يوسف يعقوب من أمره، أقام في اليوم التالي على وجدة فأمر بتحطيمها حتى "عفا أثرها وجعل عاليها سافلها وتركها قاعا صفتفا، وارتحل عنها".

بعد فترة من تولية أبي يعقوب يوسف المريني، خرج سنة 696 / 1296 غازيا إلى تلمسان. ولتأمين الأجزاء الشرقية من مملكته، قام ببناء مدينة وجدة وحصن أسوارها، وجعلها بعدة مرافق منها: "قصة ودار ومسجد وحمام". وتعتبر هذه المرافق أقدم المآثر العمرانية بالمدينة، ولا يزال جليها ماثلا للعيان إلى يومنا هذا، رغم الإصلاحات والتغييرات التي أدخلت عليها. ثم تعرضت مدينة وجدة لخراب آخر بعد أقل من ربع قرن، وذلك أثناء حملة أبي الحسن المريني على تلمسان سنة 736 ودخوله إليها، ومنها "أوعز إلى عساكره

بتخريب أسوارها". وفي عهد الوطاسيين بقيت وضعية وجدة غامضة إلى أن كان آخر عهدهم، حيث تنازلوا عن شرق المغرب للأتراك، مقابل مساعدتهم لاسترداد ملكهم من السعديين الدولة النائشة.

وخلال القرن العاشر وبعد قيام الدولة السعدية، وصل حكم العثمانيين إلى تلمسان سنة 1518، على يد عروج وخير الدين، ولما امتنعت وجدة من التبعية لهم، جهزوا جيشا، وتم غزوها والسيطرة عليها. إلا أنه بعد وصول السعديين إلى فاس سنة 1549، استطاع محمد المهدي في طريقه إلى تلمسان أن يفرض سيطرته على المدينة، وإن كان شرق ملوية وحاضرتة قد دخلا تحت سلطة الأتراك عدة مرات، ولم تتمكن وجدة من التخلص من سيطرتهم إلا بعد معركة وادي المخازن بفترة من الزمن. لكن هذا الوضع لم يدم طويلا، فمباشرة بعد وفاة أحمد المنصور سنة 1012 / 1603، انقسم المغرب بين أبنائه، ودخلوا في صراع مرير بينهم، فعمّت الفوضى. وكذلك كان حال وجدة، إذ استقلت بنفسها واستغنت عما سواها، وأصبح أهلها "بعضهم قائمين بدعوة الترك وبعضهم خارجين عنهم"، وهو ما سهل مأمورية المولى محمد العلوي في دخولها حيث اتخذ منها ابتداء من سنة 1060 / 1650 قاعدة عسكرية للانطلاق نحو أراضي الإيالة التركية، فغزا منها تلمسان وضواحيها وبلغ الأغواط وعين ماضي. واستمرت مناوشاته لأتراك الجزائر انطلاقا من مدينة وجدة، ولم تتوقف إلا بعد توقيعه معاهدة صلح مع والي الجزائر عصمان باشا، إذ وضعت حدا للصراع بين الجانبين، وصار وادي تافنا حدا فاصلا بينهما، ومن ثم أصبحت مدينة وجدة تمثل مدينة الحدود في الأعراف الدولية.

استطاع المولى إسماعيل، أن يرغم الأتراك بالجزائر على المبادرة بطلب الصلح، وألزمهم بوادي تافنا شرق المدينة كحد فاصل بين الإيالتين. وكان من نتائج عقد أول صلح له مع الأتراك سنة 1089 / 1678 أن استرد وجدة التي كانت تحت سيطرتهم، وأمر ببنائها وتجديد قصبتها. لكن ذلك لم يمنع الأتراك من إعادة السيطرة عليها، ولم يتمكن المولى إسماعيل من استرجاعها - مرة أخرى - إلا بعد توقيع معاهدة سنة 1103 / غشت 1692. وبعد وفاة المولى إسماعيل سنة 1139 / 1727 دخل المغرب في حالة من الفوضى السياسية، أخذت مدينة وجدة منها حظا وافرا. ونظرا لبعدها عن مركز السلطة، هاجت القبائل المحيطة بها وخاصة أهل أنكاد والأحلاف، فانتهزوا أول فرصة، وثاروا على الوالي الباشا العياشي بومهدي، الذي خرج هاربا إلى تازة بجميع أصحابه وأولاده. فكان هذا الحدث إيذانا بانسحاب السلطة المركزية من وجدة ومن ساحتها. وبقيت المدينة في حيز الإهمال كما أخبر بذلك الزباني، منذ وفاة المولى إسماعيل حتى تولية المولى سليمان (ت. 1238 / 1822)، الذي حاول أن يعيد إليها هيبة المخزن العلوي، وذلك بأن بعث إليها أبا القاسم الزباني واليا عليها، فلم يكن حظها منها بأحسن من سبقوه.

ولذلك عزم المولى سليمان على استرجاعها نهائيا من يد الأتراك، فكان ذلك خلال سنة 1211 / 1796 ، فانسحبت قوات الأتراك بأمر من باي وهران. ورغم عودة وجدة إلى سلطة المخزن العلوي، وقيام المولى سليمان بإصلاح قصبتها وتجديد بعض مرافقها، إلا أن هذا الاهتمام جاء متأخرا، حيث ظلت المدينة منهوكة القوى، فارغة من السكان، لدرجة أن شاهد عيان وصفها - في تلك الفترة - بالقرية.

بعد احتلال الجزائر سنة 1830، وصل الجيش الفرنسي إلى تلمسان في فبراير 1840، وفي سنة 1843 أقام الجنرال بيجو مركزا عسكريا في مغنية رغم احتجاج السلطات المغربية، ثم بعد ذلك قاد حملة عسكرية ضد وجدة في 14 غشت سنة 1844. بعد فترة من الزمن، خضعت مدينة وجدة لاحتلال آخر من طرف السلطات الفرنسية سنة 1859، وجوابا على ذلك عين السلطان أحمد بن الداودي عاملا على المدينة، وابتداء من سنة 1860 أصبحت خاضعة لنظام العمالة بعد أن كانت من قبل خاضعة لسلطة القواد.

وفي سنة 1876 قام المولى الحسن الأول بزيارتها للاطلاع على أحوالها وأمر بإصلاح أسوارها وترميمها، خاصة منها التي تكون جزءا من أسوار القصبة.

واستمرت الاضطرابات بالمنطقة، وازدادت حدة في عهد المولى عبد العزيز، مما ساعد الثائر بوحمارة على السيطرة عليها سنة 1903، وبعد خروجه منها ازدادت الفوضى بها وبنواحيها مما سهل - بعد حين - مأمورية الجيوش الفرنسية التي تمكنت من دخولها صبيحة يوم الجمعة 14 صفر 1325 / 29 مارس 1907.

قاومت مدينة وجدة الاستعمار الفرنسي بشدة، وشاركت سنة 1944 في التوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال، وقامت في 16 غشت 1953 بثورة عارمة احتجاجا على نفي محمد الخامس. ولم تهدأ مقاومتها إلا بعد استقلال المغرب.

إن الظروف السياسية التي مرت بها مدينة وجدة وتوالي مراحل تهديمها، جعل الآثار العمرانية بها قليلة وأقدمها لا يتعدى الفترة المرينية. وأهم مآثر المدينة، الجامع الأعظم الذي بناه السلطان أبو يعقوب يوسف المريني سنة 696 / 1296، وكذا الحمام الذي بني في نفس الفترة مع المسجد الأعظم، وهو يشبه إلى حد كبير حمام العنبرة بالأندلس. ويسمى هذا الحمام عند السكان بالحمام البالي أو حمام سيدي يحيى. أما قصبة وجدة فقد تزامن بناؤها مع بناء المسجد الأعظم والحمام العتيق. وقد جدها المولى إسماعيل العلوي سنة 1089 / 1678 وأعاد إصلاحها المولى سليمان سنة 1211 / 1796.

وفي عام 1876 أمر المولى الحسن الأول أثناء زيارته بإصلاح أسوارها وكذا بعض المرافق التابعة لها. غير أنه لم يبق اليوم من هذه القصبة إلا اسمها، وتخلت عن الوظائف التي كانت منوطة بها، وأصبحت حيا من أحياء المدينة العتيقة. أما سور المدينة الحالي - أو ما بقي منه في بعض الجهات -، فيعزى بناؤه إلى العامل إدريس بن يعيش في الفترة ما بين أكتوبر

1895 وأبريل 1896، وكانت له أربعة أبواب: باب سيدي عبد الوهاب، وباب أولاد عمران وباب الخميس وباب الغربي، غير إن إقدام السلطات الفرنسية على تهديم جزء كبير منه فاخفى باب الخميس وباب أولاد عمران إلى الأبد.

وكانت ساكنة وجدة - على الأقل - إلى حدود نهاية القرن 12 (18)، عبارة عن خليط من بني يزناسن وأنكاد وبني أسنوس وتمسمان وبني مطهر وفكيك وتافيلالت وفاس وغيرها، إضافة إلى بعض العائلات الأصلية في المدينة وبعض الشرفاء من الأدارسة والعلويين، ثم بعض الجماعات من اليهود. وهذه العناصر كلها، انتظمت على شكل مجموعات داخل أحياء المدينة، فعرف كل حي باسم المجموعة البشرية التي تسكنه. وكانت المدينة في الأصل تتكون من أربعة أحياء رئيسية هي: أهل وجدة، أولاد عمران، أولاد عيسى وأولاد الكاضي، ثم أضيفت إليها أخرى أو انبثقت من بعضها كأشقفان وأهل الجامل، ويبقى إلى جانب هذه الأحياء، حي اليهود الذي كان يقع أساسا بأولاد عمران. ولما دخل الجنرال بيجو إلى وجدة سنة 1844 وجد بها حوالي 4.000 أو 5.000 نسمة.

وسجل التاريخ المعاصر لسكان وجدة انتفاضة 16 غشت 1953 والمظاهرات الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي في المدينة وفي مجموع المغرب الشرقي، والتي اندلعت أيا ما قبل نفي محمد الخامس، وتم على إثرها اعتقال وتشريد وتعذيب الوطنيين والمقاومين للاحتلال.

بعد استقلال الجزائر عرفت وجدة حدثين مهمين، وهما الخروج شبه الجماعي لحوالي 29000 نسمة من السكان والمقاومين الجزائريين من المدينة وضواحيها ليعودوا بمحض إرادتهم إلى بلدانهم. أما الحدث الثاني فيتمثل في "حرب الرمال" بين الجزائر والمغرب حول الحدود وخاصة التخوم الصحراوية (تندوف، لقنادسة، كرزاز، توات...) وكانت هذه المناطق قد انتزعت من المغرب وضمت للتراب الجزائري المحتل آنذاك من فرنسا، والتي لم يعترف بها حكام الجزائر بعد حصول بلدهم على الاستقلال. هذه الأحداث قد أكدت الدور العسكري الذي يجب أن تلعبه المدينة في مثل الحالة التي يتحكم فيها العامل الجيوسياسي بالأساس، سواء في حالة السلم (ومثال على ذلك في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد حيث فتحت الحدود، رغم قصر المدة، فازدهرت التجارة والمبادلات والسياحة والاستثمار)، أو في حالة التوتر التي طبعت العلاقات المغربية الجزائرية منذ استقلال الجزائر، وهو ما انعكس سلبا على المدينة واقتصادها وحيويتها كمدينة حدودية، وعلى المغرب الشرقي ككل، مثلما انعكس على الغرب الحدودي الجزائري. فقد عانت المدينة من استقبال 45.000 مغربي طردوا من الجزائر دفعة واحدة في عهد الرئيس الهوارى بومدين، الذي عاش هو نفسه في أحضان هذه المدينة ضمن "مجموعة وجدة" المقاومة للاحتلال الفرنسي انطلاقا من وجدة. هذا الطرد للمدنيين المغاربة المقيمين بالجزائر

مدينة وجدة ، أطروحة مرقونة بخزانة كلية الآداب، وجدة، سنة 2002، ص. 329.

الوجدية (ابن -) محمد بن يحيى بن عبد الله بن أبي القاسم المحب المصري المالكي، يعرف بابن الوجدية نسبة إلى مدينة وجدة، وكان يكتب بخطه ابن الوجدي. عالم فاضل، وشاعر مجيد، اشتغل في عدة فنون، سمع عن الميذومي وغيره. وسمع عنه محمد بن عبد الرحمن السخاوي صاحب الضوء اللامع. له قصائد شعرية وقطع نثرية، وله تصنيف جمعه فيما يتعلق بصوم ستة أيام من شوال. تقلد خطة قضاء المذهب المالكي بمصر، وكان بينه وبين قضاة مذهبه الشتان، ولم ينفك عن ذلك إلى آخر حياته. توفي في شهر ربيع الثاني سنة 803 / 1400، وقد جاوز الستين من عمره.

السخاوي، الضوء اللامع، ع 10، ص. 72 - 73. رقم 247؛ مارية دادي، تاريخ مدينة وجدة، أطروحة مرقونة بخزانة كلية الآداب، وجدة، سنة 2002، ص. 327.

مارية دادي

الوجديدي، محمد شقرون العالم المشارك المتفتن، الشيخ الإمام محمد بن هبة أو هبة الله الوجديدي الملقب شقرون التلمساني. يقول عنه ابن القاضي: "كان عارفا بالأصلين والبيان والمنطق". وقال المنجور: "كان فقيها علامة مشاركا نافذا في الفروع، منطبعا معها، مشاركا في الفرائض والحساب والبيان والمنطق". وقال عنه ابن عسكر: "... وقد حاز أوصاف الكمال سمتا وعلما وبلاغة وفصاحة وسؤدا، طلق اللسان، واسع العبارة، واضح البيان، واسع الصدر، كثير المعرفة. لقي المشايخ الكبار وأخذ عنهم: كالشيخ أحمد بن أطاع الله، والشيخ عبد الملك البرجي، وتفقه على الشيخ سعيد بن أحمد المقرئ وغيرهم".

قدم من تلمسان إلى فاس سنة 967 / 1559 فقلده السلطان الغالب بالله السعدي الفتوى ورئاسة العلم بمراكش وسائر أقطار المغرب، وكان يحضر مجلسه أعيان الفقهاء والسلطان بنفسه، وانتفع الناس بعلومه. وممن أخذ عنه ابن عسكر صاحب الدوحة، وأحمد المنجور، وإبراهيم الشاوي المراكشي وغيرهم. تولى الخطبة بجامع الكتبيين، ثم بجامع المنصور بحي القصبية.

توفي بفاس آخر سنة 983 / 1575.

جنوة الإقتباس، 207؛ درة المجال، 2: 215؛ دوحة الناشر، 116؛ سلوة الأنفاس، 3: 283؛ شجرة النور الزكية، 1: 285؛ نبيل الابتهاج، 350.

أحمد متفكر

الوحدة (طريق -) هي الطريق الرابطة بين تاونات وكتامة، أطلق محمد الخامس عليها هذا الاسم لأنها محت الحدود التي كانت تفصل بين منطقتي الاستعمار السابقتين، الفرنسية والإسبانية، من جهة إقليم مكناس وفاس وجهة

جاء كرد فعل لحكام الجزائر على إثر المسيرة الخضراء 1975 لاسترجاع الصحراء المغربية، وهذا ما أثر سلبا فيما بعد وإلى الآن (2006)، على تطور المدينة باعتبارها توجد في الواجهة الأمامية.

دادي مارية، تاريخ مدينة وجدة من التأسيس إلى نهاية العصر الحديث، أطروحة دولة، مرقونة بخزانة كلية الآداب، وجدة، سنة 2002؛ مخطوطة بالخزانة الوطنية بباريس ضمن مجموع، رقم D1892؛ الواقي، فتوح أفريقية.

الوجدي، أحمد بن مهدي عالم فاضل، من أهل العلم والصلاح، من طبقة الإمام ابن غازي، ومن تلامذة الشيخ السنوسي (ت. 895) صاحب العقائد، قرأ عليه علم الكلام وحققه، فبرع في تدريسه. أخذ عنه الشيخ ابن هبة الله الوجديدي، وتلمذ له عدد وافر من طلبة المغربين الأقصى والأوسط، فكان بذلك حلقة في سلسلة سند العلماء المتأخرين، كما ذكر ذلك الإمام القصار في فهرسته. توفي حوالي سنة 925 / 1519.

ابن عسكر، دوحة، ط 1976، ص. 136، رقم 143؛ الفاسي، مرآة، ص. 174؛ عبد الرحمن الفاسي، ابتهاج، ص. 274؛ الحضيكي، طبقات، 1: 38؛ محمد حجي، الحركة الفكرية، 2: 432؛ مارية دادي، تاريخ مدينة وجدة، أطروحة مرقونة بخزانة كلية الآداب، وجدة، سنة 2002، ص. 328.

الوجدي، عبد الله بن سعيد يكنى أبا محمد، ولي قضاء بلنسية لأول فتحها في الدولة المرابطية واسترجاعها من الروم في رجب 495 / 1102، وعلى يديه وتحت إشرافه تم بناء المحراب بالمسجد الجامع منها في سنة 498 / 1105، وفي جانبه بقي اسمه مخطوطا إلى أن ملكها الروم ثانية في آخر صفر 636 / غشت 1242. وكان من جلة الفقهاء الحفاظ لمسائل الرأي يناظر علماء وقته في ذلك. وتلمذ له أبو حفص بن واجب وغيره، وحدث عنه أبو العرب عبد الوهاب بن محمد التجيبي وأبو عبد الله بن خليل القيسي نزيل مراكش.

توفي بلنسية قبل سنة 510 / 1116.

ابن الأبار، التكملة، 2: 302 - 303، ج 4، ص. 167؛ غنون، النبوغ، 1: 94؛ مارية دادي، تاريخ مدينة وجدة، أطروحة مرقونة بخزانة كلية الآداب، وجدة، سنة 2002، ص. 326.

الوجدي، موسى، عالم فقيه من شيوخ العلم بمدينة وجدة، درس على يد علماء مدينته، وكان متصدرا للإقراء بها خلال سنة 985 / 1577. أخذ عنه بمدينة وجدة عدد من طلبتها، من بينهم الفقيه يوسف بن عابد الوكيل صاحب كتاب ملتقط الرحلة من المغرب إلى حضر موت. ثم انتقل بعد ذلك إلى مدينة فاس، فتصدر مجالس الإقراء بها بمدرسة مصباح سنة 989 / 1581.

ابن عابد الوكيل، ملتقط الرحلة، ص. 58؛ مارية دادي، تاريخ

ما يقابلهما من قلب جبال الريف، ولأن شق مسالكها في تلك الأوعار تم على يد جمهور من الشباب تطوع لذلك من تلقاء نفسه وقام بالأشغال في جو من التعبئة والحماس يشهد على ما كانت تتطلع إليه الأمة جمعاء من سامي التطلعات، غداة الاستقلال، وما يمكن أن تقوم به من جليل المنجزات كلما شحذت الهمم وتوحدت الصفوف.

وقد تضمن خطاب محمد الخامس بتاريخ 16 ذي القعدة 15 يونيو 1957 نداء إلى الشباب كي يتطوع مع ذكر الغاية من ذلك وبرنامج العمل. قال رحمه الله: "إن من بين المشاريع التي عزمنا على إنجازها لتدعيم التوحيد الحاصل بين منطقتي الوطن، شماله وجنوبه، إنشاء طريق بين تاونات وكتامة تخترق ما كان قبل حدا فاصلا بين جزأي الوطن الموحد، وذلك ما حدا بنا إلى أن نطلق عليها اسم طريق الوحدة". ثم أضاف قائلاً: "أبينا أن لا نعهد بتنفيذه إلا لمن يتطوع منكم، خاصة من بلغ العشرين ولم يعد الثلاثين". والتزم هو شخصياً بأن يبدن الأوراش كما أمر ولي عهده المولى الحسن، الحسن الثامن رحمه الله، بأن يكون أول من يتطوع. وأبى كذلك بأن لا ينحصر الأمر عند الأشغال الهندسية، بل أراد أن يكون ذلك فرصة للشباب: "ليس للتعارف وتبادل وجهات النظر حول ما يعنيه من شؤون بلادهم ومجتمعهم، بل وكذلك لتلقي مبادئ أساسية لمن يعزوه الإمام بها في التربية الوطنية أو في شؤون اجتماعية واقتصادية، وللممارسة تدريبات رياضية وعسكرية [...] حتى إذا انقلب المتطوعون إلى أهليهم والتحقوا بمسقط رؤوسهم كانوا دعاة أفكار إصلاحية صحيحة". وامت الأشغال الأساسية في صيف تلك السنة. واستعرض محمد الخامس جماهير الشباب المتطوع في فاس وخطب فيهم يوم 6 ربيع الأول 1377 فاتح أكتوبر 1957، فقال: "غير خاف عليكم أن الاستقلال [...] يضع على كواهلنا مسؤوليات جسيمة سيمتحن فيها إخلاصنا وإيماننا ووطنيتنا، وأعظم هذه المسؤوليات تحقيق الرفاهية لشعبنا وتعميم النهضة في جميع مرافق حياتنا، وتلك غاية لا ندركها إلا إذا تجند المواطنون متعاونين متضامنين للقيام بأعمال إنشائية تعود بالخير العميم على البلاد." ولقد جاءت طريق الوحدة مستجيبة لكل ما كان منشوداً منها إذا محت الحدود الاستعمارية المصطنعة، وتخرج من أورشها شباب تعلم في تلك المدرسة الحية المتنقلة التي لم تتجاوز مدتها ثلاثة أشهر معاني الوطنية والمواطنة وكيف تتقدم الواجبات على الحقوق. وتضافرت لذلك كل الجهود، وتبين أن النضال بالعمل البناء لا يقل خطورة شأن عن النضال بالسلاح للدفاع عن الوطن. وقد قام الشهيد المهدي ابن بركة بدور سجله التاريخ له بمداد الفخر في تأطير المتطوعين والسهر على تلقين كل منهم ما كان يفترق إليه من المعلومات وأدوات الوعي والإدراك. أما من الناحية الهندسية، فقد انطلقت الطريق من قنطرة

على وادي سري، رافد من روافد نهر ورغة شمال تاونات، واعتمدت مسلكاً قروباً يساير الوادي المذكور إلى أن يصل إلى وادي كتامة عند قرية إيكاون الواقعة على ارتفاع 986 متراً فوق سطح البحر. وكان هذا المسلك يتشكل من عدة منحدرات رديئة تشق جبل إيكوسدران، ويمر على فح يرتفع إلى 1590 م، فكان من الضروري شق طريق آخر يتجنب الأوعار الكبرى، وهو طريق الوحدة بالضبط، الممتد على 21500 متر، من مميزات الهندسية أن 9572 متراً منه جاءت مستقيمة، والباقي في ملتويات يبلغ شعاعها أقل من 60 متراً على طول 4807 م، وأكثر من 20 على طول 7071 م، ولا يتجاوز الانحدار الأقصى 8%. وأميط من التراب ما لا يقل عن 681736 متراً مكعباً، وردم منه 186561، وعلت ذلك الفرق هشاشة البنية الجيولوجية في تلك المنطقة فكان لابد من تصويبها ودعمها. وقد أقيم على الطريق 12 قنطرة، منها أربعة طولها أزيد من 10 أمتار، و11 قناة يبلغ طولها 239 متراً، و1182 من قواديس الحديد اللين، و546 متراً من القواديس العادية، 28 متراً من الانفاق، و935 متراً من حيطان التدعيم، و217 من المنحدرات المدعمة بشبكات معدنية، و498 من الحيطان المدعمة بشبكات معدنية. واستعملت أحدث آليات الحفر والدك والترميم. مما كلف الميزانية 5 ملايين من الدراهم إذ لم يكتمل التشييد والترصيف إلا سنة 1961. وهكذا كانت طريق الوحدة أولى مسيرة من مسيرات البناء التي أشرف عليها محمد الخامس وسار على دربه الحسن الثاني عندما نظم المسيرة الخضراء سنة 1975، ويواصل السير على هذا النهج نفسه صاحب الجلالة الملك محمد السادس من خلال إشرافه على المبادرة الوطنية للتنمية.

إبراهيم بوطالب

الوداد (جريدة -) خطية أصدرتها سنة 1927 جماعة من الشبان من مختلف المدن يكتبونها بأيديهم، من بينهم محمد بن بوبكر اشماعو مؤسس "الجمعية الودادية" ومحمد اليزيدي وسعيد حجي الذي تولى سنة 1928 رئاسة تحرير الجريدة التي كانت تسعى إلى ملء الهوة الفاصلة بين الجيلين، القديم والجديد، وإلى تقوية صفوف المسلمين، وكان شعارها المكتوب على صفحتها الأولى: "الحق فوق القوة والأمة فوق الحكومة"، وهي كلمة للزعيم المصري سعد زغلول. صدرت هذه الجريدة أسبوعياً أكثر من أربع سنوات. تزامن صدور "الوداد" مع ظهور منشورات سرية مثل "السيف القاطع" و"اللواء" و"الإسلام" و"المدرسة" و"الوطن" و"أم البنين" وكانت كلها محدودة الأصدقاء وكان وجودها يعبر عن شعور محرريها بالحرمات من حرية التعبير الناتج عن العراقيل التي وضعها ظهير 27 أبريل 1914 المنظم لمصحافة المغرب أمام الراغبين من المغاربة في إصدار صحيفة عربية.

وتمشيا مع أهدافها الأساسية سعت إلى تشكيل جبهة مغربية مناهضة للاستعمار الفرنسي والسيطرة المسيحية على البلاد الإسلامية، أخذت "الوداد" مواقف جريئة من فتح مدرسة أزرو البربرية سنة 1929 والمؤتمر القرباني بتونس والاحتفال بمرور مائة سنة على غزو الجزائر سنة 1930، كما ناهضت جميع قوى الاستعمار العالمية وساندت القضية الفلسطينية.

وفي سنة 1937 سمحت سلطات الإقامة العامة لمحمد اشماعو بإصدار "الوداد" وهي جريدة إخبارية أسبوعية باللغة العربية، شعارها على يمين الصفحة الأولى: "الوداد لسان القومية والدين. الوداد نضال يرضي المحق ولا يشفيه ويكف المبطل ولا يغريه. الوداد دفاع عن المصالح العامة ونبراس مضيء يكشف قناع الجهالة عن حقائق الأمور"، ويمثل هذا الشعار الخطة التي أعلنت عنها الجريدة في عددها الأول الصادر يوم الخميس 24 يونيو 1937.

إلا أنها توجهت نحو إقامة حوار وتفاهم بين المغاربة والفرنسيين، فكان الاعتدال يطبع انتقاداتها لسلطات الحماية وعندما اشتدت الرقابة سنة 1952 على الصحافة منعت جميع الصحف من الصدور، فكانت الوداد من بين جرائد الإقامة العامة التي لم يشملها هذا المنع. استمرت جريدة الوداد في الصدور حتى أواخر سنة 1955.

عمر نديوس، الصحافة الحزبية بالمغرب في عهد الحماية، دبلوم دراسات العليا في الصحافة، الرباط، 1989؛ أحمد الميداوي، النشاط الاعلامي للحركة الوطنية، 1930-1956، الرباط، 1979؛ أحمد معينو، ذكريات ومذكرات، طنجة، 1991؛ أبو بكر القادري، سعيد حجي، الدار البيضاء، 1979؛ معلمة المغرب، ج 16، سلا، 2000؛ جريدة الوداد؛ عبد الرؤوف حجي، سعيد حجي، فجر الصحافة الوطنية المغربية، كندا، 2003.

K. L. Brown, *People of Salé, Tradition and change in a moroccan city 1830-1930*, Manchester - U.P., 1976.

محمد الفقير

ودرار (ابن -) شعيب بن ميمون الحشمي، كان معروفا بشدة البطش والجبروت، وأنه من "مواعين الجور وآلات التسليط"، وهي صفات استغلها الوزير الشهير عمر بن عبد الله بن علي الياباني في تجسيد طموحاته الاستبدادية وتصفية معارضيه وأعدائه من الأمراء وشيوخ بني مرين، فاستعمله في تنفيذ سياسته ودبر معه مؤامرة اعتقال وقتل السلطان أبي سالم المريني سنة 762 / 1361. ثم بعد ذلك استوزره السلطان أبو فارس عبد العزيز بن أبي الحسن الذي وضع حدا لأطماع عمر بن عبد الله.

ابن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتصاب، ج 2، الدار البيضاء، 1985؛ ابن خلدون، العبر، ج 7، 2000؛ ابن الأحمر، روضة النسر، الرباط، 1991.

ودرار (ابن -) فارس بن ميمون الحشمي، من أشهر وزراء بني مرين في عهد كل من السلطانين أبي الحسن

وخليفته أبي عنان. حضر حصار أبي الحسن لمدينة تلمسان سنة 737 / 1337، وبعثه سفيرا إلى صاحب مصر محمد بن قلاوون ليعرفه بفتح تلمسان وارتفاع العواقب عن الحجاج. غير أن شهرة فارس ستزداد خلال حكم أبي عنان لارتباطه بأحداث كبرى شهدها عهده. فقد لعب دوراً كبيراً في حروب بني مرين ضد بني عبد الواد وتمكن من الاستيلاء على عاصمة ملكهم تلمسان سنة 753 / 1352. وسنة بعد ذلك أرسله السلطان أبو عنان في مهمة عسكرية تتعلق بمحاربة أخيه الأمير أبي الفضل المتحدر عليه ببلاد السوس، فطارده هناك إلى أن تمكن بعض الولاة من اعتقاله سنة 755 / 1354 وإرساله إلى السلطان الذي قتله بعد ذلك. ثم ذاع صيت الوزير أكثر في حملة أبي عنان المشهورة إلى أفريقية سنة 758 / 1357 والتي كان له فيها إسهام بارز في تمهيد فتوحاته خاصة فتح مدينة بجاية ومدينة قسنطينة، وقد نوه السلطان بمجهراته في رسالة وجهها إلى أهل قسنطينة مبشرا بفتحها. إلا أن المنافسين لابن ودرار كانوا له بالمرصاد إذ ألققتهم نجاحاته العسكرية، فاستغل عدوه ومنافسه الوزير عمر بن ميمون بن أمصمود بعض المناوشات التي وقعت بينهما، فقرر الغدر به وتشويه أعماله أمام السلطان غداة فتحه قسنطينة، واتهمه بتحريض الجند المريني على التمرد والانسحاب من حملة إفريقية، وكذلك بمداخلة بعض أمراء بني مرين للثورة على السلطان، فلجأ أبو عنان إلى التشديد في معاملته وجسه، وعند عودته إلى عاصمة ملكه فاس استفتى بعض فقهاء مجلسه في أمره فأفتوا بقتله. ويروي ابن الحاج النميري الذي كان شاهد عيان أن السلطان لم يكلف نفسه التحقق من أمر براءة الوزير مما نسب إليه ودور منافسه في الإيقاع به، فأعمل القتل فيه بعد أربعة أيام من عودته في ذي الحجة من سنة 759 / 1358.

تنسب بعض المصادر إلى ابن ودرار أنه هو الذي اختط مدينة القاهرة (تاقهيرت / القيهرة) بسفح جبل سكسيوة بالسوس، وذلك أثناء حصاره لعبد الله السكسيوي الذي ساند الأمير أبا الفضل في الثورة على أخيه السلطان أبي عنان.

ابن الحاج النميري، فيض العباب، الرباط، 1984؛ ابن خلدون، العبر، ج 6-7، 2000؛ ابن الأحمر، روضة النسر، الرباط، 1991؛ الناصري، الاستقصا، ج 3، الدار البيضاء، 1954.

رشيد السلامي

الودراني، (الحاج -) يحيى بن أحمد الورداني البطوئي الفجيجي، من أحياء النصف الأول من القرن العاشر الهجري (16)، شيخ ولي، صالح مرب، سالك عابد، شريف حسني، من أخلص أصحابه أبو العباس أحمد بن عبد الله المدني البطوئي، قرأ عليه، وأخذ عنه سنده في تلقين الذكر ولبس الخرقة، وأخذ العهد والمصافحة والسبحة والضيافة،

وأجازه في ذلك.

ينتمي هذا المترجم إلى مدشر وردان قبيلة بني أولشيك بالريف الشرقي، ونجهل متى استقر جد هذه الأسرة بوردان بني أولشيك. ويعتقد الأستاذ حسن الفكيكي أنه واحد من أفراد الأسرة التي مثلها في آخر القرن التاسع الهجري المسمى الحاج يحيى الورداني بن علي بن موسى بن أبي بكر الصحراوي الفيجي المشار إليه في كتاب التشوف إن لم يكن هو نفسه، وقد وجد تطابقاً بين ما أعلنه الحسن الوزان في بداية القرن العاشر الهجري وبين ما أدلى به عيسى البطوني عن الحاج يحيى الورداني، فحسب الوزان إن عالم وردان وخطيب مسجدها لعب دوراً رئيسياً، ليس في تصدر الشؤون الدينية فقط، بل لتزعمه مقاليد الزعامة السياسية أيضاً. ويؤكد عيسى البطوني أن الشيخ المرابي الورداني كان سيد قبيلته في الشؤون الدينية قبل عام 919. ولا نعلم تاريخ وفاته.

عيسى البطوني، مطلب الفوز والفلاح، تح. حسن الفكيكي.
العربي هلاي ومحمد بوزيان بنعلي

الودريمي، عابد بن محمد بن إبراهيم المعروف بـ "سي عابد بوتيراتين" أي "صاحب الرسائل"، وقد اقترن اسمه بظاهرة حديثة نشأت في عهد الحماية بالمغرب بعد انتشار البريد. فكان "وسيطاً بريدياً". ولد سنة 1912 مع بداية عهد الحماية بالمغرب بقبيلة آيت وادريم. وبعد أن نال مقداراً وسطاً من التعليم، انخرط في مجال التجارة الخاصة بالمواد الغذائية بمدينة أنزغان، وكان تاريخ المغرب حافلاً بالأدوار الإيجابية التي كان ينهض بها التجار، فكان دوره "كوسيط بريدي" تساهم فيه عوامل من بينها استقراره في المدينة كمركز حضاري، لأن وجود ضواحي بدوية قد تضيق الرسائل الموجهة إليها في عناوين غير مضبوطة، فكانت عناوين التجار بالمدينة هي التي تستقبل أغلب مراسلات السكان البدويين في مختلف القبائل، وقد تفرد بهذا الدور صاحب الترجمة وتاجر آخر يدعى (إبراهيم ن سي علي : مُنتصر).

كان عمله استقبال الرسائل والحوالات من مختلف المدن المغربية ومن جميع أنحاء العالم بحيث يمكن من سجلاته معرفة المدن المغربية التي هاجر إليها السوسيون، كما يمكن وضع خريطة للمدن والبلدان الأجنبية التي امتدت إليها الطبقة الشعبية بوادي سوس، فكان يذكر في سجله أن الشخص الذي تلقى منه الأموال "خدماً في ...". وذكر كل المدن المغربية وخاصة مناجم جردة، وخريجة ومدن مراكش، والدار البيضاء وفضالة والقيظرة ومكناس وطنجة والخميسات ورباط الفتح وغيرها، ومن البلاد الأجنبية يتلقى الحوالات من فرنسا حيث يوجد العمال في باريس وأرجانطاي وستيتيان وجانفيي، ومن بلجيكا، ومن الجزائر يذكر وهران وأماكن المناجم : كرب وانزا، وفي تونس يذكر قرطاج وورديف

وأما الدويل، ويذكر "لاندوشين" : الهند الصينية.

أما الضواحي التي كان يوزع فيها الرسائل والحوالات (الأموال) فجعلته يتحرك يومياً إلى الأسواق الأسبوعية في موعد مع زبائنه، هي : سوق سبت آيت ميلك وأحد بلفاع واثنين بيوغرا وثلاثاء ماسة وأربعاء آيت حمد وخميس آيت عميرة، وله فيها دكاكين لاستقبال الزبائن. وكان يتوصل بأموال طائلة كما اطلعنا على ذلك في سجلاته الواقعة بين سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية من سنة 1946 إلى سنة 1961، ورأسماله في ذلك ما كان يتحلى به من الأمانة حيث ينقل تلك الأموال إلى أصحابها بكامل الثقة، وكان له حساب بنكي في أكادير يؤمن فيه على أموال الناس قبل توزيعها. ونظراً لكونه لا يتقن اللغة الفرنسية، فقد كان يساعده في ذلك ابنه الأكبر، وكاتب خاص اسمه السيد عبد السلام البوزيدي، وقد سافر إلى فرنسا مرتين لقضاء حاجات الناس. وإلى جانب الوساطة في سحب الرسائل والحوالات من البريد وتوزيعها على أصحابها في مختلف القبائل، كان يساعد المهاجرين الجدد للحصول على الوثائق الإدارية الضرورية للسفر إلى الخارج، ويساعد آباء وزوجات المهاجرين في الحصول على الوثائق التي تضمن مشترياتهم من العقارات والرهون.

وكان مدار خدماته على بعض ما يتقاضاه من زبائنه بشكل غير محدد كل حسب أريحته، معتمداً في مداخله على تجارته المذكورة، ولم يخلف ثروة تذكر عند وفاته سنة 1967 ولكن خلف سمعة طيبة في أوساط معارفه.

سجلاته الخاصة بالفترة ما بين 1946 و 1961 ؛ وثائق ورسائل وبطائق بردية ؛ العابدي الحسين، معلومات خطية ؛ رواية شفوية.
عمر أفا

الودغيري، أحمد بن عبد العزيز، المعروف بعز الدين، من أجل فقهاء أولاد محرز، وأغزهم علماً، وأوثقهم ديناً، وأكبرهم جاهاً ومكانة، أنعم عليه السلطان مولاي سليمان بظهير توكير واحترام خاص عام 1219، زاول خطة العدالة، ولا ندري تاريخ وفاته.

الودغيري، إدريس بن عبد الله الجمالي البدراوي. خاتمة القراء بفاس، العالم العلامة، البحر الفهامة، سيد عصره، وفريد دهره، المقدس الأحفل، البركة الأفضل. له في القراءات - على ما ذكر الزركلي - 18 كتاباً، عدا كتبه في فقه مالك واللغة والنحو والفرائض. طبع له منها :

- التوضيح والبيان في قراءة نافع بن عبد الرحمن، وذكر الشيوخ الماهرين في القرآن. ألفه باسم السلطان مولاي سليمان، وجعله عشرة أبواب وله : - درر المنافع في أصل رسم الستة السماع غير نافع.

- أزهار الحقائق في علم مخارج الحروف والصفات والحقائق، وهي منظومة تشتمل على 100 بيت.

أخذ عن الشيخ محمد بن عبد السلام الفاسي، وعبد

الرحمن المنجرة، والطيب بن كيران، والشيخ حمدون بن الحاج، وغيرهم. خطب بمسجد القرويين ودرس به فنوناً من العلم. ولقد خُلف فروعا زكية وسلالة متضلعين في علوم الفقه والنحو، واستمر العلم في أحفاده وأحفاد أحفاده إلى آخر العنقود، وهو العالم النقيب محمد بن الطيب البدرابي الجمالي المتوفى سنة 1393.

توفي سنة 1257.

محمد مخلوف، شجرة النور الزكية : ابن الحسن المخلوفي، الدر الثمير : الزركلي، الأعلام : إدريس الفيضلي، الدرر البهية والمجواهر النبوية.

الودغيري، حمادي البوزكاي المخلوفي الفيجي،

من دوار أولاد علي بن أحمد القادم من فجيح حوالي 1700، من أشهر قواد المنطقة الشرقية، وأصدقهم خدمة للملوك العلويين. نوه به كل من الحسن الأول وابنه عبد العزيز، ومدحا شجاعته ومقامه لدى الأسر العلوية، ووصف في ظهائر ملوكهم بأوصاف سامية كما في الظهير الصادر في 6 محرم 1301 ونصه : " يعلم من كتابنا هذا أعلى الله مقداره، وأبد مجده وفخاره، أننا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنتته، أسدلنا على خديمنا [الأرضي] القائد حمادة البوزكاي جلاب التوقير والاحترام، وألبسناه أردية [الإنعام] والإكرام، وأسقطنا عنه التكاليف المخزنية، والمغارم السلطانية، رعيًا لصدقه في الخدمة، وقيامه بواجب الحرمة، وألحقنا به في ذلك أولاده وأحفاده، فنأمر الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يعلمه ويعمل به. صدر به أمرنا المعتز بالله من السادس محرم عام 1301".

قال فوانو Voinot : إنه ظهر سنة 1890 (تاريخ وجدة وأنجاد) ووصفه بأنه القائد النشط، القوي العزيمة، أصبح يتمتع بشهرة واسعة في المنطقة، حيث يتوسط بين القبائل في نزاعاتهم، وأصبح منافسا لأقوى القبائل يومئذ وهي لمهاية، واستطاع أن يبسط سلطته على القبائل المجاورة كقبائل هضبة وادي زا، أولاد بختي، بني كوال، أولاد الميدي، بنو أشبل، بنو أوراغ، أولاد عمر... ويؤيد ذلك القصص المشهورة عنه في الحروب ضد تلك القبائل، وانتصاره عليها في الكثير منها.

العربي هلاي ومحمد بوزيان بنعلي

الودغيري، سليمان بن المهدي بن اليزيد، كان والده المهدي بقبيلة قلعية فارسا، ازداد له ولدان أثناء إقامته بالحيانية ثم رجع إلى قلعية، وهما هاشم وسليمان. ذهب سليمان لزيارة الشيخ العربي الدرقاوي ببني زورال سنة 1315. وعقب انتسابه للطريقة الدرقاوية رجع لقلعية، ثم رحل إلى مستغانم، للأخذ على الشيخ أحمد العلوي، وهناك اتصل بالشيخ محمدي بن الحاج الطاهر بمستغانم ثم زاره في سجنه ببليلة، وعاد إلى مستغانم حاملا رسالة محمدي بن

الطاهر. كان اتصاله بالعلوي أول مرة سنة 1350 وله من العمر 63 سنة بعد أن بقي في صحبة عبد الرحمن الدرقاوي 35 سنة. له ديوان يذكر فيه اتصاله بالشيخ العلوي. ثم لزم خليفته محمدي بن الحاج الطاهر في زاوية إن علا، ثم انتقل معه إلى زاوية مليلة. بعد وفاة الشيخ محمدي استقل بالخلافة وكان يخرج للسياحة بقبيلة قلعية مع بعض مرديه وبشر عون في العمارة والرقص كالعادة وأناشيد الحضرة. لما دنا أجله استدعى حفيده القاضي الفقيه الحاج العربي الورياشي وقدم له وصية من ثمان.

توفي يوم الخميس 17 شوال 1390 / 17 دجنبر 1970، ودفن بالزاوية طبقا لوصيته.

البوزيدي، كتاب إتحاف النهي والبصائر بتراجم الشيخ العلوي وشيوخه وبعض خلفائه الأكابر، طبعة، 1990.

حسن الفكيكي

الودغيري، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن

محمد بن أبي بكر السكوني، من أحياء النصف الأول من القرن الحادي عشر (17). لا تعرف من مراحل حياته العلمية إلا أنه نشأ في أحضان بيت فقه وأدب وزهد، بدأ تلقي العلم على والده الذي كان فقيها شاعرا، وأخذ عن أبي القاسم بن محمد بن عبد الجبار، وتلقى جانبا واسعا من التربية الروحية على يد شيخ فجيح عبد القادر السماحي (ت. 1025)، قبل أن يستقطبه أحمد بن أبي محلي، فيصير من أشد مرديه غلوا في حبه. وتطرفا في الولاء له كما توضحه مذكراته ومراثيه، وكذا أخباره في منجنيق الصخور، ومهراس رؤوس الجهلة، السيف البارق والسهم الراسق. لم يصلنا من آثاره الفنية إلا رسالة وجهها لشيخه ابن أبي محلي، وقطعة من مذكراته ومراثيه سجلها بدءا من عام 1013 / 1604، وفيها من ملامح الجمال الفني ما يؤكد بروزه في فنون النشر، وتحكمه في الأدوات التعبيرية المختلفة.

توفي السكوني بعد عام 1022 / 1613.

الودغيري، محمد بن عبد القادر بن محمد بن

محمد المدعو عمارة : الشريف السخي، والنجل الذكي فاق أقرانه بالسماحة والسخاء، وتخلق بأخلاق حسنة. كذا وصفه الودغيري المخلوفي في الدر الثمير. وأسند له من المؤهلات ما جعل شرفاء الوداغير بفاس يجمعون على ترشيحه لتنصيبه نقيبا عليهم لجلب منافعهم ودفع مضارهم، وحضور ولائهم، وشهود جنازتهم، وعبادة مرضاهم، لتتمام عقله وسخائه، وتواضعه للصغير والكبير، والخامل والشهير. وبعد هذا الإطراء ذكر نص رسم التولية مؤرخا في منتصف ربيع الأول عام 1264.

الدر الثمير، ص. 67 وما بعدها.

الودغيري، محمد بن محمد بن الحسن المخلوفي الودغيري أصلا، الفاسي قرارا. ما يمكن استخلاصه من

مؤلفاته أنه من مواليد وادي أمليل في بدايات القرن الثالث عشر الهجري، في قبيلته أولاد اخليفة الذين تمتعوا بمكانة مرموقة بين قبائل المنطقة لشرفهم وعلمهم ودينهم. على ما تشهد به الوثائق السلطانية السعدية والعلوية، انتقل في عنفوان شبابه إلى فاس حيث اشتغل بالعلم، فأكمل تكوينه ووسع مداركه حتى أصبحت له منزلة سامية في أوساط الودغيريين بفاس، وتصدر للتدريس بمختلف معاهدها العلمية ولاسيما جامع الرصيف، كما ذكره جعفر الكتاني في فهرسته. كان المخولفي مرجعا مشهورا في الأنساب الإدريسية، مما أهله ليكون من بين النسابين الذين كلفهم السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام بإحصاء وتصنيف الأشراف المقيمين بفاس (1238 - 1240 / 1822 - 1824) وذلك بهدف التوصل إلى التوزيع العادل للصلوات السلطانية، وتفاصيل ذلك مذكورة في ملحق الفصل الثاني من كتابه المعروف بالدر النثير.

ويذكر جعفر الكتاني في فهرسته أنه قرأ عليه الأجرومية بجامع الرصيف، وكان من بين الذين تزعموا حركة الأشراف على عهد المولى عبد الرحمن. كما كان مقصودا في الفتوى. وصفه بالفقيه الأديب النبيه المدرس، ذي الخبرة الواسعة بالوثائق.

من مؤلفاته المعروفة عندنا : الدر النثير فيمن اشتهر وصحَّ نسبه من شرفاء الودغير. وقد حققه الأستاذ العربي هلالى. بهجة الأبصار في جميع من وقفت على تحقيق نسبه من آل النبي المختار، خ. ع. 1265 ك.

توفي بعد عام 1290 / 1873.

الدر النثير، ص. 23 وما بعدها؛ الزركلي، الأعلام، 6، 93.

العربي هلالى ومحمد بوزيان بتعلي

الودغيري، المهدي ولد بفاس سنة 1950، تلقى دراسته بثانوية مولاي إدريس فالمدرسة الصناعية بنفس المدينة. واستهل أنشطته الثقافية بدار الشباب في أواسط الستينيات متعاطيا كتابة الزجل ناشرا قصائده الأولى انطلاقا من سنة 1969. وكانت جريدة "فلسطين" من المنابر التي نشر بها بعض هذه القصائد ليتوالى نشر مقالاته وأزجاله في جرائد وطنية أخرى مثل: "العلم"، "البيان"، "أنوال"، "البطحاء"... وفي بعض المجلات العربية لاسيما "الطليعة الأدبية" و"فنون" العراقيتان، "الحياة الثقافية" التونسية ثم "الناشر" الليبية إلى أن تقلد مهمة رئيس تحرير مجلة "أصوات" الفاسية سنة 1971. التحق سنة 1973 كصحفي محترف بجريدة الأنباء بالرباط وبعدها بجريدة "المحرر" بالدار البيضاء قبل أن تتوقف سنة 1981. وبين هاتين الفترتين وبالضبط سنة 1976 حصل على عضوية اتحاد كتاب المغرب. ولم يؤثر توقف جريدة "المحرر" على نشاط الإعلامى فتحوّل إلى الإعلام المسموع ليعد بين سنوات 1981 - 1983 بالإذاعة الجهوية بفاس برنامجين إذاعيين: "من

مذيعنا فقط" و"من وحي الأسماء" الذي كان يستضيف في حلقاته عددا من رموز الإبداع المحلي بالخصوص. في مجالات المسرح والأدب والشعر... إلى أن التحق مرة أخرى بجريدة "الاتحاد الاشتراكي" سنة 1983 متقلدا عدة مهام واستمر بها إلى آخر حياته.

وانطلاقا من السنة الموالية شرع في إصدار إبداعاته في كتب تحقق أولها في مجموعة قصصية بعنوان: "ثلاثية الملأ واللون" سنة 1984 لتتوالى مجموعاته على النحو التالي: "جزيرة في الرأس" 1988، "الخطب والإبرة" 1991، "موزار في الكنيسة" 1995، "بيوت من قلق" 1997، مجموعة "معايير قابلة للتغيير".

وفي سنتي 1996 - 1997 أصدر ديوانين زجليين متاليين: "عام الفول" و"عسالة" كما أصدر سنة 1998 رواية "المارد" و"كتاب المغاربة" الذي يعد بحق أولية فريدة من نوعها في تاريخ الأدب والإعلام المغربيين حيث وثق فيه المهدي الودغيري لمجموعة من الأحداث والوقائع التي حدثت لأول مرة في تاريخ المغرب المعاصر، وقد قدم له الدكتور المهدي المنجرة كالتالي: إن (كتاب المغاربة) للمهدي الودغيري يمنحنا رؤية بانورامية ظريفة تغطي ما يناهز القرن، في شكل نبذ ومحطات تاريخية ذات قدر كبير من الثقة والتوثيق.

فكل هذه الفسيفساء تشكل لوحة تعبيرية تسلط الأضواء على لحظات حية من تاريخ المغرب المعاصر عبر "الأوائل"، كما أن الكتاب، أيضا تكريم لرواد تجرؤوا على فتح أبواب لم تطرق قبلهم.

وكان المهدي الودغيري يستعد لإصدار الجزء الثاني من "كتاب المغاربة" وأعمال متنوعة أخرى تجمع بين الزجل والقصة القصيرة والنقد وأدب الأطفال، إلا أن يد المنون كانت أسرع من كل هذا حيث فارق الحياة على إثر حادثة سير بالدار البيضاء يوم الخميس ثالث أكتوبر سنة 2002.

خالد الحضري

الوديعية، شكل من أشكال التأمين ساد في مغرب ما قبل الاستعمار، فعادة ما كان أثرياء المغاربة من تجار كبار وأمرأء وقيادات يلجأون إلى شريف نافذ الكلمة أو شيخ زاوية يتمتع بالحرمة والوقار لإيداع أموالهم أو ممتلكاتهم النفيسة (مجوهرات، رسوم، كتب) خوفا عليها من نهب القبائل أو مصادرة المخزن، وكانت لهذه الوظيفة التأمينية الممارسة في معظم الحالات من طرف أصحاب السلطة الرمزية، أهمية بالغة في ظروف الأزمات السياسية وعجز الدولة عن توفير الأمن الداخلي. وقد جرت العادة أنه في حالة وفاة صاحب الوديعية كانت ترد إلى ورثته، وفي حالة المنقطعين كانت الأموال المودعة تصبح من حقوق بيت المال وتعطى للمخزن.

وترتبت عن هذا النظام في بعض الأحيان مشاكل عديدة احتفظت لنا المصادر والوثائق بأشئلة عديدة نذكر منها ما

يتعلق بضخامة الأموال المودعة في الزاوية الوزانية باعتبارها أكبر سلطة دينية في مغرب ما قبل الحماية، فقد استلم شيخها مولاي الطيب ودائع كثيرة في ظرف أزمة الثلاثين سنة 1727 - 1757، منها وديعة مولاي المستضيء بن إسماعيل حينما خلعه قواد جيش عبيد البخاري سنة 1153 / 1740، أمنها في دار الشيخ خوفا على مصادرتها من طرف أخيه زين العابدين، كما استودع بنفس الزاوية القائد أحمد الكعبيدي ما ورثه عن والده من أموال خلال إحدى فترات حكم مولاي عبد الله، وبعد وفاة الشيخ سنة 1181 / 1767 وقع نزاع بين ورثته الشيخ أحمد وأبناء عمه التهاميين الذين لجأوا إلى سيدي محمد بن عبد الله لإصافهم، غير أن السلطان اعتبرها من حقوق بيت المال وأمر قائده الهاشمي السفيناني سنة 1195 / 1781 باسترجاع مال الوديعة من شيخ الزاوية، فحصل المخزن منه على ستين ألف أوقية.

أبو القاسم الزباني، الترجمان المغرب، ص. 789، تح. محمد غسان.

M. Bodin, Les grands maîtres de l'ordre des Taibya de Ouezzane de 166 à 1811, B.S.G.A.O., t. 52, 1931, p. 66.

محمد عمراني

الوراوي، محبا وسعيد، هو رمز من أشهر رموز حركة المقاومة المسلحة الشعبية في الأطلس المتوسط. قاد على مدى العقدين الأولين من القرن الرابع عشر (20)، ببسالة نادرة وعزم لا يلين بمعية إخوانه في اتحادية آيت السري، معارك طاحنة وشرسة ضد قوات الاحتلال الفرنسي في مواضع وجبهات متفرقة من المجال المغربي توزعت بين الشاوية وتازة وتادلة وغيرها، وذلك في إطار رؤية جهادية وطنية صميمة تستمد أصولها ومعانيها الفكرية والرمزية من تشيع هذا القائد القوي بمبادئ العقيدة الإسلامية السمحاء، وإيمانه الراسخ بوحدة المصير السياسي لكافة مكونات المجتمع المغربي بصرف النظر عن تباين انتماءاتها الإقليمية والقبلية واختلاف انتساباتها الثقافية واللسانية.

ولاشك أن ما حظيت به حركة مقاومة محبا وسعيد من التفاف قبلي واسع وما حققته في الميدان من انتصارات وملاحم بطولية عطلت تقدم الجيوش الفرنسية لاحتلال شريط الدير في أفق الانتقال مباشرة لتنفيذ مخطط التوغل الشامل في ما وراء جبال الأطلس المتوسط، لم يأت من وحي الصدفة، وإنما بعد ماض غني بالبذل والعطاء تقلد في خضمه محبا وسعيد مسؤوليات قيادية سواء بين ظهراي قبيلته أو في ركاب المخزن. فيحكم ما يميز به من تبصّر وحذاقة بالغة وشجاعة مشهودة اختيار منذ وقت مبكر ليكون "أمغارا" على أفخاذ قبيلة آتي ويرا، وذلك قصد إدارة شؤونها الجماعية وإصلاح ذات البين بين فرقائها واستئصال شأفة الشاذين عن وحدة إجماعاتها. فكان ما اكتسبه من وجهة ونفوذ واسعين وهو يتولى هذه الوظيفة الاجتماعية الحساسة على رأس قبيلته، حافزا له للبحث عن اعتراف المخزن بسلطته والظفر بمنصب مخزني يليق بعلو مكانته وبعد نظره. فكان أن تأتي

له ذلك بعد انتقاله من تاكنت إلى القصيبة، حيث عينه قائد آيت ويرا آنذاك ابن هو ممثلا للسلطة في قرية القصيبة. ومنذ ذلك الحين لم يدخر محبا وسعيد أي جهد لتعميق صلات القربي والولاء بالمخزن وإظهار كامل استعداده لخدمة تطلعاته والدود عن رموزه. فكان استقباله للطابور العسكري الذي أرسله المخزن المركزي لإخضاع القبائل البربرية الثائرة بالمنطقة بعد استنكاف القائد ابن هو عن استقباله، ومشاركته، من جهة أخرى، كمرشد ضمن الحملة العسكرية التي بعثها السلطان الحسن الأول للتصدي لقبائل آيت سخمان بعد امتناعها عن أداء ما عليها من مستحقات جبائية وقتلها لقائد المحلة آنذاك الأمير سرور ابن المولى سليمان وحشد آخر من الجنود، من أهم الأعمال التي لفتت نظر السلطان الحسن الأول إليه وحملته على منحه فرقا عسكرية يصل تعدادها إلى 5000 جندي مدربة ومجهزة بأسلحة عصرية. ولعل هذه الالتفاتة هي ما فتح له الطريق للحصول على منصب قائد على قبائل آيت السري خصوصا بعد نجاحه الواسع والأكيد في خضد شوكة قبائل آيت سخمان وإلزامها بأداء واجب الدية كتعويض عن الخسائر التي مني بها الجيش المخزني في مواجهات بوتفردة وأغزيف.

وقد حرص محبا وسعيد مند تعيينه قائدا مخزنيا على استتباب الأمن في إيالته وملاحقة القبائل الناكثة للطاعة حيثما حلت وارتحلت، والوفاء بكل ما وسع من جهد وحنكة سياسية بمطالب المخزن والتزاماته الأساسية. حيث أنشأ تحقيقا لهذه الغايات عدة قصبات في كل من بونوال وناوور وبن شرو وغرم لعلام، إلا أن أهمها وأكبرها كان هو تلك القصبة التي بناها بسريف لتكون مقرا رئيسا لإدارته الخاصة. ويفضل ما أوتي من حكمة كبيرة في إدارة شؤون الجماعات وقدرة فائقة على حل النزاعات واحتواء التمردات، استطاع محبا وسعيد أن يوطد دعائم الأمن داخل إيالته وأن يوسع دائرة نفوذه لتشمل إضافة إلى قبائل آيت السري كلا من قبائل آيت أم البخت وآيت أوسعيد أوغلي جنوب مدينة بني ملال. وقد استمر يعمل في سلك المخزن طيلة عهد المولى عبد العزيز حيث شارك في سنة 1905 في الحملات العسكرية التي استهدفت القضاء على ثورة الجلالي الزرهوني الملقب بالروكي. إلا أنه وبعد انطلاق الثورة الحفيظية مال إلى جبهة المولى عبد الحفيظ لا سيما بعد أن صارت كل الدلائل السياسية تؤكد أن حكم المولى عبد العزيز آيل لا محالة إلى زوال.

انخرط محبا وسعيد في حركة المقاومة المسلحة مباشرة بعد احتلال مدينة الدار البيضاء في غشت 1907، حيث شارك إلى جانب إخوانه آيت ويرا في الحملات الجهادية التي خاضتها جموع المجاهدين المغاربة بتلقائية وحماسة نادرين في الشاوية، كما شارك أيضا وعلى نطاق واسع في جل المعارك التي قادتها قبائل تادالا للوقوف في وجه مخطط الغزو الفرنسي الرامي إلى إخضاع المنطقة بهدف تأمين

الاحتلال وردود فعل المقاومة المحلية، ندوة المقاومة بجهة تادلة -

أزيلال، 1908 - 1956، السياق والخصوصية.

G. A. Guillaume, *Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas central (1912-1933)*, Edit. René Julliard, Paris, 1946 ; D. Rivet, *Lyautéy et l'institution du protectorat français au Maroc, 1912-1925*, L'Harmattan, Paris, 1988 ; Le Maroc militaire, La Prise de Ksiba, *Revue France-Maroc*, 1922-1923.

الفقيه الإدريسي

ورد ، نبات ينتمي لفصيلة الورديات Rosaceae، يحمل

اسم Rose بالفرنسية وروزا Rosa كاسم علم. يشمل 10 أنواع طبيعية، واحدة منها قيسية خاصة بالمغرب وهي روزا ميز أطلنتيكا Rosa mesatlantica و10 أنواع دخيلة.

يعد الورد بمثابة جنسيات قائمة أو متسلقة في أغلب الأحيان شوكية ومعمرة ذات أوراق مركبة، وأزهار قلمية موحدة أو عنقودية. كأس الزهرة على شكل جرة وله عدة كبريات و5 سبلات و5 بتلات، وعدة أسدية. البتلات بيضاء أو صفراء أو حمراء أو وردية. هناك 10.000 صنف من الورد المستعمل لإنتاج الورد الجاف أو الورد الطازج أو زيت الورد أو ماء الورد عبر العالم.



انتشرت زراعة الورد بالمغرب منذ 1930، في جل المناطق الحارة بالمغرب، وخاصة ما بين سلسلة جبل مكنة وجبل ساغرو على مساحة تقدر بحوالي 1100 هكتار. وأكثر الأنواع استعمالاً لإنتاج الورد الجاف أو الورد الطري أو زيت الورد أو ماء الورد، هي النباتات الدخيلة التالية : روزا مُوسكُطا Rosa moschata وروزا سانتيفوليا Rosa centifolia وروزا دماسينا Rosa damascena، وهي التي تتميز بها قلعة مكنة. وفي شهر ماي من كل سنة يقام موسم خاص بالورود بقلعة مكنة، وبهذه المناسبة يتمكن المزارعون وبعض شركات تحويل الورد بعرض منتوجاتهم للتعريف بها ولبيعها.

يستخرج زيت الورد من البتلات الطرية بواسطة التقطير بالماء أو بالتقطير بالمحاليل. وللحصول على لتر واحد من ماء الورد يجب استعمال كيلو واحد من الورد، ولاستخراج كيلو غرام واحد من زيت الورد يجب جمع 3 أطنان من أزهار الورد، مع العلم أن المردودية للهكتار الواحد تتأرجح ما بين

السيطرة على مجال الشاوية وإحكام قبضتها على المحور الطرقي الواصل بين فاس ومراكش، والقضاء علاوة على ذلك، على يؤر المقاومة العسكرية التي كانت تتخذ من مرتفعات الأطلس ووهاده معاقل استراتيجية لتحصينها وتوجيه عملياتها المسلحة. وهكذا ونتيجة لما كبدته مقاومته العنيفة من خسائر فادحة في صفوف قوات الاحتلال منعت تقدمها إلى حين نحو الضفة اليسرى لوادي أم الربيع وذلك من خلال الحملات المتكررة التي كان ينفذها المجاهدون ضد المراكز العسكرية الفرنسية في كل من واد زم وغرم لعلام، وكذا من خلال عمليات الكوماندو التي كانت تستهدف قوافل التموين والإمداد، وقد قررت إدارة الاحتلال الدخول في مفاوضات مع موحا وسعيد لثنيه عن مواصلة خيار الجهاد المقدس واستدراجه من خلال عدة عروض مغرية للقبول بالأمر الواقع والاستسلام لإدارة المستعمر أسوة بما حصل مع قواد الجنوب المغربي. إلا أنه ومع كل الإغراءات التي قدمت له بسخاء سواء في سياق المفاوضات التي أجراها معه سيد أبي الجعد وقائد بني عمير أو تلك التي أجراها معه صديقه ووزير الحرب الأسبق في حكومة المولى عبد العزيز المهدي المنبهي، أبي موحا وسعيد إلا أن يواصل طريق الكفاح ضد إدارة الاحتلال مرددا المرة تلو المرة قولته المشهورة : "أريد وجه الله ورسوله ولا أريد مقابلة الكفار واليهود".

هكذا وأمام هذا الإصرار الشديد على خيار المقاومة، اندفعت القوات الفرنسية بقيادة الكولونيل مانجان Mangin لتنفيذ خطة الهجوم الكاسح على القصبية أيام 8 و9 و10 من سنة 1913، حيث خاضت في هذا الإطار عدة معارك سواء في غرم لعلام أو في قرية سيدي بن داوود أو داخل القصبية والممرات المؤدية إليها، انتهت في حصيلتها العامة بسقوط 320 جندي بين قتييل وجريح ومفقود في صفوف القوات الفرنسية وبمصرع المئات في معسكر المجاهدين وسقوط الآلاف من الجرحى. وقد استمرت الحرب سجالات بين الطرفين إلى غاية سنة 1922، حيث أعادت القوات الفرنسية بقيادة الكولونيل فرايدنبرغ Freydenberg الهجوم على القصبية ثانية وتمكنت من احتلالها نهائيا في أبريل من نفس السنة. وحيث إن المعارك العسكرية التي خاضتها المقاومة الوراوية لاستعادة القصبية لم تثمر في مجملها نتائج ملموسة، أسند موحا وسعيد في نهاية المطاف قيادة المقاومة لابنه بناصر واتجه إلى قصبته بناوور وبقي هنالك إلى أن وافاه الأجل المحتوم في بونوال يوم 5 مارس من سنة 1924 ليسدل بذلك الستار عن صفحة مشرقة من أهم صفحات الكفاح المسلح في الأطلس المتوسط في تاريخ المغرب المعاصر.

محمد المنصوري، كباء العنبر في تاريخ عظماء زيان والبربر، تح. محمد بن الحسن، كلية الآداب، بني ملال، 3 أجزاء : م. المعزوي، بن الحسن العابدي العلوي، الكفاح المغربي المسلح في حلقات، 1987 : م. العلمي، قيادة حركة تحرير الأطلس، 1979 : ف. الإدريسي، التدخل الفرنسي في منطقة القصبية بين استراتيجية

2 إلى 3 أطنان. ويتأرجح معدل منتوج المغرب من الورد الجاف ما بين 3200 و4200 طن سنويا. أما من حيث صادرات المغرب في ما يخص زيت الورد وماء الورد فقد بلغت 249 كلم طنا واحدا بقيمة 4 687 970 درهم في سنة 1993.

يحتوي زيت الورد على نسبة مئوية كبيرة من الفينيل والإيتانول. أهم استعماله هو صناعة العطور، كما يضاف طريا لبعض الأدوية لتغطية طعمها وخصوصا في أدوية الأطفال، كما يدخل في الأدوية الجلدية مثل أدوية الحروق. وتستعمل بتلات الورد في بعض الحلويات حيث تعطيتها النكهة المستحبة والمطلوبة إضافة إلى قيمتها الغذائية لاحتوائها على الفيتامينات. فضلا عن هذه الاستعمالات العديدة، يستعمل كذلك كمادة عطرية وفي مجال التزين والتجميل.

A. Aafi, M. Fechtal & M. S. Taleb, *Espèces remarquables de la flore du Maroc*, MCEF, DREF, Rabat, Maroc, 2002, 146 p. ; A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press et Kalila wa Dimna, Rabat, 2000, 360 p. ; A. Metro & Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora, La nature au Maroc*, Sco. des Sc. Nat. au Maroc, Rabat, 1955, 498 p.

عبد الرحمان عافي

الورداني، يحيى بن أحمد، أحد أعلام ومربي الريف الشرقي في القرن الحادي عشر الهجري، جاء ذكر هذه الشخصية ضمن تراجم **مطلب الفوز والفلاح في طريق أهل الفضل والصلاح لعيسى بن محمد الراسي البطوي**.

ينتمي الحاج يحيى بالقرار إلى مدشر وردان قبيلة بني أوليشك بالريف الشرقي. ونجهل متى استقر جد هذه الأسرة بوردان بني أوليشك. ونعتقد أنه واحد من أفراد الأسرة التي مثلها في آخر القرن التاسع الهجري المسمى الحاج يحيى الوردانيين علي بن موسى بن أبي بكر الصحراوي الفجيجي المشار إليه في كتاب **التشوف في رجال السادات أهل التصوف**، إن لم يكن هو نفسه. ولايمنعنا من تأكيد ذلك سوى حاجتنا إلى بيانات أكثر وضوحا. وقد دعانا اعتبار تلك الرابطة وقرب المعاصرة لإضافة كنية الفجيجي إلى اسم الحاج يحيى. وبحسبنا عن توضيحات أكثر جدوى تمكنا من إبراز ضريحين اثنين ببني أوليشك بحملان اسم سيدي الورداني. الأول منهما بفرقة بني يخلف جنوب وردانة وبالقرب من "لعري أجا". أما الثاني فهو واقع بفرقة بني عبد السلام بجوار سوق السبت، وهو ضريح الحاج يحيى المعني من طرف الوزان لإشارته إلى سوق السبت، والمعني أيضا من طرف عيسى البطوي.

وكيفسا كان الأمر فإننا وجدنا التطابق بين ما أعلنه الحسن الوزان في بداية القرن العاشر الهجري وبين ما أدلى به عيسى البطوي عن الحاج يحيى الورداني. فحسب الوزان أن عالم وردان وخطيب مسجدها لعب دوراً رئيساً، ليس في تصدر الشؤون الدينية فقط، بل لتزعمه مقاليد الزعامة

السياسية أيضا. والحدث الذي وضع بيده زمام قبيلة وردان، هو فوزه المحقق بإبعاد هيمنة إمارة بادس الوطاسية عنها، حين انتزع منها استقلالها الضريبي لترتبط ارتباطا مباشرا بالسلطة المركزية الوطاسية وهو ما اعترف له به السلطان الوطاسي محمد البرتغالي في بداية حكمه.

وزيادة في التوضيح نرى أن تاريخ هذا الحدث الهام في حده الأقصى لا يمكن أن يكون إلا في سنوات ما قبل 922 / 1516، وهي السنة التي نعتقد انقطاع أخبار المنطقة فيها عن الحسن الوزان الذي كان آنذاك مستعدا لمغادرة المغرب الشرقي في اتجاه تونس.

وداخل هذا التقدير وجريا وراء ضبط التحديد الزمني نجد أنفسنا مرغمين على التراجع إلى السنوات العشر الأولى من القرن العاشر الهجري لتبرز حدث التسرب الإسباني إلى صخرة بادس سنة 914 / 1508 الواقعة على بعد ميلين فقط من مدينة بادس. وإذا كنا قد التجأنا إلى تقديم هذا التاريخ كحد أدنى لانتفاضة شيخ وزعيم وردان فلأننا نعلم أن مدينة بادس عاصمة الإمارة قد تعرضت للتخريب مباشرة إثر الاحتلال الإسباني للصخرة. وهنا نشير إلى نقطة بداية تضعع الإمارة الوطاسية بمنطقة الريف لنستنتج الظرف المساعد للحاج يحيى على القيام بانتفاضته الناجح. هكذا فإن الحاج يحيى الورداني الذي نتصوره من خلال البيانات المقدمة من طرف الحسن الوزان لا يمكن أن يتعلق إلا بالحاج يحيى المشار إليه من طرف عيسى البطوي. واعتمادنا فيما نذهب إليه مرتكز على إشارة عيسى البطوي المؤكدة أن الشيخ المربي الورداني كان سيد قبيلته في الشؤون الدينية قبل عام 919، مما يتفق اتفاقا كلياً مع المستخلص من وصف إفريقيًا.

ويعود فضل تكوين الحاج يحيى الورداني إلى دراسته بالمغرب الجزائري وبمدينة تلمسان خاصة، حيث أخذ التصوف على الشيخ عثمان بن زيان المديوني. نستطيع الآن أن نقول إن الحاج الورداني تزعم المركز الديني بقرية وردان إثر عودته من تلمسان في بداية القرن العاشر الهجري، فغدا خطيب مسجد أولاد عبد السلام وعالمه المحدث والواعظ به، كما أصبحت وردان نقطة التقاء الطلبة والمريدين من بني سعيد حسبنا نعلمه فقط، ساعده الأيمن في تلك المهمة وخلفه بعده تلميذه أحمد بن عبد الله المديني البطوي، أحد تلامذة ابن غازي المكتاسي المعروف. وعنه تخرج عدد من شيوخ التعليم البوطيين.

وتبرز كتابات البطوي عن الحاج يحيى أن تضلعه في التربية الصوفية أدى به إلى وضع أسس طريقة صوفية جديدة بالتقدير ذاع صيتها بطوية كلها، وهي مرتكزة على الزهد المبسط الحالي من التعقيدات السلوكية، منصبة فقط على الاستغراق في العبادات. وقد أشار الوزان إلى أن بطوية الحاج الورداني كانت في مقدمة الجهات التي لم تتسرب إليها عادة الإدمان على شرب الخمر، وذلك نتيجة انتشار

تابع دراسته في الكتاب القرآني قبل أن ينفصل عنه مبكراً ليلج عالم العمل وهو لازال صبياً فقد كان يشتغل كعامل مزارع في بساتين سلا.

ولع بفن الرسم منذ الصغر وفي الكتاب كان يرسم أصدقاءه الصغار بطريقة فطرية. ولما اشتد عوده زواج بين العمل الزراعي وفن الرسم الذي أخذ منه الحيز الأكبر من الاهتمام والوقت قبل أن يحترف الرسم بصفة نهائية، اعتبر الوردديغي من بين الرسامين المغاربة الذين ينتمون لتيار الفن الساذج وقد حظي بصيت واسع النطاق في أوروبا وأمريكا، حيث نظم عدداً من المعارض التي اثارت إعجاب وتقدير العديد من النقاد الأجانب.



استوحى الوردديغي أعماله مما ترسب في مخيلته من آثار الحضارة الإسلامية في المغرب. ومن أشكال الفنون القديمة كالنقش والفسيفساء والتطريز والتزويق كما أن ألوانه مستوحاة من الطبيعة المغربية الصرفة.

حظيت أعمال الوردديغي بمجموعة كبيرة من الدراسات والأبحاث التي كتبها عنه كبار النقاد في الأكاديمية الفرنسية والتي نشرت في أمهات المجلات الفنية والأدبية في العواصم الأوروبية.

عرض الوردديغي مع مجموعة من الرسامين في كل من الدار البيضاء والرباط. كما عرض أعماله خارج الوطن ففي سنة 1963 أقام معرضاً بباريس وفي 1964 عرض بتشيكوسلوفاكيا وفي سنة 1970 بألمانيا.

كانت أعمال الوردديغي تحمل طابعاً خاصاً ومدرسة خاصة تنتمي إلى عالم الفطرية لما تحمله من أصالة وبساطة في التعبير الوجداني.

توفي الوردديغي بمدينة سلا سنة 1974.

م. أ. السلاوي، أعلام الفن التشكيلي العربي بالمغرب.

محمد بلعربي

الرعي بطريقته. وهي نفس الطريقة التي سببناها مركز تيزي عدنيت بزعامة فقيهننا عيسى البطوئي.

عيسى بن محمد البطوئي، مطلب الفوز والفلاح في طريق أهل الفضل والصلاح، مخطوط بالخزانة الحسنية؛ عبد الرحمان التادلي، التشوف إلى السادات رجال التصوف، مخطوط بالخزانة العامة؛ حسن الوزان، وصف إفريقيا؛ حسن الفكيكي، أمجاو، معلمة المغرب؛ مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة؛ مطلب الفوز والفلاح في طريق أهل الفضل والصلاح؛ عيسى بن محمد الراسي البطوئي، دعوة الحق، سنة 1985 و1987؛ ضابط الأمور الوطنية، تطوان، 1952؛ خريطة طبوغرافية، 1965. حسن الفكيكي

وردديغة، بطن من بطون بني جابر الذين استوطنوا سفح جبل تادلة، وهم من القبائل العربية التي استقدمت إلى المغرب في عهد المرابطين، وكانت رئاستهم على عهد بني مرين. وبالنظر إلى الجذ المشترك كانت لفظة وردديغة تعني جل قبائل تادلة العليا، أي أولاد بحر كبير، أولاد بحر صغير، السماعلة، بني خيران؛ منتسبة بذلك إلى علي وردديغ أو وردغ.

جابر الرقي



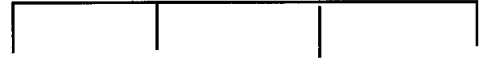
(بنو جابر)



علي وردديغ



(وردديغة)



بحر كبير (أولاد بحر كبير) بحر صغير (أولاد بحر صغير) إسماعيل (السماعلة) خيران (بني خيران)

إن اسم وردديغة أصبح فيما بعد يعني أولاد بحر كبير وأولاد بحر صغار فقط، وأصبح الاسم كذلك خاصية تميز مواشيتها (الأغنام) وشكلها الهضبي (هضبة وردديغة).

اشتهرت خلال فترة الحماية بكونها ضمت أكبر مناجم ومكامن الفوسفات في العالم. وانقسمت إلى قيادتين: قيادة أولاد بحر كبير (القائد عمر البرهمي ثم القائد العربي بن عمر فالقائد الحاج لكبير بن لبصير) وقيادة أولاد بحر صغار (قيادة محمد ثم أحمد الشراذي).

عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج 1، الرباط، 1968.

Peyronnet Raymond, *Tadla, pays Zaïan, Moyen Atlas*, Alger, 1923 ; *Recensement Général de la population et de l'habitat de 1994*.

صالح شكاك

السورديغي، أحمد (رسام) ولد سنة 1928 بمدينة سلا وبها نشأ لكنه لم يحظ إلا باليسير من التعليم والمعرفة حيث

الوراق، عبد الملك بن موسى، صاحب كتاب *المقياس* في أخبار المغرب والأندلس وفاس، وهو من مؤرخي القرن السادس الهجري. بقي حياً حتى سنة 555 / 1160 كما ذكر هو بنفسه، ولا يعرف بالضبط تاريخ وفاته.

يعتبر كتاب *المقياس* مفقوداً حتى الآن، وقد ذكر عبد السلام بن سودة في دليل مؤرخ المغرب الأقصى، أن بعض أصدقائه أخبره أنه رأى كتاب *المقياس* تاماً في مجلد وسط بيد بعض الطلبة بمكناس. وقبله أشار أبو علي صالح بن أبي صالح في رسالته عن القبلة أن الكتاب متعدد الأسفار، وهو نفسه ينقل بعض أخباره عن السفر الثالث منه. وبعد *المقياس* من أهم المصادر التي اهتمت بتاريخ الغرب الإسلامي عموماً وتاريخ المغرب خصوصاً. وقد اعتمده كثير من مؤرخي العصر الوسيط وأحالوا عليه في أخبار كثيرة تتعلق بتاريخ الأدارسة والمرابطين والموحدين.

ابن القطان، نظم الجمان، بيروت، 1990؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 1 و3 و4، بيروت، 1983؛ ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج. 1، القاهرة، 1973؛ مجهول، مفاخر البربر، الرباط، 1934؛ ابن خلدون، العبر، ج. 6، بيروت، 2000؛ أبو علي صالح، رسالة في القبلة، مخطوط خ. ع. ق 985؛ الجزائني، جنى زهرة الآس، الرباط، 1991؛ ابن القاضي، جنوة الاقتباس، الرباط، 1974؛ أبو حامد العربي بن عبد السلام الفاسي، رسالة شفاء الغليل في بيان قبلة صاحب التنزيل، مخطوط، خ. ح. 814؛ عبد السلام بن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ج. 1، الدار البيضاء، 1965؛ محمد المتوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ج. 1، الرباط، 1983.

رشيد السلامي

ورزازات، يتركب اسم ورزازات من مقطعين أمازيغيين :

الأول : وَاْر ويعني بدون أو يخلو.

الثاني : الزازات أو زازات وتعني الحصومات والمشاكل -

والحروب - وإذا جمعنا المقطعين الاشتقائيين، فورزازات تعني

بلدة بدون مشاكل أو بلدة الهناء أو دار السلام الخ ...

وتشير النقوش الحجرية المكتشفة في منطقة ورزازات

وبقايا عظام الديناصور وعمره 180 مليون سنة أن منطقة

ورزازات من أقدم المناطق التي عرفت حياة الإنسان والحيوان.

كما تدلنا هذه الاكتشافات على التغيير الذي عرفه مناخ

المنطقة. وشكلت ورزازات طيلة تاريخها الطويل نطاقا التقت

فيه عدة مجموعات بشرية ذات أصول عرقية مختلفة، كما

أنها شكلت المعبر التجاري الأساسي نحو بلاد السودان

وسجلماسة ومراكش عبر وادي درعة واحات تدغة ودادس

وتيزي نتلوات أو تيشكا. ولهذا كانت كل الدول التي توالى

على المغرب، تمد نفوذها إلى ورزازات وذلك منذ الأدراسة

إلى العلويين، وجدير بالذكر أن أسرة الغلاوي مدت نفوذها

إلى ورزازات منذ أن نجح "محمد أبيب" جد آل الغلاوي

التمركز بورزازات وتحصين قصبته تاويريت، وأصبحت هذه

القصبه منذ أواخر القرن 19 تراقب تحركات القبائل والقوافل

التجارية بين واحات درعة وورزازات وبين هذه الأخيرة ودادس

وتودغة. ونظراً للمساعدات التي قدمها آل الغلاوي لحركة السلطان الحسن الأول سنة 1894. أثناء مرورها بالمنطقة وسط عاصفة ثلجية، فقد عين السلطان الحسن الأول المدني الغلاوي خليفة له على منطقة ورزازات وتافيلالت. ومع تصاعد نفوذ الغلاوي خلال السنوات اللاحقة فقد عين أخاه حمادى خليفة له بقصبه تاويريت بورزازات وابن أخيه القائد حمو خليفة للمخزن على الجنوب كله من قصبه تالوات إلى محاميد الغزلان. وبعد تراجع نفوذ الغلاوي في هذه المناطق، فقد حلت القوات الفرنسية بورزازات سنة 1928 فأقامت بها حامية عسكرية - ومركزاً للشؤون الأهلية ومدجراً للطائرات. كما أقامت بها مركزاً تجارياً. وتحولت ورزازات إلى قطب أساسي من أجل احتلال واحات درعة ودادس وتدغة وصاغرو.

أخذ دور ورزازات يتعاظم كمركز رئيسي بالنسبة للمراكز التي أقامها نظام الحماية في تنغير ويومان دادس وقلعة مگونه وسكورة وزاگورة الخ... وقد كانت ورزازات قبل هذا التاريخ عبارة عن مداشر تتكون من قريتين : تاصومعت وتاوريرت، ومع تمرکز نظام الحماية بها اتسع الشريط الحضري بها وارتفع عدد السكان بشكل مطرد وعلى الشكل الآتي :

| عدد السكان | السنوات |
|------------|---------|
| 800 | 1940 |
| 3000 | 1950 |
| 4200 | 1960 |
| 11142 | 1970 |
| 17220 | 1982 |
| 39203 | 1994 |
| 44776 | 2000 |

وتمثل الهجرة القروية عنصراً أساسياً في تعمير ورزازات، إذ أن الساكنة الأصلية لا تمثل سوى 14 ٪ من مجموع السكان، وتعزى هذه الهجرة إلى ازدهار السياحة بالمدينة، وكذلك ظهور الصناعة السينمائية بها، ويعود الاهتمام بمنطقة ورزازات سياحياً إلى الفترة الاستعمارية. وبعد الاستقلال قامت الدولة بجهود للنهوض بالسياحة في المدينة من خلال إنشاء وحدات فندقية بواسطة تشجيع المستثمرين، وكذلك من خلال إنشاء مطار عصري لاستقبال السياح القادمين من الخارج مباشرة. كما قامت البلدية سنة 1972 بشراء قصبه تاويريت من ورثة الغلاوي وخصصت جزء منها لأغراض سياحية. وتم إنشاء مدرسة فندقية سنة 1987 تحولت إلى معهد التكنولوجيا الفندقية السياحية سنة 1995. وفي إطار الحفاظ على المآثر التاريخية المهتدة بالزوال أو الآيلة للسقوط والعمل على ترميمها واستغلالها لفائدة السياحة ثم إنشاء "مركز الصيانة والمحافظة على التراث"

توفي يوم الأحد 29 ذي قعدة 1359 موافق 29
دجنبر 1940.

المختار السوسي، المعسول، 15، 323 : محمد حجي، إتخاف
المطالع: موسوعة أعلام المغرب، ج 8، ص. 3080 : أحمد متفكر،
ذيل الإعلام.

الورزاني، خليل العالم الفقيه الواعظ محمد خليل بن
محمد بن الطاهر الورزاني الأصل، المراكشي المولد والنشأة
والمدفن. ولد بمدينة مراكش سنة 1317 / 1899، قرأ القرآن
عند الفقيه محمد الفيلاي بكتابه الكائن بحى القصور، ثم
أتم حفظه على يدي تجليله مولاي عمر ومولاي أحمد بعد
وفاته. ثم تآقت نفسه للاستزادة من العلم فالتحق بجامعة
ابن يوسف للأخذ عن شيوخها الأجلاء نذكر منهم السادة :
شيخ الجماعة العلامة محمد بن حسن الدباغ والفقيه العلامة
محمد الصوري والفقيه البركة الزاهد أحمد بن المحجوب
المراكشي وشيخ الجماعة العلامة الحاج العربي الرحماني
البروشي والعلامة المؤرخ القاضي الحاج العباس بن إبراهيم
التعارجي والمحدث الشيخ أبي شعيب الدكالي، وغيرهم.
ثم رحل سنة 1340 / 1922 إلى فاس التي بقي فيها ما
يقرب من السنة، أخذ عن شيوخ جامعة القرويين ما تيسر من
العلوم، نذكر منهم : العلامة الشريف مولاي عبد الله
الفضيلي والعلامة القاضي عبد العزيز بناني والعلامة عبد
السلام السمرغيني والعلامة مولاي عبد السلام بن عمر
العلوي وغيرهم وأجازه بعض شيوخه. ثم رجع إلى مسقط
رأسه ليقوم بدروس وعظية ببعض مساجد مراكش، فأقبل
الناس على دروسه، لما تميز به أسلوبه الوعظي من تبسيط
الأفكار، وتقريبها إلى جلاسه بلهجته المراكشية المرحبة
الشيقة. وفي سنة 1342 / 1923 عين مدرسا بمدرسة الباشا
الحاج التهامي المزواري الكائنة بحى باب دكالة، ولما زارها
جلالة الملك محمد الخامس وتفقد بعض أقسامها أعجب
بالدرس الذي كان يلقيه الأستاذ الورزاني، فأصدر أمره
بتعيينه أستاذا لأبجاله بالمدرسة المولوية بالرباط، وفي هذه
الأثناء زاول خطة العدالة مع القاضي مولاي أحمد بن اليزيد
البدراوي. ثم عين نائب عضو بمجلس الاستئناف الشرعي
الأعلى بالرباط. وبعد انتهاء مأموريته بالمدرسة المولوية عين
سنة 1365 / 1945 قاضيا بآيت أورير ناحية مراكش، ثم
انتقل سنة 1377 / 1957 إلى مراكش بنفس الصفة. وبعد
مدة عين مستشارا مقررًا بالمجلس الأعلى بالرباط، وبقي في
هذا المنصب إلى أن أحيل على المعاش بتاريخ 4 قعدة سنة
1390 مرافق 2 يناير 1971.

توفي ليلة الخميس 20 محرم 1407 موافق 25 سبتمبر
1986، ودفن بروضة باب أغمات، وقد رثاه الشاعر مولاي
إبراهيم الحاري بقطعة جاء فيها :

هوى علم فروغت العقول وخيم فوق ساحتنا الدهور
وهال مدينة الأمجاد هول ولا عجب فذا خطب يهول
توارت في سما الحمراء شمس وغاب البدر إذ رحل الخليل

سنة 1988، وفي هذا الإطار تم ترميم قصر "آيت بنحدو"
الذي يستقطب سنويا آلاف السياح إذ صنفته اليونسكو
ضمن التراث العالمي، كما أقيمت مجمعات للصناعات
التقليدية، وتم ترميم كثير من المنازل لإيواء السياح، كما تم
تنظيم مهنة المرشدين السياحيين، كل هذه العوامل جعلت
ورزازات من أهم الأقطاب التي تجلب السياح.

ناهيك عن دور الصناعة السينمائية، بفضل
الإستوديوهات المقامة، التي جعلت المخرجين من مختلف
أنحاء العالم يتقاطرون على المنطقة لتصوير أفلام ضخمة
تساهم في تشغيل اليد العاملة المحلية، وفي الزيادة من
استقطاب السياح، وهكذا تعتبر السياحة أهم نشاط
اقتصادي في ورزازات.

منوغرافيا ورزازات، عمالة ورزازات، 1988، العدد 544، مارس،
2004، ورزازات قافلة، حكايات مغربية، ص. 36 - 71 : عبد الإله
الجوهرة، ورزازات : فضاء السينما، ورزازات، 2003.

Montagne Robert, *Les berbères et le Makhzen dans le
Sud du Maroc*, Felix Alcan, Paris, 1930 ; G. Spillman, *Les
Ait Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra*, Rabat,
Moncho, 1936.

عبد القادر بوراس

الورزاني (الحاج -) إدريس، الفقيه القاضي الخطيب

الحاج إدريس بن المختار بن عمر الورزاني الأصل، جده عمر
هو أول من دخل إلى مراكش من وارزازات، وقد كان تاجرا.
ولد المترجم له بمدينة مراكش سنة 1297 / 1878 حسب وثيقة
عدلية، خلافا لما جاء في كتاب المعسول من أنه ولد سنة
1290 / 1873.

حفظ القرآن على يد الفقيه الخير السيد محمد بن أحمد
المجديوي التجاني طريفة، كما حفظ عدة متون. ثم التحق
بجامعة ابن يوسف فدرس على شيوخها الأجلاء نذكر منهم
السادة : مولاي الحسن الأسفي ومحمد بن عبد السلام بوسته
ومحمد الصوري والحاج محمد أزنيط ومحمد بن القرشي
السمرغيني، وغيرهم.

وبجامعة القرويين درس على شيوخها نذكر منهم السادة:
أحمد بن الجيلالي وإدريس العمراني وغيرهما. وقرأ بمصر
على الشيخ سالم البكري، والشيخ محمد عبده. حج سنة
1317 / 1899، والتقى بعدد من العلماء ورجال الفضل
والصلاح، وأجازه عدد منهم.

وفي سنة 1318 / 1900 انخرط في سلك العدول، وتولى
الإمامة والخطبة بمسجد سيدي أبي عمرو، ومسجد سيدي عبد
العزیز التباغ، ودرس هناك الفقه والحديث. وفي سنة 1328 /
1910 ولاة السلطان نظارة الأحباس العباسية. وفي سنة
1330 / 1911 أضاف له أحباس الشيخ الجزولي. وفي سنة
1336 / 1917 ولي قضاء سطات مدة سنتين، بعدها عين
بقلعة السراغنة مدة عشر سنوات، ثم انضافت له منطقة
زمران سنة 1348 / 1929. وفي نفس السنة عين قاضيا
بمدينة مراكش بالمحكمة اليوسفية.

أحمد متفكر، ذيل الإعلام : محمد بن الفاطمي السلمي، إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلثة من علماء المغرب المعاصرين، ص. 104.

الورزازي (الحاج -) الحبيب بن المختار بن عمر الورزازي القاضي، ولد بمدينة مراكش سنة 1298 / 1880، قرأ القرآن عن الفقيه أبي مدين بدرب أعرجان، ثم عن الفقيه الصالح السيد علال المرابطي السوسي في مكتبته بحي المواصلين. ثم التحق بالجامعة اليوسفية فدرس على شيوخها الأجلاء نذكر منهم : شيخ الجماعة الحاج العربي الرحمانى البربوشي، شيخ الجماعة محمد بن إبراهيم السباعي، الفقيه الحاج لحسن الشاوي.

تولى العدالة، وأصبح من المرززين فيها، ثم أسندت إليه مهمة القضاء بعد أخيه الفقيه القاضي الحاج إدريس، واستمر في مهمته إلى أن أعفى بعد الاستقلال.

توفي يوم 15 محرم 1380 موافق 10 يوليوز 1960.

المختار السوسي، المعسول، 15، 323 : أحمد متفكر، ذيل الإعلام.

الورزازي، محمد بن أحمد الصغير عالم حافظ متفنان في العلوم، اشتهر بالصغير وبالقاضي. أصله من درعة. وكان القاضي السيد عبد الكبير بن أحمد يستخلفه لغزارة علمه واتقاد ذهنه وسرعة فهمه. أخذ بسجلماسة عن الفقيه الشهير عبد الواحد القندوسي صاحب الحاشية على مختصر الشيخ خليل، ولازمه مدة طويلة، ثم ارتحل إلى مدينة فاس فأخذ عن العلامة أحمد بن الحاج الفاسي، وأبي عبد الله القسنطيني. واجتمع في أول أمره بمحمد بن محمد بن سعيد المرغيشي بمراكش، واستفاد منه وارتحل إلى المشرق فارا من غوائل أبناء الدنيا، فرزق قبولا عظيما هناك في مصر والحجاز. وحج وعاد إلى مصر، واشتغل بالتدريس، وكانت له اليد الطولى في العلوم العقلية والفقهية.

توفي بمصر سنة 1138 / 1725، ودفن بمشهد الإمام ابن القاسم، وأشهب، وغيرهما من أئمة المالكية. له شرح على [العقيدة السنوسية].

أعلام التعارفي، 6 : 33.

أحمد متفكر

ورزيفة، موقع إسلامي يرجع إلى الفترة الإدريسية، يقع شمال مدينة مكناس حيث يبعد عنها بـ 6 كلم، وبالضبط على الضفة اليسرى لوادي الردم غير بعيد عن محطة القطار التي تحمل نفس الاسم. هذا الموقع معروف لدى الباحثين والمهتمين بتاريخ الأدراسة كمعمل لسك النقود، حيث ضربت به دراهم باسم محمد بن إدريس المتوفى في عهد علي الأول (223 - 234) وفي 247 تم سك نقد باسم عيسى الشيباني الذي يبين أن المدينة قد أصبحت تحت حكم إمارة أبناء هذا الأمير ودون شك تحت حكم يحيى الأول ابن محمد (234 - 249).

من بين المؤرخين العرب الذين تطرقوا لهذه المدينة الإسلامية نجد على الخصوص أبا عبيد الله البكري في كتابه *المسالك والممالك*، حيث يصفها عند وصفه للطريق الرابطة بين أغمات وفاس قائلا : "مدينة ورزيفة، وهي أهلة كثيرة المياه والثمار والخير يباع فيها ألف حبة إجماص برع درهم، قتل ميسور الفتى أهلها وسبى نساءها بعد زواله عن مدينة فاس سنة أربع وعشرين وثلاثمائة".

لكن التحريات الأثرية التي أجريت في منطقة ورزيفة نفسها لم تسمح بالعثور ولو على دليل أو بعض بقايا هذه المدينة اللهم اسم المكان الذي مازال معمولاً به إلى يومنا هذا.

أبو عبيد البكري، *المسالك والممالك*، ت. ح. أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، 1992، ص. 845.

D. Eustache, *Corpus des dirhams idrissites et contemporains*, Rabat, 1970-1971, p. 155.

حسن ليमान

الورطاسي، قدور بن علي بن البشير البزناسني أصلاً الحسني نسباً السلفي مذهباً الوطني روحاً وفكراً، ولد بزواية ورطاس قرب أبركان سنة 1330 / 1912، وأدخل كتاب القرية على العادة المتبعة ليتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ويحفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى المعهد الديني بوجدة لمتابعة تعليمه وبعدها التحق بالقرويين التي بقي يدرس فيها إلى غاية سنة 1355 / 1936 وهي السنة التي رجع فيها إلى مسقط رأسه لمزاولة خطة العدالة.

انخرط في الحركة الوطنية منذ سنة 1348 / 1930، وتقلب في صفوفها إلى أن صار مسؤولاً عن فرع حزب الاستقلال بأبركان مما فرض عليه الإقامة الجبرية وعرضه إلى الاعتقال عدة مرات من طرف السلطات الفرنسية. وفي سنة 1372 / 1952 نفي إلى أقصى جنوب المغرب حتى بزوغ فجر الحرية والاستقلال، إذ تقلد عدة مناصب إدارية، منها قائد بتمتاز بشرق المغرب، ثم عضو في ديوان وزير الدولة المكلف بالشؤون الإسلامية، وكان آخر هذه المناصب رئيس مصلحة تكوین الأطر الدينية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

بدأ الكتابة طالباً بالقرويين سنة 1351 / 1933 بصحيفة "النجاح" (الجزائر) ثم مراسلاً لجريدة "السعادة" وكذلك جريدة "الأطلس" لسان حال الحزب الوطني، وعقب أحداث 1944 أصبح مراسلاً لجريدة "البصائر" و"الشعلة" الجزائر والأسبوع (تونس)، كما أنه كان يكتب في مجلتي "دعوة الحق" و"الإرشاد" ويلقي أحاديث دينية على أمواج الإذاعة المغربية يستفيد منها عموم الناس. ونظراً لشغفه بالكتابة وقرض الشعر، وانكباه على التدوين والتصنيف فقد ترك مؤلفات هامة يتعلّق جلها بتاريخ المغرب الشرقي، وتراجم فئة من رجالاته البارزين في ميدان التضحية والنضال وتحرير بلادهم من نير العبودية والاحتلال ؛ هذا بالإضافة إلى ديوانه

الشعري الذي يشمل القصائد التي جادت بها قريحته في مختلف المناسبات والأغراض.

لقد كان المترجم له من الرجال القلائل الذين يرجع لهم الفضل في إذكاء الحماس ونشر الوعي الوطني بين قبائل بني يزناسن المشهورة بالشجاعة والإقدام ومقاومة الاستعمار، والقضاء على الخونة من أذنايه، مما يسجل له بمداد الفخر ويستحق عليها ما هو جدير به من إشادة وتنويه يخلدان اسمه في قائمة الشرف والذكر الطيب.

توفي يوم 20 يوليوز 1994 / 1414.

عبد السلام التازي، الأديب المغاربة المعاصرون ؛ عبد الله الجارري، التأليف ونهضته في القرن العشرين ؛ قدور الورطاسي، بين ظلال الأصاله.

عبد الرحمن القباج

ورقاء بنت يتنان ، كانت تعرف بالحاجة ، امرأة صالحة

من أهل مدينة طليطلة ، وأصلها من بربر المغرب. انتقلت إلى فاس وسكنت بها في العصر المرابطي. كانت أديبة شاعرة بارعة الخط حافظة للقرآن الكريم، مع صلاح وورع. قامت برحلة إلى المشرق أدت خلالها فريضة الحج. ذكر أحمد بن فرتون الفاسي في كتاب الذيل لتاريخ ابن يشكوال أنها كانت على صلة بأسرته بفاس. ونظراً لضياح هذا الكتاب فلم نتعرف من أخبارها إلا على ما أورده المصادر اللاحقة، وهي أخبار شحيحة.

توفيت بعد سنة 540 / 1145.

ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، 4 : 256 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، 8 : 493 ؛ ابن الزبير، صلة الصلة، 5 : 310 ؛ عمر رضا كحالة، أعلام النساء، 5 : 284.

محمد المغراوي

الورقة، عبد الرزاق بن مسعود ، من مواليد سنة

1919 بمدينة سلا، كان من أشهر وأمهرا لاعبي كرة القدم المغاربة بعد العربي بن مبارك ؛ تلقى تعليمه الأول بكتاب بورماضة قبل التحاقه بمدرسة باب سبتة ومدرسة زنقة بوتايي بالرباط ثم عمل كموظف ببلدية سلا.



بدأ مساره الرياضي سنة 1938 بصفوف الجمعية السلوية قبل التحاقه بنادي سطات المغربي في السنة الموالية والذي نال

معه بطولة المغرب بعد ذلك دخل عالم الاحتراف وقد امتدت مدة احترافه من سنة 1945 إلى 1964 تألق خلالها في عدة أندية أوروبية وأمريكية لاتينية، خاصة في فرنسا وإسبانيا والمكسيك.

وبعد المشاركة في دورات تدريبية في 1960 و1962 والحصول على ثلاثة دبلومات، قام عبد الرزاق الورقة بتدريب أندية فرنسية (كورسيكا) وإسبانيا (مورسيا)، إلى حين عودته إلى أرض الوطن سنة 1966، حيث أفصح عن نية إجراء بعض الاتصالات بغية خدمة كرة القدم المغربية.

وعندما سُئل عن ارتسماته حول كرة القدم الوطنية، بعد 21 سنة من الغياب، كان رده : "على مستوى التقنية الفردية يمكن القول بأن قدرات المغاربة كبيرة بحيث يسهل تشبيههم بلاعبين أمريكا اللاتينية، ومع ذلك، ما يؤسف له هو غياب الانضباط...".

انحصر نشاطه في الإرشاد الرياضي بشركة ماروك شيمي وقد حظي باستقبال جلاله المرحوم الحسن الثاني الذي وشح صدره بوسام علوي ضمن مجموعة من اللاعبين القدامى وذلك بمناسبة إحدى نهائيات كأس العرش بالمغرب الشرقي بالدار البيضاء.

توفي بعد مرض طويل لم ينفع معه علاج سنة 1993 بمنزل أخيه صالح بسانية الحسنوي بمسقط رأسه فشيعت جنازته بمقبرة باب معلقة مخلفاً ولداً واحداً من زواجه بمواطنة فرنسية.

L'Opinion, 1er avril 1966 ; Le Matin, 28 mai 1976.

محمد الفقير

الورياجلي، عبد الله بن عبد الواحد (أبو محمد)

الفقيه المفتي، الموصوف بالاجتهاد، والملقب بالفقيه العالم. يمثل الجيل المخضرم الذي امتاز بنقل المستوى المعرفي لعلماء نهاية القرن (9 / 14). فقد أخذ عن الإمام القوري آخر حفاظ المدونة، وعن الإمام العبدوسي مفتي فاس وأشهر علمائها، وأدرك أبا القاسم التازغدري، وأبا عبد الله العكرمي، وأبا القاسم محمد بن يحيى السراج، ونقل عن هؤلاء طرقهم في التعليم ومؤلفاتهم إلى طلبته كما يروى تلميذه محمد ابن غازي. رحل إلى تلمسان حيث لقي الإمام محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد وتديج معه بعدما تأكدت مكانته في مجالس درسه، وعندما لم يجد فيما ذكر له عن علماء المشرق ما يغريه بالرحلة رجع إلى المغرب في المرحلة التي سقطت فيها عدة ثغور في يد البرتغاليين وخاصة طنجة وأصيلة.

سكن الورياجلي مدرسة بالقصر الكبير حيث كان يشتغل بالتدريس في مسجدها خلال فصلي الشتاء والربيع، ويخرج في الصيف والخريف للمرابطة والجهاد في الثغور المحتلة، ولم ينقطع عن التعليم والإفتاء في البلاد الهبطية مع قيامه

تبدو بداية علمنا بأوليات الحرب فيما أعلنت عنه المراسلة السلطانية إلى النائب محمد الطريس، بتاريخ 10 ربيع الثاني 1311 / 21 أكتوبر 1893، يخبره بما صدر من أهل الريف لمنع البناء أولاً وثانياً، ويتوجيئه إلى قلعية طائفة من العسكر لتتلقى الوضع. وقد تكلفت بعض الوثائق بتقديم التفاصيل، فأخبرتنا أن الإسبان بمجرد اتخاذ القرار ببناء برج سيدي ورياش شرعوا في تعبيد الطريق من المدينة المحتلة إلى موضع البناء، وكان هذا كافٍ لإثارة حمية القلعين.

ولم تسفر تدخلات قائد مزوجة حم بن الهادي القلعي وقائد إدالة جنادة بوشنافة الجامعي لإقناع حاكم مليلة الجنرال ماركايو بتوقيف الأشغال والتراجع عن المشروع أو تأخيرها، وطلباً منه على الأقل نقل البناء إلى موضع آخر. وأمّام رفض الإسبان المقترحات المغربية، كان من الطبيعي أن يعبر القلعين عن غضبهم، خاصة لوجود ضريح سيدي ورياش وانعقاد سوق اثنين فرخانة بجواره، علاوة على أن البناء يشرف على الزائرات للحرم الورياشي. ومما زاد الأمور تهيجاً دخول العمال الإسبان إلى باحة الضريح بقصد استغلال ماء الساقية في البناء.

ونجد بداية الحرب فيما قدمه القائد حم بن الهادي القلعي، قائد بني سيدال حيث قال: خرج أهل مليلة لبناء برج بطرف حدادتهم قرب منازل فرخانة فمنعهم من بنائه مراراً، ونهوا فلم ينتهوا، فمنعهم أهل قلعية وأخرجوهم من البرج بعد أربعة أيام من البناء. ثم أعيد البناء تحت حراسة قوية. وربما كانت الأمور ستوقف عند هذا الحد لو لم يعمد الإسبان إلى الاستفزاز الذي أشار إليه قائد إدالة قصبه جنادة أحمد بوشنافة الجامعي، إذ أن أهل قلعية المجتمعين في سوق اثنين فرخانة تعرضوا للضرب من الأبراج المجاورة بالمدافع، مما هبّ القلعين للمعركة الأولى. ومن أجل الاستعداد استدعى أهل قلعية مجاهدي أولاد ستوت وهؤلاء قدموا بالخيال والرماة إلى أن حاصروا الإسبان بشعاب كدية المعازير يوم الجمعة 9 جمادى الأولى 1311 / 11 ديسمبر 1981 وعاد الإسبان إلى قصف المواقع القلعية خلال الأيام الثلاثة التالية، وفي اليوم الأخير قتل الجنرال ماركايو حاكم مليلة.

والنتيجة أن الإسبان سارعوا إلى مكاتبة السلطان المولى الحسن، وهو آنذاك يتأفقت لإرسال أخيه المولى عرفة. وتبعاً لذلك راسل السلطان عمال قلعية والناحية الشرقية وعمال الريف كافة في هذا الشأن في 14 ربيع الثاني 1311 / 26 أكتوبر 1893: يستنهضهم لمساندة مولاي عرفة لإيقاف الحرب. وقد انضم إليه كل من مولاي عبد الله والكاتب إدريس بن إدريس وولد البشير امسعود اليزناسي. وفي 11 رمضان 1311 / 18 مايو 1894 كان مولاي عرفة بقلعية منهمكاً في تهدئة الوضع، في مهمة مزدوجة، متمثلة من جهة في إقناع قلعية بالعدول عن التعرض على البناء ومن جهة أخرى في رسم الحدود. ويبدو أنه توصل إلى الأمرين معاً. هذا ما أعلنته الرسالة 18 جمادى الثانية 1311،

بواجب الجهاد. اشتهر الورياشلي بسعة الاطلاع الفقهي وبإجازته في "المدونة" و"مختصر ابن الحاجب الفرعي" إلى جانب إجازته في كتب الحديث بأسانيد مشرقية بواسطة شيخه أحمد بن محمد المصمودي الماجري.

وتظهر لمسة الشيخ الورياشلي الفقهية في تمكنه من الفقه المالكي ونقل أسانيدته التي اختصر بها المغاربة، فقد كان "يقري المذاهب الأربعة ويقتصر بمذهب مالك كأنه المازري في طبقته".

توفي - حسب ابن عسكرو - في العقد الأول من القرن العاشر.

م. ابن غازي، التعلل، تح. محمد الزاهي، 113 - 118 م. ابن عسكرو، دوحه، 30 - 33 م. جحي، الحركة، ج 1، 54 م. ابن خليفة، أعلام القصر الكبير، منشورات جمعية البحث التاريخي والاجتماعي، 1994، 45 - 51.

نفسه الذهبي

ورياش (برج سيدي -)، بناه الإسبان بالقرب من المزار، عند توسعهم في حدود مليلة المغتصبة على عهد المولى الحسن، تبعاً لسياسة بناء الأبراج حول المدينة المحتلة، حينما وصل تعيين الحدود إلى كدية سيدي ورياش عند النقطة الحدودية رقم 7 و8 و9... وهو أضخم الأبراج وأخطرها، ظهر تصميمه بشكل مستطيل تشرف من زواياه الأربع الحاملة للمدافع الكبرى. لم تظهر حدة مشكل بناء الأبراج إلا إثر عزم الإسبان على بنائه، إذ أن موقعه كان بجانب خط الحدود المتصل بفرقة فرخانة، مثلما كان بجوار مقبرة سيدي ورياش. وقد وقفنا على نص المطالبة بإنشائه في رسالة 3 قعدة 1293 / 20 نوفمبر 1877، غير أن الموافقة المخزنية النهائية لم تتم إلا في عام 1309 / 1891، أي بعد ست عشرة سنة مضت على المطالبة الأولى.

اختار الإسبان الطرف المناسب لبنائه، وذلك بعد أن استعدوا للحرب، مستغلين توتر أعصاب قبيلة قلعية الناتج عن إصرارها على البناء، إمعاناً منهم للتعدي على حرمة ضريح سيدي ورياش ومقابر المسلمين التي بساحته، وبذلك بدأت المقاومة المغربية على أشدها.

أرشيف مديرية الوثائق الملكية بالرباط: أحمد الناصري، الاستقصا، ج 9: محمد المشرفي، الحلل البهية: وثائق دار النيابة بطنجة.

Ministro de Estado, *Documentos diplomaticos referentes a las Cortes 1892*; Geronimo Becker, *Españaq y Marruecos*, Madrid 1903; Gabriel Morales, *Datos para la Historia de Melilla*, 1992; Isidro de las Gálgigas, *Tratados y convenios referentes a Marruecos*, Madrid 1952; R.F. de Castro y Pedreda, *El Rif*, Malaga 1911.

ورياش (حرب سيدي -)، هي مجموع المعارك التي وقعت سنة 1311 / 1893 بين القلعين وإسبانيين مليلة، نتيجة الاعتداء الإسباني على مقبرة وضريح سيدي ورياش، أثناء تعيين الحدود المغتصبة، يسميها الإسبان حرب "ماركايو" (Margola) نسبة إلى الجنرال حاكم مليلة الذي تم مقتله في بداية المعركة.

الموجهة إلى محمد الطريس حيث قال :حصل المراد من توجيه مولاي عرفة. وبذلك اتخذت جميع الإجراءات للبدء في وضع ترتيبات لعقد اتفاق جديد لرسم الحدود.

كانت حرب سيدي ورياش رد فعل طبيعي من طرف القلعين ضد الوجود الأجنبي بالشمال الشرقي ومحاولة الحد من تلاميذ على التراب المغربي وقد واتت الفرصة إسباني مليلة للمضي في اقتطاع المزيد منه إثر وفاة المولى الحسن 3 حجة / 1311 / 28 مايو 1894 وتولية المولى عبد العزيز. فقد تطلبت التولية الجديدة تجديد الاعتراف بالاتفاقات الخاصة بتعيين الحدود والبحث عن مكتسب ترابي آخر. وتمثل المكسب هذه المرة في اغتصاب المساحة المحيطة بالحدود، دعت بالأرض المحايدة أو المحرمة.

هذا هو موضوع الاتفاق الجديد المبرم يوم 3 شوال / 1312 / 30 مارس 1895. وهو ملخص لجميع الاتفاقات المبرمة سابقا بدءاً من اتفاق سنة 1859 (الشرط 2). وما يهنا هو إضافة شروط جديدة تنص على إغلاق مساحة مقبرة سيدي ورياش بالسور الحجري (الشرط 3) وضبط الحراسة بإدالة عدتها أربعمائة جندي (الشرط 4) وتعيين قائد برتبة باشا (الشرط 5) وأداء غرامة عن الحرب في أكتوبر ونوفمبر 1893، قدرها أربعة ملايين من الريال الإسباني (الشرط 6). وقد تم توقيع الاتفاق بيد محمد بن المفضل غريظ.

أرشف مديرية الوثائق الملكية بالرياض : أحمد الناصري، الاستقصا، ج 9 : محمد الشرفي، الحلل البهية : وثائق دار النيابة بطنجة.

Ministro de Estado, *Documentos diplomaticos referentes a las Cortes 1892* ; Geronimo Becker, *España y Marruecos*, Madrid 1903 ; Gabriel Morales, *Datos para la Historia de Melilla*, 1992 ; Isidro de las Gáigas, *Tratados y convenios referentes a Marruecos*, Madrid 1952 ; R.F. de Castro y Pedreda, *El Rif*, Malaga 1911.

ورياش (سيدي -)، أشهر صلحاء قبيلة قلعية بالريف الشرقي (إقليم الناظور). من أصل ودغيري فجيحي، استقر به المقام الأخير بقبيلة قلعية، وقبره مزارع بارزة على كدية مشرفة من الحد الشرقي لفرقة فرخانة على مدينة مليلة المحتلة. والاسم كنية لبوكر بناء على ما حققه المرحوم القاضي العربي الورياشي، حين ذكر أنه بوكر (ورياش الثاني) بن عيسى بن يخلف بن عثمان بن يعيش بن إبراهيم بن إبراهيم بن بوكر (ورياش الأول) بن عيسى بن عبد الرحمن الودغيري.

والمعتقد أن المراتب ورياش بن عيسى عاش خلال القرن السابع الهجري، جاء إلى قبيلة قلعية ضمن الزحف المريني نحو القبيلة في مستهل القرن، بعد مراحل وتنقلات بربر المغرب الشرقي. استقر أخيراً بقبيلة قلعية، أولاً بفرق الكعدة، (بني سيدال) ثم ببني شكر وفرخانة حيث دفن. ولا نعرف عنه سوى ما تذكره بعض التقاليد عن اشتهاؤه بالتصوف والصلاح، وقد أكد تقييد لمجهول يعود إلى سنة

939 / 1533 بشهرة مزارته في عموم الريف الشرقي، بعد مضي ثلاثة قرون على وفاته، مشيراً إلى أنه لم يعقب، وأن الأسر الورياشية المقيمة بقلعية لا تنتسب إليه إلا بالخدمة في حياته وتعهد المزارع من بعده. ويرتبط اسم سيدي ورياش أيضاً بتأسيس البرج المعروف باسمه، كما اشتهرت المزارع بالمعارك الجهادية التي دارت حولها في آخر سنة من حياة المولى الحسن.

حسن الفكيكي، *المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة المحتلة، الدار البيضاء، 1997*، ص. 46 - 75 - 125 - 137 : العربي الورياشي، *الكشف والبيان عن سيرة بطل الريف الأول سيدي محمد أمزيان، تطوان، 1979*، ص. 52 : مجهول، *نسب قبيلة قلعية، مخطوطة بالخزانة العامة.*

الورياشي، العربي بن محمد بن علال، من أسرة عالمة مشهورة، قاضي ومفتي ومحدث ونسابة وكاتب في التاريخ بإقليم الناظور خلال فترة الحماية. (ولد في رمضان 1318 / ديسمبر 1899 يناير 1900). درس بقلعية الدراسة الأولى على والده وعلى الشيخ علال بن أحمد السيدالي التنتوتي، وعليه ختم مقدمة أجروم والتحفة وابن عاشر. ثم رحل إلى فاس يوم 5 صفر 1345 / 15 غشت 1926، فقرأ على مجموعة من الشيوخ من أمثال عبد العزيز بن أحمد وأحمد بن الخياط والحسن مزور والحسن الزرهوني والحسن العراقي وعباس بناني ومحمد بن الحاج السلامي.

قضى أربع سنوات بالقرويين، وإثر عودته اشتغل بالعدالة تمهيداً لتحمل منصب القضاء. فعين عدلاً بمحكمة بني بوفيرور في عام 1349 / 1329، ثم خليفة القاضي في جمادى الثانية عام 1350 / 1930 على بني بويحيى، ثم قاضياً على نفس القبيلة، وإلى جانبه والد كاتب هذه الترجمة الفقيه العدل مصطفى الفكيكي. بقي في منصبه إلى سن التقاعد.

شخصية عالمة وقد استفاد من الخزانة العلمية التي تركها له والده. فهو فقيه، ومحدث ومفتي. وهو نسابة، له في هذا الباب تقييد "كشف الخفا ودفع الأسى عما كان مجهولاً من سلسلة نسب فروع أولاد رح بن عيسى، مازال مخطوطاً. ومن إنتاجه أيضاً "الإحياء والإنعاش بذكر أسماء من استوطن قلعية وشفشاون قديماً وحديثاً من أبناء سيدي ورياش"، مازال مخطوطاً أيضاً.

وأهم كتبه في تاريخ المقاومة المغربية المعاصرة سماه "الكشف والبيان عن سيرة بطل الريف الأول سيدي محمد أمزيان، وأخبار مقاومته هو وإخوانه الريفيين لأبي حمارة ثم الإسبان". وهو أول كتاب ظهر عن المقاومة بالريف الشرقي بعد استقلال البلاد، كان له صدى كبير في الأوساط الريفية خاصة.

ومثل شباب الحركة الوطنية كانت الفترة التي قضاها في القضاء صراعاً مع المراقب الإسباني للقبيلة. وحينما ظهر

حزب الإصلاح الوطني عبر عن تضامنه مع المبادئ الوطنية التي كان يرمي إليها، وقد كاتب عبد الخالق الطريس، في هذا الشأن.

والورياشي ناظم أيضا في التصوف والوطنية التي عاش أطوارها خلال فترة الحماية. أودع في رثائه للمجاهد الشريف محمد أمزيان لوعائه في الوطنية، ومدح أهل البيت، وكذا الخليفة الحسن بن المهدي لدى نزوله بميللة سنة 1936، لزيارة منطقة الشمال الشرقي المغربي.

وثائق عائلية.

حسن الفكيكي

الورياشي، محمد بن عبد السلام، ولد بشفشاون سنة 1921، وبها نشأ في أسرة مولعة بالموسيقى الأندلسية والسماع. كان من رواد الزوايا في شفشاون، وعن شيوخها حفظ مستعملات المديح والسماع. وقد رحل إلى تطوان للدراسة، فالتحق بمعهد مولاي المهدي، كما واصل مخالطة رجال الموسيقى والأخذ عنهم. انخرط بعد الاستقلال في سلك التعليم، وكان إلى جانب عمله الوظيفي يدرس الموسيقى الأندلسية بمعهد تطوان. وفي عام 1957 أسس "الرابطة المحمدية للأمداح النبوية" بتطوان.

من إنجازاته الفنية تعمير ألحان التراشي السبع بأشعار مختارة في المديح النبوي. وقد صنع مثل ذلك في تواشي قدام الأصبهان، وسيط رصد الذيل، ورمل الماية، وقائم ونصف الحجاز المشرقي والرصد وغريبة الحسين وعراق العجم. ومن إنجازاته أيضا تلحين أناشيد وطنية ودينية، ويحتفظ نجده محمد أمين بنحو ثلاثين منها بألحانها. ومن هذه الأناشيد نشيد جماعة الأخوة الإسلامية، ومطلعه :

بنور الوسام وبشرى الإخاء

نرف إلى المسلمين النداء

كان الورياشي يتقن العزف على آلة الأكورديون، كما كان يستخدمها في مصاحبة مردي الأناشيد.

توفي بتطوان عام 1984.

بطاقة خاصة.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الدورباغلي، العياشي من ألمع رجالات الموسيقى

الأندلسية في القرن العشرين. ولد بمدينة شفشاون في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والحركة الموسيقية بها - يومئذ - في أوج نشاطها، فخالط رجالها من الحفاظ والعازفين، ونهل من معارفهم حتى اعترف له بالتفوق. وعندما أقدمت "مصلحة الفنون الجميلة على افتتاح القسم العربي للموسيقى بمعهد تطوان في بداية الثلاثينيات، كان الدورباغلي من بين من انتدبوا للتدريس به، فغادر مسقط رأسه، وانكب بعزيمة لا تنني على تعليم الطلاب، فكان يلقتهم ميازين النوبات، ويعلمهم العزف على الرباب، ثم انتدب لرئاسة جوق الموسيقى الأندلسية الذي أحدث لأول مرة في معهد تطوان.

أخذ عنه كثير من أبناء تطوان وشفشاون، ومن هؤلاء محمد بن أحمد المريني الذي تلقى عنه مستعملات المدرسة الشفشاونية القديمة، كما لم يفت الفنان الفاسي مولاي أحمد الوكيل - بعد حلوله بتطوان عام 1942 - أن يستفيد من خبرة المترجم في عزف الرباب، وأن يأخذ عنه بعض الصنائع الشفشاونية النادرة، ومنها صنعة "أحمد الهادي" من بسيط نوبة رمل الماية، وذلك مقابل تلقيه صناعات أخرى من مستعملات المدرسة الفاسية.

وكان المترجم من بين من استعان بهم المستشرق الإسباني أركاديو دي لاريا Arcadio De Larrea في إنجاز المدونة الموسيقية لنوبة الأصبهان، وكذا في توثيق وضبط أشعار ميازينها اعتمادا على أوراق خطية كان الدورباغلي قد قيدها بخط يده كما سمعها من أفواه أساتذته القداماء العارفين بالفن.

توفي العياشي الدورباغلي بتطوان يوم 17 ربيع الثاني 1375 / 2 دجنبر 1955.

ع. العزيز ابن عبد الجليل، مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية، ط 2، ص. 277، الدار البيضاء، 2000؛ حاتم الوكيل، الموسيقى الأندلسية من خلال مسيرة الفنان، سلسلة المعرفة للجميع، عدد خاص، مارس، 1999، ص. 101.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الوزاع (ابن -) محمد بو عمر أحد مبعوثي السلطان

مولاي عبد العزيز إلى ألمانيا في 1900 : ينحدر من مدينة الرباط، كان ضمن أفراد البعثة الطلابية التي أرسلها السلطان المولى الحسن إلى إيطاليا سنة 1887 لتعلم الفنون العسكرية. وكانت تضم - حسب أحد أعضائها وهو الحسين الزعري - واحداً وعشرين فردا، منهم محمد التداوي وأحمد الجبلي وكلاهما من مدينة الرباط. وقد عاد أفرادها على دفعات إلى المغرب بعد تخرجهم برتب عسكرية مختلفة من مدارس إيطاليا، ومنهم المترجم الذي تخرج برتبة ضابط من مدرسة المشاة والخيالة بمودينا. هذا ولما عزم السلطان المولى عبد العزيز على إرسال بعثة إلى ألمانيا في 1900 للتدريب على البطارتين اللتين سبق للمخزن أن اشتراها من مصانع كروب بمدينة إيسين الألمانية، وقع اختياره على المترجم وأيضا على رفيقيه محمد التداوي وأحمد الجبلي سابقا الذكر، بالإضافة إلى محمد بن عمر الرباطي، أحد أعضاء البعثة الطلابية التي أرسلها المولى الحسن للدراسة بإيطاليا في 1891، وذلك حسب ما كتب به الوزير أحمد بن موسى في رسالة طويلة منه إلى النائب السلطاني بطنجة الحاج محمد الطريس في 7 مارس 1900، بشأن مرامي هذه البعثة وأسماء أعضائها، بالإضافة إلى برنامجها الكامل أثناء الذهاب والإياب، حيث يقول بعد المقدمة :

"وبعد، فقد أخبر الأمين الحاج محمد الزكاري بما كتب له به التاجر أكروب من كون بطارتي المدفع المشترتين منه

تكونان ميسرة عنده للتجريب في خامس عشر أبريل القابل الموافق خامس عشر من ذي الحجة القابل، وطلبه تعيين من يحضر من قبل جانب المخزن أعزه الله وقت تجريبهما، وأن يكون سفر المعينين لذلك قبل تاريخ التجريب بنحو عشرين يوما وأجيب بأن سيدنا أعزه الله قد عين الأربعة المذكورين طرته [محمد بن علل التندلاوي ومحمد بن عمر ومحمد بو عمر ابن الوزاع والسي أحمد الجبلي] من المتعلمين الرباطيين الذين كانوا تعلموا بإيطاليا (كذا) الواردين عليه صحبته ليتوجهوا لهذا الغرض، ويتوجه معهم أمين المستفاد بذلك الشغل الطنجي حرسه الله الطالب أحمد مدينة بقصد تصديره عليهم وعلى نفسه بعد أن يبقى نائبا عنه في المستفاد المذكور إلى أن يرجع، والكتاب لأمين المستفاد المشار إليه وجه له بطي الجواب، ويأنه إذا أراد توجيههم فليدفع لهم تقييدا ببيان ما عنده في كيفية البطارتين وسائرهما وسائر الآلات المتعلقة بهما بجميع ما بين فيها ليكونوا من ذلك كله على بال عند تركيبهما، وبأن يكتب هو للتاجر أكروب صحبتهم بالتعريف بهم والمقصود من توجيههم، وهو أن يبين لهم كيفية التركيب في ذلك كله حتى يعرفوا جميع المسائل المتعلقة بالبطارتين بأسمائها وبيان العمل فيها، ويصير ذلك لديهم ضروريا في التركيب والحل، ويكون التجريب أولا بمحضهم ثم يباشرون التجريب بأنفسهم لتكون معرفتهم مبنية على مباشرة العمل بالفعل ثم بعد ذلك يرجعون لذلك الشغل الطنجي حرسه الله، وأما المتعلمون الأربعة فيتوجهون من ذلك الشغل الطنجي لصلة رحمهم بالرباط، والكتاب لأمناء طنجة بتزويدهم والإكراء لهم بحرا وأصلين للرباط، وجه له بطي الجواب ليدفعه للأمناء المذكورين عند توجيههم ويقف معهم حتى يتوجهوا، وبأن مولانا أيده الله قد أنعم على كل واحد منهم بكسوة عمل المحصور من ملف البحر الكبير ومائة ريال صلة، ومد من القمح بمكيال الرباط، ورتب لكل واحد منهم في مؤنته اليومية ريال واحد عن ثلاثة أشهر التي هي مدة إقامتهم بالرباط والكتاب الصادر بتنفيذ ما ذكر لهم عند أمناء العدوتين وجه له بطي الجواب ليدفعه لهم بعد إياهم من ألمانيا عند توجيههم للرباط وأعلمناك لتكون على بال وعلى المحبة والسلام في 5 قعدة عام 1317".

هذا وسافرت البعثة المغربية إلى ألمانيا في 7 أبريل 1900 برفقة الوفد المغربي المتوجه لتمثيل المغرب في المعرض الدولي المنعقد بباريس حسب ما كتب به الوزير أحمد بن موسى إلى النائب السلطاني بطنجة الحاج محمد الطريس في 27 أبريل 1900 بقوله :

"وبعد، وصل كتابك بالإعلام بسفر الأمينين المعينين لحضور المعرض العمومي الباريزي في 6 حجة وفي رفقتهم الأمين الطالب أحمد مدينة المعين للضائر على المتعلمين 4 المكلفين باختيار المدافع المشتراة من كروب الألماني، وأصلين لبلاد جنوة ومنها في البر لبلاد ألمانيا [...] أصحابهم الله

السلامة وعلى المحبة والسلام في 26 حجة 1317".
وفور وصول البعثة المغربية إلى ألمانيا، كان على أفرادها اختيار الأسلحة التي سبق للمخزن أن اشتراها من معامل كروب، كما يوضح ذلك رئيس البعثة نفسه أحمد الجبلي في مذكرته التي كتبها بالفرنسية في 1930، عندما كان معتقلا في سجن العلو بالرباط في قضية الظهير البربري، بقوله :

"وفي سنة 1900 كنت رئيس وفد عسكري مغربي عينني مخزن جلالة مولاي عبد العزيز بوصفي ضابط مدفعية للذهاب إلى ألمانيا عند فريدريك كروب بايسن لكي نختبر ونقبل في مكان الإطلاق بمين (Meppen) مدافع وذخائر كان مخزن صاحب الجلالة قد اشتراها من معمل كروب. وكانت بعثتي متركبة كما يلي : مني بوصفي ضابط مدفعية ومن ثلاثة ضباط آخرين متخرجين من مدرسة المشاة والخيالة بمودينا (إيطاليا) ومنهم : 1 - ليوتنان الخيالة محمد بنعمر الرباطي (قائد طابور البوليس الشريف بمدينة طنجة). 2 - ليوتنان المشاة السي محمد التندلاوي الرباطي، وهو اليوم مجرد فلاح ببلاد السراغنة. 3 - ليوتنان المشاة السي محمد بن الوزاع الرباطي (من أقرب أقاربي) الموجود بالبرازيل بمدينة ساو باولو منذ 1902. 4 - أمين صائر الوفد المسمى السي أحمد مدينة التطواني".

ولا نعرف على وجه التحديد ما آل إليه مصير المترجم، بعد عودة البعثة المغربية من ألمانيا، سوى ما أخبرنا في السابق أحد أقاربه وهو أحمد الجبلي، من أنه غادر المغرب إلى مدينة ساو باولو بالبرازيل منذ 1902.

ونائق تطوان، مح. 26، 107، مح. 26، 125؛ مصطفى بوشعراء، الاستيطان والحماية بالمغرب، ج 4، ص. 1387 - 1396؛ محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، ج 1، ص. 178 - 188؛ بهيجة سيمو، العلاقات المغربية الإيطالية، 1869 - 1912، ص. 402 - 415، الدار البيضاء، 2003.

احمن ميلود

وزان (جغرافيا -) تقع مدينة وزان شمال المغرب على بعد 70 كم من المحيط و 130 كم من البحر الأبيض المتوسط في مجال طبيعي ساهم في تأسيس قوة حضارتها المدنية وهو الآن يقوم بدور معاكس بتكريس أفول إشعاعها.

وزان معلمة تاريخية تستمد جذورها من أعماق التاريخ، وقد ساهمت بشكل بارز في الإشعاع الثقافي للدولة المغربية، رغم تعاقب الممالك ورغم تقلبات التاريخ، كحاضرة إسلامية لها نفوذ ديني واقتصادي وعلمي.

إلا أن المدينة ستعرف بعض التراجع على عدة مستويات، ولم يعد تاريخها الأصيل ينعشها كما لم تعد مؤهلاتها تكفيها لمسايرة التطور الاقتصادي والاجتماعي ومتطلبات التمدين الصحيح.

مدينة وزان في محيطها الطبيعي :

تقع المدينة عند حضيض السفح الشمالي لجبل بوهلال

(609 م) إحدى المرتفعات البارزة في منطقة يغلب على تضاريسها الطابع التلي. موقعها هذا هو عبارة عن ظليل مختار يستفيد من الرطوبة الجوية إضافة إلى تعرضه الإيجابي للمؤثرات المحيطية، حيث يتساقط على المدينة 800 مم تساهم فيها القيمات الأكثر من 1000 مم بتواتر منتظم، وتكون التساقطات الشهرية في متوسطها كافية وموزعة بطريقة منتظمة على شهور فصول الإنبات.

يستفيد هذا الموقع من سهولة المواصلات، ومن بعض المنابع المائية وكذا من إشرافه على المنطقة من عل وعلى مدى واسع لبعده النظر بحكم الوظيفة الأصلية التي أوكلت للمدن في مراقبة المحيط والمسالك.

يتكون جبل بوهلال من طبقات صخرية حثية كاربوناتية تنتمي إلى النوميليتي (الزمن الثالث) والتي تتركز بتقعر بنائي، وفي غير توافق طبقي بحكم زحفها، على طبقات من الصلصال الكريتاسي والميوسيني المتنوعة التي تشكل أرضية غير نافذة توفر نوعاً من الموارد المائية الباطنية للمدينة. وعلى سفوح الجبل نشأت فوق الاستسطاحات الحثية الكلسية تربة تمتاز بسمكها موروثه عن مناخ الزمن الرابع القديم أنبتت غطاء نباتيا طبيعيا كثيفا ساهم بدوره في الحفاظ على التوازن والاستقرار البيئي، إلى أن شرع في استغلال أشجار الزيتون البري، أحد العناصر الشجرية المكونة للغطاء، بتطعيمه وتحويله إلى زيتون مثمر. وهكذا ازدهرت غراسة الزيتون التي كانت منذ القديم أهم الموارد الاقتصادية للمدينة، وأهم منشط اقتصادي يشمل تصنيع الزيوت وتسويقها. إلا أن التدهور الحالي للزيتون، أضاف إلى معوقات تنمية المدينة الكثيرة معاناة أخرى مصدرها تدهور البيئة في المحيط الاقتصادي.

يتسم محيط المدينة بنوع من الاستقرار والتعايش المتكافئ بين الإنسان وبيئته. التلال رغم طبيعتها الصلصالية وضعف قدرتها على اختزان المياه المتساقطة الوفيرة مكسوة بأنواع من الأتربة التي توفر مؤهلات زراعية مناسبة تجاورها العديد من أراضي الأيك أو حتى الغابوية التي لازالت ناحية مصمودة ومزفرون الواقعة على بعد 9 كلم من المدينة تحتوي على غابة سنديان فليني بديعة تتوفر على تشكيلة كاملة وعلى وحيش وفير كشاهد على الاستقرار البيئي وتنوعه.

إذا كان الجفاف قد خلف في المنطقة آثارا لا تقل عما هو سائد في باقي تلال مقدمة الريف، فإن الآفة الكبرى كانت حين استنزفت الأرض وغطاؤها النباتي ولم يسلم منها حتى ما تم تشجيرها في إطار برنامج الديرو بذريرة الجفاف أحيانا وبذريرة الفقر أحيانا أخرى، ولكن السبب الحقيقي هو انعدام التنظيم وبرامج تهيئة مجال كفيلة بتقوية المواد القروية ومعها مؤهلات المدينة، وتجنيب السكان فقرا آخر حينما يتحولون إلى حضريين في وزان.

ويعود تأسيس المدينة وزان إلى العهد الروماني حيث كانت تعرف بـ "بابا جوليا كامبيستيدس". أما اسمها الحالي فقد اتفق على أنه لاتيني بتفخيم واو الكلمة، ويعود أصله إلى أن أحد أباطرة الرومان أطلق عليها اسم ولي عهده الذي كان يعرف بهذا الاسم. في المجال الاقتصادي وحسب المصادر التاريخية، من المرجح أن تكون المدينة قد لعبت دوراً هاماً كحلقة وصل بين قطبي موريطانيا الطنجية، طنجة في الشمال ووليلي في الجنوب.

كانت المدينة في العهد الروماني تستغل موارد محيطها الذي ازدهرت فيه غراسة الزيتون التي ساهمت في الإشعاع التجاري للمدينة، حيث اكتسب السكان رصيذا هاما من المهارات الزراعية والتحولية للزيتون وكذلك التجارية، علما بأن التبادل يفعل الارتباط مع الرومان كان يتعدى الحدود المحلية. إلا أن هذا الإشعاع بالرجوع إلى القرائن التاريخية لم يكن وليد دينامية وزان لوحدها وإنما كان مرتبطاً بأسجن التي تبعد شمالا بـ 9 كيلومترات عن وزان والتي لم تكن إلا مجرد فلك يدور حولها. حاضرة أسجن كانت أكثرها شهرة وأهمها استقطابا للسكان ولممارسي التجارة، خاصة اليهود منهم وحتى رجال الدين المسلمين أنفسهم كانوا يستقرون بها، من ضمنهم أبو عمران دفين القرية. دور أسجن كذلك ارتبط بالحركة الدينية اليهودية التي يوجد بها دفين بأحد مزاراتها الهامة الذي كان يقام له موسم في ربيع كل سنة بالقرب من المقبرة اليهودية المسيحية والتي يوجد بابها على يمين المسلك المؤدي إلى مدشر أسجن.

خفت صيت وزان بعد أفول إمارة الرومان على موريطانيا الطنجية، ولم يبدأ تاريخها المدون فعليا إلا بعدما شيدت بها إحدى أهم الزوايا المغربية، دار الضمانة. وتروي المراجع التاريخية أن الإشعاع الديني لمدينة وزان بدأ في عهد موسى بن نصير، حين بنيت مأذنة المسجد الكبير، كما يذكر أن مولاي بوسلهام كان قد استقر بها وجعل من داره رباطا للصلحاء. ثم أخذت المنطقة تتطور مع العصور إلى أن انتقل المولى عبد الله الشريف إلى المدينة وأسس بها زاوية في عهد السعديين سنة 1012 أيام زيدان بن أحمد المنصور السعدي. كان المولى عبد الله الشريف يقيم في رباطة صغيرة تدعى الميقال في الجانب الغربي الحالي للمدينة، ثم انتقل إلى المدينة التي كانت توفر بعض المرافق العمرانية التي تساعده على القيام بدوره الديني. وهكذا، ومن نتائج توارث التنظيم والقوة، بدأت مدينة وزان تحجب تدريجيا دور الريادة الذي كان لأسجن، والتي كانت تأوي القاضي والحاكم إلى جانب امتلاكها لدواليب النشاط التجاري الهام الذي كانت تقوم به الطائفة اليهودية والذي نقلته إلى مدينة وزان واستمرت في ممارسته إلى حدود السنوات الأولى من الاستقلال.

لعبت دار الضمانة دوراً هاماً في استقطاب السكان سواء لاستقرارهم الدائم بما أوتوا من إمكانات وحسن تدبير فلاحية وتجارية، أو لزيارتهم الموسمية خلال فصل الحريف لتنشيط

هي استقطاب موجات الهجرة القروية على علة ما كانت تقدمه من خدمات قابلة لإغراء ثم استيعاب الوافدين. وهكذا فإن النمو الديموغرافي لوزان سيتأثر إلى حدود الثلثين بالنزاحين خاصة في عقد الستينيات. من خلال الجدول التالي ويظهر أن النمو الديموغرافي تضاعف خلال 30 سنة أي بوتيرة سنوية تزيد عن 3.3٪.

| السنوات | 1960 | 1971 | 1982 | 1992 |
|------------|-------|-------|-------|-------|
| عدد السكان | 24929 | 33267 | 40485 | 52168 |

ومن المؤشرات الاجتماعية الهامة بمدينة وزان نذكر نسبة الأمية التي تتجاوز 39٪/ 53٪ عند الإناث، ونسبة البطالة المثلثة بـ 22.4٪. كلاهما له ارتباط بالفقر المقرون هو بدوره بالنزوح إلى المدينة في ظروف غير مهيكل يسودها التجاوز الدائم بين توفير المرافق الاجتماعية والنمو الديموغرافي. كانت مدينة وزان إلى عهد قريب مدينة للقارنين وللمتنافسين في حفظ شتى أنواع الشعر والزجل والموشح والمديح. كان مديح وزان وبرده يرددان في كل المدن العلمية المغربية وعلى رأسها فاس. أما الآن فإن الثقافة انصهرت في الأمية، إذ من المطالب الأساسية لسكان وزان المعبر عنها غير ما مرة إحياء مجدها الثقافي.

ومؤشر سوسيو اقتصادي آخر يشد الانتباه في مدينة وزان ويتعلق بالسكن. النوع السائد هو ما يسمى بالمغربي والذي يضم ضمن خاناته مجموعة من المواصفات ليس لها بالضرورة تعبير عن الأصالة المغربية، وإنما هي إشارة للتدهور والتفكير كإقتسام الدور العتيقة المعروفة بفساحة أرجائها واللجوء إلى أصناف السكن الضيق بما فيه السكن العشوائي.

هذا السكن غير المهيكل يعوض في الغالب السكن غير اللائق الذي لا يمثل إلا نسبة 6.54٪ كتعبير ربما على توفر الصنف الأول الذي انتشر في كل مكان.

وامتلاك السكن من الأهداف الأساسية لسكان المدن الصغيرة بالمغرب لما له من حمولة مجتمعية تقي من الدونية وعواقبها النفسية والعائلية أحيانا. والحديث عن السكن هو الموضوع الأهم الذي يشحن الأذهان، وامتلاكه هو الذي يعطي الحق في الكلام.

62٪ من السكان هم مالكون، وليس من الضروري أن تكون الجودة من الأولويات حيث إن حجم المساكن بشكل عام تمثل فيه المنازل الصغرى من غرفة واحدة إلى غرفتين 58٪، وإذا أضيفت لهذه النسبة فئة 3 غرف فإن 80٪ من سكني وزان تحتوي على 3 غرف وأقل.

ورغم الضعف فإن مظاهر المدينة والتحضر اللذين يسودان في وزان لم يغيبا عن العناية بالتجهيزات الصحية

الموسم الديني الذي يصادف موسم جني وتسويق وعصر الزيتون، مع العلم أن الزيارة غالبا ما كانت ترفق بهبات ووقف للممتلكات وبنفقات إقامة تقوي الزاوية والمدينة معها. وهكذا ويتراكم ما حصلت عليه الزاوية ستصبح أكبر مالك زراعي على الإطلاق. وقد منحها هذه الصفة قوة سياسية كانت تارة سببا في المتاعب وتارة أخرى مصدر سلطة. المتاعب أتت من جراء ما كانت تتعرض له من هجمات تشنها عليها القبائل المجاورة المناهضة للشرفاء الوزانيين خاصة قبيلة بني مستارة المتمثلة في تروال وسيدي بوضير وسيدي رضوان. وعندما كان الاستقرار يعود للمدينة وناحتها، تنشر قوة نفوذها بإحكام لدرجة أنها كانت تمارس ضغوطا على سلطة المخزن حيث تعوضه في ضمان حماية القبائل والفصل في النزاعات القائمة على الحدود أو الموارد المائية.

لم يخف الدور الريادي للزاوية عن منظري الحماية الفرنسية الذين سيسخرونه لصالح المستعمر. فقد أولكوا إليها دور الحكم واستغلوا قوتها في إخضاع بعض الحركات المناوئة لسياساتهم في التهدئة مقابل اقتطاع المزيد من الأراضي لصالحها معا، وموافقة الزاوية على نزع ملكيات دون ملكياتها لإقامة المرافق الخاصة بإدارة الاستعمار. كما فرضت سلطة الحماية غرسة الزيتون على السكان التي كانت الزاوية تستخلص منه نصيبها الواجب عرفا.

وتتجلى مراحل التمددين في وزان واضحة في ثلاثية الأنماط المعمارية المتمثلة في المدينة العتيقة والمدينة الأوروبية والأحياء العشوائية. نمت مدينة وزان قبل الحماية في موقعها اللصيق بسفح الجبل واستمر التوسع حول الجامع والزاوية بنفس الطريقة التقليدية التي كانت تشيد بها المدن المغربية، مع مراعاة التنظيم المجالي بين حرف الصناعة التقليدية التي يسودها الدرازون بحايك وزان الشهير حول الضريح والجامع، والأنشطة المرتبطة بالزيتون من تجميع وتسويق وعصر في الأحياء المحيطة.

أما في فترة الحماية فإن التعمير شمل أسفل السفح حيث يوجد منبسط واسع نسبيا أنشئت فيه المرافق التي ما زالت إلى الآن تحتفظ بهياكلها ووظيفتها. بعض من هذه البنايات مثل الشؤون المحلية (دار الشباب الحالية) شيدت لصيقة ببنايات المدينة لمراقبة المنفذ الوحيد نحو الغرب والسوق الأسبوعي ومحطة الطرق في نفس الوقت.

في فترة الاستقلال نشأت في نفس هذا الحي بعض المرافق الأخرى دون أن تأتي بتغيير جذري على النسيج الحضري الذي استقر على حاله إلى الآن، باستثناء بعض التجزئات على الطريق نحو مدينة الشاون وآثار التوسع العشوائي الذي اتخذ له نواة قديمة في حي القشريين شمال غرب المدينة العتيقة وعلى منأى منها. وهكذا تبدو وزان وكأنها جمدت لحظيا صورتها في المجال والزمان. وكسائر المدن المغربية كانت لها بعد الاستقلال وظيفة عفوية إلزامية

الأساسية التي تتوفر بنسبة 96٪ كنسبة مرتفعة بالمقارنة مع مدن من نفس الحجم.

اشتهرت وزان بأنها كانت تعيش على مؤهلاتها طيلة فترات ازدهارها وعلى تنظيم مجالي تحركه بما كنزته من حسن الأداء في مجال التدبير الاقتصادي. إلا أن القرار الإداري القاضي بربطها بإقليم سيدي قاسم سرع من وتيرة بتر جزء مما تبقى لها من رصيد المؤهلات في مجالها الحيوي الشمالي. وتعددت إكراهات التنمية التي يمكن حصرها في الأنشطة الاقتصادية للمدينة من جهة في إطار الدينامية الذاتية المتعلقة بآليات راسخة أكسبها إياها مجد التاريخ، وفي الدينامية الخارجية من جهة أخرى حين نعلم أن تركز القرار الاقتصادي المغربي وبناءه على القرار الإقليمي فرض نوعاً من الخلل في التوازن بين أطراف الإقليم الواحد.

وفي ميدان المؤهلات الفلاحية يلاحظ أن توارث رصيد الشرفاء على مرور التاريخ صاحبه ظهور وضعية عقارية يسودها نظام الاستغلال غير المباشر بعدما ابتعد المالكون الأصليون للأرض والشجر وقاموا بتوكيل أجراء لم تعد الصيانة والمحافظة تشكلان همهم الأساسي في نظام الاستغلال غير المباشر الذي يشوبه انعدام العدالة كمنطلق وكمنتهى. وفي ميدان التراث، أبرزت الدراسات مدى الإهمال الذي يعاني منه قطاع الصناعة التقليدية لدرجة أن شبكات التسويق المنظمة قد تفككت. نفس الترددي طال المعالم العمرانية والثقافية التي كانت تطبع وزان بوقار دار الضمانة.

ففي المدن الصغيرة، مثل وزان تنشأ العديد من المرافق ولكنها سرعان ما تتجاوز، وكذلك الشأن بالنسبة للماء الشروب الذي دام لمدة عقدين معضلة المدينة إلى أن تم التزويد بمياه سد وادي المخازن ومسار بلاد بوعكبة، ولكن التجاوز قد حصل من جديد.

فالمدينة نموذج لمدينة أصبحت العزلة فيها تغذي اللامبالاة والإهمال والانغلاق. وهي نموذج كذلك لمدينة لا تتوفر على مركبات وظيفية حقيقية تقوم بدورها في دينامية المكونات الاقتصادية.

معلمة المغرب، ج 1؛ محمد الشريف الطاهري الحسني : عن تحفة الإخوان في بعض مناقب شرفاء وزان، مديرية التخطيط والتوقعات الاقتصادية.

محمد رحو

وزان (تاريخ -) ارتبط اسم مدينة وزان التي تقع عند ملتقى بلاد جباله وسهل الغرب بالزاوية التي تنسب إليها، والتي أسسها خلال النصف الأول من القرن السابع عشر الشريف العلمي مولاي عبد الله بن إبراهيم (ت. 1678). وقد اختار مؤسس الزاوية مكان استقراره عند نقطة التقاء قبائل بني مستارة ورهونة ومصمودة وعند سفوح جبال الريف الغربي، وهو ما أضفى على الموقع أهمية استراتيجية قصوى جعلت الدولة العلوية الناشئة تعقد تحالفاً ضمياً مع الشرفاء

الوزانيين لتستفيد من نفوذهم لدى قبائل جبلية كثيراً ما استعصى إخضاعها من طرف المخزن.

وعند استقرار مولاي عبد الله الشريف عند سفح جبل بوهلال لم تكن وزان آنذاك سوى قرية متواضعة، وبقيت كذلك خلال حياة الشيخ المؤسس. لكن اتساع نفوذ الزاوية وإقبال المردين والزوار أدى مع مرور الزمن إلى تبلور نواة مدينة أصبحت تتوفر على مؤسسات دينية من زاوية وجامع بالإضافة إلى سوق نشيطة في شكل قيسارية. وظهرت معالم المدينة بوضوح في عهد الشيخ الرابع، مولاي الطيب (ت. 1767). وقد تزامن عهد هذا الشيخ مع فترة الاضطرابات التي تلت وفاة المولى إسماعيل (1727)، وهو ما جعل العديد من تجار المدن الأخرى كفاس وأعيان القبائل الحريصين على تأمين ذويهم وأموالهم داخل حرم الزاوية يتقاطرون على وزان. وإلى هذا الشيخ يعود الفضل في بناء الجامع الكبير ومدرسته، وعدد من الفنادق التي أصبحت مأوى للتجار والمسافرين.

توسعت المدينة بشكل أكبر خلال مشيخة سيدي علي بن أحمد (ت. 1811) الذي طور الحركة التجارية بالمدينة عن طريق استقدامه لليهود والسماح لهم بسكنى مدينة عرفت بقدسيته وكونها "دار الضمانة"، أي أنها تضمن الجنة لكل من جعل نفسه في خدمتها وتحت حمايتها. لكن إقامة اليهود بالمدينة بقيت خاضعة لعدد من القيود، منها أن سكناهم تكون ببعض الفنادق المعينة لهم، ومنها أنه لا يحق لهم بناء أو تملك دور فوق أراضٍ اعتُبرت ملكاً للشرفاء. وبقيت هذه القيود سارية المفعول إلى نهاية القرن التاسع عشر، عندما دخل العديد من اليهود تحت الحماية القنصلية الأوربية، فاستطاعوا بفضلها التخلص التدريجي من وضعية الذمة التي كانت سارية عليهم، ومن القيود التي ألزمهم بها الشرفاء الوزانيون. وبعد أن دخل شيخ الزاوية نفسه تحت مظلة الحماية الفرنسية في سنة 1883 أصبح بإمكان الأثرياء من بين اليهود أن يبنوا دوراً خاصة مستقلة عن الفنادق المخصصة لسكناهم أصلاً.

وما ساعد على نمو المدينة كذلك توافد سكان القبائل المجاورة لها للتزور بمنتجاتها الحرفية كالأثواب الصوفية والمواد الجلدية والحديدية. كما أن سوقها الأسبوعي المعروف بسوق الخميس كان يوفر العديد من البضائع المجلوبة من مدن أخرى كفاس، أو من أوربا عبر المدن الشمالية، كالشاي والسكر، والأثواب القطنية، ولوازم تحضير الشاي من كؤوس وصواني وأباريق وغيرها. وفي المقابل كان سكان القبائل يزودون المدينة بالمنتجات الزراعية كالزيت والتين وشتى أنواع الفواكه. وفي نفس الوقت طورت المدينة عدداً من الصناعات المحلية كصناعة الحديد بحومة الحدادين المعروفة، ودباغة الجلود، وصناعة المنسوجات الصوفية التي اكتسبت شهرة في كل مناطق البلاد. كما عرفت المدينة صناعة "الصابون البلدي"، وإنتاج البارود والأسلحة التقليدية قبل أن ينتشر

استعمال السلاح الأوربي المتطور عند نهاية القرن التاسع عشر، والذي أدى إلى اندثار صناعة البارود. كما اشتهرت وزان بإنتاج غبرة الطابة التي كانت تجد طريقها إلى مجموع أنحاء البلاد.

إلا أن المصدر الأساسي للثروة بالمدينة كان يتمثل في الأراضي الزراعية الشاسعة التي تملكها شرفاء وزان في المناطق المجاورة، وخاصة في منطقة الغرب الغنية. والكثير من هذه الأراضي أصبحت ملكاً للشرفاء عن طريق الإهداء والوقف، أو التفويت من طرف المخزن. كما أن السلاطين العلويين، وحتى يضمّنوا ولاء الشرفاء الوزانيين، منحهم امتياز استخلاص الزكوات والأعشار من العديد من المداشر بناحية الغرب، وهي المداشر التي أصبحت تعرف بـ "عزبان الزاوية".

وطوال تاريخ المدينة تمتع الشرفاء الوزانيون بامتيازات هامة منحها لهم الدولة، كان أبرزها اعتبار الزاوية ومحيطها حرماً لا تتدخل فيه الإدارة المخزنية على الأقل بشكل مباشر. وكانت درجة تشدد الدولة بخصوص هذا الامتياز تختلف من سلطان إلى آخر. وهكذا منح السلطان سيدي محمد بن عبد الله لشيخ الزاوية الوزانية صلاحيات واسعة فيما يتعلق بإدارة شؤون المدينة ونواحيها. أما المولى سليمان الذي جاء بعده فقد سعى إلى تقليص هذه الامتيازات، واعتبر أن مدينة وزان هي "بلد بالمغرب" يجري عليه ما يجري على غيره. وعندما وصل مولاي عبد الرحمان بن هشام إلى الحكم في سنة 1822 حاول أن يعتمد على نفوذ الوزانيين بالجزائر وتوات ليعزز موقف الدولة في وجه الأطماع التوسعية الفرنسية. وهكذا منح شيخ الزاوية سيدي العربي بن علي، امتيازات هامة تمثلت على الخصوص في الاستفادة من تركات المنقطع المنحدرين من منطقة توات. أما فيما يتعلق بالوجود المخزني بالمدينة، فقد حاول مولاي عبد الرحمان ومن جاء بعده أن يوفقوا بين تطلعات الشرفاء إلى التمتع بنوع من الاستقلال ورغبة المخزن في تأكيد حضوره بالمدينة. وإذا كان مولاي عبد الرحمان قد سمح لشرفاء وزان بجمع مسؤوليتي نقابة الأشراف والأحكام المخزنية في آن واحد، فإن من جاء بعده سلك مسلكاً مختلفاً. وهكذا كانت مدينة وزان عند نهاية القرن التاسع عشر تتوفر على نظام إداري مزدوج يتكون من نقيب يتولى شؤون الشرفاء، وقائد مخزني مكلف بالنظر في أمور العامة.

واستمر هذا الوضع إلى حدود سنة 1920 عندما احتلت القوات الفرنسية المدينة فجعلت منها بلدية ومركزاً إدارياً للمناطق المجاورة كالغرب وقبائل جباله السفلى الواقعة ضمن الحماية الفرنسية. وإذا كانت السلطات الفرنسية قد أشركت الشرفاء، في تسيير شؤون المدينة لبعض الوقت، فإنها عينت في سنة 1937 أحد أعيان قبيلة بني مستارة المجاورة في منصب باشا المدينة، وهو إجراء ساهم في تهميش الشرفاء وربط المدينة بمحيطها القروي. لكن مدينة وزان لم تشهد

خلال فترة الحماية الفرنسية أي نمو صناعي يُذكر، وبالتالي فإنها لم تستقطب هجرة قروية مهمة، عكس مدن الغرب كالقنيطرة. وهكذا فإن عدد السكان لم يزد بشكل كبير بين سنة 1920 حين كان عددهم يقدر بـ 11.000 نسمة، وسنة 1940، عندما ناهز 16.500 نسمة (من بينهم حوالي 1.600 من اليهود، وأقل من 500 من الأوربيين، وفي سنة 1944 بلغ سكان المدينة حوالي 52.000 نسمة، وهو رقم يعكس زيادة واضحة في الهجرة القروية. أما من الناحية الإدارية فإن مدينة وزان كانت تابعة لإقليم القنيطرة قبل أن تُلحق بإقليم سيدي قاسم.

حمدون الطاهري، تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان، فاس. 1324 / 1906. 1907 : محمد بن حمزة الكناسي، الكوكب الأسعد في ذكر مناقب مولانا علي بن أحمد، فاس، 1324 / 1906. 1907.

E. Michaux-Bellaire, La maison d'Ouezzane, *Revue du Monde Musulman*, 1908, p. 23 - 89.

محمد المنصور

الوزان، الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي

من جغرافي المغرب، ورحالیه، اشتهر باسم ليون الإفريقي، ومؤلفه الجغرافي "وصف إفريقيا".

ولد بمدينة غرناطة، وإن كانت أسرته تنتمي إلى قبيلة بني زيات الزناتية في بلاد غمارة، وانتقل مع أسرته وهو صغير إلى مدينة فاس، وبها نشأ، والتحق بجامعة القرويين، وأخذ عن علمائه وشيوخه، فعمل عدلاً وحيسوبياً كمحصل لواجبات بيت المال، وانتظم في سلك رجال الدولة بعد أن قربه سلطان فاس محمد الوطاسي المعروف بالبرتغالي، فزار مدناً عديدة في إطار مهمته السياسية وتعرف إلى مناطق كثيرة، إضافة إلى رحلاته مع والده في أيام شبابه، ولعل تلك الرحلات جذرت في ذاكرته حب الاستكشاف الجغرافي للحواضر والقرى منذ صغره وعلى تجميع معلومات عن المناطق التي زارها في المغرب وغيره من البلاد الشرقية ومنها تونس والقسطنطينية والحجاز والسودان وغيرها، ومن ثم كان مؤلفه الجغرافي الهام "وصف إفريقيا" وقسمه إلى أربعة أقسام: "مملكة مراكش، مملكة فاس، مملكة تلمسان، مملكة بجاية وتونس" إضافة إلى مناطق أخرى هي بلاد الجريد والصحراء وبلاد السودان ومصر.

وأثناء عودته من تونس سنة 926 في إحدى رحلاته، وقع الحسن الوزان أسيراً في يد قراصنة إيطاليين، فأخذه إلى نابولي وقدموه هدية إلى البابا جان ليون العاشر، وكان مهتماً بالعلوم والآداب، فرحب به وقربه، خاصة وقد لمس فيه ذكاء وقادا، ووجد عنده علماً وفكراً، فعمل أستاذاً للغة العربية لرجال الكنيسة في روما ونابولي، وألف كتباً باللغة الإيطالية في التاريخ والجغرافيا واللغة، وإن كان أغلبها قد ضاع، وسلم منها :

معجم عربي عبري لاتيني : ألفه الوزان للطبيب اليهودي يعقوب بن شمعون، وهو مخطوط بمكتبة الأسكوريال بإسبانيا.

كتاب في التراجيح : باللاتينية، عرف فيه بثلاثين شخصية من فلاسفة العرب وأطبائهم، وانتهى من تأليفه سنة 933، ونشر في زوريخ سنة 1664.

وصف إفريقيًا : وهو القسم الثالث من كتاب الجغرافيا العامة الذي ألفه باللغة العربية بعد أن ضاع الجزآن الأول والثاني، تم نقله إلى اللغة الإيطالية واعتمده في مؤلفه "وصف إفريقيًا" الذي كتبه باللغة الإيطالية سنة 933 / 1526 بمدينة روما، مشيراً إلى أنه اعتمد على مشاهداته ورحلاته في الوصف وعلى خبراته الذاتية، والكتاب سجل وصفي دقيق للبلدان والجبال والأنهار والحيوانات، وما يوجد في كل منطقة من المعادن والخيرات الفلاحية وغيرها.

وقد نشر الكتاب أول الأمر بمدينة البندقية سنة 1550، وترجم إلى اللغة اللاتينية، ونشر في بلجيكا سنة 1556 ثم في زوريخ سنة 1632، كما ترجم إلى اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية، وأخيراً إلى اللغة العربية.

وقد نقل الكتاب إلى اللغة العربية الأستاذان محمد حجي ومحمد الأخضر عن الترجمة الفرنسية التي أنجزها الطبيب الفرنسي إيبولار سنة 1949، ونشرها معهد الدراسات العليا بالرباط سنة 1956 في جزأين، وصدرت الترجمة في جزأين وفي طبعتين، الأولى سنة 1981، والثانية سنة 1983 عن دار الغرب الإسلامي، ببيروت. وكانت قد صدرت طبعة أخرى بالرياض أنجزها الأستاذ عبد الرحمن حميدة، سنة 1979 وصفها الأستاذ حجي بأنها "مفجعة".

وقد أشارت كثير من المصادر إلى تنصره وتسميته بليون الأفرقي أو يوحنا الأسد الغرناطي، لكن مقدمة الترجمة أفادت بأنه تظاهر بالتمسح تستراً لكي يعيش في البيئة المسيحية بأمان، وأكد المترجم أن "استمرار إسلامه وثبات عقيدته طوال السنين الثلاثين التي قضاها أسيراً في إيطاليا" تؤكد من خلال مؤلفه "وصف إفريقيًا" في الفقرات التي كان يتحدث فيها عن الإسلام وعن الشريعة الإسلامية.

وتشير المصادر إلى أن الحسن الوزان اختفى من روما في ظروف غامضة حوالي سنة 957 / 1550، ورحل إلى تونس ليعود إلى حياته الإسلامية الأولى، ومن ثم انقطعت أخباره، فلا يعرف أعاد إلى وطنه فاس أم بقي في تونس.

توفي سنة 957.

الحسن الوزان، مقدمة وصف إفريقيًا، كتبها م. حجي، ط 2 : 1983؛ م. المهدي الحجوي، مقالات عن الحسن الوزان، أوردها سعيد حجي في مجلة "المغرب" دجنبر، 1934، يناير - أبريل، 1935؛ ع. رضا كحالة، معجم المؤلفين، 3 : 292؛ المختار السوسي، إيلغ، ص. 210؛ ش. عطا الله الجمل، مجلة المناهل المغربية، مارس، 1975؛ محمد حجي، الحركة الفكرية، 1 : 23 - 26، 2 : 348؛ ابن إبراهيم، الإعلام، 3 : 148؛ الزركلي، الإعلام، ط 7، 2 : 217. نجاته المريني

الوزاني ، فرع من أسرة الوزانيين في الرباط الذين هاجروا من وزان إلى الرباط خلال القرن الثامن عشر، وبرز من هذه الأسرة الشريفة علماء أجلاء، ودارهم بالرباط معروفة باسم دار الضمانة، وهي زاوية أو شبه زاوية مقصودة من طرف الكثير من الناس الملتصين التبرك والعلم من علمائها وصلحائها.

عبد الإله الفاسي

الوزاني، إبراهيم بن عبد الله بن عبد الجليل

الوزاني، من الرعييل الأول للحركة الوطنية المغربية، وأحد البارزين إبان تأسيسها، اشتهر بالجرأة والإقدام والجلد.

ولد بمدينة تازة سنة 1914، وتلقى تعليمه بها على يد خاله وبعض علماء المدينة، ثم التحق بجامعة القرويين بفاس. وبهذه المدينة برزت ميوله الوطنية. فقد كان من أشد معارضي ما عرف باسم السياسة البربرية للحماية الفرنسية. وكان وراء أول منشور يندد بها في الذكرى الأولى لصعود ظهير 16 ماي 1930. كما كان وراء توزيع منشور ثان في الذكرى الثانية لمظاهرة فاس، يوليوز 1932، حيث ألقى عليه القبض وهو يوزع ذلك المنشور الذي يدعو إلى التضحية والإخلاص والصبر والأناة، للسير في طريق الجهاد والكفاح إلى النهاية. فترعرض بسبب ذلك إلى أنواع من التعذيب، على يد الباشا ابن البغدادي، وجلد بألف سوط، دون أن ينال ذلك منه أو يجعله يقر بالتعاونين معه حول المنشور. ولما تسرب خبر تعذيبه المبرح، كاتب الوطنيون صديقهم في باريس الاشتراكي الفرنسي روبرت جان لونكي، الذي نظم حملة صحفية ضد سياسة فرنسا بالمغرب وضد عمليات الجدل بالسياسات، التي تعود إلى القرون الوسطى، في صحافة اليسار الفرنسي، وخاصة في مجلة "مغرب"، كما بعث الوطنيون برقيات احتجاج إلى رئيس الحكومة الفرنسية، ووزير الخارجية، يستنكرون فيها ما جرى لإبراهيم الوزاني. وبسبب هذه الحملة أسرعت سلطات الحماية بمحاكمته، وأصدرت في حقه ثلاثة أشهر سجنًا، ثم نفته إلى مسقط رأسه تازة.

وفي مدينة تازة استمر إبراهيم الوزاني مخلصًا لتوجهه الوطني، فأسس أول مدرسة حرة بالمدينة، جلب إليها مدرسين من جامع القرويين بفاس، لنشر التعليم والوعي الوطني، وأسس "جمعية المحافظين على القرآن"، كما كان وراء تنظيم مظاهرة كبرى، قاده على إثرها سلطات الحماية إلى سجن العدير.

كان إبراهيم الوزاني، من مسيري الخلايا السرية لكتلة العمل الوطني، استقطب إليها العديد من الشبان، كما أثر بتوجهه في العديد منهم. ولما انقسمت الكتلة سنة 1937 كان من المقتنعين بأطروحة محمد بن الحسن الوزاني والمنضمين إليه، ومن الذين أقنعوا العديد من الشبان بالانضمام إلى "الحركة القومية"، التي أصبح أحد قادتها. كما كان ينوب

عن محمد بن الحسن الوزاني في بعض الاجتماعات الوطنية الساعية إلى رآب صدع الكتلة. وفي مظاهرات فاس الاحتجاجية ضد اعتقال زعامة "الحزب الوطني لتحقيق المطالب"، خريف سنة 1937، لعب إبراهيم الوزاني دوراً كبيراً، حيث خطب في التجمعات بالقرويين وغيرها وقاد المظاهرات في الشوارع، وكان إلى جانب محمد القري - بعد اعتقال من تبقى من قيادات الحزب الوطني - أبرز رجال حركة الاحتجاج. ولما اشتدت حركة القمع والاعتقال والنفي إثر تلك الأحداث، استطاع إبراهيم الوزاني التسلل إلى المنطقة الخلفية متنكراً في لباس امرأة، وجدد هناك كفاحه الوطني بصيغ أخرى. إذ ما أن استقر بتطوان، حتى أسس "مكتب الدفاع الوطني"، وأعلن مناصرته لألمانيا ودول المحور، كما أصدر باسم ذلك المكتب، صحيفة أسبوعية سماها: "الدستور" (جريدة عربية قومية سياسية إخبارية)، بثلاث لغات هي: العربية والاسبانية والفرنسية، هدفت إلى التعريف بوضع المغرب لدى العالم الإسلامي وأوربا، والدفاع عن القضية المغربية، وفضح نوايا الاستعمار الفرنسي وفضائعه.

ومن أنشطته بالمنطقة الخلفية، مساهمته في إعداد الترتيبات لبعثة مولاي الحسن بن المهدي الطلابية، التي وجهت إلى القاهرة، بإشراف الشيخ المكي الناصري. وكذلك محاولته الشخصية لإرسال بعثة طلابية إلى العراق لولا اندلاع الحرب العالمية الثانية. وقد ناصر إبراهيم الوزاني ألمانيا ودول المحور، نكايه بفرنسا، وبعث برقية إلى هتلر طالبا منه مساعدة الحركة الوطنية ضد الفرنسيين. وكانت إذاعات تطوان وإشبيلية وروما وبرلين تغطي أنشطته، مثل غيره من مناصري المحور. ويوم دخول الجيوش الألمانية باريس، نظم مظاهرة بتطوان حمل فيها نعش فرنسا، وجاب به شوارع المدينة في اتجاه سفارة ألمانيا، حيث نظم للمتظاهرين استقبال كبير. وقد حرص في أنشطته على استمرار الارتباط بالمنطقة السلطانية، فراسل العديد من الشباب للمشاركة في البعثات الدراسية إلى الشرق، ولتأليبهم ضد فرنسا، كما ندد بالفرنسيين في كل المؤتمرات التي شارك فيها ببلدان الشرق العربي، ونظراً لأنشطته المناوئة للاستعمار الفرنسي، حكم عليه الفرنسيون غيايباً بالإعدام، كما عاقبوا كل من شكوا في علاقته به.

وبعد الحرب العالمية الثانية، والانفراج الذي عرفه العمل الوطني، ساعد إبراهيم الوزاني مبعوثي حزب الشورى والاستقلال إلى طنجة والمنطقة الخلفية على استقطاب الأنصار وتكوين الفروع، وشارك في اجتماعات الأحزاب الوطنية وأحزاب شمال إفريقيا، بالجامعة العربية لمناقشة أساليب الكفاح. وأثناء اشتداد حركة المقاومة، وتأسيس جيش التحرير، شكل فيالق لهذا الجيش من أهل الريف والمناطق المجاورة. وفي بداية الاستقلال، شهر يونيو 1956، اختطف إبراهيم الوزاني صحبة صديقه عبد السلام الطود من

أحد مقاهي تطوان، على يد جماعة مسلحة ساقتهما بالقوة إلى سيارة انطلقت في اتجاه مجهول. وقد عرف فيما بعد أنه كان بالمعتقل السري "جنان بريشة"، بمدينة تطوان، كما تحدث بعض من غادروا ذلك السجن عن أنواع التعذيب التي مورست عليه، وقد سجل اسمه ضمن لائحة مجهولي المصير، وتعددت الروايات حول طريقة مقتله ومكان دفنه.

عبد الهادي بوطالب، ذكريات شهادات ووجود، ج 1، الرياض، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، 1992؛ النجكاني المهدي المومني، دار بريشة أو قصة مختطف، مراجعة وتقديم أحمد معينو، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1987؛ العمراني عبد المحي حسن، أبطال الوطنية، الكتاب الثاني، أحمد بن سوادة، الرياض، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، 1991؛ عبد الهادي الشرايبي، ثمن الحرية، الرياض، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1978.

Rezette Robert, *Les partis politiques marocains*, 2ème édition, Paris, Armand Colin, 1955.

محمد معروف الدفالي

الوزاني (مولاي -) أحمد بن الحاج عبد السلام الوزاني. ولد بطنجة عام 1876، ونشأ في أسرة اشتهرت باليسر والجاه، وكان من أبنائها من ولع بالموسيقى الأندلسية. ومن هؤلاء شقيقه مولاي علي، ومولاي التهامي الوزاني، والشريف البركة مولاي الطيب بن العربي الوزاني أحد تلامذة الفنان الطنجي عازف الكمان الشهير المعلم سعيدو. كان بيته ملتقى مرموقاً لهواة الآلة وللراغبين في تعلمها ممن يقيمون بطنجة أو من يتوافدون عليها من مدن المغرب الأخرى. ومن بين هؤلاء انتظمت مجموعة موسيقية سرعان ما تحولت إلى جوق أندلسي ملأ الساحة الفنية بمدن الشمال على مدى العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين. وقد برز من هؤلاء: محمد العربي التسماني، وعازف العود محمد بن الصادق، وعازف الرباب محمد الفيلالي، وعازف الكمان الحاج ابن العربي وضارب الطرّ المختار بن علي.

وفي عام 1936 التحق مولاي أحمد الوكيل بطنجة قادماً من فاس، فكان يتردد على مجالس الوزاني، واستمر على ذلك إلى حين تأسيس "جوق إخوان الفن" عام 1940.

لقد كانت مجالس مولاي أحمد الوزاني منفتحة على مختلف أساليب الممارسة الموسيقية، بسبب استقطابها لفنانين متنوعي التكوين والمشارب. وبحكم هذا الانفتاح وذلك التنوع فقد شكلت منتدى لتلاحم معطيات المدرسة التطوانية مع بعض خصوصيات المدرسة الفاسية لتخلق أسلوباً متفرداً لا تزال كثير من مظاهره بارزة في نغم الأداء الذي يميز جوق الفنان الطنجي أحمد الزيتوني الصحراوي.

توفي سنة 1965 عن سن يناهز السبعين.

ع. العزيز بن عبد الجليل، مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية، ط 2، الدار البيضاء، 2000، ص. 277 - 278.

Barriuso, Padré Patrocinio Garia : *La musica hispano-musulmana en Marruecos*, Sevilla, 2000, p. 258.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الوزاني، إدريس بن قاسم، ولد حوالي 1890 بقبيلة جبالة، وفي سنة 1908، غادر مسقط رأسه نحو القصر الكبير حيث مكث إلى غاية 1911 ليرحل إلى مدينة مكناس حيث تابع تعليمه في اللغتين العربية والفرنسية إلى سنة 1919. وفي سنة 1920، استقر بقصبة تادلة، وفي سنة 1922 تعرف على غاسطون بلاتو. وبدأ يعمل على تكوين خلية وطنية بالمنطقة، فركز في دعابته أولاً على منطقة تاگزيرت ما بين 1923 و1924. وفي سنة 1925، تعرف على مرسال لا موروه (Marcel Lamoureux) الذي استقر بقصبة تادلة. وخلال مدة عشر سنوات عمل على تكوين خلية شيوعية بمنطقة تادلة. ونتيجة انضمامه إلى الحركة الوطنية وتهيئته لمظاهرة بقصبة تادلة يوم 5 شتنبر 1937، اعتبرته سلطات المراقبة وطنياً خطيراً خاصة بعد حملته في أوساط بني عمير لمعارضة المشروع السقوي لسهل تادلة. وكان من نتائج ذلك أن حكم عليه بثلاثة أشهر سجناً ثم عاد للنشاط السياسي ما بين 1938 و1944. وفي سنة 1947 أسس مدرسة حرة. وفي سنة 1949، كون خلية من تسعة أفراد. ومنذ 1950، انضم إلى الحزب القومي، فأسس فرعاً لحزب الشورى والاستقلال وعمل على التقريب بين هذا الفرع وفرع حزب الاستقلال بتادلة.

Archives Diplomatiques, Nantes.

صالح شكاك

الوزاني، (مولاي -) التهامي بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الجليل بن إبراهيم، عاش في القرن التاسع عشر، فعاصر السلطان مولاي عبد الرحمان وابنه سيدي محمد، له يد طولى في العلم، وكان يعقد مجلساً بمسجد مولاي المكي بن محمد دفين الدورة بالرباط عندما كان يأتي من وزان لزيارة أهله بالرباط. كان متأهلاً بوزان التي خلق بها ورثي، وبعد ذلك تأهل بالرباط، فصاهر الشريف العلمي أحمد أفلال. كان يدرس الرسالة. حضر عليه كبار العلماء مثل محمد بناني والفقير الحاج عبد السلام الزيدي والفقير محمد ملين والفقير متجينوش والفقير المكي الأزرق والمحتسب محمد الزكي. وكان معجباً بالطرب لا يعلم تاريخ وفاته ولا مدفنه.

عبد الإله الفاسي

الوزاني، عبد الرحمان بن عبد القادر الشريف نسبا التهامي الشاهدي لقباً، ازداد بسلا سنة 1331 / 1913، وتربى في أحضان أهل المعرفة، والفضيلة، وتلقى حفظ القرآن الكريم على يد مجموعة من خيرة فقهاء هذه المدينة، كما درس متون العلم والفقه من منقول ومعقول على كبار علمائها. وفي مقدمتهم والده القاضي سيدي عبد القادر والعدل محمد بن إدريس المنصوري، والعلامة أحمد بن

إبراهيم الجريري، والمفتي أحمد بن عبد النبي المنظري وغيرهم. تقلد خطة العدالة بالمحكمة الشرعية، وظل يمارسها بجدية ونشاط لأزيد من خمسة عقود، كان فيها مثال الاستقامة والنزاهة وحسن الخلق، والمعاملة الطيبة ومخالطة الأوساط العلمية والأدبية والوطنية في العدوتين. كان ضمن علماء سلا الموقعين على وثيقة سنة 1373 / 1954 المطالبة برجوع المغفور له محمد الخامس إلى عرشه وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين وتمكين المغرب من تقرير مصيره. كما كان يلقي دروساً في الوعظ والإرشاد بمسجد أبي البركات استفاد منها عدد كبير من الناس في شؤونهم الدينية والدينية.

توفي يوم الاثنين 22 جمادى الثانية 1417 / 4 نونبر 1996، ودفن في الزاوية التهامية بسلا في مشهد عظيم. أسبوعية "ميثاق الرابطة" العدد 755 : محمد بنعباد، طريق الحرية، ص. 100 : محمد الكتاني، بواقيت التاج الوهاج، ص. 101 : محمد معينو، شعراء سلا، ص. 66.

الوزاني، عبد السلام بن إبراهيم، الشريف نسبا السلفي مذهبا المرابي سلوكا، ازداد بفاس سنة 1326 / 1908، ولما ترعرع لم يلج الكتاب على الطريقة المعروفة في ذلك العصر، بل أدخل المدرسة الناصرية ليتلقى مبادئ اللغة والدين ويستظهر القرآن الكريم، فكان من نجابته وذكائه أن اهتم بحفظ جملة من المتون والكراريس تمهيدا لإنخراطه في سلك الطلبة بالقرويين، وبعد التحاقه بهذا السلك لازم كبار شيوخها في دروسهم اليومية. وأخذ عنهم علوم التفسير والحديث والفقه والمنطق والبيان والأصول وغيرها من العلوم المعقولة والمنقولة.

وعندما ظهرت الحركة الوطنية انضم إلى صفوفها، فكان عضواً في جماعة الشباب التي نادى بإصلاح جامعة القرويين لما رأت من موت العلماء الأشياخ واحداً بعد واحد، وتوظيف البعض، وكل واحد يترك فراغاً في هذه المؤسسة الشامخة مما دفع بالجماعة المذكورة إلى تكليف الزعيم علال الفاسي بتحرير عريضة في الموضوع قدمت إلى الملك محمد الخامس، وذلك في عهد المقيم العام الفرنسي لوسيان سان بالمغرب؛ وقد أعطت هذه العريضة النتيجة المتوخاة منها، وصدر سنة 1348 / 1930 ظهير الإصلاح المطلوب، فانتمت بموجبه شؤون التعليم بالقرويين بما يشمل كلا من الجانب المادي والمعنوي.

وفي المظاهرات الشعبية التي نظمت بفاس احتجاجاً على صدور الظهير البربري (16 مايو 1930)، والتي تمت فيها قراءة للظهير برحاب القرويين إثر صلاة يوم الجمعة 21 صفر الخير 1349 / 18 يوليوز 1930 صعد كرسي التدريس الذي تجهت الثريا الكبرى وألقى خطبة حماسية في جمهور المتظاهرين، وهي أول خطبة ألقىت بهذه المناسبة، استنكر فيها ما أرادت فرنسا أن تقوم به لتفريق المغاربة وتقسيمهم،

وإخراجهم من دينهم وإدماجهم في المجموعة الفرنسية، فالتهمت النفوس بما لا مزيد عليه حتى صار الناس يزدحمون حول الكرسي، وأصواتهم تتعالى منددةً بصدور ذلك الظهير المشؤوم، وعيونهم تبكي تأثراً وكلهم يرددون بصوت واحد : "الموت أفضل من الحياة" وفيهم، من يلطمون وجوههم لشدة التأثر عند سماع الخطيب يفضح أخطار السياسة البربرية وعواقبها الوخيمة.

وما إن توقفت هذه المظاهرات، حتى ألقى عليه القبض مع رفاقه، وأحيلوا جميعاً على محكمة الباشا ابن البغدادي حيث كان هو أول من وقع جلدهم.

وأثناء إنشاء المدارس الحرة سنة 1355 / 1936 من طرف الحزب الوطني، وقع عليه الاختيار لتسيير أول مدرسة حرة لنشر التعليم العربي الإسلامي بين أبناء وجدة، وهي المدرسة التي أشرف على تدشينها الزعيم علال الفاسي، وأطلق عليها اسم مدرسة العروبة، فكان لها إشعاع وطني على المدى البعيد، تجلّى بالخصوص في توعية ساكنة هذه المدينة ونواحيها وحضها على محاربة الاستعمار وأعوانه والوقوف ضد غطرسة الباشا محمد المهدي الحجوي، شأنها في ذلك شأن المدارس الحرة الأخرى التي كان يديرها في جهة المغرب الشرقي بكل صدق وتفان وإخلاص ونكران ذات رجال أبرار أمثال الأستاذ محمد (فتحا) الجندي ومولاي مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد بن عبد الله العلوي.

وفي نفس هذه السنة - أي 1936 - وضع رهن الاعتقال وحكم عليه بعامين حبساً، قضاهما في سجن اغبيلة بالدار البيضاء، حيث أخذ يتصدى لوعظ المعتقلين وإرشادهم، ويؤم صلاة الجماعة بهم بالإضافة إلى تطوعه باللقاء دروس شرح التلخيص في البلاغة، وتفسير البيضاوي.

ونظراً لما يتميز به المترجم من مؤهلات في علوم الفقه والشريعة، فقد أسند إليه عقب حصول المغرب على الاستقلال منصب قاض، كان فيه مثال الاستقامة والعفة والنزاهة والصيت الحسن سواء لدى الأوساط القضائية، أو المتقاضية.

توفي صباح يوم الثلاثاء 30 محرم الحرام 1398 / 10 يناير 1978 إثر حادثة سير في الطريق بين الدار البيضاء والرباط، ودفن بمقبرة ابن مسيك عن عمر يناهز 70 سنة، قضى جلها في التضحية والنضال والدفاع عن استقلال بلاده وحريتها.

قدور الوطاسي، المطرب في تاريخ شرق المغرب، ج 1؛ الحسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، ج 3؛ عبد الرحمن الحريشي، المدرسة الناصرية بفاس؛ أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج 1؛ محمد بن هاشم العلوي، من وراء السدود؛ أحمد بن شقرون، أرجوزة من زهر الآس عن جامع القرويين بفاس عبر القرون؛ الحسن بوعبيد، الحركة الوطنية والظهير البربري. عبد الرحمن القباج

الوزاني (مولاي -) عبد الله بن أحمد بن عبد الجبار

اليملاحي الوزاني. ولد بمراكش عام 1916، وتربى في أسرة كان ربها قد قدم من فاس إلى مراكش حيث أصبح مقمداً للزاوية الوزانية، ثم نقبياً للشرفاء الوزانيين بمراكش والصويرة وآسفي. وفي أجواء الزاوية نشأ مولاي عبد الله، وبها تلقى أولى محفوظاته من فني السماع والمديح عن شيخ كيف كان يرأس حلقات الذكر يعرف بالشيخ الماسين، كما أخذ عن شقيقه الأكبر مولاي العربي الذي اشتهر بحسن صوته وجودة إنشاده في أوساط المادحين. استفاد المترجم من مجالس المديح التي كانت تنتظم بين الفينة والأخرى في بيت والده، وفيها تعرف على المعلم لغدداش عازف الرباب الشهير وأحد أعضاء الجوق السلطاني على العهد الحفيظي بمراكش، فأخذ عنه ميازين النوبات الأندلسية.

التحق بدار السي سعيد مقر تعليم الآلة، فتتلمذ على المرحوم عبد السلام الخياطي، وأتقن العزف على آتي العود والرباب، الأمر الذي أهله ليصبح من أعضاء الجوق الذي أسسه الخياطي. وعندما رحل مؤسس الجوق إلى الرباط عام 1936 آلت رئاسته إلى المترجم، ومن حوله نخبة من خيرة المنشدين والعازفين، كان فيهم عازفا الرباب : تيميجا وأشحيما، وعازف العود ابن الضاقي، والحاج أحمد بلفاطمي، وعبد الله الحنفي، ومحمد بلقلم، والمنشدان عبد المجيد الفران، ومحمد الصبان. وقد صادف حدث رئاسة المترجم لجوق الآلة افتتاح الإذاعة الجهوية بمراكش، فكان يقدم عبرها حصتين مباشرتين في كل أسبوع، واستمر على هذا النهج حتى سنة 1964 عندما أوقفت الإذاعة العمل بخصص الآلة. إثر ذلك عاد المترجم إلى معهد دار السي سعيد، فاشتغل به معلماً للموسيقى الآلة، ثم تقلد مسؤولية إدارته.

يعتبر مولاي عبد الله الوزاني مرجعاً موثقاً في ضبط الميازين والإنشاد وتحقيق الصناعات، كما تعتبر طريقته في التدريس نموذجاً حياً للتقاليد المتوارثة في تلقين الآلة، والتي تعتمد ضبط الإيقاع بالتوسيد، والحفظ عن طريق الترجيع. ومن إنجازاته الفنية استحداث توشية ميزان قائم ونصف الرصد وتسجيلها بالإذاعة الوطنية في السبعينيات، وهي من التواشي التي ضاعت بضياح الميزان المذكور. توفي في شهر ماي 1996.

عز الدين بناني، بغيات وتواشي الموسيقى الأندلسية المغربية؛ ع. العزيز بن عبد الجليل، مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية، ط 2، الدار البيضاء، 2000، ص. 261 - 262؛ عبد السلام الوزاني، رواية.

الوزاني (مولاي -) العربي هو نجل الشريف مولاي

أحمد بن الحاج عبد السلام الوزاني. ولد بطنججة في مطلع القرن العشرين، ونشأ في أحضان أسرة كانت كثيرة الحفاوة بموسيقى "الآلة"، فكان يحضر مجالس والده الفنية حيث تعرف على رجال الآلة ممن كانوا يعقدون حلقات منتظمة لترجيع النوبات وحفظ مستعملاتها.

وقد تجمع لدى المترجم رصيد معرفي غني، تجلّى في غزارة محفوظاته من الصناعات، كما تجلّى في إلمامه الواسع بطبوع الموسيقى الأندلسية وأوزانها، وإتقانه العزف على كثير من الآلات كالعود والبيانو والكلارينيت، وخوضه تجربة التلحين من خلال مساهمته - إلى جانب الحاج إدريس بن جلون - في تلحين وتنسيق ميزان قائم ونصف النهاوند.

حضر مولاي العربي الوزاني المؤتمر الثاني للموسيقى العربية الذي انعقد بفاس عام 1969، وشارك فيه ببحث عرض فيه لظروف نشأة الموسيقى الأندلسية، وتحدث عن النوتات ومكوناتها، فاستعرض أسماء الميازين والطبوع، وحلل ما أورده محمد بن الحسين الحايك بخصوصها في كتابه، ثم عرج على ذكر مشاهير رجال الآلة المحدثين، لينتقل - بعد ذلك - إلى الشعر الملحون وموقعه من فنون القول. وختم بحثه بتقييم الدراسة التي قدمتها أمانة المؤتمر حول المقامات العربية مدلياً بجملة من الملاحظات الدقيقة التي تنمّ عن دراية واسعة بالموضوع.

وله مقالات منشورة، وأخرى مرقونة. ومن مقالاته المنشورة :

- أضواء كسافة عن عظمة الموسيقى الأندلسية المغربية وفضل فن الارتجال عليها : 1 - 1 - 1396 / 12 - 1 - 1976.

- البيتان والموال المغربي : 1 - 4 - 1976.

- حول قائم ونصف النهاوند والغاية التي يسعى إليها : 2 - 7 - 1979.

- سلالم ومقامات الموسيقى الأندلسية المغربية ودراسة طبوعها.

- التقارير المقدمة من جناب البارون ديرلنجه إلى لجنة المقامات والإيقاعات والتأليف في مؤتمر الموسيقى العربية في سنة 1350 الموافق 1932.

توفي بطنجة يوم 20 ربيع الأول 1404 / 30 دجنبر 1983.

العربي الوزاني، بحث مقدم من طرف عضو وفد المغرب : المؤتمر الثاني للموسيقى العربية، فاس، 8 - 18 أبريل 1969، ص. 123 - 138، إصدار والدولة المكلفة بالشؤون الثقافية : ع. العزيز بن عبد الجليل، مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية، ط 2، الدار البيضاء، 2000.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الوزاني، العربي التهامي ولد عام 1250، هو

زعيم الشرفاء الوزانيين وتقيبهم وعالمهم، صاحب المعجم التاريخي الذي كثيرا ما نقل منه الكاتب محمد بوجندار في كتابه *الاعتياط*، أثبت فيه فهرسته وترجمته تحت عنوان *بلوغ المنى والآمال* فيمن لقبته من المشايخ وأهل الفضل والكمال، وفيه حياة العربي الوزاني بتفصيل. أخذ عن علماء أمثال الهاشمي الضيرير والبدوي السرايري وغيرهما. وورد في *جريدة السعادة* أن العربي الوزاني من الأشراف الحسينيين

التهاميين، كان له ولع كبير باقتناء الكتب والدواوين النفيسة. وفي آخر حياته اعتنى بالتأليف فألف كتابه *لوائح الأنوار في الصلاة على النبي المختار* وآخر على نسق دلائل الخيرات في الصلاة على الرسول "مسلك الفتوحات في الصلاة على أشرف المخلوقات". وتأليف ثالث في مناقب الحاج العربي وولده الحاج عبد السلام، ورابع في علم الفروسية عنوانه : "فيض النيل في الفروسية وركوب الخيل"، وله قصائد في الملحون رقيقة المعاني. في سنة 1327 / 1909 ولي النقابة العامة على كافة الزوايا الوزانية والشرفاء الوزانيين بالمغرب. خرج بصحبة السلطان مولاي عبد العزيز في حركة الحوز وعاد سالماً من وقعتها الكبرى المعروفة. اعتكف في بيته للعبادة والنسك.

توفي يوم الخميس 5 شعبان 1339 / 1920 ودفن بروض صغير داخل روضه الذي حبسه لدفنه ودفن أولاده من بعده. عبد الإله الفاسي

الوزاني، العزيز بن علال أو (سيدي العزيز)، شيخ

الطريقة الطيبية التهامية الوزانية بتازة وناحيتها، وصاحب نفوذ كبير في أوساط القبائل الجبلية هناك. كان على اتصال بزعيم حركة الريف الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي. استعمل طريقته الصوفية، سرا، في خدمة الثورة الريفية، وشجع الكثير من أتباعها على الالتحاق بالمجاهدين.

التجأت إليه السلطات الفرنسية للاستفادة من نفوذه في منع قبائل تازة من الانضمام إلى الثورة الريفية، وإقناعهم بالتعاون مع فرنسا، فامتنع. وامتنع كذلك لما اقترح عليه الفرنسيون القيام بمهمة وساطة وسلم لدى محمد بن عبد الكريم الخطابي، بعذر أنه شيخ طريقة دينية، ولا دخل له في السياسة ومشاكلها. وبسبب مواقفه تلك ضايقه الفرنسيون في مصالحه الفلاحية، وطوقوه وأنصاره بمجموعة مشاكل، اضطرتهم إلى مغادرة تازة والاستقرار بفاس، كما استمرت في الضغط على خلفه حتى منعه من ناحية تازة.

وفي مدينة فاس، خلق العزيز الوزاني لنفسه نفوذاً في عدد من الأوساط الفاسية، وكان مركز طريقته بزواوية سيدي الحاج الخياط، وزاوية سيدي قاسم بن رحمون.

وبسبب اهتماماته السياسية، انضم إلى الرعيل الأول في الحركة الوطنية بفاس، فساهم في بث الدعوة الوطنية، وشارك في بعض التظاهرات ومنها إشرافه على تنظيم الشباب، في الاستقبال الذي نظمه الوطنيون للسلطان محمد بن يوسف أثناء زيارته لمدينة فاس سنة 1934. وكان العزيز الوزاني مشهوراً بشغفه بالأنشيد الوطنية الحماسية، واختيار العديد منها، ثم تلحينها وتلقينها للشباب الوطني. كما كانت له محاولات في وضع كلمات بعض تلك الأنشيد.

توفي هذا الصوفي الوطني أثناء الحرب العالمية الثانية. عبد السلام بن سوادة، *إتحاف المطالع*، القسم الثاني، ج 8 : من موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق، محمد حجي، بيروت، دار

الغربي الإسلامية، 1996 ؛ أحمد معينو، ذكريات ومذكرات، ج 10، الشهداء الثلاث، طنجة، مطبعة سبارطيل، 1991 ؛ محمد حسن الوزاني، مذكرات وجهاد، التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية، ج 3، مرحلة الانطلاق والكفاح، بيروت، مؤسسة محمد الحسن الوزاني، 1984 ؛ الجزء الرابع، حركة الطالب والدعوة إليها، 1934 - 1936، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1985. محمد معروف الدفالي

الوزاني، علي بن أحمد سادس شيوخ الزاوية الزوانية. تلقى تعليماً دينياً متواضعاً سمح له بتولي الخطبة بمسجد وزان في سنة 1182 / 1768 - 1769 خلال مشيخة والده مولاي أحمد بن الطيب. وبعد وفاة هذا الأخير في سنة 1780 خلفه خلفه سيدي علي على رأس الزاوية الزوانية. تميزت مشيخته التي استغرقت ما يزيد على ثلاثين سنة بتوسع نفوذ الزاوية وبروزها كقوة مؤثرة في المجالين الديني والسياسي معاً. كما أن مدينة وزان عرفت في عهده توسعاً تجارياً تجلّى في استقرار مجموعة من التجار اليهود بالمدينة. وفي نفس الوقت أصبحت الزاوية وجهة الآلاف من الزوار والأتباع الذين كانوا يتقاطرون على مدينة وزان من جميع الأفاق، حاملين معهم الهدايا و"الزيارات"، ومحاصيل الأراضي التي كانت في ملك الشرفاء الزوانيين بالكثير من جهات المغرب، كتوات والريف والمناطق الصحراوية. وكان من نتيجة التراكم المادي الهام الذي عرفته الزاوية في عهد هذا الشيخ، وتكاثر أتباعها، وتشعب شبكة انتشارها أن أصبح سيدي علي بن أحمد متوجهاً إلى تدبير الشؤون المادية للزاوية، فكان حسب كتب المناقب، يظل طول الوقت يستقبل الزوار من الأفاق ويتسلم منهم الهدايا. وقد أكدت مناقب الزاوية على الأموال الطائلة التي تجمعت لديه "حتى أن ما يدخل على هذا الشيخ من الأموال النقدية وغيرها لا تدخل على أحد من ملوك المغرب".

واعتمد سيدي علي بن أحمد على هذه الثروة ليجمع حوله حاشية لا تختلف عن حاشية الأمراء والملوك. ونجد ضمن هذه الحاشية فقهاء بارزين مثل محمد الرهوني وفلكيين لا معين من الحواضر كالرباط، أمثال المعطي مريينو وعلي مرسيل، يذكر الضعيف أنهم أدخلوا إلى وزان عدة آلات فلكية. ونبغ بمدينة وزان نفسها فلكي وموقت بارز هو عبد العزيز الوزكاني، الذي كانت له معرفة كذلك بالموسيقى. وفي نفس الإطار كوّن سيدي علي بن أحمد فرقة موسيقية تعزف "عزف العجم". وإلى جانب هذا اهتم بالرماية واقتناء الأسلحة والتدريب على استعمالها.

وفي إطار علاقة الزاوية الزوانية بالسلطة المخزنية استطاع سيدي علي بن أحمد أن يقضي على أسباب التوتر الذي طبع هذه العلاقة خلال عهد والده، إذ وصلت الأمور بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى حد الهجوم على وزان وفرض المال على شرفائها. أما سيدي علي بن أحمد فقد نجح في بناء علاقة تعاون وتفاهم مع هذا السلطان الذي

أغدق على الزاوية امتيازات إدارية واسعة سمحت لشيخ الزاوية بمراقبة القواد المخزنيين بوزان ونواحيها، والإشراف على تعيين قضاة القبائل الجبلية القريبة. لكن الأمور ساءت بعد وفاة سيدي محمد بن عبد الله (1790) والمولى اليزيد (1792) الذي لم تتجاوز خلافته سنتين. وكانت وفاة هذا الأخير في الواقع إيذاناً لسيدي علي بن أحمد بالتدخل في الشؤون السياسية واستعمال ثقله ونفوذه الروحيين ليلعب دوراً بارزاً في صراع الخلافة الذي شهدته البلاد سنة 1792 وما بعدها. وهكذا، وبمجرد وفاة اليزيد، سارع شيخ الزاوية الزوانية إلى مبايعة مولاي مسلمة، أحد أبناء سيدي محمد بن عبد الله، ودعوته ليستقر بوزان ريثما تتمهد له الأمور. ومن جهة أخرى عارض سيدي علي بن أحمد بقوة مبايعة أهل فاس لمولاي سليمان، واعتمد على فتوى قديمة تمنح الأفضلية لمسلمة على أساس أن بيعته سابقة، وأنه يحظى بمساندة المجاهدين وأهل الثغور الشمالية. وهذا الموقف هو الذي حدا بالمولى سليمان فيما بعد إلى التراجع عن الامتيازات التي كان والده قد منحها للشرفاء الزوانيين فأصرّ على ضرورة فرض وجود مخزني داخل مدينة وزان مُعللاً ذلك بأن وزان "بلد من المغرب"، يجري عليها ما يجري على غيرها. وفي نفس الإطار رفض مولاي سليمان الاعتراف بحقوق "الحرم" التي استعملتها الزاوية في السابق لمنح الملجأ والحماية للفارين من الأحكام المخزنية. لذلك يُمكن القول إن علاقة سيدي علي بن أحمد بالمخزن مرت بمرحلة عسيرة خلال السنوات الأولى من حكم المولى سليمان. لكن هذا الأخير سرعان ما طوى صفحة الخلاف، وسمح لشيخ الزاوية الزوانية بأن يوظف نفوذه وجهوده للتوسط بين المخزن والقبائل العاصية.

توفي في شهر أبريل من سنة 1811.

محمد بن حمزة المكناسي، الكوكب الأسعد، فاس، 1324 / 1906.
1907 ؛ محمد الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، الرباط، 1986.
محمد المنصور

الوزاني، محمد بن التهامي الفاسي داراً وإقباراً، أصله من أهل وزان العوام، فقيه علامة، مشارك حجة ناسك زاهد. ولد حوالي سنة 1250 / 1835 وروى عن نخبة من شيوخ القرويين أمثال: أبي عبد الله محمد بن المدني كنون الكبير، وأبي العباس أحمد بن أحمد بناني ومن في طبقتهم. ولما تمكن من ناصية العلم وبلغ رتبة العلماء، تصدى لتدريس العلوم الإسلامية نقلية وعقلية، وبرز على الأخص في علوم النحو والبيان والفقه والقراءات، فكان له في اليوم ثلاثة دروس وأكثر، يحضرها الطلبة من كل حدب وصوب، ويجلسون إليه، وهو يشرح متن الألفية أولها بآخرها، ويملي من حفظه قواعد وشواهدا، مع ما أوتي من سهولة تعبير قل نظيرها، فلا يقوم الطالب من دراسة إلا محصلاً قواعد الفنون بشواهدا من كتاب وستة، مستوعباً

ودفن بروضة العراقيين بالقباب خارج باب الفتوح، وقد حضر جنازته جم غفيرة، ورثته ثلثة من أقرانه وطلبته بقصائد شعرية، كلها إشادة وتنويه بفضله ومناقبه.

عبد الرحمن القباچ

الوزاني، محمد بن الحسن زعيم سياسي وطني مغربي، وأحد الرموز الأساسية الكبرى للحركة الوطنية المغربية، تأسيساً وتنظيراً وعملاً. اشتهر بميولاته العصرية، وتوجهاته الليبرالية، منذ انخراطه في الفعل الوطني السياسي. ولد بمدينة فاس سنة 1910، وبها تلقى تعليمه الأولي بمدارس الحماية، وجزءاً من تعليمه الثانوي بشانوية مولاي إدريس، قبل أن يلتحق بليسي كورو بالرباط، ثم بليسي شارلمان بباريس سنة 1927 ضمن بعثة دراسية. حصل على البكالوريا من ليسي شارلمان، والتحق بـ "المدرسة الحرة للعلوم السياسية"، فأنهى دراسته سنة 1930، ليكون أول مغربي تخرج في هذا التخصص، إضافة إلى ما تلقاه من دروس موازية في الصحافة والتاريخ، والتاريخ الدبلوماسي.



ومثله مثل العديد من أفراد جيله، كانت حرب الريف وأواسط العشرينيات من القرن العشرين، وحركة محمد بن عبد الكريم الخطابي في انتصاراتها وانتكاساتها، وراء طرح وتعميق العديد من الأسئلة حول واقع البلاد، والانصهار ضمن الإرهاصات التنظيمية السرية الأولى، التي كان وراءها الشباب المتعلم بمدينة فاس، والمساهمة في عدد من الحركات الاحتجاجية ضد سياسة الحماية. وفي مدينة الرباط كان الوزاني من بين المؤسسين للجمعية السرية المسماة "حماية الحقيقة"، والتي كانت تضم شباباً وطنياً من الرباط وسلا وفاس وتطوان، ومن بين الذين أثروا النقاش داخلها. وفي باريس استفاد من جو الحرية هناك لتعميق وعيه السياسي، فانفتح على مجموعة من الفعاليات اليسارية الفرنسية. وواظب على حضور بعض جلسات البرلمان الفرنسي، خصوصاً

فوائدها العلمية والفكرية؛ وقد أشار إلى هذا الإدراك في الفهم تلميذان ملازمان له ملازمة الظل للشمس أولهما صاحب فهرسة "مختصر العروة الوثقى..." الذي قال: وأول يوم جلست بين يديه كساني نوره، فوجدت من نفسي إدراكاً وتحصيلاً لم أجده قبله، فكان ذلك اليوم من أسعد أيامي، انتقلت فيه من طور إلى طور، كأني كنت حيواناً فصرت إنساناً أو كنت نائماً، فأصبحت يقظاناً، وأمست نشيطاً جذلانا، اتخذته عمدتي وأعدته عدتي؛ ولم أره مدة ملازمتي له نحو خمس سنوات إلا ناشراً للعلم، أو تالياً لكتاب الله بحرف أبي عمرو البصري، أو ذاكرة يقوم الليل تهجداً، وفي النهار تراه في نشر العلم ومحاربة الجهل مجاهداً".

أما ثاني هذين التلميذين فهو مؤلف كتاب "توضيح طرق الرشاد.." الذي وصف أستاذه قائلاً: "كان هذا الهمام حامل راية الدروس والإفادة، كامل المعارف مستحضراً للتالد منها والطارف، طالما اهتزت الدروس لتحبيبه، وانفتحت القلوب لتقريره، مع جلالة ومهابة، وجد وصيانة وإثابة، لا تكاد تراه إلا مدرسا أو تالياً، أو منتصباً بين يدي مولاه مصلياً، كم بث في صدور الرجال من المعارف، فانتصبوا في أرجاء الأقطار المغربية كعبة الإفادة للطلاب".

تخرج على يديه عدة علماء أجلة تصدروا الكراسي والمنابر في مختلف أنحاء المغرب، كزين العابدين بناني الرباطي، وأبي بكر التظواني السلوي، وأحمد الجريري البرهوني السلوي، ومحمد بن العياشي سكيروج، ومحمد بن عبد المجيد أقصي، ومولاي علي الدرقاوي، والقاضي مولاي أحمد بن محمد العلوي الإسماعيلي، والحيسوبي الفلكي سيدي محمد العلمي، وسيدي الحسن مزور، والوزير محمد بن الحسن الحجوي، وغيرهم.

وكان من أعضاء مجلس قراءة الحديث الشريف مع السلطان الحسن الأول، وتقلد خطة القضاء بشعر الصورة. فكان مثال العدل والعفة والاستقامة، مع دؤوب على نشر العلم، ولشغفه به، لم يلبث إلا قليلاً واستعفى فأعفى، فرجع إلى فاس طاهراً، وللعلم ناشراً، وكان من أهل الشورى في الأحكام، فلم تحفظ له في ذلك فلتة، بل الذكر الجميل والصيت الحسن؛ وقد خرج من الدنيا فقيراً في بيت بالكراء مع تحمل ظاهره وإظهار النعمة عليه.

له مصنفات ذات فائدة تذكر، منها المطبوعة على الحجر وهي: تنمة مختصر خليل، وصحة إيمان عوام المؤمنين، وتقييد في ثبوت إيمان المقلد، ورسالة النصر لكراهة القبض، وتقييد في الفعل المضارع المعتل.

هذا بالإضافة إلى مصنفات مخطوطة: كرجز في الإعراب التقديري، وبعض الفتاوى (أسئلة وأجوبة)، وتقايد أخرى تتعلق بالمذهب المالكي.

توفي بسبب ضعف أصابه من كثرة اجتهاده، وعمره لا يتجاوز ستين سنة، ليلة الاثنين 12 شعبان 1311 / 1894

هو فلم يعلم بخبر المطلب إلا بعد تقديمه. وبسبب مسار تطور العمل الوطني ناقش الوزاني طريقة تقديم مطلب الاستقلال، واقتراح - من منفاه - سنة 1945 تصورا بديلا ينتزع الاستقلال ويضع الفرنسيين أمام الأمر الواقع.

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية، والانفراج الذي حصل في السياسة الفرنسية تجاه البلاد الواقعة تحت نفوذها، أفرج عنه من منفاه، فالتحق من جديد بمدينة فاس، وجدد نشاطه السياسي، بجمع أنصاره ضمن تنظيم سياسي تحت اسم "حزب الشورى والاستقلال"، كما أصدر جريدة باللغة العربية، لسانا للحزب، تحت اسم "الرأي العام"، ومع التطور الاقتصادي والبشري الذي عرفته مدينة الدار البيضاء ارتأت ضرورة نقل مقر الحزب، أو مقر جريدته إلى هذه المدينة. أما على مستوى الإيديولوجيا والبرنامج الكفاحي، فقد تميز تنظيم الوزاني في هذه المرحلة بنزعة دستورية واضحة، حيث اعتبر منح البلاد دستورا وإقامة مؤسسات دستورية وحكومة مغربية، طريقا ليس لتأهيل المغاربة سياسيا وحقوقيا فقط، بل كذلك مرحلة في اتجاه استقلال يتم الوصول إليه بعد سنوات قليلة، وقد دافع الوزاني وأنصاره عن هذه الفكرة، وكانت الحجر الأساس في برنامجهم، الذي قدم للمراجع العليا في باريس والمغرب، والذي عرف باسم "مذكرة 23 شتنبر 1947". وعلى أساس هذا البرنامج المعتدل المبني على توجه الوصول إلى استقلال يبنى على مراحل، وعن طريق الحوار الموصل إلى تغيير معاهدة 1912، بمعاهدة بديل تعترف بحقوق المغاربة في الاستقلال عن الفرنسيين، حاور المعنيين دون جدوى، فاضطر إلى نفض اليد من ذلك الحوار، واصفا إياه بأنه من نوع "حوار الصم"، وغير وجهة النضال نحو المراجع الدولية، فساهم بفعالية في الدفع بالجامعة العربية لتبني القضية المغربية، وعرضها على هيئة الأمم المتحدة، كما ساهم في الجلسات التي تناولت قضية المغرب في دورات هذه الهيئة الدولية. إلا أن تطور الأحداث، وأوائل الخمسينيات من القرن العشرين، وخصوصا إقدام فرنسا على نفي السلطان محمد بن يوسف، وانتشار حركة المقاومة المسلحة في المدن المغربية، وسيادة العنف والعنف المضاد إضافة إلى عدم نجاح الحركة الوطنية في تحقيق أي مكسب حقيقي لقضيتها بهيئة الأمم المتحدة، جعل الوزاني منذ سنة 1954، يدعو إلى ضرورة العودة إلى الحوار المباشر مع الفرنسيين، فتحرك صحيفة المكتب السياسي للحزب في هذا السياق. كما شارك حزبه سنة 1955، في محادثات "إيكس لبيان". وشارك في حكومة البكاي الأولى، وفي المفاوضات التي قادت إلى إنهاء العمل بمعاهدة الحماية، والاعتراف للمغرب بالاستقلال سنة 1956.

اختار الوزاني بسبب ما اعتبره حيفا في حق حزبه أثناء توزيع المناصب الوزارية في حكومة البكاي الثانية موقع المعارضة، فأصبحت جريدته "الرأي العام"، باللغة العربية و"الديموقراطية" باللغة الفرنسية، تتبعض أعمال الحكومة

منها الجلسات التي خصصت لبعض قضايا المستعمرات. كما انفتح على طلبة شمال إفريقيا، والطلبة العرب، وطلبة العديد من المستعمرات الذين كانوا يتابعون دراستهم هناك فانخرط في جمعية "نجم شمال إفريقيا" التي كان يرأسها الجزائري مصالي الحاج، وأسس إلى جانب تونسيين ومغاربة طلبة شمال إفريقيا المسلمين، وتحمل المسؤولية في مكتب هذه الجمعية، كما شارك في تأسيس "جمعية الوحدة العربية"، التي كانت تضم عددا من الطلبة العرب.

بعد العودة إلى المغرب، لعب دوراً في التأسيس للعمل الوطني، فقاد مظاهرة يوليو 1930 بفاس، ضد الظهير البربري الصادر في 16 ماي من السنة نفسها، مما عرضه للجلد بالسياط على يد الباشا ابن البغدادي، وقضاء ثلاثة أشهر بسجن تازة، وأسس إلى جانب قلة من رفاقه أول تنظيم وطني وهو المعروف باسم "الزاوية"، و"الطائفة". وساهم بفعالية في نشر المقالات الوطنية على صفحات مجلة "مغرب"، التي أصدرها الاشتراكي الفرنسي روبرت جان لونكي، والوطنيون المغاربة، من باريس سنة 1932، كما أصدر من فاس مبادرة خاصة سنة 1933، جريدة باللغة الفرنسية تحت اسم "عمل الشعب" (لاكسيون دو بويل). وأظهر من خلال ما نشره من مقالات في المنبرين، مقدرته وكفاءته الصحفية، فكان مؤسسا لنهج صحفي وطني، اعتمد الجدل والمناقشة ...

لعب محمد بن الحسن الوزاني دوراً متميزاً في تحضير وتقديم برنامج مطالب الشعب المغربي سنة 1934، باسم "كتلة العمل الوطني"، كما لعب دوراً في الاتصال بحكومة الجبهة الشعبية سنة 1936، وفي حركة الاحتجاج من أجل الحريات، التي أودت به إلى السجن صحبة بعض زعماء الحركة الوطنية. وفي سنة 1937، وإثر الخلاف داخل كتلة العمل الوطني، أسس تنظيمًا سياسيًا تحت اسم "الحركة القومية"، وجعل من "عمل الشعب"، و"الدفاع" لسانا له. ورغم اختلافه مع زعامة "الحزب الوطني لتحقيق المطالب"، فقد تضامن معها، وعارض اعتقالها في خريف سنة 1937 معارضة قوية بالاحتجاج والتظاهر في المساجد والشوارع. فتعرض إثر ذلك للاعتقال، ثم النفي لمدة تسع سنوات، قضاه بعدة ثكنات بالصحراء.

انصب عمل الوزاني في الثلاثينيات على نقد انحراف نظام الحماية، وطالب بتقويم الاعوجاج الذي أصاب سياسة المسؤولين الفرنسيين وخرقهم بنود معاهدة 1912، فركزت مواضيع النقاش لديه على الهوية والسيادة والحق والحرية أو الحريات. وحاكم الفرنسيين استنادا إلى مبدأ حقوق الانسان ومبادئ الثورة الفرنسية عموما.

وفي سنة 1944 تزامن تقديم المطالبة بالاستقلال مع استمرار وجوده بالمنفى، وكان أنصاره قد ساندوا المطلب وقدموا وثيقة خاصة بهم يوم 13 يناير 1944، غيروا على إثرها اسم تنظيمهم ليصبح "الحركة القومية الاستقلالية". أما

محمد بن الحسن الوزاني في سطور، فاس، مطبعة السلام؛ محمد بن حسن الوزاني، الداعية الديمقراطية المجاهد في ذكراه الأربعينية بمدينة فاس، 29 أكتوبر 1978، تقديم الحاج أحمد معنينو؛ أحمد مغنينو، محمد بن حسن الوزاني تسع سنوات في المنفى، الرباط، مطبعة الأنباء، 1990؛ عز العرب الوزاني، حدثني والدي، بيروت، مؤسسة محمد بن حسن الوزاني، 1990؛ مجموع مؤلفات محمد بن الحسن الوزاني.

Fondation Mohamed Hassan Ouazzani, Casablanca
L'imprimerie rapide, 1980.

محمد معروف الدفالي

الوزاني، محمد بن الحاج الطيب بن عبد السلام بن عبد الله الوزاني أصلاً والآسفي داراً ومنشأً. ولد برباط الشيخ أبي محمد صالح بمدينة آسفي سنة 1296 / 1878. بعد حفظ القرآن الكريم انتقل لطلب العلم على يد من كان بالمدينة من العلماء والفقهاء، وعلى رأسهم خاله الفقيه العلامة السيد محمد بالكيري وشيخ الجماعة الفقيه السيد عبد السلام بن مولاي الحاج الحسن الإدرسي والعلامة سيدي عبد الرحمان المطاعي والفقيه الشاعر أديب أهل آسفي سيدي محمد التريكي، وعنه أخذ المترجم له دروسه الأولى في الأدب والبلاغة والعروض، كما تتلمذ على الفقيه النحوي السيد محمد الصوري المعروف بالفقيه الصوري وغيرهم من الفقهاء والعلماء. وفي عام 1319 / 1901 رحل إلى مدينة فاس طالبا العلم في جامعة القرويين التي كانت تضم في تلك الفترة ثلثة من خيرة علماء المغرب، وقد قضى بها ثماني سنوات كان يواظب خلالها على حضور دروس ألمع علمائها وشيوخها الذين نذكر منهم على الخصوص: سيدي أحمد بلخياط وسيدي محمد بن قاسم القادري وسيدي المهدي الوزاني وسيدي الفاطمي الشراذي وسيدي عبد الكبير الكتاني... وقد أجازوه عامة كتابة ومشاهدة.



كان الشاب محمد بن الحاج الطيب عضوا نشيطا في جمعية شبه سرية أسسها بعض الطلبة قصد تتبع ما كان يجري في الميدانين الثقافي والسياسي في كل من الغرب العربي ومشرقه، وكان أفرادها يتوصلون بانتظام ببعض الكتب والصحف والمجلات التي كانت تصلهم من مدينة طنجة. وكانوا يجتمعون في بيت المترجم له لقرائها ومناقشة

والمسؤولين بالنقد، وتقرح البديل في مختلف الميادين، كما كان أعضاء الحزب بالمجلس الوطني الاستشاري، لسانا للمعارضة، وكان المحور الأساس الذي ركزت عليه معارضة الوزاني هو المحور السياسي، حيث ركز على المطالبة بإقامة نظام ملكية دستورية، تستند إلى مبدأ الانتخاب، وإقامة مؤسسات نظام ديمقراطي برلماني، وتعتبر سنوات 1956 - 1958 فترة عسيرة على الوزاني وحزبه، حيث تعرض العديد من أنصاره إلى الاختطاف، والاعتقال، والاعتقال، وتعرضت مقرات الحزب إلى هجومات متعددة. كما تعرضت صحافته للمضايقة. وفي سنة 1959، تعرض الحزب لضربة داخلية عنيفة حيث انشق العديد من قياداته ومناضليه عن الوزاني، وانضموا إلى المجموعة التي انشقت عن حزب الاستقلال للمساهمة معهم في تأسيس الحزب الذي حمل اسم "الاتحاد الوطني للقوات الشعبية". ونظرا لما أصاب حزب الشوري والاستقلال، اضطر الوزاني سنة 1960، إلى تغيير اسم حزبه، فأصبح يسمى "حزب الدستور الديمقراطي"، وصدرت باسمه جرائد من ضمنها: "شوري الرأي العام" و"الدستور" و"السياسية"،... عبرت عن برنامج التنظيم وطموحاته.

وقد ألحق الوزاني سنة 1959، بالمجلس الدستوري المغربي، إلا أنه لم يحضر جلساته. كما سمي في يونيو 1961، وزيرا للدولة في الحكومة التي ترأسها الملك، إلا أنه قدم استقالته خلال مدة وجيزة. وفي انتخابات سنة 1963 حصل على عضوية أول برلمان مغربي، نائبا عن مدينة وزان. ورغم إلحاحه منذ بداية الاستقلال على ضرورة تمتيع البلاد بدستور يحدد النظام والقانون، فإنه عارض مشروع الدستور الذي اقترح على المغاربة سنة 1962، وانتقد مضمونه بشدة، كما عارض حالة الاستثناء التي أعلنت سنة 1965 من منطلق تناقضها مع الديمقراطية. ووافق على الدستور الذي اقترح سنة 1970. لم يكن الوزاني مقتنعا بطريقة واقع سير أمور المغرب منذ بداية الاستقلال، لهذا دعا منذ سنة 1962، إلى حركة تصحيحية تقودها النخبة السياسية إلى جانب الملك، سماها "الثورة من أعلى" ووصفها بالثورة الباردة.

وفي سنة 1971، أصيب الوزاني في أحداث الصخيرات إصابة أدت إلى بتر يده اليمنى، ورغم أن صحته ما فتئت تتدهور منذ ذلك التاريخ، فإنه حرص على الاستمرار في الساحة السياسية وإبداء وجهة نظره إزاء ما يجري، وكان منشغلا أواخر حياته بتجديد نشاط حزبه، وضرورة التنسيق مع الأحزاب السياسية الأخرى، من أجل تجديد الحياة السياسية بالمغرب.

توفي محمد بن الحسن الوزاني يوم 9 شتنبر 1978، ودفن بمقبرة أسرته بمدينة فاس.

حسني علي، محمد بن حسن الوزاني وإشكالية البناء الديمقراطي بالمغرب، 1947 - 1978، الدار البيضاء، مؤسسة محمد حسن الوزاني، 1998؛ العمراني عبد الحى حسن، الزعيم الوطني الكبير،

وحفظه جيداً. ثم نقله أبوه إلى حلقات التدريس الذي كان ينشطها بعض العلماء المحليين، منهم الطيب الحكيم وإدريس بن محمد بنهيمه، فتعلم عنهم المتون الفقهية وشرحها، وبعض الفنون الأدبية واللغوية، فحظي بتقدير شيوخه لما أبان عنه من فطنة وسرعة الإدراك والفهم.

وبعد سنوات قليلة، حصل بكل استحقاق على إجازة في الفقه على المذاهب الأربعة، فانخرط في سلك العدول وعمره عشرون سنة. فكان ظاهرة عصره، تميّز عن أقرانه بشخصيته القوية وحكمته وسداد رأيه وإشعاعه في الأوساط المحلية، فأسمى موضع احترام وتقدير وتبجيل.

وفي العام الأول من فرض الحماية الفرنسية على المغرب والتي عصفت بالألباب، واضطرت معها العقول، ولم يعد أحد يذري على أي حال سيستقر الوضع الجديد، جنحت السياسة الفرنسية إلى اختيار أطر محلية من بين الشخصيات الأكثر مصداقية وتزاهة، فكان الشريف محمد بن العربي الوزاني من هؤلاء الذين حظوا برضا السلطان مولاي يوسف، فولاه حسيبة أسفي بظهير في شهر ربيع الأول عام 1331 / 1912، خلفاً للعربي الفاسي، فأبان المحتسب الجديد عن خبرة فائقة بمعرفة فنون التجارة وشروطها، وقضايا المجتمع وخبايها، فكان دائماً قريباً من الناس، يستفسرهم عن ظروف عيشهم وعن مشاكلهم في حرفهم وترويج بضائعهم، يهذب بالتالي هي أحسن من كان منهم في حاجة إلى تهذيب، وغير ذلك، فزادت مكانته سُموا عند القوم.

وفي يوم الاثنين 3 رجب عام 1332 / 1913، وبأمر من السلطان، تمّ تعيين محمد بن العربي الوزاني خليفة باشا أسفي، والباشا وقتئذ هو إدريس بن عيسى بن عمر العبدوي. والسبب في ذلك أن أهل أسفي لم يثقوا بالباشا واستنكروا قيادته عليهم نظراً لسوابق أبيه الطاغية الذي فتك بالعديد من الأبرياء من بين قبيلة أولاد زيد ورجال أسفي، ضاربا عرض الحائط بسلطة القائد حمزة بنهيمه الذي كان عاملاً على أسفي قبل الحماية.



ويقي محمد بن العربي الوزاني خليفة الباشا مدة ثلاث سنوات، عرف بحنكته كيف يفضّ الخلافات بين الناس،

الأفكار الواردة فيها. ونذكر من بين الأفراد الآخرين في هذه الجماعة على الخصوص السادة : محمد بن العربي العلوي ومحمد بن إدريس (من فاس) ومحمد بلقرين (من مراکش) ومحمد الحضيكي (حفيد شارح الهمزية) ومحمد التغزوفي. ولقد اتفق أعضاء هذه الجماعة بعد تخرجهم من الجامعة على أن يبقوا على اتصال فيما بينهم عن طريق الكتابة لتبادل الأخبار والاطلاع على كل ما كان يجري في مختلف مناطق البلاد. وقد تطور فيما بعد مضمون هذه المراسلات ليشمل موضوعات أخرى لها صلة بمسألة فرض الحماية الفرنسية على المغرب، وبأنجح السبل لحماية المقدسات الوطنية. ويمكن القول بأن بذور الحركة الوطنية قد غرست مع هذه الجماعة، أي قبل سنة 1925 التي يجعلها البعض سنة بداية هذه الحركة.

ولما عاد سيدي محمد بن الحاج الطيب إلى بلدته أسفي عام 1328 / 1909 اشتغل بالدعوة إلى الحركة السلفية، حتى إذا انطلقت فعلياً الحركة الوطنية كان من أوائل الدعاة لها وخطيبها المفوه، إذ كان إماماً وخطيب الجمعة بمسجد أفنان المعروف حالياً بالمسجد القديم أو الجامع الفوقاني. وكان هذا المسجد يشهد كل جمعة، وخاصة في مرحلة الشدة والمقاومة، حفلاً دينياً ووطنياً، ذلك أن خطب الفقيه كانت خطبة نارية تذكّي حماس المصلين وتدعوهم إلى التمسك بالإسلام وأخلاقه، وإلى التضحية في سبيل إنقاذ الوطن من الاستعمار. وكانت جنباث المسجد تمتلئ عن آخرها بالوطنيين من أبناء المدينة والإقليم.

انقطع الفقيه ابن الحاج الطيب عن الخطابة بعد نفي السلطان محمد الخامس. وبعد الاستقلال لازم بيته، وقد ألمه كثيرا ما آلت إليه حالة الوطن من فساد وانقسام في صفوف الحركة الوطنية.

ومما يؤسف له أن جل مؤلفاته من دواوين وخطب وفتاوي ومذكرات قد ضاعت، ولم يبق منها إلا النزر القليل نذكر منه على الخصوص مؤلفاً صغير الحجم عنوانه : "موجز سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم" وعدداً قليلاً من الخطب والفتاوي.

توفي يوم السبت 26 ربيع الثاني عام 1381 / 7 أكتوبر 1961 وووري جثمانه الطاهر بمقبرة سيدي منصور.

عبد الحق الوزاني

الوزاني، محمد بن العربي، ولد الشريف محمد بن العربي الوزاني عام 1308 / 1890 بأسفي في أسرة معروفة بسمو الأخلاق، عريقة في الثقافة الدينية والأدبية، لها حضارتها وأمجادها، وتحظى من الأوساط المحلية بالدرجة الأولى فيما يسمّى بالشرفاء.

عندما بلغ الصبي محمد الخامسة من عمره، سلمه أبوه العربي إلى أشهر الفقهاء بالمدينة، الشيخ محمد المطاعي. وما كاد يقضي خمسة أعوام على الحصر حتى ختم القرآن

ويحمل الخارجين عن النظام والعاثين بالقوانين والأعراف على الرجوع عن غيهم، دون المس بكرامتهم ولو كانوا مذنبين أو مجرمين. وكان يومئذ الصلح بين الناس هو الظاهرة المرجحة.

خلال هذه الخلافة حصل على اعتراف فرنسي بخدماته فوشّحه المراقب المدني إذ ذاك بجوقة الشرف من درجة فارس. فازدادت شخصيته تألقاً في أعين الناس.

وفي 8 رجب عام 1335 الموافق 1917، انتقل محمد بن العربي الوزاني بظهير مولوي إلى قيادة قبيلة البحاترة المجاورة لأسفي والتي اقتطعت من نفوذ أولاد عيسى بن عمر فأحسن تدبير شؤونها بإبعاد الظلم عن الناس وعن المتقاضين بصفة عامة، وأعجب المخزن بمهارة هذا القائد الوارد من بين أهالي المدينة، فاستطاع أن يُغيّر أحوال "حكومته" ويعيد إليها الأمل في حياة أفضل.

ونظراً لما حققه من نتائج إيجابية في ولايته بالبحاترة، أضاف إليه السلطان قيادة قبيلة أولاد عامر وهي فرقة من عبدة. فما كان من سلطات الحماية إلا أن اعترفت مرة أخرى بقدراته العقلية وخبرته الإدارية وبنزاهته ونكران الذات، فوشّحت صدره بميدالية "عرائش المجد" وهي في الواقع لا تعطى إلا للذين يستحقون التنويه والتقدير من بين أولى النُهي.

واستمر محمد بن العربي الوزاني يمارس مهامه إلى عام 1346 / 1927 حيث أعفى من قيادة البحاترة وأولاد عامر.

فعاد الشريف إلى أسفي مطمئن الضمير وهو يعلم أن الخلد في المناصب لم يكتب لأحد من الأناسي. ومما أثلج صدره أن سلطات الحماية لم تتنكر لخدماته فمنحته وسام الاستحقاق الزراعي من درجة فارس كما أن السلطان أضاف إلى ذلك وسام العرش من درجة ضابط.

واستمر محمد بن العربي الوزاني في تعامله الإنساني مع السلطات وكان بعض الناس يستوسطونه لديها لحل مشاكلهم الخاصة أو نزاعاتهم فيما بينهم.

توفي محمد بن العربي الوزاني بأسفي يوم الاثنين 24 ربيع الأول 1374 / 21 نونبر 1954 فكان لوفاته صدى مؤلم في النفوس.

وثائق أسرة الشرفاء الوزانيين بأسفي ؛ أحمد بنجلون، عائلات أسفي، مخطوط ؛ المحتسب عبد الله بن محمد بنهيم، مذكرات، مخطوط.

Antonna : La région de Abda, p. 67 etp. 79.

التهامي الوزاني وأحمد بنجلون

الوزانية (الزاوية -)، مؤسس الزاوية الوزانية هو الشريف الإدريسي مولاي عبد الله بن إبراهيم الذي ولد بقرية تازروت بقبيلة بني عروس في سنة 1597. ومن هذه القرية انتقل للدراسة بزاوية صرصر القريبة من وزان حيث تتلمذ على صاحب هذه الزاوية سيدي علي بن أحمد الكرفطي. ثم

بعد ذلك انتقل لاستكمال تحصيله بكل من تطوان وفاس. وعند وفاة شيخة سيدي علي بن أحمد في سنة 1628 عاد مولاي عبد الله الشريف إلى جبل صرصار وأقام به أكثر من سنة منقطعاً عن الخلق، مستغرقاً في العبادة والتأمل. ولما اكتملت لديه أسباب المشيخة وأحس بالرغبة في إرشاد المريدين وتربيتهم بدأ يبحث عن مكان مناسب يستقر فيه، فاهتدى إلى قرية وزان التي كانت تتوفر فيها الشروط الضرورية لإقامة زاوية في مكان يشكل نقطة التقاء أكبر قبائل المنطقة (انظر مادة "مدينة وزان").

ولقي مولاي عبد الله الشريف إقبالا كبيراً لدى المريدين وطلاب التربية الصوفية، فكثر أتباعه في فترة تميزت بالفراغ السياسي في المنطقة، وأصبحت وزان قبلة للزوار خلال الموسم السنوي الذي يُقال إنه كان يستقطب أكثر من عشرين ألف زائر في حياة الشيخ المؤسس. ويقدر ما وطد العلويون سلطتهم السياسية خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر بقدر ما ظهرت الحاجة إلى تحديد العلاقة مع المخزن الذي أراد أن يحصر الزاوية داخل الإطار الديني الصرف. وقد استطاع الشيخ الثاني للزاوية، سيدي محمد بن مولاي عبد الله الشريف (ت. 1708)، أن يبدد شكوك المولى إسماعيل العلوي بشأن ولاء الشرفاء الوزانيين وأن يستثمر رصيد الوزانيين كشرفاء ليجعل من الزاوية "دارضمانة" تضمن لمريديها وأتباعها اللجنة بواسطة شفاعة آل البيت الشريف.

لكن الزاوية شهدت تحولات هامة بعد شيخها الثالث مولاي التهامي بن محمد (ت. 1715)، خاصة على مستوى العقيدة الصوفية، بحيث انتقل التركيز من التربية إلى توظيف النسبة الشريفة كأساس لاستقطاب الأتباع وتوسيع النفوذ الروحي للزاوية. فالمريدون والأتباع أصبحوا يقصدون الشرفاء الوزانيين طلباً لبركتهم ورغبة في التقرب من آل البيت والاستئطال بظلمهم أكثر مما كانوا يقصدونه من أجل التربية. ومما ركز هذا التوجه اهتمام شيوخ الزاوية بتدبير الرصيد المادي المتراكم وتراجع حرصهم على التربية الصوفية. فصاحب نشر *المشائي* يذكر أن مولاي التهامي كان يكتفي بتعليم أبنائه مبادئ الدين ثم يوجههم لتعاطي الأسباب. ومع تكاثر عدد الأتباع والمريدين لم يعد باستطاعة الشيوخ الوزانيين المتأخرين أن يضمّنوا التربية والتأطير الصوفي كما كان عليه الحال في حياة الشيوخ المؤسسين.

وقد رافق هذا التحول توسع الزاوية وانتشار نفوذها في المناطق النائية من البلاد، بل وحتى في البلدان المجاورة كالجزائر. ففي عهد الشيخ الرابع للزاوية، وهو مولاي الطيب (ت. 1767) امتد نفوذ الزاوية إلى الغرب الجزائري حيث أصبح أتباعها يعرفون بالطيبين. كما استفاد هذا الشيخ من غياب سلطة مخزنية قوية بعد وفاة المولى إسماعيل ليوطد

وعبد السلام أمين مرسى تطوان والمكي بن عبد الرحمان أمين المرسى الجديدة.

الفاسي، مدينة الرباط، ص. 153 ؛ دينية، مجالس، ص. 246.
عبد الإله الفاسي

وزكيتة ← نفيس (واد -)

الوزكيتي، عبد العزيز بن سعيد يدعى عزوز قائد شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان مولاي عبد الملك، قال عنه كل من الإفرائي والناصرى إنه كان وزيراً مع السلطان المذكور، في حين وصفه الفشتالي في مناهل الصفا بالصدر كبير الدولة، وأنه كان خال مولاي أحمد المنصور الذهبي وحاجبه.

ع. العزيز الفشتالي، مناهل الصفا، تح. كريم، ص. 42، الرباط، 1972 ؛ محمد الإفرائي، نزهة الحادي، ص. 64، الرباط، بدون تاريخ ؛ أحمد الناصري، الاستقصا، ج 5، ص. 66، الدار البيضاء، 1954.

Ojeda, Luis de, Comentario que trata de la infelice jordana del Rey Don Sebastian (S.I.H.M., France I, p. 576-627).

محمد ابن عزوز حكيم

وساي (دفين ساحل ماسة) : لا نعرف إلا النزر القليل

عن حياته، وتبقى الإشارات الوحيدة مستمدة من ورقات تتضمن مناقبه، وثمة اختلاف حول نسبه، فتارة يذكر ضمن صلحاء رگراگة المستقرين بسوس، وتارة أخرى يرد بين آل يعزى ويهدى أو ينتسب إلى العمريين، وأن أصله من الأندلس بعد أن انتقل إليها قادماً من الشرق، فيقال له الرندي، إلا أن ذكره بوساي أشهر منه بعبد الرحمان. ويبدو أن جميع المؤثرات تدل على أنه كان طارناً على بلاد ماسة، بعد سنوات قضاها في السياحات صحبة المتصوفة. ولا يستبعد أن يكون هذا الاستقرار، مرتبطاً بحالة الانجذاب التي تتمتع به ماسة، نتيجة تواجد الرباط المشهور، ويترسخ الاعتقاد باحتمال ظهور المهدي، لهذا أضحت المكان مأوى للصالحين. ولا ريب أن ما ينعت به في المصادر بصفة البهلول، نابع عما كان يأخذ به نفسه بالتقشف والرياضة والسياحة.

توفي وساي بماسة في تاريخ مجهول، وقد صنفه المختار السوسي ضمن صلحاء القرن 5 هـ، وقيل إنه من أهل ق 8 هـ. ومشهده يعتبر من المزارات السوسية المقصودة بكثرة. ويذكر أن ولديه رجعا إلى فاس بعد دفن أبيهما، بعدها انتقلا إلى قبيلة إيسافن نابت هارون حيث دفنا.

ورقات تتضمن مناقب وأصول الولي الصالح الرباني سيدي عبد الرحمان الرندي، مخطوط خزانة المسعوديين بيونعمان بدون تاريخ ؛ وثيقة حول رگراگة، خزنة الأغراري ؛ الكرامي، بشارة الزائرين، مخطوط خاص ؛ المختار السوسي، رجالات العلم العربي بسوس،

نفود الزاوية في الكثير من المناطق، وخاصة منطقة الغرب والنواحي الشمالية - الغربية التي لم يتمكن خلفاء المولى إسماعيل من إحكام مراقبتهم عليها. وهذا ما جعل العلاقة بين الشرفاء الوزانيين والدولة تعرف بعض التأزم.

لكن السياسة التي نهجها سيدي محمد بن عبد الله (1757 - 790) تجاه الشرفاء الوزانيين أدت إلى انفراج ملحوظ في العلاقة بين الطرفين. فهذا السلطان الذي بنى حكمه على مبدأ التقليل من تدخل المخزن في الشؤون المحلية عهد إلى شيخ الزاوية، سيدي علي بن أحمد (ت. 1811)، بصلاحيات هامة سمحت له بفرض مراقبة إدارية وقضائية على منطقة واسعة تشمل الغرب وقبائل جباله السفلى.

وإذا كان المولى سليمان(1792 - 1822) قد نهج سياسة مخالفة وحاول التراجع عن الامتيازات التي استفادت منها الزاوية خلال عهد والده، فإن سلاطين آخرين كالمولى عبد الرحمان بن هشام (1822 - 1859) قد قرب إليه شيخ الزاوية، مولاي العربي (ت. 1850)، وأغدق عليه امتيازات هامة كتحويله إراثة المنقطعين بمنطقة توات. وهذا الامتياز هو الذي سمح للشرفاء الوزانيين بتوسيع نفوذهم في المناطق الصحراوية النائية، كما أن موقفهم من الاحتلال الفرنسي بالجزائر سمح لهم بتعزيز نفوذهم في هذه البلاد كذلك.

لكن تزايد الضغط الاستعماري على المغرب خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر حمل معه بذور تصدع وتباعد بين الزاوية والسلطة المخزنية. فمع تراجع هيبة الدولة وإفلات زمام الأمور من يدها في الكثير من جهات البلاد، وجد الشرفاء الوزانيون أن مصالحهم ربما تكون في مأمن إذا لاذوا بحماية دولة أوربية قوية كفرنسا. وهذا ما حدث بالفعل من سنة 1883 عندما وضع شيخ الزاوية الوزانية نفسه تحت حماية الدولة الفرنسية. إلا أن العواقب كانت وخيمة بالنسبة للزاوية في علاقتها مع المخزن ومع أتباعها والمتشوفين إلى بركتها. ويمكن القول إن هذا التاريخ شكل نقطة البداية لمرحلة تراجع فيها نفوذ الوزانيين باستمرار، وهو تراجع سيتعمق خلال النصف الأول من القرن العشرين مع ترسخ الحركة السلفية المناوئة لما يُسمى بالطرقية وهيمنة الفكر الوطني الذي سائر الحركة السلفية في مواقفها.

محمد بن عبد الطيب القادري، نشر الثاني، ج 4، الرباط، 1986 ؛ محمد المنصور تصوف الشرفاء، ضمن التاريخ وأدب المناقب، الرباط، 1989، ص. 15 - 27.

G. Drague (G. Spillman), Esquisse d'histoire religieuse du Maroc, Paris, 1951.

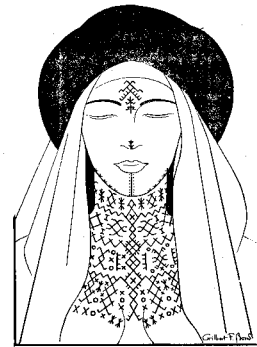
محمد المنصور

وزهرا أو ووزهرا ، أسرة أصلها أندلسي تصدرت منذ حلولها بالرباط أوائل القرن السابع عشر. تخرج منها عدة شخصيات أهمهم : وزهرا محمد بن يحيى ومحمد الناظر

أحمد بومزكو

الوشم ، أصل الكلمة من "الوسم" أي طبع الجلد وترك الأثر عليه. ويشكل الوشم أحد أقدم العادات والتعبير في المغرب. وتخضع مسألة تفسير هذه الرموز لتأويلات ليست نهائية تماماً. إلا أن كل أشكال الوشم تنطلق من أرضية واحدة، وهي : النقطة والخط. وتتفرع إذ ذاك إلى أشكال ترتع من الطبيعة والمعتقدات. ويمكن أن يترجم كل ذلك أيضاً في الحلي والزرايب كإبداع لنفس الأشكال ولكن بأنماط مركبة وبألوان مختلفة، على عكس الوشم الذي يعتمد اللون الواحد رغم تعدد أشكاله. إنه عمل فني شاهد للمجتمع وشاهد عليه في نفس الوقت، لأنه يقتبس تقاسيمه من المرنمات أو من اللامرئي حينما يستند إلى الموروث.

وتخضع رمزية الوشم لتأويلات عديدة. فالوشم يمكن أن يكون زينة خالصة، ويمكن أن يكون مسارا احتفاليا في زمن متواصل. كما يمكن أن يكون شكلا يرمز إلى قبيلة أو ثقافة معينة. وتختلف هذه الرمزية من ثقافة لأخرى ومن شخص لأخر، كما تختلف بين النساء والرجال. وتتخذ هذه الرمزية أبعاداً أخرى حسب كل جهة من الجسد، من الوجه إلى الأطراف والصدر... فالوشم ليس رسماً عابراً بل رسالة تضمن استمرارية التقاليد والفلسفة الخاصة بمجموعة بشرية معينة. فبواسطة الوشم يمكن للجسد أن يتخذ مساره الاجتماعي، ليصبح جسداً من هنا أو هناك. إنه بطاقة تعريف خاصة جداً.



ف لدى بعض القبائل، ينظر إلى الوشم كعلامة على بلوغ الفتاة سن الزواج. ويتم الوشم من طرف عجوز خبييرة في ضريح من الأضرحة المحلية، أما الحفل فيقام بعد ذلك في منزل الفتاة. وفي بعض القبائل تعطى الأسبقية لوشم الذقن ثم بعد ذلك الجبهة. وفي قبائل أخرى يتم العكس. ويفصل الوشم بين مرحلتين أساسيتين من حياة المرأة، مرحلة ما قبل

الزواج ومرحلة ما بعده. ولكل مرحلة وشمها الخاص، كأن تمر من البسيط إلى المعقد، من حياة الصبا والعائلة إلى حياة الأوثنة وتكوين الأسرة. ويمكن أن تكون المرحلة الأولى خالية من الوشم إلى حين بلوغ المرحلة الثانية. وفي كثير من الأحيان يشكل استقبال الحياة الزوجية نقطة تحول من الوشم العابر إلى الوشم الذي يتخذ من الشكل والنوع خصوصية له. إلا أن هذه الملاحظات تختلف من قبيلة لأخرى ومن منطقة لأخرى :

- في بعض القبائل، يُحتفل بالوشم احتفالاً خاصاً بمناسبة من المناسبات، ويتم ذبح الذبائح لذلك. وفي أخرى، تستقدم الواشمات من قبائل مجاورة، فتقضي وقتاً يطول أو يقصر حسب عدد الراغبات في الوشم. ويتم التعامل مع هؤلاء الواشمات معاملة خاصة (الحفاوة والتكريم). ويتم الوشم بواسطة أدوات طبيعية صلبة أو بواسطة سكاكين حادة أو إبر، ويتم اختيار الرسوم من طرف المعنية بالأمر أو يترك للواشمة حرية الاختيار. وفي هذه الحالة تنقل بعض الأشكال من مجموعة لأخرى. ويتم وخز الجلد برفق تتبعاً للشكل المرسوم مسبقاً. بعد ذلك يمسح الدم وتقلأ الثقوب بالرماد أو السخام. وإعطاء اللون نصاعته المرغوبة، يوضع على الوشم طلاء من دقيق نبات مختار لهذا الغرض، كما هو الحال بالنسبة للنباتة الملتفة (اللواية). ويراعي في ذلك لون البشرة، فإذا كانت بيضاء يكون اللون أقل نضاعة، أما إذا كان اللون يميل إلى السمرة أو الحمرة فيتم تكثيف اللون حتى يظهر أكثر نضاعة. وفي بعض الحالات لا يتخذ الوشم كمنهنة، فهناك واشمات على استعداد للقيام بذلك، والعراقات هن الأكثر إتقاناً لذلك. وفي حالات أخرى يصبح الوشم مهنة تتقاضى عليه الواشمة أجراً.

أما من حيث هندسته، فيمكن تقسيم الوشم إلى ثلاثة أنواع :

- زخرف الحزام، ويتخذ من غطاء (الحنبل) نموذج الأول. وينتشر خاصة لدى القبائل العربية في الساحل الأطلسي أو داخل البلاد (بني حسن - الشاوية، دكالة، عبدة، زعير، ورديفة...).

- زخرف الخطوط المسننة، وينتشر هذا النوع بين القبائل الريفية، ويتخذ من خطوط الجلابيب نموذجاً.

- زخرف المركبات : وهو وشم ينتشر لدى قبائل الأطلس المتوسط، ويتميز بتشابك زخارفه وتنوع رسومه، ويتخذ من تراويق الزرايب مرجعية له.

وتركز الوشم خاصة في الأماكن البارزة من الجسم كالوجه والأطراف. ويلعب الوجه دوراً أساسياً في الحياة. فبملامحه تتحدد شخصية الإنسان، وبملامحه تتحدد طبيعة العلاقات. إنه صورة تعكس نفسية الفرد وسنه ومزاجيته... إنه عند المغاربة الجهة الأكثر حساسية والأكثر انكشافاً

لإرسال النظرات أو لاستقبالها. ويحتل وشم الوجه ثلاثة مواقع : الجبهة، مقدمة الأنف، الذقن، ويتم ذلك بنوع من الانسجام بين الأشكال المختارة :

- وشم الجبهة : ويحمل عدة أسماء محلية مختلفة كالمركب والعباشة والبوجة والغماز. وقد يحتل هذا الوشم حيزاً كبيراً من وسط الجبهة إذا كان مركباً وقد يقتصر، إذا كان بسيطاً، على ما بين الحاجبين فقط. فهو بسيط لدى القبائل العربية، يقتصر على نقط أو رافدين متداخلين أو خطوط أو يرسم على شكل رافدة عادية أو معكوسة أو على شكل قوس. أما عند القبائل الأمازيغية، فيحتل وشم الجبهة حيزاً أكبر وينجز بأشكال أكثر تعقيداً.

- وشم الأنف : وهي ظاهرة تنتشر في أوساط القبائل الأمازيغية، فالرجال يشمون مقدمة الأنف كرمز على الإباء والأنفة. ويعرف هذا الوشم بـ "الشمامة"، وله علاقة بما تضعه المرأة على مقدمة أنفها من مواد مرغوب في شمها (الأنوخ - القطران - الحرگوس ...) وهو وشم يقتصر في الغالب على نقط متتالية أو متقاربة أو على شكل خطوط أحادية أو مزدوجة أو مركبة. ولعل هذه البساطة تعود إلى ضيق مقدمة الأنف.

- وشم الذقن : (السيالة - التسنيدة) ويقتصر على المسافة الممتدة من الشفة السفلى إلى مقدمة العنق. وكلمة "السيالة" أكثر التصاقاً بالمرأة، والوشم الأكثر تعبيراً عن الأنوثة. ويتخذ هذا الوشم من النقط والخطوط أشكالاً.

- وشم الفك : ويتميز بكونه ينسجم مع "السيالة". ومنها يمتد في اتجاه أسفل الأذنين دون أن يصلهما أو يصل بقية العنق. إلا أن شكله وامتداده العرضي أو الطولي يختلف من قبيلة لأخرى. وارتباطاً بذلك يتميز العنق بكونه أكثر تشابكاً، وينتشر خاصة لدى قبائل الأطلس المتوسط والدير.

أما وشم الظهر أو البطن والعانة أو الكعب والمعصم، فيجد مرجعيته في طلاس سحرية وتعاويد مرتبطة باعتقادات تتعلق بارتباط المرأة بالرجل ومحاربة العنوسة أو العقم ويحفظ الجنين والطفل من العين السيئة والأمراض.

وإذا كان الرجال يقدمون نفس الأشكال الرمزية في الأواني المصنوعة من الخزف والنحاس والفضة وفي الصباغة ونقوش أعمدة الخيام والموائد والصناديق والمكاحل ... فإن الكثير منهم يشمون جلودهم في الأماكن البارزة من الجسم وخاصة الأطراف العليا (الكتف - الدراع - اليد ...) كما هو الحال بالنسبة للمحاربين والسجناء.

فعند السجناء يمكن التمييز بين نوعين من الوشم، وشم يأتي به صاحبه من خارج السجن، وهو وشم مرتبط بالقبيلة التي ينتمي إليها، وهو في العادة عبارة عن رموز وعلامات ... ووشم يتم داخل السجن. ولا يقتصر على العلاقات فقط بل يتعداه إلى الأشكال.. وفي هذا النوع يظهر التأثير الأوربي واضحاً وخاصة في الشرق وعلى السواحل. ولعل هذا ما يفسر انتشار الوشم الإثني بالبوادي وندرته بالمدن،

وانتشار الوشم الأوربي بالمدن الساحلية وندرته بالأرياف. ويمكن تقسيم هذه الرسوم والرموز إلى خمسة أشكال مرتبة حسب أسبقيتها وتكرارها بالنسبة لكل واحدة :

- الحيوانات : الأسماك : ترسم في الغالب مزدوجة أو على شكل ثالوث، تحيط برسم آخر أو تحمل رسالة ... وهي في الغالب ترمز إلى الخفة والحركة والماء مصدر الحياة والخصب ...

- الطيور : وترسم بشكل عفوي دون تحديد النوع، إلا أن الأنواع الأكثر انتشاراً تتمثل في اللقلاق، الصقر، الحمام، السنونو .. وهي طيور ترسم في الغالب محلقة تحمل رسائل في مناقيرها ... إنها رمزية تشير إلى تطلع السجين إلى الاعتناق والتواصل مع الأهل والأحباب ...

- أما الحيوانات والزواحف الأخرى فتتمثل في الفراشة - الغزال - العقرب - الثعبان - السرطان - الأسد ...

- النباتات : وهي نباتات تنتمي في الغالب إلى البيئة التي ينحدر منها السجين، فبالإضافة إلى بعض الأزهار، توجد أوراق لأشجار، الأغصان، أشجار الزيتون والنخيل والصنوبر والكروم... وتوشم هذه النباتات بشكل مجرد أو تحمل خطاباً أو رمزاً.

- الانسان : وفي غالب الأحيان يكون امرأة، وتتخذ المرأة في هذا النوع من الوشم أشكالاً مختلفة، قد يكون رأسها فقط في وضعية جانبية أو مقابلة، وقد تكون المرأة المرسومة عارية وفي وضعيات مختلفة، وقد يكون نصفها الأسفل على شكل سمكة، وقد تحمل كأساً أو وردة أو زجاجة.

- الكلمات : غالباً ما تكون كلمات مقدسة كاليسملة، وقد تكون أسماء الوالدين، أو الإخوة أو الأصدقاء. وقد يكون اسم امرأة لها تاريخ أو قصة مع السجين ...

- رسوم مختلفة : وتتكون من خليط من الرموز والأشكال، وتتضمن الهلال، النجوم، الأسلحة، الزخارف، الشعارات ... فبالنسبة للهلاليات، ترسم في أوضاع وفي اتجاهات مختلفة أحادية أو مرفوقة بأشكال أخرى. أما النجوم فتتخصص في الخماسية إلى السباعية، منفصلات أو مركبات. ومن الأسلحة المشومة، البنادق، السكاكين، الخناجر، السيوف، النبال... وهذه الأخيرة منعزلة أو مغروسة في قلب. وفي الزخارف : قلوب متداخلة تحمل الحروف الأولى لعشيقين، أيدي وعيون (محاربة الحسد والعين السيئة)، رايات، شمس، أجراس، مراسي ...

والملاحظ أن ظاهرة الوشم بهذه الأوصاف بدأت تعرف تراجعاً ملحوظاً في صفوف النساء، بسبب ظهور أشكال جديدة من التجميل، وبسبب انتشار الأفكار المحرمة للوشم، إضافة إلى انتشار الوعي بما قد تتسبب فيه من أمراض بالنظر إلى طبيعة الوسائل المستعملة والتي غالباً ما تكون غير معقمة. ولعل هذا ما جعل العديد من النساء يبحثن عن مختلف السبل لإزالة الوشم من على الجلد. إلا أن هذا لا يعني اختفاء ظاهرة الوشم بشكل نهائي، ذلك أن تطور

وسائله وأشكاله في أوربا قد تسمح بانتشاره من جديد في المغرب.

Dr. J. Herber, Origine et signification des tatouages marocains, *L'Anthropologie*, t. XXXVII, 1927 ; Tatouages crapuleux, *Maroc-Médical*, n° 83, mai 1929 ; Les Tatouages marocains, *Maroc-Médical*, n° 307, déc. 1950 ; Les Tatouages de la face chez la marocaine, *Hespéris*, t. XXXIII, 1946 ; Tatouages des prisonniers marocains, *Hespéris*, t. V, 1925 ; Rahma Boureqia, Une cible du pouvoir ou le corps tatoué, *B.E.S.M.*, n° 153-154, 1984.

صالح شكاك

الوطاسي، زيان بن عمر، كان أول ظهور له على مسرح الأحداث السياسية عندما حاول أبناء السلطان أبو الحسن المريني : وهما الأميران أبو مالك وأبو عبد الرحمن التمرد على أبيهما وخلافته على العرش لما ألم به مرض ألزمه الفراش، وهو بظاهر تلمسان ينتظر قدوم صهره الحفصي حسبما وأماً إليه به وزير السلطان الحفصي الشيخ أبو محمد ابن تافراجين، وذلك بمناسبة فتح السلطان أبي الحسن لمدينة تلمسان التي استعصت على أجداده من قبله، وكان السلطان أبو الحسن قد سمح للأمرين باتخاذ مظاهر الملك من زينة وجند ووزراء، لكن الأمير أبا عبد الرحمن رآها فرصة أغراه بها أتباعه ومنهم وزيره زيان بن عمر الوطاسي للوثب على السبلة، لكن خاصة السلطان أبي الحسن ومستشاريه تنبهوا للأمر فأشاروا عليه بالخروج إلى الناس واستقبالهم ففعل، ولما هدأت الأحوال وفشلت محاولة أبي عبد الرحمن انفض الناس من حوله، ففر ومن بقي من أتباعه ؛ لكن شيخ قبيلة أولاد علي من زغبة الموطنين بمنطقة متيجة بالمغرب الأوسط ألقى عليه القبض وأعادته إلى أبيه فسجنه بمدينة وجدة ؛ أما زيان بن عمر الوطاسي وزيره فقد التحق بالحفصيين في تونس فأجاروه : وقد كانت هذه المحاولة الانقلابية عام 738.

أما الظهور الثاني لزيان بن عمر فكان في عهد السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم في فترة حكمه الأولي 776 - 786 / 1374 - 1384، ذلك أن السلطان لما أخذت له البيعة ودخل مدينة فاس اشترط عليه ابن عمه عبد الرحمن ابن أبي يفلوسن أن يتولى مراكش بدل سجلماسة، وفعلا تم له الاستيلاء على المدينة وأعمالها، بل انقسم المغرب عندئذ إلى دولتين ؛ عاصمتها فاس ومراكش، وجعل الحد بينهما نهر أم الربيع، وكان ذلك سبباً في نزاع طويل بين الطرفين وحروب مريعة امتدت إلى سنة 784، حيث استطاع السلطان أبو العباس محاصرة عبد الرحمن بقصبتها في مراكش لمدة تسعة أشهر حتى يشق وانفض الناس من حوله، لكنه لم يستسلم بل حث ولديه سليم وأبا عامر على الصمود ومحاربة السلطان أبي العباس ؛ فامتثل الولدان ولم يكن أمامها سوى الدفاع عن أنفسهما لما اقتحم أبو العباس عليهما القصبة، وقد ألبيا البلاء الحسن لكنهما قتلا على يد أحد خدامهم الذي انحاز إلى أبي العباس لما مالت كفة الصراع نحوه، وتخلّى عن ولي نعمته الأمير عبد الرحمن بن أبي

يفلوسن، والقصد هنا إلى الوطاسي زيان بن عمر وفي ذلك يقول ابن خلدون في العبر، 7 : 346.

"وطالما كان زيان يمتري ثدي نعمتهم، ويجر ذيله خيلاء في جاههم، فذهب مثلاً في كفران النعمة وسوء الجزاء..."
توفي عام 807 / 1405.

محمد حجي، ألف سنة من الوفيات ؛ موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996 ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ؛ الجزناني، جني زهرة الآس ؛ ابن خلدون، العبر، دار البيان، بدون تاريخ ؛ ابن مرزوق، المسند الصحيح ؛ ابن الحاج، فيض العباب ؛ الناصري، الاستقصا، ج 3 و4.

H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, 2 t., Casablanca, 1950; Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Paris - Casa 1967.

محمد حجاج الطويل

الوطاسي، عمر بن علي، أحد زعماء أسرة بني الوزير، وهو الذي تولى أبنائه وحفدته الوزارة لدى بني مرين في أواخر دولتهم. وعمر هذا كان من بين المقربين عند السلطان أبي عنان ورافقه في حملته إلى تلمسان سنة 753 / 1352. وعندما تمكن من الاستيلاء على بجاية عقد له على ولايتها، غير أن أهلها ثاروا عليه وقتلوه طعنا بخنجر في ذي الحجة من نفس شهر تعيينه.
ابن خلدون، العبر، ج. 7، بيروت، 2000 ؛ الناصري، الاستقصا، ج. 3، الدار البيضاء، 1954.

الوطاسي، علي بن يوسف، تولى الوزارة لدى السلطان عبد الحق بن أبي سعيد المريني سنة 852 / 1449 بعد وفاة قريبه الوزير أبي زكرياء يحيى بن زيان بن عمر بن علي، فسار سيرة سلفه في الاستبداد إلى أن توفي بتامسنا في خامس رمضان من سنة 863 / 1459، وحمل إلى مدينة فاس ودفن بالقلعة مدفون أسرته من بني الوزير.
ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1974 ؛ درة المجال، ج. 2، القاهرة، 1970 ؛ الناصري، الاستقصا، ج. 4، الدار البيضاء، 1954.

رشيد السلامي

الوطاسي، محمد بن علي، والده هو علي بن يوسف ينتمي إلى بني الوزير من بني وطاس، تولى الوزارة في عهد آخر سلاطين بني مرين عبد الحق 823 - 869 / 1420 - 1465؛ تولاه بعد مقتل الوزير الوطاسي أبي زكريا يحيى عام 852، وقد اشتهر بين الناس بورعه وحسن إدارته، لكنه توفي بعد إحدى عشرة سنة من توليته 863 / 1462. أما ابنه محمد فلم يتول منصباً رسمياً بل كان يسعى إليه مثل بقية بني الوزير، فكان ضمن حاشية الوزير يحيى بن يحيى بن عمر بن زيان الوطاسي الذي قالت عنه المصادر "... كانت ولاية هذا الوزير هي مبدأ الشر ومنتشاً الفتنة..." لكن السلطان المريني عبد الحق أدرك هدف الوطاسيين وتلاعباتهم فانقلب

سوى محمد لخلو وصنوه محمد الشيخ ابن أبي زكريا مؤسس دولة الوطاسيين.

ابن القاضي، درة المجال، ج. 1، 1970؛ الناصري، الاستقصا، ج. 4، الدار البيضاء، 1954.

رشيد السلامي

الوطاسيون، الفرقة الثالثة في الحلف المريني إلى جانب

بني عسكر وبني حمام، ترجع بعض المصادر أصلهم إلى المرابطين، فقد أشار ابن خلدون إلى أن بني الوزير منهم يرون أن نسبهم دخيل في بني مرين، وأضاف أنهم من أعقاب يوسف بن تاشفين لحقوا بالبدو ونزلوا على بني وطاس. ولما دخل بنو مرين إلى المغرب عقب هزيمة الموحدين في معركة العقاب 610 / 1210 كانت منطقة الريف الشرقي من نصيبهم، فكان موطنهم ما بين مدينة مليلية ووادي ملوية، وكانت قاعدتهم بها تازوطا؛ ولعل نزولهم بهذه المنطقة الفقيرة كان السبب في منازعتهم لبني عبد الحق طيلة حكمهم للمغرب، فقد كانت لهم محاولات عديدة للاستيلاء على السلطة، ترجع أولها إلى سنة 646 / 1248؛ لكن فشل تلك المحاولات دفع الوطاسيين إلى الخضوع للأمر الواقع، فحصلوا على امتيازات وإقطاعات واسعة إضافة إلى تقلدهم مناصب إدارية وسياسية عليا في الدولة المرينية مثل الوزارة والحجاية، وكان منهم عمال على الأقاليم والجهات. وبعد وفاة السلطان أبي عنان ودخول الدولة المرينية في طور الضعف استبد وزراؤهم وحجابهم بالحكم واستمروا في ذلك إلى عهد آخر سلاطين بني مرين عبد الحق؛ فقد ضاق باستبداد الحاجب يحيى ابن أبي زكريا فقتله وقتل جميع الوطاسيين المشتبه فيهم. لكن أحد إخوة الحاجب يحيى نجا من المذبحة وهو أبو عبد الله محمد الشيخ بن أبي زكريا مؤسس الدولة الوطاسية التي دام حكمها قرابة التسعين سنة؛ نجح محمد الشيخ في صد هجوم برتغالي على مدينة أصيلا فأكسبه ذلك شعبية عند سكان الهبط ولدى أعيان مدينة فاس والزواوية القادرية، فدخل فاس عام 875. ومن سلاطينهم:

- 1 - محمد الشيخ الوطاسي 875 - 910 / 1471 - 1504. أمضى مدة حكمه في الصراع مع البرتغاليين والمتمردين في أطراف البلاد والسعديين في الجنوب، فالبرتغاليون كانوا قد اكتسحوا معظم الثغور المغربية على المحيط الأطلسي في عهده، والسعديون ظهروا في الجنوب كقوة صاعدة لم يستطع وقف زحفها نحو الشمال، وأهم ما تميز به عهده: استكمال بناء مدينة تطوان، ونهاية إمارة غرناطة ولجوء أبي عبد الله ابن الأحمر أميرها إلى المغرب.
- 2 - محمد بن محمد الشيخ الوطاسي (البرتغالي) 910 - 932 / 1526 - 1554.

اهتم بمصارعة العدو المستولى على مدينتي سبتة وطنجة وعلى أصيلا وبلاد الهبط، فكان القصر الكبير ثغراً بين بلاد المسلمين وبلاد النصارى، فشغله ذلك عن الاهتمام بباقي المغرب، وكان ذلك في صالح السعديين، حاول التصدي

ضدهم؛ فألقى القبض على الوزير يحيى وأخويه وأتباعه ومنهم عمه فارس ابن زيان، وذبحهم جميعاً، وكان من ضمنهم كذلك محمد بن علي الوطاسي، ولم ينج من المذبحة إلا محمد الشيخ الوطاسي ومحمد لخلو أخوا الوزير يحيى، وكان مقتل محمد بن علي الوطاسي عام 865 / 1461 أي بعد مرور قرابة سنة واحدة من تولية يحيى الوزارة والتحاقه بحاشيته.

الناصرى، الاستقصا، ج 3 و4، الدار البيضاء، 1954 - 1955؛ محمد حجي، ألف سنة من الوفيات، الرباط، 1976؛ موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996.

H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, 2 t., Casablanca, 1950; Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Paris - Casa 1967.

محمد حجاج الطويل

الوطاسي، يحيى بن زيان بن عمر بن علي، ينتمي إلى أسرة بني الوزير الوطاسية التي تولي عدد من أفرادها الوزارة واستعملوا في الولايات والأعمال في عهد بني مرين منذ قيام دولتهم. ويعد أبو زكريا هذا واحداً من وزراء بني وطاس الذين استبدوا بالأمر في فترة حكم السلطان عبد الحق بن أبي سعيد آخر ملوك بني مرين. كانت له مساهمات بارزة في مواجهة حركات التمرد التي قامت ضد السلطان، منها غزوته للشاوية سنة 846 / 1443 وكانوا قد ترمدوا على الدولة وعظم خطرهم، فتمكن من قطع دابرهم وتخريب منازلهم. غير أنه قتل سنة 852 / 1449 من طرف عرب أنكاد انتقاماً منه، وحمل جثمانه إلى فاس حيث دفن بمقبرة القلة خارج باب الجيسة.

ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1974؛ درة المجال، ج. 2، القاهرة، 1970؛ الناصري، الاستقصا، ج. 2، الدار البيضاء، 1954؛ حسن الفكيكي، مادة بني الوزير، معلمة المغرب، ج. 5، سلا، 1992.

الوطاسي، يحيى بن يحيى بن زيان بن عمر بن

علي، تولى هو الآخر الوزارة للسلطان عبد الحق بن أبي سعيد المريني مباشرة بعد وفاة سابقه علي بن يوسف الوطاسي سنة 863 / 1459، وهو آخر وزراء بني الوزير الوطاسية الذين تولوا هذا المنصب قبل انقراض دولة بني مرين. كانت مدة ولايته، التي لم تتجاوز السبعين يوماً، مرحلة فاصلة في تطور العلاقات بين بني وطاس والسلطان عبد الحق المريني، ذلك أن أبا زكريا عندما استقل بالوزارة أخذ في الاستبداد وعامل الرعية بالسيف، وعزل القضاة خاصة قاضي فاس الفقيه أبا عبد الله محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودي المعروف بتدبنيه وعدله وعوضه بقاض آخر هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله المكتاسي. فلما وقف السلطان عبد الحق على تجاوزات وزيره وأدرك مخاطر ذلك على سلطانه قام باعتقاله مع ثلثة من شيوخ بني وطاس وقتلهم جميعاً في نفس السنة، أي 863، ولم ينج من هذه المجزرة

ابن عبد الرحمان البقبوي، عروسة المسائل، الرباط، 1963 ؛ الحسن الزوان، وصف إفريقيا، الرباط، 1980 ؛ الفع محمود كعت، تاريخ الفتاش، باريس، 1913 ؛ مصطفى الجنابي، البحر الزخار، الجزائر، 1924 ؛ عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا، الرباط، 1973 ؛ محمد اليفرنى، نزهة الحادي، الطبعة الحجرية والطبعة المحققة ؛ أحمد الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء ؛ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ.

H. Terrasse, *Histoire du Maroc* ; Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*.

محمد حجاج الطويل

الوطني، احميدون بن أحمد فارس، أحد رجال المقاومة

من مواليد سنة 1912 / 1330 بدوار تمسولت بقبيلة مسفيوة. وبعد اشتغاله بالفلاحة وبلوغه سن الرشد لم يجد بدا من شد الرحال إلى الدار البيضاء بسبب حيف الكلاوي، وبها كان قراره حيث امتهن الميكانيك وكهرباء السيارات (شركة الأشعة البيضاء) والتصوير في الصحافة. وعندما برزت فكرة تكوين التنظيم السري كان ضمن المجموعة الأولى من المنخرطين فيه، فكان يمثل قبيلة مسفيوة داخل اتحاد الجنوب الذي أسس سنة 1949 بالدار البيضاء وانضوى تحت لوائه مهاجرون ينتمون إلى أزيد من عشرين قبيلة تابعة إلى إقليمي مراكش وورزازات، حيث كان المستعمر الفرنسي وأذناؤه يمارسون على الوطنيين أشنع أنواع الإهانة والاستعباد.



كان المترجم من المشهود لهم بالوطنية، وكان بيته ملجأ أمنا للمضطهدين، إلا أن شهرته بمصالح الأمن الفرنسية حدت بالمقاومين إلى تجنب إشراكه في العمل السري، نظرا للاعتقال الذي كان يتعرض له تلقائيا عند حدوث كل عملية تكسني صبغة وطنية، وقد احتفظت له ذاكرة المقاومة بأعمال جليلة تتجلى في المساعدة على الإفلات من الشرطة، وفي تركيب معدات جيش التحرير في الصحراء كالراديو وغير ذلك، إلى جانب القيام بتغطية أحداث مرحلة المقاومة.

توفي المترجم يوم الأربعاء 13 مايو سنة 1970 بالدار البيضاء، وحسب ما أعلنته الصحف التي أوردت الخبر، فإن هذه الوفاة كانت نتيجة طلقة نارية أصيب بها احميدون الوطني من طرف شرطي المرور بعد حوار صاحب دار بينهما

للبرتغاليين في المعمورة وأنفا، لكن جيشه انهزم في النهاية وسقط الثغران البحريان في يدهم، وحاول التصدي للسعديين الذين وصلوا إلى مراكش فحاصر المدينة لكنه اضطر إلى تركها والعودة إلى فاس لإخماد تمرد عليه فكان آخر سلطان وطاسي يصل إلى مدينة مراكش.

3 - أبو حسون بن محمد الشيخ 932 / 1526.

هو أخو السلطان محمد الشيخ، تولى طبقاً لنظام ولاية العهد، لكن ابن أخيه أبا العباس أحمد بن محمد (البرتغالي) أزاحه عن العرش وتولى مكانه.

4 - أبو العباس أحمد بن محمد الشيخ 932 - 960 / 1526 - 1554.

حاول أن يوقف زحف السعديين نحو الشمال فلم يوفق رغم عقده معاهدة صلح مع برتغال أسفي وأزمور والجديدة، فوقعت بينه وبينهم عدة معارك أهمها : معركة أنماي في ذي القعدة 935 / 1529 انتهت بإبرام صلح بين الطرفين على أن يتم اقتسام المغرب بينهما : من تادالا إلى سوس للسعديين، ومن تادالا إلى المغرب الأوسط للوطاسيين ؛ ومعركة مشرع بوعقبة على وادي العبيد استغرقت أياماً وانتهت بهزيمة السلطان الوطاسي أمام الأمير السعدي أبي العباس الأعرج صفر 943 / 1537 ومعركة وادي درنة بتادالا انهزم فيها الوطاسيون بقيادة الأمير أبي زكرياء 952 / 1546 ؛ وانتهى الصراع الوطاسي السعدي باستيلاء السلطان السعدي محمد الشيخ على مدينة فاس والقضاء على الوطاسيين.

5 - أبو حسون الوطاسي الثاني بن محمد الشيخ 960 - 961 / 1554 / 1555.

لما استولى السلطان محمد الشيخ السعدي على مدينة فاس فر أبو حسون إلى المغرب الأوسط الذي كان في قبضة الأتراك العثمانيين، فاستنجد بهم وأغراهم على مساعدته في استرجاع ملك آباه فساعدته العثمانيون بجيش كثيف بقيادة صالح رايس دخل به مدينة فاس صفر 961 / 1555 وفر منها إلى مراكش السلطان السعدي الذي قرر العودة لاستئصال أبي حسون صنيعة الأتراك، فوقعت بين الجانبين معركة مسالة قتل فيها أبو حسون ودخل محمد الشيخ مدينة فاس، وبذلك أسدل الستار على دولة بني وطاس التي جاءت إلى حكم المغرب في ظروف صعبة تميزت بالتفكك السياسي والاضطراب الاجتماعي والركود الاقتصادي على المستوى الداخلي ؛ وبظهور قوى جديدة. وأطراف صراع قوية طوقته من جميع الجهات الإسبان والبرتغال من الشمال والغرب والعثمانيون من الشرق، وأصبح مصير البلاد مرهوناً بالصراع بين هذه القوى، فلما صعد الوطاسيون إلى الحكم لم يدركوا هذه التغيرات الداخلية والخارجية فكانت واحدة من أسباب فشلهم، أما الثانية فتعزى إلى تشبثهم بالمفاهيم القديمة في الحكم بالاعتماد على العصبية القبلية التي تم تجاوزها على أرض الواقع بالتفاف السكان بمختلف طبقاتهم حول الشرفاء السعديين.

حول ارتكاب مخالفة، فشيعت جنازته بعد عصر اليوم التالي؛ وإحياء لذكرى الفقيه فقد أطلق اسمه على إحدى ساحات عمالة الفداء درب السلطان.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير؛ جمال واكجو ومصطفى مورو، المقاومة وجيش التحرير بمنطقة مسفيوة فوجج: "آيت أورير وتغدين"، مجلة الذاكرة الوطنية عدد 7، سنة 2005؛ عبد الرحمن الصنهاجي، مذكرات في تاريخ المقاومة وجيش التحرير من سنة 1947 إلى 1956، المحمدية، 1978؛ جريدة العلم، عدد الخميس 14 ماي 1970.

La Vigie Marocaine, jeudi 14 mai 1970.

محمد الفقير

الوظائف السلطانية، عبارة اختلفت دلالتها في

الاصطلاح الجبائي المخزني، حيث استعملت تارة للدلالة على هدايا الأعياد الدينية الثلاثة وهي عيد الفطر وعيد الأضحى وعيد المولد النبوي، وهذا المعنى هو الأكثر تداولاً وشيوعاً في الوثائق المخزنية لمغرب القرن الثالث عشر (19)، وتارة أخرى استعملت للدلالة على فروض وكلف مالية أو عينية كان المخزن يعمد إلى استخلاصها عند الحاجة في إطار نوع من الجباية الاستثنائية تشمل بوجه عام كل بقية الضرائب الأخرى عدا الزكاة والأعشار وهدايا الأعياد والمثونات والصلوات.

والملاحظ أن فرض الوظائف السلطانية من قبل المخزن المركزي أو قواده المحليين لم يكن يخضع لتقنينات أو ضوابط معينة كما كان الحال بالنسبة لبعض الضرائب الدورية الأخرى شرعية كانت أم غير شرعية، وإنما كانت تفرض بحسب ما تقتضيه الحاجة المخزنية إلى الأموال أو غيرها من أوجه التوظيفات والمطالب العينية الأخرى كالحيول والدواب أو غيرها، وذلك دوماً حاجة إلى تقديم مبررات لتسويقها أو إيجاد صيغ تنظيمية مخصصة لتحصيلها. وإذا كان أداء هذه الوظائف قد ارتبط بصفة عامة خلال القرن الثالث عشر (19) بمدى قوة المخزن المركزي وقدرته على حمل مثليه لاستيفانها من القبائل، فإن استخلاصها داخل البوادي المغربية قد عرف تزايداً مستمراً إن كما أو نوعاً كما هو الشأن بالنسبة لباقي الفروض والكلف المخزنية الأخرى، وذلك على إثر ما عرفه المغرب إبان هذه الفترة من تزايد للضغوط الاقتصادية الأجنبية، وتفاقم للديون الخارجية الناجمة عن الغرامة المالية لحرب تطوان، وما سببته من ضائقات مالية خطيرة جعلت المخزن وقواده لا يتورعون في كل مناسبة عن إلزام السكان وعبر أشكال مختلفة بأداء وظائف وتكاليف وتسخيرات لا قبل لهم بها، ساهمت إلى جانب ما كانوا يؤدونه من ضرائب منتظمة في استنزاف موارد عيشهم، وتفجيرهم بشكل جماعي في مناطق عديدة.

ن. هراج التوزاني، الأمناء في المغرب في عهد السلطان مولاي الحسن، 1979، 164 - 165؛ أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، (إبولستان 1850 - 1912)، 1983، 510 - 511؛ الفقيه الإدريسي، الجباية في عهد الدولة السعودية،

ظهر المهرز، فاس، 303 - 317؛ ف. العيساوي، كلف البوادي في القرن التاسع عشر، ندوة، البداية المغربية عبر التاريخ، الرباط، 1999، 133 - 148.

وعزيز، محمد هو أحد القواد الكبار الذين لعبوا أدواراً

محورية في ظل عهد أزمة الثلاثين سنة التي أعقبت وفاة السلطان العلوي المولى إسماعيل باعتباره يومها زعيماً لأقوى وأخطر اتحادية بربرية عرفها مغرب النصف الأول من القرن الثاني عشر (18) وهي اتحادية آيت إدراسن. وتجمع الحوليات الإخبارية في سياق حديثها عن هذا القائد على علو مكانته وشدة صولته ونفاذ كلمته لدى بني قومه من البربر، وعلى جلال قدره وكبير حظوته وموصول خدمته للسلطان المولى عبد الله الذي كان يقول في حقه دائماً: "إنك بمنزلة أبي" كناية عما كان بينهما من صلة ومصافة. إلا أنه وبحكم ما أقدم عليه المولى عبد الله من قتل لجماعة من مجاهدي أهل الريف وأخرى من بني حسن كانتا قد قدمت إليه وهو نازل بقصبة أبي فكران لتقديم هدية له وتهنئته فور عودته من الحوز في ربيع الثاني من سنة 1158، وما خلفته هذه الحادثة المروعة من ذهول واستهجان عارمين بين عموم الناس وخاصتهم، أدى ذلك إلى حدوث نفرة وجفوة في العلاقة بين محمد وعزيز والمولى عبد الله كدرت صفو ما كان بينهما من صلوات وموالات، أسوة بما جرى مع باقي قادة الجند وزعماء القبائل الذين انقبضوا عنه ونفروا من ملاقاته.

وكرر فعل منه على هذا الموقف المتوجس، بادر المولى عبد الله، في محاولة منه لمعاينة آيت إدراسن عما بدر منها، بإطلاق يد العبيد بنهب زروعها في أحواز مكناسة وبدعوة كبيرهم محمد وعزيز بمقابلته في قصبة أبي فكران. غير أن ما حصل بعد هذه المقابلة من معاتبة شديدة لوفد أعيان البربر المرافق لمحمد وعزيز واحتجازه لهم جميعاً بهدف تصفيتهم، جعل هؤلاء، فور إطلاق سراحهم، يحتقون على المولى عبد الله أشد ما يكون الحق ويندفعون للانتقام منه بكل ما يملكون من عدة وعدد. وما قاله هؤلاء الوجهاء البرابرة في هذا الخصوص: "نحن متنا وبعشنا ولا بد لنا من الأخذ بالنار"، وتجسيداً لهذا الموقف، أغارت جموع آيت إدراسن بقضها وقضيضها على المولى عبد الله بقصبة أبي فكران وفتكت بجيوشه وصادرت حلله واضطرت إلى الفرار إلى مكناسة. وقد استغل محمد وعزيز هذه الواقعة وملابسات الغدر والمكيدة التي أحاطت بها فكاتب أهل فاس "يخبرهم بما اتفق له معه (أي مع السلطان) من إخفار ذمته وعزمه على الفتك بإخوانه ويدعوهم مع ذلك إلى أن يكونوا معه يداً واحدة، فأجابوه إلى ذلك ودخلوا في حزب البربر"، كما كاتب بمثل هذا الخطاب أيضاً أهل الغرب فاتحاشوا سراعاً إلى معسكره. ويفعل هذا الموقف الجماعي الناقم اتسعت رقعة الثورة ضد المولى عبد الله وازدادت خطورتها وحدتها أكثر حينما انضم إليها عبيد الديوان وعبيد مكناسة بعدما تهاهي

إلى أسماعهم ما جاء على لسان المولى عبد الله غداة مقابلته لمحمد وعزيز بأبي فكران "أردت أن أقابل هذا التيس الأسود (يعني العبيد) بهذا الكبش الأبيض (يعني البربر) وأستريح من غصة من هلك منهما وأتمسك بالآخر".

ورغم ما لقيه المولى عبد الله من مساندة قوية من قبل أخواله قبائل الودايا، فإن هذه الثورة التي تزعمتها قبائل آيت إدراسن بقيادة محمد وعزيز وما تسببت له فيه من محن وويلات شتى ظل على إثرها طريدا شريدا بين هذا الموقع أو ذاك وبين هذه القصبية أو تلك، لم تتوقف شرارتها حتى بعد وفاة زعيمها محمد وعزيز سنة 1168، إذ استمرت لحين من الزمن إلى أن أدت في نهاية المطاف في ظل ما رافقها طبعاً من اختلالات واضطرابات مسّت كل مظاهر الحياة، إلى تفكك دولته وانهارها إلى غير رجعة.

ع. الرحمن ابن زيدان، الإتحاف، 349، 4 : 459 ؛ أ. القاسم الزياني، البستان الطريف، 319 - 321 - 323 - 328 ؛ أحمد الناصري، الاستقصا، 7 : 171 - 175.

الفتية الإدريسي

آيت وقفا (قبيلة -) يقع موطنها بالجزء الأوسط الغربي من جبال الأطلس الصغير، في مجال يتنوع بين الانبساط والارتفاع يحدها شرقاً، آيت عبد الله أوسعيد، غرباً : إيدوسملا، شمالاً : إينغشان، جنوباً : مجاط والنسبة إلى القبيلة هي الوفاوي. كان للقبيلة شهرة وحضور قديم بالمنطقة، بيد أن أخبارها اندثرت، ويكتنفها كثير من الغموض، ويعتبر "ديوان قبائل سوس" خلال القرن (16)، أقدم إشارة إلى اسمها. وكانت مساهمتها آنذاك في محلة أحمد المنصور 200 سرجة، وأدرجت ضمن نزلة إلغ (دوگادير).

لا نعرف إن كانت القبيلة قد حافظت على نفس المجال الذي تشغله حالياً، لأن ما يتداول أن ترابها عرف تقلصاً كبيراً عما كان عليه في السابق. فكل ما تحتفظ به الذاكرة المحلية، أن علاقتها بمحيطها تميزت بكثير من التوتر خاصة مع قبيلتي إيمجاض وإينغشان. وتبقى بعض القرى المهجورة، آثاراً شاهدة على عنف الصراعات التي قد يكون لها مبررات استراتيجية، تتمثل في مراقبة آيت واقفا لمصرّ أساسي يربط إيدوسملا وإيدوعقيل ببسيط أمانوز. ويبدو أن الجزء الغربي من القبيلة قد تحرر من وصاية قبيلة إيمجاض، بعد أن كان تابعاً لمدة طويلة لآيت موسى المجاطية.

إن ما قد يفهم من كثرة ورود أخبار عن شيوخ (إينفلاس) والقبيلة، أنها كانت تسيّر من طرف مؤسسات من صميم التنظيم القبلي، وكانت بذلك تخضع لنظام إمغارن، ولعل أهمهم : أمغار أحمد أرجدال ومحمد أوسار. نجعل الشيء الكثير عن علاقة آيت وقفا بالمخزن، فالمعلومات المتداولة تنحصر فيما يرد عرضاً في سياق الحديث عن اجتياح القائد المخزني محمد أغناج سنة 1810 للمجال الوفاوي. كما يرد اسم القبيلة كأقصى حد وصله

القائد الحاحي سعيد الكيلولي سنة 1896. وقد انحازت القبيلة سنة 1912 إلى حركة أحمد الهيبية، وساندته على غرار باقي القبائل السوسية الأخرى. كما عاضدت القبائل المجاهدة المتحصنة بمنافذ الأطلس الصغير الغربي، خاصة حوض ويجان حتى حدود 1934. وحسب شهادة Le Chatelier، فإن عدد كواين القبيلة في نهاية القرن 19، بلغ 120 كانوناً، يمثل فيها الذكور ما يقارب 2500 فرد.

ومن المخازن الجمالية (إيگودار) المشهورة بالقبيلة : أسرك، قنروت، تيزي، نتامزوت. ويعتبر سوق الخميس مركز آيت واقفا الرئيسي، ويرجع تأسيسه على ما يبدو إلى سنة 1335 / 1915، ويقال إن هناك سوقاً قديمة في "أغرابو" تسمى الجمعة خربت بسبب حرب بين آيت واقفا وآيت تاگنزا سنة 1280 / 63 - 1864. ومن أهم معالمها العلمية البارزة، مدرسة آيت واقفا العلمية المشهورة بدوار "دوتنروت" تأسست في أوائل القرن (13 هـ) على يد العلامة عبد الله الكرسيفي (ت. 1240 / 24 - 1825). وتخرج بها عدة من علماء سوس. وكانت محطة للعديد من العلماء والفقهاء الذين درسوا بها إلى يومنا هذا، وعددهم ينيف عن 24 أستاذاً.

المختار السوسي، المعسول، ج 3 : التاجي أبو الوفاء يحيى أحمد بن علي، مآثر السلف ومفاخر الخلف، منشورات جمعية إبلغ، 1991.

A. Le Chatelier, *Tribus du Sud marocain*, Paris, E. Leroux, 1891, p. 64.

أحمد بومزكو

الوفاوي (الحاج -) مسعود أحد مفاخر إلغ، وأحد أعلام التدريس والعلم بسوس، ولد عام 1295 بقرية دوتنروت بآيت واقفاً. حفظ القرآن على عدد من الأساتذة، منهم محمد المافاماني، ومسعود الرسموكي، ومحمد غودرار... بعد حفظ القرآن افتتح العلوم مبكراً على يد أبي العباس الجشتمي، ثم جلس إلى الفقيه علي الأسكاري بمدرسة تاهالا، ثم العربي الساموگني بالمدرسة الإغشانية، ثم التحق بالمدرسة الإلغية ليأخذ عن أبي الحسن الإلغي، وأبي القاسم التاجر موني. كما أخذ، لفترة، بخارج سوس عن الحاج علي الوريكي بمدرسة أخليج بأوريكة. وأثناء مجاورته بالحرمين أخذ عن الشيخ شعيب الدكالي وكذا عن البرزنجي. وذلك سنة 1325.

في الشروط : شارط لفترة قصيرة بتازنتوت بإداوتنان، ومنها صاحبه صديقه الحسن البعقيلي إلى بوأبوض التي شارط فيها لدى القائد عبد المالك المتوكي. كما شارط بمدرسة إكوتكا بشتوكة، ثم بآيت باها بمسگينة.

استقر به المقام بمدرسة إغلان بمسگينة، فعملها بالعلم والتعليم، والجد والاجتهاد، وحولها من مدرسة قرآنية إلى مدرسة علمية بلغت في عهده منزلة سامقة بين المدارس السوسية. وقد بقي في هذه المدرسة ولم يغادرها إلا مضطراً لما خاف بطش القائد محمد بن الحسن الكسيمي الذي هاجم

دار الفقيه في غيبته، فرحل إلى إداوتنان فحاحاً ثم استقر بمدينة الصورة يدرس فيها بالجامع الكبير. وفي هذه الرحلة التقى مع الفقيه الحاج محمد كويرخس، وهذا الفقيه هو السبب في توجه المترجم لاحقاً إلى الحج.

ولما عزل القائد الكسيمي رجع الفقيه إلى إغلان فلأها من جديد بالعلوم والمعارف، فتقاطر عليها الطلبة من الأغوار والأنجاد، ووجدوا فيه معيناً علمياً لا ينضب، وكرماً زائداً، وحدياً وعطفاً على الطلبة ولا سيما الضعفاء منهم. وقد كان ماهراً في التدريس، يعرف كيف يوصل المعلومات إلى الطلبة، ويراعي مستواهم العقلي والدراسي. وقد أثنى على طريقتة في التدريس كل الذين مروا أمامه، ومنهم أحمد الغالب السريغيني الذي قال عن دروسه: "كانت هذه الدروس عبارة عن محاضرات شاملة ومفيدة، تشوق الأسماع، وتلفت الانتباه للاستفادة منها نظراً لما كان يمتاز به، من حسن الإلقاء، وتدقيق الشرح، ومشاركة على التعليم في جميع الفصول... واستعمال الطرق المفيدة في التبليغ والإلقاء الجيد".

ولما زار السلطان محمد الخامس مدينة أكادير سنة 1944 هياً باشا أكادير للفقيه فرصة لقاء السلطان، فلقبه، وقدم بين يديه قصيدة مدحية مطلعها:

فعدراً أمير المؤمنين فإني كبرت، وشعري عن حلى الشعر عاطل
طريقته الصوفية: انخرط الفقيه في الطريقة الأحمدية
التجانية على يد الحسن كاسقأل لما التقى به في إسقأل
بإداوتنان، فأعجب بسلوكه وأخلاقه ومظهره، ثم جدد
انخراطه على يد شيخه علي بن عبد الله الإلغي الذي أعطاه
الورد، وأذن له في التقديم. ورغم كونه منخرطاً في الطريقة
ومقدماً فيها، فإنه لم يكن من المغالين فيها، بل إنه ينكر
على هؤلاء المغالين مغالاتهم، وينهاهم عن التشدد، كما كان
يفعل مع صديقه الحسن البعقيلي صاحب التأليف حول
الطريقة. ونظراً لهذا الموقف، لم يكن له سوى عدد قليل من
المريدين، لأنه لم يكن يعطي الورد للعوام، بل لبعض الطلبة
الذين يحس فيهم برغبة شديدة في معرفة الله، أما سواهم
فيوصيهم ويحثهم على طلب العلم والانصراف إلى تحصيله.

آثاره: لم تنصرف همة الحاج مسعود إلى غير التدريس
ويث العلم في صدور الرجال، ولهذا لم يترك وراءه أي مؤلف،
وإنما ترك العشرات والعشرات من العلماء الذين ذاع صيتهم
في سوس وخارجها، منهم من التحق بربه، ومنهم بقية
مازالت على قيد الحياة (عام 2001) وكلهم يشهدون
لشيخهم بالمكانة الراسخة في العلم، وبالجد والمثابرة في
التدريس الذي قضى فيه ما يقارب أربعين سنة، وبسعة
الحفظ واستحضار الشواهد، وكان من بين محفوظاته ديوان
ابن الفارض.

وقد ذكر محمد المختار السوسي من تلامذته 46
بأسماهم، وعلق رشيد المصلوت على هذا العدد بقوله: "ولا
أظن أنه بلغ عشر معشارهم"، منهم القضاة والأساتذة

والمحامون والعدول... ومن هؤلاء القاضي رشيد المصلوت
صاحب التأليف العديدة، وأحمد الغالب السريغيني العضو
بالمجلس العلمي الأعلى، والقاضي أحمد توفيق الوقاوي،
ومنهم الشاعر والمقاوم أحمد بن زكريا السكال...

وقد كان من عادة المترجم أن يجتمع بكل طلبته القدماء
والجدد يوم عاشوراء من كل سنة، يأتون إليه أينما كانوا
لربط الصلة وتجديد العهد. وقد شاء قدر الله أن يموت ليلة
العاشر من محرم، وأن يحضر طلبته دفنه. وقد بقيت أسرة
الفقيه من بعده محافظة على هذه العادة، فيكون يوم
عاشوراء من كل سنة موسماً يلتقي فيه من بقي من تلاميذ
الفقيه، وأبناء من توفي منهم للترحم على شيخهم.

ورغم انصراف الفقيه كلية إلى التدريس، فقد كان
شيطان الشعر يطوف به بين الفينة والأخرى، فينطلق لسانه
ببعض المقطوعات والقصائد كتلك التي مدح بها محمد
الخامس، وتلك التي كتبها إلى شيخه الإلغي ومطلعها:

الشعر أسنى مباحج الانسان فاسعوا إليه معاشر الشبان

وإلى جانب هذه الأشعار القليلة، خلف الفقيه عديداً من
الرسائل التي كان يرسلها إلى طلبته وشيوخه ومعارفه، وهي
تتفاوت من حيث القيمة الأدبية حسب المرسل إليه. وقد أورد
منها محمد المختار السوسي ورشيد المصلوت عدداً لا بأس
به، إضافة إلى تلك الواردة في بحث "مدرسة إغلان
وفقيها الحاج مسعود الوقاوي".

توفي بمرض ألزمه الفراش، ولم يلبث أن التحق بربه ليلة
10 محرم (عاشوراء) 1366. ووفاته انطفأ نجم ساطع من
سماء العلم بسوس.

المسول، ج 3؛ رشيد المصلوت، الفهرس العلمي؛ مدرسة إغلان
وفقيها الحاج مسعود الوقاوي، بحث الإجازة؛ منجزات جمعية
علماء سوس، ج 4.

محمد الحاقمي

وقاريط (ابن -) عمر الدهسكوري، شيخ الهساكرة
ومن أدهى رجالاتهم في عصر الموحدين. أعقد عليه ابن
عذاري أوصافاً تؤكد دهاءه ومكره، من ذلك أنه "شيخ
الضلال، ورأس الفجور والضلال، المتفتن في الفتن، الناشئ
في المكاييد على قديم الزمن".

بزغ نجمه أثناء الصراع الدموي الذي احتدم بين أمراء
الموحدين خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري.
فعندما تسلم الخليفة الرشيد مقاليد الحكم بمراكش سنة 630/
1232 لقي معارضة قوية من طرف أمراء آخرين خاصة يحيى
بن الناصر الملقب بالمعتصم بدين الله، وأيده في ذلك ابن
وقاريط المتطلع إلى دواليب المخزن، فاستنفر لذلك قبيلة
هسكورة ومزالة وجلالة ليقصد بها مراكش. غير أن جيش
الرشيد بادر إلى حصار ابن وقاريط وهو لا يزال بجبل
المسامدة وهزمه، وفر هو ومن معه نحو بلاد القبلة سنة
631/1233.

وفي سنة 632 / 1234 قرر يحيى بن الناصر إعادة الكرة في محاربة الخليفة الرشيد، فأعد لذلك العدة، وسعى قائده ابن وقاريط إلى تكوين حلف متين من هسكورة وعرب الخلط الذين كانوا ينتظرون مثل هذه الفرصة للثأر من الخليفة في مقتل شيخهم مسعود. فاستغل ابن وقاريط بدوره هذه المناسبة بحكنته ودهائه المعهودين، فسار على هواهم وفي نيته تحقيق أغراضه، فهاجموا العاصمة بحشودهم وحاصروها مدة، وشرعوا في تدمير ما حولها من البحائر. وخرج إليهم الرشيد في نفر من جند النصارى ليلتقي الطرفان بالقرب من قنطرة تانسيفت خارج مراكش، فانهزم جيش النصارى وفر الخليفة وكبار دولته نحو جبال المصامدة ثم منها إلى سلجماسة. في حين تمكن الأمير يحيى بن الناصر وقائده ابن وقاريط وعرب الخلط من الدخول إلى المدينة، وأخذ القائد في إظهار أطماعه السياسية من خلال توجيه رجاله إلى كل جهة لأخذ الأموال والاستيلاء على البلاد والقبائل. وفي سنة 633 / 1235 خرج الخليفة الرشيد من سلجماسة في طلب ملكه ومحاربة المتمردين عليه، فكانت المواجهة بينه وبين يحيى بن الناصر وابن وقاريط بمكان من وادي أم الربيع اسمه أو جذام (أو أمجدام)، فانتهت الحرب بينهما بهزيمة يحيى ومن معه، وفر ابن وقاريط إلى الأندلس حيث اعتقل هناك سنة 635 / 1337 بتحريض من أهلها، فحمل إلى إشبيلية ومنها إلى أزموور ليسجن مع بعض أشياخ الموحدين، ثم أمر بحمل ابن وقاريط على جمل ومعه رؤوس الأشياخ الذين أعدموا بأزموور، وأوتي بالجميع إلى مراكش على هذه الحالة. وعندما وصل إليها بقي ساعة بخارجها والناس ينظرون إليه، ويصبون اللعنة عليه، ثم أدخل إلى السجن فيقي به أياما إلى أن قرر الرشيد قتله وتعليقه على باب الشريعة أحد أبواب مراكش سنة 635 / 1337.

ابن عذاري، البيان المغرب، بيروت، 1985 : ابن خلدون، العبر، ج. 6، بيروت، 2000.

رشيد السلامي

الوقف : له معنيان، فهو لغة مصدر للفعل وقف، ويدل على معاني كثيرة منها الحبس والمنع والاطلاع وغير ذلك، وهو اصطلاحا في قول ابن عرفة : "إعطاء منفعة شيء ما مدة وجوده لازما بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديرا". وجاء عند الشيخ أبي زهرة أن الوقف يعني : "حبس العين وتسبيل ثمرتها أو حبس عين للتصدق بمنفعتها". فالوقف التزام بالتبرع يترتب عليه قطع التصرف بالعين الموقوفة على التداول وصراف المنفعة بصفة دائمة إلى الجهات التي حددها الواقف. وهو مرتبط بالأموال العينية، علما بأن بعض الفقهاء أجازوا تحبيس الأموال والحيوان وكل ما له علاقة بفعل الخير لحصول المنفعة على الدوام لفائدة الموقوف عليهم سواء كانوا أشخاصا أم مؤسسات لها طابع ديني أو اجتماعي. وتجدر الإشارة إلى أن كتب المالكية اصطلحت كلمة الحبس، بضم الحاء وسكون الباء، بدل كلمة الوقف، ولا فرق في اللغة بين اللفظين.

وقد اتفق على تقسيم الوقف إلى قسمين، الوقف العمومي، ويشمل المؤسسات الوقفية الاجتماعية والثقافية والدينية وما يوقف لفائدتها من أملاك وعقارات، والوقف المعقب، ويعرفه المشاركة بالوقف الذري أو الأهلي أو الخاص، ويعني الأملاك الموقوفة على أشخاص معينين من صلب المحبس غالبا، ويهدف إلى تأمين مورد ثابت للمحبس عليهم صيانة لهم من الفاقة والعوز في مستقبل أيامهم، إلى جانب أهداف أخرى لا يتسع المجال لتوضيحها.

وعند حديثنا عن الوقف في المغرب، نقف على ظاهرة تشير الانتباه، وهي قلة المعلومات عن المؤسسات والأعيان الوقفية. وما يقال عنها في كتب التاريخ يأتي على شكل شذرات تختفي بين السطور، ولا تمكن من تتبع تطور الوقف واستقراء تنظيماته في عهد كل الدول التي تعاقبت على دست الحكم، خاصة في العهود التي سبقت قيام الدولة المرينية. وبناء على ذلك نميز في تاريخ الوقف بالمغرب بين أربع مراحل، أولاها تمتد من الفتح الإسلامي وتنتهي بقيام الدولة المرينية، والثانية تمتد من عهد هذه الدولة إلى قيام الدولة العلوية، والثالثة تشمل الدولة العلوية حتى فرض الحماية الأجنبية، والرابعة تشمل فترة الحماية وما تلاها من عهد الاستقلال المسترجع. وفي هذه المراحل كلها نلمس غلبة الوقف العمومي وندرة الوقف المعقب وتذبذب مسيرة المؤسسة بين الازدهار والتراجع وارتباط ذلك بقوة المخزن وضعفه.

وإذا كان من الصعب جدا، إن لم يكن من المستحيل، ضبط تاريخ أول وقف في المغرب، فمما لا شك فيه أن ذلك قد ارتبط بانتشار الدعوة الإسلامية في البلاد وتسايق الأمراء وغير الأمراء إلى بناء المساجد ووقف الأموال عليها لصيانتها. وقد يكون أول واقف هو عقبة بن نافع إذ كان أول من بنى مسجدا في المغرب. وفي عهد الأدارسة ركزت المصادر على مدينة فاس وتتبع العمارة فيها، خاصة ما تم إنشاؤه من مؤسسات وقفية وما حبس عليها من الرباع. ويؤكد ابن ببي زرع حرص الأمراء الزناتيين على تعمير المدينة وبناء المساجد بها. وكانت الفنادق والحمامات وقفا على تلك المساجد، خاصة جامع القرويين. كما شملت الأوقاف عددا من الأدوات وتجهيزات مثل الثريات والمنابر والحصر وغيرها. وامتد ذلك إلى باقي حواضر البلاد مثل نكور وسجلماسة والبصرة وگراوة وقلعة النسر وأصيلا ووجدة وطنجة وسبتة، وإلى الرباطات التي انتشرت هنا وهناك مثل أزموور وأغمات وأگلو بسوس. وفي العهد المرابطي اقتضت المؤسسات الوقفية على المساجد وبعض الكتاتيب والمكتبات في مراكش خاصة، وفي فاس ومكناس وسبتة بشكل محدود. لكنها تنوعت في العهد الموحي لتشكل مؤسسات دينية وثقافية وصحية وإحسانية وخاصة في عهد يعقوب المنصور (580 - 595 / 1184 - 1198)، "فلم يكن هناك دكان أو فندق أو معمل لا ترجع فائدته كلا أو بعضا إلى الأوقاف"، على ما جاء في الرواية التاريخية. وانفرد الموحدون بتنظيم قراءة

حزب القرآن بعد صلاة الصبح والمغرب وحسبوا لفائدتها. كما تكاثرت في عهدهم دور الوضوء والسقايات والحمامات والمارستانات التي كانت قائمة من ريع الأوقاف.

وتشمل المرحلة الثانية من تاريخ الأوقاف في المغرب الفترة الممتدة من الدولة المرينية إلى قيام الدولة العلوية. فقد ازدهرت المؤسسة أيما ازدهار في العصر الأول من هذه الدولة الذي انتهى بوفاة السلطان أبي عنان (759 / 1357) فتنوعت الأوقاف وتوسعت في مجال الرعاية الصحية والإسعاف الاجتماعي، إذ شيدت المارستانات في كبريات المدن، والمنازل لإيواء المسافرين وعابري السبيل وذوي الحاجة والتجار الجوالين، ودور خاصة بتعريس المكفوفين والمساكين وإيواء الشريقات الفقيرات والعجزة، وذلك في فاس ومكناس وتازة ومراكش. ولم ينس من ذلك الرفق بالحيوان، فمقد اعتنى الوقف بعلاج اللقالق. واعتنى بإقامة الحفلات الموسيقية لمرضى سيدي فرج بفاس وهو مارستان المجانين. وأوقف المرينيون الأوقاف على الحرمين الشريفين، وأيضاً على المجاهدين وحراس الثغور ومن أجل افتكاك الأسرى. واعتنوا بإنارة الأزقة وبصيانة مجاري الماء في المدن وفي المساجد. وقد حاز السلطان أبو الحسن قصب السبق في بناء السقايات. مما يتبين منه الدور الذي قام به الوقف في المجتمع المغربي في شتى المجالات، والأموال الطائلة التي كانت تصرف في ذلك بانتظام وصدق وحسن مراقبة. وكان ذلك علامة على نهضة الأوقاف في ذلك العصر وعلى حسن سيرها، إذ كانت أول الأمر تدار بناء على ما يشترطه الواقف من الشروط فلا يتدخل فيها إلا القضاة دون الأمراء. حتى إذا تكاثرت وتوسعت، صار من الضروري تعيين ناظر لكل وقف يساعده قباض وكتاب، واستحدث المرينيون لضبط رباغ الوقف نظام الحوالات الوقفية، وهي دفاتر تسجل فيها أملاك الأوقاف العقارية ومستفاداتها وصوائرها. مما نتج عنه مع مرور العصور ركام من الأحكام والفتاوى صارت هي المرجعية الفقهية في الوقف، وجاء جلهما مذكوراً في المجلد السابع من معيار الونشريسي. وتحتل فيها أساليب استغلال الأعيان الوقفية حيزاً هاماً إذ اتخذت عمليات الاستغلال أساساً وأشكالاً أبرزها الجلسة والجزاء وما يتفرع من ذلك من المنافع. بيد أن كل ذلك دخله الخلل والتبذير في العصر المريني الأخير نظراً للاضطرابات التي تلت وفاة أبي عنان ونظراً للأزمة العارمة التي وقعت فيها البلاد في القرن 8 / 15. ولم يستطع بنو وطاس تدارك الأمر، إلا ما كان من مبادرات بعض أمرائهم المتناثرة، أو مبادرات بعض الأمراء المستقلين بحكمهم مثل بني راشد في شفشاون والمناظرة في تطوان وبعض المحسنين في سوس. وحاولت الدولة السعدية النهوض بالمؤسسة، وخاصة في سوس وفي المناطق التي انطلق منها سلطانهم. وقد اعتنوا بالمساجد والمكتبات. وبنى المنصور الذهبي، أكبر ملوكهم، مكتبة القرويين وأقام مكتبة في مراكش انبهر بها أحمد بابا التنبوكتي. ولكن سرعان ما

ضاع جل ذلك جراء تسرب الخلل إلى قلب الدولة السعدية في مطلع القرن 11 / 17.

ولذلك بادر ملوك الدولة العلوية بمجرد ما مسكوا بزمام السلطان إلى تدارك الأوضاع الوقفية، وذلك إيماناً منهم بقديستها وحرمتها، فهي تراث خالص للمسلمين تركه السلف الصالح ضماناً لاستمرار تعاليم الإسلام وحفاظاً له مما قد يهدده من المخاطر، ووعياً منهم بدوره وأثره في مسيرة المجتمع، وتقديراً لمسئولياتهم بصفتهم أمراء المؤمنين والرؤساء الأعلين لجماعة المسلمين. وبدأت الإصلاحات الأولى مع المولى إسماعيل الذي أمر بإحصاء عام لأملاك الأوقاف على اختلاف أنواعها، ويتدوينها في سجلات رسمية تكون وثائق تاريخية وقانونية بيد الأجيال المتعاقبة، تضبط المستفادات العينية والتقديدية والصوائر ومصالح المنتفعين. وتلك هي الحوالات الحبسية (راجع مادة "حوالة" في هذه المعلمة). وأدخل النظام على هيئة النظار الذين جعل المولى إسماعيل على رأسهم نظارة علياً هي نظارة الإيالة الشريفة، مستنداً إلى المكلف بها "النظر العام المطلق الشامل التام [...] في سائر أوقافه على اختلاف أنواعها". وكان هذا الناظر وأعوانه في الأقاليم من ذوي التبحر في الفقه وعن يحفظون بثقة السلطان. وتزامن ذلك مع عصر تكاثرت فيه العلماء المشاركون والمبرزون في العلوم الدينية الذين استطاعوا تدوين التشريعات الوقفية مثلما فعل عبد الرحمان الفاسي في مؤلفه عن العمل الفاسي الذي صار هو المرجع الفقهي بشأن الوقف إلى عهد الحماية. وبذلك تكاثرت الأوقاف وضبطت أموراً أكثر من أي وقت مضى. وسار سيدي محمد بن عبد الله على هذا الدرب أيضاً فشيّد العديد من المؤسسات الوقفية في كل المدن، وكذلك حفيده المولى عبد الرحمان بن هشام الذي جعل حداً لما كان قد تفتشى من معاوضة أملاك الأعباس بغيرها فمنع المعاوضات منعا كلياً. وأكد ذلك ولده وخلفه سيدي محمد بن عبد الرحمان بظهير 4 صفر 1279 / 4 غشت 1862 الموجه إلى المندوب السلطاني في طنجة. وكان ذلك ضرورياً في زمن صارت فيه الأطماع الاستعمارية تتفاقم سعياً في استغلال خيرات البلاد. وصارت الأملاك الوقفية معرضة لكل أنواع التلاعب والتناول، بدليل ما تقدم به سفير فرنسا سنة 1905 للمولى عبد العزيز من اقتراح بإعادة النظر في تنظيم الأوقاف، ورفض ذلك مجلس الأعيان بعد استشارته من قبل السلطان، وبدليل حرص الوفد المغربي على أن تصان حرمة الأوقاف المغربية في المادة 63 من مقررات الجزيرة الخضراء (أبريل 1906).

وتضمنت معاهدة الحماية في فصلها الأول مبدأ يقضي باحترام المؤسسات الدينية والأعباس الإسلامية. إلا أن ذلك لم يحترم، فقد تدخلت الإدارة الفرنسية بقوة في شؤون الوقف فاستصدرت عدة ظهائر تنظيمية وأنشأت الوزارة الحبسية كما أنشأت إدارة تابعة لإدارة الحماية لمراقبة الأوقاف وتنبع

سيرها. وإذا كان لتلك التقنيات نتائج إيجابية فإنها من ناحية أخرى أفقدت مؤسسة الوقف الكثير من صلاحياتها، ويسبب ذلك وسبب ما وقع من تعدد على أملاك الوقف لصالح المستعمر ولقدسية الوقف عند المغاربة نشب صراع بين الوطنيين وإدارة الحماية.

وقد بذل المخزن بعد حصول المغرب على الاستقلال محاولات جادة أدت إلى النهوض بالوقف وتوسيع صلاحياته وأملكه خاصة في المجال العقاري. وبذلت مؤخرًا منذ نهاية 2002 جهود كبيرة لإدخال تغييرات هامة على هياكل الوقف تمكنه من مواجهة الصراعات الحضارية من جهة والقيام بمهامه الدينية من جهة ثانية والحفاظ عليه من جهة ثالثة.

الحوالات الحيسية، مصلحة الوثائق، الخزانة العامة، الرباط؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1979، ص. 68؛ محمد ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، تح. ج. كولان وليفي بروفنسال، ط 2، بيروت، 1980، ص. 37؛ علي الجزنائي، جنى زهرة الآس، الرباط، 1967، ص. 25؛ ألفريد (بل)، الفرق الإسلامية، تر. عبد الرحمن بدوي، بيروت، 1981، ص. 253؛ الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1980، ج 1، ص. 178-180؛ مجهول، الذخيرة السننية، الرباط، 1972؛ علي الماوردي، الأحكام السلطانية، بيروت، 1978، ص. 70.

Joseph Luccioni, *Les fondations pieuses "Habous" au Maroc*, Rabat, 1982 ; Les bibliothèques Habous au Maroc B.E.S.M., septembre 1955 ; Louis Millot, *Démembrements du habous*, Paris, 1918 ; A. Pérétié, *Les médersas de Fès*, Archives Marocaines, vol. XVIII ; Pesle O, *La théorie et la pratique des habous dans la rite malekite*, Casablanca, 1941.

رقية بلقلم

وقف القرآن، تجمع مجمل تعريفات الوقف من الناحية

الشرعية على أنه "التزام بالتبرع، يترتب عنه قطع التصرف بالعين الموقوفة عن التداول، وصرف المنفعة بصفة دائمة ومستمرة إلى الجهات التي حددها الواقف". وتشمل أنواع الوقف كل ما يحصل به فعل الخير، وتحقق به وجوه المنفعة من عقارات ومنقولات بكيفية دائمة متصلة لصالح شخص أو جماعة أو مؤسسة ذات نفع عمومي. ولعل أبرز أنواع هذه الموقوفات التي عرفها تاريخ الوقف المغربي وساهمت فيها مؤسسات الدولة الرسمية إلى جانب أهل البر والإحسان من السواد الأعظم للأمة هي وقف القرآن.

فما لاشك فيه أن هذه الظاهرة تمثل تقليدا من التقاليد الدينية العربية في تاريخ المجتمع المغربي، غير أن معرفة أصولها وتحديد بدايات نشأتها ومحطات تطورها تبقى أمرا في غاية الصعوبة، لأن المصادر التاريخية التي تناولت هذا الصنف من الوقف عبر امتدادات الزمن التاريخي لا تعطي سوى إلماعات وإشارات محدودة ومجزأة في أحسن الأحوال. لذلك فإن أهم ما هو متوافر من إفادات في هذا الإطار يؤكد أن هذا النوع من الوقف كان يشمل في الأغلب الأعم الخزانة والمكتبات التي كان ينشئها الملوك برسم بعض الجوامع

والمساجد العامرة، أو برسم بعض الزوايا والربط الدينية حيث يجسسون عليها أصنافا مختارة من عيون المصنفات والمؤلفات في العلوم الدينية والشرعية لتعم بها المنفعة جمهور الطلبة والتلاميذ وغيرهم من القراء المترددين عليها. كما كان يشمل أيضا توقيف مصاحف وربعات قرآنية على الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى بالقدس.

ومن الأمثلة الدالة والمشهورة على وقف المصاحف وتأسيس خزائن برسمها في تاريخ المؤسسة الوقفية بالمغرب نجد على سبيل المثال لا الحصر خزانة المصاحف الموقوفة بجامع السقاية بمراكش الذي أنشأها الخليفة الموحي عمر المرتضى، ثم خزانة المصاحف التي أنشأها السلطان أبو عنان المريني قبلة صدر جامع القرويين بفاس حتى يتيح للناس قراءة القرآن بسهولة ويسر بحسب الأوقات واللحظات التي تناسبهم. وللإحاطة بهذا النوع من الوقف وطريقة تنظيمه والغرض الذي أسس من أجله يورد صاحب جنى زهرة الآس وهو يتحدث عن خزانة المصاحف البوعنانية بجامع القرويين بفاس وصفا بالغ الدلالة إذ يقول: "وأما خزانة المصاحف التي جعلها مولانا المتوكل أبو عنان في قبلة صدر هذا الجامع، فإنه صنعها لما سهل على الناس من تلاوة القرآن في الوقت المتخير من الأزمان، بأن أعد فيها جملة كثيرة من المصاحف الحسنة المخطوط البهية، الجميلة السننية، وأباحها لمن أراد القراءة فيها، بعد أن كتب على كل جزء منها بخط يده بتوقيفها مدى الأعوام والليالي والأيام، وعين لها من ينفرد بإخراجها من هذه الخزانة وإبرازها، وردها لصيانتها في موضعها وإحرازها، وذلك عند الفراغ من حاجات الناس إليها، فلا يبدل ذلك ولا يغير إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأجرى له جارية، وأوسع كرامة ورعاية، وتم عملها في شهر شوال سنة خمسين وسبعمئة".

وقد وازى هذا النوع من الوقف وقف مصحفي آخر كانت محط رحاله هذه المرة ديار المشرق في الحرمين الشريفين والحرم القدسي. ومن الأمثلة التي تتحدث عنها كتابات المؤرخين قدامى ومحدثين في هذا السياق، وتورد بشأنها تفاصيل ضافية نذكر الربعة القرآنية التي بعثها السلطان المريني يوسف بن يعقوب إلى الحرم المكي صحبة ركب الحاج المغربي لسنة 703. وهي ربعة قال بشأنها ابن خلدون: "... فأمر (أي يوسف بن يعقوب) بانتساخ مصحف رائق الصنعة، كتبه ونمقه أحمد بن الحسن الكاتب المحسن، واستوسع في جرمه، وعمل غشاه من بديع الصنعة، واستكثر فيه من مغالِق الذهب المنظم بخرزات الدرر والياقوت، وجعلت منها حصة وسط المغلق تفوق الحصيات مقدارًا وشكلا حسنا، واستكثر من الأصونة عليه". على أن الربعة التي أرسلها السلطان أبو الحسن المريني إلى المسجد النبوي رفقة ركب الحاج المغربي لسنة 738 كانت من أهم ما عرفه تاريخ الوقف المصحفي المغربي بالمشرق، لأنه، من جهة، انتسخ هذه الربعة بخط يده وجمع لها "الوراقين لتتميقها وتذهيبها، والقراء لضبطها

وتهديبها"، ومن جهة أخرى، لأنه بعثها من ضمن مركب مهيب ضم إلى جانب الأميرة المرينية حظية والده ومريسته الحرة مريم، وفدا رفيع المستوى ضم إلى جانب علية القوم من العرب وبني مرين، العلماء ورجال الصلاح، فضلا عن هدايا سنينة وجهها أبو الحسن بالمناسبة إلى ملك مصر الناصر بن قلاوون والحرمين المنيفين اشتملت من بين ما اشتملت على مبلغ 16.500 دينار ذهبي منحها للأميرة المرينية" برسم شراء الرباع بالمدينة المنورة، لتكون وقفا مؤيدا على القراء في الربعة الكريمة، وعلى غيرهم من المالكية". وقد أعقب هذا الوقف مبادرتان أخريان قام بهما السلطان أبو الحسن في نفس الاتجاه كذلك، حيث أرسل مصحفين أكرميين خطهما يخط يده على نفس هيئة المصحف الأول المشار إليه آنفا، تنميكا وتذهيبا، ضبطا وتهذيبا، فكان أن وجه الثاني منهما إلى المدينة المنورة رفقة ركب الحجيج لسنة 740، بينما أرسل الثالث إلى مكة المنورة صحبة ركب الحاج لعام 745، واشترى لهما رباعا" توقف عليهما، ورسم المراسيم بمسامحتهما على وجه التأييد، فجزت أحوال القراء فيهما بذلك الخراج المستفاد". وفي سنة 747 انتسخ هذا السلطان مصحفا آخر بيده وبعثه هذه المرة إلى بيت المقدس وأوقف عليه أوقافا وحبس عليه أملاكا شملت عقارات وحوانيت ودورا وحماما وغيرها، وكلف قراء مالكيين من حفظة القرآن لقراءته صباح كل يوم، فضلا عن خادمين مسلمين أجرى لهما جرايات كل حسب موقعه ومهمته.

وقد تكررت مثل هذه المبادرات الوقفية في فترات تاريخية أخرى وربما بصورة أكثر وقعا وتأثيرا استجابة لروح الصلات الدينية والعقدية الوثيقة التي ظلت تجمع على مر التاريخ سكان المغرب ملوكا ورعايا بالبقاع المقدسة بالشرق الإسلامي، كما حصل في العصر العلوي على عهد السلطان عبد الله بن إسماعيل الذي بعث عام 1155 رفقة الركب المغربي المتجه إلى الحرمين الشريفين "ثلاثة وعشرين مصحفا بين كبير وصغير محلاة بالذهب مرصعة بالدر والياقوت، ومن جملتها المصحف الكبير العقباني الذي كان الملوك المغاربة يتوارثونه بعد المصحف العثماني".

أحمد الناصري، الاستقصا، ج 7، 1956؛ الزباني، البستان الزريف، 1992؛ ع. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، 1416 / 1996؛ م. المنوني، قبس من عطاء المخطوط المغربي، م 1، 1999؛ رقية بلمقدم، أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل، ج 1، 1413 / 1993؛ محمد بن عبد الله، الوقف في الفكر الإسلامي، ج 1، 2، 1416 / 1996؛ عبد السلام الكونوني، المدرسة القرآنية في المغرب، 1401 / 1981.

الفقيه الإدريسي

وقادة، محمد من مشهور المسمعين المادحين بالمغرب في القرن العشرين. ولد بمكناس، ونشأ بها، وتولع منذ شبابه بالسماع، فانتضى إلى الطريقة العلمية وأصبح من رواد زاويتها. بلغ شأوا بعيداً في إنشاد المواويل والبيتينات،

وتحكم في طبع "الآلة الأندلسية"، فطارت شهرته في أنحاء المغرب. استقدمه السلطان المولى يوسف في الثلاثينات إلى الرباط، فضمه إلى المجموعة الفنية التابعة للقصر الملكي، وأسكنه منزلا بالمشور السعيد. ومنذ أن استقر وقادة بالعاصمة أصبح من ملازمي الزاوية الحراقية.

وقد كان جيد الأداء، رائق الصوت، تخالط صوته غنة أنفية تزيده حسنا وعذوية. توفي حوالي عام 1954.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الوقواق ، كما في المعاجم جنس من الطيور البرية

متوسط القد على قدر الحمام، جميل المنظر، كثير الصوت، ومن أسمائه في المغرب أيضا طكوك، ويدعى في سوريا والعراق قيقب وقيقوبة، وفي لبنان ومصر والخليج وشمال إفريقيا وقواق ووقوق. نوعان يعيشان في المغرب :

- الوقواق المنقط أو المبقع يسمى علميا Clamator glan- diarius وبالفرنسية Coucou geai وبالإنجليزية Great spotted cuckoo يتميز بذيل طويل ويبلغ طوله جمعا بين الرأس والذيل 39 - 40 سم. الرأس متوج بخصلة من الريش الرمادي الداكن وعلى عنقه ويطنه ريش مصفر ضارب إلى البياض. المنقار معقوف قليلا مستدق الرأس وقوي، الجناحان مبقعان بريش أبيض ورمادي. ريش الذيل رمادي مصنف بالتناقص. يتوالد في أواخر شهر مايو، ويفضل مناطق الأعشاب العالية والأشجار كالصنوبر والبلوط والزيتون، والمنحدرات الصخرية والمناطق شبه الصحراوية، وهو متطفل على أعشاش غيره، ومشهور عنه بترك الأنثى بيضها في أعشاش طائر العقعق ليفقس البيض وتحضن الصغار من طرف صاحبة العش وتغذيها إلى أن تكبر. ومن غرابة الأمر أن الذكر يساعد أنثاه لإبعاد الأنثى ربة العش عن عشها مباشرة بعد وضعها البيض، ومن ثم تضع أنثاه البيض، وغالبا ما تزيل بعض البيض من العش لتسمح بمكان لبيضها في العش، ويفقس البيض بعد 10 إلى 12 يوم، وغالبا ما يكون عدد أيام فقس البيض لطائر الوقواق أقل من الأم المضيفة بأربعة أو ثلاثة أيام. والوقواق من الطيور القواطع ينتشر في الربيع والصيف في المناطق الشمالية من المغرب وشمال أفريقيا وشرقها ودول حوض البحر المتوسط، ثم يهاجر ليشتو في جنوب المغرب والسنغال والصومال والسودان. يتغذى على الحشرات وخاصة يرقة الفراش المشعرة الشوكية التي لا يستطيع أكلها أغلب الطيور لأنها صعبة الابتلاع بسبب وجود الشعيرات الطويلة التي تغطي جسمها ويأكلها كذلك الجراد وبعض العظايا.

- الوقواق الأرمد يسمى علميا Cuculus canorus

وبالفرنسية Coucou gris وبالإنجليزية Cuckoo، يتميز بذيل طويل ويبلغ طوله جمعا بين الرأس والذيل 33 سم. الرأس بدون تويج وعليه ريش رمادي فاتح البطن مخطط بالأسود والأبيض، ولونه رمادي داكن على الجناحين والذيل. المنقار

معقوف قليلا مستدق الرأس وقوي. يتوالد في أواخر شهر مايو، وتلد الإناث 8 - 12 بيضة رمادية مخضرة، يبلغ طول قطرها 17 و23 سم. ويفضل مناطق الأعشاب العالية والأشجار كالصنوبر والبوط والزيتون والمنحدرات الصخرية والمناطق شبه الصحراوية، وهو متطفل على أعشاش غيره، ومشهور عنه بترك الأنثى بيضها في أعشاش بعض أنواع العصفير كالحميراء والبليق والذعرة وأبو الحناء ليفقس البيض وتحضن الصغار من طرف صاحبة العش وتغذيها إلى أن تكبر. والوقواق الأزمد من الطيور القواطع ينتشر في الربيع والصيف في المغرب وشمال أفريقيا وشرقها وأوروبا وآسيا الغربية ليتوالد ثم يهاجر ليشتو في إفريقيا الوسطى.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*; 1979; 320 p. ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Elsevier, 1977, 430 p.
محمد رمضاني

وگاگ، أحمد بن عمر ند اوفقير كانت ولادته في الفترة الأخيرة من عهد السلطان مولاي الحسن قريبا من سنة 1890 وقبله بقليل، عرف بالذكاء والتفكير العميق، وكانت ثقافته تقليدية على قاعدة بعض القبائل التي كانت توجه بعض أبنائها إلى العمل والممارسات اليومية والبعض الآخر إلى المدارس العتيقة شأن أخويه الحسن ومحمد وكلاهما من حفاظ كتاب الله، ولكن الأسرة لا تلزمهما بشأن من الشؤون. كان أصل أجداده في قرية بموضع يدعى "إبخشاش" على مقربة من سفوح جبال الأطلس الصغير، ثم انتقلت إلى قرية أكلو حيث زاوية الشيخ وگاگ بن زلو اللمطي، التي لا تبعد عن قريته الأصلية إلا بأقل من عشر كيلومترات غرب مدينة تيزنيت، وقد سميت أسرته "وگاگ" تبركاً باسم الشيخ وگاگ بعد الاستقلال عند نشوء نظام الحالة المدنية. تزوج السيدة خديجة أخت العلامة المشهور سيدي أحمد الزيتوني.

اشتهر وگاگ بذكائه وحكمته وشجاعته. وظهرت شجاعته في الإسهام في حركة الشيخ أحمد الهيبية ضد الاستعمار، فرباط في رباط أعلوك في منطقة الكعدة بين أكلو وقبيلة الساحل، وكان معروفا بركوب الخيل واستعمال البارود. ولحكيمته كانت القبيلة تحتكم إليه في تطبيق الأعراف القبلية في مواضع المخالفات والجرائم والجزاء، وهي أعراف مكتوبة، وله خبرة في تقسيم الميراث بما يوافق القواعد الشرعية بحيث يستفيد العدول من تجربته، وكان فلاحاً يحتكم إليه الفلاحون في نظام توزيع مياه السقي حسب العرف المحلي، وينتدبونه مقدماً لمجموعات الأهازيج الشعبية أثناء الحفلات. وفي عهد الحماية عين شيخ الشيوخ "أمغارن" وهو رابعهم ورئيسهم لمزاولة العمل المخزني حتى مجئ الاستقلال سنة 1956 فالتجأ إلى الأعمال الفلاحية وفتح أبوابه بكرم للضيوف.

توفي في بداية شهر ماي 1971، وقد خلف من ورائه أسرة عالة من أربعة أبناء منهم علماء وفقهاء دكاترة

وحقوقيون وإداريون، لهم أسهام كبير في خدمة مجتمعهم، وهم العلامة الحسين وگاگ عضو أكاديمية المملكة المغربية ورئيس المجلس العلمي بتيزنيت، والأستاذ العالم السلفي الحسن وگاگ وأخوه عمر فقيه تلاء لكتاب الله، وعلي خبير ورئيس إدارة الضرائب وإبراهيم حقوقي وخريج المدرسة الإدارية.

مجلة الكلمة، الصادرة بأكادير لمجموعة علماء سوس، عدد 2، سنة 1971، ص. 107؛ عبد الله واكريم من الأسرة الوگاگية بأكلو، رواية شفوية؛ عمر الساحلي، المعهد الإسلامي بتارودانت والمدارس العتيقة، ج 1.

عمر أفا

وگاگ، (بن -) زلو اللمطي، علم من أعلام الثقافة

المغربية، ورجل من رجال التصوف بسوس، في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، ومعنى كلمة وگاگ بالأمازيغية مشتق من "إيگيگ" أي الرعد، ويُطلق وگاگ وصفا للعالم الملم بالقرآن وأمور الدين، وقد سماه ابن خلدون محمد وگاگ بن زلو، واستعمل وگاگ اسم علم لغيره من الأشخاص أمثال وگاگ بن أبي علي منصور من صلحاء أزموور، وكذلك ورد إيگوت بن وگاگ من أصحاب المهدي بن تومرت ويسمى اليوم محليا "سيدي وگاگ". وحول نسبه الشريف فهو يُنسب إلى الأدارسة، واسمه محمد وگاگ بن زلو بن أبي جمعة بن محمد بن أبي القاسم بن يعقوب بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن الفضيل بن يحيى بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذكر المختار السوسي مشجرات الأنساب لعدد من الأسر الشريفة بسوس كلها ترفع نسبها إلى الشيخ وگاگ، وبالحصوص بقبائل: إداوسمال وآيت صواب وإدا كتيظ وهشتوك وآيت مزال. وتحافظ على الصلات الرمزية بالشيخ وگاگ بتقديم الهدايا والزيارات وإقامة المواسم والحفلات الدينية "المعروف"، بل منها من يطالب بنصيبه من الهدايا والصدقات التي تقدم في ضريح الشيخ كما هو الشأن لأهل "تا گانت او كضيض" بإدا وسمال مما يحيلنا إلى أصل الشيخ وگاگ بأنه من قبيلة إداوسمال بالأطلس الصغير، وله دار هناك قبل أن يخرج في رحلة طلب العلم والعودة للاستقرار بأكلو. وهذا لا يتعارض مع تفسير النسبة إلى قبيلة لمطة التي تلازم اسمه في مختلف المصادر باتفاق من ترجم له، وتمتد قبيلة لمطة من ماسة إلى الصحراء، وفي لمطة توجد منطقة أكلو.

وقد وقع الإجماع على أن الشيخ وگاگ كان متحمسا لطلب العلم والمعرفة منذ نشأته الأولى التي لا يعرف عنها شيء، وقد حقق مستوى علميا رفيعا، وكانت له شخصية تتميز بالصلاح والولاية والعلم والأخلاق الفاضلة، أخذ العلم عن عدة أشياخ مشهورين، فانتقل إلى مدينة فاس وأدرك هناك ابن أبي زيد القيرواني فأخذ عنه قبل رحيله إلى بلده

القيروان كما يذكر صاحب "بيوتات فاس". كما يؤكد غيره الأخذ عنه بعد هجرته إلى القيروان كغيره من العلماء السوسيين الذين لا يستبعد الأستاذ المنوني أخذهم عنه، وبعد وفاة القيرواني أخذ عن أبي عمران الفاسي في القيروان، وذكرت بعض الروايات على أنه شذ الرحال إلى الأندلس وأخذ العلم عن شيوخ قرطبة، والمؤكد أنه انتقل من سوس إلى فاس ثم إلى تونس وعند عودته من القيروان نزل بنفيس فأخذ عن أبي محمد بن تيسبيت بأغامت مع من سبقه من زملائه أمثال يعلى بن مصلين ويحيى بن ويدفا الصادي وداود بن يملول وذلك قبل قيام دولة المرابطين، ويذكر ابن خلدون أن وگاگ كان بسجلماسة حيث تسلم من يحيى بن إبراهيم الكدالي رسالة شيخه أبي عمران ليختار له من يفقه الناس في الصحراء. ورغم بعض الارتباك في رواية تنقلات الشيخ محمد وگاگ، فإنه لما عاد من القيروان في بداية القرن الخامس على الأرجح عرج على أغامت وريكة على وادي نفيس وأخذ كما سلف على مجاهد برغواطة العلامة الشيخ أبي محمد بن تيسبيت، ونزل في رباط ملوسة ثم انتقل على ما يظهر إلى سجلماسة وعاد إلى الأطلس الصغير حيث يملك داراً في قبيلة ادوسملال ثم منها إلى قبيلة لمطة حيث استقر بأكلو في سوس الأقصى، وبنى به زاوية (رباطاً) ومدرسة علمية، ولا يستبعد أن يكون هذا الاستقرار مرتبطاً بالرغبة في تطهير الأطراف الجنوبية من نفوذ بورغواطة، ومحاربة الشيعة البجلية، وكذلك استكمال نشر الإسلام في القبائل.

والواضح أن استقرار الشيخ بأكلو جعل منه مركزاً دينياً وعلمياً هاماً، وسماه رباطاً، على عادة المجاهدين، وقد تجاوز إشعاعه، كما هو معلوم المستوى المحلي والإقليمي إلى المستوى المغاربي، وكانت هذه الأهمية تستمد من مكانة وگاگ بين قومه وتصوفه وعلمه، واستطاع بذلك أن يجذب إلى رباطه مرديدن وطلبة من جميع الآفاق. غير أن أهم حدث تاريخي يستوقفنا هو التقاء الشيخ وگاگ بالزعيم السياسي إبراهيم بن عمر الكدالي بإشارة من شيخه ابن عمران الفاسي لانتداب أحد تلاميذه ليصحبه معه إلى قومه ببلاد صنهاجة بجنوب الصحراء، لاعتقاده أن وگاگ أعرف منه بمن يصلح للقيام بهذه المهمة الصعبة، وهكذا ظهرت شخصية عبد الله بن ياسين التسمانارتي مؤسس دولة المرابطين على سطح الأحداث.

كان المغرب قبل نشأة الدولة المرابطية يعيش اضطراباً في الشؤون السياسية والاجتماعية والثقافية وفتناً وحروباً بين الإمارات التي تختلف فيها النحل والمذاهب. ومن المؤكد أن عبد الله بن ياسين استلهم في مشروعه بإنشاء الدولة أفكار شيخه الإصلاحية من جهة كما استفاد من حيوية وحركية الرباطات المنتعشة في عصره، ومنها رباط وگاگ، لما لوگاگ من مكانة وحظوة لدى قبائل الجنوب المغربي. وقد ساندتها تلميذه عبد الله بن ياسين بل مهدله في الانتقال من مرحلة

الدعوة إلى مرحلة الدولة عندما استفادته لفتح سجلماسة، وإزاحة كل الصعوبات أمامه عند زحفه نحو الشمال، ويتجلى اعترافه بأهمية رباط أكلو كمركز روحي وعلمي ما دأب عليه من تخصيص قسط من خمس الغنائم بعد انتصاراته الأولى في الصحراء، لصالح طلبة وفقهاء جزولة، ولا يستبعد أن يكون رباط أكلو من المراكز العلمية الروحية التي استفادت من هذا الدعم الذي يقدمه عبد الله بن ياسين.

كل هذا جعل الشيخ وگاگ يحظى بسمعة فائقة وكان مقصوداً في حياته وبعد مماته، وفي هذا الإطار قصده أهل نفيس في حياته بعد انقطاع المطر عنهم، ويقصده الزوار بالهدايا والهبات في شهر يناير من كل سنة حتى اليوم. وهل تزوج الشيخ وگاگ وخلف أولاداً؟ هل له إنتاج علمي ومؤلفات؟ هل ترك أموالاً وعقارات؟ كل هذه تساؤلات يكتنفها غموض تام، لأن الأوضاع المضطربة في البلاد لم تمكن المؤرخين للكتابة بوضوح.

من المؤكد أن الشيخ وگاگ من أولياء الله الصالحين وصاحب الكرامات الجليلة، ومن رجال التصوف والتشوف، وهناك خلاف شائع بين الناس هل تزوج أو قضى حياته وهو أعزب، وهذا الرأي الأخير هو الذي عليه رأي سكان إكلو وأيدته قرينة أن أملاكه كلها ظلت غير موزعة على الورثة من صلبه حتى آلت إلى وزارة الأوقاف، وأما غير أهل البلاد من الآفاقيين، فينسبون إليه ثلاثة أولاد يحيى وياسين وأبا علي، وكان بعضهم بإدوسملال والبعض في تارودانت وآيت صواب، وأساکا وهشتوكة، ومما يثير العجب أن أهل تادارت بآيت عميرة قرب بيكرا بهشتوكة، يدعون أن الشيخ دفن في بلدهم لوجود ضريحه هناك، وهو ما يخالف الحقيقة، وقد تأكد كذلك أنه أسس مدرسة برباطه بأكلو ونصب نفسه مدرساً فيها وأخذ عنه الكثيرون وربما لم تسمح ظروفه بالتأليف أو تعرض ما كتبه أو أملاه على طلابه للضياع والإهمال، فلم يبق إلا ذكره الحميد وزاويته ومدرسته العتيقة التي لا تزال ملجأ لطلاب العلم إلى اليوم.

توفي سنة 445 / 1054.

- الحلل المشوية، ص. 20؛ م. المختار السوسي، المعسول، ج 11، ص. 32؛ إيليج، تج. محمد الروداني؛ إتحاف أعلام الناس، ج 1، ص. 23؛ خلال جزولة، ج 2، ص. 189؛ البيان المغرب، ص. 29؛ شارل دوفوكو، قاموس، ج 1، ص. 408؛ أحمد صفر، خريطة مدنية المغرب العربي، ج 1، ص. 57؛ كناشة بنمنصور القاضي الباعمراني، المعلمة، ج 6، ص. 1966؛ أكنسوس، الجيش العرمرم، ص. 72؛ ناعمي مصطفي، الصحراء من خلال بلاد تكتة، ص. 73؛ دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، ص. 68-71؛ جانب من تاريخ آيت باعمران، جمعية الجامعة الصيفية بأغادير، سنة 1991؛ التادلي، التشوف، ط 2، تج. أحمد التوفيق؛ ابن تكلت، إتمد العينين ونزهة الناظرين في مناقب الأخوين، تج. محمد رابطة الدين، د. د. ع. 1985، ص. 61؛ مجهول، مفاخر البربر، نشر، لبثي بروقتصال، الرباط، 1934، ص. 233؛ عياض القاضي، ترتيب المدارك لمعرفة مذهب مالك، الرباط، ج 8؛ 47-80؛ الحضيكي، طبقات الحضيكي، تج. أحمد بومزكو، د. د.

ع، الرباط، 1994، ص. 476، الترجمة، رقم 771 : الصوابي سعيد بن إبراهيم، تقييم حول نسب وگاگ، نسخة خاصة : ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، الرباط، 1973، ص. 126 - 123 : الناصري، الاستقصا، الدار البيضاء، ج 2 - 6 : عبد الله گنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب، بيروت، بدون تاريخ، 4 : 5 : البعقلي، مناقب البعقلي، ت.ع. م. المختار السوسي، الرباط، 1987 : الرسموكي، وفيات الرسموكي، 1988، ص. 47 : الكرامي، بشارة الزائرین، مخطوط، ص. 19 : المنوني، المؤسسات التعليمية الأولى بسوس، مجلة المناهل، عدد 34 - 1986 : ص. 39 : معلمة المغرب، ص. 627.

G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc...*, Paris, 1951, p. 28 - 30 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc...*, Casablanca, p. 127 - 201 - 214 - 220 ; L. Justinard, Notes sur l'histoire du Sous au XVIème siècle, *Archives Marocaines*, 1933, p. 77 - 116 - 117.

أحمد بومزكو والحسين الجهادي وعبد الله واكریم

وگاال الحناش، أو عقاب الحيات : طائر من الكواسر

النهارية كبير الحجم، اسمه في المعاجم الضرارة وأبو صواي في الشام وفي الشرق العربي. يصنف في رتبة الجوارح Ra- paces Falconiformes وفصيلة الصقريات Accipitridae. يسمى علميا Circaetus gallicus وبالفرنسية Circaète Jean-le-Blanc وبالانجليزية Short-toed ea- وSerpent eagle وبالإسبانية Aguilu culebrera وبالإيطالية Biancone. طائر في حجم السقاوة والسنروف، لون ريشه أسمر داكن عالى الرأس والعنق، وكدر شاحب موحد على الظهر والجناحين. أسفل الجناحين والصدر والبطن أبيض ناصع ضارب إلى التوشيم ببقع مسودة متواصلة على شكل خطوط، على أسفل الذيل 3 - 4 خطوط مسودة غير واضحة والأخيرة منها عريضة جدا. المنقار رمادي مسود معقوف وقصير، المخالب مقوسة رمادية سوداء. الذيل دائري قليلا ومخطوط. يبلغ طول الجسم 60 - 70 سم ووزن الذكور 1200 - 2000 كرام والإناث 1300 - 2300 كرام، تبلغ بسطة الجناحين 125 - 150 سم. يعيش منعزلا أو مزدوجا.

معظم المجموعات المغربية من الطيور القواطع منها حوالي 1000 زوجة تتوالد في المناطق الغابوية القليلة الكثافة. تكثر كثافته في مختلف المناطق الجافة وشبه الجافة والرطبة بجمال الأطلس المتوسط والكبير والريف، والهضاب العليا الوسطى وغاية المعمورة وبنسليمان، وشائع أيضا في ضواحي دبدو وجرادة وفگيگ وتافيلالت وعلى الساحل الصخري المتوسطي من السعيدية إلى طنجة.

يتوالد ابتداء من أبريل وينصب الزوجان العش على أشجار الأرز والبطم والعرعار الحر والفلين، وهو عش ضخم قد يبلغ قطره أحيانا مترا ؛ يتكون من الأغصان اليابسة ومن الطين، ويفرش بقطع الأعشاب. تبيض الإناث بيضة واحدة كل سنة، بيضاء ملساء يبلغ طول قطريها 58 x 74 ملم. تحضنها الأنثى حوالي 47 يوما ويبقى الصغير بداخل العش مدة شهرين ونصف قبل أن يأخذ حريته تدريجيا.

يقتصر التوزيع الجغرافي لهذا الطائر على إفريقيا

الشمالية والشرق الأوسط وآسيا الوسطى وأوروبا. يصطاد الزواحف كالأفاعي والضب والشعابين والعضاءة وبوبريص وصغار الطيور وصغار طيور الدواجن والحشرات الكبيرة كالحنافس. صيده ممنوع في المغرب وهو طائر محمي.

محمد رمضان، بولحية، معلمة المغرب، ج 6، ص. 1845 : الرخمة؛ ج 13 : الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 : أمين العلوف، معجم الحيوان، القاهرة، 1932.

P. Bergier, Les falconiformes marocains, Statut Répartition et Ecologie, *Annales CEEP (ex. CROP)*, n° 3, 1987, 160 p. ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Elsevier, 1977, 430 p.

محمد رمضان

الوكيلي (مولاي -) أحمد بن محمد بن الحسن ولد

بفاس في رجب 1326 / شتنبر 1908. كان والده محمد ملازما للمطرب الفاسي الشهير السيد محمد الساوري، فأخذ عنه بعض معارفه في طرب الآلة، كما أخذ عنه صناعة النجارة وتزيق الخشب التي كان يحترفها.

وعندما استقل محمد الوكيلي عن أستاذه في بداية العشرينات ظل يسير على نهجه في العناية بحرفة النجارة وامتهانها والحفاوة بموسيقى الآلة حتى غدايته مقصدا للهواة يرجعون في أرجائه الصناعات وهو إلى جانبهم يعزف على آلة البيانو.

في أجواء هاتين الصناعتين ترعرع مولاي أحمد، فكان في ورشة النجارة يد والده اليمنى، وكان في البيت شاهد عيان للمجالس الفنية التي يلتئم فيها هواة الآلة الأندلسية. التحق الفتى كأقرانه بالكتاب القرآني، وأمام إلهام والده على أن يكون انتسابه إلى "القرويين" غير نظامي، فبانه بدأ في بحر سنة 1346 يحضر بعض دروس العلم بها، وكان ممن استمع إليهم الفقيه سيدي الحسن الداودي. وبالرغم من الطابع غير النظامي لدراسته فقد استطاع - حسب شهادة محمد ابن تاويت، وهو طالب بنفس المؤسسة يومئذ - أن يبلغ مستوى السنة الرابعة وأن يستفيد من دروس الشيخ سيدي العباس بناني حول مقدمة ابن خلدون.

أما تكوينه الموسيقي، فقد كان في البدء عن طريق الهواية والولع، ومجالسة الهواة، وحضور حلقات السماع في بعض زوايا المدينة وأضرحتها، فتشبعت روحه بطبوع الآلة الأندلسية، وتيسر له أن يحفظ بعضا من مستعملاتها. ثم تبلورت الهواية بفعل إقباله على التعلم وحرصه على تعميق مداركه الموسيقية، وتلمذه على خيرة حملة هذا الفن منذ ربيع عمره، فأخذ عن محمد الزاهر برادة المعروف بالطاشور الذي لقنه العزف على العود، كما أخذ عن أحمد عيوش (ت. 1947)، وعبد السلام الخياطي (ت. 1942)، والتهامي احجيرة (ت. 1941). على أن أكثر شيوخه تأثيرا فيه : الفقيه محمد بن إدريس المطيري (ت. 1948)، والمعلم محمد

البريهي الذي اتخذها عازفا على العود في مجموعته الموسيقية. وقد تفرّد الفتى - دون غيره من طلاب هذا الفن - بحصوله على إجازة من كليهما، تشهد بسعة حفظه لمستعملات الآلة وفق المدرسة الفاسية الحديثة، وجودة عزفه على آلة العود، وإلمامه بأصول هذا الفن.

كان المترجم كثير التردد على مدينة طنجة، فهي مستقر خاله، ثم هي بعد ذلك موطن أصهاره، وفي سنة 1936 قر عزمه على مغادرة فاس والاستقرار بها، فكان في البدء يشتغل بالتجارة بانعا للأتواب، ثم انقطع عن التجارة لممارسة الموسيقى. وقد شجعه على ذلك أمور منها تأسيسه مجموعة موسيقية أسماها "جوق إخوان الفن"، وكان ذلك عام 1941، ومنها اضطراره بتلقين أصول الموسيقى الأندلسية لأعضاء المجموعة، ومنها أيضا حضور مجالس الفنان الطنجي الشريف مولاي أحمد الوزاني. وعلى مدى عشر سنوات عاش مولاي أحمد متنقلا بين طنجة حيث كان يدير شؤون جوق إخوان الفن، وبين تطوان حيث كان يختلف إلى المعهد الموسيقي للتعليم، ويعمل في جوقه عازفا ورئيسه يومئذ الفنان الشفشاوني الأصل العياشي الوريغلي.

وفي سنة 1947 عاد المترجم إلى فاس مسقط رأسه، فأسس بها جوقا جديدا كان قوامه محمد مصانو التازي، والحاج أحمد لبزور التازي، ومحمد بزويغ، وآخرون من قدماء جوق الفقيه البريهي. وقد دعي عام 1952 إلى الرباط، فأُسندت إليه رئاسة "جوق راديو المغرب". وهو الذي سيحمل - بعد الاستقلال اسم "جوق الإذاعة الوطنية للطرب الأندلسي"، ومنذئذ انكب بعزم لا يلدن على تمرين العازفين المنشدين، وتنسيق الحصص الموسيقية وتسجيلها وإذاعتها.

كان للفنان مولاي أحمد الوكيل أثر كبير في توجيه مسار الموسيقى الأندلسية بالمغرب الحديث، فإليه يرجع فضل شيوع تقاليد المدرسة الفاسية التي أقرتها لجنة الوزير الجامعي عام 1303 بطنجة من خلال جوق إخوان الفن، وإليه ترجع محاولات التوفيق الأولى بين الصنعة الفاسية وأختها التطوانية، وهو الذي كان يستفتي دواوين شعراء الأندلس لتقويم أشعار الآلة وتصحيح ماشاها من أخطاء أو تعويض ما أصاب أبياتها من بتر بغية استكمال بنياتها اللحنية. وإلى ذلك فقد اجتهد في مجال بعث الميازين الضائعة، من ذلك استخراج الصناعات القائمة على طبع الحسين من نوبة رمل المائة، ثم إعادة تسبيقها في ميزان "بسيط نوبة الحسين"، قوامه ست صناعات؛ ومن ذلك أيضا إنجاز ميزان قائم ونصف الرصد الذي يفتقد في كناش الحايك.

أما على مستوى الأداء الآلي والصوتي لمستعملات الآلة، فقد كان أسلوب المترجم نموذجا متميزا، ويتجلى ذلك في تبنيه للأصوات النسوية، وفي استخدام الإنشاد في صورته الفردية والجماعية، واستعمال الحوار في إنشاد أبيات الصنعة الواحدة، مثلما يتجلى في تنوع آلات الجوق،

وتبني آلات جديدة كالبيانو وبعض آلات النفخ، ثم في حرصه على تحقيق الانسجام بين العازفين والمنشدين، وبذلك أتاح إمكانيات جديدة للتعبير، كما أتاح السبيل لانبثاق أسلوب مبتكر سمته التعلق بخصائص الموروث وحيوية التفتح على الجديد.

توفي يوم الجمعة 14 ربيع الثاني 1409 / 25 نونبر 1988.

محمد ابن تاويت، جريدة العلم، 30 يونيو، 1970؛ ع. العزيز بن عبد الجليل، مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية، ط 2، الدار البيضاء، 2000، ص. 230 - 236؛ العربي الوزاني، كتاب المؤتمر الثاني للموسيقى العربية، فاس، 8 - 8، أبريل، 1969، إصدار وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، ص. 131؛ أحمد حاتم الوكيل، الموسيقى الأندلسية المغربية من خلال الفنان مولاي أحمد الوكيل، سلسلة، المعرفة للجميع، عدد خاص، مارس، 1999، ص. 47 - 72.

عبد العزيز بن عبد الجليل

السوكيلي، يوسف بن عابد الحسني الأنكادي، فقيه

من الشرفاء الحسينيين، أبناء أبي الوكيل. ولد بالفيضة أحواز مدينة وجدة، في حدود سنة 966 / 1559. بدأ دراسته بمسقط رأسه، فتعلم مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم. ثم انتقل إلى مدينة وجدة سنة 985 / 1577 فأخذ عن الشيخ موسى الوجدي، وبعدها انتقل إلى مدينة فاس سنة 989 / 1581 لإتمام تعليمه، فأخذ بها عن عدد من المشايخ، منهم أبو القاسم بن عبد النعيم الزموري بمدرسة مصباح، والشيخ أحمد بن حميدة المطرفي وأحمد المنجور وعبد الواحد الحميدي، وغيرهم. درس رسالة ابن أبي زيد والأجرومية، وكتب التوحيد والسير، وحضر المجالس العلمية بجامع القرويين، فقرأ علم الحساب وعلم المواقيت والنجوم.

في سنة 988 / 1580، قام برحلة في بلاد المغرب، فوصل إلى الساقية الحمراء ووادي الذهب، ثم رجع إلى مدينة فاس، لكنه سرعان ما خرج منها إلى وادي تافيلالت، ومنه إلى بلاد فكيك، ومنها انتقل إلى المشرق وأدى فريضة الحج سنة 991 / 1583، ثم انتقل من هناك إلى حضرموت حيث ألبسه الشيخ عبد الله من آل أبي علوي خرقته. فانتظم في سلك المدرسين بجامع سيوون، حيث أقرأ عقيدة السنوسي وشرحها، كما اشتهر في حضرموت بتدريس علم التوحيد.

استقر الشيخ يوسف بن عابد الوكيل بمدينة مريمة باليمن، وتزوج هناك سنة 993 / 1585، ثم تحول بين عدد من مدن اليمن مثل الحزمة وصنعا وغيرهما، قبل أن يحج مرة ثانية سنة 1014 / 1606، ويعود إلى اليمن ليستقر بمريمة بصفة نهائية وقد ناهز السبعين من عمره، وفيها أملى سيرته وأخبار رحلته، وذلك في 4 ذي القعدة سنة 1036 يوليوز 1627. ألف بالإضافة إلى رحلته المسماة ملتقط الرحلة من المغرب إلى حضرموت، كتابين آخرين، هما رسالة الدرّة

الفاخرة في ذكر من لقيته من رجال الآخرة، ولبس الحرقة فيما أخذنا عنه ذلك من الأولياء.

توفي سنة 1048 / 1638 باليمن، وقد عمر أكثر من ثمانين سنة، وتزوج سبع نساء من بلاد اليمن وخلف بنين وبنات.

يوسف الوكيل، ملتقط الرحلة من المغرب إلى حضرموت، تج. أمين توفيق الطبي، الدار البيضاء، 1988؛ مارية دادي، تاريخ مدينة وجدة، أطروحة مرقونة بخزانة كلية الآداب بوجدة، سنة 2002، ص. 377.

مارية دادي

الولائي، أسرة بربرية أصلها من آيت عطا الكبرى بالصحراء، انتقلت إلى أعالي ملوية في منتصف القرن العاشر الهجري. ويعد يعقوب بن محمد الولائي أعلى ما تجده في سلسلة نسب هذه الأسرة، فقد خرج من الصحراء فاراً بدينه حيث يستقيم، فكان أن حل بقبيلة بني ولال "الجبلية"، وهي الآن منتشرة في عدد من الأماكن، أهم فروعها يوجد بناحية مدينة مكناس. وكان هذا الجد رجلاً متميزاً في وسطه، لأنه صدف عن الدنيا وأهلها، واختار طريق المسكنة والصلاح، هذا الصلاح الذي صار متوارثاً في ذريته، إلا أن الظهور به لم يتأت سوى لابنه محمد. جمع محمد بن يعقوب بين العلم والصلاح، فبعد أن ارتاد جملة من مراكز العلم في أعماق البادية، عاد إلى بلدته بأعالي ملوية وعمل على تعميق الدين والشرع بها، ثم ما لبث أن أخذ طريق القوم عن أبي عمرو القسطالي وأبي بكر الدلائي وصاحب محمد بن أبي بكر الدلائي. ويذكر حفيده أحمد الولائي في كتابه "مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار"، أن جده هذا قد عمر طويلاً، ثم عدد مناقبه وقال إنه "كان كثير الاجتهاد في الدين قائم الليل صائم الدهر..."، وعلى هذه الحال أدركه كثير من الفقهاء وشهدوا له بذلك.

خلف محمد بن يعقوب عدة أبناء، غير أن الذي ظهر من بينهم بالعلم والصلاح كان هو محمد المعروف بالصغير، إذ كان عالماً وصوفياً مشهوراً في قبائل جبل فزاز على الأقل، وإن كانت علومه لا تجعله يرقى إلى مستوى المشاركة، فإنها جعلته متميزاً في قومه وعند رجال القبائل الذين كانت الأمية تطفئ عليهم، بيد أن مكانته في مجتمعه ودالته على سلطان الوقت محمد بن أبي بكر الدلائي كانتا بسبب ولايته، إذ لعب أدواراً مشهودة جعلت منه شخصاً مهيباً، لأن الناس عرفوا صدق تنبؤاته وجلال كراماته فتناقلوها، حتى إن ابنه أحمد الولائي الآتي ذكره قد دونها في كتاب مخصوص.

أحمد الولائي، مباحث الأنوار، منشورات كلية الآداب، الرباط؛ أحمد الزياتي، البستان، ص. 42.

De la Chapelle, Un document, Arch., Mar., vol. 1985, p. 19; G. Spillman, Les Ait Atta du Sahara, p. 36.

الولائي، أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب، ينتسب إلى قبيلة بني ولال بأعالي ملوية، وهي من فروع

قبيلة آيت عطا الكبرى. لا نعرف بالضبط سنة ميلاده، فالمصادر التي ترجمت له أشارت فقط إلى سنة وفاته. نشأ في قريته المسماة "تظنتسلت"، "عين العروسة"، وكانت تقع قرب مركز تونفيت الحالي، ابتداءً بحفظ القرآن ثم انتقل إلى حفظ المتون المشهورة. وكان ذلك على يدي أبيه الذي كان هو فقيه القرية وإمامها، ويذكر في كتابه "مباحث الأنوار..." أن اهتمام هذا الأب بتعليم أبنائه كان كبيراً، غير أن العناية الربانية كانت إلى جانبه حين ساقته إلى أهم مركز علمي في زمانه.

دخل أحمد الولائي الزاوية "الدلائية" طالباً للعلم في حدود أواسط العشرة السادسة من القرن الحادي عشر الهجري، وبهذا المركز العلمي أخذ عن جماعة من المشايخ. حيث انفتحت بصيرته على علوم مثل الفقه والأصول والبيان والمنطق والتوقيت والعروض والحساب وغيرها. والظاهر أنه لم يتجول بأنحاء البلاد طلباً للدرس، وإنما احتك بأساتذة أحد المراكز العلمية الذي له مميزاته الثقافية، وأصالة وألمعية أساتذته. ويبدو أن الشيخ أبا علي اليوسي كان عمدته في الأخذ، إذ به تأثر أسلوباً وفكراً.

في مركز الدلاء تأتت لأحمد الولائي فرصة الاتصال بشيخه في التصوف محمد بن عبد الله السوسي، فبينما هو منكب على تحصيل العلوم، إذ بهذا الشيخ قد دخل الزاوية الدلائية وأقام بها أياماً كافية كي يجذب الطالب المجد، فطلب الصحبة والورد فأعطيا له. وبالرغم من أن عالم العباد والزهاد ليس غريباً عنه، لأن أباه وجدته كانا من أهل الولاية، فإن حياة محمد بن عبد الله السوسي وتضلعه في العلم وظهور أنوار ولايته، أشياء عجلت ليرتبط بالقاطرة، كما أن الشيخ أبدى إعجاباً بمريده الجديد، وجعل منه أخص أصحابه، فازدادت صحبة التابع، وبدأ التزامه بطريق الشيخ، حتى أدرك في آخر عمره ما يدركه الأولياء.

لأحمد الولائي بالزاوية الدلائية مشاركة واسعة في العلم، وحينما عرفت هذه الزاوية مصيرها المأساوي على يدي المولى الرشيد، خرج إلى فاس ووثق صلته بجماعة من علمائها الكبار، فكان ذلك من أسباب الشهرة التي أهلته للدخول في التاريخ الفكري للبلاد، فانخرط في الجهاز التعليمي للدولة الناشئة عندما اختاره المولى إسماعيل لتأديب أبنائه، وفي تاريخ غير معروف من بداية حكم هذا السلطان، استدعي أحمد الولائي إلى مدينة مكناس وأوكلت إليه مهمته التدريس بمسجد القصر، فنال من تشجيع السلطان وارتبط به، فصار أحد المرين الأملعيين ومن المدرسين بالمدينة.

اشتغل بتدريس عدد من المواد، إلا أن علم الكلام والمنطق كانا من العلوم التي اشتهر بها تدريجاً وتأليفاً. ومع ذلك فما نسب إليه من علوم يشهد على علو كعبه فيها وتنوع مشارب ثقافته. ثم إنه لا بد من ملاحظة ما كان للتكوين الذي تلقاه بالزاوية الدلائية من انعكاس على قلمه وطريقة تدريسه.

تخرج على يد أحمد الولالي عدد من التلاميذ، كان الأمير المولى محمد العالم أشهرهم. أما تأليفه فقد وصفت بالغرارة والجودة والتنوع، والظاهر أن التأليف عنده كان مصاحبا للتدريس فتعددت كتبه، وأغلبها شروح وحواش، وتصفحها يفيد عناية بالتنظيم والتبويب، ومنهجية في العرض وسهولة في التعبير، كان المترجم له مدركا لطبيعة عمله وأهدافه، حتى إنه كتب في السياسة فنصح السلطان المولى إسماعيل. والظاهر أن استقصاء كتبه أمر لا يستقيم، وما هو منسوب له في بعض الدراسات الحديثة يعد غاية ما أمكن الوقوف عليه بعد مزيد من التحري.

توفي سنة 1128 / 1717.

أحمد الولالي، مباحث الأنوار، منشورات كلية الآداب، الرباط ؛ ع. بصري، منحة الجبار، خ. ح. 491 ؛ ح. القادري، نشر، 3 : 229 ؛ الإكليل، خ. ح. 897، ص. 26 ؛ م. الحضيكي، طبقات، خ. ع. د. ورقة 39 ؛ ع. ابن زيدان، إتحاف، 1 : 340، 5 : 324.

عبد العزيز بوعصاب

ولد أرزين، محمد بن علي العمراني من شرفاء

الأدارة العمرانيين الذين استوطنوا بلاد العزفة بإقليم تافيلالت. اشتهر بكنية "ولد أرزين". وهو نفسه يؤكد ذلك في ختام قصيدة "الشمعة" إذ يقول :

واسمي انبينو ما يخفى موضح في اسجالي

محمد الشريف ابن علي ولد أرزين صيلا

ولد في تافيلالت، والتحق - صيبا - بالكتاب الذي كان يديره والده، فحفظ القرآن الكريم، وتلقى بعض المتون المنظومة في الفقه والحديث وقواعد اللغة، جريا على العادة في الكتابات القرآنية. انتقل إلى فاس رفقة عائلته، وهو في مقتبل عمره، وعاش بهذه المدينة زهاء سبع سنوات قضاهما في كنف والده الذي بلغ من عنايته بتربيته وتعليمه أنه ألحقة بالقرابين حيث درس ماشاء الله من العلوم اللغوية والدينية.

في هذه الفترة تعرف الفتى على بعض أشياخ الملحنون بفاس، وخاصة منهم شيخ أشياخ الملحنون بها محمد النجار، فأقبل على حفظ القصائد، ووجد في نفسه ما ساعده على تنمية ملكة الحفظ والتشبع بقواعد النظم. وتشاء الأقدار أن يفقد والديه في هذه الفترة، فخامر شعور قوي بالغرابة والوحدة. وداخله الإحساس بضرورة العودة إلى موطنه الأول حيث الأهل والأحباب، فشد الرحال إلى تافيلالت. ولم يطل مكوث الفتى بتافيلالت، فعاد من جديد إلى فاس، وانخرط في سلك أشياخ الملحنون بها، يخوض في موضوعاته خوض العارف بفنون القول، يعارض تارة فحلا من فحوله فيبزه ببلاغته وقوة عارضته، ويمدح طورا ملكا أو وجيها من وجهاء القوم فيجيد، ويهجو طورا آخر فيغيظ غريمه.

عاصر الشاعر أربعة من ملوك الدولة العلوية هم : مولاي

عبد الله، وسيدي محمد بن عبد الله، ومولاي اليزيد، والمولى سليمان.

تعددت قصائد ولد أرزين، وتنوعت موضوعاتها. وقد أحصى له الأستاذ محمد الفاسي سبعين قصيدة في المديح النبوي، والتصلية، والغزل، والمدح، والهجاء، ، والوصايا... ومن غرر قصائده "حجوبة".

وقد نوه الشاعر في ثانيا هذه القصيدة بإحدى عشرة قصيدة سبق أن نظمها، وهي : قصيدتان في "الحجام"، واثنتان في "الموسم"، وواحدة في "القاضي" وأخرى في "الورشان"، واثنتان في "السالف"، وواحدة في "الشمعة"، وواحدة في "الحرارز" وأخرى في "جمهور البنات". وهو يستعرض هذه القصائد من خلال خطابه إلى حجوبة، يدعوها إلى مجلس أنس تستمع فيه إليها، وتستمتع بما تضمنته من رقيق المعاني، وعذب العبارة، ورشيق الوصف. يقول عن "جمهور البنات" :

تبغيك اتسمعي "جمهور لبنات" أفمعي وآداب فيه اسميات غراب
طرز بغرابي كيف نلحن ماياتي في النظام معروبا

ولا جدال في أن هذه القصائد هي من أجود ما نظمها ابن

علي، ناهيك بقصيدة "الشمعة" التي يقول في حريتها :

لله بالشمعة سأنتك ردّي لي اسؤالي

أش بيك في الليالي تبكي ماذا لكي اشعلا

وكما أبدع ولد أرزين في النظم وسبك المعاني والأخيلة، فكذلك أبدع في مجالات ابتكار الموضوع، وتجديد بنية القصيدة. ففي مجال الموضوعات يعتبر - حسب رأي الدكتور الجراي - أول من نظم زجلا سياسيا على حد ما تشبثت قصيدة "المصرية" التي أنشأها بعد حملة نابليون بونابارت على مصر سنة 1798 . وتحفل هذه القصيدة بوصف الممارك واستبسال الجنود، ومن بينهم عدد كبير من المغاربة الذين قدموا من المغرب وشاركوا - إلى جانب المصريين - في إخراج المحتلين من "الغورية" بعد أن أتخوا في قتلهم وأسره أو في تسليمهم إلى الجيش الانجليزي الذي كان يترص بهم الدوائر. ويذكر الأستاذ محمد الفاسي أن هذه القصيدة تشكل وثيقة مرجعية تفيدنا في التعرف على حدث تاريخي أحجم عن ذكره المؤرخون والإخباريون سواء في المغرب أو في المشرق.

أما في مجال بنية القصيدة فقد نسب الدكتور الجراي لمرجعنا سبقتين اثنتين :

الأول : أنه وضع للبحر المثلث وزنا جديدا في قصيدة "زينب"، وهو تطوير للوزن الذي وصفه من قبل، الجيلالي امشيرد للبحر المثني في قصيدته "الساقى".

والثاني : تعديل جزئي في "قياس لمشرقي".

توفي بفاس سنة 1237 / 1822.

عباس الجراي، القصيدة، ص. 620 - 625 ؛ محمد الفاسي، معلمة الملحنون، ج 2، ق 2، ص. 54 - 61.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ولد الباردى، إسماعيل من رموز المقاومة المسلحة

في الصحراء المغربية الذين واجهوا الجيوش الفرنسية في أدرار في بداية سنوات العشرين من القرن الماضي. ينتمي إلى أولاد موسي إحدى بطون قبائل الرقيبات الضاربة في أعماق الصحراء. ولد في العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي في عام النجمة بمنطقة تيرس داخل أسرة توارثت الزعامة. فأبوه الوالي بن الباردى بن عبد الله بن لحسن (أولاد لحسن) كان رئيساً لعشيرته وكذلك جده لأبيه الباردى، وكذلك جده علي عاش حياة زهد وجهاد طيلة حياته. اشتهر بمقاومته الضاربة للمستعمر ومن أشهر المعارك التي خاضها :

- غزى اشيرريك بتاريخ 27 نونبر 1923 ، إلى جانب مجموعة من المقاومين من بينهم محمد تقي الله وجاهه من آل الشيخ محمد فاضل، وقد تم في هذه المعركة تصفية قائد الفيلق الفرنسي بدرين (Bedrines).

- غزي لكديم بمنطقة وادان في 23 أكتوبر 1924 ، وقد شاركه في قيادة هذه المعركة أحمد الحمادي، وتعرف هذه المعركة بيوم لحفر، ولا تزال ذكراها خالدة في الذاكرة الشعبية لما أبداه فيها المقاومون الصحراويون من شهامة وحققوه من انتصارات.

- غزي الطريفية في 2 أبريل 1925 ، وقد شاركه في قيادة هذه المعركة محمد المامون أخو المقاوم وجاهه.

- غزي صنكت برميل في دجنبر 1925 وغيرها.

وكان خلال هذه المعارك ينسق مع قادة المقاومة في مختلف المناطق الصحراوية وخاصة مع الشيخ مرييه ربه ابن الشيخ ماء العينين، بعد تصفية المقاومة سنة 1934 ظل ينتقل في منطقة الاحتلال الإسباني، بينما كانت أسرته تقيم في تراب الاحتلال الفرنسي إلى سنة 1940 حيث عاد إلى منطقة أدرار، وحاول جمع أفراد أسرته من جديد، لكن السلطات الفرنسية عرقلت محاولته هذه، ففضل الابتعاد عن المراكز الفرنسية رفقة ذويه، وظل ينتقل بين تيرس وأدرار. توفي سنة 1972.

إسماعيل ولد الباردى ، محمد دحمان، منشورات مؤسسة، الشيخ مرييه ربه، 1999.

Sophie Caratini, Ismael ould Bardi, Heros de la résistance saharienne, in *Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée*, Paris, 1986.

محمد الظريف

ولد حمادي (الشيخ -)، أحد شيوخ قبيلة اعرب

بالجنوب الشرقي المغربي وأحد أبرز وجوهها التي جابهت التغلغل الفرنسي بالجنوب الشرقي المغربي إلى نهاية سنة 1933 حين تمكن الجيش الفرنسي من دخول المنطقة. وإذا كان يعتبر من بين أهم الوجوه التاريخية، فذلك راجع إلى دور فصيلته الكواسم داخل القبيلة من جهة. وإلى قوانين المجاهبة الفعلية مع كل ما من شأنه أن يغير من معالم الطابع

المحارب لقبيلة متميزة في هذا الباب من جهة ثانية. من هنا فدراسة هذه الحالة تعد من أكثر الأدوات تكريسا للبنى التاريخية في عين المكان.

في وثيقة خاصة لمحمد سالم ولد الحبيب ولد عبد الحق قاضي ركيبات الساحل أن هذه العائلة تنتمي أصلا إلى قبيلة أولاد امبارك المعقلية المحاربة. وتبني الوثيقة مصادرها على مؤلف اسمه تاريخ الحضرة المراكشية للمسمى أحمد ابن سليمان الشنكيطي موضحة أن امبارك الجد الإسمي لقبيلة أولاد امبارك هو أحد الأحفاد المباشرين للفحفاح بن محمد بن هداج بن عمران بن مغفرن ودي بن سحان بن عقيل بن معقل. يتفق الجميع على أن قوة المغفرة ذوي حسان الحربية قد أهدتهم لتصدر الأحداث السياسية مما أعطاهم وزنا للتأثير وتوجيه الانتماءات السياسية والإثنية. إلا أنه ونتيجة لانقسام المغفرة حول إشكاليتي تقسيم المجال ومقاومة الغور السكاني الصنهاجي الأقدم، برز أولاد امبارك كقوة متميزة هدفت إلى احتكار الضفة الشمالية للصحراء الأطلسية ونزعت إلى الهيمنة، خاصة بعد انسحاب عبدة والأودية والرحامنة واحمر، نحو السهول الأطلسية بهدف التوسع شمالا. وهو ما تم لها ضمينا حين تمكنت بمعية أولاد دليم الساحليين والشرقيين من السيطرة علاوة على منطقة تيرس والساقية الحمراء، على وادي نون إلى حدود النصف الأول من القرن الثامن عشر. وكانت فصائل تكنة منتشرة يومها بين مختلف مسالك الصحراء الأطلسية مما حال دونها وتكثيف جهودها المشتتة من أجل أية مواجهة مع المغفرة الأتقوا. فماذا وقع خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر ؟

يعتبر أحمد بلالي الجد الأول لأهل حمادي من أهم وجوه قبيلة أولاد امبارك خلال الربع الأول من القرن الثامن عشر. لم تكن قبائل الزوايا من تجكانت وركيبات وأولاد بو السبع وعروسين قد دخلت بعد ميدان حمل السلاح. كما كانت القبائل المعقلية المغفارية من أولاد دليم وأولاد اللب وأولاد المولات وأولاد سلام الملقبة عموما بامعرف واسنان قد بسطت مع أولاد امبارك سيطرتها الفعلية على المنطقة الممتدة من تيرس جنوبا إلى الساقية الحمراء ووادي درعة ووادي نون شمالا. ونجد نبذة هامة حول هذه التطورات بكتاب الطرائف والتلائد لسبيدي أحمد الكنتي تكشف عن مدى دور التحالفات في الحد من التطلعات الحربية لقبائل المغفرة. وظلت الأمور على هذا النحو إلى أن تجملت خلال الربع الأول من القرن الثامن عشر تحالفات بين قبائل اتحادية تكنة وآيت باعمران وإدا أوائل. فكان من نتائج هذا التحالف اندحار أولاد امبارك وأولاد دليم كقبيلتين معقليتين. جاء تشتت القبيلة سببا في دخول أهل إيبيورك ضمن يكوث وأولاد بوجمعة ضمن آيت أوسا وأولاد حمادي ضمن اعرب وبعض الفصائل الأخرى كاهل أوشرة ضمن آيت الخمس الباعمرانيين وأهل الفيحج ضمن آيت موسى آزوافيط وأهل شكاف ضمن

بلحويلات وبعض الوحدات الأخرى ضمن إزركيين الذين كانوا بدورهم يمثلون بعضاً من فصائل آيت بوليد من أزوافيط. أدت هذه الانقسامات إلى ظهور تحالفات جديدة بين مكونات اتحادية تكنة. أصبح أولاد بلة يمثلون اللف الشرقي لاتحادية تكنة ويشكلون حلفاً مع أولاد امبارك عبر مسالك الصحراء الأطلسية بعد أن عقد الطرفان تحالفاً. استقر قسم كبير من هذا التحالف حيث لا يزال بمنطقة الحوض الموريطاني. فلا يزال هناك تحالف أولاد بلة وأولاد امبارك يمثل ذاكرة شفوية فاعلة في تحديد مفهوم الهوية الشرقية بموريطانيا الحالية.

ندرك إذن في أية ظروف كان تحالف أحمد بلالي الجد الأول لأهل حمادي مع قبيلة اعرب المقيمة يومها بإيكدي، مباشرة بعد وصوله إليها عن طريق توات وتبلالة. كان اعرب يومها يمثلون إحدى مخلقات القوة من الشراكة المعقلين. كانوا يعيشون على ذكرى ماضي قبيلة معروفة بمدى انتشارها بين وادي درعة وحوض نهر النيجر حيث كانت ترافق وتحمي القوافل المتوجهة من الساورة إلى تمبكتو المدينة التي حكمتها لمدة زمنية معينة.

عمل أحمد بلالي على إعادة تنظيم اعرب مسخراً أمواله وقدراته العسكرية والسياسية في فك العزلة عنهم وتجديد قدراتهم على الواجهتين الاجتماعية والسياسية. كان طبيعياً أن ينصب يومها شيخاً لهذه القبيلة مما سيؤهل أبناءه لورائته من بعده. حرص ابنه امبارك مثلاً على الأسس الشرعية في هذا الصدد كالأصل الحساني المغافري المرتبط بالمحور وبالخلف الشرقي. ومن بين ما يرويه كتاب الطوائف والتلائد لسيدى أحمد الكنتي في هذا الباب، طارئة تؤكد الطابع الحربي لقبيلة اعرب. فنجد الشيخ الصوفي الكبير زين العابدين الكنتي يهدد امبارك ابن أحمد بلالي بالدعاء عليه وعلى ذريته وذويه بتشتيت الشمل إذا لم يعيدوا الإبل التي غزاها اعرب. وهي إشارة واضحة إلى استمرارية القبيلة وشيخها امبارك ولد أحمد بلالي في ممارسة الغزو والزحف على القوافل والبطون والأفراك.

وبهذا الصدد فقد سبقت الإشارة إلى أهمية تحالف واندماج أولاد امبارك الشماليين ضمن آيت بلة في مراقبة المجال. فقد ساهمت هذه الاندماجات بشكل حاسم في تثبيت قواعد السيطرة على الساقية الحمراء وأحوازا الجنوبية (انظر مواد أزوافيط وآيت بلة بالمعلمة). فكيف يمكن تحديد الرؤية المجالية لقبيلة اعرب وشيخها حمادي ولد الشيخ حمادي ؟

لا نفاجاً إذا علمنا أن مواقع عديدة على امتداد الصحراء الأطلسية والشرقية داخل التراب المغربي أو الجزائري تحمل أسماء أعلام قبيلة اعرب. لقد عرفت هذه القبيلة بصراعاتها المستمرة مع كل من إذا وأبلال والهكار خلال مرحلة ما بعد وفاة امبارك ولد أحمد بلالي. ففي معركة شهيرة مثلاً، قتل إذا وأبلال الشيخ حمادي ولد موسى ولد امبارك ولد أحمد بلالي مع ستة من اعرب قرب الزمول في الخنيك الذي أصبح

يسمى نسبة إليهم "خنيك لجواد". كما أن محمد بن حمادي هذا قد توفي بدوره في معركة ضد الهكار في المكان الذي أصبح يعرف منذئذ باسم "عكلة محمد" بمنهل معروف بحاسي مانع. على أن من أشهر ما تزال تردده الرواية الشفوية بهذا الصدد هي المعركة التاريخية المعادية لفرنسا والتي ذهب ضحيتها حمادي ولد محمد ولد موسى ولد الشيخ امبارك ولد أحمد بلالي صحبة أربعين فارساً من اعرب في قتالهم إذا وأبلال بمنطقة زكدو الشهيرة. وعلاوة عن وجود هذه المواقع حالياً بالتراب الجزائري، فإن خاصية هذه المعارك الثلاثة هو أنها تكشف عن الحضور الفعلي لحفدة امبارك ولد أحمد بلالي على رأس المعارك التي كانت تخوضها القبيلة.

على أن الدور الفعلي لهذه الأسرة سوف يتجلى بصورة أكبر في العداة الذي كانت تواجه به التغلغل الفرنسي منذ 1834. فقد رأينا منطقة زكدو الشهيرة تحتضن عدداً لا يستهان به من قتلى اعرب الذين لم يتوانوا في الظهور بمظهر القوي المستعد للمجابهة الاعتيادية. وهو ما أدى بالفرنسيين إلى التأكيد عليه في تقاريرهم السرية آنذاك مسجلين مدى ارتكازهم على ضرورة مناهضة اعرب. وحتى تربط بين هذه المناهضة وحفدة أحمد بلالي، لا بد من التوقف عند الفصائل المعروفة بعداتها الشديد للحضور الفرنسي وخاصة منهم لف النعامنة الذين يقدرهم جورج سبيلمان Georges Spillmann في دراسته حول آيت عطا سنة 1936، بحوالي 280 كانوناً، هي النواجي - الكواسم - أولاد رزك - ليادين. كانت القبيلة متكونة يومئذ من حلفين متباينين هما لف النعامنة ولف لكرادية الذي يقدرهم أيضاً المؤلف المذكور بحوالي 422 كانونا هي أولاد بو أودن - الزيود - أولاد رزوك - الوارت - أولاد يوسف - الزيود - إيدوابال - أولاد راحو.

ندرك من هنا أن دور التغلغل الفرنسي في إضعاف القدرات الحربية الفعلية لبعض القبائل قد كان أساسياً. هكذا ومع اندحار قوة المغافرة كانت قبيلة اعرب بدورها قد أصبحت معرضة لظروف التطورات التي ستميز المنطقة منذ الثلث الأول من القرن التاسع عشر. نجدتها في هذه المرحلة التاريخية مضطهدة من طرف أولاد زبير. رغم أنها كانت لا تزال تمثل فصيلة من الفصائل المعقلية الحسانية المتشبثة بثوابتها. ولذلك فهذا الاندحار لا يعني تنقيصاً من قدراتها الحربية بقدر ما يؤكد على ممارستها المستمرة للسطو على الأفراك والمراعي والقوافل إلى أن تكامل حضور السلطة الفرنسية وسيطرتها على المنطقة. وتمدنا الرواية الشفوية بعد ذلك بأخبار الصراعات التي فجرتها المواقف المتضاربة من التغلغل الفرنسي بين بطون اعرب ومدى تناقص ترحالها الرعوي وتراجع مراقبتها للمحور الرابط بين إيكدي وغرب منطقة تافيلالت. وتفيض الرواية الشفوية في أن مختلف بطون القبيلة كانت لا تزال مع ذلك تمارس الترحال الرعوي الحربي كبير النجعات.

تميزت هذه المرحلة بالاقتراب المتزايد للقبيلة من الضفة الشمالية للصحراء. ففي الوقت الذي نجدها بقصر اعرب، نجدها أيضا بقصة سيدي محمد ولد سيدي خليل في منطقة المحاميد. يؤكد جورج سبيلمان أن اعرب لم يكونوا يترددون يومها في الدخول في صراع مفتوح مع آيت إيسفول وآيت أونير وإذا أو لال وآيت أو أمربط وكلاوة والركيبات، بينما كانوا يحافظون عادة على علاقات ودية وتحالفية مع كل من آيت واحليم ومسوفة وآيت والال وآيت أوسا. إلا أن التفتت المتزايد للقبيلة قد زاد بشكل فاعل من تشتت فصائلها ومن قلة تماسكها، ومن ثمة تغييرها على الساحة السياسية. وهكذا أخذ المنظور القديم للقبيلة يعرف تغييرا متزايدا سوف ينتهي باعرب بالظهور بمظهر منيري ومرافقي القوافل بعد أن كانوا أحد الرموز المحلية للمواجهة الحربية والسياسية على امتداد المحور الشرقي للصحراء الأطلسية.

محمد عبد الحى، جوامع المهمات في أمور الرقيبات، د. ت ؛ مصطفى ناعمي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1992 ؛ أحمد الكنتي، الطرائف والتلائد في مناقب الوالدة والوالد، مخطوط خاص ك محمد الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، 1958 ؛ سيدنا بابا بن محمد، تاريخ إمارتي إذا أو إيعيش ومشطوف، مخطوط خاص.

Georges Spillmann, *Les Ait Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra*, Pub. IHEM, t. XXI, Rabat, 1936.

مصطفى ناعمي

ولد المحجوب (الحاج -) سيدي أحمد، ولد الفقيه

الزاهد الورع سيدي أحمد ابن سيدي الحاج المحجوب بمدينة مراكش سنة 1296 / 1878 ، بعد حفظه للقرآن الكريم، وإتقانه قراءة ورسمًا، التحق بحلقات العلم بجامعة ابن يوسف، ينهال من معارفها. ومن شيوخه نذكر : شيخ الجماعة العلامة محمد بن إبراهيم السباعي، قرأ عليه صحيح البخاري، وطرفا من مختصر الشيخ خليل بجامع الموسين. والعلامة محمد الحاج الصالح السرعيني المراكشي، قرأ عليه متن الأجرومية ، وعلوم أخرى. وشيخ الجماعة الحاج العربي، درس عليه الألفية، ومختصر السعد بجامع الموسين، وبعض دروسه بجامعة ابن يوسف وغيرهما.

وبعد أن نهل من معينهم الصافي، وأنس من نفسه القدرة على الإفادة، تصدر لإعطاء دروس وعظيمة في مجموعة من الجوامع المراكشية، وأقبل الناس على دروسه، وتحلقوا حوله أينما حل. ولما أسس النظام بالجامعة اليوسفية التحق بها أستاذًا. وقد تخرج على يديه كثير من الطلبة وعامة الناس. كان محبًا إلى قلوب الناس، زاهدًا في الدنيا، تاليا للقرآن الكريم، صواما، متهجدا، واصلا لرحمه، بارا بأقاربه، مجاب الدعاء.

توفي في متم جمادى الأولى عام 1362 موافق 29 نونبر

ولد المترجم له هنا الشيخ حمادي ولد الشيخ حمادي ولد أحمد ولد حمادي ولد موسى ولد الشيخ امبارك ولد أحمد بلالي سنة 1884 وتوفي سنة 1957 . في هذه الفترة المتميزة باحتداد الصراع القبلي وتزايد حوله مراقبة المجال، كان حمادي ولد الشيخ حمادي يعتبر وجهًا كبيرًا لعب دوراً أساسيا في إعادة تنظيم قبيلة اعرب وتشكيل التحالفات بينها وبين اتحادية آيت خباش وحلفائها بمنطقة درعة. وكان يعتبر منطقة محاميد الغزلان تراب قبيلة اعرب التي يمتد مجالها مجاورا لقبيلة إذا أو لال غربا وللحدود الجزائرية جنوبا ومنطقة تافيلالت شرقا وجبل باني شمالا. وهو ما يؤكد جورج سبيلمان حين يوضح بأن مجال ترحال اعرب كان يمتد خلال القرن التاسع عشر من الداورة وتابلباله شرقا حتى تيندوف وخط آقا غربا. وإذا كانت فصائلهم قد تعودت على انتجاع مراعي إكيدي، فإنها قليلا ما كانت تتجاوز سلسلة جبال باني شمالا حسب نفس المصدر.

خلال القرن التاسع عشر كانت قبائل الزوايا قد دخلت في مرحلة جديدة من التطور انتقل بها إلى إطار القبائل المحاربة المدافعة عن نفسها أمام التطورات المجالية حيث أندحرت تجارة القوافل منجرفة نحو السواحل ومرافئها المراقبة من طرف الأروبيين. من بين القبائل التي عرفت يومها تطورا ملحوظا قبيلة أولاد أبي السباع ذات الماضي السياسي والديني الكبير. وكان أن تسربت بعض الأسماء والفصائل السباعية الكبرى كأهل سيدي محمد ولد سيدي خليل إلى فصيلة أولاد بو أودن من قبيلة اعرب. فاستطاعت تصدر الأحداث داخل لكرادبة ومنافسة أهل حمادي في زعامة النعامنة.

إلا أن هذه الحقيقة التنافسية بين لفي قبيلة اعرب لا تنفي محافظة مختلف فصائلها على ميزتين أساسيتين هما طابعها الحربي النسبي وارتباطها في نفس الوقت بالزوايا. فعلى سبيل المثال لا الحصر يشير جورج سبيلمان أن فصيلة النواجي التي كانت تتصف يومها بالغنى وبالطابع الحربي قد ظلت مرتبطة بزوايا أولاد المدني المعادين للتغلغل الفرنسي. كان لهذا الارتباط دوره الفاعل في تزكية السياسة المناهضة لكل فصيلة حاولت التقرب من فرنسا كالكردابة. وهنا يضيف الباحث نفسه أن النواحي والكواسم من لف النعامنة قد ظلوا متشبثين بشيخهم حمادي ولد الشيخ الملتزم بموقفه المعادي للتغلغل الفرنسي. هذا ما زاد من حدة الخلاف بين هذه الفصائل وبين أولاد بو أودن المنتمين للفرادبية تحت رئاسة سيدي محمد ولد سيدي خليل. كانت قبيلة اعرب قد دخلت في صراع مفتوح مع آيت علوان سنة 1928 فطردتهم من مدشر أولاد محاية لأسباب تبدو مرتبطة بمشكل التحالف مع الحضور الفرنسي. ويومها عرفت علاقات اعرب التحالفية مع المخزن بعض الفتور بسبب استيلاء الإدارة الفرنسية على السلطة وتسيير شؤون الدولة. وهو ما دعاها إلى التحالف مع آيت خباش الأعداء التقليديين للحضور الفرنسي.

1943، ودفن بمقبرة باب أغمات بجوار والده. وكانت جنازته أعظم جنازة عرفتها مدينة مراكش في هذا العصر. له كتيب صغير اسمه : *الستر العام فيما يتعلق بتعظيم نعمة الطعام*. أحمد متفكر، ذيل الإعلام.

أحمد متفكر

ولد ميارة، علي بن عمر بن سيدي عبد الرحمان الرقيبي، أحد رموز المقاومة في الجنوب المغربي في بداية العقد الثاني من القرن العشرين، ينتمي إلى التنهلات إحدى عشائر الرقيبات. اشتهر بمقاومة الوجود الفرنسي في الصحراء إلى جانب رفاقه في الكفاح المسلح، الشيخ الولي ابن الشيخ ماء العينين، ومحمد المامون ابن علي الشيخ ابن الشيخ محمد تقي الله بن الشيخ محمد فاضل بن مامين وإسماعيل ولد الباردي وأحمد حمادي وغيرهم. قاد معارك كثيرة من أبرزها معركة لغنم سنة 1913 ضد أهل بوتلميت، ومعركة دتْك بالحوض سنة 1919 وغيرهما من المعارك والغزوات.

توفي سنة 1352 / 1934.

أحمد سالم، حوليات أهل الشيخ ماء العينين ومنطقة أزار، ص. 24، مرقون خاص.

Sophie Caratini, Les Reguibat, L'Harmattan, Paris, 1989 ; De La Chapelle, Les tribus insoumises, in *Revue des troupes coloniales*, n° 207, juillet-septembre, 1932.

محمد الظريف

ولد الهنا الهددي، عبد الرحمان : مجاهد أبلي

البلاء الحسن في جهاد قبائل زعير ضد الاحتلال الفرنسي، شارك في عدة معارك، وقد ألقى القبض عليه وأعدم بالرصاص قرب معسكر مارشان (الروماني) يوم 29 يوليو 1911 إثر معركة الفج التي وقعت بدوار الهداهدة بقبيلة أولاد خليفة.

علال الخديمي، مقاومة زعير للاحتلال الفرنسي، ندوة أكادير ؛ عبد المجيد التركي، مقاومة زعير، مخطوط مرقون ؛ تحريات ميدانية. علال الخديمي

ولعايدي، مقاوم من قبيلة زيان بخنيفرة، انخرط في صفوف المجاهدين منذ أن أخذت المدرعة الفرنسية (غاليلية) تظر الدار البيضاء قتال من الميناء سنة 1907.

كان يحتل المركز الثاني في قيادة المقاومة المسلحة بعد عمه البطل الأسطوري موحا وحمو الزياني. شارك في العديد من المعارك التي خاضتها المقاومة الزيانية على مشارف السهول الأطلننتكية والهضاب الداخلية، للحيلولة دون وصول الجيوش الفرنسية إلى مدينة فاس. وعندما أمر القائد موحا وحمو المقاومين بالانسحاب من محور فاس - الرباط وبالعودة إلى بلادهم، كان من الذين شددوا الحصار على خنيفرة التي احتلتها القوات الفرنسية في 12 يونيو 1914. وخلال الفترة

الممتدة ما بين 1914 و1918 اشتهر في مهاجمة المراكز الفرنسية، واعتراض قوافل التمرين، وخاض عدة معارك على أبواب خنيفرة، كما حضر موقعة لهري الخالدة حيث حطم المجاهدون فيها فيلق الكولونيل Laverdure عن آخره.

وبنهاية الحرب العالمية الأولى، نشبت نار حرب بينه وبين أبناء عمه، واستمرت المقاتلات حوالي سنتين، انهزم فيها ولعايدي أمام منافسيه الذين كانوا يتلقون إعانات مالية وعسكرية من السلطات الفرنسية، الشيء الذي جعله يستسلم للفرنسيين (دجنبر 1919).

غير أنه كان يرى في هذا الاستسلام سبباً له، فرغم تسميته قائداً على اتحادية إشقيين، فقد بقي ثائراً في نفسه واثراً على الوضعية، وذات غداة زَمَ رحيله وغادر القيادة المسندة له، وقصد خنيفرة حيث كان يشترط على الفرنسيين شروطاً وشروطاً، ويواجههم بمكره. ومتى وقع التلاقي مع أبناء عمه إلا وانفض المجلس عن مشاجرة ومشاكسة، الشيء الذي جعل الفرنسيين يستقلون ظله ويفكرون في التخلص منه. وفي الأخير أشاروا عليه أن يذهب في زيارة إلى بعض المدن كفاس ومكناس والدار البيضاء، ولكن كل ذلك لم يقد، فتقرر نفيه إلى آسفي (1920)، ثم إلى مكناس (1921). وفي 1940. وفي هذه المدينة، عادت إليه حياة أخرى يستشعر بها روح الوطنية والجهاد. فأخذ يتصل ببعض الوطنيين، إلا أن الفرنسيين كانوا له بالمرصاد، فنقلوه إلى سطات. وتقول المصادر التاريخية إنه لاقى لامبالاة وتفتيراً في معيشته في هذا المنفى، وهكذا توالى عليه النكبات وتتابعت ومارحمت. توفي ليلة الأحد 30 نونبر 1942، عن سن تناهز الثمانين.

أحمد المنصوري، كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر، مخطوط.

D. Rivet, *Lyautey et l'institution du protectorat français au Maroc*, L'Harmattan, Paris, 1988. محمد بن الحسن

ولوكس Volux هو ولد بكوس الأول ملك موريطانية أو المغرب القديم، الذي حكم على تقدير ما بين 118 و90 قبل الميلاد. برز ولوكس إلى جانب والده كقائد عسكري في حرب يوغرطة، حينما أصبح الملك بكوس حليفاً للملك النوميدي يوغرطة في حربه ضد الرومان. وأول نص يعرف ببولوكس ورد فيه ما يلي : "حمل بكوس على مؤخرتنا بمشاته الذين قدم بهم ابنه ولوكس. وكانوا لم يشاركوا في العملية الأولى لتأخرهم في الطريق". ويتعلق الأمر في هذا الحدث بتحالف والد ولوكس مع يوغرطة لمواجهة القائد الروماني ماريوس ما بين سنتي 107 و105 قبل الميلاد.

ولما بدأت المفاوضات بين بكوس وماريوس، أشار سالوست إلى أن الملك الموري كلف ابنه ولوكس بالتقاء مبعوثي ماريوس وهم في طريقهم إليه من أجل التفاوض. قال في هذا الصدد : "بعث بكوس برسالة إلى ماريوس

يطلب منه أن يرسل إليه صولا ليسوي بتحكيمة مصالحيهما المشتركة. فذهب صولا في حراسة بعض الرماة وفرقة من البليبيين المزودين بالأسلحة الخفيفة التي يبعثها من السير بسرعة، وتحميمهم كغيرها من الأسلحة من سهام السرعة التي يبعثها العدو. غير أنهم فوجئوا في اليوم الخامس من مسيرتهم، برؤية ولوكس بن بكوس وقد ظهر أمامهم في السهل الواسع. ولم يكن مع ولوكس أكثر من ألف فارس، ولكنهم نظرا لأنهم كانوا يسيرون مشتتين، وبدون نظام، فإن عددهم بدا كثيرا جدا في عين صولا ورفقائه الذين خشوا أن يهاجمهم العدو. لذلك استعد كل واحد منهم للمعركة، وفحص أسلحته وأخذ أهبطه. وكان بعض الخوف يساورهم، ولكن أملهم كان أعظم، لأنهم يذكرون الانتصارات التي نالوها على هذا العدو نفسه الذي هو الآن أمامهم، وبينما الأمر على هذه الحال عاد الفرسان الذين بعثوا للاستكشاف وأخبروا أن كل شيء هادي، وتلك هي الحقيقة".

ويواصل الكاتب حديثه عن الأمير الموري قائلا : "ووصل ولوكس فسلم على القسطنطين (صولا)، وقال إن أباه أرسله لاستقباله وللسير في موكبه. فسار الجميع طيلة ذلك اليوم والذي يليه دون أن تحدث فتنة. ولكن في المساء، بعدما حطت الرحال هرع الموري نحو صولا بوجه متغير وسحنة مذعورة. وقال له إن الرواد أخبروه أن يوغرطة ليس بعيدا عنهم. وألح عليه أن ينتهز الظلام لينجو معه سرا. فأجابه صولا باعتداد أنه لا يخشى نوميديا هزمه الرومانيون عدة مرات، وأن له كامل الثقة في جنوده. حتى لو كان هلاكه مؤكدا، فإنه سيبقى ولا يخون أولئك الذين يقودهم لينتقد بالفرار المهين حياة سريعة الزوال، قد يسلبها منه المرض عما قليل. ولما أشار عليه الأمير أن يرحل على الأقل في الليل، فإنه أخذ بهذا الرأي وأصدر في الحين الأمر لجنوده أن ينهوا طعامهم على عجل، وأن يوقدوا أكثر ما يمكن من النيران في المعسكر، ثم يغادروه في صمت عند الهزيع الأول. ورغم عن التعب الشامل الذي سببه هذا السير بالليل، فإن صولا كان عند بزوغ الشمس يخطط مكان المعسكر. وإذا بفرسان موريين يخبرونه أن يوغرطة قد عسكر عند الأمام على نحو ألفي خطوة. وسمع رجالنا بهذا الخبر فاعتراهم خوف شديد. وظنوا أن ولوكس قد خانهم، وأنهم قد وقعوا في كمين، حتى أن بعضهم قالوا بوجوب الانتقام بحد السلاح، حتى لا تبقى جريمة ولوكس بغير عقاب.

ثم أوضح الكاتب كيف تطورت الأمور بسلام قائلا : "وقع أن صولا كان يقاسمهم الرأي، فقد منع التعرض للموري بسوء. وحث جنوده على الصمود موضحا لهم قائلا لقد سبق أن حفنة من الأبطال كثيرا ما صارت جيوشا كثيرة وانتصرت عليها. فبقدر ما يقل رفقهم بنفوسهم تكثر سلامتهم. وأنه من العار للمراء وسلاحه بيده أن يلجأ لقدميه اللتين ليس لهما سلاح، وأن يولي من جسمه للعدو والمعركة على أشدها الجزء الذي لا يستطيع رؤيته أو الاحتماء منه.

وبعدما أشهد جوبيتر العظيم على جريمة بكوس وخيانتته أمر ولوكس، لأنه كان يسلك سلوك الأعداء، أن يخرج من المعسكر. فرجاه ولوكس ودموعه في عينيه أن لا يصدق شيئا من ذلك، موضحا أنه لا خيانة في كل هذا، وإنما هو نتيجة لدهاء يوغرطة الذي أعلمه جواسيسه لاشك بسير الرومانيين، وأنه يعتقد أن يوغرطة لن يستطيع عمل أي شيء جهارا، نظرا لكونه ليس معه جيوش عديدة، خصوصا بحضور رؤية ابن الملك الذي تتعلق به آماله ووسائله، وأن الأولى إذن حسب رأيه هو المرور بجرأة وسط معسكر يوغرطة. أما بالنسبة له هو ولوكس، فسواء جعل جنوده الموريين في الأمام أم تركوا في مكانهم، فإنه سيسير وحده مع صولا. ونظرا للحالة فقد عمل بهذا الرأي. وفي الحين أخذ يسيرون، فمرا بدون أن يصدما عائق، منتهزين ما أحدثه قدمهما المباحث من شك وتردد عند يوغرطة. وبعد أيام قليلة بلغا القصد من سيرهما".

بالنسبة لواقعة لقاء ولوكس لصولا، واعتراض يوغرطة لسبيلهما، واعتقاد الكاتب أن الأمير الموري كان في ورطة خلال هذه الواقعة، فإن الكاتب لم يفهم واقع الأمور، في خضم المفاوضات التي كانت جارية ما بين الملك بكوس وماريوس. وفي تقديرنا أن الأمر يتعلق باقتراح كان قد تقدم به يوغرطة إلى بكوس بعد الجولة الأولى من المفاوضات، والقاضي باعتقال صولا واتخاذ رهينة للضغط على رومة، كي تقدم تنازلات للملكين. والواضح أن بكوس لم يقبل بهذا الاقتراح ولعل الملكين لم يتوصلا إلى حسم هذا الأمر. لذلك نجد من جهة أن يوغرطة يعترض سبيل صولا، والغالب على الظن أنه اتخذ المبادرة لاعتقاله بنفسه. ومن جهة أخرى نجد بكوس قد توقع مبادرة يوغرطة هذه، فبعث بولده ولوكس معززا بألف من الفرسان للقاء القائد الروماني. وبما أن ولوكس كان يعلم بالخلاف القائم بين والده ويوغرطة حول هذه المسألة، كما كان يعلم بالاتفاق السري بين والده وصولا في الجولة الأولى من المفاوضات، والقاضي باعتقال يوغرطة وتسليمه للرومان، لذلك أصيب ولوكس بالفزع، فاقترح على صولا الفرار. لكن الكاتب توهم أن القائد الروماني رفض الهروب، وهو يبالي في تمجيد صاحبه، دون مبالاة بما يناقض كلامه، في قوله إن القائد قبل اقتراح ولوكس بالتنسّل ليلا. ويبدو أن ولوكس تمكن من مداراة يوغرطة. فطمأنه بوعد من الوعود، وناشده بالتراجع عن فكرته، وأن والده مصمم على تنفيذ طلبه بالقبض على الروماني، وأنه سيقود هذا الأخير بنفسه إلى النهاية المرجوة. ولذلك سمح يوغرطة بمرورهم. بينما لم يفتن المؤرخ بما وقع، وتصور أن الملك النوميدي كان تحت وطأة المفاجأة زاعما ما يلي : "فمرا بدون أن يصدما عائق، منتهزين ما أحدثه قدمهما المباحث من شك وتردد عند يوغرطة".

سالوست، حرب يوغرطة، تر. محمد التازي سعود، فاس، 1982 ؛ محمد مجدوب، 1990، أضواء على أوضاع مورسية من خلال حرب

يوغرطة، بحوث، المحمدية، ع 2 - 3، ص. 61 - 82 : نفسه، مملكة
المورين وعلاقتها مع رومة لغاية سنة 33 ق م، فاس، مرقونة.
S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*,
1928, t. 7, Paris.
محمد مجدوب

هولندا إيفاد خبراء ومعلمين حجازيين. وأوفدت هولندا
بالفعل خبيراً أعد تقريراً أكد إمكانية تحقيق المشروع، وأن
المنطقة صالحة لإيواء السفن بعد إنجاز عدد من العمليات.
وقد وجهت هولندا خبراء استقبالهم الوليد وأعد لهم بمجرد
وصولهم المواد اللازمة للبناء. فهل فُتِحَ المرسى ؟

تؤكد شهادات أن مرسى الوليدية فتح فعلاً ؛ فقد ورد
في وثائق إنجليزية في سياق الحديث عن إطلاق سراح بعض
الأسرى الإنجليز أنهم بعد تسريحهم، أبحروا من مرسى أبير
(Aer) في أبريل. كما تؤكد شهادة أخرى أن سفينة أبحرت
من الوليدية Gowandia بتاريخ 28 أبريل 1938 موسوقة
سلعا مختلفة، كما تتحدث شهادة أخرى عن المنطقة مشيرة
إلى وجود حصن (قصة) يطل على المنطقة. وتضمنت رسالة
من داوود بلياش إلى هولندا أن السلطان أنشأ مرسى جيدا
في أبير. أما قصة الوليدية فقد اندثرت، ولم يبق منها سوى
إطار أسوار مربعة الشكل تعلوها أبراج. وانقطع الحديث عن
مرسى الوليدية خلال القرون الموالية للقرن السابع عشر. ورغم
إشارة Ch. Tissot إلى المرسى واقتراحه استغلاله كميناء
لتصدير خيرات عبدة ودكالة. فإن سلطات الحماية الفرنسية
لم تهتم بالأمر.

الإفراني، نزهة الحادي ؛ أحمد الناصري، الاستقصا؛ الكانوني،
أسفي وما إليه قديما وحديثا.

Ch. Tissot, Note sur l'ancien port d'El Gaït (Oualidia),
Bull. de la société de géographie, juin 1875 ; S.I.H.M.,
Série Saadienne, Pays-Bas, Tomes III et IV. France,
Tomes II et III.

عبد اللطيف الشادلي

الوليشكي (الحاج -) ميمون بن محمد بن عمر بن

علي الشرقي المنتمي أصلا إلى فرقة من شرفاء بني يزناسن،
الوليشكي الأنوالي منشأ وداراً، من قرية أنوال الشهيرة التي
شهدت هزيمة القوات الاستعمارية الإسبانية سنة 1921 إبان
الحرب الريفية الكبرى. صوفي تميز بالورع والتقوى، أسس
فرعاً جديداً للطريقة الصوفية الدرقاوية البودالية الهبرية
بالريف في العشرية الثانية من القرن العشرين الماضي بإذن
من شيخه السيد البودالي بن عبد القادر الجباري الودغيري
الكائن مقره بتاخميرت بضواحي سعيدة، الذي تلقى بدوره
التربية الصوفية على الشيخ الهبري المغربي الكائن مركزه
بأحفير على مقربة من وجدة. وهذا بدوره كان تلميذاً للشيخ
محمد بن قدور صاحب الزاوية القائمة بجبل "كركر" القريب
من الناظور، الذي تتلمذ على محمد أبي الباشا التلميذ
المباشر للشيخ العربي الدرقاوي الزروالي مؤسس الطريقة
الدرقاوية.

في مطلع القرن الميلادي الماضي تجول صحبة ابن عمه
السيد محمد بن حمو في ضواحي سعيدة بحثاً عن مرشد أو
مرب أو شيخ تعليم على ما يبدو، على غرار ما كان يفعل
طلاب القرآن المتنقلين حينئذ من مسجد إلى آخر، أو مركز
ومعبد إلى آخر، فالتقى بالشيخ البودالي الذي تصادف

الوليد (بن -) زيدان بن أحمد المنصور الذهبي أحد
سلاطين الدولة السعدية، حاول القيام ضد أخيه عبد الملك
وفشل في ذلك فلجأ إلى سلا، حيث استضافه المجاهد محمد
العياشي، ونشأت بين الرجلين صلات حين بوع الوليد حيث
كان العياشي يكاتبه وينصحه بتقوى الله والعدل بين الرعية
ويدعوه للجهاد. تولى الملك بعد مقتل أخيه عبد الملك يوم
16 شعبان 1040 (20 مارس 1631)، ولم يصف له إلا حوز
مراكش. وقد سعى إلى استرجاع بعض أمجاد الدولة
السعدية وقرب إليه عدداً من العلماء، أمثال القاضي عيسى
بن عبد الرحمن السكتاني الذي ألف له شرح صفري
السنوسي، والطبيب علي بن إبراهيم الأندلسي الذي ألف له
منظومة في الفواكه الصيفية والخريفية.
توفي قتيلاً يوم 14 رمضان 1045 (21 فبراير 1636).

الإفراني، نزهة الحادي، ص. 354 ؛ أحمد الناصري، الاستقصا، ج
6، ص. 78 - 82 ؛ المراكشي، الإعلام، ج 10، ص. 189.

الوليدية (تاريخ -) تقع قصة الوليدية على بعد 60
كلمترا شمالي مدينة أسفي. وتنسب إلى بانيها السلطان
السعدي الوليد بن زيدان (1631 - 1636). غير بعيد عن
قصة أير. كما ورد ذكر نفس الموقع في كتب الجغرافيا
العربية باسم قيظ أو قيظ. ويطلق الاسمان على القصة
وعلى المرسى. تتميز المنطقة بوجود ذراع بحري ينفذ ماؤه إلى
اليابسة عبر صخور صخمة، ويظهر من الساحل في شكل
مجرى مائي يمتد باتجاه شمالي، بموازة الساحل، على طول
يختلف باختلاف قوة حركة مياه البحر.

أقام السلطان زيدان بن أحمد المنصور حوالي سنة 1620
في المنطقة الواقعة شمالي أسفي، وانتبه إلى أهمية الموقع
وإمكانية استغلاله للاتصال بالمحيط الأطلسي، فكلف به
مهندسا فرنسيا هو سان مندري (Le capitaine de St. Mandrier).
لكن المشروع فشل، وأثار انتباه إسبانيا وهولندا
اللتين وجهتا عدداً من الحملات للتعرف على إمكانيات
المنطقة وأهميتها. وتبادل زيدان وهولندا مراسلات عديدة في
موضوع فتح مرسى في أبير على أن تتكلف هذه الأخيرة
بتزويد المشروع بالصناع، مقابل حق استخراج ملح البارود
من كل الأقاليم الخاضعة للسلطان. غير أن التقارير المفصلة
التي أعدها مبعوثون هولنديون أثبتت صعوبة تنفيذ المشروع،
فتم التخلي عنه. وتوفي زيدان سنة 1627 / 1037. وخلفه
على عرش مملكة مراكش ابنه عبد الملك (1627 / 1631) ثم
من بعده الوليد (1631 - 1636). وقد عاد هذا الأخير إلى
التفكير في مشروع فتح مرسى في شاطئ أبير، فطلب من

بني وكيل، والسيد الحاج بوحتات من بني بويحي، والسيد الحاج شعيب من تسمان، والسيد محمد بلحاج من قلعية، وآخرين كثيرين.

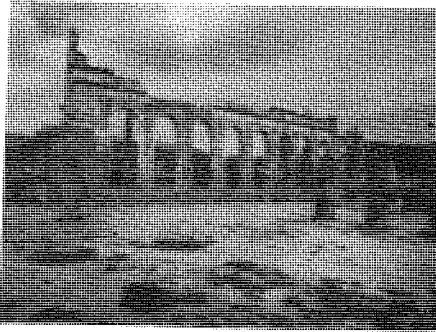
بعد انتهاء حرب الريف، قام الوليشكي ميمون سنة 1929 بتنظيم رحلة إلى الديار المقدسة ضمن وفد يضم سبعة أشخاص منهم الشيخ التوزاني الذي كتب عن هذه الرحلة كتاباً خاصاً، والسيد الحاج أحمد ياسين، والسيد الحاج عبد الرزاق الوكيل والسيد محمد بن حدو الرحموني، والسيد محند بن محمد العثماني.

توفي السيد ميمون الوليشكي بزوايته يوم فاتح يوليوز 1967 الموافق ليوم الجمعة 21 ربيع الأول 1387، بعد أن أسند شؤون الزاوية لنجله السيد الحاج مصطفى الذي نقل بعد ذلك مركزها إلى ضاحية مدينة تزطوطين على الطريق الرئيسية الرابطة بين الناظور والحسيمة حيث لا تزال تقوم بدورها في الإصلاح الاجتماعي.

عبد الله عاصم

وليلي فوليبليس، تقع مدينة وليلي الأثرية على بعد

3 كلم غرب مدينة مولاي إدريس زرهون، وعلى بعد 30 كلم شمال مدينة مكناس، وعلى بعد 60 كلم غرب مدينة فاس. تطورت على حدود سهل فسيح، فوق هضبة مثلثة يبلغ متوسط ارتفاعها 400 م. يخرقها من الناحية الشرقية وادي فرطاسة ويحيط بها من الناحية الجنوبية والجنوبية الشرقية وادي خومان. شملت رقعة التعمير بوليلي تدريجياً مساحة تناهز 40 هكتاراً.



اسم فوليبليس هو الاسم الذي حملته الموقع كما تشهد على ذلك النصوص القديمة والنقوش اللاتينية التي عثر عليها بالموقع نفسه. غير أن هذا الاسم قد ورد على صيغ مختلفة: Vodubri عند بونيبوس ميلا، Volubili عند بلبنيوس الشيخ Oulibilis عند بطليموس. أما على النقوش اللاتينية فيرد على الشكل التالي، Volubili، Volubilitana، Volubilitanorum. لكن التسمية المتعارف عليها والتي فرضت نفسها هي Volubilis، والتي لا يستبعد أن يكون

وجوده في سياحة بتلك المنطقة ولازمه فترة، ثم أمره بالتوجه إلى فاس لتلقي مبادئ التعليم الديني. وهناك تعرف على رفيقه القادم سيدي الحاج محمد التوزاني وسأكته في غرفة واحدة كما تقول الروايات. ولكنه لم ينقطع عن الاتصال بشيخه البودالي، بل استمرت زيارته له حتى بلغت 14 مرة مشياً على الأقدام. فقد كان منصرفاً إلى تعليم آخر باطني منصب على الحقائق أكثر مما هو منصرف إلى تعليم خارجي يكتفي بمجرد الوصف اللفظي لهذه الحقائق. وحتى أثناء وجوده في فاس، لم يكن يتوجه إلى حلقات الدرس إلا بعد استكماله لخدماته المستمرة لزملائه. إذ كان يطهو لهم ويغسل وينظف أولاً ثم يتوجه بعد ذلك فيما تبقى من وقت إلى الدرس. وذلك لأن التفاني في خدمة الغير، هو في نظر الصوفي أحد الأبواب التي يلج منها إلى نفسه.

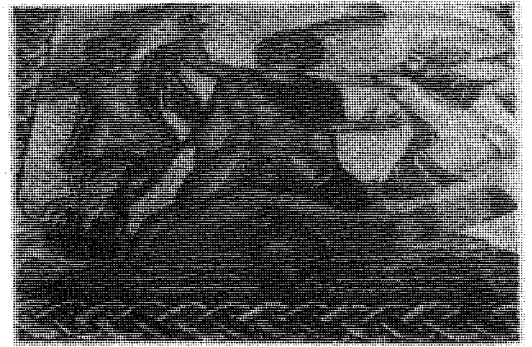
تقول الروايات إن السيد ميمون الوليشكي لم يلبث في فاس سوى حوالي سنتين، ثم عاد إلى قريته أنوال حيث أسس أول زاوية له هناك في حوالي 1916 - 1917 عندما التقى من جديد مع زميله وصديقه الشيخ التوزاني، قبل اندلاع معارك أنوال. ولم تكن هذه الزاوية بعيدة عن ساحة المعارك إلا بمسافة ضئيلة جداً، الأمر الذي أدى إلى هدم أجزاء من منزله، مما اضطره إلى الانتقال إلى قبيلة بني سعيد المجاورة. غير أن القصف الجوي والأرضي أدى به من جديد إلى الانتقال إلى موقع آخر على الحدود الفاصلة بين منطقتي النفوذ الإسباني والفرنسي، بين "جزناية" و"بني توزين" يعرف بـ "إحضربا"، مثل ما فعل صديقه التوزاني الذي انتقل من ميضار إلى "حجرات القضاء" بمنطقة المجاهدين. وبعد أن هدأت الحرب عاد إلى مقره ببني سعيد حيث استأنف جهاده الصوفي.

وانهمك في نشر الطريقة في معظم مناطق الريف، من بني يزناسن شرقاً إلى "جبالة" غرباً إلى "جزناية" جنوباً بحوية وإصرار منقطع النظير. وقد لعبت زاويته أدواراً اجتماعية وثقافية وأخلاقية ودينية هامة أدت إلى استقطاب آلاف المريدين في الأقاليم المذكورة، عن طريق دروس ومجالس تثقيف وممارسة أذكار وعبادات جماعية وفردية من شأنها بناء الجانب الخلقى والنفسي والديني من جهة، وتوثيق التلاحم والتعاقد والمواساة بين أفراد المجتمع من جهة ثانية. وهكذا انقلب المجتمع القروي من التناحر والتقاتل والجهل و"السيية" التي كان عليها إلى تنظيم وإرشاد وتضافر، بل وتسابق إلى الخير والقيم الروحية. وقد قام العلامة سيدي الحاج محمد التوزاني إلى جانب الوليشكي ميمون بالنصيب الأوفر من هذا الجهاد، فكان مدرساً وواعظاً ومرشداً وهادياً إلى السلوك القويم بإعطاء المثل عملياً، وليس بالكلام فقط. وهكذا نشأت مدرسة اجتماعية متكاملة. كما ساهم إلى جانبها مجموعة من المؤطرين منهم: السيد عبد السلام بن المهدي في بني سعيد والسيد عبد الله التمشيتي بجزناية، والحاج محمد بن الهادي بالمطالسة، والسيد الحاج أحمد عاصم من بني توزين، والسيد الحاج أحمد بن عبد الرزاق من

أصلها بربريا تَمَّت رَوَمَنْتُهَا. ولنحتفظ بالتسمية العربية (وليلي) والتي هي تسمية مشتقة من مصطلح بربري (أليلي) التي تشير إلى الدفلة الوردية التي تنبت بكثرة على ضفاف الوادي الذي يحده المدينة من الجهة الجنوبية والغربية.

لقد ورد اسم وليلي أولاً عند بونيبوس ميلا، وهو المؤرخ الذي عاش تحت حكم الإمبراطور كلود، وهو من أصل إسباني، يصفها في كوروغرافيته بأنها مدينة متواضعة "من المدن المهمة بموريطانيا الطنجية والتي أكثرها مدن صغيرة، فالتى تبعد عن البحر، جيلدا، فوليبليس، بريسكيانيا، أما التي توجد على البحر، فهي سلا وليكسوس التي يسقيها وادي ليكسوس".

أما بلينيوس الشيخ، حوالي 77 بعد الميلاد، فيصفها في كتابه الخالص من التاريخ الطبيعي بأنها أوبدوم Oppialum كما أنها وردت عند بطليموس، حوالي 140 بعد الميلاد، وهو جغرافي إغريقي، والذي يضبط في وصفه للأرض، خطوط العرض لمختلف المراكز المهمة ومنها وليلي. أما عند مرحلية أنطونان الذي يحدد الطرق الرومانية، والذي دون كتبه في عهد الامبراطور كركلا (217 - 211 بعد الميلاد) فإنه يضع فوليبليس مع وصفها مستعمرة، على إحدى الطرق الرومانية الثلاث الموجودة بموريطانيا على بعد 149 ألف خطوة من طنجة (220 كلم) و 3 آلاف خطوة من طوكولوسيدا.



أما الإشارات التي وردت عند المؤرخين العرب في الفترة الوسيطة، فنجد أن مدينة وليلي ستأخذ تسمية عربية : أوليلي، وليلي، وليلية حسب المؤرخين. فالمؤرخون والجغرافيون العرب يصفون آثار وليلي وغالبا ما يربطونها بتاريخ المولى إدريس، مؤسس أول دولة مغربية، إذ جعل منها عاصمته في القرن الثامن بعد الميلاد، ويبدو أن وليلي قد حافظت على إشعاعها جنوب موريطانيا الطنجية القديمة إلى حدود هذه الفترة. هكذا يجعل منها ابن الفقيه - جغرافي من أصل فارسي - في القرن الحادي عشر، عاصمة لبلاد طنجة قبل بناء مدينة فاس. كما وردت عند البكري، الذي يعتبر كتابه من بين أهم المؤلفات التي تحتوي على معطيات مهمة عن المدن القديمة بالمغرب. وفي القرن الثاني عشر،

أصبحت وليلي، حسب سعيد الغرناطي في كتابه الاستبصار، عبارة عن حطام، مشيرا إلى أن وليلي مدينة رومانية قديمة. أما في القرن الثالث عشر فنجد المؤرخين ابن عذاري وابن أبي زرع، يشيران إلى وليلي. وهما يتطرقان إلى استقرار المولى إدريس الأول بالمغرب. وفي الأخير، نجد إشارة أخرى إلى هذا الموقع وردت لدى مؤرخ في القرن السادس عشر وهو الحسن الوزان (ليون الإفريقي) الذي يشير إلى أن بقايا المدينة القديمة أصبحت قصر فرعون. وهكذا استغل وليلي في الذاكرة الشعبية واستعش إلى يومنا هذا مستمرة تحت ظل حكاية تجمع بين آثار قديمة ومصر الأهرامات.

هناك مجموعة من العوامل الطبيعية التي شجعت استقرار الإنسان بهذه المنطقة، وذلك انطلاقا من فترة ما قبل التاريخ وبالضبط فترة العصر الحجري الحديث : وضع دفاعي سهل بقدم جبل زهون. ووفرة المياه : حيث توجد المدينة بين مجريين للمياه وهما وادي فرطاسة ووادي خومان بالإضافة إلى وبرة العيون في هذه الجهة. ومنطقة غنية من الناحية الفلاحية : ذلك أن مدينة وليلي قد أخذت غناها من مناطقها الفلاحية المجاورة كما تدل على ذلك بقايا معاصر الزيتون والمخابز. فإن الزيت والقمح كانا قاعدة هذا الغنى. وإن الاستقرار بالموقع قد استمر مدة أكثر من عشرة قرون، وبالضبط من القرن الثالث قبل الميلاد إلى ما بعد مجيء الأدارسة سنة 788 بعد الميلاد. ويشهد على وجود مدينة في القرن الثالث قبل الميلاد النقوش البونيقية وخاصة نقيشة الشوفيط التي تشير إلى إحدى العائلات التي ورثت هذه المهمة أبا عن جد وذلك منذ القرن الثالث قبل الميلاد. خلال هذه الفترة التي تعرف بالفترة الموريطانية (من القرن الثالث قبل الميلاد إلى حدود 40 بعد الميلاد)، كانت المدينة محاطة بسور يحمل اسم السور الموريطاني أو الهليني، يحيط بها من الجهة الشرقية والشمالية الشرقية. غير أن تعمير المدينة في هذه الفترة يبقى أحد الجوانب غير المعروفة بدقة، ومع ذلك فأغلب الباحثين يؤكدون على أنها كانت منطقة على الشكل القرطاجي. إن البقايا المؤرخة بهذه الفترة أغلبها مآثر تخص الحياة الدينية : كمعبد "د"، ومعبد "ب" أو معبد زحل والمعبدتين التوأمين، والضريح، أما البنايات العمومية والخاصة فلا شك أنها توجد تحت المستويات الرومانية.

بعد مقتل الملك بظلموس من طرف الإمبراطور كليكيلا، ضمت موريطانيا نهائيا إلى الإمبراطورية الرومانية، وتم بعد ذلك تقسيمها إلى مقاطعتين : موريطانية الطنجية نسبة إلى عاصمتها طنجة، وموريطانية القيصرية نسبة إلى عاصمتها كاييسريا (شرشال). هكذا إذن تكون سنة 40 بعد الميلاد هي السنة التي تؤرخ بداية الاستعمار الروماني الرسمي لهذه المدينة والتي ستصبح بعد أربع سنوات بلدية رومانية. عهد بتسييرها الإداري لما كان يسمى بالديومفير وهم أشخاص يتم اختيارهم من طرف الفرسان أو من طرف النواب، حيث

يقضون سنة كاملة في هذه المهمة، وبعبارة أخرى فإن وليلي أصبحت مقرا للمؤسسات الرومانية.

انطلاقاً من هذه الفترة ستعرف مدينة وليلي امتداداً أكبر وتعميراً أكثر حيث سيضاف إلى معالمها مجموعة من البناءات العمومية والخاصة، وستتعدد معاصر الزيتون والمخابز والدكاكين، بالإضافة إلى الحمامات العمومية والمنازل الخاصة التي زخرقت أرضية بعض حجراتها بلوحات سيفسساء تحمل مواضيع مختلفة.

في القرن الثاني بعد الميلاد ستحاط المدينة بسور ليضمن حمايتها وبالضبط في 168 - 169 بعد الميلاد على عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس. وفي عهد العائلة السيفيرية، أعيد ترتيب وتنظيم حي البناءات العمومية، الذي يتكون من المعبد أو الكابيتول. والساحة العمومية أو الفوروم وقوس النصر، هذا الأخير الذي تم تشييده من طرف سكان وليلي اعترافاً منهم بجميل الإمبراطور كركلا الذي أعفاهم مما ما تبقى من الضرائب، وعمّم عليهم المواطنة الرومانية، كما تشهد على ذلك النقيشة التي تعلقه. وفي أواخر القرن الثالث بعد الميلاد وبالضبط في سنة 258 بعد الميلاد، ونظراً لما كانت تعيشه الإمبراطورية الرومانية من مشاكل تعرف بأزمة القرن الثالث، وكذلك نتيجة لغزو القبائل الجرمانية لبعض مناطق الإمبراطورية، فإن وليلي كباقي المقاطعات البعيدة ستتأثر بالسياسة الجديدة التي سنتها الإمبراطورية، بحيث تقرر الجلاء التام عن المناطق الجنوبية من موريطانية الطنجية باستثناء سلا كولونيا وموكادور، واكتفى الاستقرار الروماني الفعلي بالمناطق الشمالية، مع تبرين وادي اللكوس كحد جديد. وربطت هذه المناطق إدارياً وعسكرياً بمقاطعة إسبانيا.

انطلاقاً من هذه الفترة وبالضبط خلال القرن الرابع وبداية الخامس بعد الميلاد، بدأ نزوح ساكنة وليلي اتجاه غرب قوس النصر للاستقرار، هناك أقيم حي كبير على مقربة من وادي خومان، وهذا يعود دون شك للعطب والتلف الذي أصاب القناة الرئيسية التي كانت تزود غالب أحياء المدينة بالماء الصالح للشرب، وأحسن دليل على هذا الاستقرار لسكان وليلي في الجهة الغربية من المدينة هو بناء سور جديد في تلك الفترة سيفصل الأحياء الجديدة المسكونة عن الأحياء المهجورة (الحي الشمالي الشرقي، حي المباني العمومية والحي الجنوبي).

إن البقايا الأثرية الموجودة في الجهة الشمالية لقوس النصر والحي الغربي، تسمح بأخذ فكرة عن ساكنة وليلي في هذه الفترة وبالضبط على مقربة من الفتح الإسلامي. أبرزها أربعة نقائش مأتمية مسيحية مؤرخة بـ 599 بعد الميلاد و655 وبعد الميلاد، والتي يمكن أن تعتبر خير شاهد على أن ساكنة وليلي قد اعتنقت المسيحية وأن اللغة اللاتينية كانت لا تزال لغتهم الرسمية.

وبقي الوضع على ما هو عليه، إلى أن دخل إليها الفارس الإسلامي عقبه بن نافع الفهري حوالي 681 بعد الميلاد، واستولى من بعده موسى بن نصير على المغرب

الأقصى سنة 710 بعد الميلاد. وبهذا يمكن القول بأن وليلي عرفت فترة إسلامية قبل مجيء المولى إدريس الأول إليها، كما تدل على ذلك النقود الإسلامية والمعروفة بالنقود ما قبل الادريسية والتي عثر عليها بعين المكان والتي يحمل البعض منها مصطلح ضرب بوليلية.

ونتيجة للصراع الذي اشتد بين العباسيين والشيعة، فر المولى إدريس الأول، المنحدر من علي ابن أبي طالب، إلى المغرب حيث استقبل وبوع في وليلي من طرف زعيم قبيلة أوربة. وحسب ما تحمله المصادر التاريخية فقد اتخذ المولى إدريس من وليلي قاعدة لفتوحاته حيث استقر بها قبل بناؤه لمدينة فاس التي ستصبح مهد الدولة الإسلامية بالمغرب. ولم تهجر وليلي بصفة نهائية بعد تأسيس مدينة فاس، بل استقطبت سنة 818 بعد الميلاد ساكنة جديدة مكونة من قبائل الرند الذين تم طردهم من ناحية قرطبة، والذين استقروا في أقصى الحي الغربي خارج السور الروماني، غير بعيد عن الحمامات الإسلامية الموجودة في هذه الجهة، ولقد مكنت الحفريات التي عرفها الموقع خلال السنوات الأخيرة، بعض الباحثين من جمع معطيات مهمة عن فترة الاستقرار الإسلامي بالموقع، بحيث أصبح بالإمكان الآن التحدث عن العمارة الإسلامية وتنظيم المجال بوليلي خلال هذه الفترة. ولعل أحسن دليل على تعمير وليلي خلال هذه الفترة هي المقابر الإسلامية المتناثرة والتي عثر عليها في الجهة الشرقية وفي الحي الشمالي وهي مناطق توجد خارج السور الروماني المتأخر.

يشكل الموقع الأثري وليلي حقلاً خصباً لأبحاث وحفريات أثرية انطلقت منذ سنة 1915، حفريات أجريت في الحي الشمالي الشرقي وفي حي المباني العمومية والحي الجنوبي لتنتقل عملية التنقيب إلى الحي الشمالي الشرقي انطلاقاً من سنة 1930. هذه الأبحاث التي لازالت مستمرة إلى يومنا هذا، مكنت الباحثين الأجانب منهم والمغاربة من تقديم صفحات دقيقة من تاريخ الاستقرار بهذه المنطقة، وسمحت بإظهار معالم أثرية تنتمي لمختلف حقب التاريخ. ونظراً لما يحظى به هذا الموقع من أهمية تاريخية وتراثية فقد تم تصنيفه من طرف اليونسكو سنة 1997 في عداد التراث العالمي الإنساني.

A. Luquet, *Guide de Volubilis*, Tanger, 1972 ; R. Thouvenot, *Volubilis*, Ed. les Belles Lettres, Paris, 1949 ; Hassan Limane [et al.], *Volubilis de mosaïques à mosaïques*, éd. Eddif, juin 1998 ; Hassan Limane et R. Rebuffat, *Volubilis aux marches de l'empire romain*, dans *Le monde de la bible*, n° 97, mars-avril 1996 ; *Volubilis imprégnée par l'obsédante odeur de l'huile*, dans *Revue Historia / spécial*, n° 54, juillet-août 1998, p. 116-121 ; Di Silvia Bullo e Hassane Limane, *La città dell'Oleandro*, dans *Archeo le nuove Monographie*, Marocco l'Occidente d'ell Oriente, Anno VIII, n° 3, Luglio, 1999, p. 73-106 ; Hassan Limane et Abdelfettah Ichkhakh, *Quelques données sur la période islamique à Volubilis* (texte traduit en allemand par Martina Risse) dans *Volubilis, Ein römische Stadt in Marokko von der Frühzeit bis in die islamische periode*, publication Verlag Philippe von Zabern, Mainz 2001, p. 88 - 95 ; Jean-Luc Panetier en collaboration avec Hassan Limane, *Volubilis, une cité du Maroc antique*, éd. Maisonneuve et Larose Malika, 2002.

حسن ليمان

الوليليون ، يبدو أنهم كانوا من أهم القبائل المورية التي اعتمدت عليها روما لفرض سيطرتها على موريطانيا الغربية التي ستصبح تحمل اسم موريطانيا الطنجية في عهد الاحتلال الروماني. والغريب في الأمر أن بليينوس الشيخ لم يشير إليهم إطلاقاً، وذلك على الرغم من أنهم أسسوا "فيدرالية" تابعة للرومان منذ عهد أغسطس.

يذكرهم بطليموس جنوب قبائل القيريف الوريوي، فإذا كان نهر ورغة هو موطن القيريف، فالوليليون يقعون جنوب القيريف : يعني جنوب نهر ورغة. هذا إذا كانت كلمة الوليليين تعني قبيلة وليس فقط سكان مدينة وليلي. فإذا كان المقصود بالكلمة القبيلة فستكون المدينة (وليلي) عاصمتهم التي قاموا ببنائها وأطلقوا عليها اسماً مأخوذاً من اسم قبيلتهم، وليس من فولوكس ابن بوكوس كما رجح كل من غاجي (Gagé) ولوكي (Luquet)، والملاحظ أن كلمة وليلي قريبة من الكلمة الأمازيغية أليلي التي تطلق على نبات الدفلة. فهل هذا النبات الذي لا يزال منتشر في المنطقة التي يوجد بها الموقع هو الذي أعطى للقبيلة، وبالتالي المدينة - أو العكس - هذا الاسم ؟ من المرجح أن هذا الاسم هو الأصل في اسم المدينة، وبالتالي القبيلة.

ونظراً لأهمية مواطن الوليليين الواقعة حوالي موقع وليلي، فقد أهلتها لتلعب دوراً مهماً في التاريخ السياسي والعسكري والاقتصادي لموريطانيا الطنجية في عهد الاحتلال الروماني. وقد حصل العديد من أفراد القبيلة على المواطنة الرومانية منذ الفترة الانتقالية، فتم إدراج اسمائهم في لائحة قبيلة غاليريا (Galeria) وقبيلة كويرينا (Quirica) كما تشهد على ذلك النقائش. ومما يؤكد موقف الوليليين المؤازر للاحتلال الروماني في حربهم ضد إيدمون، نقيشة ماركوس فاليريوس سيفيريوس.

محمد مقدون، ثورة إيدمون، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، ظهر المهرز، فاس؛ مصطفى أعشي، العلاقات السياسية والعسكرية بين المور والرومان في موريطانيا الطنجية ما بين 140 و 280 م، د. د. ع. الرباط.

Ptolémée, *Histoire naturelle*, IV, 1-5; *Géographie*, éd. C. Muller, 1901, V, 1-5; Mostafa Ouachi, *Situation de la Maurétanie Tingitane, Memorial du Maroc, vol. III, 1983, p. 232 - 247*; Gasco, *Sur une inscription de Volubilis, Antiquités Africaines*, 28, 1993, p. 133-138; Id., *Aedemon, E.B. II, 1985, p. 166-167*; M. Euzennat, *Remarques sur la description de la Maurétanie Tingitane, dans Plin l'ancien, Histoire naturelle, v. 2, Antiquités Africaines, 25, 1989, p. 95 - 108*; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Rabat, 1924 ,

مصطفى أعشي

الوندال (التعريف التاريخي) : استعمل بليينوس الشيخ Plinius هذه اللفظة "وندال" Vandilii كاسم لأحد الشعوب المكونة للأمة الجرمانية في منتصف القرن الأول للميلاد، وجعله فروعا أربعة هي : Burgodiones, Varinnae, Charin, Gutones ، كانت تقسم آنذاك على ساحل بحر البلطيق ما بين مصبي نهر

الفستول Vistule والإلب Elbe. وذكر تاكيتوس Tacitus شعب الوندال Vandilii وجعله فرعين فحسب Guthones, Varini.

وقد علق كل من ماركوس Marcus وكورتوا Courtois على هاتين الإشارتين، فلاحظ الأول أن البورغونديين والقوط لا يختلفون عن الوندال في شيء من الخلقة أو اللغة أو الملابس أو التسليح وما إلى ذلك من العادات والأعراف. في حين رأى الثاني أن كل القرائن التي جمعها لا تسمح بتاتا أن يحشر البورغونديون والقوط ضمن الفئة الوندالية، وأنه يستحيل أن ينسب للوندال - بالحجج القاطعة - غير شعبيين هما : السيلينجيون والهاسدينجيون Silings et Hasdings. أما شميث Schmidt فقد أبدى ملاحظة من نوع آخر، مفادها أن لفظة "الوندال" كانت أول الأمر ذات معنى متسع كما استعملها بليينوس الشيخ وتاكيتوس، ثم ضاقت بعد ذلك لتحدد شعبيين فقط هما : السيلينج والهاسدينج. وهكذا رجح هذا الباحث أن يكون اسم الوندال قد أطلق في فترة قديمة على مجموع الشعوب الجرمانية الشرقية. ونبه أن كل الأدلة الأركيولوجية وغيرها من الأدلة الأونوماسيتية والطوبونيمية تدفع إلى الاعتقاد أن موطن الوندال القدامى يقع في إسكندنافيا (وخاصة في النرويج والسويد والدانمارك)، وأنهم عبروا من هناك إلى الساحل الشمالي لجرمانيا الشرقية خلال القرن الثاني قبل الميلاد على أبعد تقدير.

وإذا كان بطليموس Ptolémée قد ذكر قبيلة باسم السيلينجيين Silingi، أثناء سرده لشعوب جرمانيا، فإنه لم ينسبها من جهة لشعب معين، كما أنه من جهة ثانية لم يذكر أي شعب باسم الوندال. فهل يعتبر ذلك منه جهلاً أو تجاهلاً لشعب الوندال ؟ ومهما كان الجواب على هذا التساؤل، فإن النصوص التاريخية التي تثبت نسب السيلينجيين للوندال قد وردت عند هيداتيس Hydatus دون غيره.

وإذا كان ديون كاسيوس Dion Cassius هو المؤرخ الوحيد الذي ذكر اسم الهاسدينجيين Hasdingi، قبل القرن الخامس للميلاد، وجعل منهم شعباً ؛ فإن فكتور التونوني Victor de Tunnina وجوردانيس Jordanes وكاسيودوروس Cassiodorus قد أشاروا إلى الهاسدينجيين. باعتبارهم الأسرة الملكية الحاكمة للوندال، مؤيدين بذلك ما ورد في الأساطير الإسكندنافية من أن هؤلاء الهاسدينجيين هم الملوك الوندال أنفسهم.

هذا وقد رجح شميث دون أدنى تردد أن يكون لفظ الهاسدينجيين هو اسم الأسرة الملكية التي كانت تحكم شعب Charini، الذي ذكره بليينوس ضمن الشعوب الوندالية الأربعة، والذي ذكره كذلك تاكيتوس باسم Harini، وأن اللفظة تطورت دلالتها مع الزمن من التعبير عن الأسرة الحاكمة إلى نعت الشعب نفسه. وأيد كورسيل Courcelle هذه النظرية. وأبدى كورتوا بعض التحفظ رغم موافقته أن لفظة الهاسدينجيين كانت أصلاً للدلالة على أسرة حاكمة لشعب

بنفس الاسم. وبناء على ما سبق، ورغم أن مسألة دراسة أصل الوندال لازالت قائمة، فالراجح أن هؤلاء الوندال لم يكونوا أول الأمر شعبا واحدا بل كانوا مجموعة قبائل جرمانية شرقية تربط بينها صلات متفاوتة القرابة. ثم تطورت هذه القبائل - ولا أحد من الباحثين استطاع أن يحدد مختلف مراحل هذا التطور - لتعطي الشعبين الونداليين المشهورين : الهاسدينج والسيلينج.

عندما أشار بليونس الشيخ إلى إقامة الوندال على الساحل الجنوبي لبحر البلطيق ما بين مصبي نهري الفستول والإلب في منتصف القرن الأول للميلاد، لم يفته أن يذكر أنهم بلغوا من القوة والكثرة درجة أن اشتهر باسمهم كل الجرمان الشرقيين. إلا أن قوتهم هذه لم تحل دون تغلب القوط عليهم في أواسط القرن الثاني للميلاد، فأجبروهم على ترك مجالهم البلطقي والتحرك داخل القارة الأوربية، قاصدين جنوب جرمانيا مستغلين على ما يظهر أودية الأنهار الصالحة للملاحة في المنطقة، وكأنهم بهجرتهم تلك قد اجتنبوا الاصطدام مع القوط ونشدوا الأمان والطمأنينة والاستقرار. ومنذ ذلك التاريخ تميز الفرعان الونداليان - الهاسدينجيون والسيلينجيون - عن بعضهما البعض، وعاشا حوالي قرنين ونصف، كل في ظروفه، حتى اجتماعا من جديد في نهاية سنة 406 لعبور نهر الراين في اتجاه بلاد الغال.

وهكذا استقر السيلينجيون منذ منتصف القرن الثاني للميلاد في منطقة ستحمل فيما بعد اسمهم لتعرف جغرافيا بإقليم سيليزيا Silisie (جنوب غرب بولونيا الحالية). حتى إذا كانت سنة 277 تسلس هؤلاء السيلينجيون صحبة جيرانهم البورغونديين آنذاك إلى داخل الإمبراطورية الرومانية، حيث تصدى لهم جميعا الإمبراطور برويوس Probus وردهم على أعقابهم بعدما أسر ملكا منهم يدعى إيكيلوس Igellos، رجح كورتوا أن يكون من أصل وندالي. وظل السيلينجيون في إقامتهم تلك إلى مطلع القرن الخامس للميلاد متمتعين على ما يظهر بعلاقات طيبة مع الشفاب Suèves جيرانهم هناك. علما أن هؤلاء الشفاب بدورهم شعب جرمانى كان مستقرا حول سواحل البلطيق إلى غاية نهاية القرن الثاني للميلاد حين نزح نحو وادي الدانوب الأعلى وهلفيتيا Helvetia (سويسرا الحالية).

أما الهاسدينجيون فقد استقروا بعد حين من منتصف القرن الثاني للميلاد في سهول هنغاريا Hongrie ما بين وادي ماروس Maros جنوبا ووادي كوروس Koros شمالا، رافدي نهر طيس Theiss، وظلوا هناك بدورهم إلى مطلع القرن الخامس للميلاد متمتعين بعلاقات أساسها حسن الجوار والتفاهم والانسجام مع جيرانهم هناك من الآلان والقوط Les Alains et les Goths، علما أن الآلان شعب من أصل سمرماتي Sarmate هدم الهاون Les Huns سنة 370 إمبراطوريتهم التي امتدت آنذاك ما بين جبال القوقاز وجبال الأورال ونهر الدون، فساحوا غربا مع الهاون أنفسهم أو مع الجرمان

واستقرت بعض فروعهم في بانونيا Pannonie غرب هنغاريا بجوار الوندال.

هذا وإن كل القرائن التاريخية التي اعتمدت في دراسة موضوع اعتناق الوندال للمذهب الأريوسي ترجح أن يكون الهاسدينجيون قد اعتنقوا المسيحية الأريوسية بعد عبورهم نهر الراين سنة 406، كما ترجح أن يكون السيلينجيون قد اعتنقوا هذا المذهب أثناء إقامتهم في سيليزيا. هذا وليس هناك أي دليل قاطع على أريوسية الوندال قاطبة قبل سنة 421، وهم آنذاك في إسبانيا، حسب شهادة سالفيانوس Salvianus. مما يعزز إشارة صريحة للمؤرخ أروسيوس Orosius أن اجتياح الإمبراطورية الرومانية من طرف الباربار كان حكمة إلهية أراد الرب بها أن يهدي هؤلاء الوثنيين إلى الديانة المسيحية. ولقد أقام الوندال الهاسدينجيون في هنغاريا إلى نهاية القرن الرابع للميلاد حين اضطرتهم عدة عوامل إلى مغادرتها متجهين نحو الغرب صحبة جيرانهم الآلان : منها ما أصابهم من المجاعة هناك بضع سنين حسب ما أورده بروكويوس Procopius. ومنها تلك الدعوة التي تلقوها، لاقترحام أراضي الإمبراطورية الرومانية، من استيليكون Stilicon مدير ديوان الإمبراطور هونوريوس Honorius آنذاك في إطار خيانة هذا الوزير وما كان يدبره من الدسائس والمؤامرات. ومنها كذلك ما اشتهرت به بلاد الغال من الغنى والخيرات. كل ذلك زيادة على الخطرين الهاوني والقوطي اللذين أصبحا يهددان وجود هؤلاء الهاسدينجيون في هنغاريا خلال السنوات الأخيرة من القرن الرابع للميلاد، علما أن كل هذه الحوافز لا يمكن فهمها إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الشعوب الجرمانية قاطبة قد عرفت ومنذ منتصف القرن الرابع للميلاد رجة كبرى وحركة مستمرة للهجرة والارتحال في وسط أوروبا اصطلاح الألمان على تعريفها بمصطلح Volkerwanderung.

ومهما كانت أسباب هذه الهجرة، فالأكيد تاريخيا أن الملك جوداجيزل Godagiselus قاد بعض فروع الوندال الهاسدينجيين في اتجاه الغرب، وقاد الملكان غوار Goar ورسبنديال Respendial شعب الآلان. وتحرك الشعبان نحو حوض نهر الماين Main حيث التقيا من جديد بالوندال السيلينجيين والشفاب الذين اضطرتهم الرجة الجرمانية الكبرى إلى النزوح من سيليزيا، منجذبين نحو الغرب. وقصد الجميع الحوض الأوسط لنهر الراين Rhin في اتجاه غاليا Gallia (Gaule)، سالكين الطرق الطبيعية على الضفة اليسرى لنهر الدانوب Danube من أجل تفادي الاصطدام مع القوات الرومانية المرابطة على طول الحدود الدانوبية.

وفي يوم 31 دجنبر 406، انطلق الوندال بفرعيتهم في عبور نهر الراين مغتتمين فرصة تجمد مياهه، وصحبهم في عبورهم الآلان والشفاب في إطار بداية التنسيق بينهم أجمعين، مقتحمين بذلك ولأول مرة في تاريخهم الحدود الرومانية في اتجاه غاليا. وفي غياب قوة رومانية قادرة على مقاومة الباربار العابرين والدفاع عن الحدود الراينية، تصدى

المذاهب الدينية بين الوندال الأريوسيين والشباب الكاثوليك، وجمدت حلفها سنة 419 مع الملك الشفابي هرمريك Hermeric الذي شجعته باسم المذهب الكاثوليكي على محاربة الوندال. ولما لا حظت ضعفه أمامهم أرسلت قواتها من جديد إلى إسبانيا في ثلاث حملات متوالية : أولاها سنة 419 بقيادة أستيريوس Astérius ، وثانيها بقيادة موروكولوس Maurocellus ، وثالثها بقيادة كاستينوس Castinus سنة 421 تسانده قوات قوطية. وقد انتهى هذا التدخل لصالح جنديريك باستيلاء الوندال على ولايتي القرطاجنية وبتيكا.

وهناك في بتيكا الغنية بخيراتها مال الوندال إلى العناية بالزراعة وتربية الماشية والتجارة والصناعة، وكأنهم يأملون الاستقرار النهائي هناك، مقتنعين أنهم وجدوا تعويضا طيبا عما فقدوه في سهول أوروبا الوسطى التي اضطرتهم الظروف إلى مغادرتها. وفسحوا المجال هناك للفئات المغلوبة من الأهالي الإسبان وفقراء الرومان للاشتغال في القطاعات الفلاحية محترمين حرمتهم وكرامتهم وشجعوهم وغيرهم من الصناع والحرفيين والتجار بتخفيف الضرائب عنهم : مما جعل هؤلاء قاطبة يلهجون حمدا وشكرا للرب الذي أنعم عليهم في ظل حكم الوندال بحياة أقل ما يقال عنها إنها كانت أسعد حظا مما كانت عليه أيام الحكم الروماني. تلك الحياة التي سمع عنها الكثير أهل إفريقيا الذين كانوا دون رب يتتبعون أخبار الوندال في إيبيريا منذ اجتياحها سنة 409 حسب إشارة أوردها القديس أو غسطينوس، والذين كانوا يتمنون تسلط هؤلاء الوندال على بلدهم ليخلصوهم - هم بدورهم - من ظلم الرومان وجبروتهم حسب ما ورد عند سالفينوس. وكانوا هم كذلك قد سئمو الحياة في ظل الحروب والفوضى العارمة التي فرضتها عليهم أحداث ووقائع الربع الأول من القرن الخامس للميلاد في عموم إفريقيا الشمالية. ويرجع قرار عبور الوندال إلى إفريقيا الشمالية إلى ملكهم جنديريك الذي وقع معاهدة سنة 428 مع بونيفاكوس كونت إفريقيا يأخذ بموجبها الوندال الموريطانيات الثلاث - الطنجية والقيصرية والصطيفية في مقابل نجدة الكونت ومساندته في حروبه آنذاك ضد الجيوش الإمبراطورية. وشاءت الأقدار أن يهلك هذا الملك جنديريك في مطلع سنة 429، في إحدى حروبه ضد الشفاب حلفاء الرومان، والوندال يتأهبون لعبور البوغاز نحو إفريقيا. فقادهم خلفه وأخوه جنسريق Genséric الذي استعان بسفن زوده ببعضها بونيفاكوس تشجيعا للوندال على العبور، ويسفن صادرها من موانئ إسبانيا كرها وطوعا، ويسفن صنعتها ترسانات الوندال التي أقاموها في كل من إشبيلية وقرطاجنة بجنوب إسبانيا.

عبر الوندال إلى إفريقيا الشمالية في شهر مايو سنة 429، وقد أبحروا من ميناء جوليا ترادوكتا Julia Traducta (طريفة حاليا) ونزلوا في القصر الصغير على الضفة الجنوبية للبوغاز. أما عن أعداد العابرين فكل القرائن المصدرية تدل

شعب الإفرنج Les Francs هؤلاء محاولا ردهم على أعقابهم خائبين، إلا أن الدائرة كانت عليه فانهمزم. فتوغل الوندال والآلان والشفاب في غاليا، وأقاموا بها حوالي ثلاث سنوات من يناير 407 إلى خريف 409، وعاثوا فيها فسادا حسب شهادة العديد من المصادر الكاثوليكية، وانتقموا للرب من رعيته المنحرفة هناك حسب شهادة سالفينوس بالخصوص. وبعد أن نهب الوندال والآلان والشفاب خيرات المزارع وثروات الكنائس، ولم يعد في غاليا ما يسلبون، غادروها إلى إسبانيا في خريف سنة 409. ورغم ما أكده جورديانس من أن دخولهم إلى إسبانيا كان خوفا وفرارا من القوط الغربيين الذين ضايقوهم في غاليا، فالراجع أنهم اقتحموا الأراضي الإسبانية بحثا عن إقامة يطمنون فيها ويتخذونها موطنًا لهم معتقدين أنها صالحة لاستقرارهم ومؤملين أن يجدوا بها خيرات كثيرة، مغتتمين ما كانت تعانيه الولايات الإسبانية خاصة وغرب الإمبراطورية الرومانية عامة من التمزق والحروب الأهلية بسبب قرد قسطنطين الثالث Constantin III قائد القوات الرومانية المرابطة بالجزر البريطانية آنذاك، هذا التمرد الذي انطلق منذ سنة 407.

وإذا كان اجتياح الوندال والآلان والشفاب لإسبانيا قد أحدث حالة يرثى لها في هذا البلد حسب ما أورده من الإشارات المعبرة بعض المؤرخين الكاثوليك، هيداتيوس Hydatus وإيزيدوروس Isidorus وفكتور دي فيتا Victor de Vita وجرىوار دي تور Grégoire de Tours ؛ فإن ما أصاب إسبانيا آنذاك ومنذ قرد قسطنطين الثالث من الأهوال والمصائب والمجاعات والأوبئة من جراء ما كانت تعانيه من الحروب جعل الوندال والآلان والشفاب يخشون على أنفسهم ومصيرهم ويبادرون إلى قبول وضعية الحلفاء التي اقترحتها عليهم الإمبراطور هونوريوس بهدف حماية وصيانة إسبانيا الرومانية. وبعد أن وزع الوندال والآلان والشفاب فيما بينهم بعض ولايات ذوقية إسبانيا على أساس القرعة سنة 411 تلافيا للاضطدام فيما بينهم، استاء الإمبراطور هونوريوس من تصرفهم وخشي ضياع إسبانيا الرومانية على أيديهم، وسلط عليهم حليفه الجديد واليا Wallia ملك القوط الغربيين سنة 416 ليحاربهم ويحرر الولايات الإسبانية من قبضتهم. وهكذا زحف القوط الغربيون على الآلان في ولايتي القرطاجنية Garthaginoise ولوزبانيا Lusitanie وعلى السلينجيين في ولاية بتيكا Betica وقضوا على قوتهم تدريجيا ملحقين بهم هزائم ساحقة متوالية مما اضطرت بقية السلينجيين بعد أسر ملكهم فريدبالوس Fredbalus سنة 416، وبقية الآلان بعد مقتل ملكهم Addax سنة 418 إلى الانحياز إلى الوندال الهاسدينج في جليقيا Galicie والدخول طوعا تحت لواء ملكهم آنذاك جنديريك Gendéric الذي أصبح يلقب منذئذ : ملك الوندال والآلان.

بعد ذلك اغتنمت الإمبراطورية الرومانية عامل اختلاف

على أنهم لم يتعدوا ثمانين ألفا من الوندال - هاسدينج وسيلينج - والآلان ومن انضم إلى حشودهم من القوط والإسبان وغيرهم ... رجالا ونساء، شيوخا وأطفالا، عبيدا وأسيادا، من بينهم جميعا حوالي عشرين ألف مقاتل على أكبر تقدير، ومعهم أمتعتهم وماشيتهم ودوابهم وعرباتهم. هذا ويستفاد من إشارة وردت في رسالة بعث بها القديس أوغسطينوس إلى الكونت بونيفاكوس سنة 429 بعد مصالحته مع الإمبراطورية، أو الوندال الذين نزلوا بإفريقيا لم يواجهوا أية مقاومة مورية. بل أكثر من ذلك استنتج من هذه الإشارة بعض الباحثين أن الوندال بادروا إلى عقد أحلاف مع القبائل المورية هناك. هذه القبائل التي كانت قد سئمت من الظلم الجبائي الروماني، ومن الاستغلال الاستعماري البشع لخيرات البلاد وثرواتها؛ كما سئمت من فساد الإدارة الرومانية في كل ولايات دوقية إفريقيا آنذاك التي كانت تضغط على الأهالي بالتماطل والمحسوبية والرشوة وسوء التدبير وقبح التصرف والتغافل عن ابتزاز الولاة للرعايا وظلمهم واختلاس الأموال العامة.

وإذا كان دخول الوندال إلى إفريقيا في حد ذاته منعرجا متميزا في تاريخ المنطقة، إذ وضع النهاية الفعلية لحكم روماني قيمي دام زهاء ستة قرون، وسمح بإقامة مملكة وندالية هناك، فقد كان هذا الحدث كذلك فاتحة عهد جديد في تاريخ أهل المنطقة الذين بادروا إلى التفاهم والتعاون مع جنسريق على أسس المصالح الحيوية المتبادلة. هكذا أثمر هذا التعاون، فلم تسجل المصادر التاريخية ولو إشارة ضمنية واحدة يستفاد منها أن المورين قد اصطدموا مع الوندال طيلة عهد الملك جنسريق إلى غاية وفاته في مطلع سنة 477. بل أكثر من ذلك ساهم المورين في مختلف العمليات الحربية التي كان ينظمها هذا الملك في ربيع كل سنة، وخاصة بعد سنة 455، ضد المصالح الرومانية أو البيزنطية في كل سواحل وجزر البحر الأبيض المتوسط. كما انخرطوا في مختلف الحاميات العسكرية التي كونها جنسريق وأوكل إليها مهمة الدفاع عن أرخبيل البليار وجزيرتي سردينيا وكورسيكا بعدما بسط نفوذه عليها قبل سنة 460.

كما ساهم المورين كذلك بوقوفهم إلى جانب هذا الملك في إحباط كل المحاولات الرومانية والبيزنطية لاسترجاع إفريقيا مساندين لسياسته الخارجية ومدافعين معه عن المنطقة بكامل قواهم. وهكذا وقفوا معه لمواجهة حملة الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني سنة 441، وحملة الإمبراطور أفيتوس سنة 456، وحملة الإمبراطور مايوريانوس سنة 460، والحملة الكبرى للإمبراطور ليون سنة 468.

وبعد وفاة الملك جنسريق سنة 477، تولى الأمر من بعده ملوك ضعاف ضيعوا هيبة الملكية الوندالية وعجزوا عن تسيير شؤون دولتهم التي مالت إلى الانحلال والتقهقر سياسيا واقتصاديا وعسكريا؛ وتعقدت علاقاتهم مع البيزنطيين؛ وتضاربت مصالحهم مع الممالك الجرمانية في

الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط كالقوط بفرعيهما، الشرقيين بإيطاليا والغربيين بإسبانيا؛ وتفاقت مشاكل مملكتهم الداخلية مع حلفائهم المورين، الذين تبرموا من الانقياد والطاعة للملوك الوندال، وأعلنوا ثورتهم وانتفاضاتهم في الأوراس والموريطانيات ونوميديا وبيزاكنيا والولاية الطرابلسية، مهيين الأرضية المناسبة للزحف البيزنطي على المنطقة بقيادة بليساريوس سنة 533. وهذا الزحف هو الذي عجل بسقوط المملكة الوندالية في ظروف لم تتعد ثلاثة أشهر إلا بأيام قليلة. وعلى إثره اندثر إلى الأبد شعب الوندال وضاعت سمعته في كتب التاريخ والأدب عبر الحقب والأجيال بفعل تحيز المصادر التاريخية الكاثوليكية - رومانية وبيزنطية - وحقدتها وكراهيتها للوندال الأريوسيين.

محمد اللبار، دخول الوندال إلى إفريقيا الشمالية 429 - 442، كلية الآداب، ظهر المهراز، فاس، 1990؛ إفريقيا الوندالية بين الحملات البيزنطية والثورات المورية، 429 - 534، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، 2002؛ الوندال بين التاريخ والوندالية، القنيطرة، ع 3، 2002، ص 171 - 179.

C. Bourgeois, Les Vandales, le vandalisme et l'Afrique, *Ant. Afr.*, t. xvi, 1980, p. 213-228; Jérôme Carcopino, *Le Maroc antique*, Gallimard, 10ème éd., 1948; Idem., *Profils de conquérants*, Paris, Flammarion, 1961; Cassiodore, *Chronica*, M.G.H.A.A., t. xi, Berlin, 1894, p. 110-161; Idem., *Variae*, M.G.H.A.A., t. xii, Berlin, 1897; P. Courcelle, *Histoire littéraire des grandes invasions germaniques*, Paris, 1984; Christian Courtois, *Les Vandales et l'Afrique*, Paris, 1955; Dion Cassius, *Histoire romaine*, éd. Didot, 10 tomes, Paris, 1848-1889; E.F. Gautier, *Genséric, Roi des Vandales*, Paris, Payot, 1951; Isidore de Seville, *Chronica*, M.G.H.A.A., t. xi, Berlin, 1894, p. 391-506; Idem., *Histoire Gothorum Wandalarum Sueborum*, M.G.H.A.A., t. xi, Berlin, 1894, p. 267-303; Jordanes, *Gética et Romana*, M.G.H.A.A., t. v, 1, Berlin, 1882; Louis Marcus, *Histoire des Wandales depuis leur première apparition sur la scène historique jusqu'à la destruction de leur empire*, Paris, 1836; Paul Orse, *Adversus Paganos*, C.S.E.L., t. v, Vienne, 1882; Plinie l'Ancien, *Histoire naturelle*, éd. Desanges, Les Belles Lettres, Paris, 1980; Procope, *Bellum Vandalorum*, éd. Dewing, London/New York, 1916; Ptolémée, *Géographie*, t. iv, éd. C. Muller, Paris, 1901; Salvien, *De Gubernatione dei*, M.G.H.A.A., t. 1, 1, Berlin, 1878; L. Schmidt, *Histoire des Vandales*, Tr. Fr. de H.-E. del Medico, Paris, Payot, 1953; Tacitus, *Annales*, Texte établi et traduit par P. Wuilleumier, 4 tomes, les Belles Lettres, Paris, 1975-1978; Victor de Tannuna, *Chronica*, M.G.H.A.A., t. xi, 1894, p. 183-206; Victor de Vita, *Historia Persecutionis Vandalicae*, M.G.H.A.A., t. III, 1, Berlin, 1879, p. 1-59.

محمد اللبار

الونشريسبي، أحمد بن يحيى بن عبد الواحد أصله،

من جبال وانشرس في المغرب الأوسط، ولد وترعرع في تلمسان، حيث درس النحو والفقه وتصلع في مذهب مالك، فلم يكن يجارى فيه، لدرجة أن ابن غازي قال لتلامذته وهو يرى الونشريسبي في القرويين: "لو أن رجلا حلف بطلاق زوجته لكان بارا في يمينه، ولا تطلق عليه زوجته، وهذا لفرط تبحره في مذهب مالك، أصوله وفروعه". أخذ العلم عن شيوخ تلمسان كالإمام قاسم العقباني وولده إبراهيم وحفيده محمد بن أحمد، والإمام محمد بن أبي العباس وأبي عبد الله

الجلاب وابن مرزوق الكفيف. وكان مع سعة علمه بعد قدومه فاس، يحضر مجلس القاضي المكتاسي. وأخذ عنه جماعة بلغوا درجات عليا في التدريس والفتيا والقضاء؛ منهم ابنه عبد الواحد وعبد السميع المصمودي وأبو زكرياء يحيى السوسي ومحمد بن محمد الغرديس وغيرهم.

كان الونشريسي قوي الشخصية، لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان ذلك فيما يبدو، سبب محتته، إذ حصلت له واقعة مع السلطان أبي تاشفين الزياني سنة 874 / 1469، فانتهبت داره وفر إلى فاس، حيث استضافه الأستاذ محمد الصغير. ثم استقر بها وكان يكسب عيشه من تدريس المدونة ومختصر ابن الحاجب الفرعي، وبالرغم من كونه مشاركا في علوم شتى، فإنه اشتهر بالفقه، وكثيرا ما كان يدرس بالمسجد المعلق، المجاور لدار الحبس التي كان يسكنها بالشراطين بعدوة القرويين. ودرس أيضا في بعض مدارس فاس بعد تأخير عبد الله بن عبد الواحد الورياغلي، علاوة على شغله لكرسي المدونة بالقرويين إلى حين وفاته.

الونشريسي، عبد الله بن محسن من تلاميذ محمد

المهدي بن تومرت الذين صحبوه عند عودته من المشرق، التحق به بوانشريس بالمغرب الأوسط، وصار من خُلص أتباعه. وأصبح من أهل العشرة الذين سارعوا إلى بيعته بعد إعلان دعوته. وقد لعب دوراً أميناً خطيراً في بداية الدعوة الموحدية بجبال المصامدة، حيث تصنع البله فكان يتسمع الأخبار ويتعرف على المواقف المختلفة لأبناء القبائل المصمودية من ابن تومرت ودعوته ويبلغها إلى إمامه حتى قرر هذا الأخير القيام بعملية تصفية واسعة لمعارضيه دعوته عرفت باسم التمييز، وعندما أخبر المصامدة أن كرامة قد حصلت لأبي محمد البشير الونشريسي، فقد ألهم العلم بعد أن كان أمياً، وصار يحسن ركوب الخيل بعد أن كان أبله، وانطلقت الخيلة على البعض، ثم أوكل به ابن تومرت تمييز "المرتدين" عن الدعوة من المؤمنين بها، فقتل عدداً كبيراً ممن ثبت عدم ولائهم للمهدية سنة 519 / 1125.

كان المترجم له قائداً مقداماً، قاد بعض الغزوات ضد المرابطين. قتل في معركة البحيرة التي جرت بين الموحدين والمرابطين قرب مراكش سنة 524 / 1130 والتي انهزم فيها الموحدون وقتلت منهم أعداد كبيرة. وسرعان ما تمت إحاطة موته بهالة من التقديس، فزعم بعض أتباع ابن تومرت أن زوبعة هبت على مكان المعركة فرفعت جثته إلى السماء فلم يعثروا عليه بين القتلى.

البيذق، أخبار المهدي، الرباط، 1971.

محمد المغراوي

الونشريسي، عبد الواحد بن أحمد ولد بعد 880.

كان عالماً متضلعا في علوم شتى، فهو فقيه عارف بالفقه والفتوى والوثائق، وأديب متقدم في صناعة الإنشاء، عالم بأسرار اللغة. أخذ العلم عن ثلة من علماء وقته، كوالده أحمد الونشريسي وابن غازي وأحمد الحباك والإمام الهبطي وابن هارون... وتتلذذ عليه أبو زكرياء السراج وأبو العباس المنجور وآخرون. تولى عدة خطط، فقد تصدى للعدالة وهو شاب لم يتجاوز العقد الثالث، عينه القاضي المكتاسي وجعلها هدية زواجه. وتولى القضاء وبقي فيه زهاء ثمان عشرة سنة ولما توفي ابن هارون تخلى عن القضاء وجلس للفتوى عوضاً عنه. وكان خلال هذا كله مدرسا شغوفا بالتلقين والإفادة. فحينما توفي والده، اعتقد كثير من الناس أنه لا يقوى على التدريس في مكانه، لاشتهاره بإتقان

له تأليف كثيرة أشهرها كتاب المعيار المعرب الذي استعان على تأليفه بخزانة تلميذه ابن الغرديس، فكان يحمل كل يوم مجموعة من الكتب على دابة يتوجه بها إلى عرصة له، وهناك يقضي اليوم في النقول وتقييد ما ظهر له من الرد والقبول، وقد انتهت من تأليفه ومراجعتها سنة 911، وله أيضا تعليق على ابن الحاجب الفرعي، والفائق في الوثائق، وإيضاح المسالك إلى قواعد مالك، ووفيات الونشريسي، وفهرسة جمع فيها شيوخه. وقد تخلل كتاب المعيار عدد من فتاواه المطولة، نشر بعضها مستقلا.

توفي الإمام أحمد الونشريسي، سنة 914 عن عمر يناهز ثمانين سنة.

ابن مريم، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان؛ أحمد ابن القاضي، جذوة الاقتباس؛ أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج؛ محمد الكتاني، سلوة الأنفاس، ج 3؛ محمد مخلوف، شجر النور الزكية في طبقات المالكية؛ محمد حجي، المعيار المعرب، ج 1.

الونشريسي، سليمان الفاسي، الإمام المقرئ بجامعة الأندلس. كان قائما على المدونة، ويقرأ في التفرغ لابن الجلاب. أخذ عنه الفقيه القاضي إبراهيم اليزناسني وخلف الله المجاصي وأبو عبد الله الرندي. وأخذ بدوره عن أبي العباس أحمد بن راشد في مجلسه بالقرويين ولازمه بقصد الاستزادة مدة عشرين سنة. وسليمان الونشريسي حكاية تعكس بعضا من أجواء التدريس في هذا العصر، فقد حازه تلميذه خلف الله المجاصي أمام الملا في أحد النقول عن ابن رشد، وهو مسألة من باب المسح على الخفين من التقييد والتقسيم، فما كان من الشيخ الونشريسي إلا أن نزل من كرسيه وترك القراءة يومين. ثم أحضر الكتاب وقال لخلق الله تكذبي في النقل، نصحتك أعواما كثيرة فما كان جزائي إلا هذا. فلما تبين للمجاصي خطأه قبل عند ذلك يده واعتذر له،

الوثيقة والنحو، لكن ابن غازي أعانه في بداياته وصاحبه في تدريسه للمدونة حتى أثبت جدارته. وكان له مجلس خاص لا يحضره إلا أكابر العلماء كالزقاق واليسيتني وابن مجبر، يقرئ فيه ابن الحاجب والتفسير. وقد تصدى لتدريس وتفسير المدونة والتهديب وفرعي ابن الحاجب وصحيح البخاري والشفا، في أماكن كثيرة كالمدرسة المصاحبية وجامع القرويين ومسجد العقبة الزرقاء ومسجد رحبة الزبيب.

له تأليف كثيرة منها نظم قواعد المذهب المسمى بالنور، والمقتبس من قواعد مذهب مالك، لخص فيه كتاب إيضاح المسالك لوالده وزاد عليه زيادات، ومنها شرحه على مختصر ابن الحاجب الفقهي، وشرحه على الرسالة، ونظم تلخيص ابن البناء في الحساب، وتعليق لم يكمله على البخاري، ونظم كثير في مسائل فقهية جمعها أبو زيد الكلابي، علاوة على أزجال وموشحات وأمور طريفة تذكر عنه، تدل على رقة طبعه واعتدال مزاحه.

كان الشيخ عبد الواحد الونشريسي مقرباً من السلطان أحمد الوطاسي، وله دالة عليه تلخصها حادثة وقعت له، ذلك أنه خرج يوم عيد ليصلي بالناس، فانتظر السلطان الذي لم يخرج إلا في وقت الظهر، فلما رأى الونشريسي أن وقت صلاة الظهر قد حل، صعد المنبر وقال: يا معشر المسلمين عظم الله أجركم في صلاة العيد، فقد صارت ظهراً، ثم أمر المؤذن فأذن وأقام الصلاة وصلى بالناس صلاة الظهر، وانصرف. وتعكسها أيضاً قصة المنجور الإسلامي، ومفادها أن هذا التاجر قد استغرقت ذمته وشهد عليه أربعون رجلاً من عدول المسلمين بذلك، فقبض عليه أحمد الوطاسي وأمر بقتله، وصادر أملاكه. وقد أراد أولاد المنجور استرداد أملاكهم، فعرضوا على السلطان مبلغ عشرين ألف دينار ليرد إليهم متاعهم، ويسقط عنهم بيعة الاستغراق. فشاور السلطان الفقيه عبد الواحد الونشريسي، وأظهر له أنه في أمس الحاجة إلى ذلك المال، لكن الونشريسي رفض، وأجاب حاجب السلطان بأنه يخاف أن يلقي الله بشهادة أربعين رجلاً من عدول المسلمين لأجل السلطان. فلما علم السلطان بجواب الونشريسي ترك الأمر ولم يعد إليه.

وتأتي هذه المكانة المتميزة التي حظي بها الونشريسي من قبل أحمد الوطاسي، من وفائه له وتفانيه في خدمته، ومن أهمية المخطط التي كان يشغلها، إضافة إلى مقامه العلمي الرفيع. ولذلك كان دائماً مقدماً للمهمات العظام. فقد كتب بيعة أحمد الوطاسي وتشبث بها إلى آخر رمق. وكان حاضراً في أحلك أيام الوطاسيين، حين كلف بتحرير شروط الصلح مع السعديين في حدود سنة 940.

وحينما أسر أحمد الوطاسي عقب موقعة أدرنة في 952، وبايع أهل فاس ابنه أحمد القصري، فإن محمد الشيخ السعدي طلب من الونشريسي أن يتركه فرفض. وبسبب ذلك اقتنع السعدي أن دخول فاس يمر عبر تغيير الونشريسي

لولائه، لكن هذا الأخير أبى أن يفعل، لأن بيعة الوطاسي كانت في عنقه ولا يوجد مبرر شرعي للتخلي عنه. فهدده لكنه لم يخف، بل رد عليه بعنف وازدراء، مما اضطر محمد الشيخ إلى أن يسلم عليه من يقاتله وانتهى بذلك فعلاً صمود المدينة.

وفي مقابل هذا الوفاء، لم يكن بوسع أحمد الوطاسي إلا الاعتراف بقوة شخصية الونشريسي والتجاوز عما كان يصدر منه أحياناً تجاهه، فقد كان على بينة من حسن طويته، ولم يبخل عليه بالتصدير، كما حصل لما أسند إليه سنة 939 كرسي الحديث لتدريس صحيح البخاري بالقرويين، دون غيره من كبار العلماء، ومكثه من ريع أحباسه. وكما كان يحصل باستمرار حينما تدعوه بعض النوازل والأمر الطارئة إلى استشارته، ولما تأكد من تمييزه عن غيره من العلماء بإسناد أهم المخطط الدينية إليه.

توفي مقتولاً سنة 955، عن نحو سبعين سنة.

أحمد ابن القاضي، جذوة الاقتباس؛ محمد ابن عسكر، دوحه الناشر؛ محمد الصغير البفراني، نزهة الحادي؛ الكتاني، سلوة الأنفاس، ج 3.

الونشريسي (ابن -) عثمان بن عطية ولد في حدود

سنة 727، وكان حياً في 770. ينتمي إلى بيت اشتهر بالعلم، وكان من أعيان مكناسة الزيتون، وممن التقاهم ابن الخطيب سنة 761 / 1360، وقد حلاه بالفقيه العدل، وبأنه من أهل الحساب والقيام على الفرائض والعناية بفروع الفقه. كان يقرض الشعر، وله أرجوزة في الفرائض مبسطة العبارة مستوفية المعنى. أخذ عن أبي البركات بن الحاج البلفيقي وأخذ عنه ابن الأحمر، وأجازته إجازة عامة، وذكر أن كان فقيهاً ومدرساً ومفتياً. واحتفظ له صاحب المعيار بعدد من الفتاوى.

كان الحسن بن عثمان من جملة الفقهاء العدول الذين شملهم قرار السلطان أبي عنان المريني بالاعتصار على عشرة من الشهود بمكناسة الزيتون. لكن ذلك لم يرق لبعض الشهود القدماء، وشنعوا عليه لحداثة سنه. فكتب رجلاً رفعه إلى السلطان ذكر فيه بشهرة نسبه، وأنه أشرف على الأربعين رداً لتهمة صغر السن. كما تطرق إلى انتسابه للعلم، مدرساً للرسالة ومؤلفاً في علم الفرائض. تولى قضاء فاس مدة، ثم لما رجع من الحج هم بتركه، وأراد أن يتفرغ للعبادة. لكن زوجته رفضت وأصرت على رأيها، لخوفها من أن ينقطع عنها ما ألفتته من اعتبار، ومن خدمة النساء لها. فرجع إلى القضاء، غير أن الموت لم يمهله فقد توفي بعد أسبوعين من ذلك.

لسان الدين ابن الخطيب، نفاضة الجراب؛ محمد ابن غازي، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون؛ أحمد ابن القاضي، جذوة الاقتباس؛ أحمد بابا التبنكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج.

الونشريسي (ابن -) عطية التجاني المكناسي

المنشأ والقرار من فقهاء المذهب المالكي الذين كانت تدور

عليهم الفتيا بمكناس، أخذ العلم عن أبي الفصل ابن الصباغ المكناسي، وأخذ عنه ابن الأحمر وأجازته الموطأ على رواية يحيى بن يحيى الليثي. اشتهر زيادة على الفقه بعلم الفرائض وله فيه أرجوزة وشرحها. نقل له أحمد الونشريسي عددا من الفتاوى في كتاب المعيار.

توفي سنة 781 / 1382.

الكتاني، سلوة الأنفاس، ج 3 : إسماعيل بن الأحمر، نشير الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان.

محمد فتحة

الونان (ابن -) أحمد بن محمد الحميري التواتي

الفاسي، كنيته أبو العباس، اشتهر أمره وذاع صيته عن طريق أرجوزته المعروفة بالشمقمقية.

وعلى الرغم من أن أباه كان من ندماء السلطان سيدي محمد بن عبد الله لا تعرف عن حياته الأولى إلا الشيء القليل، وكان أديبا بارعا، كناه السلطان بأبي الشمقمق تشبيها له بالشاعر الكوفي الماجن، ولزمته كنيته، بل أكثر من ذلك انتقلت إلى ابنه وإلى أرجوزته، فلا تدعى إلا بالشمقمقية.

يذكر الفقيه الجريزي السلاوي المتوفى سنة 1240 في شرحه للشمقمقية المسمى : "رقم الدياتح المحلق بالفخر بأمر المؤمنين وأبي الشمقمق" أنه تلقى دروسه العلمية بفاس على الجلة من مشيختها كمحمد بن قاسم جسوس وعمر الفاسي ومحمد بن الحسن بناني وغيرهم، وأخذ الأدب والشعر عن والده فبرع ونبع، ونظم أرجوزته التي نالت إعجاب السلطان وجازته.

وينقل عبد الله گنون عن الجريزي قوله : "وكان حسن النظم مكثارا، لا يخاف جواد لسانه عثارا، وكان الناظم على ما بلغني شاعرا ماهرا، وفحلا هادرا، ذا وجد وإجادة، وقريحة وقادة، وبديهة بارعة، وفكرة لأبكار المعاني فارعة"، ويعقب گنون على هذا الإطراء بقوله : "كان ابن الونان شاعرا مكثرا سيال الطبع".

ولعل لابن الونان قصائد شعرية كثيرة غير الأرجوزة، لكنها ضاعت فيما يبدو، إذ لا تتوفر إلا على "قطعة شعرية مدح بها سيدي محمد بن عبد الله، ورسالة مسجعة كتب بها إلى الشيخ سيدي المعطي بن الصالح، ثم أتبعها بشعر في مدحه، وبيتين في مدح سيدي محمد بن عبد الله، وثلاثة أبيات قالها في ترفعه عن أخذ الزكاة"، كما أن له "نظما رصينا لمسائل ابن خميس، وهو أحسن الأنظام التي تضمنت تلك المسائل".

أما أرجوزته الشمقمقية، "فهي أعظم آثاره، وديوان أدبه، ونموذج شاعريته، ومثال نظمه، ولكثير من الأدباء إعجاب بها، وهي على روي القاف، وعدد أبياتها 275 بيتا".

تتضمن الشمقمقية أغراضا شعرية كثيرة، منها : المقدمة الطلبية، وفيها يذكر الرحيل ومشاق الطريق على

عادة الجاهليين، الغزل، وفيه يصف الحبيبة وجمالها، الحماسة والفخر، مخاطبة الحسود، الحكم والأمثال والوصايا، مدح الشعر، مدح السلطان، مدح الأرجوزة، وتحدي الشعراء أن يأتوا بمثالها، مطلعها :

مهلا على رسلك حادي الأنيق ولا تكلفها بما لم تطق
فظالما كلفتها وسقتها سوق فتى من حالها لم يشفق
وفي الأخلاق يقول :

فكن مهذب الطباع حافظا لحكم وأدب مفترق
وعاشر الناس بخلق حسن محمد عليه زمن التفرق
وفي مدح السلطان يقول :

له محيا في أوج الدجى سناه مثل القمر المنسق
وراحة تغار من سيولها سيول ودق وركام مطبق

وقد شرح الشمقمقية أبو عبد الله الجريزي السلاوي كما

سبقت الإشارة إلى ذلك، والمؤرخ الناصري وعنوان شرحه "زهر الأفتان من حديقة ابن الونان" وهو مطبوع على الحجر في جزأين، والعلامة أبو حامد البطاوري، وسمى شرحه "اقتطاف زهرات الأفتان من دوحة قافية ابن الونان" ؛ وهو مخطوط بالحزنة العامة بالرباط، وقد اقترح بعض الطلبة على الشارح أن يختصر شرح القافية، فوضع "الخلاصة النقية في شرح الشمقمقية"، وتوجد منه أوراق بالمكتبة الصبيحية بسلا، والعلامة عبد الله گنون، وسمى شرحه "شرح الشمقمقية"، وقد صدر في طبعتين، الأولى بالقاهرة والثانية بتطوان، كما شرحها العلامة محمد بن عبد السلام السايح وعنوان شرحه "سوق المهر إلى قافية ابن عمرو"، وصدر عن المطبعة الاقتصادية بالرباط، أما الشاعر محمد بوجندار فأطلق على اسم شرحه "الارتشاف من ثغر الاقتطاف" اقتطفه من شرح شيخه المكي البطاوري، وقد نبه إلى هذا الشرح عبد الله الجريزي في مؤلفه عن شيخ الجماعة المكي البطاوري، ص. 39، كما أشار المؤرخ ابن زيدان في كتابه "إنحاف أعلام الناس" إلى شرح الأديب الطاهر بن العناية المكناسي.

أما عن قيمة الأرجوزة فيلخصها عبد الله گنون في قوله "وعلى الجملة، فهي أرجوزة ظريفة جامعة لكثير من فنون الأدب، وأخبار العرب، وهي على عالمية صاحبها أدل منها على شاعريته"، أما الناصري فقال عنها "الله در ناظمها الذي جمع فأوعى، وحاول النظم فأجاد وضعا، وأحسن صنعا".

توفي عام 1187.

ع. الرحمان بن زيدان، إنحاف أعلام الناس، ج 3 : 345 ؛ أحمد بن خالد الناصري، مقدمة زهر الأفتان من حديقة ابن الونان ؛ محمد السايح، مقدمة سوق المهر إلى قافية ابن عمرو ؛ المكي البطاوري، اقتطاف زهرات الأفتان من دوحة قافية ابن الونان ؛ عبد الله گنون، مقدمة شرح الشمقمقية ؛ سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب، ع 15 ؛ النبوغ الغربي، ج 1 : 316، النمشي، تاريخ الشعر والشعراء بفاس، ص. 82 ؛ السايح، المنتخبات العبقرية، ص. 81 ؛ محمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، ص. 298، ع. العزيز الأودوي، شرح القصيدة الشمقمقية، رسالة جامعية مرقونة بكلية الآداب بالرباط.

نجاة المريني

ووزغت : رسمها البيذق واويزغت، واكتفى المهدي الفاسي بحذف المدود ؛ فاتفق مع أحمد الولاوي الذي عرفها قائلا : " ووزغت بفتح الواو الأولى وكسر الثانية، ثم الزاي والغين معجمتين، مع فتح الزاي وسكون الغين، ثم تاء ساكنة". واقتفى أثره في ذلك محمد بن علي الزبدي. لم نستطع التوصل إلى معرفة مدلولها في الأمازيغية، إذ أنها حسبما يبدو من الألفاظ الكثيرة التي لم تحتفظ بها الذاكرة الجماعية. وما ذهب إليه الأستاذ محمد الفاسي من أنها مشتقة من أزر فهو ليس من باب التمثل فقط، ولكنه بجانب الصواب بالكلية، لأن جذر ووزغت نجد في أزغ. والسبب البين هنا أن في الأمازيغية حرفي الغين والراء ؛ والفرق بينهما لا يحتاج إلى بيان.

تقع ووزغت على الضفة اليمنى لواد العبيد، في الطرف الجنوبي للوحوض الذي تمتد عليه اليوم بحيرة سد بين الودان، عند السفح الجنوبي لجبل غنين في تراب قبيلة آيت بوزيد الواقعة تحت نير آيت عطه - ن - مالو (أهل الظل) والذين تمتد مواطنهم إلى جنوبي مدينة بني ملال. وبذلك فهي تتوسط قبائل آيت سري شرقا، وآيت بوزيد غربا، وآيت مساض جنوبا، عند منطقة الاتصال بين الأطلس المتوسط شمالا وبادية الأطلس الكبير الشرقي جنوبا.

ووزغت هي إحدى القصبات التي جدها السلطان المولى إسماعيل العلوي لإيقاف نزوح القبائل الجبلية نحو سهل تادلا. كما يندرج بناؤها في سياق توغل نفوذ المخزن في الجبل، دعما لحضوره هناك، ولتكون جبهة أمامية تنكسر عليها هجمات قبائل آيت عطه، قبل أن تهدد قصبات الدير المخزنية، مثل فم وودي وداي وإغرم العلامة.

والغالب على الظن أن ووزغت من المواضع التي عمرها الإنسان منذ أحقاب غابرة، بسبب توافر شروط الحياة ولا سيما الماء، إذ يخترقها جدول يحمل نفس الاسم يغلب عليه الانبساط، بحيث لا تعدم التربة الخصبة.

وبناء على ذلك، لا نستبعد أن تكون ووزغت معمورة منذ العهد المرابطي على الأقل. ففي سياق حملة السنوات السبع التي قام بها عبد المومن بن علي كانت ووزغت من المواضع التي وقعت بجوارها المواجهة الأولى مع جيش المرابطين، والتي انضمت إليه على إثرها - حسب البيذق - قبيلة صنهاجة. ويضيف المصدر نفسه أن الموحدين - في طريقهم إلى داي - عبروا ممرا جبليا، دعاه تيزي. وهذا المر، في اعتقادنا، ليس إلا تيزي غنين لأنه المر الوحيد والأقرب، الواصل بين ووزغت وداي. وبملاحظة بسيطة نلاحظ أن مسلك الموحدين، في هذه الجهة على الأقل، قد اتبع مواضع القلاع المرابطية. ومن ثم يجوز أن نتساءل، ألم تكن ووزغت إحدى تلك القلاع ؟ ويجد هذا التساؤل مشروعيته إذا علمنا أن الموحدين غزوا، بعد ووزغت، داي وتاكرارات وقلعة المهدي بن توالا ...

وكانت ووزغت أيضا، من أوائل المناطق الجبلية التي

عرفت دخول التصوف، حيث ورد عليها الشيخ سعيد بن علي السوسي دفينها. وبها أيضا "شرب موسى البوگمازي ماء الفقر"، حين تتلمذ على الشيخ المذكور، ولازمه مدة طويلة، وخدمه بنفسه حتى وفاته ؛ الأمر الذي جعل أمرها يؤول إليه، سيما لما عينه شيخ شيخه عبد الله بن حسين فيما عليها، قبل أن ينتقل إلى تانغلمت. وقدم على ووزغت أيضا الشيخ محمد بن محمد بن الحسن الدادسي الذي أقام بها، رافعا هو كذلك، لواء التصوف بعد أن جدد الزاوية. وبعد وفاته سنة 1062 / 1652 ولي شئونها تلميذه على بن عبد الرحمن الدراوي المتوفى سنة 1091 / 1680. لكن هذا الأخير لم يلبث أن غادرها في تاريخ غير محدد متوجها إلى تاموجت حيث أسس زاوية خاصة به. ومن خلال بعض القرائن نستخلص أن فرقة آيت إحتاسن العطاوية قد جددت ووزغت فبنت قصبه جديدة، دعيت يومئذ إغرم - ن - جتاسن. ولعل هذا راجع إلى الفراغ الذي عرفته نتيجة فرار سكانها الأصليين أمام زحف آيت عطه.

وكان اكتساح هؤلاء أحد الأسباب التي دعت السلطان المولى إسماعيل إلى بناء سلسلة من القصبات كانت ووزغت إحداها. ونرجح أن يكون ذلك بعد سنة 1103 / 1692. أي أن البناء قد تم بعد الحركة الثلاثية الكبرى التي قاد السلطان نفسه شطرا منها. ولا شك في أن الحركة التي قادها الباشا أحمد العتابي ضد زاوية إحتاسن بآيت مضريف، غير بعيدة عن ووزغت، قد بلغ شررها إلى هذه الأخيرة. لكن هل تم الإجهاز على القصبه المخزنية ؟ لا نعتقد ذلك. إنما المقصود هو الزاوية المذكورة وأتباعها آيت عطه الذين استوطنوا إغرم - ن - جتاسن التي المعنا إليها أعلاه، والتي حاول الباشا المذكور إخلاؤها كذلك. تلك القصبه التي استوطنها آيت عطه حين ظهورهم على السكان الأصليين. والغالب على الظن أن ووزغت بعد دولة مولاي عبد الله الثالثة (1151 / 1738) قد شهدت سيطرة آيت عطه الذين أفادوا من عهد "الفترة" ليجتاحوا تلك المناطق. لكن وصول نفوذ الزاوية الناصرية إلى ووزغت، بعد أن انخرط الشيخ محمد بن عبد العزيز البوعثماني، حفيد الشيخ سعيد بن علي السوسي، في سلك الزاوية المذكورة، خفف كثيرا من وطأة العطاويين. فقد عمل الشيخ المذكور على الحفاظ على نوع من التوازن بين هؤلاء الرجل وبين المستقرين، بفضل وساطته وتحكيمه بين مختلف الفرقاء ؛ وتكلفه بحماية ووزغت. فحتى لما هم الباشا العتابي بإخلاء قصبه آيت عطه فالشيخ البوعثماني هو الذي توسط لهم عنده. ويبدو أن زاوية ووزغت قد استمرت قائمة بمختلف أدوارها هناك طوال الأحقاب المتعاقبة، حتى إذا مر بها شارل دوفوكو يوم 25 شتنبر 1883 وجدها مكونة من ثلاثة أقسام : القصبه المخزنية والزاوية والدوار، ويقدر مجموع سكانها بحوالي 1000 نسمة ؛ بالإضافة إلى الملاح الذي يقطنه ما بين 100 و150

من اليهود. وقد اختصها هذا المصدر بوصف ضاف، معجبا بتوافر شروط الاستقرار بها، من ماء وتربة خصبة ومعادن، فضلا عن موقعها الممتاز في عقدة الطرق الواصلة بين شمال البلاد وجنوبها، وبالرغم من تقاعس سكانها عن استغلال تلك الإمكانيات. وأشار سبيلمان إلى أن السلطان المولى الحسن مر بووزغت مرجعه من حركته الأخيرة في يونيو سنة 1311 / 1894. ولعلها كانت من بين أواخر المراحل التي توقف بها قبل أن يباغته هادم اللذات بدار ولد زيدوح بالصق التادلي.

وقد استهوى موقع ووزغت الممتاز الفرنسيين فاحتلوها في خريف 1922، حيث شيّدوا "مكتب الشؤون الأهلية"؛ لأنهم سعوا إلى تأسيس مراكزهم الإدارية في نفس مواضع القصبات المخزنية القديمة. وقد عينت سلطات الحماية موظفا برتبة ضابط للشؤون الأهلية لتدبير الأمور بها.

أ. البيذق، أخبار المهدي؛ م. المهدي الفاسي، تمتع الأسماع؛ الإفراني، صفوة؛ أ. الولالي، مباحث الأنوار؛ م. الزباني، دوحة البستان؛ م. القادري، نشر المثاني؛ الخليجية، الدرّة الجليلية؛ أ. الناصري، الاستقصا؛ م. حجي، الزاوية الدلائية؛ أ. ه. ميراندا، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية؛ معلمة المغرب.

Ch. de Foucauld : *Reconnaissance ..* p. 69.70. *Répertoire de tribus..* G. Drague : *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Iaros, 1951.

أحمد عمالك

ويجان، حوض يقع إلى الجنوب الشرقي من تيزنيت عند قدم جبال الأطلس الصغير، يحده شمالاً: إيداويعقيل، غرباً: إيداوگارسموك، جنوباً: أولاد جرار، شرقاً: تازروالت. وهو يلتصق مجالياً بجبال إيداولتيت، في موضع يمتاز بمؤهلات طبيعية مستقطبة، توفر شروطاً مواتية للاستقرار (العيون الماشية الدافقة التي ينيف عددها عن 20 عيناً، واحة تمتد على مساحة 7 هكتارات وتشكل من أشجار متنوعة خاصة الزيتون...). والغالب على الظن أن المجال الترابي لويجان، قد شهد حركة بشرية قديمة، باعتباره المنفذ والممر الرئيسي نحو جبال "إيداولتيت". بيد أن أخبار العناصر الأولى المستقرة غير معروفة، ونجد صعوبة في فرز النواة البشرية الأصلية عن باقي التركيبة السكانية الأخرى. فالأكيد أن وقع الكوارث الطبيعية كان واضحاً، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار، حالة الدمار والاستنزاف الديموغرافي الذي تخلفه. فمما تحتفظ به الذاكرة المحلية أن مخلفات وباء سنة 747 / 1347. كانت أقوى على عمران ويجان، حيث أفرغ مجالات كانت أهلة بالسكان. لا نعرف الشيء الكثير عن ظروف تجديد تعمير ويجان، إلا أن الأكيد هو أن الحوض كان قبلة لتنتقلات الجزوليين، مشفوعين في ذلك بفتوى من العلامة عبد الرحمان بن موسى الإيكراري (ت. 940 / 33 - 1534) الذي أفتى بما مضمونه "إنه يجوز لمن وجد أرضاً خالية أن يحييها، فهي له حلال بعدما كان خالياً من أهله الأصليين".

وفي نهاية الدولة المرينية، شكلت المجالات السهلية بسوس مرتعاً لقبائل عربية من الشبانات وأولاد جرار. واعتباراً لموقع ويجان المتقدم على مشارف أزغار تيزنيت، فإنه كان مستهدفاً أكثر من غيره من طرف قبيلة أولاد جرار المجاورة، التي نافست البعقلين مجالياً، ووصل نفوذها حتى مشارف حوض بيغمي. والواضح أن هذا الوضع، هو ما سهل، على ما يبدو، مأمورية البرتغاليين في عدة مناطق من السهول وعلى طول السواحل. مما ولد نوعاً من ردة الفعل المحلية، في سياق الحماية الجهادية، التي كان للمتصوفة دور كبير في تأجيحها. وكان للقبائل الجزولية الدور الريادي في تنظيم العمليات الحربية ضد المد الأعرابي وحلفائهم من البرتغاليين. ولبعض أعلام ويجان دور جهادي، نلمسه من خلال زعامة محمد بن سعيد الزعنوني الملقب: ب الغياتي، بعد أن استنجد به داود التانوتي الوجاني الملقب: ب أبي القناديل. حدث هذا في الوقت الذي بدأت فيه موجات بشرية جديدة تتدفق على ويجان، وبالرجوع إلى وثائق الوجانيين، تستوقفنا ظاهرة تعدد أصولهم.

وقد شكل حضور بعض الأسر الشريفة والعلمية إضافة رمزية ولحاماً يجمع بين هذه الأصول. وفي بداية الدولة السعيدية، كان لأبي عمران موسى الوجاني الدغوي الكاتب الخاص للسلطان محمد الشيخ السعدي، مكانة خاصة بين حاشيته، وقتل بصحبته بناوحي تارودانت سنة 964 / 1557، وفي خضم الأزمة السياسية التي عرفتها المنطقة بسبب الصراع بين مولاي إسماعيل وابن أخيه أحمد بن محرز، يبدو أن ويجان قد شهدت أطواراً مهمة من هذا الصراع، وأن آل ويجان ممن انحازوا إلى ابن محرز، بدليل أن القصب المنتصبة داخل دوار أكادير تسب إليه. وتستوقفنا رسائل محمد العالم خليفة السلطان على تارودانت إلى القاضي محمد بن أحمد أمزوغر الوجاني، عند جوانب من سياسة المخزن بالمنطقة، إيماناً منه بأهمية موقع ويجان في أي مشروع لاحتواء جبال إيداولتيت. وقد كان للقاضي المذكور دور الوسيط بين المخزن وأعيان القبائل الوالتيتية. على أساس تتبع وتنفيذ سياسة الخليفة. ولا يستبعد أن تكون من ثمرات هذا التعامل، تسهيل مأمورية حركة محمد العالم في كسر شوكة تمارت، بدعوى ضرب سياسة الوثام التي يנהجها زعيمها في علاقة مع قبائل إيداولتيت.

وغالباً ما يرتبط مصير ويجان بمسلسل المد والجزر الذي عرفته علاقة القبيلة الأم إيداويعقيل بإبليغ. ويظهر أن هذه الأخيرة استصرخت عدداً من القبائل ضد البعقلين، باستثناء بعض الوحدات التي تعاضد إبليغ خاصة آبت عمرو الوجانيين. والحال أن سياسة هاشم الإبليغي في بداية القرن 19 تجاه قبيلة إيداويعقيل، هي ما سبب له الانزعاج، حيث بادر الشيخ "أساكا" الطاهر بن علي أبلاغ إلى الاستنجد بالسلطان مولاي سليمان، بعد أن تمكن بحيلة تمويهية من الخروج من داره المحاصرة بأساكا. وفي هذا السياق اتصل

الحاج محمد (حم) بن محمد بن أحمد بن يحيى الوجاني بمعية خاله الحاج عبد الله بن محمد بن بلقاسم الوجاني بالقائد المخزني محمد بن أحمد أغناج بالصورة عند رجوعهما من الحج، وخلال هذا اللقاء تم ترتيب جميع الخطط للإجهاز على إبليغ. وما نصح به الشيخ حم الوجاني أغناج "إن كنت يا سيدنا رجلاً لبيباً عاقلاً نشير عليك بنصيحة لله ورسوله وخليفة أمير المؤمنين والجميع المسلمين، فقال له أغناج: أقبل النصيحة على كل حال، فقال الحاج حم: كن سهل الحجاب، ولا تطلب أحداً من أهل سوس بجرمة ولا فضيحة، واقبل من كل واحد عذره، وأجر كل واحد على عادته بأن تقتصر في المطالب المخزنية بشيء يسير وبالثلث من زكاة الحبوب". والواضح أن هذا التحالف يعتبر آنذاك ضرورة ملحة، لا سيما إذا أخذنا بعين الاعتبار كون ووجان تعتبر منفذاً مهماً نحو إبليغ. وهكذا وقف أغناج في استعمال تراب القبيلة لمباغثة إبليغ سنة 1225 / 10 - 1811 وفي طريقه، نسجل ركونه إلى تخريب منازل آيت عمرو المعاضدين لزعيم إبليغ. وأيا كان، فإن هذا الأمر قد جر على القبائل المساندة لأغناج، سلسلة من الحملات الانتقامية من جانب إبليغ (محاصرة تيزنيت مثلاً).

وما يستشف مما أورده الوجاني في "كناشته" أن وحدات ووجان لم تسلم من الصراع والشقاق، خاصة بين إيد عبد القادر وإيد المقدم، وهذا ما تسبب في خراب قرى بأكملها (قرية دو تنضفي 1284 / 67 - 1868) أو تدمير مجالات أخرى أو نزوح أسر ولو بشكل مؤقت كالأسرة الأزرفية وأسرة آيت بوضن. ولم تهدأ الأمور نسبياً إلا بعد تعيين الحسن الأول سنة 1882 الشيخ موسى بن أحمد بكاس قائداً على ووجان. وخلال زحفه على سوس جنوب وادي والغاس سنة 1896، راهن القائد الحاحي سعيد الكيلولي على احتلال جميع منافذ الأطلس الصغير، بما في ذلك ووجان. وقد تزامن استهدافه للحوض مع انتهاء القبائل الولتيتية من بناء الجدار المسمى "أفراس". وهكذا نزل بدار القائد موسى بن بكاس، وحصن قرى ووجان وشحنها بالأسلحة. ومن الخطط الحربية التي عمد إليها الولتيتيون، الانسحاب لجر جيش الكيلولي إلى جبال إيدويعقيل الوعرة قبل الإجهاز عليهم، بهذه الطريقة تمت تصفية الحاج أحمد الكيلولي من قادة الجيش الحاحي: بـ "تاساونت ندرس". وانقض الولتيتيون ومن يعاضدهم بعد ذلك على الجيش المحصن بوجان "فأوقعوا به وقعة منكرة".

منذ 1913، طرحت مسألة حماية المراكز الخاضعة بشكل مبكر للاحتلال بسهل سوس، مثلما هو الحال بالنسبة لتيزنيت وأغادير وتارودانت، وكذا الحيلولة دون الاتصال بين الشيخ أحمد الهيبة - المتمركز بأشتوكة - وأنصاره بالجنوب (آيت باعمران والصحراء). لذا عمدت سلطات الاحتلال في بداية الأمر إلى توظيف خدمات القائد حيدة بن مایس بمعية قياد آخرين. ووفرت له من العتاد الحربي ما لم يكن معهوداً

في السابق. وكانت الخطة تركز على مباغثة المجاهدين المتحصنين بالمنافذ الأساسية للأطلس الصغير الغربي. إلا أن المثير للانتباه هو استهداف حيدة لحوض ووجان بالأساس، ويبدو أن من مقاصده في ذلك: الحيلولة دون تهديد مركز تيزنيت مستقبلاً. ولذلك ألقى القبض على الشيخ النعمة بن ماء العينين الذي استقر بوجان منذ 14 دجنبر 1912، بعد تعنت الوجانيين ورفضهم تسليمه سلطات الحماية. وأجهز على ووجان، إدراكاً منه بأن المنفذ الأساسي للتوغل داخل جبال إيدولتيت "فإنه الباب إلينا وإليهم، فإن سدوه وحفظه حتى سده وحفظه، فلا شك ينفع الجميع، وإن عمره العدو فلا جرم يطعم في قريب من الاستيلاء على بقية البلاد" (رسالة المحفوظ الأدوزي إلى إبراهيم بن صالح التازروالتي).

ويظهر أن المناوشات الأولى، أرغمت قادة الجهاد إلى التحصن داخل القرى والدفاع عنها بكل الوسائل بما في ذلك استعمال الخنادق والتحرك بشكل يثير انتباه العدو. وكان للعلماء والطلبة والفقراء، وبعض رموز الجهاد من أمثال: المدني الاخصاصي، الطاهر الإفرائي، الناجم الأخصاصي، علي بن عبد الله الإلغي... الدور الأساسي في تأجيج حماس المتحصنين. أما المخطط الحربية فكانت تهيئاً من طرف ثلة من الأشخاص منهم: القائد سعيد بن أحمد الكرديسي، الشيخ أحمد گومازر البعقيلي والحاج يعزى الأذاني الرسموكي فـ "عليهم يدور أمر جزولة، وهم من أحيل خلق الله، وأدهاهم وأعرفهم بمكاند الحروب".

وعلى الرغم من سقوط عدد ينيف عن مائتين من المجاهدين، فإن ذلك لم يؤثر على معنوياتهم. وكان لاستماتة الوجانيين ومن يعاضدهم أمام زحف حيدة. صدى قوي داخل جبال جزولة، حيث سارعت القبائل إلى التعبير عن تضامنها مع المتحصنين، بما كانت ترسله من مؤن وعتاد ومتطوعين. وبعد حصار استمر طيلة أربعة أيام، أجبر حيدة على الانسحاب، وعاتب القائد عياد الجراري قائلاً: "ما هكذا كنت تقول لي عن هذه الناحية، فقد زعمت أن الناس كلهم قد عراهم هذا الدهش من هذا الجيش اللجن، فلا نكاد نظهر أمام ووجان حتى تنقاد لنا من فيه، ويسلمون لنا النعمة".

أما المواجهة الثانية، فكانت مباشرة بعد اندحار حيدة ومقتله بـ "إيگالفن" في الحدود بين آيت باعمران وآيت برايم سنة 1917. حيث عمدت سلطات الاحتلال إلى توجيه حملة فرنسية لأول مرة مدعومة بقيادة الحوز وحاحا والشياطمة وقياد رأس الواد، والكل تحت إمرة الجنرال دولاموط. ومن الخطط الحربية التي ركن إليها هذا الأخير، فتح عدة جبهات (بونعمان، فوق ميرغت، اغير ملولن، بونعمان...) لتشتيت الجهود وإفشال خطة المجاهدين المتمثلة في تحصين جل منافذ الأطلس الصغير الغربي، إلا أن المثير للانتباه هو

الزائرين ، مخطوط خاص ؛ الأكراري، روضة الأفنان، تح. حمدي أنوش، ط 1، 1998 ؛ الوجساني الحسين، (ت. 1383 / 1963)، كنانة الوجاني، مخطوط ؛ تاريخ الوجاني، مخطوط ؛ محمد التدرتي، قلائد المرجان في تعيين بعض أعلام وجان، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، المعسول ؛ خلال جزولة، 2 ؛ 166.

L. Justinard, *Le caïd El Goundafi*, Casablanca, 1952, p. 148-149-150 ؛ H. Dugard, *La colonne du Sous 1917*, Paris, 1918, p. 115 - 122 - 125 - 126 - 127 - 130.

أحمد بومزگو

ويرگان : هو حوض تكوّن عند ملتقى وادي نفيس

بالأطلس المراكشي بأخر رافدين له بصفته اليمنى هما وادي أزادن ووادي أمسين، تم حفره في صخور هشة للطفل والطين والحث والرصيص يغلب عليها اللون الأحمر ترجع إلى البيرموترياس، يتميز بقعره المستوى وضعف ميل مجراه، وهو ينقسم إلى حوضين ثانويين يفصل بينهما تلال صغيرة من البازلت، فمن جهة الشمال نجد حوض إماريغا على وادي أمسين وجنوبه حوض تاساويركان على وادي أزادن الغزير المياه والمعروف هنا بوادي ويركان. يتميز الحوضان عموماً بترية حمراء يغلب عليها الطين المشبع بالملح في بعض الجهات الدنيا مما يجعله عرضة للتعرية المائية وظهور الأراضي السيئة، كما تتكون في بعض أجزائه قشرة متماسكة بفعل الأملاح، لكن أمطاره معتدلة 400 - 450 ملم، وهي كافية لنمو غطاء غابوي كثيف من العرعار الأحمر والبلوط الأخضر وأشجار ثانوية تزداد كثافة وتنوعاً بالسفوح العليا والقسم حيث تزداد معدلات الأمطار وتتساقط الثلوج. وباعتبار تربته الطينية غير المنفذة للمياه فإن الجريان السطحي يكون كثيفاً عند سقوط الأمطار، مما يؤدي إلى التخذ وظهور الأراضي السيئة مع غياب العيون. كما أن سمك التربة الكبير يجعلها صعبة الإنباع. كل هذه العوامل أدت إلى بقاء الحوض مجالاً لغطاء غابوي مازال كثيفاً لضعف الاستقرار البشري، إذ يقتصر على جهات محظوظة فلاحياً كصاف الأودية المستفيدة من السقي. يتميز الحوض باستقرار بشري قديم يتركز في نواتين هما مجموعة دواوير ماريغة التي اشتهرت تاريخياً بإنتاج الملح حيث يتم حفر آبار في بعض الشعاب تتميز بمياهها بملوحتها الشديدة تجمع في صهاريج وأحواض لتتبخر مخلقة طبقة من الملح. وبمجموعة دواوير تاساويرگان. وقد اشتهر الحوض منذ القديم بإنتاج الزيتون واللوز والرمان والتين والعنب بالإضافة إلى الخضر والحبوب المسقية والبورية. ونظراً لجمال مناظر الحوض وكثافة غاباته الغنية بحيواناتها الوحشية وجودة مناخه ووفرة مياهه استقر به بعض الأوروبيين منذ عقد الثلاثينيات من القرن (20)، وأقاموا ضيعات ومنشآت سياحية : فندق الخنزير المدخن وإقامة الورد مستغلين مرور طريق مراكش سوس وبناء قنصرته على وادي ويرگان، وأدخلوا أساليب زراعية

تركيز العمليات الحربية على منطقة ويجان في 24 مارس 1917. وعلى الرغم من استكمال كافة الاستعدادات لمواجهة الحملة الجديدة، فإن تدخل الآلة الحربية الفرنسية كان عنيفاً وقوياً، حيث استعملت المدافع والطائرات. وعلى غرار الحملة السابقة، كان للعلماء والمتصوفة الدور الريادي في إثارة حماس المتحصنين الذين أبانوا عن عزيمة واستماتة في مدافعة المحتل لمدة يوم كامل. وكانت خطتهم تتمثل في المراقبة في الخنادق البالغ عددها آنذاك 30 خندقاً وعدم استعمال الذخيرة، مع مباغتة فيالق العدو عند زحفها نحو ويجان بعد انتهاء القصف المدفعي بالقنابل. وبعد فشل الحملة في فتح ثغرة في صفوف المتحصنين، بادر كل من القائدين الكندافي وعباد الجراري خلال الليل إلى فتح مفاوضات سرية مع زعيم الوليتيين الشيخ أحمد گومازر، توجت بقبوله الانسحاب، بعد إغرائه بالمال، "ونادي في الناس : أن البلد بلدي، ولا أريد أن تكونوا أيها المسلمون سبباً لهدمه"، أمام هذا الأمر الواقع، لم يملك السكان أي خيار سوى الانسحاب من ديارهم والاحتفاء بالجبال، "هكذا خرج كل من بوجان حتى لا أنيس فيه ولا ديار مع طلوع الفجر" حتى الشيخ النعمة، فإنه خرج خفية إلى قبيلة آيت رخا. بينما رابطت بها قوات الجنرال دولاموط مدة ثمانية أيام، وخلالها أعطى أوامره بعدم تخريب البساتين أو قطع الأشجار...

ويبدو أن عنصري الاحتكاك والتواصل التي ميزت مجال ويجان عبر التاريخ، قد أفرز إسهامات حضارية متميزة، فكان للوجانيين أثر بارز في الحياة الأدبية والفكرية بسوس، وهو أثر متعدد الجوانب، فمنها جانب ديني يتجلى في المزارات والمشاهد التي تتوزع بقرى المنطقة (محمد أموحدي، عبد الرحمان بن موسى، أبو إبراهيم الدغوشي، زينب بنت محمد الزدوزية، أحمد بن عبد الرحمان...) أو من خلال تواجد جميع الطرق الصوفية من ناصرية ودرقاوة وتيجانية ومعينية. أما الجانب العلمي، فيبدو بوضوح في عدد الأعلام الذين أنبتتهم تربة ويجان، وقد أحصينا منهم ما ينيف عن خمسين عالماً، وكلهم نبغوا في عدة مجالات فكرية. ومن الآثار التي تحدد معالم ويجان الحضارية، تواجد أنظمة السقي بواسطة الطاسة (تناست) أو لعلام (وهو حائط يستعمل ظله في تقسيم المياه أو هي تستعمل أسماء قديمة محددة لحصص توزيع أطباء العيون من قبيل : تاليلت، سنفلانين إينوت، أفيسيار، واليل... ولا زالت آثار بعض المعالم التاريخية تدل على مهارة الوجانيين في عدة مجالات إنتاجية وحزبية : الفخار، صنع ملح البارود، تذيب المعادن، المعاصر، السباخة، الدباغة وغيرها.

الحضيكي، طبقات الحضيكي، تح. أحمد بومزگو، الرباط، 1994 ؛
البعقلي، مناقب البعقلي، تح. م. المختار السوسي، الرباط،
1987 ؛ الرسموكي، وفيات الرسموكي، 1988 ؛ الكرامي، بشارة

ومنتوجات حديثة عرفت توسعا كبيرا في العقود اللاحقة مثل التفاح بحيث صارت بساتين الحوضين تنتج أنواعا جيدة منه ثم الاجاص والبرقوق وحب الملوك.

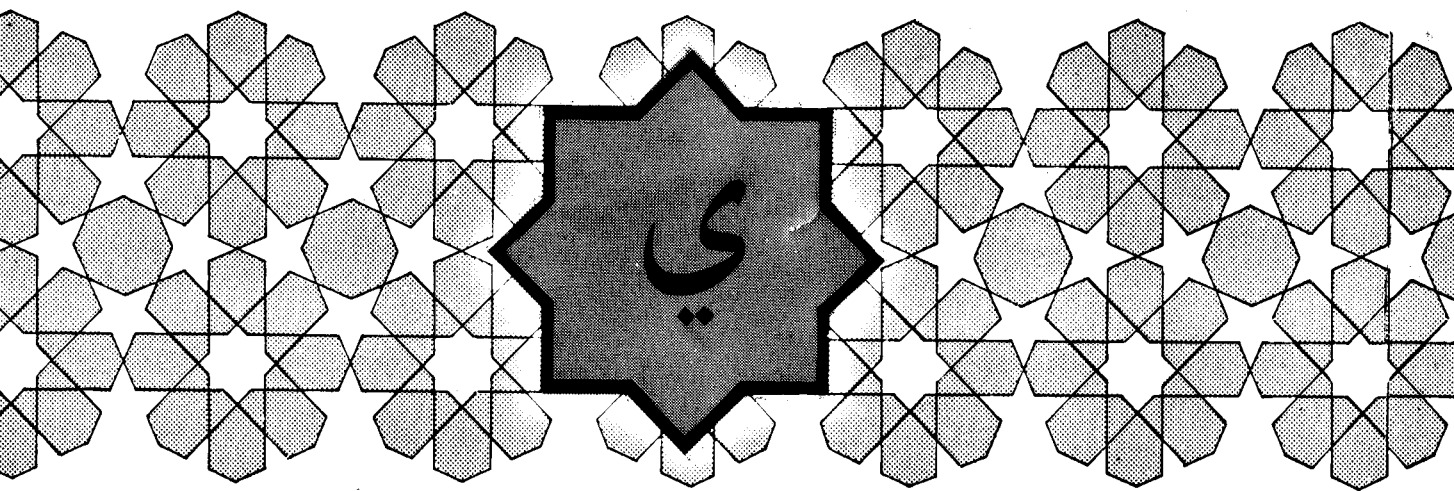
وفي إطار ترشيد استعمال مياه وادي نفيس وتزويد مدينة مراكش بالمياه الضرورية لتوسعها الحضري شرع في بناء سد بويرگان عند مدخل خوانق جبل تيگيدة (أو زگيتة) المتصل بتيزي أوزلا مدخل هضبة كيك بعالية سد للاتاكرکوست الذي أنقص التوحدل حقينته على بعد 20 كلم منه. وسيتكون من بحيرة حقينتها 70 مليون م3 ستزود مدينة مراكش بـ 17 مليون م3 من الماء الشروب سنويا. إلا أن البحيرة ستغرق مساحة مهمة من البساتين التاريخية وبعض المنشآت السكنية لمركز درب ويرگان بل ستغرق جزءا من الطريق الرئيسي الذي سيعاد بناؤها على بعد 50 متر، وسيتم بناء السد وملء بحيرته سنة 2008، وإن كانت هذه المنشآت ستحرم السكان من قسم من أراضيهم ومياههم فإنها ستزيد ويرگان جاذبية سياحية وجمالا، لهذا شرع المستثمرون في شراء الأراضي لبناء منشآت سياحية.

جماعة ويرگان : مساحتها 190 كلم² تابعة لدائرة أسني إقليم الحوز سكانها 6435 نسمة (1994) تضم مشيختان : أزادن وماريغا، تعتبر الفلاحة النشاط الرئيسي لسكانها إذ يجمعون بين تربية المواشي وزراعة الحبوب البورية والمسقية وزراعة شجرية : زيتون، تفاح، برقوق، عنب، رمان، والجوز، بعالية وادي أزادن حيث المياه الباردة والثلوج يستغلون مياه الوديان في السقي بالإضافة إلى عيون وآبار. وما زالت تنتشر في القرى بعض الحرف التقليدية خاصة النسيج الصوفي وأواني الفخار بدوار تسوقت والحدادة بدوار إمزيلن لتلبية الحاجيات المحلية، وأكبر دواوير الجماعة هي : ماريغا 1281 نسمة ودرب ويرگان 1107 نسمة الذي يمتد على الطريق الرئيسي، ويضم المركز الإداري والسوق والسوق الأسبوعي. يعتبر مركز ويرگان من المراكز السكنية الحديثة بالأطلس المراكشي ويجسد ظاهرة نمو مسلسل التمدين بالأرياف المغربية المحظوظة، يدين بظهوره وتطوره السريع إلى موقعه المتميز بمناظره وحمولتها التاريخية لوقوعه على طريق رئيسي عابر للجبال يحتضن سوقا أسبوعيا تاريخيا، بالإضافة إلى ثروات من الملح والخشب والفحم والجوز والعسل، كل هذه العوامل أدت إلى نموه مما دفع السلطات إلى اتخاذ مركز جماعة قروية حظي بتجهيزات مهمة أهمه : ربطه بالشبكة الكهربائية سنة 1985. يجهل السكان معنى التسمية وهي قديمة، ذكرها البيدق في كتابه أخبار الموحدين واشتهر بالحوض عدة قرى صغيرة أهمها قرية تاسوقت حيث كان يعقد السوق الأسبوعي بالضفة اليمنى لوادي نفيس وإميتغري كان يسكنها اليهود. لكن المركز الحالي الممتد

على طول الطريق ارتبط ظهوره بالفترة الاستعمارية عند بناء قنطرة وادي ويرگان سنة 1922 م وإقامة ورش عمال بناء الطريق، مما أدى إلى ظهور أنشطة متنوعة استقطبت أيد عاملة من قرى بعيدة وقريبة ومن عابري طريق مراكش سوس، وفي الأربعينيات ظهرت مشاغل الفحم ومعمل لصناعة القار الإسفلتي من الأخشاب الغابوية لمناجاة تعبيد الطريق نظرا لندرة الزيت البترولوي خلال الحرب العالمية الثانية، وقد كون عماله نواة حي عمالي : حي لوزين ومعمل للخمر لوجود العنب. وفي 1951 أنشأ أول قسم مدرسي بها وهكذا تكونت اللبنة الأساسية لحي درب ويرگان. واشتهر ويرگان كمركز إداري وسياحي تجاري بعد نقل السوق الأسبوعي إليه، وازداد إقبال هواة صيد الخنازير والوعول. وبعد الاستقلال عملت السلطات في إطار سياسة التنمية واللامركزية على إنشاء تجهيزات إدارية واجتماعية عديدة لتلبية حاجيات السكان منها دار الجماعة القروية والقيادة ومدارس ببعض القرى وإنشاء تجزئات سكنية، ونظرا لأهمية الطريق الثانوي 501 الذي سار يعرف اليوم بالطريق الجهوية رقم 203 ودوره في تنشيط الحركة الاقتصادية والسياحية بويرگان فقد امتدت المساكن والدكاكين والمخازن ومختلف محلات الأنشطة على طولها بما فيها السوق الأسبوعي، وتتميز مبانيها بطابع حضري. ولما ارتفع ثمن البقع المشرفة عليه بدأت المباني تتجه إلى الداخل خاصة على طريق المركز الغابوي المنطلق من وسط السوق بحيث صار يكون المحور الرئيسي لدرب ويرگان، فاستقر بجانبه منازل ودكاكين وفران وحمام... إلا أن المباني مازال يغلب عليها الطين والحجارة 70٪، لكن 80٪ من أنشطة السكان غير مرتبطة بأنشطة الفلاحة، وبعد الشروع في بناء السد بدأ السكان والسلطات يخططون لإنعاش الاستثمار السياحي. وتتكون المنشآت السياحية من أربعة فنادق وأربع مآوي محلية وبضعة مقاهي ومطاعم. وتضم ويرگان مناطق جميلة قابلة للاستثمار السياحي من أهمها محمية تويكان لحماية ("الوعول" الأروي) بجبل تاخرخورت، كما أقيمت مؤخرا محمية جديدة لحماية الوعول والخنازير والغزلان والأيتال والضربان والشعالب.

بحث ميداني، بحث طلبة السنة الرابعة في الجغرافية بكلية الآداب مراكش : أحمد هوزالي، التحولات الجغرافية والاقتصادية وحركة التمدين بالأطلس الكبير المراكشي، طريق تاخاوت - تيزي ن تاست؛ الجماعة القروية لويرگان : متوغرافية ويرگان.

أحمد هوزالي



الياباني، عمر بن عبد الله من بني يابان ؛ وهم فرع من قبائل بني مرين، تولى بعض أبناء قبيلته الوزارة قبله وبعده ؛ منهم أبوه عبد الله بن علي الذي ربي في حجر السلطان أبي الحسن فجعله وزيراً لابنه أبي علي الناصر، ثم قلده أبو عنان منصب الوزارة، ذكر ابن خلدون وفاته سنة 760 ؛ ومنهم محمد بن العباس بن أبي يحيى الياباني الذي كان من جملة وزراء السلطان أبي سالم (760 - 762) . أما عمر بن عبد الله المترجم فقد كان أمين سر قصر السلطان أبي سالم، هياً له ذلك الخطيب ابن مرزوق حاجب السلطان، لكنه دبر مع قائد المرتزقة النصارى انقلاباً ضد سلطانه لتقديم الأمير المعتوه تاشفين ابن أبي الحسن للسلطنة، فأصبح وزيره الوصي عليه والمدير لأمره، خصوصاً بعد أن تمكن من قتل زعيم المرتزقة بدعم رئيس الفرقة الأندلسية، أما ابن مرزوق فقد وضع في المعتقل إلى سنة 764.

قال ابن الخطيب عن جوانب من سياسة الوزير عمر أول أمره : "خاطب من يتلمسان يعرض عليه حسن الجوار ... وسد باب الفتنة والامتساک بمن يتصل به من ... أصدقاء الدولة (أي الأمراء المنافسين) .. وأجرى الرسوم وأفاض العطاء وجدد الإقطاعات... وراش جناحه بقبيلة من بني يابان وهم عدد وافر ... فاتسقت الطاعة، ودانت الجبال الشم... وأمنت السبل..." ويأتي بعد هذا بقصيدة مدحه بها عندما زاره الوزير بسلا.

لكن يجب الانتباه هنا إلى أن ابن الخطيب كان منفيماً بالمغرب ويتلقى المنح من الوزير وسلطانه، فكلامه لا ينطبق مع الواقع الذي عرفته البلاد بسبب سياسة هذا الوزير، ذلك أن اختياره لسلطان معتوه تحت وصايته أغضب مشيخة المرينيين، فاستدعوا من الأندلس أحد أبناء الأمير عمر الذي سبق أن تمرد بسجلماسة أيام أبيه السلطان أبي سعيد وأخيه أبي الحسن، وهذا الأمير المستدعى هو عبد الحليم ؛ فمر بتلمسان خليفة أبيه عمر سابقاً، ودعمته بفرقة زيانية

أوصلته إلى قرب تازة حيث وجد أنصاره في انتظاره، فتحرك بهم لحصار فاس في مطلع سنة 763 ؛ مما اضطر الوزير عمير إلى اتخاذ قرار التخلي عن سلطانه المعتوه واستدعاء أمير مريني آخر منافس من الأندلس يجعله تحت وصايته ويحول دون توحيد شيوخ المرينيين ضده، وهو أبو زيان محمد بن الأمير عبد الرحمن بن أبي الحسن (763 - 768). فشلت محاولة الأمير عبد الحليم وتراجع عن مكناسة التي كان احتلها بواسطة أخيه عبد المومن، وتوجه إلى سجلماسة مستقلاً بها، وكانت قد دخلت في بيعته، إلى أن تمكن الوزير من استرجاعها في السنة اللاحقة (764).

هذا الوضع مكن شيخ قبيلة هنتاتة أبا ثابت عامر من أن يستقل بالجَنُوب مموهاً بسلطان مريني في سراکش تحت توجيهه كما كان يفعل الوزير عمر بسلطين فاس، فأصبحت البلاد موزعة بين كيانين سياسيين. واستمر هذا الوضع إلى سنة 771 ، ليتجدد انفصال سراکش تحت أمير مريني آخر مدعوم بالنصريين في الأندلس مدة تقرب من عقد من الزمن. أما الوزير عمر فظل يتحكم في مصير البلاد وسلطانها أبي زيان، وعندما حاول هذا التخلص منه سبقه الوزير فتخلص هو منه، واختار للسلطنة أحد أبناء أبي الحسن في مطلع سنة 768 وهو أبو فارس عبد العزيز ؛ غير أن هذا نجح في تدبير اغتياله وإنهاء فترة من وصاية الوزراء منذ موت أبي عنان، وإن كان استبداد الوزراء سيعود بموت أبي فارس سنة 774 ليستمر بصورة متقطعة إلى نهاية الدولة المرينية سنة 869 . وتستمر معه الحركات الانفصالية في الجنوب خاصة إلى ظهور الدولة السعدية في مطلع القرن 10 / 16 .

وهذه شهادات بعض معاصري الوزير عمر بن عبد الله الذين احتكوا به مباشرة، فقد قال عنه ابن الخطيب عندما كان لاجئاً بالمغرب ويستفيد من منحه أنه "قيم الأمر والمثل في الكفاية والاضطلاع بالعظيمة" ؛ كما وصفه بكونه "قطب رعى الملك بالمغرب، ومدبيل دوله، ومصابر هوله، ومكفي

سمائه على أرضه"؛ وعندما ذكر استبداده بالسلطين شبهه باستبداد الحجاب على السلطين المصاليك بمصر. فلابن الخطيب منه موقفان: موقف الحمد والثناء عليه خلال وجوده بالمغرب منفياً (760 - 763) مستفيداً من منحه، وموقف آخر عند حديثه عن غدره بالسلطان أبي سالم حيث وصفه بـ "الغادر .. نسمة السوء، وجملة الشؤم، المثل البعيد في الجرأة..."، ويظهر أن هذا الموقف اتخذته بعد العودة إلى الأندلس.

وكان ابن مرزوق ممن تأذى بأذاه رغم محاولاته التستر على أفعاله قبل توليه الوزارة حين كان ابن مرزوق حاجباً للسلطان أبي سالم، فبعد اغتيال هذا السلطان سجن ابن مرزوق مدة قبل تسريحه وذهابه إلى تونس سنة 764، فقال عند حديثه عن الوزير عمر "عمر الله به زوايا الجحيم، وجدّد عليه العذاب الأليم".

أما ابن خلدون فقام بسرد حقائق سياسته مع سلاطينه ميرزاً تمكله لأمر الدولة دون هؤلاء السلطين دون استعمال أسلوب الشتيم.

عاد اليبانيون إلى الوزارة بعد عقدين من الزمن من مقتل عمر بن عبد الله، وذلك خلال سلطنة الواثق أبي زيان ابن أبي الفضل ابن أبي الحسن (788 - 789) الذي استوزر يعيش بن علي بن فارس اليباني مع الوزير المستبد على سلطانه مسعود بن حصو بن ماساي؛ ثم خلال سلطنة أبي العباس أحمد بن أبي سالم الثانية (789 - 796) حيث استوزر صالح بن حصو اليباني (ومعه الوزير إدريس بن موسى بن يوسف اليباني)؛ ووزر صالح المذكور لأبنائه من بعد (أبي فارس عبد العزيز (796 - 799)، وأبي عامر عبد الله (799 - 800)، وأبي سعيد عثمان (800 - 823)). وتولى الوزارة لابنه عبد الحق آخر السلطين (823 - 869) ابن الوزير المذكور صالح بن صالح اليباني الذي ذكر أنه قتل ذبحاً القاضي عبد الرحيم اليزناسني سنة 834؛ ثم استبدت أسرة الوطاسيين بالوزارة بعد ذلك إلى نهاية الدولة المرينية.

ابن خلدون، العبير، 7: 648 - 672؛ ابن الخطيب، الإحاطة، 1: 309، طبعة القاهرة، 1973، تطوان، 1988؛ نفاضة الجراب، 2: 271؛ المقري، نفع الطيب، 6: 186، 8: 410 - 414؛ ابن مرزوق، المسند، 366؛ ابن الأحمر، روضة التشرين، 31 - 38؛ الناصري، الاستقصا، 4: 37.

أحمد عزوي

اليابوري، عيد الله اسمه محمد لكنه اشتهر بكنية أبي عبد الله. أصله من يابورة إحدى مدن الأندلس التي توجد اليوم في بلاد البرتغال تحت اسم إيفورا Evora. رحل منها إلى المغرب فجاء إلى الرباط بعد أن أخذ عن شيوخ التربية في وقته. وفي شالة أسس زاوية لنفسه بقصد التربية والإرشاد، وهي الزاوية الغربية التي عن يسار الداخل من باب شالة الكبير. أخذ عنه عدد من الذين أصبحوا أعلاماً منهم أحمد بن عاشر دفين سلا كان يسميه الشاب الأسعد

الصالح، أسكنه خلوة في زاويته وتسبب له في إقراء الأولاد القرآن. توفي أوائل القرن وضريحه بظاهر العلو بالرباط عليه قبة صغيرة مقصودة للتبرك كتب عليها أبيات شعرية. وقيل في مدحه أشعار منها قصيدة للقاضي محمد بن محمد مرينو عام 1133. له كتاب في الفقه. وترك أشعاراً منها قصيدة يتشوق بها إلى بلده. ممن ترجم له العالم محمد بن أبي بكر الحضرمي في كتابه: "السلسل العذب والمنهل الأملئ". وضريحه معروف، وكان يقدهس البحارة وينادون باسمه ويستغيثون عندما يبحرون في عرض المحيط مدعورين من قوة الأمواج.

دينية، مجالس، ص. 78؛ بوجدان، الاغتباط، ص. 380.

Brunot, *La mer dans les industries*, p. 104.

عبد الإله الفاسي

اليازغي، أحمد بن علي، أحد كبار قادة جيش المولى إسماعيل وعامله على أحواز فاس، كان أميناً شديد الصرامة نافذ الكلمة صادق النصح، يقول أبو القاسم الزياتي في "البيستان الظريف": "إنه كان عاملاً جبال مرموشة وبني وراين وغياثة والحياينة والجبال" وكان نافذ الحكم فيها، يبعث رسولا واحداً في عدة قضايا فتنفذ أوامره. كلها وفق ما أمر في أسرع الأوقات، وإلى جانب مهامه تلك عينه السلطان أميناً على مئون داره العلية لأمانته وصدقه، وكان يبذل النصح الصادق للمولى إسماعيل لا يعرف غشاً ولا خديعة ولا نفاقاً، كما كان أميناً "يجمع المال من وجوهه ويودعه خزائن السلطان" لذلك تمتع بمنزلة وتقدير خاصين لدى المولى إسماعيل. وعلى الرغم من ذلك فلا نجد عنه معلومات كافية عدا بعض الأخبار المتناثرة هنا وهناك عرضاً. لم يكن مصير أحمد بن علي اليازغي بأحسن من غيره من قادة العهد الإسماعيلي، فقد أمر السلطان أحمد الذهبي بقتله سنة (1139 / 1727) بإيعاز من عبید البخاري.

أبو القاسم الزياتي، البيستان الظريف، تج. رشيد الزاوية، الرباط، 1992، ص. 215 - 261؛ عبد الرحمن ابن زيدان، إتحاف، ج 1، ط 2، الدار البيضاء، 1990، ص. 269 - 270، المنزع اللطيف، تج. عبد الهادي النازي، الدار البيضاء، 1993، ص. 254 - 255؛ محمد أكنسوس، الجيش العرمم، ط ج، فاس، ص. 93.

اليازغي، عبد الرحمن بن الحسن، ولي صالح كان في أول أمره كاتب القائد علي بن يش (ت. 1139 / 1727) يشهد عنده على دفع أعشار القبائل بمكناس، بباب "هري" مولاي إسماعيل، وظل كذلك إلى أن اتصل بشيخ مدينة وزان الشريف محمد بن عبد الله الشريف (ت. 1120 / 1708) فأخذ عنه كما أخذ عن مولاي الطيب بن محمد الشريف الوزاني، فانقطع عن العمل مع القائد المذكور وأقبل على العبادة وما يقربه إلى الله زلفى. ولما بلغ من ذلك شأواً معلوماً قدمه شيخه محمد بن عبد الله الشريف على أصحابه بمدينة مكناس. فاشتهر ذكره وعظم صيته وأقبل عليه المريدون من كل ناحية لما قيل عنه من كرامات وخوارق

طالبة القسم السينمائي بجامعة أنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية خلال موسم 1978 / 1979.

كتب أحمد ياشفين سيناريو فيلم (كابوس) وأخرجه كما أنتجه بنفسه سنة 1984 ، ولعب بطولته كل من عز العرب الكفاط، إبراهيم جوهر، رشيدة أزفز، ومحمد فاضل ... وقد حصل هذا الفيلم في المهرجان السينمائي الوطني الثاني المنعقد بالدار البيضاء في نفس العام على ثلاث جوائز : جائزة الجمهور، جائزة أحسن تصوير لمحمد عبد الكريم الدرقاوي، مناصفة، ثم جائزة أحسن ديكور لعبد الكريم الغطاس. وفي سنة 1995 كتب سيناريو فيلم (خفايا) وأخرجه عن رواية (استنطقوا الجثة) لفريدة الهاني مراد، وشارك به في المهرجان السينمائي الوطني الرابع بمدينة طنجة في نفس السنة، فلم يلق النجاح المتوخى منه مما أجبر أحمد ياشفين على إعادة تركيبه في صورة أفضل وعرضه تجاريا بالقاعات السينمائية حيث لقي إقبالا لا بأس به.

توفي في 21 فبراير 2002 بمدينة الدار البيضاء بـدفن هناك.

خالد الحضري

ياگور (موقع -) أثري مشهور بهضبة ياگور. وهو عبارة عن هضبة منضدية هي جزء من الهضاب اليرموترياسية الموجودة بالأطلس الكبير المراكشي المكونة من طبقات حثية حمراء داكنة متعددة وصلبة تصلح لأن تكون ألواحاً وصفحات يرسم عليها الإنسان المغربي تعابيره ومعتقداته وانشغالاته الحياتية في عهد ما قبل الكتابة. وهضبة ياگور عبارة عن درجة طبغرافية تشرف على سهل الحوز بجرف وعر يحدها من الشمال وبارتفاع 2725 م. كما يشرف عليها من الجنوب جبل ملتسن. وبذلك فياگور عبارة عن مرتع عال وممتد تستوطنه حاليا عناصر من قبيلة مسفيوة هي آيت واوزگيط، آيت - ن. - زات، آيت أوشك وآيت بوسعيد الموجودين بقديم إفرين ياگور. وقد استوطنته قديما عناصر توافدت عليه وتركت فيه آثارها.

- هناك رسوم لأنواع مختلفة من الأسلحة التي كانت مستعملة بياگور : أسلحة للقفز والرمي من رماح وأسلات الأسهم، أسلحة عبارة عن سيوف طويلة، خناجير مثبتة ومشدودة إلى مقابض، هراوات، فؤوس أسلحة وفؤوس دروع، دروع مستديرة ورسوم لعربات حربية.
- رسوم بشرية الشكل لأشخاص بعضها غريب.
- رسوم لأشكال هندسية عبارة عن مستطيلات ودوائر مزينة.

كل هذه النقوش الحجرية التي تم العثور عليها بهضبة ياگور تدل على قدم التعمير بجبال الأطلس الكبير، إذ توافدت عليها موجات بشرية استوطنتها منذ القديم. كما تشهد كذلك على نمط عيش هذه الموجات البشرية. ونعرف كم هي مهمة مثل تلك الرسوم والنقوش ؛ فهي دليل على أنه

عادات منها أنه أشفى مولاي عبد الله نجل السلطان من رمد أصاب عينه عجز الأطباء عن إشفائه. ثم أنشأ زاوية لاجتماع أصحابه والوافدين عليه، وصارت زاويته على حد تعبير ابن زيدان : "كعبة الوفود ومرتعا للواردين تفاض عليهم فيها الموائد والفرائد" وكانت له مع السلطان مولاي إسماعيل حكاية بعد أن وشى به بعض الحساد، إلا أن السلطان أخلى سبيله عندما علم انتسابه للطريقة الزاوية وتأكد من محبته لآل البيت وأقره على فعله.

توفي عبد الرحمن اليازغي عام 1150 ودفن بدار جوار زاويته، ونش قبره مرتان ثم أعيد إليه وهو بحومة جناح الإمام قرب زاوية مولاي التهامي الزواني بمكناس.

عبد الرحمن ابن زيدان، إتحاف، ج 5، ط 2، 1990، ص. 281.
محمد الطيب القادري، نشر الثاني، ج 4، الرباط، 1986، ص. 192 - 194.

رقية بلمقدم

الياسمين الأصفر أو دغلي كما في المعاجم، جنس جنبيات على شكل اللوابة لا يتعدى طولها مترين، يصنف إلى فصيلة الزيتونيات Oleaceae وطائفة الياسمينية ومنه نوع واحد يعيش في المغرب يسمى علميا -Jasminum fruti- cans ، وهو غير الأنواع التي تزرع لاستخراج دهن الياسمين من زهورها.

الجذع قوي وأوراقه نافضة ثلاثية في أغلب الحالات، أزهاره صفراء ذهبية على شكل عنقايد لا رائحة لها مزدوجة أو رباعية على الفروع تظهر في فصل الربيع، كأسها وتوجيهها من النوع الحماسي، وثمارها عنابية في قدر الحمص، سوداء لامعة تتضج صيفا. نبتة منتشرة في حوض البحر المتوسط وفي المناطق الاستوائية وتحت الاستوائية من أفريقيا وآسيا وهي ذات شكل جنبي. شائعة في الغابات المغربية بخلاف المناطق الصحراوية والجبلية المرتفعة. يألف الياسمين التربة الطينية والرملية الكلسية بجوار الضرو أو المصطكا والزيتون البري أي الزبوج. يلعب هذا النبات دورا هاما في تغذية المواشي في الرعي.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

A. Metro et Ch. Sauvage, Flore des végétaux ligneux de la Mamora, Trav. Inst. Sci., Rabat, 1955 ; A. Benabid, Flore et écosystèmes du Maroc, Evaluation et préservation de la biodiversité, Ibis presse, Paris, 2000

نحاة الخياطي

ياشفين، أحمد ولد في 17 يناير 1948. سنة 1964

حصل على شهادة البكالوريا شعبة الآداب العصرية، وفي سنة 1970 نال شهادة الإجازة في الأدب العربي بفاس ثم دكتوراه الدولة في نفس الشعبة بستراسبورغ / فرنسا سنة 1975. قضى بعدها سنتين لدراسة الفنون الجميلة بأكاديمية الفنون بروما / إيطاليا. كما ساهم في تدريب ميداني مع

منذ فجر التاريخ توافدت على المنطقة قبائل أصبحت جبال درن ملجأ لها إثر الجفاف الذي عرفته الصحراء الكبرى. وقد احتد هذا التوافد بالخصوص في أواسط الألف الثالثة قبل الميلاد.

وهي كذلك شاهد على أن هذه القبائل كانت تزاوّل نشاطاً فلاحياً يعتمد أساساً على تربية الماشية، أي فترة من التاريخ كان فيها الرعي متفوقاً على الزراعة المسقية والغراسة مع نوع من التكامل بين أدرار (الجلبل) والسهل (الأزغار) حيث نجد مواقع أثرية فيها نقوش حجرية بمخارج الوديان بالدير والسهل (انظر موقع الموسيحة بمعلمة المغرب). ونجد بياغور أن الرسوم التي تمثل البقرات تتفوق على باقي الحيوانات، مما يدل على سيطرة الرعي. وكان هذا النشاط يعتمد على أسر الشيران البرية وتدجينها واستئناسها كما تشهد على ذلك رسومها ورسوم الشرك والجبال ذات الأنشطة لاقتناص تلك الحيوانات من بين الحيوانات المتوحشة. وهو نشاط مترابط مع حياة القنص وحياة التنقل والنجعة نظراً للظروف المناخية القاسية التي تميز مراعي ياغور خلال فصل الشتاء، لأن هضبة ياغور عالية يتعدى ارتفاعها 2400 م، مما يسمح بتراكم الثلوج فوقها خلال هذا الفصل. كما تعبر التمثيلات الرسمية المحدودة للمحارث عن المكانة المحدودة للزراعة. وهذه الحضارة الرعوية تعدّ من التمثيلات الذكورية، مما يعبر عن سيادة مجتمع أبوي.

ويظهر من تلك النقوش كذلك أنه تم انتشار استعمال المعدن من حوض البحر الأبيض المتوسط إلى جبال الأطلس المغربية انطلاقاً من الجنوب الإسباني. وذلك منذ نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد. وبذلك تم التلاقي بين العصرين الحجري والمعدني بجبال درن الرطبة. غير أن أكثر النقوش تعبيراً وأجملها بهضبة ياغور نجدها معاصرة للعصر البرونزي الإسباني (من 1700 إلى 1200 ق م)، أي سابقة قليلاً للعصر الحديدي، كما يظهر ذلك من خلال النقوش التي تمثل الأسلحة خاصة الفأس - الدرع (Hache - pelte)، الفأس - السلاح (Hache d'arme) أو "Hallebarde" الخنجر ذو الشفرة النحاسية، الخناجر المشدودة لشفرة المقابض الخشبية والمعدنية ذات الدُسر.

ونظراً لتعدد النقوش وتنوعها، فإن دراستها الدقيقة لازالت غير مكتملة. حيث مازال العدد الكبير منها غامضاً ولغزاً غير مفهوم، أي رسوم رمزية تُعبر عن أشياء غريبة، لكن أغلبها لها معانٍ دينية غير مفهومة وغير معروفة. كما أن دراسة الأطلية وتقنيات النقش المستعملة لإنتاجها، والتي تسمح بتاريخها، مازالت قليلة التطور. أضف إلى ذلك أنه رغم تعدد رسوم العربات، يظهر أنه لم يتم استعمالها فوق هضبة ياغور العليا والمتضرسة. كما أن هذه العربات لم تمثل أبداً مجرورة. وبذلك يبقى مدلولها الحقيقي غير معروف، لكن بالتأكيد لها تعبير رمزي. كما أن هناك رسوماً أخرى لا تعبر عن الواقع والمعقول. وتبقى معانيها سحرية وأسطورية

من ذلك الرسم الذي يمثل هجوم قناص على فيل بواسطة المرتدة (سلاح قذفي).

لكن ما عرف من هذه النقوش يمثل ركيزة أساسية وكافية للتعرف على العديد من التيارات الحضارية التي تنصهر في بعضها البعض أو تتلاقى. وكذلك كانت الجبال المغربية ملتقى حقيقياً بين البحر المتوسط خاصة الجنوب الإسباني والصحراء الكبرى. كما أنه من الضروري ملاحظة أن التقنيات، أنماط العيش والتفكير، كلها مظاهر توافدت عبر طرق مختلفة على المنطقة ومن أصل واحد هو الشرق القريب. ذلك أنه تتردد بهذه النقوش رموز نجدتها بالشرق الأوسط وبالعالم المتوسطي وذلك دليل على وجود علاقات بين المغرب وهذه المناطق.

مصطفى أعشي، عصور ما قبل التاريخ في المغرب، معلمة المغرب، 15، رقم 18، 2003 / 1424.

H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, t. I et II, Casablanca, Edit. Atlandites, 1950 ; L. Balout, *Préhistoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1955 ; G. Camps, *Aux origines de la berbérie, Monuments et rites funéraires*, Paris, 1961 ; Massinissa, n° 1, 301, p. 67 ; *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, éd. Doin, Paris, 1976 ; J. Malhomme, *Corpus des gravures rupestres du Grand-Atlas*, Pub. Services des Ant. de Maroc, (1959), (1961) ; Les pierres excavées et les gravures rupestres du Grand-Atlas de Marrakech, ibid, p. 7 à 21 ; A. Simoneau, *Le poisson, symbole du finistère atlantique, Hesperis-Tamuda*, vol. VI, 1965, p. 53 à 77 ; Les gravures rupestres du Haut-Atlas, R.G.M., n° 11, Rabat, 1967 ; Recherches sur les gravures rupestres du Grand-Atlas marocain, *Bull. Soci. Préhist. fr. t. LXV*, 1968 ; J. Brignon [et al.], *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1967 ; Lafuente, *Les Ait Ouchegs*, R.G.M., n° 14, Rabat, 1967 ; F. Z. Sbihi Alaoui, *La vie préhistorique, Mémorial du Maroc*, vol. n° 1, Nord Organisation, 1983 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, t. 1, Rabat, 1983.

أحمد زروال

اليانشتي (الحاج -) أحمد بن محمد بن مبارك من

الأعلام الذين حكموا سبته من سنة 630 إلى سنة 635 في ظروف صعبة تميزت بضعف سلطة الخلافة الموحدية وقيام الثورات ونقض البيعة تارة وتجديدها طوراً آخر، فكان أحمد اليانشتي من الشخصيات التي تركت آثارها في الأحداث التاريخية السلبية في فترة محدودة. وكانت سبته محور نشاطه واهتمامه ؛ مع أن أصل أسلافه من حصن يانشتة بالأندلس، ولعل والده أو جده كان من جملة المهاجرين إلى هذه المدينة التي ولد بها ونشأ فيها ومارس فيها تجارته وأصبح من أثرياء تجارها، متحلياً بالخصال الحميدة ومتوفراً على ملكة أدبية، فتمكن من أداء فريضة الحج والدخول إلى بغداد. ومنها نظم قصيدته المشهورة في الحنين إلى قرية بليونش المجاورة لسبته، وقد أوردتها صاحب الروض المعطار في خبر الأقطار، وهي في سبعة عشر بيتاً ويقول فيها :

تذكرت من بغداد أقصى المغارب فجال نحي الفكر بين الترائب إلى أن يقول :

أبليونش لا جانب روضك الصبا وجاد على مغناك صوب السحاب لم يكن اليانشتي مجرد تاجر غني أو شاعر مقل، بل وجد في نفسه استعداداً للمغامرة السياسية في خضم

الاضطرابات الناتجة عن الصراع بين الأمراء الموحديين وقيام المتتمردين على الخلافة من أندلسيين ومغاربة طمعا في الانفراد بحكم مدينة أو إقليم. فشهد اليانشتي هذه الأحداث. وعرفت مدينته سبتة سيطرة الثائر محمد بن يوسف بن هود عليها وإسناده ولايتها لأحد مقدمي الصعاليك بشرقي الأندلس والمعروف بالغشتي، جزاء له على مساعدته في استيلائه على إشبيلية. إلا أن حكمه لم يدم سوى ستة شهور ؛ حيث قام عليه السبتيون وطرده، ولوا عليهم أحمد اليانشتي الذي أعلن انفصاله عن السلطة المركزية بمراكش. ونادى بنفسه ملكا. وتلقب بالموفق وأظهر أبهة الملك في هذه البقعة المغربية الصغيرة. واستقبل الوفود من علماء وأدباء. واتخذ من بعضهم مجالسيه. ومن هؤلاء أبو جعفر طلحة العباسي وهو من الشعراء المختصين به. وكذلك الأديب أبو العباس أحمد الشقري المعروف بابن طلحة وهو شاعر مستهتر مداح وما قاله فيه :

سمنا بالموقف فارتحلنا وشافنا له حسب وعلم
ورمت يدا أقبليها وأخرى أعيش بفضلها أبدا وأسر

قال المؤرخ ابن عبد المالك المراكشي في الذيل والتكملة عن هذا الشاعر : بأنه امتدح اليانشتي بقصائد فريدة.

ومن جملة زواره كذلك المحدث والأديب أبو عبد الله محمد بن الجنان، وما كاد يستقر الأمر للحاج أحمد اليانشتي حتى تعرض لأطماع التجار الجنوبيين سنة 632 فانتصر عليهم في المعركة الأولى واستولى على سلعمهم، غير أن الجنوبيين وجهاو مراكب لحصار سبتة ومهاجمتها سنة 633. واجتتابا لأخطار الغزو اضطر اليانشتي لإبرام الصلح معهم وتعويضهم عن الخسائر التي ألحقها بهم السبتيون في المعركة الأولى. وقد أورد ابن عذاري تفاصيل هذه الحادثة ودور اليانشتي من بدايتها إلى نهايتها في كتابه البيان المغرب.

ولما كان قصره مفتوحا للزوار المشهورين ؛ فقد ابتلى بأحد أدعياء الزهد، وهو إبراهيم بن مسعود الغومي عميل الموحديين، فاعتز به وقربه إليه وأكرم وفادته. فاستغل الغومي هذه الصحبة واطلع على خبايا أمور صاحبه وزود السلطة الموحدية بالمعلومات الكفيلة بالقضاء على تمرد السبتيين، وتزامن مخطط الغومي المتزاهد مع ثورة الأشبليين على ابن هود وعودتهم لبيعة الرشيد الموحدية والدخول في طاعته. فجهز هذا الخليفة الجيوش للتوجه إلى سبتة. ولم يسع السبتيين إلا أن خلعوا أحمد اليانشتي وقبضوا عليه وعلى ولديه ويابعوا الرشيد. وحسب الرواية التاريخية فإن الابن الأكبر لليانشتي فرّ ودخل الإسكندرية ومنها توجه إلى اليمن ؛ في حين سيق الأب والابن الأصغر سجينين إلى مراكش سنة 635. وتختلف الرواية في وفاتهما ؛ فمن قائل بأنهما توفيا بالوباء. ومن قائل بأنها ماتا مسمومين بشرية لبن.

وقد أورد محمد بن عبد المنعم الحميري في كتابه الروض المعطار عند حديثه عن حصن يانشتة نبذة عن حياة أبي العباس اليانشتي من ظهوره إلى القبض عليه.

ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحديين، تح. م. الكتاني، م. زينير، م. بنتاوت، عبد القادر زمامة، ص. 277 - 294 - 343 - 345 - 350 ؛ محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح. احسان عباس، ص. 622 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتاب الموصل والصلة، 1 : 381 ، تح. محمد بن شريفة ؛ أحمد المقرئ، نفع الطب، 3 : 309 ، تح. احسان عباس ؛ محمد بن تاوت، تاريخ سبتة، ص. 81 - 107.

محمد ماگامان

يبوركي (ابن -) عبد الله بن يعقوب ولد في أسرة ذات

علم غزير ودين متين، فأبوه عالم كبير من علماء سوس في القرن الهجري الحادي عشر، قال عنه الرسموكي في وفياته : "خاتمة المدرسين والمحققين بجزولة، وأظب على التدريس من غير فتور خمسا وثلاثين سنة. درّس فأفاد، وصنف فأجاد، ونفع الله به البلاد والعباد". وقد قرأ على محمد بن إبراهيم حفيد الشيخ التمنارتي، وأبي مهدي عيسى السكتاني وغيرهما. وكان معاصرا لعلي بن أحمد الرسموكي، وقال فيهما الحضيكي : "وبهما أحيا الله بلاد جزولة علما ودينا". في هذه الأسرة ولد المترجم في شهر محرم 1027، وبها نشأ وتعلم، إذ اقتصر في الأخذ على أبيه، قال عنه محمد المختار السوسي : "وهو ممن تخرجوا بأبيه، ولم يذكر أنه جلس إلى غيره، ولا ذكرت له رحلة إلى أعيان عصره، فكان ابن أبيه من كل جهة". أخذ عنه العلوم العربية والشريعة المتداولة يومئذ بسوس، إضافة إلى علم الطب القليل التداول يومئذ.

تصدر للتدريس بمدرسة تازموت بعد وفاة أبيه عام 1052 وعمره لم يتجاوز خمسا وعشرين سنة، فملا المدرسة بالعلوم والمعارف، وتقاطر عليه الطلبة من كل صوب وحذب نظراً لعلمه الغزير، وجديته في التعليم والتدريس، ولفطنته وذكائه الرقاد. وقد استمر في عمله التعليمي بهمة لا تعرف الكلل إلى أن وفاته المنية.

خلف العديد من التلاميذ الذين لم يشغله تعليمهم عن العناية بالتأليف والتصنيف، فقد خلف، رغم حداثة سنه، عديداً من المؤلفات المتنوعة والمختلفة أوصلها عبد السلام الخلد في مقدمة تحقيقه لتمام النصيحة في إرشاد الطلبة إلى 29 مؤلفا، قسمها إلى ثلاث زمر : التأليف، المختصرات، الشروح.

فمن مؤلفاته : أخبار الشيخ سيدي أحمد بن موسى، وفتح الوهاب في ما استشكله بعض الأصحاب من السنة والكتاب، الكيفية التصريفية، فتاوي المتأخرين ...

ومن مختصراته : مختصر حسن المحاضرة للسيوطي، مختصر لطائف التنوير لابن عطاء الله الأسكندري، ومختصر خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى للسهموري، زبدة المستطرف للإبشيبي، مختصر شرحه لصغرى السنوسي، تمام النصيحة في إرشاد الطلبة وهو مختصر لعمدة الطلبة ...

ومن شروحه : أنوار السعادة الكبرى : شرح للعقيدة الصغرى للسوسى، شرح عقيدة سيدي سعيد بن عبد المنعم الحاحي، شرح القصيدة الرائية في قواعد الإسلام لمحمد بن ناصر الدرعي، شرح على فرائض المختصر، شرح المينيات الفلالية البرجسية، شرح لامية الأفعال لابن مالك في التصريف، شرح منظومة في المنطق لسيدى عبد الرحمان بن عمرو البعقيلي...

توفي ليلة الإثنين 23 جمادى الأولى 1058.

الرسموكي، الوفيات، ص. 32 : الحضيكي، طبقات، 2 : 365 : المختار السوسى، المسول، 5 : 45 : رجال العلم العربي في سوس، ص. 38 : الحسن العبادي، فقه النوازل في سوس، ص. 177 : عبد السلام الخلد، مقدمة تحقيق تمام النصيحة، ص. 7، بحث التخرج من مركز تكوين مفتشي التعليم، الرباط، 86 - 87. محمد الحاتمي

يحبب (ابن -) خطري ولد بوجان ناحية تزيت سنة 1320 / 1902 ، أخذ العلم على يد مجموعة من علماء الجنوب المغربي من بينهم الشيخ النعمة والمحفوظ بن الحضرام والشيخ محمد الإمام وماء العينين بن العتيق وغيرهم. ساهم بدور فعال في مقاومة المستعمر بالجنوب المغربي بإنتاجه الأدبي ومواقفه الصلبة. وبعد استقلال الجزء الشمالي من المغرب اشتغل بالقضاء.

خلف عدة أعمال أدبية منها :

- ديوان شعر نشرت بعض قصائده ببعض الجرائد الوطنية وخاصة منها صحراء المغرب وصحراؤنا، ولما يزال مخطوطا.

- مجموع شعري يضم مختارات من أشعار الجنوب المغربي، لما يزال مخطوطاً.

- مجموعة من الخطب والمقالات السياسية تتصل كلها بوحدة المغرب وسيادته على أقاليمه الصحراوية.

توفي بتارودانت سنة 1403 / 1983.

محمد الظريف، الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين، ص. 204 ، منشورات مؤسسة الشيخ مريبه ربه، 2003 ؛ باقة شعر من أقاليم الجنوب، ص. 63، منشورات وزارة الشؤون الثقافية.

محمد الظريف

يحبب، ماء العينين ولد بمدينة السمارة سنة 1897 ونشأ في بيئة علمية كان لها أثر كبير في تكوينه العلمي والأدبي. فقد فتح عينيه منذ صغره على مجالس جده العالم والأديب والمجاهد والمربي الشيخ ماء العينين العلمية والدينية والاجتماعية والأدبية والتربوية في مدينة السمارة التي كانت مركز إشعاع فكري وعلمي في الصحراء المغربية.

افتتح الأستاذ يحبب دراسته العلمية على يد الشيخ ماء العينين ثم قرأ بعد ذلك على أبيه العلامة خطري وعلى عدد من الأساتذة اللامعين في السمارة وفي غيرها من مناطق سوس مختلف العلوم، فبدأ بحفظ القرآن الكريم ولما

أقتنه قرأ العلوم الأخرى من فقه وحديث وتفسير وأصول ونحو وبلاغة وبيان وأدب وشعر.

في سنة 1909 انتقل مع أسرته التي انتقلت مع الشيخ ماء العينين إلى مدينة تيزنيت، لكن دراسته العلمية لم تتوقف، فقد ظل مرافقا لوالده يقرأ عليه ويأخذ عنه لا يفارقه ولا يغيب عن مجلسه العلمي وكان مواظبا على حضور حلقات الدرس اليومية التي كان يعقدها، وبحضرها العلماء والأدباء.

في سنة 1913 انتقل مع خاله الشيخ النعمة بن الشيخ ماء العينين إلى وجان ودرس عليه فأجازته في جميع العلوم ومكث معه خمس سنوات ثم انتقل صحبتته سنة 1917 إلى آيت الرخاء. وبعد وفاة الشيخ النعمة سنة 1921 انتقل إلى كردوس واستقر مع خاله الشيخ مريبه ربه ابن الشيخ ماء العينين الذي أخذ عنه كذلك وأجازته في جميع العلوم، وشارك معه في عدة معارك ضد المستعمر الفرنسي، وظل مرافقا له في جميع المهمات إلى سنة 1934 حيث غادر كردوس متجها إلى طرفاية فانتقل يحبب إلى إكيسل واستقر مع خاله الشيخ محمد الإمام ابن الشيخ ماء العينين الذي أخذ عنه هو بدوره وأجازته في العلوم إسوة بإخوته العلماء الأجلاء الأفاضل.

في سنة 1938 توجه معه إلى مدينة تطوان للالتحاق بركب الحجاج المتوجهين إلى الديار الحجازية لأداء فريضة الحج برئاسة الشيخ مريبه ربه، والتقى بعدد من الأدباء والعلماء وزعماء الحركة الوطنية في تطوان وكانت له معهم محاورات علمية ومساجلات شعرية. وبعد عودته من الحج انتقل رفقة إلى مدينة إفني التي مكث بها سنين عديدة.

في سنة 1956 انتقل معه إلى مدينة تيزنيت السلطانية، وفي السنة نفسها توجه مع أول وفد من أعيان قبائل الصحراء المغربية وآيت باعمران لتجديد البيعة والولاء لجلالة الملك محمد الخامس بعد عودته من المنفى.

في سنة 1957 انخرط في صفوف جيش التحرير وساهم في تنظيمه وخاض معارك متعددة ضد المستعمر الأجنبي في آيت باعمران والصحراء المغربية. ولم تقتصر مقاومته على السلاح وحده بل أردفه بالقصائد الشعرية والكتابات النثرية في مختلف الصحف والمجلات الوطنية التي تنمي الحس الوطني وروح المقاومة في قلوب المواطنين.

اشتغل بالتدريس في مدينة إفني قبل الاستقلال من سنة 1942 إلى سنة 1956.

في سنة 1958 عين قاضيا بقصر السوق. وفي سنة 1961 انتقل إلى قرية تافنكولت ثم أولاد برحيل وأولوز بإقليم تارودانت. وفي سنة 1975 انتقل إلى تالوين وظل يشتغل بها إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1981.

وبعد تقاعده عين عضوا بالمجلس العلمي للأقاليم الصحراوية حيث قام بمهمته أحسن قيام وساهم من خلاله بدور كبير في التوجيه والوعظ والإرشاد. في سنة 1982

- "منحة الأحذية" للأستاذ محمد بن محمد بن سودة الفاسي.

- "العسل المصفي في عدد الشهداء زمن المصطفى" و"دافعة الباطل الذابة عن تحريف أوصاف الدابة" للشيخ مريه ربه ابن الشيخ ماء العينين.

- الجأش الربيط " للشيخ محمد الإمام ابن الشيخ ماء العينين.

- "حفرة الألباب" لعبد السلام ابن الشيخ مفتاح.

- "البغية" لماء العينين بن العتيق.

ب - الشعر :

لم يخرج الشاعر يحجب في بداية تجربته الشعرية عن الموضوعات التقليدية المعروفة في الشعر العربي التي ظلت متداولة عبر عصور الأدب بطرقها الشعراء ويخلصون لها، لكنه ما لبث بعد ذلك أن ارتبط بالأحداث السياسية التي شهدها الوطن وساهم في التعبير عنها حين انخرط في صفوف الحركة الوطنية وجيش التحرير. فاقترب من الأغراض والمعاني التي تتجاوز مع مطامح الشعب المغربي الذي كان يعيش في هذه الفترة تحت سيطرة الاستعمار، فدعا إلى تجديد مضامين الشعر لبواكب التحولات الكبرى التي يعيشها الوطن مع المحافظة على الشكل التقليدي للقصيدة العربية جامعا بين الأصالة والمعاصرة، واستطاع بشعره أن يذكر في نفوس المواطنين روح النضال والمقاومة ضد المستعمر الفرنسي والإسباني لتحرير البلاد من سيطرته واستغلاله.

وقد ترك ثروة شعرية غزيرة فاقت عشرة آلاف بيت في مختلف الأغراض الشعرية في مقدمتها الوطنية والإخوانيات والمولدات والتوسلات، وتميز شعره بالجزالة والمتانة، مما يدل على شاعرية أصيلة ومبدعة تنم عن نبوغ فكره وأصالته رأيه.

توفي بمنزله في تارودانت سنة 1983 عن عمر يناهز السادسة والثمانين بعد حياة حافلة بالعلم والادبي.

ماء العينين بن الحضرم، إفادة الأقرين في التعريف بذرية شيخنا الشيخ ماء العينين، مخطوط خزنة ماء العينين علي ابن الشيخ مريه ربه، تيزنيت؛ تحلية الطروس وتسليمة النفوس في التعريف بأعلام الشعر في الصحراء وسوس، مخطوط خزنة مروان الأكرمي، أكادير؛ ماء العينين بن العتيق، الرحلة المعينية، تح. م. الظريف، ص. 83، الرباط، 1998.

ماء العينين النعمة علي

انخرط في سباط العدول وبقي يمارس هذه المهنة حتى وفاته. يعتبر يحجب من كبار العلماء والأدباء والشعراء الذين أثروا الساحة الأدبية والعلمية المغربية بإنتاجهم الفكري الغزير والمتنوع في العصر الحديث، فقد كان عالما وأديبا وشاعرا وناظما ومصنفا في علوم شتى. يشتغل ليله ونهاره بالقراءة والكتابة والإبداع المتواصل لا يردعه عنه رادع ولا يحول بينه حائل معتبرا ذلك من الواجبات الأساسية التي ينبغي العناية بها بدلا من استهلاك الوقت فيما لا يفيد ولا ينفع. وكان أيضا يزور المكتبات في مختلف المدن المغربية في تيزنيت وتارودانت ومراكش والرباط وسلا وفاس ومكناس وتطوان والعيون والسمارة فيقتضي فيها زمنا طويلا يقرأ ويكتب ويدون وينسخ ويقتني إن اقتضى الأمر ذلك. ولا يكتفي بهذا وحده بل يصف الخزانة وما فيها من كتب ومخطوطات ومصنفات وينوّه بها ويصاحبها.

وكان له أيضا اعتناء كبير بالنسخ، حيث نسخ عددا من مؤلفات علماء الزاوية المعينية كمؤلفات الشيخ مريه ربه والشيخ أحمد الهيبة والشيخ محمد الغيث النعمة والشيخ محمد تقي الله أبناء الشيخ ماء العينين وماء العينين بن الحضرم. ونسخ كذلك أشعارا كثيرة لعدد من الشعراء الذين كانت له معهم مساجلات شعرية كالطاهر الأفراني وابنه محمد والحسن البونعماني وأبو بكر المريني وإبراهيم الإلغي وعبد الرحمان حجي وإدريس الجاي وإسماعيل رضا السكتاني.

ومما يدل على تكوينه العلمي الكبير هو الإنتاج العلمي والأدبي الذي تركه على المستوى الثري والشعري.

أ - النثر :

1 - "الأنوار الساطعة في الرحلات الجامعة" كتاب يحكي فيه أغلب الرحلات التي قام بها للمدن المغربية والحجازية والأندلسية والموريطانية.

2 - "أيام القضاء" يحكي فيه تجربته الطويلة في عالم القضاء منذ اشتغل فيه إلى أن أحيل على التقاعد.

3 - "مجموع يحجب" يضم عددا كبيرا من الأشعار لمختلف شعراء المغرب وموريطانيا والعرب عامة جمعها وقدم لها.

4 - "كتاب الرسائل" جمع فيه الرسائل المتبادلة بينه وبين أدباء المغرب عامة.

5 - "أعلام الزاوية المعينية" كتاب عرف فيه بأعلام زاوية الشيخ ماء العينين ودورهم في ازدهار الأدب والفكر المغربي.

بالإضافة إلى تقيظه لعدد كبير من الكتب نثرا وشعرا، منها :

- "الجامع العام" للشيخ عبد الحي القادري التطواني.

- "مكانة الحسن الثاني بين أبطال المغرب العربي" للشريف العلوي مولاي إسماعيل بن محمد بن الرشيد السلاوي.

- "نجوم الهدى" للشيخ إبراهيم نياسي.

ذلك العصر - كآبي المحاسن عبد القادر الفاسي وولده محمد، وأبي العباس أحمد بن حمدان، ونظرائهم.

وتبدت عليه مخايل النجاية - منذ صغره، وكان عاقلا وزينا، ظاهر الشيم، عالي الهممة، اشتغل بعلوم الأدب، وأدرك شأوا بعيدا فيها ؛ فطار صيته، وشاع ذكره ؛ فرفع خبره إلى السلطان المولى إسماعيل، فأدناه إلى حضرته واستكتبه، ثم رقيه إلى درجة الوزارة، سنة نيف وتسعين وألف / 1680 ، وجعل بيده مقاليد الأمور، وإليه الحل والعقد؛ حتى إنه لما عقد السلطان لولده المامون على مراكش، أزمه بالذهاب إلى وزيره اليعمدي، ليتسلم من يده ظهير التولية - وكان يعلم أن ولده يكرهه أشد الكره، ومع ذلك أمره بسماع وصيته والعمل بها رغم أنفه. وكم مرة دس عليه فلم يفلح ! وكان المولى إسماعيل قد وضع فيه كل ثقته، فلا يكاد يبرم أمراً إلا بمشورته ؛ ولعل ذلك يرجع إلى سببين اثنين : أحدهما : أن المولى إسماعيل تتلمذ لأبي العباس اليعمدي، فعرف فضله عن كثب، وأدرك منزلته عن خبرة وتجربة. وثانيهما : ما كان يمتاز به اليعمدي من رزانة ووقار، وبعد نظر، وإصابة في الرأي، وتؤدة في الأمور، وجدل في الشدائد، ورباطة جأش عند المدهلمات. ومن أخطر المواقف التي تعرض لها الوزير اليعمدي - قضية ولاية العهد، فقد استشاره السلطان في ذلك، فأجابه بصراحته المعهودة : إنه لا ولد كذلك تقلده أمر المسلمين. فقدر فيه السلطان هذه الروح، ولم يعهد بها لأحد. وإلى جانب المهام المنوطة به، جعل له الإشراف على خزانته العلمية التي حوت من الذخائر والنفائس ما لم تحوه خزائنها ولا بعدها، وكان - على كثرة أشغاله - يتصفحها، ويدون أهم ما فيها في سجلات خاصة ؛ فكان من ذلك كناشته المعروفة، وهي أهم ما خلفه من تراث، وتقع في عشرة مجلدات، وقد وصفها بعضهم بقوله :

(ألف فيها نفائس تبهر العقول، واقتنص من جوها كل عنقاء من مستحسنات النقول). وهي غير كناشة العبيد، وقد تحدث اليعمدي طويلا فيها عن قضية تدوين جيش العبيد، وشرح الأسباب التي دعت إلى ذلك ؛ كما دون كثيراً من وفيات الشيوخ والقادة. وكان للملوك العلويين اعتناء خاص بها.

ومن أولاد الوزير اليعمدي : أبو عبد الله محمد، وكان عالماً أديباً، وكاتباً شاعراً ؛ أسند إليه والده أمر الخزانة المولوية، ودام متولياً شأنها نحو (40) عاما ؛ ولعل ذلك ما حملة على تأليف كتابه الموسوم بـ "عدد التأليف في ترتيب المحفوظات والتقايد" وهو الذي انتسخ كناشة والده - بأمر السلطان المولى عبد الله، وزاد فيها زيادات. وألف في سيرة الوزير اليعمدي - صديقه الأديب الشاعر علي مصباح - كتابه : (سنا المهتمدي، إلى مفاخر الوزير اليعمدي) ويوجد مخطوطا بخزانة وزان (بدون رقم) وقد دون فيه مناقب اليعمدي ومفاخره، وأورد كثيراً من رسائله وأبياته، من ذلك

قوله - وهو يخاطب أبا الحسن مصباح - : (.. إلى من نبغ في العلم الذي لا تنضب موارده، ولا يظمأ وارده ؛ وغدا كالعلم الذي لا يسامى بفاعه، ولا يضاهاى ارتفاعه ؛ من أضحى في هذا الأوان علماً، ولكعبة الأدب ركناً مستلماً ؛ مشرع أنس صفاً، ومبلس ود ضفاً ؛ من لا يباري في براعة ولسان، ولا يجاري في ميدان براعة وبيان ؛ الهمام الذي لا يقاوم، والماجد الذي لا يزاحم ؛ السميع الرفيع المقدار، الكريم المآثر والآثار ؛ البدر المشرق الوضاح، الأخ الصفي السري أبو الحسن مصباح...).

فأبو العباس اليعمدي : عالم أديب، وسياسي حكيم ؛ ظل على رأس الوزارة في دولة السلطان الأعظم المولى إسماعيل نيافاً وأربعين عاماً، فما صدرت منه هفوة، ولا سجلت عليه نبوة، لثقتة وكفاءته وإخلاصه ؛ وهي خصال قلما توفرت في كثير من القادة السياسيين.

توفي سنة 1132 / 1720.

ابن إبراهيم العباس، الإعلام، 5 : 82 ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، إتحاف الناس، 4 : 106 - 117 ؛ ابن سودة عبد السلام، دليل مؤرخ المغرب، 1 : 477 - 487، الدار البيضاء، 1380 - 1960 ؛ ابن عبد الله عبد العزيز، الموسوعة المغربية، 3 : 96 - 97 ؛ أعراب سعيد، صحيفة الميثاق، 1384 - 1964 ؛ أكسسوس، الجيش العرمرم ؛ الزركلي خير الدين، الإعلام، 6 : 322، الطبعة الثانية، 1373 - 1978 ؛ محمد الضعيف، تاريخ الدولة السعيدية، ص. 82 - 99، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، 857 ؛ مصباح علي، سنا المهتمدي إلى مفاخر الوزير اليعمدي، مخطوط الصويرة ؛ أحمد الناصري، الاستقصا، 56 - 78، الدار البيضاء، المغرب، 1376 - 1956 ؛ أحمد اليعمدي، الكناشة اليعمدية، مخطوط الخزانة الحسنية، عشرة أجزاء.

سعيد أحمد أعراب

البيحيوي ، أسرة قائدية بوادي درعة، ظلت تقامر السلطة باسم المخزن على قبائل أولاد يحيى، بدرعة وفم زكيد وألگوم، لمدة تزيد على قرن من الزمن، إلى أن عصفت رياح الاستقلال بأخر قائد منها في أواسط الخمسينات من القرن 20.

1 - عثمان بن مسعود : تمكن عثمان بن مسعود البيحيوي في بداية العقد الخامس من القرن (19)، من جمع كلمة قبائل أولاد يحيى، والزحف بها على الأطراف الغربية لواحتي تينزولين وترناتة. وقد أثار ظهور عثمان بن مسعود البيحيوي بوادي درعة، انتباه المخزن المركزي، الذي كان في حاجة إلى شخصية شجاعة تتصدى لقبائل آيت عطا التي كانت تشغب على المخزن بالوادي، فوجه خليفة السلطان بمراكش، سيدي محمد بن عبد الرحمان سنة 1257 / 1841 إلى الشيخ لحبيب بن أحمد الوشاحي (من قصر أولاد أوشاح بواحة ترناتة بأمره "بأن يجتهد في القيام على ساق الجد والحزم في شد العضد للشيخ عثمان بن مسعود البيحيوي، على قتال... آيت عطا واجمعوا أمركم وشركاءكم وكونوا يدا واحدة عليهم فإن ذلك أنفع لكم وأحلك عليهم...")

(رسالة مخزنية) ، ورغم صغر هذه الرسالة، فإنها أضفت المشروعية والتزكية بما كان يقوم به الشيخ عثمان بن مسعود بدرعة، وقد كان في حاجة ماسة إلى هذه التزكية المخزنية، لأنها ستسمح له بأن يتصرف مع القبائل كشيخ مخزني، وأن يتعامل نداءً للند مع الأسر المخزنية التقليدية بالوادي مثل أسرة المزواريين بواحة تينزولين، والتمنوگاليين بواحة مزكيطة. ولن نبالغ في شيء إذا قلنا بأن هذه الرسالة قد ساهمت، في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ درعة، في صنع رمز من رموز المخزن في هذه الجهات البعيدة عن مركز الدولة، خاصة أن عثمان بن مسعود يتوفر على بعض الصفات المطلوبة في ذلك الوقت في المترشحين لتمثيل المخزن بين قبائلهم.

ويظهر أن هذه الرسالة المخزنية، قد أعطت دفعة سياسية قوية للشيخ عثمان بن مسعود اليحيوي، فقاد قبائل أولاد يحيى في معارك حامية الوطيس داخل واحات درعة، تمكن خلالها من تركيز وجود قبائل أولاد يحيى، بشكل خاص، بواحتي تينزولين ومزكيطة ومناطق ألكوم وفم زكيد، وكان يموه على المخزن ويدعي أن ما يقوم به من أعمال حربية، يندرج في إطار إخضاع القبائل العاصية لنفوذ المخزن، الأمر الذي جعل السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام، يزكي في سنة 1262 / 1845 ، أعماله ويسلمه ظهير توليته كشيخ أعلى على كل قبائل أولاد يحيى وبأمرهم "أن يسمعوا قوله ويطيعوا أمره في جميع ما يأمرهم به من الخدمة الشريفة... ومن حاد على الخدمة معه، فلا يلوم إلا نفسه ولا يضر إلا رأسه" (من الظهير الرحماني). وما كاد الشيخ عثمان بن مسعود، يتسلم ظهير تعيينه شيخاً أعلى (الشيخ فوقاني) على كل قبائل أولاد يحيى، حتى ركز أعماله الحربية بالمدخل الجنوبي لواحة مزكيطة، فتمكن من اقتطاع عدد من قبائل قصور دراوة من مجال نفوذ قيادة تامنوگالت المزكيطية، وهي على كل حال قبائل محسوبة على المخزن. ولن نبالغ في شيء إذا قلنا بأن الشيخ عثمان، قد نجح مرة أخرى في التدليس على السلطان مولاي عبد الرحمان، الذي رقاها إلى منصب قائد مخزني على كل قبائل أولاد يحيى ابتداءً من سنة 1848 / 1265.

وبالرغم من أن هذا الظهير السلطاني، قد أطلق أيدي القائد عثمان بن مسعود اليحيوي في عدد كبير من قبائل درعة والمناطق المجاورة، فإن المزواريين بواحة تينزولين، والتمنوگاليين بواحة مزكيطة، رفضوا الخضوع للأمر الواقع الذي كان القائد عثمان بن مسعود، يحاول تطبيقه على الأرض، فتفجرت الأوضاع القبلية بشكل خطير ولم تتوقف الصراعات إلا مع بداية عهد الحماية. وقد توفي عثمان بن مسعود سنة 1284 / 1867 ، فتولى ابنه العربي بن عثمان قيادة قبائل أولاد يحيى بتزكية من المخزن المركزي.

2 - اليحيوي العربي بن عثمان :

تولى القائد العربي اليحيوي أمر القيادة، وكان عليه أن يضع في حسبانته أمرين أساسيين : تفشي ظاهرة الأخلاق

القبلية، ليس بدرعة، فحسب وإنما في كل المناطق الجنوبية. والأمر الثاني : ظهور عائلة الكلاوي على مسرح الأحداث، وكان القائد الكلاوي محمد أبيب، قد شرة إلى بسط سيادة أسرته على المناطق الممتدة جنوب جبال الأطلس باسم المخزن. لذلك حرص القائد العربي على السكنينة والهدوء، مقتنعاً بالحفاظ على المكتسبات التي حققها والده في واحتني تينزولين ومزكيطة وجهات ابن حميدي وفم زكيد وألكوم. وإذا كان القائد العربي في المرحلة الأولى من حكمه، قد وجد نفسه ملزماً بالانغماس في ظاهرة الأحلاف القبلية بوادي درعة، كآلية من آليات حماية مصالحه ومصالح قبائل أولاد يحيى فإنه من جهة أخرى ظل يراقب عن بعد، مظاهر الصراعات القبلية التي أثارها القائد محمد أبيب الكلاوي، في محاولاته لإخضاع قبائل آيت واوذكيت ومن في لفها.

وقد تجنب القائد العربي اليحيوي، الاتخراط في أية عملية تناهض نشاط آل الكلاوي ببلاد آيت واوذكيت على عكس قيادة تامنوگالت التي انغمست كلية في الأحلاف المناهضة لآل الكلاوي. وهكذا ما كاد الكلاوي يتولى قيادة كلالوة بعد وفاة والده محمد أبيب سنة 1886 ، حتى أسرع القائد العربي اليحيوي، ولأسباب محلية محضة، بربط مصالح قيادته بقيادة كلالوة.

وتفسيدينا اتفاقية صلح بين قيادتي أولاد يحيى وتامنوگالت سنة 1258 / 1842 ، أن القائد العربي اليحيوي، التزم بشروط هذه الاتفاقية التي وقعها والده عثمان بن مسعود مع القائد الحسن التمنوگالي. ويتضح من خلال نصوص عدد من الرسائل المخزنية، ما بين 1280 و1290 / 1863 - 1873 ، أن السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، وخليفته على مراکش الأمير مولاي الحسن، كانا يراقبان ما يجري بواحات درعة، ويحرصان على منع أي انفلات للأوضاع القبلية. وكان القائد العربي اليحيوي، يدرك جيداً هذه الرغبة المخزنية، فظل هادئاً، ولا يخوض الحرب ضد القبائل وقيادة تامنوگالت، إلا بشكل محدود جداً إذ كان يخشى إثارة غضب المخزن عليه.

وبعد وفاة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان سنة 1290 / 1873 ، استغل القائد العربي اليحيوي، ظروف انتقال السلطة إلى السلطان الجديد، مولاي الحسن بن محمد، فتحرر من التزامه بالهدوء وبدأ يستعد لإعلان الحرب ضد قبائل أهل مزكيطة، متذرعاً في ذلك بنقض القائد عبد الرحمان التمنوگالي لشروط الصلح بين قبائل أولاد يحيى وأهل مزكيطة. ولكي يبرئ القائد العربي ذمته أمام السلطان الجديد، فقد ظل يلح على المخزن ليمده بالسلاح لمحاربة القبائل السائبة، التي لم تكن سوى قبائل أهل مزكيطة، وقد عرف كيف يتواطأ مع عامل المخزن بدرعة في ذلك الإبان، القائد الحسين بن حدو الغرواني الذي كان يدعم مطالبه أمام السلطان.

وتفيد مقيدات عبد العزيز التينمسلاوي، أن القائد

العربي اليحياوي، لم يستطع أن يحقق أي انتصار يذكر على أهل مزغيطة، فتوجه بحركته المحلية إلى جهات قم زكيد لإخضاع بعض قبائل أولاد يحيى، التي تضررت من عسفه وجوره، إلا أنه انهزم أمامها فعاد إلى قصبته بدرعة حيث توفي بعد شهر من هزيمته سنة 1304 / 1886 فاجتمعت كلمة قبائل أولاد يحيى على ابنه محمد بن العربي اليحياوي.

3 - اليحياوي محمد بن العربي :

اتفق أعيان قبائل أولاد يحيى في تجمع عام بقصبة القائد العربي، وسط واحة تينزولين، على تولية محمد بن العربي مكان أبيه في القيادة، وقد حضر عملية التنصيب، شيخ زاوية تينمسلا القادرية سيدي عبد العزيز بن إدريس. وبعد شهر من هذا الاجتماع توصل القائد محمد بن العربي اليحياوي بظهير تعيينه ويحمل تاريخ فاتح شعبان سنة 1304 / ماي 1887.

ويعتبر القائد محمد اليحياوي، واسطة عقد هذه القيادة، لقوة شخصيته، وبعد نظره، وحصافة رأيه ودهائه الكبير في التعامل مع المشاكل والقضايا التي واجهته، فقد حرص منذ توصله بظهير تركيته من السلطان مولاي الحسن، في منصب قيادة أولاد يحيى على تمتين علاقاته ببعض رجال الحاشية السلطانية من أمثال إدريس بن يعيش وإدريس بن العلام والقائد أحمد بن مالك، كما فتح أبواب الاتصال مع الفقيه المدني الكلاوي، الذي نصب بدوره على قيادة آل الكلاوي، في نفس التاريخ، ولم يكن يبخل على تقديم بعض الإكراميات والهدايا السنوية لرجال المخزن ليضمن دعم مطالبه أمام السلطان مولاي الحسن.

وفي سنة 1308 / 1890 ، عين السلطان، مبارك بن الطاهر الرحماني عاملا على درعة، الأمر الذي فرض على القائد محمد اليحياوي، تجميد مشاريعه التوسعية بواحي تينزولين ومزغيطة على حساب المزورين والتامونگاليين.

وبعد وفاة السلطان مولاي الحسن سنة 1311 / 1894، وهروب مبارك بن الطاهر الرحماني من درعة، تحرر القائد محمد اليحياوي، من التزاماته المخزنية، فاستأنف عملياته الحربية للاستيلاء على المزيد من الأراضي المقطعة من قيادة تامونگالت وتينزولين وترناتة، كما دخل في مواجهات مع القاضي محمد بن محمد العربي الحاجي، وشيخ زاوية تينمسلا. ولن نبالغ في شيء إذا قلنا بأن للقائد محمد بن العربي اليحياوي اليد الطولى في قده زناد نار الفتن القبلية التي عرفتها واحات درعة خلال العقد الأول من القرن (20).

وبعد الإعلان عن الحركة الحفيظية سنة 1325 / 1907، وجد القائد محمد بن العربي اليحياوي نفسه مرغما على الدخول في فترة هدوء، استجابة لرغبة صديقه المدني الكلاوي عراب الحركة الحفيظية. لكن بعد انتقال السلطان مولاي عبد الحفيظ إلى فاس، وتجريد المدني الكلاوي وكل أفراد أسرته من مهامهم السياسية والإدارية سنة 1329 /

1911 ، استشعر القائد محمد اليحياوي انفلات وادي درعة من الوجود الفعلي للمخزن، وتفشي الفتن القبلية في كل واحات الوادي، فنهض لحرب قبائل تامونگالت للاستيلاء على المزيد من الأراضي بواحة مزغيطة، فقتل في إحدى المعارك بالقرب من قصر تيمضرت وذلك سنة 1330 / 1912، فتولى ابنه القائد العربي قيادة قبائل أولاد يحيى.

4 - اليحياوي القائد العربي بن محمد

ورث القائد العربي عن والده، أوضاعا قبلية متفجرة بالواح الشمالية بدرعة (ترناتة، تينزولين ومزغيطة) فقبائل آيت عطا المتحالفة مع قبائل الروحا، تهدد قصور أولاد يحيى بواحة ترناتة وقبائل أهل تينزولين التي فتحت أبواب قصورها لبعض قبائل آيت عطا لردع قبائل أولاد يحيى وقبائل أهل مزغيطة، وكان من أولوياته الثأر لأبيه من قبائل مزغيطة وقيادة تامونگالت التي لها يد في مقتل القائد محمد اليحياوي. وقد تزامن تنصيب القائد العربي، على قيادة أولاد يحيى، مع توقيع معاهدة الحماية في ربيع الثاني 1330 / مارس 1912، وإعادة آل الكلاوي إلى السلطة.

وفي الوقت الذي بدأ فيه القائد العربي يستعد لمنازلة قبائل أهل مزغيطة وقيادة تامونگالت في إطار أخذ الثأر لوالده، فوجئ ببعض الشاردين، من معركة سيدي بوعثمان، من أتباع الشيخ أحمد الهيبه يصلون إلى درعة، (أحمد شبيهننا بواحي فزواطة ولكناوة ومولاي الحاج بواحة تينزولين). وقد انشغل آل الكلاوي بما يشهه هؤلاء بين قبائل وادي درعة من ضرورة القيام بالجهاد ضد الفرنسيين ومن يقف إلى جانبهم، في إشارة مبطنة إلى آل الكلاوي وحلفائهم بالوادي. وفي محاولة من آل الكلاوي لتطويق هذه "الحركة" الجهادية بدرعة أو عزوا إلى القائد العربي بتهدئة الأوضاع مع أهل تامونگالت خاصة أن سلطة الحماية، منشغلة بالحرب العالمية الأولى في أوروبا حيث التزمت أسرة الكلاوي، لسلطة الحماية بضبط أحوال القبائل في كل المناطق الجنوبية، أي كل المناطق التي تعرف آنذاك في الخريطة العسكرية بناحية مراكش.

استغل القائد العربي اليحياوي، فترة الهدنة مع قبائل أهل مزغيطة، التي فرضها عليه آل الكلاوي، فوجه عنايته لإعادة بعض القبائل بواحة ترناتة إلى حظيرة قبائل أولاد يحيى، وهكذا وصل إلى قصر تنسيطة بواحة ترناتة في أول سنة 1336 / 1917 "ففرح به أولاد يحيى وتلقوه بالسرور والفرح... وذبحوا عليه خشاع (قبيلة قصر تنسيطة) وأولاد شعوف (قبيلة قصر تيبكت) ورجعوا لمحلهم وجمع الله به شمل أولاد يحيى.

وفي شهر رجب سنة 1336 / أبريل 1918، انفجرت ثورة مبارك بن الحسين التوزونيني بتافيلالت، فاهتزت منطقة الأودية (وادي دادس، وادي تودغة، وادي درعة). فاضطر التهامي الكلاوي وابن أخيه القائد حمو إلى قيادة الحركة إلى بلاد تودغة التي أصبحت بيد قوات التوزونيني منذ ربيع

الثاني 1337 / يناير 1919 وقد تمكنت حركة غلاوة المدعمة لوجستيكيا من سلطة الحماية من إعادة بلاد تودغة إلى نفوذ غلاوة.

وفي شهر جمادى الأولى 1337 / فبراير 1919، وصلت حركة غلاوة إلى وادي درعة، بعد القضاء على حركة مولاي الحاج بجبل تيفرينين (بين ورزازات وأگذز) وأهم ما قام به التهامي الغلاوي بعد وصول الحركة إلى واحة مزكيطة، أنه ثبت بعض القواد المخزنيين في مناصبهم (القائد أبو بكر التمنوگالي، القائد العربي الیحيایوي، عبد الرحمان المزواري)، وعين بعض خلفائه على آيت سدرات وترناتة. إلا أن خلفاء غلاوة، أساءوا السيرة، وتشددوا في استحلاب الأموال فتفجرت الأوضاع القبلية وسادت الفتن بكل واحات الوادي. وكان للقائد بويكر التمنوگالي يد في إثارة هذه الفتن وتحريكها، حيث اتهم آل الغلاوي بأنهم انحازوا إلى جانب عدوه القائد العربي الیحيایوي. وهكذا وجد، القائد حمو الغلاوي نفسه، بعد تردد، يقود الحركة للمرة الثانية إلى وادي درعة، فتوجه القائد العربي الیحيایوي في سرية من الخيل إلى ورزازات للترحيب به، وقد رحب حمو بالقائد العربي الیحيایوي فاستقبله باستعراض الجيش "وضرب الطبل والموزيكا".

وهذا الاحتفاء الخاص بالقائد العربي الیحيایوي، يكشف عن كون القائد الیحيایوي، يعتبر أهم حليف للقائد حمو الغلاوي بدرعة. وفي يوم 22 محرم سنة 1343 / شتنبر 1923، وصلت حركة القائد حمو الغلاوي، إلى مشارف قصبه تامنوگالت، وفي نيته تهديم القصبه على من فيها والقضاء نهائيا على قيادة تامنوگالت إلا أن القائد حمو، فوجئ بخالته عائشة بنت الشيخ أحمد الورزازي تخرج من خدرها وتشفع عند ابن أختها القائد حمو في أهل قصبه تامنوگالت. وقد اكتفى القائد حمو، بعد ذلك بفرض ذعيرة ثقيلة على أهل مزكيطة، وعزل القائل بويكر التمنوگالي، وتنصيب أخيه القائد علي مكانه، واقتطع عددا من قصور أهل مزكيطة من مجال نفوذ قيادة تامنوگالت وإضافتها إلى قيادة أولاد يحيى، إرضاء للقائد العربي الیحيایوي. وهكذا يكون القائد العربي قد حقق بواحة مزكيطة ما عجز عن تحقيقه جده وأبوه. وما كادت الحرب الريفية تضع أوزارها سنة 1926 حتى وجهت سلطة الحماية عنايتها للمناطق الجنوبية، وفي هذا الإطار أسست سلطة الحماية مركز الشؤون الأهلية بورزازات في شتاء سنة 1345 / 1928. وكان القائد العربي الیحيایوي، من بين الأعيان الأوائل الذين ربطوا اتصالات سرية بالمسؤولين الفرنسيين بورزازات، ويذكر الضابط سبلمان، رئيس مكتب الشؤون الأهلية بورزازات، أن القائد العربي الیحيایوي، رجل ذكي. وقد قام بدور بارز في التمهيد لدخول الفرنسيين إلى درعة في مطلع الثلاثينات من القرن (20) ثم توفي في نهاية سنة 1349 / أبريل 1931. فتولى ابنه القائد محمد (حمادي) مجيم مفخمة، قيادة أولاد يحيى، في عهد

سلطة الحماية. ولم يكن القائد محمد يتمتع بقوة أسلافه وطموحهم. حيث ظل العربة في يد الفرنسيين إلى أن هبت رياح الاستقلال، فاعتقله جيش التحرير، ورحل إلى منطقة تالوين على الطريق الرابط بين درعة وسوس عبر تارودانت حيث نفذ فيه حكم الإعدام مع مجموعة أخرى من الذين اتهموا بالتعامل مع الحماية الفرنسية وأسرة آل الغلاوي، وذلك في صيف سنة 1956.

مراسلات مخزنية، وظواهر سلطانية في حوزة الكاتب؛ وثائق محلية (اتفاقيات، رسائل من دار القائد الیحيایوي)؛ محمد بن حبيب التمنوگالي، العقود الجوهريه في الأنباء الدرعية، مخطوط؛ الطيب بن حبيب الملوي، تاريخ درعة، مخطوط؛ أحمد البوزيدي، التاريخ الاجتماعى لدرعة، الدار البيضاء، 1994؛ درعة بين التنظيمات القبلية والحضور المخزني (1894 - 1935)، د.د. كلية الآداب، فاس، 2004؛ المهدي الناصري، الرحلة الزاهرة إلى درعة العاصرة، تقديم أحمد البوزيدي، الدار البيضاء، 1999؛ إبراهيم ياسين، جنوب أطلس مراكش تحت حكم الفرنسيين والقادة الكلاويين، الرباط، 2003؛ عبد العزيز التينمسلاوي، مقيدات التينمسلاوي، مخطوط؛ مصطفى بوشعراء، علاقة المخزن بأحوال سلا (1860 - 1912)، الدار البيضاء، 1996.

Paul Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, t. 1, Rabat, 1977 ; G. Spillmann, *Souvenirs d'un colonialiste*, Paris, 1968 ; Districts et tribus de la Haute Vallée du Dra, *Archives Marocaines*, V. 9, T. 2, Paris, 1931 ; *Les Ait Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra*, Paris, 1936. أحمد البوزيدي

يحيى (سيدي -) بن **يونس**، هو أشهر صلحاء مدينة وجدة وأقدمهم على الإطلاق، يقع ضريحه على بعد حوالي ست كيلومترات من مركز المدينة في اتجاه الشرق. جميع الروايات متفقة حول أقدميته بمدينة وجدة، غير أن هناك اختلافا بينا في الروايات التي تتحدث عن أصله ونسبه، وأهمها روايتان : الأولى ترجح أنه مسيحي من الحواريين أصحاب عيسى عليه السلام، وهي الرواية التي اعتمدها جل الإخباريين إن لم نقل كلهم. والرواية الثانية تذكر أنه من يهود قشتالة، وقد اعتمد هذه الرواية مصدر وحيد فيما نعلم.

الرواية الأولى أتى بها فوانو في كتابه "وجدة والعمالة" ملخصها أن سيدي يحيى قد زامن السيد المسيح، وكان أحد أقطاب العالم، قضى حياته في العبادة والصلاة، وإثر مرضه حمله رفاقه على ظهر جمل، ولما أحس بدنو أجله، طلب من رفاقه أن يحفروا قبره في المكان الذي يتوقف فيه الجمل. وتوفي في الطريق أثناء السفر، وتوقفت راحلته بمنبع العين التي تسقي أراضي مدينة وجدة، فدفن بجانبها. وعمل أصحابه على إخفاء قبره خشية أن يعثر عليه بعض أتباعه ويحملون رفاتة إلى الشام، أو يعثر عليه خصومه فينكلون به. أما رفاقه وهم من الحواريين، فمكثوا في مغارة أمامه يتعبدون، إلى أن وافتهم المنية جميعا في هذه المغارة التي تسمى الآن عند سكان مدينة وجدة "غار الحواريات" وربما أخذ اسمه هذا من اسم الحواريين.

وقد أتى درمنغام (Dermenghem) بنفس الرواية، إلا أنه اختلف مع الأول في الاسم، فأعطى سيدي يحيى اسم "جان بابتيست" (Jean-Baptiste) أي "يوحنا المعمدان"، ثم أورد ما يفيد نفس المعلومات السابقة.

تلك هي كل المعلومات المستقاة من الروايات الأجنبية. أما الروايات المغربية، فنرى أنها أصل لما جاء في الرواية الأجنبية، وتأكيد لما ورد فيها. يقول ابن الجوزي في كتابه فتح الرحمن على عقد الجمال "يحيى بن يونس المدفون بقرب جبل الكواكب من أرض أنجاد، إذ هو من الحواريين الصديقين، عبّد الله ثمانين سنة بصيام نهارها وقيام ليلها، ولم يأكل فيها شيئاً، وآمن بالنبي (ص) قبل مبعثه بخمسمائة عام..... قال الإمام الغزالي : ولم يكن من أصحاب الأنبياء غيره، على التحقيق بغيرنا".

أما الرواية الثانية فأول من ذكرها هو فواتو في كتابه Oujda et l'Amalat، معتمداً على الرواية الشفوية ليهود مدينة وجدة، وعنه نقل غيره، ومُجمَلها، أن يهوداً من مدينة وجدة، يدعون أن سيدي يحيى هو أحد أوليائهم، وأنه يدعى يحيى بن دوسة، وأنه من يهود قشتالة بالأندلس، اضطُر إلى الهجرة إلى المغرب إثر الحملة الاضطهادية التي أصابت المسلمين واليهود على السواء، ابتداء من سنة 1391، ووصل إلى مدينة وجدة على الساعة الرابعة مساءً، ولما لم يجد الماء لكي يتوضأ للصلاة، ضرب الأرض بيديه، فتفجرت عين الماء التي نُسبت إليه. وكان يسكن في تلك الفترة جماعة من اليهود في سهل وادي طابرت بضواحي وجدة، فأرسل إليهم لكي ينظروا معجزته، لكنهم رفضوا الحضور إليه، فلم ينس الولي هذا التحدي، وقبل أن يموت دعا على هؤلاء اليهود فتشتتوا. فعاش سيدي يحيى قرب العين دون أن ينزل نهانياً إلى المدينة. ولما علم بدنو أجله، حفر قبره بيده. وبعد وفاته غطى التراب جثته بقدرة ربانية. ولما علم المسلمون من سكان مدينة وجدة أن ولياً كبيراً يرقد تحت أشجار العين، استولوا عليه بصفتهم أسياد المدينة وتبنوه، وسموه سيدي يحيى بن يونس، بدل يحيى بن دوسة، وبعد ذلك لم يتمكن اليهود من زيارته إلا مستترين ومهددين بخطر الموت. وعلى كل، فإنه لا تزال بعض الجاليات اليهودية - لحد الآن - عند حضورها إلى مدينة وجدة، تقوم بزيارة ضريح سيدي يحيى، رغم أن هذا الفعل يخلف استياء كبيراً لدى ساكنة المدينة.

نستخلص أن جل الروايات وأقدمها تؤكد على مسيحية سيدي يحيى، وأنه من الحواريين، إلا أن أهم ملاحظة نشبتها هي أن كل الروايات تجمع على أن سيدي يحيى كان رجلاً مؤمناً صالحاً، قضى حياته في عبادة الله، والدعوة إلى توحيده وطاعته. وهذا هو جوهر كل الديانات السماوية بما فيها الإسلام.

ولسكان مدينة وجدة اعتقاد راسخ في كرامات سيدي يحيى بن يونس ومنها على الخصوص الاستشفاء من الأمراض المزمنة ومن العقم، وتتكشف الزيارة خاصة يومي

الخميس والجمعة، حيث يقدم الزوار بعض الهدايا إلى الضريح قصد التبرك، خاصة الدراهم والشموع وبعض الأتواب، وتصل إلى الضريح بعض الهدايا من كافة مدن المغرب، وحتى من خارج الوطن من بعض الدول الأوروبية، خاصة تلك التي تقطن بها جاليات مهمة من مدينة وجدة.

ينفرد هذا الضريح بميزة خاصة من بين كافة أضرحة المدينة، وهي أنه "من عجيب أمره رضي الله عنه، أنه يأتيه أهل المال الثلاثة، المسلمون رجالهم ونساؤهم، والنصارى كذلك واليهود"، ولا تزال هذه الظاهرة مستمرة إلى اليوم.

ونشير إلى أن فلاحي مدينة وجدة وضواحيها وخاصة قبائل أهل أنكاد يقيمون مهرجاناً دينياً وشعبياً يطلقون عليه اسم "موسم الولي سيدي يحيى بن يونس"، ينظم في آخر شهر غشت أو شتنبر من كل سنة، أي بعد انتهاء موسم الحصاد. يتجمع أفراد القبائل في واحة سيدي يحيى وينصبون الخيام، وتذبح الأغنام والأبقار، وبهياً الطعام، ويتصدق بالجميع على الفقراء والمساكين. هذا بالإضافة إلى مشاركة الفرق الفلكلورية وخاصة الخيالة. ويمكن أن نعتبر الاحتفال اليوم ذا طابع فلكلوري أكثر منه تجمعاً دينياً، ورغم انقطاعه بعض السنوات لأسباب صحية، إلا أنه عاد إلى الظهور، ولا يزال مستمراً إلى اليوم.

الطرابلسي بن سعيد، مخطوط خاص : الفاسي عبد الحفيظ، الانتصار بالواحد القهار في إبطال نقض أبي جندار، الدار البيضاء، 1341 : السناني، المقالة المروسة، م. س. ص. 15 : العربي العسكري، ذخيرة الأواخر والأول، مخ. بالخزانة العامة بالرباط، رقم 2659، ص. 53 : إسماعيل حماد، خمسة أشهر في المغرب، ص. 37-38.

L. Voinot, Oujda et l'Amalat, p. 84-86 ; Emile Dermenghem, Le culte des saints dans l'Islam maghrébin, Edit. Gallimard, France, 1954, p. 103.

مارية دادي

يخلف (آيت -) (قبيلة) اسم لوحدة قبلية، تميز مستويات انتظام المجموعات داخل قبيلة آيت بويكر الباعمرانية. مركزها خميس تيوغزة. يتوزع موطنها على الضفة اليسرى لواء سالگمط وجزء من سهل تاگرگرا. تتكون من فرقتين : ربع إد بلا يوسف وربع إد براهيم يوسف. ولاشك أن الموقع الجغرافي للقبيلة قد تحكّم إلى حد ما في مجموع الأحداث التي ميزت تاريخ آيت باعمران، إضافة إلى كونها كانت تمثل قوة بارزة في مجالها القبلي. يحتضن تراب آيت يخلف قصبة مخزنية بمركز تيوغزة، وفيها كانت ترابط المحلة المخزنية التي أحدثت أصلاً لتنظيم عمليات حراسة السواحل الممتدة من أكلو إلى الشاطئ الأبيض. وقد توالى على القصبة مجموعة من القيايد : بوغزة السريفي البخاري، إبراهيم الشركي، العربي بن حمو البخاري، محمد بن الطاهر اليحمدي، ومحمد العيوي. ويظهر من خلال الوثائق، وما تستحضره الذاكرة المحلية، أن الانقسام بين آيت يخلف وآيت النص، وكُلّد سلسلة من الصراعات التي جرت

القبائل المجاورة نحو تحالفات محلية غامضة، وهكذا كان الخلفيون يؤازرون من طرف مستي واصبوا ضداً على لف آيت النص المدعم من قبل آيت الخمس والسيحل. وغالباً ما يتدخل قائد الحامية بتسيوغزة لرأب الصدع، كما تتم الاستعانة بخدمات زعيم إيليج. والحاصل أن حالة الانكماش والتراجع الناتجة عن سلسلة النزاعات الداخلية التي تنخر جسم آيت يخلف، مكن غريمته آيت النص سنة 1300 / 82 - 1883 من ضم مجالات تربية كانت تابعة للخلفيين.

لا تختلف أنظمتها الداخلية عن أنظمة بقية القبائل الباعمرانية الأخرى، من حيث الاحتكام إلى العرف، في إطار مجالس "إينفلاس". ويبدو أن القبيلة قد عرفت نظام المشيخة، ولا أدل على ذلك من ورود أسماء بعض ممن تولوا مشيخة القبيلة : محمد بن سعيد الخلفي، محمد بن أحمد بن همو الخلفي، الحسن بن علي بن همو الخلفي ... وخلال زيارته الأولى إلى سوس 1882، عين السلطان الحسن الأول الشيخ أحمد بن همو (ت. 1316 / 1898) قائداً على قبيلة آيت يخلف، وهو سليل أسرة قرمت على رئاسة القبيلة منذ والده همو بن محمد بن سعيد الخلفي (ت. 1218 - 1803). ويعتبر القائد مبارك بن أحمد بن همو (ت. 1340 - 1921) آخر من تولى قيادة القبيلة.

من المزارات الدينية بآيت يخلف : مشهد سيدي محمد بن عبد الله على شاطئ المحيط عند مصب واد سالكماط قرب دوار تابلوكوكت، وفيه كان أبو حسون السملالي يتاجر مع الأوربيين قبل احتلال ماسة وأكادير. ثم زاوية سيدي حسان بتسيوغزة.

علي المحمدي، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، نموذج آيت باعمران، الدار البيضاء، 1989، ص. 46 - 47 ؛ وثائق مخزنية ؛ وثائق دار إيليج ؛ تحريات ميدانية.

L. Justinard, Les Ait Ba Amrane, Villes et tribus du Maroc, vol. 8, p. 73-74, Paris, 1930.

أحمد بومزكو

يخلف، محمد ازداد سنة 1944 بدوار مغيلة بقبيلة بني يازغة التابع حالياً لإقليم صفرو، وقد نشأ يتيماً بعد وفاة أبيه سنة 1945، خلال الحرب العالمية الثانية، حيث تكلفت أمه برعايته وتنشئته. وكعادة أبناء المغاربة آنذاك تلقى تعليمه الأولي بالكتاب على يد فقيه يدعى الحسن اوي. وفي سنة 1953 جاء بعض الأروبيين للبحث عن يتامي الحرب "Les orphelins de guerre" للتكفل بهم، فكان أن ولج مدرسة برباط الخير المعروفة بأهرمومو، هذه المدرسة حالياً تحمل اسم الإمام مسلم، وقد تحمل في ذلك قساوة الظروف، إذ كان يقطع مسافة 8 كيلومترات ليصل إلى المدرسة. أما دراسته الإعدادية فكانت بكل من المنزل وصفرو. وقد اضطرت ظروفه إلى الأشتغال مبكراً، فاشتغل بداية معلماً بنفس المدينة، وبعد حصوله على البكالوريا سنة 1967، التحق بالمدرسة العليا للأساتذة بالرباط حيث تخرج منها

أستاذاً للتعليم الثانوي، ثم عاد ليدرّس مادة الاجتماعيات بثانوية سيدي لحسن اليوسي بصفرو وقد انخرط مبكراً في العمل الجمعي والسياسي، إذ أسس جمعية الشباب المغيلي سنة 1965، كما كان عضواً نشيطاً بالاتحاد الوطني للقوات الشعبية منذ 1963 والجامعة الوطنية للتعليم، ويعد من المؤسسين للنقابة الوطنية للتعليم، ونشاطه هذا في الحقل السياسي كان سبب اعتقاله سنة 1972 ليقتضى 27 شهراً ونصف رهن الاعتقال السري ودون محاكمة، مما قاده إلى تقلد عدة مناصب بالجماعة الحضرية لمدينة صفرو بما في ذلك رئاسة المجلس والعضوية في البرلمان نيابة عن حزب التقدم والاشتراكية إذ رشحه حزبه لشغل منصب رئيس لجنة الاقتصاد والشغل وشؤون المهاجرين بمجلس النواب.

ولعصاميته وتحقيقاً لطموحاته الكبيرة تابع دراسته العليا إلى أن حصل على دبلوم الدراسات العليا في التاريخ المعاصر في موضوع "تطور آليات السياسة المحلية لمدينة صفرو من أواخر القرن 19 إلى بداية القرن 20". كما أنه حضر رسالته لنيل الدكتوراة في نفس التخصص بجامعة بروكسيل ببلجيكا في موضوع "المجلس البلدي لفاس ما بين 1912 و1956"، وهذا ما أهله لتدريس التاريخ المعاصر بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، فكانت مساهماته بها وبمنابر أخرى هامة، خصوصاً في دروسه المتعلقة بالتطور التاريخي للتنظيمات الحضرية والتأطير العلمي. وكانت له معرفة غنية وشاملة بالقضايا المحلية لمدينة صفرو، إذ كسب عضوية المدينة داخل شبكة التضامن والإسكان الدولي (R. H. S. I) وهي شبكة تعنى بإعادة الاعتبار للمدن التاريخية القديمة، ويفضل مثابرتة واحتضانه للعلم والباحثين استمرت الملتقيات الثقافية السنوية لمدينة صفرو منذ نهاية الثمانينات حتى يومنا هذا.

توفي على إثر حادثة سير مفاجئة عند مدخل مدينة الخميسات يوم 24 فبراير 1995، ودفن بمدينة صفرو.

محمد يخلف، تطور آليات السياسة المحلية لمدينة صفرو من أواخر القرن 19 وبداية القرن 20، الرباط، دبلوم الدراسات العليا؛ المجلس البلدي لفاس ما بين 1912 و1956، صفرو؛ جريدة بيان اليوم.

الحسين البعاري

يخلفتن (ابن -) **عبد العزيز السوسي** من فقهاء مدينة وجدة على عهد الدولة المرابطية، بل يمكن اعتباره من الفقهاء المخضرمين بين العصرين المرابطي والموحدي، فقد كان من بين الفقهاء الذين جالسوا المهدي بن تومرت أثناء مروره بوجدة وهو في طريقه إلى فاس راجعاً من الشرق. إلا أن المصادر التي تتحدث عن هذه الفترة لا تذكره بناتاً. ولا نعرف الطريقة التي غادر بها مدينة وجدة والتحق بصديقه عبد المومن بن علي، وأصبح يعد ذلك أحد القادة الكبار في جيش عبد المومن الموحد، بل اعتبره البيهقي من جملة

سلاطين الشرق الذين جاؤوا مع يوسف بن وانودين قاصدين
مراكش.

كان على قيد الحياة سنة 543 / 1148.

أخبار المهدي، ص. 68. 69.

مارية دادي

لمشاكل قد تحدث مع أبناء أو أقارب الأشخاص الذين
عاقبتهم المنظمة لاتخاذهم مواقف تشدُّ عن الإجماع الوطني
الذي حظيت به القضية الوطنية.

وقد تمكنت الشرطة الفرنسية في 13 أبريل 1955 من
اعتقال عدة أفراد لخلية فدائية كانت تتخذ درب بوشنتوف
مقراً لاجتماعاتها، وكان هؤلاء الأعضاء قد قاموا بطبع
منشورات وتوزيعها وإرسال خطابات تهديد، علاوة عن
المشاركة في تنفيذ عمليات مسلحة كانت الدار البيضاء
مسرحةً لها. وبعد الاعتقالات أجبرت المنظمة على نقل
أسلحتها من رقم 31 زنقة المدرسة الصناعية، حيث كان هذا
الرقم عبارة عن محل لنجارة الخشب في ملك الحاج محمد
المعروف، إلى مكان آخر يحي سيدي عثمان، كما اضطر
بعض الأعضاء إلى الالتحاق بمنطقة سيدي إفني تجنبا
للاعتقال مما مكن أعضاء آخرين من الاستمرار في العمل
المسلح في إطار المنظمة.

يد التطهير الفدائية :

تكونت على غرار منظمات مسلحة أخرى كثيرة، فاق
عددها العشرين في مدينة الدار البيضاء وحدها في سياق
ردود الفعل الوطنية التي التقت كلها حول مبدأ "العنف في
مواجهة العنف"، بعد سلسلة المجازر التي ارتكبتها السلطات
في حق ساكنة مكناس في 1937 وفي حق ساكنة الرباط وسلا
وفاس سنة 1944 وفي حق ساكنة الدار البيضاء مرتين في
أقل من ست سنوات (1941 و1952)، وبعد أن استنفذ جناح
الحركة الوطنية السياسي كل أوراقي إثر أحداث كاريبرسترتال
المعروفة بـ "ضربة السانديكا" أيام 7 و8 و9 دجنبر 1952.
وسيقضي حدث عزل ونفي السلطان سيدي محمد بن يوسف
في 20 غشت 1953 في حرق واضح للبند الثالث من معاهدة
الحماية (حماية السلطان من أي خطر يتهدده أو يتهدد
عرشه) على جميع الأعداء التي حاول معارضو العمل المباشر
أن يبرروا بها تشبثهم بالعمل السلمي حفاظاً على "العلاقات
المغربية - الفرنسية".

تكونت يد التطهير الفدائية في درب السبليون بالمدينة
الجديدة في الدار البيضاء من خلية كان من أعضائها محمد
الحدادي ومحمد البخاري السكوري، واتخذت من مخمس
يتوسطه مسدس صغير شعاراً لها.

ويعود الفضل في إعطائها الاسم الذي ظلت تُعرف به،
ويميزها عن المنظمات المسلحة الأخرى، إلى المقاوم محمد
الحدادي الذي سيبرز اسمه ضمن رجال منظمة الهلال الأسود
واستشهد في مواجهة مع الفرنسيين ليلة الأربعاء وصباح
الخميس 28 - 29 شتنبر 1955 رفقة حجاج المزابي.

وفي نفس الوقت تكونت خلية ثانية بالمنظمة المعروفة بـ
"قطع ولد عائشة" بجوار درب غلف، وكان من أعضائها
محمد اسفيران الدكالي المعروف بـ "محمد إبراهيم البقال
وسي خليفة" وكان يشتغل حارساً بمستودع للحبوب بطريق
بوسكورة وزوجته "زهراء" وآخرون... وكان محمد الحدادي

السيد الحسنية (تُعرف أيضاً بالمنظمة الحسنية)، فاق
عدد المنظمات المسلحة التي ظهرت بين عزل ونفي السلطان
محمد بن يوسف في 20 غشت 1953 ورجوعه إلى المغرب يوم
16 نونبر 1955 العشرين، تمكنت من إقلاق راحة المستعمر
بفضل العمليات المسلحة التي نفذتها بالدار البيضاء
وخارجها، وقد بلغ مجموعها ستة آلاف عملية خلال 27 شهراً
بمعدل 222 عملية كل شهر. وعددٌ من هذه المنظمات اختارت
اسماً مشابهاً لاسم اليد السوداء التي نجح الاستعمار
الفرنسي في تفكيكها في خريف 1953 بعد الاعتقالات التي
جرت بالدار البيضاء بسبب أخطاء في التنظيم. وهكذا نجد
"اليد المتوكله على الله" و"يد الانتقام" و"يد التطهير
الفدائية" و"اليد الحسنية".

تأسست "اليد الحسنية" بالدار البيضاء عام 1954، ومن
أهم أعضائها أحمد ناصر الدين المعروف بـ "صوت العرب"
وقد أطلق عليه هذا اللقب داخل السجن المدني بالدار
البيضاء، إذ كان شغوفاً بتتبع برامج "صوت العرب" من
القاهرة، فكان يحاول تقليد أشهر مذييعي البرامج التي كانت
تقدمها الإذاعة المصرية ليث الحماس في صفوف رجال
المقاومة المسلحة المغربية، ومن أعضاء "اليد الحسنية" أيضاً
محمد بن الحسن مستور وحجاج الخمليشي وموسى مداد
ومولاي الطيب آيت بلا ومحمد بن الحاج منصف وعلي
بوكري.

أنجزت اليد الحسنية العديد من عمليات المقاومة ومن
بينها تصفية مهندس فرنسي بسيدي عثمان، وتصفية أحد
باعة الخمر من المغاربة يُدعى "البهلولي" غير بعيد عن
سينما شهرزاد بالمدينة الجديدة في الدار البيضاء، وثلاث
عمليات بالقتال ضد حي البغاء "بوسبير" بالمدينة الجديدة،
وتصفية أحد خلفاء باشا مدينة الدار البيضاء كان معروفاً
بـ "الرادياتور" وتصفية عدل بالمحكمة الباشوية بالدار
البيضاء ومقدم في سيدي عثمان.

هذه بعض عمليات المنظمة كما جاء في العرض الذي
ألقاه باسم المنظمة أحمد ناصر الدين الذي يشغل في نفس
الوقت منصب كاتب عام للمجلس الوطني المؤقت لقداماء
المقاومين وأعضاء جيش التحرير، أمام أعضاء لجنة استئناف
قرارات المجلس الوطني. ولم يعترض ممثلو التنظيمات
المسلحة الأخرى وهم "رشدي العربي" و"المختار بنور" عن
منظمة الهلال الأسود، و"الحاج التبية" و"رشدي العياشي" عن
المنظمة السرية و"بوشعيب البكراوي" عن جيش الأطلس عن
مضمون العرض الذي لم يتضمن سرد عمليات أخرى تجنباً

على علم بكل المراحل التي قطعها هؤلاء الأعضاء، مما سهّل عليه عملية التنسيق بين الخليتين والاندماج الذي أفضى في النهاية إلى ظهور يد التطهير الفدائية.

وبموازاة مع هذه الجهود كانت تبذل جهود أخرى يقودها أيضاً محمد الحداوي لتشكيل تنظيم مسلح سيُعرف بـ "الهلال الأسود" بعد اندماج خليتي "الناصح" و"الأحقون". وقد ظهر هذا التنظيم أيضاً في درب السبليون. ويعود لعبد الله الحداوي فضل إطلاق اسم الهلال الأسود على هذا التنظيم المسلح الجديد، إذ كان شغوفاً بقراءة أعداد سلسلة "الهلال" لـ لرجي زيدان التي كانت تُفد إلى المغرب من مصر. أخذت "يد التطهير الفدائية" توسع قاعدتها باستمرار بفضل التحاق أشخاص آخرين منهم محمد غفيري وعبد الله لعوج الذي أفاد المنظمة كثيراً، إذ هيأ لها قنابل. وكان من الطبيعي أن تحمل بدايات نشاط أي تنظيم مسلح بعض التعثرات، وهو ما حصل ليد التطهير لما تمكن البوليس الفرنسي من وضع اليد على عبد الله لعوج الذي لم يصمد طويلاً نظراً لشدة ما عرّض له من تعذيب فأفشى بأسماء عناصر المنظمة وفي مقدمتهم محمد السكوري البخاري.

قادت الاعتقالات الأولى إلى اعتقالات أخرى شملت ولد بنور ومحمد بلحسن الأسفي، لكن سيقع إطلاقهما لاحقاً، كما جرى استنطاق الجيلالي الحداوي والد محمد الحداوي شهيد معركة سيدي يوسف، وعبد الله الحداوي شهيد كمين عين السبع ليلة السبت 28 يوليوز 1956.

لم تؤد هذه الاعتقالات إلى إجهاض نشاط يد التطهير الفدائية في مجال العمل المسلح، بل أنجزت علميات مسلحة ضد رموز الوجود الأجنبي معمرين ومماليكين مغاربة فكان أفرادها رجالاً آمنوا بعدالة القضية التي تركوا مقاعدهم الدراسية وأعمالهم ووظائفهم من أجلها.

رواية شفوية : المستقبل، ع. الخميس 25 إلى الأربعاء 31 ماي 2000، ص. 12.

محمد وحيد

يدر، (سيدي -) إبراهيم أحد كبار صلحاء مدينة سلا في القرن الحادي عشر الهجري، كان يدعى "سلطان صلحاء سلا" قبل مجيء معاصره سيدي عبد الله بن حسون (ت. 1013 / 1604) الذي لقب فيما بعد بـ "سلطان سلا". ولما حل هذا الشيخ على المدينة، كان سيدي يدر في طليعة الحشد الذي جاء لاستقباله.

ذكره شيخ الملحون محمد بن الحاج عبد الغني بلحسن (ت. 1273) في قصيدته المشهورة "السلوانية" أو "الجهادية" التي استحضرت فيها تظافر كرامات الأولياء واستماتة المجاهدين السلوانيين من أجل صد الهجوم الفرنسي على بلدهم سنة 1268 / 1851.

كان سيدي يدر قادري الطريقة، وكان له أتباع وأوراد،

وقبره ما بين باب فاس وباب فرض أو يفرط بالحومة التي تحمل اليوم اسمه.

م. بن علي الذكالي، الإتحاف الرجيز، تح. مصطفى بوشعراء، الطبعة الثانية، سلا، 1996؛ أحمد معينو، الغارة الفرنسية على مدينة سلا، مجلة البحث العلمي، عدد 35، سنة 1985.

Kenneth Brown, An urban view of moroccan history Salé, 1000-1800, Hespéris-Tamuda, vol. XII, 1971.

محمد الفقير

الديدي، يعقوب بن يحيى - نسبة إلى بني يدر - إحدى قبائل جباله في الجنوب الغربي من تطوان، تبعد عنها ببضعة عشر كيلومتراً. ولد سنة 908 / 1502، لا نعرف بالضبط مكان مولده، وكل ما نعلم أنه - بعد أن حفظ القرآن وجوده وأتقن قراءته ببلده (بني يدر) انتقل إلى فاس لطلب العلم، فلزم أبا الحسن علي بن هارون المطغري، وأجازه كل ما يحمله عن ابن غازي. ومن أهم شيوخه بفاس : أبو زيد عبد الرحمان بن علي بن سقين العاصمي، وأبو مالك عبد الواحد الونشريسي.

ثم استقر بصفة نهائية - بفاس، وتفرغ للتدريس والتعليم، فأقرأ المدونة، والموطأ، ومختصر الحوفي - في الفرائض، وتلخيص ابن البناء، ورفع الحجاب له، ومقدماته في الجبر، وقصيدة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة، وسوى ذلك.

ومن تلاميذه : أبو العباس أحمد بن القاضي، قرأ عليه أكثر هذه المؤلفات الأنفة الذكر، وأجازه كل ما تحمله عن أسياده. وتلمذ له أبو الحسن علي بن قاسم البطوئي، وأبو العباس أحمد بن عرضون الزجلي، وأبو الحسن علي بن يوسف الفاسي، وأحمد بن يوسف مهدي الزباني.

وعمر طويلاً فألحق الأحفاد بالأجداد، ومن أدركه - وهو شيخ كبير، وحضر بعض مجالسه - أبو سالم الكولالي، ويذكر أن أصحابه كانوا يخرجونه للإلقاء بين النداء الأول للظهور وصلاتها - عند باب الجنائز - بالقرويين، فيقرئهم وهو جالس على الأرض - بصوت ضعيف لا يكاد يسمع.

وهكذا ظل يؤدي رسالته التعليمية حتى آخر رفق من حياته، وقد تخرج على يديه أفواج من الطلبة البلديين والأفاقيين.

توفي سنة 999 / 1590.

أحمد ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص. 351، 1309 - 1891 : درة المجال في أسماء الرجال، 3 : 360؛ أبو سالم الكولالي، تنبيه الصغير من ولدان، مخطوط، الخزانة العامة بالرباط : أحمد بابا التنيكتي، نيل الانتهاج هامش الديباج، ص. 349، 1351 - 1932؛ عبد الهادي النازي، جامع القرويين، ص. 513، بيروت - لبنان؛ الكتاني، سلوة الأنفاس، 3 : 318، فاس، 1316 - 1897؛ محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص. 287، بيروت - لبنان؛ محمد المتوني، فصلة تصف الدراسة بالقرويين أيام المنصور السعدي، مجلة البحث العلمي، ع 7، ص. 24، 1386 - 1966.

سعيد أحمد أعراب

يدو بن يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى، أحد أمراء بني يفرن من زناتة الذين ساهموا في الأحداث السياسية والعسكرية التي عرفها المغرب الأقصى في النصف الأول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وخاصة الدور الذي لعبه مع منافسيهم أمراء مغراوة في الصراع الأموي الفاطمي على بلاد المغرب.

تولى يدو إمارة بني يفرن بفاس وبوادي زناتة بعد مقتل والده يعلى في مواجهة عسكرية مع العبيديين سنة 347 / 958. ومنذ توليته انحاز إلى بني مروان ويبيع رجلها القوي الحاجب المنصور بن أبي عامر على أن يكون يده الطولى في بلاد المغرب الأقصى وممثل الدعوى مروانية السنية، فيدحض دعوة الشيعة العبيديين. إلا أن مزاج يدو المتقلب وما بدر منه في مناسبات مختلفة، من سلوكات تؤكد أنه كان مضطرب الطاعة شديد المراوغة لبني مروان، الشيء الذي جعل ابن أبي عامر يفضل عليه أمير مغراوة زيري بن عطية لإخلاصه وصدق طويته واستمالتة في بث دعوة مروانية بالمغرب.

وفي سنة 376 / 986 توترت العلاقات بين يدو وابن أبي عامر بعد انحيازه لأمير الأدارسة الحسن كنون الذي دعى لنفسه ضد مروانية في بلاد الريف، فبعث إليه المنصور بجيش كثيف وتمكن من هزيمه ومطاردة زعيم بني يفرن يدو. وفي سنة 381 / 991 استدعى المنصور حليفه زيري بن عطية المغراوي وحثه على مقاتلة يدو عدوهم المشترك، فاشتدت الحروب بين أميري زناتة، وعانت مدينة فاس من ذلك. وعندما أدرك يدو رجحان كفة غريمه بعد مقتل عدد كبير من أصحابه وسبي أمه وأخته، فر شريدا إلى الصحراء وبقي كذلك إلى أن اغتاله ابن عمه أبو يداس بن دوناس سنة 381 / 991. ويذكر في رواية أخرى أنه قتل أثناء حصار زيري له بفاس ودخولها عليه وبعث برأسه إلى قرطبة سنة 383 / 993. ثم ولي أمر بني يفرن بعده حماسة بن زيري بن يعلى الذي تحيز بأهله وقومه إلى ناحية شالة فملكها وما إليها من تادلا، وبقي بها أمر بني يفرن إلى أن انقرضت إمارته على يد يوسف بن تاشفين المرابطي.

ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972؛ أعمال الأعمال، القسم الثالث، الدار البيضاء، 1964؛ ابن خلدون، العبر، ج 7، بيروت، 2000؛ مجهول، مفاخر البربر، الرباط، 1934؛ الناصري، الاستقصا، ج 1، الدار البيضاء، 1954.

رشيد السلامي

اليربوع، كما في كتب اللغة والجربوع كما ينطق به في المغرب وفي مختلف الأقطار العربية. دابة قارضة من الثدييات، ليلية المعيشة انفرادية تتمتع بسمع حاد حيث إن الأذنين طويلتان يستجيبان للأصوات الحادة. يخرج الأفراد من الجحور ليلا للبحث عن الأكل وبما أن حركتهم سريعة فهم يستطيعون التخلص من الأعداء كالثعابين والكواسر الليلية لذلك يتعدون كثيرا عن مساكنهم لمسافات طويلة بعكس

الفران التي دائما تكون حذرة وقريبة من جحورها حتى إذا ما أحست بالخطر دخلت مسكنها بسرعة. تحفر الجحور باتجاه انحداري ليصل العمق من متر إلى مترين، ويتوفر الجحر على عدة حفر جانبية تخرج إلى السطح للتهوية وللمساعدة على الفرار من الأعداء وعادة ما تغلق الجحور في الصيف بالرمل الخفيف أو الأعشاب والشعر إما للحماية من الأعداء فتساعده في الهروب أو للمحافظة على رطوبة الجحر. حاسة الشم قوية يستفاد منها بتجنب الأخطار. لون الظهر والجوانب أصفر ترابي والبطن أبيض والذنب طويل ينتهي بخصلة من الشعر الأبيض والأسود. القائمتان الخلفيتان طويلتان جدا ومرنتان تساعدان اليرابيع بالقفز عاليا، وتصل القفزة إلى المتر ارتفاعا عموديا، وبسبب مرونة الأقدام يستطيع الانتقال إلى مسافات طويلة بحثا عن الغذاء بطاقة قليلة. يستخدم الذيل لحفظ التوازن عند القفز وعند تغيير اتجاه السير وللاستناد عليه عند الوقوف.



يتكون القوت اليومي لليرابيع من جذور النبات وبراعمها الصغيرة والبذور والحبوب وبعض الثمار، ولا تشرب الماء حتى وإن توفر لها ذلك حيث تكتفي بالرطوبة التي في النبات. وتتكاثر الأنواع ثلاث مرات على الأقل في السنة وتلد الإناث من أربع إلى خمس صغار بعد مدة حمل تصل إلى خمسة وعشرين يوماً. ويتكون العش من شعر الحمل والبقر والماغز وأغصان النباتات. تبقى الأم بجانب صغارها في العش ترضعهم والأب قريب منهم، وبعد خمسة أسابيع تفتح الصغار عينيها وترافق أبويها ليلا خلال الشهرين الأولين ثم تصير حرة بعد ذلك.

يصنف اليربوع في رتبة القواضم Rongeurs Rodentia وفصيلة اليربوعيات Dipodidae. أنواعه متجانسة ومتشابهة فيما بينها من حيث الشكل وتركيب الأعضاء الباطنية ونمط العيش، وقد يصعب على الإنسان العادي التمييز بين الأنواع لكثرة الشبه بينها. الأسنان الأمامية موزعة إلى أربع قواطع قوية و6 أضراس على كل جانب، أما الأنياب والأضراس الأمامية فلا وجود لها كما توضح صيغة الأسنان ذلك :

1/1 قواطع ؛ 0/0 أنياب ؛ 0/0 أضراس أمامية ؛ 3/3

أضراس = 16 سنا.

يرعاه، مَحْمَد السباعي الإدريسي، كان خليفة الشائر الصحراوي الهيبية بن ماء العينين الشنكيطي، ولد حوالي 1279 / 1862 في زاوية أسرته بسيدي المختار مركز قبيلة أولاد أبي السباع، وكانت قيادتها لعبد الله بن بلعيد، ثم عادت إلى أهل هذه الزاوية في شخص أيرعاه عام 1308 / 1890، وقد استجاب لنداء قريبه الهيبية عندما دعا إلى الجهاد والتحق به، وسرعان ما صار خليفة له، وكانت توهله خصال شخصيته لذلك، ولم يستسلم للفرنسيين إلا عام 1922، وأمره ليوطي بالإقامة في تميزت إلى أن عين قائدا على شتوكة.

J. et M. Gouvion, *A'ayan al-Maghrib al-Aqsa*.
أحمد التوفيق

يرماق، أحمد بن المكي ولد بمدشر عين بيضة بقبيلة سماته وبه نشأ، وتلقى حفظ القرآن الكريم على والده الشيخ المكي. وكانت عادة طلبية البادية أن يأخذوا عن أشياخ متعددين ومن أماكن متفرقة، وهذا ما قام به أحمد بن يرماق، فإنه انتقل من مدشر عين بيضة مسقط رأسه إلى مدشر الصاف بني جرفط حيث تولى الإمامة بضعة أعوام وأتقن حفظ القرآن. وصار يرتحل من مسجد إلى آخر طلبا للعلم، فأقام مدة بقبيلة بني زروال تلقى خلالها علم القراءات ومصنفاتها كمتن الإمام الخراز والشاطبية وابن بري، بالإضافة إلى النحو والفقه وعلم التوقيت، وواظب على تلقي العلوم حتى بلغ به واقع الحال أنه يقول: (إنتي قرأت علومنا ولكن ما سألتني عنها أحد طول حياتي).

تلقى علم النحو على شيخه عبد الله زيطان. كما درس على الشيخ أحمد شتوان من مدشر اشتوغة قبيلة بني يدر، وعلى الفقيه السرحاتي البديري، وعلى بعض علماء القرويين كالعلامة محمد بن المدني گنون صاحب الحاشية على الرهوني وغيره من العلماء، وعندما كان بفاس توثقت صلته بطالب من نجباء طلبية القرويين هو الشريف سيدي المهدي الوزاني صاحب التوازل الكبرى والصغرى، فعقدا كلاهما النية على الخروج من فاس إلى ناحية أزموور وذلك بقصد قراءة علم التوقيت على شيخ هناك، وعند إرواء غليلهما عادا لفاس مرة ثانية، وبقيت علاقة الزمالة قائمة بين الإثنين حتى وفاة الوزاني سنة 1342 / 1923. وكان من جملة رفاقه بجامعة القرويين الشيخ ماء العينين المشهور، واستمرت المراسلة بينهما بعد انفصالهما عن القرويين، وقد حكى حفيدته الشيخ ابن يرماق التي كانت مقيمة بالعرانش حتى سنة 1979 واسمها فاطمة الزهراء أن جدّها شد الرحلة هو وبعض تلامذته إلى مدينة (سمارة) بالصحراء لزيارة ماء العينين وصله الرحم معه، وقالت إن بعض رسائل الشيخ ماء العينين كانت في خزانة جدّها ولكنها انتقلت إلى تطوان مع ما انتقل من كتب جدّها ومخطوطاته بعد زيارة الأستاذ ألفريد البستاني لأسرة الشيخ ابن يرماق، ولم يبق بحوزة الأسرة سوى رسالتين،

تكيفت أنواع اليرابيع مع أوساط وبيئات المناطق الصحراوية وشبه الجافة وتوزعت في جميع المناطق الحارة الإفريقية والآسيوية بفضل قدرتها الفائقة على تحمل العطش والتكاثر، فهناك أنواع تعيش في الحقول وأخرى تعيش في الواحات ومنها ساكنة مغاوير. كل هذه الأنواع مضرة باقتصاد الإنسان حيث تقضم جذور النباتات الزراعية والحبوب والثمار مما يدفعها إلى إتلاف الزراعة، كما أن بعض الأنواع تنقل جراثيم تكون أحيانا خطيرة على صحة الإنسان. نوعان من اليرابيع يعيشان في المغرب ويختلف توزيعهما الجغرافي حسب نمط العيش والتكيف مع البيئة :

اليربوع الصغير يسمى علميا (Linnaeus, 1758) *Jaculus jaculus* وبالفرنسية *Petite gerboise* وبالإنجليزية *Lesser Egyptian jerboa*. يتميز بأذنين طويلتين (2 - 2,5 سم) وبعينين كبيرتين وبذيل طويل ذي شعر قصير، ينتهي بخصلة لونها أسود وأبيض، يتراوح طوله بين 17 - 23 سم وبجسم مكسو بزغب ناعم وطوله من أنفه إلى بداية الذيل يتراوح بين 10,5 - 12,5 سم. وله يدان قصيرتان (2,5 سم) في كل منهما خمس أصابع، الإصبع الخامس قصيرة جدا (2 ملم). رجلاه طويلتان (11 سم) ويوجد فيهما ثلاث أصابع فقط، وبنيت شعر طويل بين أصابع رجليه وكذلك أسفل رجليه ليتكون أسفل الرجل ما يشبه الوسادة لتخفف ضربات رجليه عندما يقفز. ويوجد في مقدمة وجهه شارب كبير كشارب القط لكنه أطول (9 سم)، وتساعد هذه الشعرات المتجهة لجميع الجهات لاستشعار أي حركة قريبة منه. ونظرة أضعف من الفأر والقنفذ، سمعه وشمه غاية في الحدة والتطور. ينحصر موطنه في المناطق الصحراوية بشمال إفريقيا وآسيا الصغرى. شائع في المناطق الجنوبية للأطلس الكبير الشرقي وللأطلس الصغير الغربي من فكيك إلى طانطان، ويعيش أيضا في المناطق الصحراوية الجنوبية وفي موريطانيا. يفضل العيش في التجود والهضاب العليا الصخرية وفي الكتل الرملية.

اليربوع الكبير المصري يسمى علميا *Jaculus jaculus orientalis* بالفرنسية *Grande gerboise* وبالإنجليزية *Greater Egyptian Jerboa*. يختلف عن اليربوع الصغير بأذنين قصيرتين وبشعر رمادي مصفر على الظهر والجانبين، يبلغ طوله 13 و15 سم. ويبلغ طول الذنب 22 - 25 يتّمنع بقدرة فائقة على تحمل الجوع خلال فصل الشتاء حيث يختفي في جحره لعدة أسابيع، موطنه الأوساط الجافة بإفريقيا الشمالية من سيناء إلى الريف باستثناء المناطق الصحراوية. شائع في التجود والهضاب العليا الصخرية منذ فكيك إلى الحسيمة وحوض ملوية وشمال الأطلس المتوسط والهضاب الوسطى بضواحي الماس. يعيش النوعان معا في مناطق فكيك.

L. Lyneborg, *Mammifères d'Europe*, Nathan, 1972, 237 p. ; S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*, Trav. Inst. Sci. Série Zoologie, n° 41, Rabat, 1986.
محمد رضاني ونجاة الحياطي

الأولى من السيد عبد الرحمان الزوري (أحد المسؤولين) بتاريخ محرم الحرام عام 1305 / 1887، والثانية تحمل نفس التاريخ من النائب السلطاني الحاج محمد الطريس.

ولما عاد ابن يرماق إلى مسقط رأسه بعد تلقي العلوم بفاس أسس عددا من مدارس العلم بجهات مختلفة من بوادي الشمال، وكانت مدارس العلم هذه هي المساجد نفسها سواء ما استحدثه منها لتدريس طلبته، أو ما أحيا به مجالس العلم كمسجد طردان بقبيلة بني عروس، أو مسجد أورموت بقبيلة بني جرفط أو مسجد مسقط رأسه بعين البيضاء السماتية، وهذا المسجد الأخير هو الذي لازمه عندما تقدمت به السن وعجز كليا عن الانتقال إلى غيره، فبقي به مواظبا على تلقين العلوم حتى وافاه أجله ضحى يوم السبت 11 شوال الأبرك عام 1331 موافق 14 شتنبر 1912، ودفن يوم الأحد في زاوية بمسجد عين البيضاء بضريح ولده سيدي الأمين، واتخذ أهل قبيلة سماته يوم عاشوراء لإقامة موسم كبير بضريح الشيخ ولده، فيزورون قبره للترحم والذكرى، وولده سيدي الأمين سقط شهيدا في معركة بسوق اثنين سيدي اليمني ناحية أصيلة، وكانت المعركة في مواجهة الاستعمار الإسباني أيام الاحتلال، فحمل إلى مسقط رأسه حيث أقام السماطيون على قبره ضريحا للإشادة بجهاده ووطنيته.

وكان الشيخ ابن يرماق كثير التلاميذ والأتباع نذكر منهم بعض المتميزين في الشمال : العلامة عبد السلام بن الطاهر الشاوي ومحمد العمراني المگلاوي والمفضل الحراق والدغاي ومحمد الحراق والفقير العبيدي والمزكدي ومحمد بن عبد السلام ومحمد النخشة والناصري.

وقد خلف الشيخ ابن يرماق من تأليفه شرحا على ابن بري في القراءات وآخر على مقدمة ابن جروم، والثالث على أرجوزة المتن، وكلها شروح مخطوطة في حكم المفقودة. عبد الصمد العشاب

يرمني، (عام -) هو عام 1266 / 1847، الذي يعرف كذلك بـ: عام الحبيزة" و"عام ثمانية عشر مثقال"، لما وقع فيه من غلاء ومجاعة، ذلك أن المغرب تعرض خلال سنوات 1847 / 1851 لأزمة غذائية قاسية بعد أن سجلت سنتا 1845 / 1846 محصولا زراعياً دون المتوسط أدى إلى إفراغ المطامير واستهلاك المخزونات؛ ومع حلول سنة 1847 التي كانت سنة جفاف، تضاعف ثمن القمح والشعير أربع مرات في ظرف بضعة أسابيع، فانهارت القدرة الشرائية وحلت المجاعة، مذكراً بالتالي سبقاتها سنة 1825.

وعلى الرغم من تدخل المخزن للتخفيف من وطأة هذه الأزمة، أصبح سكان القرى وبعض أهل المدن يجوبون الحقول بحثا عن العشب والنبات لسد رمقهم، فكان الإقبال كبيرا على "يرمني" (أروم أرزوروم Arum arisarum) ويدعى أيضا

حسب المناطق "إرمني" و"أرمني" و"إرنا" و"أيرني"، له ورق على شكل بوق صغير لدى بزوغه يدعى "أمزوغ" أو "بوشمزوغت"، وجذوره نشوية ذات سميّة خفيفة، يحضر من دقيقتها خبز وكسكس تكاد تنعدم قيمتها الغذائية، وللحصول على هذا الدقيق، تغسل جذور يرمني وتغشّر وتطبخ لمدة طويلة على البخار مثل الكسكس، لكي تخف حمازتها، فتجفف بعد ذلك ثم تطحن.

وبعد أن تعذرت الإمدادات بسبب هلاك البهائم وتفشي اللصوصية، بلغت الأزمة أوجها، فشهدت القرى والمدن وفيات عُدّت بالآلاف، ونزح الناس نزوحا جماعيا نحو منطقتي الغرب والفحص بحثا عن القوت، واشتد القتال بينهم وأكلت الجيف والميته، وهجرت الدور وتشتتت الأسر، ولم يجد المخزن بدا من فتح السجون لتمكين نزلاتها من البحث عن أفواتهم بأنفسهم؛ ومن الميسورين من انضموا إلى الباحثين عن جذور يرمني وما شابهها، وتظاهروا بالحاجة إلى هذه الأنواع من القوت، للتمويه على المخزن وأعوانه، خوفا على ما يتوفر لديهم من أزودة.

وما أن بدأ الوضع الغذائي يتحسن نسبيا نتيجة المحصول الضعيف لسنتي 1848 / 1849 حتى تفاقم ثانية بسبب الجفاف العام الذي عرفته البلاد سنة 1850، إلا أن كابوس الأزمة بدأ يخف شيئا فشيئا مع محصول سنة 1851.

م. الأمين اليزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1992؛ الناصري، الاستقصا، ج 9، الدار البيضاء، 1956. Jean-Louis Miège, *Le Maroc et l'Europe*, t. II, Paris, 1961; Bernard Rosenberger, *Société, pouvoir et alimentation*, Rabat, 2001; Emile Laoust, *Mots et choses berbères*, Paris, 1920.

محمد الفقير

اليرنياني، إبراهيم بن عيسى بن ماخوخ من وزراء

بني مرين ومن عصبيتهم التي تولى أبناؤها العمل العسكري والإداري، وخاصة منصب الوزارة. كان إبراهيم المذكور من مشيخة بني مرين الذين دعوا السلطان أبا ثابت عامر (706 - 708) إثر اغتيال جده يوسف وهو يحاصر تلمسان، حيث نافسه الأمير أبو سالم ابن السلطان المعتال، كان ذلك خارج تلمسان في ذي الحجة من سنة 706. ويظهر أن الوزير إبراهيم بن عيسى كان من جملة من حرصوا السلطان أبا ثابت على فك الحصار وعقد تصالح مع أمير بني زيان، ليهتم بمواجهة بعض اضطرابات المغرب الأقصى خصوصا المنافس على العرش والقادم من الأندلس الشيخ عثمان بن أبي العلاء. وبعد وفاة أبي ثابت وزير إبراهيم المذكور لأخيه السلطان أبي الربيع سليمان (708 - 710)، وربما كان هذا الوزير هو الذي دفع هذا السلطان سنة 709 لتكليف أخيه عثمان بن عيسى بالقيام بمهمة لدى ابن الأحمر - بعد انسحاب جيشه من سبتة -

بشأن تحسين العلاقة بين الطرفين، وأسفر الاتصال عن تنازل ابن الأحمر عن الجزيرة الخضراء لأبي الربيع ووقوع المصاهرة بين السلطانين. ولا تفيدنا المصادر المعتمدة أسباب غياب إبراهيم المذكور عن الوزارة في أوائل عهد السلطان أبي سعيد عثمان (710 - 731)، لكن بعد وفاة الوزير عمر بن موسى الفودودي أسند السلطان منصب الوزارة إلى إبراهيم بن عيسى اليرنياني من جديد. ومن المهام التي كلف بها هذا الوزير قيادة فرقة من الجيش لحصار مدينة سبتة التي تلكأ أميرها العزفي في تقديم الطاعة للسلطان، فاتهم بعض مشايخ الجيش الوزير بمالأة العزفي وقبضوا عليه، غير أن السلطان أطلق سراحه، وربما احتفظ به في منصب الوزارة، خاصة وأن ابن مرزوق ذكر أن ابنه موسى الآتي ذكره ربي في حجر السلطان أبي الحسن واختص به في صغره.

اليرنياني، موسى بن إبراهيم بن عيسى بن بني يرنيان ومن العصبية المرينية، وزر للسلطانين أبي الحسن وابنه أبي سالم. وصفه ابن مرزوق بـ "الوزير النبيل الفاضل المشارك ... شديد اليقظة والنبيل ... نخبة الوزراء، من أهل السماحة والفضل، يعرف حل المشكلات .."؛ ويظهر أن مثل هذه الصفات هي التي جعلت أبا الحسن يبعثه مع الخطيب ابن مرزوق برسالة إلى والي بجاية الأمير الحفصي أبي عبد الله بن أبي زكرياء ابن السلطان أبي يحيى، بعدما تلكأ في بيعته أبي الحسن هلال تقدمه نحو إفريقية سنة 748، بينما كان أهل بجاية على غير رأيه، حيث طلبوا الأمان والدخول في طاعة أبي الحسن، فمنحه بعد تسليم بجاية إقطاع كومية غرب وهران. وخلال ذلك بعث السلطان والياً على مدينة الجزائر هو مسعود بن إبراهيم اليرنياني الذي يظهر أنه أخو الوزير موسى. وقبيل وصول أبي الحسن مدينة تونس ظهر اسم وزير آخر هو حمو العشري (حسب تعبير الزركشي الذي سماه الوزير حمو العشري وسماه ابن خلدون العشري وجعله من موالي السلطان، وقد كلفه السلطان أبو الحسن - في محلة كبيرة بمعية أولاد أبي الليل من العرب بتعقب الأمير الحفصي الفار من تونس مع عرب أولاد مهلهل إلى أن تمكن منه وقتله. أما الوزير موسى المذكور فقد أصبح في عهد أبي عنان والياً على بجاية بعد فتحها سنة 754، ثم جعله طليعة جيشه لفتح قسنطينة خلال حركته الإفريقية سنة 758، فانهزم وجرح في المعركة قبل أن يتمكن أبو عنان من فتحها. لكن موسى عاد إلى منصب الوزارة في عهد السلطان أبي سالم بن أبي الحسن (760 - 762) الذي انتهى الأمر باغتياله، ولا ندري مصير الوزير بعد هذا الحادث، حيث إن منصب الوزارة سينتقل إلى عمر بن عبد الله اليباني مديبر الانقلاب على السلطان أبي سالم. لم تعد أسرة بني يرنيان إلى منصب الوزارة إلا في فترة لاحقة وبصورة محدودة، مثلما حدث أيام السلطان أبي

العباس أحمد ابن أبي سالم في سلطنته الثانية (789 - 796) حيث استوزر إدريس بن موسى بن يوسف اليرنياني (إلى جانب الوزير صالح بن حمو اليباني)، وإدريس المذكور هو آخر من نعلمه من الوزراء المرينيين من بني يرنيان.

ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1973؛ ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، ط، الجزائر، 1981؛ ابن خلدون، العبر، 6؛ 812؛ ابن الأحمر، روضة السنين؛ ابن الخطيب، نفاضة الجراب، 2؛ 327، ط، الدار البيضاء، 1985؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، 83، تونس، 1966؛ ابن القنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، 170، الدار التونسية للنشر.

أحمد عزاي

يزدگ (آيت -) ينتمون إلى اتحاد آيت يافلمان، الذين يضمون آيت حديدو وآيت مرغاد وآيت يحيى وآيت يزدگ وعرب الصباح وأهل السغالة بتافيلالت، وينتصر لهم في المعارك آيت سدرات ومفران وآيت سري - وزايان وكروان.

وحسب المصادر التاريخية فإن موطن آيت يزدگ الأصلي هو أعالي نهر تدغة ولهم القصور والأماك في بلدة تامتوتشت على رأس وادي تدغة بأميال إلى تنغير. وكل قبيلة لم تصل نسبها بسكان تدغة، فليست من صميمهم. حيث يأتون سنويا إلى تزكي بأعالي تدغة لزيارة ضريح سيدي محمد بن عبد الله، وهو تقليد تقرر لديهم ومحفوظ عند صغيرهم وكبيرهم. ومن أعظم بلادهم وأحنها لديهم إلى الآن وادي زيز إذ نزلوه بحلالهم واستوطنوه بعد خروج گروان منه في سنة 1140، وسبب خروج گروان من وادي زيز أن السلطان المولى إسماعيل بعد ما قام بحركة ضد آيت أمالوا وآيت بولال وآيت سري - أمر عامله على بن يشي القبلي الزموري وعقد له عشرة الآف من الخيل - وذلك لاجتثاث گروان وإجلاتهم من وادي زيز نظراً لما يشكلونه من خطر في نظر المخزن في الطريق نحو سجلماسة. وينقسم آيت يزدگ إلى 3 أقسام أساسية وهي آيت مومو - آيت فركان - وآيت الثلث. وكل قسم بدوره يتفرع إلى عمائر وبطون وأفخاذ وعشائر.

المهدي الناصري، الطلعة الغطريس الفسيس المنتمى إلى سوس، مخطوط.

David M. Hart, Les institutions des Aït Morrhad et Aït Haddidou, in *Actes du Durham, BESM, Rabat, 1918, p. 57*; Capitaine Henry, Aït Morghad, Assul et Amdghous, *Fiches de tribus de la haute vallée du Gheriss, 1933, Rapport.*

عبد القادر بوراس

يزور (أسرة -) من الأسر المعروفة بفاس، كان منها الصلحاء وأهل النجدة والزعامة خلال عدة أجيال، بل وعدة قرون. كان مقر إقامته جهة اللطيين التي كانت دائماً مرتبطة بالبوادي القريبة أكثر من غيرها من جهات مدينة فاس، وأصلهم من قبيلة شراقة الغربية. أبرز من ظهر في هذه الأسرة في مجال الصلاح هو الولي

السخاوي، الضوء، اللامع، القاهرة، د. ت، مجلد 10 : 4 ، 167 :
الناصري، الاستقصا، 4 : 81 : الكتاني، سلوة، 3 : 299.

اليزناسني، عبد الرحيم بن محمد الشيخ الفقيه،
العالم الفاضل، المحصل المتقن المجيد. أحد العلماء العاملين
المجتهدين كان محصلا لمذهب مالك ولأصول الفقه على
طريقة الأقدمين. رحل إلى المشرق ولقي الأفاضل، وجد
واجتهد. وكان مصاحبا لنجم الدين عبد الله بن شاس (ت.
616). وكان فقيرا لا شيء له من الدنيا. دخل إلى بجاية،
ورفع أمره لواليتها، فأرسل له والي البلد بطعام ومال، فلم
يقبله ورده. ثم ارتحل لفاس فوطئها وكان له بها ظهور.

كان على قيد الحياة سنة 600 / 1204.

الغرافي، توشيح، ص. 152 : عبد الرحمن الغبريني، عنوان الدرابة،
ص. 258 : التنبكتي، نيل، ص. 177 - 178 : ابن القاضي، جذوة،
2 : 415 : الكتاني، سلوة، 3 : 298 : الكتاني عبد الكبير، تحفة
الأكياس ومفاكهة الجلاس، نج. علي المنتصر الكتاني، الدار
البيضاء، 1422 / 2002، ص. 272.

اليزناسني، عيسى بن إبراهيم، أصله من جبال بني
يزناسن أحواز وجدة، كان مقبلا على التعليم في مساجد
بطوية بجبال الريف خلال القرن 10 / 16، أخذ عن الفقيه
أحمد بن عبد الله البطوئي (ت. حوالي 960 / 1553)، حفظ
القرآن الكريم وتضلع في علوم الحديث.

توفي عام 995 / 1587.

البطوئي عيسى، مطلب الفوز والنجاح : محمد حجي، الحركة، 2 :
455.

مارية دادي

اليزيد (بن -)، محمد (السلطان)، اختلف المؤرخون
في تقييم شخصية اليزيد المتناقضة التي تعكس نفسية
مضطربة ومزاجا متقلبا. فمؤرخ الدولة محمد أكنسوس وضع
الحكم القصير لهذا السلطان تحت عنوان "الراية الزرقاء
الكسيفة المنظر، الكريهة المخبر"، وهو نفس الموقف الذي كان
لمؤرخ رسمي آخر كأبي القاسم الزباني. وعلى نقيض هذا
الموقف نجد مؤرخا كمحمد بن عبد السلام الضعيف يجده
ويعدد فيه خصال الكرم والشجاعة والإقدام، ويصفه بالمجاهد
الغيور على الدين والمحب للشرفاء. وهذه النظرة الأخيرة
كانت أقرب إلى الصورة التي انطبعت في ذهنية الفئات
الشعبية الواسعة، والقوى الدينية المحافظة التي كيفت هذه
الذهنية.

أظهر اليزيد خلال طفولته وشبابه من الشجاعة والجرأة
والولوع بالفنون الحربية ما جعله يبلغ حظوة مرموقة لدى
والده الذي ولاه عددا من المسؤوليات، ورشحه للخلافة بعدما
ظهر من نجدته واقتداره. وهكذا كلفه في البداية بالكلام مع
ممثلي الأجناس، ثم عينه خليفة له على رأس قبيلة كروان،
فربط مع أعيانها علاقات وطيدة انتهت بمحاولة تمرد بدعم

والمجذوب عبد الله بن محمد (فتحا) يزور. كان في صغره،
حسب سلوة الأنفاس، يتعاطى الحياكة وصناعة الأكسية
والكرازي وماشابهها. ثم في عام 1150 (1737 - 1738)،
وكان عام مجاعة قاسية، توجه إلى الحج. وفي طريق رجوعه
استقر بتونس التي بقي بها مدة قبل التحاقه بمسقط رأسه.
وبفاس ظهرت عليه علامات الجذب والزهد في الدنيا، فكان
يقضي وقته في قطع الحطب وبيعته في السوق ومنه يعيش.
كما كان يجلب العزف من الجبل فيصنع منه المكانس
(الشطاطيب) وبيعهما، وبقي على هذه الحال.

ومن جهة أخرى برز من ضمن هذه الأسرة رماة ورؤساء
بجبهة اللمطين. ومن المعلوم أن حرفة الرماية كانت مرتبطة
بالسلطة السياسية في المدينة أشد الارتباط، وسمحت لفئة
قليلة من رؤساء الرماة بالتحكم في مصير المدينة وأهلها
خلال مراحل الضعف المخزني (انظر مادة "رماة فاس").
وهكذا نجد أحد أفراد هذه الأسرة متزعماً لجهة اللمطين خلال
عهد مولاي عبد الله بن إسماعيل، عندما اختاره سكان هذه
الجهة قائداً لهم أواخر سنة 1737. لكن الصراع على السلطة
والتناصر على الزعامة بين مختلف العصبية المحلية أديا
إلى اغتياله من طرف "السباب" بعد أسابيع قليلة من
توليته. وعلى الرغم من ذلك فإن أولاد يزور ظلوا يتمتعون
بعصبية قوية داخل جهتهم، وبفضلها استطاعوا أن يحتلوا
مراكز قيادية، خاصة ضمن الرماة. واستمر وجود هذه الأسرة
في طليعة القوى المؤثرة بفاس حتى نهاية القرن التاسع عشر،
إذ نجد أحد أفراد هذه الأسرة ضمن قائمة أعيان المدينة.

توفي في 9 من ذي الحجة عام 1194 / 13 أكتوبر
1785.

الكتاني، سلوة الأنفاس.

محمد المنصور

اليزناسني، عبد الرحيم بن إبراهيم أبو محمد عالم،
فقيه، أحد قضاة السلطان أبي فارس عبد العزيز المريني،
والسلطان أبي سعيد عثمان بن أحمد بن أبي سالم.

ذكره تلميذه ابن القاضي في المنتقى المقصور، وقال :
ينسب إليه فرج القاضي بصواعة بأحواز فاس، وهو من
أجداد بني الفرديس لأهمهم. ويبدو أنه كان من جملة القضاة
الذين اشتهروا في عهد الدولة المرينية بأخذ الرشوة، وعدم
المبالاة بالأحكام الشرعية، نستشف ذلك من خلال البيتين
اللذين أنشدتهما فيه أبو يعقوب بن راشد البدري، وهما :
وليت القضاء ببلدة فاس فأحدث فيها أمورا شنيعة
فتحت لنفسك باب الفروج وأغلقت للناس باب الشريعة
توفي ذبيحا سنة 834 / 1430 بالمدينة البيضاء، قتله
الوزير صالح بن صالح اليباني. وكثيرا ما ينقل عنه
الونشريسي في معياره.

ابن القاضي، درة، 3 : 115 - 116 : جذوة، 2 : 417 : لقط، ص.
246 : المنتقى، ص. 712 : الونشريسي، وفيات، ص. 140 : ابن
الأحمر، روضة، ص. 39 - 40 - 41، بيوتات فاس، ص. 68 :

من هذه القبيلة وقبائل آيت أومالو. وكان مصير هذه المحاولة الفشل وقرار اليزيد إلى جبال آيت أومالو. لكن السلطان سيدي محمد عفا عنه واكتفى بترحيل قبيلة كروان إلى الأزغار عقابا لهم، ولإبعادهم عن حلفائهم ضمن القبائل الأطلسية. ثم في سنة 1778 حاول جيش العبيد بمكناس مبايعته سيرا على النهج الذي اعتادوه خلال فترة ما بعد المولى إسماعيل، لكن هذه المحاولة فشلت هي الأخرى، وانتهت بتفريق العبيد على المراسي. أما اليزيد فإنه استحرم بضريح مولاي إدريس الأكبر بزروهون ولم يغادره إلا بعد أن توسط له الشرفاء الأدارسة لدى والده.

وربما فكر السلطان سيدي محمد في إرساله إلى الحج أملا في إصلاحه وإرجاعه إلى جادة الصواب، أو على الأقل، إبعاده ليرتاح من متاعبه. لكن اليزيد خلق له متاعب من نوع آخر عندما هجم على أمير الركب المغربي بمكة وجرده من أمواله، وهو ما استدعى تدخل أمير مكة سرور، وأغضب والده الذي كتب مناشير علقت بالمغرب والمشرق يتبرأ فيها من أعماله ويحذر الناس من مخالطته. وكان سيدي محمد يدرك أن رجوعه إلى المغرب لن يجلب له إلا المزيد من المتاعب، فأصدر الأمر بمنعه من دخول المغرب وشدد الحراسة على الحدود الشرقية من أجل ذلك. لكن اليزيد تمكن من اختراق الحدود واستطاع الوصول إلى ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش حيث استحرم وانطلق في حملة لاستمالة الشرفاء العلميين وكسب عطف الرعية بالدعوة إلى الجهاد ومطالبة والده بتوفير العتاد الحربي لمحاصرة مدينة سبتة. واختياره للجهاد كموضوع لحشد التأييد كان يضرب في الواقع سياسية والده في الصميم، لأن سيدي محمد بن عبد الله راهن طوال عهده على إقرار السلم مع الدول المسيحية ومهادنة إسبانيا على وجه الخصوص. وهذا ما أثار غضب سيدي محمد الذي كاد يفقد أعصابه خلال الشهور الأخيرة من حياته عندما أصبح ترمز اليزيد الهاجس الذي لا يفارقه. وعلى الرغم من وساطة العديد من رؤساء الزوايا والشرفاء لإقناع اليزيد بمغادرة الضريح المشيشي والتماس عفو والده فإنه رفض بإصرار أن يلبن إلى أن توفي سيدي محمد في 9 أبريل 1790.

وكان سيدي محمد قد أصدر ظهيرا عندما كان اليزيد مستحرما بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش "يسخط" فيه على ولده ويحذر الناس من مبايعته. لكن هذا لم يمنع الرعية من الالتفاف حول اليزيد، إذ تمت مبايعته مباشرة بعد وفاة والده بما يقرب من الإجماع. وهذا الأمر في حد ذاته يعتبر مقياسا لمدى النجاح الذي حققه اليزيد في تأليب الناس ضد سياسة والده التي قامت على مهادنة النصارى وفتح أبواب المغرب للتجارة الأوربية. وكانت القوى المحافظة من شرفاء وزوايا في طليعة القوى المؤيدة لليزيد. وهكذا يبيع هذا الأمير بالضريح المشيشي يوم 26 رجب 1204 / 11 أبريل 1790 قبل أن يتوجه إلى أقرب المدن كتطوان وطنجة

ليتلقي بيعة أهلها. كما سارعت أهم القوى في البلاد كالجيش وعلماء فاس وأعيان القبائل البربرية إلى مبايعته ومساندته.

وعلى الرغم من قصر المدة التي حكم فيها اليزيد (أقل من سنتين)، فإن ملامح السياسة التي نهجها خلال هذه المدة القصيرة لا تدع مجالاً للشك أنه كان عازما على تفكيك الركائز التي بنى عليها والده سياسته خلال ما يزيد على ثلاثين سنة. وكان على رأس قائمة المهام التي حددها اليزيد لنفسه أن يستبدل السلم الذي أقام سيدي محمد مع أجناس النصارى بالمواجهة، وخاصة مع إسبانيا التي جعلها هذا الأخير في طليعة أصدقائه. لذلك أعلن اليزيد عن نيته في الجهاد منذ البداية، كما سعى نفسه بالمهدي حتى يفهم الناس أنه هو الذي سيخلص البلاد ويعلي راية الدين بعد عهد طويل تميز بمهادنة النصارى والاعتماد المتزايد على اليهود لتنشيط التجارة الخارجية. لذلك قرن اليزيد عداؤه للدول المسيحية بعدائه للمجموعات اليهودية حيث أطلق يد النهب في ملاحات تطوان ومكناس والرباط ومراكش، مستغلا في ذلك مشاعر الاستياء التي عمت الرعية نتيجة سياسة والده في مجال التجارة وفرض المكوس وتكليف عدد من اليهود بقبضها.

ومن مظاهر ترمز اليزيد على سياسة والده عزمه على إبطال المكوس والاكتفاء بالواجب الشرعي من زكوات وأعشار. كما أراد أن يعكس سياسة والده في المجال العسكري، إذ أمر العبيد بالتجمع من جديد بمكناس بعد أن كانوا موزعين على المراسي، كما قرر إحياء مشروع الرملة كمركز لجيش العبيد كما كان عليه الأمر أيام جده مولاي إسماعيل. ومن جهة أخرى عزم اليزيد على الاستغناء عن موظفي والده قائلا "أن لا خَيْرَ فيمن يصطاد بكلاب أبيه" ! وهذا ما جعله ينكل بالعديد من خدام والده.

لكن اليزيد سلك في الواقع طريق المغامرة، ورسم لنفسه مشاريع لم تكن له الوسائل الكفيلة بترجمتها إلى حقيقة ملموسة. فإعلاناته الحرب على الإسبان جعل هؤلاء يجندون عملاءهم بجنوب البلاد لفتح جبهة خلفية تشغله عن سبتة وعن مهمة تهديد البلاد. كما أن "الكرم" الذي عرف به تحول إلى إسراف وتبذير لأموال الدولة، وهي أموال كان في أشد الحاجة إليها لتثبيت سلطته. وهكذا أفرغ اليزيد بيت المال وأغدق العطايا على رؤساء وأعيان القبائل والشرفاء وكل الذين ساندوه، في الوقت الذي عجز فيه عن تسديد رواتب الجيش، سالكا في ذلك طريق "التبذير الخارج عن طبيعة العمارة والصالح" حسب صاحب الجيش العرمرم. كما أن سياسة البطش والانتقام التي سلكها تجاه خدام الدولة السابقين ساهمت في عزله وأكسبته أعداء كثيرين. لذلك سرعان ما ظهر عجزه عن إحكام قبضته على البلاد، وضمان

مجتمعنا، حسدا من عند أنفسهم، لمنافستهم في التدريس، والعلم، والفتوى، والتجارة، واتباعنا لزاوية - تامغروت - وكانوا يروجون علينا أبناء قاتل الحسين بن علي.

والحق أن هذه الأسرة تستحق دراسة عميقة، إذ قال : صاحب *المعسول* (إذا كانت السلسلة الذهبية من هؤلاء السادة اليزيديين، تبتدئ بسيدي أحمد بن الحسن... فإننا الآن لا نرى بين أيدينا من يشربون من شباب الأسرة، إلى أن يملأ الفراغ. لكن في العائلة خير خلف لخير سلف منهم علماء وتجار ومدرسون.

م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي في سوس : المعسول*، ج. 5، ج. 9، ج. 10 : الحضيكي، *الفوائد الجمّة* : بحث ميداني. الحسين جهادي

اليزيدي، أحمد، ازداد بمدينة الرباط سنة 1905، والده السيد المعطي بن اليزيد التادلاوي أصلا والساكن بالرباط كمستخدم ببعض المراكز الإدارية. سار أحمد اليزيدي على نفس الدرب الذي سار عليه شقيقه الأكبر منه سنا بثلاث سنوات الزعيم الوطني محمد اليزيدي (بوشعيب)، فقد التحق مثل أخيه بأحد الكتاتيب القرآنية بالرباط، فحفظ القرآن ثم انتقل إلى مدرسة عربية فرنسية، ومنها إلى ثانوية مولاي يوسف حيث درس بها بضع سنوات قبل انخراطه في سلك تلامذة المدرسة العسكرية بمكناس سنة 1922. ليتخرج منها برتبة ضابط. تأثر أحمد اليزيدي تأثراً كبيراً سياسياً وثقافياً بالوسط الذي كان ينغمر فيه شقيقه محمد اليزيدي، وقد أدى به ذلك إلى احتكاك بالحركة الوطنية وبالزعماء الوطنيين بحكم اقترابه الشديد من أخيه، رغم أن وظيفته فيما بعد كضابط عسكري في الجيش الفرنسي كانت تمنعه من ذلك. وبحكم وظيفته العسكرية، استطاع أحمد اليزيدي أن يزور بعض البلدان العربية الواقعة تحت الاحتلال الفرنسي خاصة سوريا، وقد ساعده ذلك على تعميق وعيه بحقيقة الاستعمار الفرنسي وهيمنته على الشعوب المستعمرة.

وبحكم هذه الوظيفة أيضا، كان لأحمد اليزيدي، دور هام في التعريف بالقضية الوطنية ورجالها لدى بعض الضباط العسكريين المغاربة الذين كانوا يعيدين عن الحركة الوطنية والذين أصبحوا متعاطفين معها لدى المطالبة بالاستقلال وبعدها. وبسبب الظروف التي جرت على المغرب بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية ومنها احتلال القوات الألمانية لباريس وانضمام الإقامة العامة الفرنسية بالمغرب لحكومة فيشي الخاضعة لألمانيا، وانتشار نفوذ القوات الألمانية بالمغرب، بالإضافة إلى أن الظروف الدولية خلال الحرب أوجت لقيادة الحركة الوطنية المغربية بأن الوقت المناسب لإجبار فرنسا على تغيير نهجها السياسي في المغرب قد حان، وأن هناك من

ولاء أتباعه ومناصريه بعد أن فرغ بيت المال وقلت مداخيله نتيجة إلغاء المكوس، وتحلّى هذا العجز بوضوح عندما فشل في القضاء على تمرد المناطق الجنوبية، وخاصة بعد أن أقدم رؤساء القبائل كعبد الرحمان بناصر العبيدي والهاشمي بن العروسي الدكالي على مبايعة أخيه هشام براكش. وكان هؤلاء يتمتعون بدعم مالي وعسكري هام من طرف إسبانيا جعل كفة مولاي هشام وحزبه تعلو على كفة اليزيد الذي قتل بعد وقت قصير من دخوله مراكش في 17 فبراير 1792، على إثر مواجهة عسكرية حاسمة بين جيوشه وجيوش أخيه.

محمد أكنسوس، *الجيش العرمرم*، مراكش بدون تاريخ، ج 1 : محمد الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، الرباط، 1986 : أحمد الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، ج 8.

محمد المنصور

اليزيدي ، أسرة سوسية، تسكن في واحة بين جبال قاحلة، بفضل عين ثرة كافية لحياة تلك الجنة الساحرة، التي تسمى - تازونت - ن داويزيد، على بعد حوالي 12 كلم في الجنوب الشرقي، لزاوية - تيمكيدشت - وسط جبال جزولة، بالأطلس الصغير.

وينسب البعض هذه الأسرة العالمية الصوفية الأدبية المدرسة والتجارة أحيانا، إلى الخليفة يزيد بن معاوية الأموي. لكن عندما نرجع إلى ترجمة الحضيكي لأحمد بن الحسين اليزيدي، نجد غياب نسبة هذه الأسرة إلى بني أمية، إذ قال : أحمد بن الحسين اليزيدي، بركة هذه البلاد... أخذ عن ابن ناصر بتامغروت، كما أخذ يحيى بن عبد الله اليزيدي، دفين - تازونت - صاحب زاوية هناك، عن القطب سيدي أحمدو موسا، لكن إذا رجعنا إلى صاحب *المعسول*، نجد في كتابه *رجالات العلم العربي بسوس* : عندما ترجم لليزيدي أحمد قال : وهو أحد أفراد تلك الأسرة اليزيدية الأموية العالمية الصالحة، توفي حوالي 1250.

وفي *الفوائد الجمّة* عند جواب التامانارتي، لفيقيه - إيسي - وأظنه من نفس العائلة لم ينعت به باليزيدي، بل نسبه ل- إيسي - مما يدل على أن هذه النسبة لا يمكن أن يغيب وزنها عن التامانارتي، والحق أن صاحب *المعسول* هو الذي ركز أكثر على هذا الاستلحاق كما هو مشاع في استلحاق كل ذي شأن إلى خارج المغرب، ولا يفهم من كلامي هذا أي شك في مصداقية مؤرخ *المعسول* أبدا.

وإذا كان المشاع في مثل هذه الحالة قولهم : الناس مصدقون في أنسابهم، فإني قد سألت أستاذي اليزيدي المحمدي محمد، عن هذه النسبة، سنة 1982 فقال : "إن أحد أجدادنا اسمه يزيد، ولا شك في ذلك، كما أن انتقالنا في سوس مؤكّد كذلك، لكن نسبنا إلى يزيد بن معاوية من وضع جيراننا من زاوية - تيمكيدشت - وهدفهم هو عزلنا عن

المقيم العام لأكوسط إطلاق سراح 51 قياديا بارزا من حزب الاستقلال وبعض النقابيين.

وبعد الاستقلال، تقلب أحمد اليزيدي في عدة وظائف، فعين في 7 دجنبر 1955 وزيرا للتجارة والصناعة في أول حكومة مغربية تكونت بعد الاستقلال برئاسة السيد امبارك البكاي، وعين كاتباً للدولة في التجارة في 28 أكتوبر 1956 في حكومة البكاي الثانية ثم بعد ذلك وزيرا للدفاع في نفس الحكومة، ثم ظل وزيرا للدفاع في حكومة أحمد بلالفرج التي تشكلت في 12 ماي 1958. وبعد سقوط هذه الحكومة في 24 دجنبر 1958، لم يشارك أحمد اليزيدي في أية حكومة أخرى، وعاد إلى القطاع الخاص ليرأس شركة التأمين الملكي وليهتم بتربية الخيول في ضيعته في طريق عين العودة قرب الرباط. توفي بمرض ألزيمه الفراش عدة سنوات وفارق الحياة في 17 غشت 1996.

أبو بكر القادري، المجاهد محمد اليزيدي، 1999؛ مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، 1993، جزآن؛ عبد القادر الشاوي، حزب الاستقلال، (1944-1982)، عيون المقالات، 1990؛ علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، جوس، 1948؛ المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، وثيقة المطالبة بالاستقلال، تراجم الموقعين، 1996؛ الحبيب بن الحفيان الشرقاوي، رواية شفوية.

عثمان بناني

اليزيدي، محمد، أحد قادة الحركة الوطنية المغربية منذ نشأتها في أعقاب صدور الظهير البربري في 16 ماي 1930، والذي كانت تسعى السلطات الفرنسية من ورائه تمزيق وحدة الشعب المغربي. تقلد الزعامة منذ ذلك الوقت في كتلة العمل الوطني وفي الحزب الوطني وأخيرا في حزب الاستقلال، فكان يعتبر من المتشددين في المقاومة والنضال، وتحمل في سبيل ثباته على المبادئ تضحيات جسيمة. ولد بالرباط سنة 1902 وتابع دراسته في شعبة الآداب بمعهد الدروس العليا الذي كان بمثابة كلية الآداب والعلوم الإنسانية في عهد الحماية الفرنسية، بعد تخرجه عمل موظفا في الإدارة بضع سنوات استقال منها للانضمام إلى رفاقه في الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي منذ 1930، فكونوا الرعيل الأول الذي واصل العمل إلى إحراز المغرب على الاستقلال بعد ربع قرن.

كان متوفرا على ثقافة عربية وفرنسية عالية ألهته إلى الإسهام في تحرير دفتر المطالب المغربية الذي قدم للمراجع العليا في المغرب وفرنسا سنة 1934 وكذلك المطالب المستعجلة وغيرها من الوثائق الوطنية التي كانت وثيقة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال آخرها، وكان من أول الموقعين عليها. وكان من الأعضاء البارزين في اللجنة التنفيذية للحزب الوطني وحزب الاستقلال فيما بعد حيث كان يعتبر النائب الأول للأمين العام، ويهتم بالأخص بالتوجيه والإعلام في الحركة، وقد تولى إدارة جريدة

المبررات الدولية ما يجعل ذلك قابلا للتحقيق على المدى المتوسط بأقل تقدير، كل ذلك جعل أحمد اليزيدي يقرر الاستقالة من الجيش الفرنسي والانغمار علانية في النشاط الوطني المناهض للحماية الفرنسية، خاصة وقد تزامن ذلك مع نزول قوات الحلفاء في المغرب يوم 8 نوفمبر 1943، ومع بداية تحرك الوطنيين بكيفية أقوى رغم عناد الفرنسيين وسوء معاملتهم، ومع تجديد الحزب الوطني لفرعوه وضم عناصر قيادية جديدة لصفوفه. وبسبب وضعيته وظروف عائلته، التحق أحمد اليزيدي بالطائفة وهي الجناح السري للحزب الوطني، ولذلك كان من أوائل الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال وأحد مؤسسي حزب الاستقلال. وقد اشتغل أحمد اليزيدي بعد استقالته من الجيش الفرنسي في التجارة، واشترك مع صديقه الوطني الغيور الحفيان الشرقاوي في السنوات من 1946 إلى 1949 في تجارة الشاي والسكر بمتجر في ديور الجامع معقل الحركة الوطنية بالرباط، وكان بالإضافة إلى ذلك ينشر بعض المقالات في الصحافة الوطنية.

وعندما قرر حزب الاستقلال الاستيلاء على الغرف التجارية والفلاحية وإخراجها من قبضة وتسيير المتعاونين مع الحماية، وهي الغرف التي أنشأها المقيم العام الجنرال جوان حسب ظهير 13 أكتوبر 1947 في إطار ما سمي بالإصلاحات، كان أحمد اليزيدي مرشح الحزب في الرباط لرئاسة غرفة التجارة بها، فانتخب انتخابا حرا وتولى تسيير الغرفة التجارية بحنكة واستقامة، ولعب دوره كاملا أثناء وجوده في مجلس شوري الحكومة الذي كان يرأسه شخصا المقيم العام الجنرال جوان. وكان المقصود من المشاركة في هذا المجلس من طرف التجار والفلاحين الاستقلاليين مجابهة السلطات الاستعمارية في قعر دارها وفضح تصرفاتها ومظالمها، وكان أحمد اليزيدي من جملة هؤلاء التجار الذين خاضوا المعركة ضد السلطات الاستعمارية، وكان مثل بقية الرؤساء الآخرين المنتمين لحزب الاستقلال يقدم التقارير الهامة لمعارضة مخططات الإدارة الفرنسية في تسيير وتوزيع الميزانية المغربية. وكان مع بعض الأعضاء الآخرين في المجلس والتابعين لسياسة حزب الاستقلال في معارضة الوجود الفرنسي يقومون بدور هام وخطير ضد سياسة الإقامة العامة في المغرب.

وفي 8 دجنبر 1952، تلقى حزب الاستقلال ضربة قمعية شديدة وذلك إثر الإضرابات والأحداث العنيفة التي دفعت السلطات الفرنسية إلى إلقاء القبض على قيادة الحزب ثم على مجموعات من عناصره القاعدية وسجنهم وتقديمهم إلى المحاكم العسكرية ونفي بعضهم إلى الصحراء، وكان أحمد اليزيدي من جملة المنفيين إلى "مير اللفت" ثم "كلمين" ثم "اغبالو نكردوس"، حيث لم يطلق سراحه إلا في 5 أكتوبر 1954 عندما قررت المحكمة العسكرية الفرنسية في عهد

"الأطلس" لسان الحزب الوطني باللغة العربية في الثلاثينيات، ثم جريدة "L'opinion populaire" العمل الشعبي" في الأربعينيات و"الاستقلال" لسان الحركة الوطنية لبعض الوقت. وكان يسهر على المنشورات الحزبية كلها.

اعتقل ونفي مدة ثلاث سنوات ونصف إلى الصحراء سنة 1937. واعتقل هو والأمين العام لحزب الاستقلال الأستاذ أحمد بلاقرج يوم 29 يناير 1944، فاضطرت السلطات الفرنسية إلى الإفراج عنه لتهدئة المظاهرات العارمة التي شبت ذلك اليوم في أغلب أنحاء المغرب وخاصة في الرباط.

اعتقل كذلك في 1952 مع أعضاء اللجنة التنفيذية وجل مسيري حزب الاستقلال سنة 1952 تمهيدا لخلع محمد الخامس. ونفي ثم أحيل على المحكمة العسكرية بتهمة التآمر على سلامة الدولة الداخلية والخارجية.

بعد الإفراج عنه تحت ضغط الكفاح الوطني والمقاومة المسلحة سنة 1954 واصل محمد اليزيدي النضال من أجل عودة محمد الخامس وفي سبيل الاستقلال، وكان من القادة الذين أبلوا البلاء الحسن في هذا السبيل إلى أن تحرر المغرب. بعد انشقاق الحزب في 1959، بقي في صف الرعيل الأول

توفي سنة 1989 بالدار البيضاء.

قاسم الزهيري

اليزيدي المحمدي، محمد بن الحاج أحمد، ولد سنة 1891، وهو نموذج من تلك السلسلة العلمية اليزيدية، التي نعتها صاحب *المعسول* بالسلسلة الذهبية، فقال في مترجمنا هذا : "فهو اليوم أحد علماء جزولة، ومن أكابر أدبائها، ومن أعظم المدرسين في مدارسها"... أخذ القرآن في قريته - تازونت - على يد أحمد بن صالح من - أشتوكن - ثم أخذ الأمهات العربية في مدرسة - إلغ - ما بين 1327 - 1329 / 1909 - 1911 ثم انتقل إلى مدرسة - بومروان - إلى سنة 1331 / 1912 ثم في مدرسة - أدوز - ثم استكمل في مدرستي - تانالت، و- تانكرت.

وعن مستواه الثقافي، قال صاحب *المعسول* : "هذه مجالاته التي قضى فيها زهاء خمس عشرة سنة، حتى نال في التحصيل مدركا أقر له به أقرانه، فضلا عن أساتذته، وقد أخذ عن كبار الأستاتذة بسوس في ذلك العهد".

لقي هذا الأستاذ مضايقات من جيرانه، وكادوا يقتلونه بعدما سلبوا منه ماله، فذهب إلى مدينة - سلا - ثم مكناس، ثم طنجة، يشتغل بالتجارة، إلى أن توفي أستاذه من عائلته، في مدرسة - إيبي وگشتيم - بأملن - وذلك سنة 1364 / 1944، فعاد إلى بلاده.

حيث انتقل إلى مدرسة آيت عبلا البودرايين، كما مر

بمدرسة - آيت وافقا - وانتهى بمدرسة - تافراوت ..

وله أدب غزير، وفقه متين، واستحضر متميز، ومن أراد المزيد من معرفة تمكن هذا الأستاذ فعليه بالمعسول. وله خزنة ثمينة، لم يطررها أحد، أهمها ما اشتراه والده من فاس بمائة ريال حسني، وهو ثمن كبير في ذلك العهد، وقد أشار صاحب *المعسول* إلى أهمية تلك الخزنة بقوله : "وله خزنة حسنة، ضمت إلى أحسن المطبوعات، أغرب بعض المخطوطات، فيما أخبرت به".

هذا وقد انقسمت الآن تلك الخزنة بين المثقفين من العائلة، وقد زرتها وعزمت على إحصاء ما فيها، فإذا بشيخنا قد قضى نحيبه ونحن ننتظر.

توفي 30 يناير سنة 1988 بتازونت.

م. المختار السوسي، *المعسول*، الدار البيضاء، المغرب الأقصى؛ الحسين جهادي، بحث ميداني.

اليسع (ابن -) محمد بن عبد الواحد الباعمراني : من أشهر قضاة وعلماء قرية تادارات بآيت باعمران، أخذ المبادئ الأساسية عن والده الذي حلاه المؤرخ الإغراري بقوله : "العالم العلامة الحيسوبي الصانع التاجر الجواد الناقد الماهر..." وقد ورث ابنه اليسع كثيرا من هذه الخصال المحمودة.

كان يجول ويصول في المنشورات حتى وصف بالنثار، إلى أن انتكست موهبته عندما أكلت داره من طرف القبيلة لقضية عرفية اکتوت بها القرية بكاملها سنة 1310 / 1892 بدعوى أن أهل القرية لم يقاوموا ولم يخبروا بجماعة من اللصوص مرت بينهم فألحقت ضرا بجيرانهم.

ومنذ ذلك الوقت لزم الفقيه ربوة بوگارفا (دو توريرت) متمسكا إلى أن شارط في مدرسة آيت بوبكر الباعمرانية، فحدث هناك جدال بين أعيان القبيلة، والفقيه جالس بين القوم، فإذا برصاصة تستهدفه، كان فيها أجله، وذلك في 22 ذي الحجة عام 1343 / 1924.

معلمة المغرب : أحمد الإغراري، روضة الأفتان في وفيات الأعيان، تج. حمدي أنوش، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير : المختار السوسي، *المعسول*، ج 10، ص. 252؛ جهادي الحسين، جانب من تاريخ آيت باعمران، مرقون.

الحسين جهادي

يسكر (ابن -) موسى الجراوي نزيل فاس. أحد أشياخ المغرب في الدين والورع والفضل والزهد والمجاهدة. كان عبدا صالحا، صواما قواما عالما، آية في الفقه المالكي. تفقه على أبي خزر يخلف الأوربي، وحضر مجلس أبي الربيع التلمساني، وصحب أبا الحسن علي بن حرزهم. أخذ عنه أبو محمد صالح الهسكوري. كان يؤم بجامع القرويين، ولا يخطب لعجمة كانت في لسانه، فقدم من ينوب عنه في

الخطبة. أقام إماما بالقرويين مدة أربعين سنة، لم يَسْهُ فيها يوما واحدا لشدة خشوعه في صلاته. وكان موسرا، ولا يأكل مما يباع في الأسواق.

توفي بفاس يوم السبت حادي عشر ذي القعدة عام 1202 / 598 ، ودفن بالقلعة، ولم يترك عقباً. وهو صاحب الحواشي على المدونة.

ابن الزيات، التشريف، ص. 337 - 339 ؛ ابن أبي زرع، الأنيس، ص. 71 - 73 ؛ مخلوف، شجرة، ص. 165، ع 514 ؛ مجهول، طبقات المالكية، ص. 339، ع 433 ؛ ابن القاضي، جذوة، 2 ؛ 562 ؛ 563 ؛ ابن عيشون، الروض، ص. 401 ؛ ابن قنفذ، شرف الطالب، ص. 67 ؛ الكتاني، سلوة، 3 ؛ 164 ؛ الحجوي، الفكر السامي، 2: 299.

مارية دادي

يسلم (بن -) (سيدي -) **عالي** ولد سنة 1942 بالساقية الحمراء. انخرط في صفوف جيش التحرير المغربي بالصحراء دفاعاً عن الوحدة الترابية للبلاد وطرد المستعمر. وقد عمل بالمقاطعة التاسعة تحت قيادة صالح بن عسو بمركز الدشيرة وذلك سنة 1957. وعرف إخلاصه وتفانيه في العمل حيث كان مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله، نشيطا في عمله متحمسا في إيمانه مستعدا للتضحية والاستشهاد. شارك في عدة معارك برهن من خلالها عن شجاعة صادقة في الدفاع عن مقدسات الوطن إلى أن استشهد في معركة الدشيرة بتاريخ 13 - 3 - 1958. المنودية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة رقم 503877.

اليسيتني، محمد بن أحمد بن عبد الرحمان، أبو عبد الله، كان فقيها وخطيبا ومفتيا بمدينة فاس، شهد بمكانته العلمية السامية كل من ترجم له ؛ فمثلا يقول تلميذه أحمد المنجور مشيدا بعلمه وصلاحه "... الإمام الفقيه النحوي الأصولي الكلامي المتقن الحاج الرجال الصالح أبو عبد الله محمد بن أحمد اليسيتني"، وحلاه أحمد بن القاضي بقوله : "الفقيه الإمام العلامة المحقق الجامع بين فنون المعقول والمنقول، الحاج الرحالة الخطيب المفتي بمدينة فاس"، وعده ابن عسك من فحول الفقهاء. أما شيوخه فنذكر من بينهم محمد بن غازي المكتاسي، ويحيى السوسسي، وأحمد الزقاق، وموسى الزواوي، وعبد الرحمان سفين، وأحمد الحباك وعبد الرحمان ابن الملجوم، وعلي بن هارون، وعبد الواحد الونشريسي. وقد قام برحلة حجية إلى الديار المقدسة بالمشرق، استفاد أثناءها من العلماء الموجودين في معظم المدن التي مر بها، ففي تلمسان أخذ عن مفتيها محمد بن موسى، وسعيد المنوني، وفي قسنطينة قرأ على الفقيه عمر الأنصاري، ومحمد العطار، وفي تونس لقي جماعة من العلماء، منهم محمد مغوش، وأحمد سليطن، وفي مصر أخذ

عن الأخوين ناصر الدين وشمس الدين اللقائين وغيرهما. ومن تلامذته الشيخ أحمد المنجور والشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي وغيرهما .. أما مؤلفاته فنذكر منها "حقوق السلطان على الرعية وحقوقهم عليه"، و"شرح مختصر خليل" لكنه لم يكمله. وقد دخل في جدال علمي مع بعض العلماء من بينهم الشيخ عبد الله الهبتي، إذ ذكر محمد ابن عسك المناظرة التي تمت بين اليسيتني وعبد الله الهبتي في معنى "لا إله إلا الله"، وذلك بحضور السلطان محمد الشيخ السعودي. كما رد موسى بن علي الوزاني على اليسيتني في مسألة الهيلة هاته. لقد ظل اليسيتني طوال حياته مجتهدا في طلب العلم وتدرسه.

توفي في 16 محرم من سنة 959 / 20 يناير 1552.

محمد ابن عسك، دوحة الناشر، تح. محمد حجي، الرباط، 1397 / 1977، ص. 9 - 12 - 41 - 58 - 59 ؛ فهرس المنجور، تح. محمد حجي، الرباط، 1396 / 1976، ص. 14 - 29 ؛ أحمد ابن القاضي، جذوة الاقتباس، الرباط، 1973، ق 1، ص. 246 - 247 ؛ الطيب القادري، نشر المثاني، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق، الرباط، 1397 - 1977، ج 1، ص. 124 ؛ الزركلي خيسر الدين، الأعلام، بيروت، ط 6، 1984، مج 6، ص. 6.

عبد العزيز الضعيفي

يشو (يوسف)، **أحمد بن يشو الشكري**، من سلالة المرابط الحاج علي بن عيسى الوكيل الخوخي، دفين بني توزين بظهر تاسفت، قدمت أسرته من بني يزناسن إلى قلعية في أوائل القرن العاشر الهجري (القرن 16)، إثر احتلال الإسبان لمدينة مليلة في سنة 903 / 1497. وكانت القبيلة اليزناسنية بمساندة الحركة الجهادية القلعية ضد المدينة المحتلة. وتابعت الأسرة اليشوتية سنة الجهاد على عهد حكم المولى الرشيد بزعامة امحمد بن يشو المستقر آنذاك بخمس بني شكر من قبيلة قلعية، وقد سبق للمولى الرشيد أن رتب أسس الحركة من جديد قبل توليته الحكم بصفة رسمية، أثناء جولاته بالمغرب الشرقي.

عرفنا تقييد أحمد بن القاضي القلعي بمشاركة امحمد يشو في حركات جهادية على عهد المولى إسماعيل خلال فترة تنظيم حركة هدم الأبراج الخارجية المحيطة بحصن مليلة ما بين 1079 و 1096 (1668 - 1684). والشاهد من كل ذلك أنه سقط أسيرا بيد الإسبان في وقت سابق لسنة 1080. وربما كان ذلك سنة 1078 / 1667، وبذلك يكون قد قضى بالأسر على الأقل العامين.

ففي سنة 1080 / 1669 دبر امحمد بن يشو حيلة الفرار من الحصن إثر الخرجة المحروسة المعتادة لاستخدام الأسرى خارج الحصن في المغارس ونقل الماء الشروب. كانت فكرة النجاة من الأسر منظمة محكمة كتب لها التوفيق مع عشرين من رفقاءه بتدبير سابق مع قائد قلعية بلقاسم الشاوي، ومقدم المجاهدين محمد بن مسعود القيطوني. كان المجاهد امحمد بن يشو الشكري قد توفي وقت تسجيل ابن القاضي هذا التقييد بدايته في يوم 6 محرم 1096 / 13 ديسمبر 1684.

إسماعيل من خلال مشاركته اللوازنة في إدارة دواليبها ومواجهة كل من يروم إفساد توازنها واستقرارها والخروج عن سلك طاعتها، فإنه تعرض كغيره من قواد وباشوات وعمال كثر لمحن ومتاعب شتى بعد وفاة المولى إسماعيل، انتهت بمصرعه على يد الأمير مولاي أحمد الذهبي في دولته الثانية إلى جانب طائفة أخرى من صفوة كبار القادة والوزراء والموظفين.

ع. الكريم بن موسى الريفي، زهر الأكم، 224 : الزباني، البستان
الظريف، 179 - 247 : المنزح اللطيف، 255 : الناصري، الاستقصا،
7 : 80 - 81 - 87 - 133.

الفقيه الإداري

يشي (ابن -) محمد بن علي، حفيد القائد الشهير

يشي وابن العامل علي بن يشي المدعو محمد بن علي بن يشي عينه السلطان المولى عبد الله سنة 1143 / 1730 عاملاً على مدينة فاس، وقد أمره السلطان بتوظيف أموال باهضة على سكانها، وأدى ذلك إلى هجرة العديد من التجار والسكان إلى بلدان أخرى منها تونس والسودان ومصر والشام، فكان موقف العامل محمد يشي الزموري من تجار أهل فاس قاسياً في فرض الغرامات والفروض المالية مما أدى إلى كراهيته ومقاومته وإعلان الثورة عليه، وحسب رواية أخرى، وجّه السلطان مولاي عبد الله، قائده عبد الرزاق بن يشي الزموري إلى فاس سنة 1143 / 1730 لقبض المال من التجار، وإثر ذلك تم سجن العديد منهم وفرضت عليهم غرامات مالية، ثم بعد ذلك عين السلطان الطالب محمد بن علي بن يشي أخا عبد الرزاق المذكور حاكماً على فاس، وكان الطالب محمد يشي حسن الأخلاق، يوقر الأشراف والعلماء وأبناء الصالحين، وقد جعل للطلبة خراجاً يقبضونه من وفر القرويين، إلا أنه كان فاضلاً غليظاً على التجار وقبض منهم زمن ولايته أموالاً عريضة، وبقي حاكماً إلى سنة 1147 / 1734.

في هذه السنة، أعدم السلطان مولاي عبد الله آلفاً من عبيد البخاري ممن اتهمهم بقتل أخيه عبد الملك أو التواطؤ على قتله، فعزموا على التخلص منه، فلدجاً إلى آيت إدراسن ثم مراکش ومنها إلى سوس ثم إلى نول حيث نزل عند أخواله المغفرة مدة ثلاث سنوات، في حين فر عامل فاس محمد بن علي الزموري إلى زرهون لما بلغه خبر فرار السلطان.

بعد عودة السلطان مولاي عبد الله من نول، اتفق جيش البخاري والأودية وأهل فاس ومختلف فئات السكان على تجديده ببيعة مولاي عبد الله، وبما أن عامله محمد بن علي بن يشي ظل وفيها له، وكذلك قبائل زمور وبني حكم، فإنه أراد أن يعيده إلى منصبه كعامل على مدينة فاس، إلا أنه لقي نفس المعارضة رغم التدخل العسكري في محاولة ردعهم والقيام بحصارهم.

القادري، التقاط الدرر، ص. 372 - 373 : حوليات نشر الثاني،

ويبدو حسب وثائق الأسرة أن المجاهد امحمد بن يشو فضل الاستقرار أولاً بمدشر القرمود من فرقة فرخانة، ثم رحل إلى المكان المدعو "إزلاقن" بمدشر "إعظمين" خلف قمة جبل القرمود من نفس الفرقة، حيث أنشأ رابطة عائلية في المكان الذي رحل إليه، إلى أن وافاه أجله حسب تقييد ابن القاضي المذكور قبل سنة 1096 / 1685 ودفن في مقبرة هناك مشهورة.

تقييد أحمد ابن القاضي الكعداوي، مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط تحت عدد 12352 : تقييد نسب قبيلة قلعية، مخطوط لمجهول بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 1275 ك : وثائق خاصة بالأسرة توجد بحوزة محمد المختاري : حسن الفكيكي، مقاومة الوجود الإسباني بمليلة المحتلة بالبيضا، 1997 : البشير المنصوري، الابانة عن المغفور في نسب شرفاء أهل الناظور بالرباط، 1425 / 2004 : محمد المختاري، مشروع كتاب "البيان الصقيل" أن أولاد حمو يشو من بني وكيل : خرائط طبوغرافية، طبعات 1954 و1966 : ضابط الأمور الوطنية، تطوان، 1952.

حسن الفكيكي

يشي، علي هو قائد أهل الديوان في دولة السلطان

العلوي المولى إسماعيل ورئيس عماله. حظي بحكم ما كان له من دالة على الدولة بمكانة مخصوصة ورعاية موصولة جعلته واحداً من أكابر رموز النخبة المخزنية التي ساهمت مساهمة فعالة في إدارة شؤون الحكم وتوطيد ركائز الدولة في هذا العهد. كان يستقر في حي الرياض إلى جانب كبار القادة والعمال ممن كان عليهم مدار المشورة والرأي وتنفيذ الأحكام، في "دار" أشبه بالقصر تتوفر على أربعة وعشرين حلقة يجمعها باب واحد. وقد استطاع علي يشي بحكم ما كان له من سلطة ووجاهة أن يحوز لنفسه عقارات وممتلكات ذات بال في مدينة مكناسة وخارجها أسوة بباقي أطر وموظفي الأجهزة المخزنية المختلفة.

وتفيد المصادر الإخبارية في هذا السياق أن القائد علي يشي لعب أدواراً على قدر كبير من الأهمية في إخضاع قبائل فازاز وكسر شوكتها وإعادة بسط نفوذ الدولة بين ظهرانيها بعد طول مدة من التمرد والعصيان. حيث شارك في معظم الحملات العسكرية التي قادها السلطان المولى إسماعيل للقضاء على ثورات هذه القبائل وإجبارها على الإذعان لسلطته. وتذكر المصادر التاريخية على سبيل المثال لا الحصر في هذا الخصوص، أن علي ويشي كان يمثل إلى جانب الباشا مساهل وعلي بن بركات، أهم قادة تلك الحملة العسكرية الواسعة النطاق التي جندها المولى إسماعيل سنة 1104 لفتح جبهة الأطلس المتوسط وتقطيع أوصال جموع القبائل الصنهاجية والإجهاز على أسباب منعيتها ووسائل ترمدها، لأن ما حققته هذه الحملة من نتائج بالغة الأهمية، هو ما ضمن لهذا السلطان كما يقول الزباني "فتح المغرب، ولم يبق به من ينبض له عرق، أو ينطق ببنت شفة".

وإذا كان علي ويشي قد ساهم في بناء صرح دولة المولى

ص. 37 : الناصري، الاستقصا، 7 : 134 : ابن زيدان، إتحاف، 4 :
402 - 412 : الزباني، البستان الطريف، 1 : 248 - 264 : أحمد بن
الحاج، الدر المنتخب، 8 : 237 - 239، مخطوط : أكتسوس، الجيش
العمرم، 1 : 172.

بوعبيد التركي

يعتة، علي : ونحن نعرض بعضاً من محطات حياة الرجل الذي قال عنه المغفور له الحسن الثاني : "كان الرجل رجلاً". ونحن ندخل بوابة حياة علي يعتة، الرجل الذي نذر حياته حباً لوطنه ودفاعاً عنه، نتذكر ما قاله، سنة قبل رحيله، وهو يكتب مذكراته : "الشمس على أطراف النخيل". تتطير من تحت أقدامنا 77 سنة من غبار ذكريات يمتزج فيها الحزن والفرح، الألم والأمل.

77 سنة كان علي يعتة، على امتدادها، من الرجال الذين عرفوا كيف ينسجون حكاية وطن، يصهرونها مع عالم الكفاح والمقاومة وإرادة الاعتاق، لكن أيضاً مع عالم الفكر والفلسفة والعلم، ويضعونها في آنية تتسع لتستوعب تاريخ هذا الوطن حاضره ومستقبله، أمجاده وآلامه، وإخفاقاته وآماله، آنية تتسع لتستوعب وتمزج بين عشق الذي ضاع والذي هوات. إنه فعلاً أخذود يفصل بين الرجال والمرجلين، بين الوطنيين والمتواطين، إنه فعلاً رجل انساب دم الوطنية في شرايينه من يوم أن ولد إلى اليوم الذي وافاه الأجل المحتوم. لقد رسم السي علي خطاً فاصلاً بين من أحبوا وطنهم ومن باعوه خلسة أو علناً. عرف المنعرجات الصعبة وعباب الأوقات الحرجة. في سيرته سيرة وطن بأكمله، انتصاراته وانتكاساته، في وقت كانت المبادئ والقناعات تدخل أصحابها إلى دهاليز سوداء ومظلمة.

ازداد علي يعتة بتاريخ 25 غشت 1920 بمدينة طنجة من والدته التي تنتمي إلى عائلة الشجيري الريفية الأصل، ومن والده سليل أسرة كانت تقيم بناحية مولاي إدريس زرهون قبل أن يستوطن أحد أجداده بالجزائر العاصمة ثم جبال زواوة عند قمة للاخديجة، حيث مكث نسله قروناً. ثم عاد الوالد ليستقر بالمغرب بمدينة طنجة.

كان أول موعد السي علي مع العلم والمعرفة بوادي أحرسان، وهو في الرابعة من عمره، لما التحق بكتاب قرآني ثم بمسجد الفقيه العربي الكيش بحي الساقية الجديدة آنذاك. فحفظ القرآن الكريم. والتحق بعد ذلك، وهو في الثامنة من عمره، بالتعليم الابتدائي بحي مرشان بالمدرسة الابتدائية الفرنسية العربية، حيث تتلمذ على ثلثة من الأساتذة الأمجاد، وعلى رأسهم العالم الجليل والوطني الغيور الشيخ عبد الله گنون، الذي كان له الفضل في تعلم السي علي قواعد الإسلام وقواعد النحو العربي.

استكمل دروسه الثانوية من سنة 1933 إلى سنة 1941 بثانوية "ليوطي" بعد أن انتقل رفقة عائلته إلى مدينة الدار البيضاء. كانت ثانوية "ليوطي" آنذاك تستقطب عدداً قليلاً

من الشبان المغاربة ومن بينهم المرحومان عبد اللطيف بن جلون وأبو بكر بومهدي، ومن بين أساتذة هذه الثانوية كان الأستاذ محمد الفاسي يلقن اللغة العربية التي لم تكن تخلو من المشاعر والتوجهات الوطنية، لا سيما وأنه كان يلقيها مرتدياً الزي المغربي المتمثل في الجلباب والسلهام والعمامة. دفع السي علي شغفه باللغة العربية إلى تتبع دروس إضافية فيها خارج الحصص الرسمية، خصوصاً على يد كل من الشيخ مولاي أحمد السباعي الشنقيطي والوطني الكبير، الشيخ أحمد الحمداوي مدير مدرسة النجاج آنذاك. وقد تميّز بنباهة ونضج مبكرين، لدرجة أنه كان يسرد صحيح البخاري في شهر رمضان من كل سنة بمسجد اليوسفي بحي الأحباس بالدار البيضاء.



ثم إنه سنة 1940 - ولم يبلغ العشرين من عمره - انظم في الحزب الوطني الذي كان محظوراً آنذاك، بعد أن تعرف وهو شاب يافع على العديد من أقطاب ورموز الحركة الوطنية، ومن بينهم المرحوم المهدي بن بركة الذي تعرف عليه سنة من قبل بثانوية "ليوطي" عن طريق المرحوم العلامة أبو الشتاء الجامعي، الذي لعب دوراً بارزاً في الحركة الوطنية منذ نهاية العشرينات، بفاس والقنيطرة والدار البيضاء وغيرها من المدن المغربية. وفي سنة 1941، كان علي يعتة من رواد تأسيس فرع الدار البيضاء للكشافية الحسنية، المنظمة التي كانت تضم الشباب المغربي الواعي والمنثور، وتناهض نظام الحماية وتعمل في اتجاه تحرير البلاد. وقد ظل يضطلع بدور أمين المال بهذا الفرع إلى سنة 1944.

في سنة 1942 حصل علي يعتة على شهادة الدراسات التطبيقية العربية (Etudes Pratiques Arabes) من كلية الآداب بالجزائر، وتطوع في سلك التعليم الحر بمدرسة "الفلاح" التي كان يديرها الوطني محمد الشاتي وترعاها الحركة الوطنية، قبل أن يضطر إلى الالتحاق بالتعليم العمومي لضمان قوته ومساعدة عائلته المكونة من سبعة

أبناء وبنات دون التخلي عن الدروس التي كان يعطيها بالمجان بمدرسة "الفلاح". وفي سنة 1943 حصل على شهادة أصول العربية (Philologie Arabe) من نفس الجامعة بالجزائر. كان لأحداث سنة 1944 وقع حاسم في حياة علي يعنة، حين انضم إلى صفوف حزب الطبقة العاملة، أي الحزب الشيوعي، باتفاق مع قيادة حزب الاستقلال، التي استمر الاتصال بها وثيقاً والتعاون معها واسعاً.

في شهر فبراير من سنة 1945، عين علي يعنة أميناً للجنة المركزية للحزب الشيوعي المغربي، وفي شهر ماي من نفس السنة أصدر الجريدة الأسبوعية "حياة الشعب" باللغة العربية، وهي التي امتنعت السلطات الفرنسية عن الترخيص لصدورها وذلك على الرغم من المساعي العديدة التي قام بها في المغرب وفي فرنسا للحصول على رخصة الصدور، مما جعل الجريدة تصدر كل أسبوع بشكل غير قانوني لكن بانتظام. وبقيت الجريدة على هذا الحال حتى خلال فترات المقاومة رغم الاضطهاد الذي كان يلاقى موزعيتها، ورغم حجز جهازها التقني. واستمرت في الصدور إلى سنة 1960 عندما قامت السلطات بحل الحزب الشيوعي المغربي.

وفي سنة 1945 كان علي يعنة ضمن وفد قام بزيارة للديار الفرنسية بهدف الاتصال بقوى اليسار الفرنسي قصد إقناعها بضرورة مساعدة الديمقراطيين المغاربة على إصدار يومية. إلا أن موقف هذه القوى كان سلبياً، إذ رفضت الاستجابة لهذا المسعى بما فيها الحزب الشيوعي الفرنسي الذي ادعى بأن الديمقراطيين المغاربة غير قادرين على القيام بعمل من هذا القبيل. وعاد الوفد المغربي خاوي الوفاض، لكنه شرع في تنفيذ المشروع اعتماداً على الإمكانيات الذاتية والوطنية. فنجح في المهمة، وصدرت يومية، "المغربي الصغير" "Le petit marocain" التي كانت تطبع في مطبعة مستوردة من الخارج، والتي ظلت تشتغل إلى أن تم تقديمها بالمجان إلى الاتحاد المغربي للشغل سنة 1956.

وفي شهر غشت من سنة 1946، وقع تحول جذري في التوجه العام للحزب الشيوعي المغربي، الذي نبذ بدون رجعة الأفكار الرجعية التي كان يحملها بعض الفرنسيين، وتبني خطة واضحة، تركز على التحرير الوطني كهدف أساسي للحزب وللبلاد، وقد لعب علي يعنة بصحبة رفاق له دوراً حاسماً في هذا التحول. وهذا ما لاحظته صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس الذي أبقى إلا أن يستقبل علي يعنة بمعية وفد من قيادة الحزب في قصره العام بالرباط في شهر شتنبر 1946، رغم الاعتراض الشديد للإقامة العامة. وقد قدم علي يعنة للملك البلاد ومحررها، طيب الله ثراه، برنامج الحزب المصادق عليه من قبل اللجنة المركزية للحزب والذي كان يركز على الاستقلال الوطني، والوحدة الترابية والمؤسسات الديمقراطية والإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وفي السنة التالية، مُنع علي يعنة من المساهمة في

الاحتفالات التي نظمت بطنجة، برئاسة المرحوم محمد الخامس، والتي ألقى خلالها خطابه التاريخي. وكان السبب في هذا المنع هو فضح علي يعنة وحزبه للاستفزازات التي قام بها الجيش الفرنسي ومرزقته بالدار البيضاء، والتي راح ضحيتها عشرات المواطنين من جرحى وقتلى. وفي نفس السنة، تعرض علي يعنة لمضايقات عديدة من السلطات الفرنسية، تجلت في طرده من قسبة تادلة، وآسفي، وجهات أخرى أثناء ترؤسه لتجمعات جماهيرية ضخمة خاصة في جمعة سحيم، رفعت خلالها عفويا شعارات تنادي بالكفاح المسلح ضد الاستعمار. وفي أبريل من سنة 1948، طرد علي يعنة من جرادة ووجدة، وهو يقوم فيها ببحث صحفي حول الاستفزازات التي نظمتها السلطات الفرنسية، فمات بفعلها عدد من المواطنين اليهود.

وفي شهر ماي من نفس السنة، قرر الجنرال جوان، المقيم العام الفرنسي بالرباط، نفي علي يعنة من المغرب، بحجة أن بقاءه به ونشاطه يخلان بالأمن العام، وصادقت الحكومة الفرنسية على هذا القرار الجائر. وأعطيت الأوامر للشرطة الفرنسية لإلقاء القبض عليه، ومحاصرة البيت الذي كان مجتمعاً فيه مع المكتب السياسي بحي المعاريف بالدار البيضاء، إلا أنه تمكن من الفرار، مما اضطره إلى اللجوء إلى السرية قصد متابعة الكفاح، من ماي 1948 إلى يونيو 1950.

وخلال عامين، ظلت الشرطة الفرنسية تبحث عن المحل الذي يختفي فيه، وتضغط على أفراد عائلته حتى يدلوها عليه، لكن مساعيتها في العثور عليه لم تتحقق إلا في شهر يونيو 1950، حيث تمكن البوليس من إلقاء القبض عليه، خلال اجتماع حزبي بحي المعاريف بالدار البيضاء، فقاموا فوراً بطرده خارج المغرب. لكن لم يمض شهر واحد حتى عاد سراً عبر الحدود الجزائرية المغربية مرتدياً جلباباً وعمامة، وأخذ القطار من محطة وجدة، إلا أنه رغم كل الحذر والاحتياطات التي اتخذها، فقد كان في القطار عميل مغربي يعمل مع الشرطة الفرنسية، تعرف عليه، وأخبر بذلك المسؤول الفرنسي الذي كان يحرس القطار. فألقي القبض عليه في محطة سيدي يحيى الغرب، وسلم إلى الشرطة بالدار البيضاء، قبل أن يزج به في سجن، "غبيلة" بنفس المدينة. وقدم إلى المحكمة بتهمة "خرق قرار نفي" وحكم عليه ابتدئاً بستين، وفي الاستئناف بعشرة أشهر سجناً نافذة قضى ستة منها بسجن "غبيلة" بالدار البيضاء، وأربعة بسجن لعلو بالرباط. وما أن أفرج عنه في أبريل 1951 حت تم نفيه من جديد إلى فرنسا، غير أنه عاد مرة أخرى، إلى البلاد، ومكث بها في سرية تامة، إلى شهر غشت 1952 وهو التاريخ الذي كلفه فيه الحزب بالقيام بمهمتين في الخارج :

- أولهما تمثيل الحزب في المؤتمر 19 للحزب الشيوعي السوفياتي وهو أول مؤتمر لهذا الحزب بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وآخر مؤتمر ترأسه ستالين.

. وثانيهما القيام برحلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية للتعريف بالقضية المغربية المطروحة لأول مرة على هيئة الأمم المتحدة.

فخرج علي يعته سراً من المغرب، وحصل على أوراق هوية مخالفة لهويته الحقيقية، لكن الشرطة الفرنسية بالعاصمة الجزائرية تعرفت عليه، وألقت عليه القبض وأودعته بسجن "باب عروج" حيث وجهت له، انطلاقا من الدار البيضاء، تهمة "عدم الاعتراف بحقوق الجمهورية الفرنسية على المغرب".

وبعد شهرين، تلقى علي يعته انطلاقا من باريس تهمتين جديدتين أولاهما "المس بأمن الدولة الخارجي والخيانة" وهما تهمتان يعاقب عليهما القانون الفرنسي بالأشغال الشاقة المؤبدة أو بالإعدام. وإثر ذلك، نقل من السجن الجزائري إلى سجن "ليبوميت Le Baumettes" بـ"برسيليا" ثم إلى سجن عسكري بضواحي باريس، وهو سجن "فريس Fresnes" وقدم إلى المحكمة العسكرية بباريس التي قامت باستنطاقه والتحقيق معه. ومرت سنتان، حصل بعدهما على السراح المؤقت لكن أجبر على الإقامة المحروسة في قرية من مقاطعة "السين ومارن" "Seine et Marne".

ومكث علي يعته بهذه الإقامة إلى أن حل المرحوم محمد الخامس بباريس عائدا من منفاه بمدغشقر حيث شرفه هو وصحبه، باستقبالهم "بسان جرمان آن لاي"، والثناء عليه والدعاء لهم بالتوفيق في خدمة الوطن.

وبعد رجوع محمد الخامس فائزاً مظفراً إلى أرض الوطن، قرر علي يعته العودة إلى بلاده، ولكن ما أن وطئت قدماه تراب الوطن، حتى اختطفته السلطات الفرنسية التي كانت لا تزال مسيطرة على الأوضاع، وطردته إلى فرنسا. وفي فبراير 1957 عاد مرة أخرى إلى المغرب، ولكن من جديد أبعده قهرا إلى فرنسا وكان الأمن الوطني آنذاك في أيادي مغربية مما أحدث سخطا وسط فئات واسعة من المواطنين.

وفي يونيو من عام 1958 التحق علي يعته بمسقط رأسه، طنجة، حيث ألقى عليه القبض وتم اعتقاله وقدم للمحكمة الابتدائية بطنجة بتهمة خرق قرار نفي، لكن المحكمة برأت ساحته، ولم تعترف بمشروعية الإجراء الجائر الذي اتخذته السلطات الفرنسية سنة 1948. ورغم ذلك، وضع في الإقامة المحروسة بطنجة ولم يسمح له بالخروج منها صوب أنحاء أخرى من البلاد. واستمرت الوضعية على هذا الشكل إلى نهاية ديسمبر 1958، حيث تحرر من كل القيود، والتحق بعائلته ورفاقه بمدينة الدار البيضاء. لكن سنة من بعد أو أقل قررت الحكومة منع الحزب الشيوعي، ذلك المنع الذي أكدته محكمة الاستئناف سنة 1961 ملغية الحكم الابتدائي الذي سبق أن رفضه القرار الحكومي.

وقبضت سنة 1960 بحدثن هامين : أولهما إصدار كتاب تحت عنوان : "موريطانيا إقليم مغربي أصيل" والقيام بجولة

في الخارج للدفاع عن وجهة نظر المغرب في هذه القضية التي طرحت على هيئة الأمم المتحدة، ولم يكن ينقص المغرب إلا صوت واحد لريحتها عند عرضها أمام الجلسة العامة.

والحدث الثاني يتعلق بإصدار جريدة "المكافح" الأسبوعية التي تحمل علي يعته مسؤولية توجيهها وإدارتها فعرفت نجاحا كبيرا رغم ضربات الرقابة والحجز. وكانت تصدر ملخصا لها بالفرنسية. وفي ماي 1964 تحولت إلى يومية صدر منها ثلاثة أعداد، حيث منعت بمرسوم اتخذته الوزير الأول، ونشر بالجريدة الرسمية.

وفي سنة 1962 كان علي يعته من بين مؤسسي النقابة الوطنية للصحافة المغربية.

وصحبة رفيقيه عبد السلام بورقية وعبد الله العياشي ألقى القبض عليه سنة 1963 إثر حوادث الحدود بين المغرب والجزائر بتهمة "المس بالأمن الخارجي للبلاد"، لكن المحكمة العسكرية بالرباط أطلقت سراحهم بعد ثلاثة أشهر من السجن اعترافا منها بصحة مواقفهم الوطنية.

وفي سنة 1965 بعد منع جريدة "المكافح" أصدر علي يعته جريدة "الكفاح الوطني" التي تابعت مسيرة سابقتها وعرفت تقدما ونجاحا لا يستهان بهما.

ومنذ منع الحزب، سنة 1959، تفرغت قيادة الحزب بما فيها علي يعته للعمل من أجل الحفاظ على هياكل الحزب سرىا، وإعادة هيكلته وتدقيق إيديولوجية وأرضية سياسته. وهكذا اجتمع المؤتمر الثالث للحزب، في سرية تامة، في شهر يوليوز عام 1966، ودام ثلاثة أيام قدم خلالها علي يعته تقريرا سياسيا باسم الديوان السياسي، تبناه المؤتمر بالإجماع وكان يقضي بالارتباط المتين بالواقع المغربي والانطلاق منه في كل الأعمال والتركيز على كل القضايا المغربية أولا وقبل كل شيء، والاعتماد على مبادئ الإسلام ومثله العليا مع الاحتفاظ بأفكار وأساليب تحليل الاشتراكية العلمية. كما قرر المؤتمر تغيير اسم الحزب وتعويضه بحزب التحرر والاشتراكية.

وفي سنة 1968، تم تأسيس حزب التحرر والاشتراكية، وانتخب علي يعته أمينا عاما له. وفي سنة 1969 شارك علي يعته على رأس وفد من الحزب في ندوة الأحزاب الشيوعية والعمالية العالمية بموسكو حيث طرح ودافع عن القضية الفلسطينية والعربية، لكن سرعان ما ألقى عليه القبض بتهمة تأسيس حزب محظور، وحكم عليه بعشرة أشهر سجنا نافذا كما تقرر منع حزب التحرر والاشتراكية. لكن رغم هذا المنع تابع الحزب مسيرته بكيفية سرية برئاسة علي يعته وجابه القمع الذي سلط على عدد من أعضائه، إلى أن تم لقاء بين علي يعته وصاحب الجلالة المغفور له الحسن الثاني خلال شهر سبتمبر 1972 أي بعد محاولتي الانقلاب اللتين عرفهما المغرب في يوليوز 1971 وغشت 1972. وإثر ذلك، أصدر علي يعته يوم 24 نونبر 1972 جريدتين

أسبوعيتين واحدة منها باللغة العربية والأخرى باللغة الفرنسية، تحت عنوان : "البيان" اللتين تحولتا يوم 15 ماي 1975 ، إلى يوميتين تصدران بانتظام إلى حد الساعة، بالإضافة إلى أسبوعية ثقافية.

هذا ولا بد من الإشارة إلى أن علي يعتة أصدر سنة 1972 ، كتابا باللغة الفرنسية، تحت عنوان : "الصحراء الغربية المغربية" وهو كتاب يتكون من 320 صفحة، وينقسم إلى قسمين : القسم الأول يتضمن دراسة صدرت حول الساقية الحمراء ووادي الذهب، ويبدو أنها أول دراسة صدرت في المغرب حول هذا الموضوع، والقسم الثاني يحتوي على مجموعة من الوثائق حررها علي يعتة وصدرت بامضائه من سنة 1956 إلى سنة 1972.

في غشت 1974 تأسس حزب التقدم والاشتراكية، وانتخب الرفيق علي يعتة أمينا عاما له. في فبراير من 1975 وبعد شهر من ذلك قام بجولة رسمية في الدول الاشتراكية دفاعا عن القضية الصحراوية وقد استقبل من لدن رؤساء هذه الدول الصديقة، وساهم في دورة الأمم المتحدة خلال شهر نونبر 1974، ضمن الوفد المغربي الرسمي للدفاع عن مغربية صحرائنا الجنوبية الغربية وقام بمهمة رسمية لدى الرئيس الكوبي فيدال كاسترو في شهر أبريل 1975 . وبانطلاق المسيرة الشعبية إلى الصحراء في شهر نونبر 1975 كان علي يعتة في طليعة المساهمين فيها، ونال وسام المسيرة الخضراء، وفي نفس الإطار عاود خلال أبريل - ماي 1976 القيام بمهمة رسمية في شتنبر 1976 في مؤتمر كولومبو لدول عدم الانحياز.

وسنة 1977 ، تقدم علي يعتة للانتخابات التشريعية، وفاز في الدائرة الأولى بالدار البيضاء، أي المدينة القديمة. كما فاز في نفس الدائرة سنة 1984 وفاز أيضا في انتخابات 1993 . وقد تميز عمله كنائب برلماني بنشاط كبير منقطع النظير في مختلف المجالات المرتبطة بالحياة التشريعية.

وفيما يلي بعض من أعماله خلال أدائه التشريعي :
- اقتراح رقم 10878 بتاريخ 29 / 10 / 1979 :
- اقتراح قانون يتعلق بتوسيع فوائد ظهائر 16 مارس 1959 إلى المواطنين العسكريين والمدنيين الذين استشهدوا نتيجة مشاركتهم المباشرة أو غير المباشرة في الدفاع عن الوحدة الترابية للبلاد وكذا لأراملهم وأسلافهم.

- اقتراح رقم 11706 بتاريخ 26 / 12 / 1979 :
- اقتراح قانون يتعلق بحماية الأطفال ووقاية الأحداث المأجورين.

- ملتمس رقم 11578 بتاريخ 20 / 12 / 1979 :
- ملتمس يتعلق بإلغاء الإجراءات القانونية المتخذة في حق كل من رجال التعليم ورجل الصحة.

- اقتراح رقم 12665 بتاريخ 2 / 5 / 1980 :
- اقتراح قانون حول نظام الأجور.
- ملتمس يومي إلى إطلاق سراح المعتقلين وعودة المنفيين سنة 1980.

- اقتراح رقم 13565 بتاريخ 17 / 7 / 1980 :
- اقتراح قانون يقضي بإصلاح النظام الجبائي المغربي.
- اقتراح رقم 1865 بتاريخ 23 / 7 / 1981 :
- اقتراح قانون يتعلق بالإصلاح الزراعي.
- ملتمس رقم 1621 بتاريخ 25 / 6 / 1981 :
- ملتمس حول الزيادة الأخيرة في أسعار المواد الغذائية.
- ملتمس رقم 851 بتاريخ 8 / 6 / 1982 :
- ملتمس حول كارثة الجفاف والتدابير الإلزامية التي يجب اتخاذها لمراجعة آثاره.

- ملتمس رقم 1583 بتاريخ 1 / 11 / 1984 :
- ملتمس يتعلق بالسماح للموظفين بمزاولة دراستهم الجامعية.
- ملتمس رقم 251 بتاريخ 17 / 1 / 1983 :
- ملتمس يتعلق بتجميد الأسعار ورفع الأجور.
- اقتراح رقم 1550 بتاريخ 23 / 12 / 1985 :
- اقتراح قانون إطار حول الأسعار والأجور.
- ملتمس رقم 1306 بتاريخ 29 / 9 / 1987 :
- ملتمس من أجل إنجاح الخطة الوطنية للتلقيح ...
في مجال الإعلام والصحافة، مارس علي يعتة، يوميا، مهنة الصحفي.

كتب آلاف المقالات والدراسات التي نشرت منذ سنة 1944 إلى يومنا هذا في الصحف الوطنية والأجنبية، دفاعا عن المصالح العليا للوطن وعن حقوق الشعب ومطالب الكادحين.

وكان آخر إصداراته، كتابه : من وراء القضبان (Luttes derrière les barreaux) ، ضمن سلسلة كان ينوي نشرها، والذي يروي فيه النضالات التي خاضها هو وحزبه ضد الاستعمار.

إجمالا، يمكن القول بأن المرحوم علي يعتة ترك تراثا حيا وكثيفا، وهو رسالة ملقاة على عاتق "مؤسسة علي يعتة" التي قرر رفاقه في حزب التقدم والاشتراكية تأسيسها لتسهر على نشره والتعريف به.

توفي يوم 26 غشت 1997 بالدار البيضاء إثر حادثة سير.

علي الإدريسي

يعقوب (مولاي -)، يقع مركز حامة مولاي يعقوب في أقصى جنوب بلاد شراكة - لمطة، الموافقة لمجال امتداد تلال مقدمة الريف الجنوبية. اقترن اسم هذه الحامة بأقدم محطة حرارية، كبريتية مغربية على الإطلاق، وتقع ضمن مجال جهة فاس - بولمان، شمال غرب مدينة فاس على بعد حوالي 21 كلم، حيث تحتل تبعا لمخطط التهيئة الجديد، مساحة تناهز 300 هكتار. تنتمي الحامة لمجال الجماعة القروية سبع رواضي، التي تحدها غربا الجماعة القروية واد ميكس، هذا في الوقت الذي أصبح فيه مركز حامة مولاي يعقوب، يمثل

بلدية بعد انتمائه إداريا تبعا للتقسيم الجهوي المطبق منذ سنة 1996 إلى عمالة زواغة - مولاي يعقوب، التابعة لولاية فاس الكبرى، وتضمن الطريق الثانوية رقم 308 الربط بينهما. مناخ المحطة قاري تتراوح حرارته حسب الفصول بين أقل من 1° شتاء و 42° صيفا، مقابل تساقطات لا يتعدى معدلها في السنوات العادية 400 مم.

يتشكل موقع الحامة من الواجهة البنيوية في طبوغرافية صلصالية، يمثل تل للاشافية أعلاها ارتفاعا بما يقارب 300 م، يجسد مجال طية محدبية انكسارية عميقة تحت الصلصال الطرطوني من جهة، ومجال اتصال غير عادي من جهة أخرى، بين البنية الزاحفة لفرشات مقدمة الريف التبوغرافية، السابقة للغمم الميسيني في الشمال، والبنية الراسخة "Autochtones" البليورباغية لهضاب سايس - فاس الكلس بحيرية في الجنوب. يفسر هذا الوضع المورفوني، انبثاق العينون الكبرى الحرارية التي تشتهر بها الحامة. عيون مصدرها فرشات مائية جوفية، عميقة بحوالي 1200 م، ذات صبيب معدله 8 ل / ثا، تبلغ حرارتها عند السطح 53°.

عيون غنية بالمعادن، ومع ذلك فإنها تبقى محايدة. بفضل هذه المياه ومنذ مدة طويلة، اكتسب مركز مولاي يعقوب شهرته الوطنية بل الدولية أيضا. لكن هذه المياه ظلت تستغل بطرق تقليدية حتى سنة 1968، والتي انطلقت خلالها عملية استثمار متطورة من طرف شركة Sothermy، وذلك بتشبيد مركز حراري طبي، يحتوي على قاعة لعلاج ORL وعيادات متخصصة في أمراض الروماتيزم والمفاصل U.K.S إضافة لى مسابح بسيطة لعلاج الأمراض الجلدية مثل الجذري، والتي كان أغلب المستحمين سابقا، يقبلون على مولاي يعقوب من أجل التعافي منها.

ومن أجل تحقيق تجهيز أنسب واستغلال أحسن لمياه الحامة، تم في سنة 1979 تعويض الشركة الأولى بالشركة الحرارية الطبية لمولاي يعقوب (Société Thermo-Médicale) (de Moulay Yakoub)، التي أنشأت بهدف تسيير المنشآت الحرارية الموجودة، وإنجاز برنامج كبير ومهم يشمل فندقا من ثلاثة نجوم، يحتوي على 60 غرفة و 120 سريرا، إضافة إلى جناح يضم 60 غرفة من الصنف المتوسط، تسع 280 سريرا، هذا إلى جانب بناء منشأة حرارية من الطراز العالمي عند قدم تل للاشافية شمالا، تبلغ مساحتها الإجمالية 6.250 م². وذلك بهدف ضمان علاج ما يفوق 800.000 زائر في السنة. ولاسيما بعدما تم تحديث المسابح الموجودة سابقا، لتصبح حامة مؤهلة لاستقبال أزيد من مليوني زائر في السنة، وفعلا تمكنت الحامة سنة 1980 من استقبال 142.028 زائرا، وإن كان أغلبهم يفضل الاستحمام في المسابح التقليدية العادية، نظرا لرخص ثمن الاستحمام فيها.

وقد ترتب عن هذه الطفرة في منشآت حامة مولاي يعقوب وارتقاؤها إلى مستوى بلدية، ضمن عمالة زواغة مولاي يعقوب، وتوفرها على تجهيزات خدمتية سياحية

فندقية، تجارية عصرية ثم إدارية وتعليمية، حدوث تطور ديموغرافي كبير في ساكنة الحامة، التي بلغت في السنوات الأخيرة 2.726. ساكنة تتضاعف 200 ٪ بفعل إقبال المستحمين في فترات العطل، بما في ذلك عطلة فصل الصيف، خصوصا وأن سنوات الجفاف التي عرفها المغرب خلال العقدين الأخيرين من القرن الفارط، دفعت بالعديد من سكان القبائل المجاورة الأكثر تضررا، إلى الاستقرار بمولاي يعقوب قصد الاستفادة من خدماته الإدارية ومن فرص العمل، التي ارتبطت ببناء المركب الطبي العصري، بهدف رفع جودة ونوعية الخدمات المقدمة للمستحمين المغاربة والأجانب على السواء. بحيث أضحت الحامة قبلتهم الرئيسية، طلبا للتداوي من أغلب أنواع الأمراض الجلدية، وتلك المتعلقة بأمراض الروماتيزم والمفاصل. الشيء الذي أدى إلى حدوث تحول جوهري في نسيج البلدية العمراني، أخذ يتحول من سكن قروي بسيط إلى معمار عصري، أنشئ أغلبه لخدمة المستحمين.

محمد الطيلسان، كتلة زهون وهوامشها الشمالية الشرقية، شمال سايس فاس - مكناس، دراسة جيومرفولوجية، د.د.ع كلية الآداب، الرباط، 1986؛ التطور الجيومرفولوجي المعكوس لتضاريس الهوامش الشمالية لسايس فاس منذ الحقبة الفيلاقرانثية، مجلة المصاحبة، ع. 2، كلية الآداب فاس سايس، 1996؛ هضاب زعير السفلى الغربية وساحلها، التكوينات السطحية وتطور الوسط الطبيعي منذ النيوجين، أطروحة دكتوراه الدولة، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، الرباط، 1999.

C.D.R.D., *Etude démographique : situation et perspectives démographiques du Maroc*. Secrétariat d'Etat à la population, Royaume du Maroc, 1997 ; Ministère d'Economie, des Finances, de la Privatisation et du Tourisme, *Le tourisme au Maroc en 2001*, Département du tourisme, Direction de la planification ; *Monographie du pachalik de Moulay Yacoub*, Ministre de l'Intérieur, Wilayae Fès, 1990 ; *Plan de Développement Economique et Social 2000-2004*, Vol. 2, Le développement sectoriel, 3ème partie, l'infrastructure économique. Ministère de la Prévision Economique et du Plan, Direction de la programmation ; *SDAU, Rapport justificatif*, Ministère de l'Intérieur, Royaume du Maroc, Nov. 1991 ; *SNAT, Bilan - Diagnostic - Actualisation des données*, phase III, dernière version, Ministère de l'Aménagement du Territoire, de l'Urbanisation, de l'Habitat et de l'Environnement. Royaume du Maroc, 2001 ; J.F. Troin, *Maroc : régions, pays, territoire*. Ed. Tarik, Maisonneuve et Larose, 502 p., 2002. محمد الطيلسان

يعقوب (ابن -) عبد الحق المريني، بن محيو بن أبي بكر المريني، يلقب بالمنصور بالله، أمه أم اليمن بنت علي البيطوي الزناتي. ولد سنة 607 / 1210. كان صواما قواما كريما حسن السيرة. بوع له بالخلافة بمدينة فاس بعد وفاة أخيه أبي بكر، وذلك في 29 رجب عام 656 / 1258. دخل مدينة مراكش وقضى على دولة الموحدين، وملك كافة مدن المغرب، ما بين طنجة وسجلماسة إلى وجدة، إضافة إلى عدد من المدن الأندلسية. وفي سنة 666 / 1267 عزم على منازلة أمير تلمسان، فكانت واقعة تلاغ التي انهزم فيها بغموراسن وقتل أكبر أولاده وولي عهده عمر.

وفي نصف رجب من سنة 670 / 16 فبراير 1272 كانت واقعة إسلي بين يعقوب بن عبد الحق ويغموراسن بن زيان، بوادي إسلي علي مشارف وجدة، فانهزم يغموراسن وقتل ولده أبو فارس، فهرب باتجاه تلمسان، ولحقه عبد الحق المريني. فلما وصل وجدة وقف عليها حتى هدمت نهائياً وخربها، "وجعل عاليها سافلها، وتركها قاعاً صفصفا... ولم يبق لها أثر".

توفي يعقوب المريني بالجزيرة الخضراء يوم الثلاثاء 22 محرم عام 685 / 1286 فحمل إلى رباط الفتح ودفن بمسجد شالة.

ابن أبي زرع، الأنيس، ص. 297، 374؛ مارية دادي، تاريخ مدينة وجدة، أطروحة مرقونة بخزانة كلية الآداب بوجدة، 2002، ج 2، ص. 344.

مارية دادي

اليعقوبي، أحمد بن المحفوظ الأودزي ولد بقرية أودز سنة 1331 / 1913 وتعلم القرآن على مجموعة من المعلمين فحفظه بعدة روايات، ثم انتقل إلى دراسة العلوم العربية والدراسات الإسلامية، في مدرسة الأخصاص وكان الوقت وقت مجاعة سنة 1347 ثم عاد إلى مدرسة أودز لدى والده، وقد ألم بجميع العلوم التي تدرس.

ولما تولى أخوه سيدي عيسى القضاء في المحكمة العرفية في عهد الحماية، كان ينوب عنه في التدريس بمحكمة الأخصاص، ثم غادر المدرسة طلباً للدراسة بمدينة فاس ومنها إلى مدينة وهران بالجزائر ثم إلى مدينة تونس أخيراً وذلك حوالي سنة 1358 / 1939 حيث وصل تونس بإغراء من بعض الطلبة، وكان يحضر الدروس في جامعة الزيتونة ولما كانت الفترة فترة الحرب العالمية الثانية. انتشرت حالة الطوارئ وامتدت الحرب إلى تونس عند وصول الحلفاء إليها سنة 1942 فكان سفره إلى تونس مشؤوماً حيث بقي بها سنتين عاد بعدها إلى الوطن فلم يتابع الدراسة ولم يشتغل بمهمة واكتفى بعمل زهيد بسبب الاستعمار. فنزل بفاس ثم مراكش ووصل إلى بلاده حيث تولى المشاركة إماماً ومدرساً في مسجد سيدي أحمد أموسى بتازروالت سنة 1946 وتزوج سنة 1368 / 1948 وكانت الأزمة المغربية على أشدها خاصة بعد نفي السلطان محمد الخامس، ولما استقل المغرب ورجع محمد الخامس. كان اليعقوبي سيدي أحمد ضمن وفد جمعية علماء سوس الدين قدموا لتنهنته بالسلامة والعودة مظفراً.

بعد ذلك حضر أول مؤتمر لجمعية علماء سوس بتارودانت سنة 1956، فوقع تعيينه ضمن هيئة التدريس بالمعهد الإسلامي الذي أنشئ حديثاً، بتارودانت فقبل الالتحاق براتب من الجمعية وفي سنة 1957 تقدم لاجتياز الشهادة العالمية بالرباط مع جمع من العلماء فحصل عليها، وتم توظيفه بالمعهد كأستاذ للغة العربية والدراسات الإسلامية وتخرج على يده العديد من الطلبة.

ويعد اثنتي عشرة سنة من التعليم تقدم في سنة 1968 بطلب لمنصب القضاء بوزارة العدل وتم قبوله لمؤهلاته، ولكنه عدل عن الفكرة بعد الاستشارة. واستمر إلى أن حصل على التقاعد، فأسس سنة 1973 "المدرسة الجشتيمية" بمدينة تارودانت لاستقطاب تلاميذ المدارس العتيقة وإحاقهم بالتعليم العصري وكان مديراً لها بين سنوات 1982 - 1983، فخلفه الأستاذ أحمد شاعري الزيتوني، ثم تولى الدراسة في مدرسة أودز زمناً، التزم التصوف وهو دائم الذكر، وقد حفر قبره قبل وفاته بمدة.

كان مخلصاً في جميع دروسه محبا لطلابه، وقد ترك من الآثار المكتوبة مجموعة من الدروس النموذجية في مادة اللغة والنحو والفقه والتفسير، كما ترك جانباً من تراجم أسرته بما فيها ترجمته مديلاً بها كتاب: "أنساب اليعقوبيين"، وله مجموعة من الأشعار.

توفي في عاشر رمضان 1412 / الموافق 26 مارس 1991.

عمر أفا

اليعقوبي، أحمد بن محمد، أحد رموز حركة التصوف وأقواها نفوذاً وتجزراً في المخيال الاجتماعي والرمزي الجماعي لسكانة أوطاط الحاج بحوض ملوية الأوسط. يعود تاريخ نشأته حسب ما تشير إلى ذلك المحافظة الشعبية المحلية إلى القرن العاشر (16). تلقى مبادئ التصوف وتدرج في مدارجه تكويناً وسلوكاً وطريقة على يد الشيخ القطب أحمد بن يوسف الراشدي الملياني بالمغرب الأوسط رفقة سيدي يعقوب بن عبد الواحد دفين قرية ارشيدة وأحد أعلام ذاكرتها الروحية الجماعية. أسس زاويته لدى عودته بموضع يدعى "مسكي" الواقع في بلدة عيوش على ضفاف نهر ملوية، وهو موقع بقدر ما يشبع الحاجة إلى الماء ضمن مجال بيئي شبه جاف لا تتحقق فيه مثل هذه الإمكانية إلا نادراً، يمثل نقطة وسطى تلامس مجالين جغرافيين متباينين إثنيا وثقافياً هما مجال المجموعة الأمازيغية في الجبل والمجموعة العربية في المنبسط.

قامت زاوية سيدي أحمد اليعقوبي منذ تأسيسها بمهام ووظائف غاية في الأهمية تجاوزت دائرة استقطابها أحياناً النطاق المحلي لتشمل امتدادات جغرافية أوسع أفقا. فإلى جانب قيامها بمهمة تحفيظ القرآن الكريم والوعظ والإرشاد الديني والروحي وفق قواعد وتعاليم الإسلام السني، نهضت أيضاً بوظيفة التحكيم في النزاعات والخصومات التي كانت تقع بين الأفراد والجماعات حول قضايا الأراضي الزراعية والمراعي الجماعية وحدودها والمياه وتوزيعها والأحوال الشخصية وغيرها، وهي وظيفة استمر حفدة الشيخ سيدي أحمد اليعقوبي يقومون بها إلى عهد متأخر للغاية بحكم ما ظلوا يتمتعون به من قداسة روحية ونزعة مسالمة، ويتصفون به من حيادية اجتماعية ونزاهة أخلاقية. كما قامت الزاوية

أيضا بتوفير الحماية والأمن للسابلة وعابري الطريق خصوصا حينما كانت تشيع الفتن وتنفجر الصراعات بين القبائل المحلية في زمن المسغبة مثلا وذلك بوصفها حرما. هذا فضلا عن اضطلاعها بوظيفة إطعام الطعام ومعالجة بعض الأمراض كالجنون والعقم والجذري وغيرها. والجدير بالملاحظة في هذا السياق أن الزاوية اليعقوبية لم تنجح في القيام بهذه الوظائف والمهام إن كلا أو جزءاً سواء في علاقتها مع المحيط المحلي أو الخارجي إلا من خلال إنتاجها وتوظيفها على نطاق موسع لمفاهيم البركة والشرف والكرامة باعتبارها مفاهيم قدسية حُصت لها وحدها شرعية احتكارها وحيازتها مادامت أصول نسبها تنحدر من آل البيت ومادامت علاقتها بالإسلام الشرعي علاقة متصلة على الدوام.

لذلك لم يكن من الغرابة في شيء أن تتسع أملاك الأسرة اليعقوبية وتنوع موارد دخلها كما وكيفاً سواء في مذرشر مسكي موطن الزاوية الأصلي أو في منطقة العرجان التي أسس بها حفدة الشيخ سيدي أحمد اليعقوبي في فترة لاحقة فرعا آخر للزاوية. حيث استطاعت هذه الأسر وأعقابها عبر الزمن حيازة عقارات واسعة وامتلاك نوبات بكاملها من الماء وتكوين قطعان وافرة من المواشي، وهي ثروة اكتسبها شرفاء الزاوية من خلال هدايا "الخدمة" و"الفتوح" التي كانت تقدمها القبائل بانتظام عند انتهاء كل موسم فلاحي إضافة إلى الإكراميات والهبات المختلفة التي كانوا يحصلون عليها في بعض المناسبات الظرفية عند قضاء حاجة من الحاجات أو درء مفسدة من المفاسد، علاوة، طبعاً، على امتيازات الإعفاء من الكلف والوظائف والتسخيرات المخزنية التي تخولها لهم ظهائر التوقير والاحترام يبعثها لهم المخزن المركزي ويتم تجديدها عند اعتلاء كل سلطان جديد دفعة الحكم في البلاد.

وما من شك في أن هذه المشارب المادية على تنوع مصادر دخلها فضلاً عن السلطة الروحية والرمزية التي ظل شرفاء الزاوية اليعقوبية يمتلكونها خلفاً عن سلف قد سمحت لهم عبر سيرورة التاريخ المحلي باحتلال المكانة الأولى في السلم الاجتماعي المحلي بدون منازع، وهي مكانة كانت تستمد أسباب استمرارها وتجذرها زماناً ومكاناً ليس فقط من القيمة الاعتبارية والمعنوية التي كانت تحظى بها رموز الزاوية في الوسط الاجتماعي المحلي ولكن من كثرة "الخدمات والأبتاع" الذين كانوا ينتشرون في أماكن وأفاق مختلفة تشمل على سبيل المثال لا الحصر كلا من أولاد البوكايس والطوال وأولاد جرار وأهل ركو وأولاد داود وأولاد خاوة وقبيلة الأحلاف وأهل أنجاد... إلخ.

ابن عسكرة، دوحة الناصر، نج. م. حجي، 1424 / 2003 ؛ م. الصغير الإفرائي، صفوة، تقديم ونج. عبد المجيد خيالي، 1425 / 2004 ؛ المهدي الفاسي، تمتع الأسماح، نج. وتعليق، عبد الهى العمروي وعبد الكريم مراد، ؛ وثائق محلية ؛ مقابلات وتجربات ميدانية.

الفقيه الإدريسي

اليعقوبي، عيسى بن المحفوظ الأدوزي، ولد أواخر سنة 1313 / 1896، أخذ القرآن بمدرسة أدوز وفي آيت همّان عن الفقيهين سيدي محمد أسوير وسيدي محمد المشهور ب: همو نُدِيرِك حتى بلغ خمس عشرة سنة.

انتقل إلى مستوى تحصيل العلوم فبدأ لدى والده سيدي المحفوظ، ثم استزاد فأخذ عن ثلثة من علماء عصره بالمدرسة الامسرائية الافرائية وانقطع عن التدريس سنة 1340 / 1922، وتزوج السيدة أمّنة بنت الفقيه سيدي محمد بن مسعود المعذري سنة 1342 / 1924 وبعد عام المجاعة 1345 / 1927 شارط في مدرسة "ميرا" ثم نديه والده للمشاركة في مدرسة "سيدي علي بن سعيد" بالاختصاص بمؤازرة قائد هذه القبيلة المدني الأخصاصي. سنة 1929 فالتف حوله عدد كبير من الطلبة، ولما كانت هذه السنوات سنوات جفاف خفض من عدد الطلبة، وأسعفه القائد في القيام ببغض النوزال فقصدته الناس من كل جهة على الرغم من وجود عدد من العلماء المشهورين في الإقتناء في هذه الناحية، وقد استمر في هذه المدرسة أربع سنوات حتى توفي والده سيدي المحفوظ سنة 1351 / 1933 فاضطر إلى أن يتحول إلى مدرسة والده بأدوز للقيام بالتدريس وبالاهتمام بإخوته هناك، فقام بدور والده في إلقاء الدروس في جميع الفنون كما كان يقوم بالوعظ والإرشاد وتوجيه الناس والدعوة إلى مقاومة الاستعمار. وفي سنة 1934 اخترقت طلائع الجيش الفرنسي المحتل هذه الجبال الجزولية، فهاج لناس والتجأوا إلى العلماء وفيهم سيدي عيسى الذي كان يحضر تجمعات تقام لهذا الغرض فالتف الناس حوله مما هيّج سلطة الحماية في منطقة أنزي فأمره الحاكم الفرنسي "دوانه Dounah" بمكتب أنزي أن يغادر المدرسة والخروج من البلد فالتحق من جديد بمدرسة سيدي علي بن سعيد بالاختصاص، وكانت أسرته تحتزن بعض الأسلحة فألح الفرنسيون في طلبها، فوقع تسليم ما كان عند والده من السلاح.

وبإعانة من القائد الأخصاصي، عُيّن عضواً في المحاكم العرفية لفضّ النزعات وقد أحرز على ثقة المخزن لحبه للإنصاف، فأقبلت عليه الدنيا ولم يزل على ذلك حتى غادر تلك الوظيفة بلطف.

وعاد إلى المدرسة الأدوزية في حدود 1379 / 1950 فكان من علماء سوس الكبار وهو متصوف مع تواضع كثير، وقد أقبيل في وفد من العلماء إلى الرباط للسلام على السلطان محمد الخامس وتهنئته بالعودة من رحلته من المشرق سنة 1958.

توفي يوم السبت 12 رمضان 1384 / 15 يناير 1965. محمد المختار السوسي، المعسول، ج 5، ص. 5 وما بعدها ؛ خلال جزولة، ج 2، ص. 43 - 93 ؛ محمد بن أحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج 2، نج. بومزكو ؛ عمر الساحلي، المعهد الإسلامي بتارودانت والمدارس العتيقة بسوس، ج 3 ؛ الرائدة الشفوية.

عمر أفا

اليعقوبي، القائد **محمد بن عبد الله**، أحد قواد العهد الحفيظي في السراغنة، ولد بفرقة أولاد يعقوب هناك عام 1870، وهو ينتمي إلى الشرفاء أولاد سيدي يعقوب المتعددين الذين ساهموا في إدخال الإسلام إلى المغرب الأقصى والأدنى، أسرته مخزنية قديمة، فقد كان جده رحال شينخا، وكذلك والده عبد الله إلى أن توفي في العهد العزيري.

اشتغل محمد هذا مع أخيه الفاطمي بعد وفاة والدهما وهما صغيران بالرعي وقراءة القرآن الكريم، فرحلا من أجل ذلك إلى فرقة الدوز ثم إلى الحمادنة، حيث أصبح محمد طبالا في الجيش العزيري وذلك على يد الآغا المولودي بن سلامة الحماداني، ثم مسيرا لأملاك هذا الأخير الذي توسم ألمعيته فأوكل إليه بناء داره بالحمادنة وتسيير مواشيه التي تمت على يده، إلا أنه لازدياد حظوته لديه ما لبث أن تضايق منه القائد الجيلالي بن المؤذن (1894 - 1907) الحماداني، فحدث بينهما ما أوجب سجنه من طرفه، مما جعل أخاه الفاطمي يتدخل لدى القائد المدني الأگلاوي لإطلاق سراحه.

لما بوع المولى عبد الحفيظ سلطانا بمرآكش عام 1907، كان محمد اليعقوبي هذا من المؤيدين لهذه البيعة، ولنفوذ المتصاعد بالسراغنة، وحظوته لدى گلاوة، فقد تسلم ظهير التعيين قائداً على قسم من السراغنة مكان آل ابن المؤذن، وهذا عام 1325 / 1907، وتكونت إبالته من حواوصة السراغنة، أما فريق ساورة فأسند إلى رحال بن الكديدة ورحال بن بوشعيب الخيراوي.

كان محمد بن عبد الله كريما سخيا بوجوده على الضعفاء والمساكين، فكانت قصبته بالحمادنة لا تفرغ من الداخل والخارج والضيوف، ومن أعماله مساهماته الكبرى في استسقاء منطقة الحدرة الرعوية الشاسعة من بني مسكين، وإجراء الساقية البروطية من تساوت، وحدث أنه في عام 1911 استنجد به القائد الغافي الخلوفي المجاور ضد هجمات بربر الأطلس، فتوفي في أثناء ذلك.

الحسن شوقي، قبيلة السراغنة خلال القرن التاسع عشر، مرقون، ج. 1، ص. 338.

M. et Ed. Gouvion, *Kitab Aâyane al Maghrib al Aksa*, Paris, 1939, p. 400.
الحسن شوقي

يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى، تولى أمر بني يفرن بعد مهلك والده محمد بن صالح في الفتنة التي اشتدت بين بني يفرن ومغراوة حول زعامة زناتة بالمغرب الأوسط. دخل في طاعة بني مروان زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر، فعظم صيته ببلاد المغرب، وغزا باسمه المناوئين للدعوة المروانية من الأدارسة والعباسيين، فاحتل مدينة وهران سنة 343 / 954، وملك ما بين تاهرت وطنجة. وأمام محاولات التوسع المرواني في بلاد المغرب وما يمثله من تهديدات على النفوذ الشيعي في إفريقية، أرسل المعز لدين الله العبيدي جيوشه بقيادة

القائد الشهير جوهر الصقلي إلى المغرب الأقصى سنة 347 / 958 لحرب أعدائه، فاتصل خبر الحملة بيعلى صاحب طنجة ونائب الخليفة الناصر على بلاد العدو، فحشد جنده من بني يفرن وبعض قبائل زناتة والتقى بجيش جوهر على مفربة من مدينة تاهرت، وتمكن هذا الأخير من هزم بني يفرن وزناتة وقتل أميرهم يعلى وقطع رأسه الذي حمل إلى القيروان. وبعد مقتل يعلى سنة 347 تفرق أمر بين يفرن، وبعد مدة التأم ملكه على يد ولده يدو بن يعلى.

ينسب إلى يعلى اختطاط مدينة إيفكان من أحواز تلمسان سنة 338 / 949 في سفح جبل وأنشريس.

ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، القسم الثالث، الدار البيضاء، 1964؛ ابن خلدون، العبر، ج 7، بيروت، 2000؛ مجهول، مفاخر البربر، الرباط، 1934؛ الناصري، الاستقصا، ج 1، الدار البيضاء، 1954.

رشيد السلامي

يعيش (آل يعيش)، يعود أصل أسرة يعيش إلى الساقية الحمراء. إذ هاجر جداهم "سيدي يعيش" منذ القرن السابع عشر واستقر بمنطقة الغرب. فأقام رباطا يدرس فيه العلم. وأطلق عليه رباط "أولاد يعيش". فعظمت مكانة "أولاد يعيش" وسط قبائل بني احسن لدرجة أن أفراداً من الأسرة أصبحوا شيوخا بارزين في المنطقة.

كان أول اتصالهم بالمخزن في عهد المولى سليمان. الذي عين "الشيخ علال بن عبد القادر العايشي" قائدا للرحى. فاستقر بالبلاط السلطاني بمكناس، كما قاد الجيوش خلال كل الحركات التي قام بها هذا السلطان إلى مختلف جهات المغرب، فكان ذلك بداية لصعود وحظوة "آل يعيش" لدى المخزن، فأصبح الابن يخلف أباه في المنصب ولهذا أصبح يعيش يسمى "بن يعيش" وهكذا عين المولى عبد الرحمان أحد أبناء علال السابق الذكر، وهو الحاج محمد بن يعيش.

قائداً للمشور داخل البلاد السلطاني، وأقره بعد ذلك سيدي محمد بن عبد الرحمان في هذا المنصب، وكذلك السلطان المولى الحسن إذ خدم ثلاثة ملوك، إلى أن أدركته الوفاة وسنه 95 عاماً، فخلفه ابنه إدريس بن يعيش في المنصب، وقد ترقى إلى أن أصبح من رجال الدولة المرموقين، إذ عينه السلطان المولى عبد العزيز عاملا على وجدة سنة 1895 لمواجهة الأطماع التوسعية الفرنسية انطلاقا من الجزائر، والإسبانية انطلاقا من مليلية. فأبان عن مؤهلات سياسية كبيرة، وقدرة على مناورة القوى الاستعمارية. وذلك لتأجيل الضربة القاضية. وإيقاف تحرشات الاستعمار الذي شرع في اقتضام أجزاء من التراب الوطني.

وفي هذا الصدد يقول العقيد فوانو Voynet "... لقد كان هذا الموظف المخزني السامي، مكلفا باستتباب الأمن، والمحافظة على هيبة المخزن في المغرب الشرقي. وأبان عن قدرة فائقة في تسيير شؤون المنطقة، وأقام حامية عسكرية

هامة، 400 عسكري من المشاة و80 من الخيالة وأمدته المخزن بأربعة مدافع...".

كما قام في ظرف وجيز بتحصين وجدة بسور عظيم، ورغم لقائه بالحاكم العام للجزائر "جول كامبو" Jules Cam-bon، فإنه لم يتمكن من تغيير خطة الاستعمار الفرنسي، مما جعل قبائل بني يزناسن تعيش في انتفاضة مستمرة بعدما أدركت النوايا العدوانية للاستعمار. وهذا ما قلص من نفوذ العامل إدريس بن يعيش، فعزل سنة 1897، وعين خليفة للسلطان بتطوان وباشا للمدينة. وبعد وفاته تولى ابنه مصطفى بن يعيش مكانه خليفة للسلطان بتطوان. واستمرت أسرة آل يعيش في خدمة البلاط الملكي، بسبب الحنكة التي يدير بها أفرادها المناصب المخزنية السامية.

الوثائق، مجموعة وثائق دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية، المجموعة 3 و4، المطبعة الملكية، الرباط 1977؛ الناصري، الاستقصا، ج. 9، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956.

Marthe et Edmond Gouvion, *Kitab Aayane al Marhr-rib l'Akça, Livre des grands du Maroc*, Paul Geuthner, Paris, 1939 ; Docteur F. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, Rabat, 1947, Ed. La Porte.
عبد القادر بوراس

اليعيشي، محمد بن أحمد المسكينى المراكشي، جمع في أخلاقه وصفاته بين الزهد والورع والنسك وبين الصدق والعدل والقناعة. أخذ العلم عن والده أحمد اليعيشي، ومن مجالس أهل العلم والفضل بمراكش ممن اشتهروا بسعة علمهم كالقاضي سيدي عبد القادر الحشمي ومولاي أحمد بوغريال وسيدي الحسن الفيالي، كما أخذ القراءة عن الأستاذ سيدي محمد الجبلي والطريقة المختارية في التصوف عن الفقيه ابن دحو بأزمور، ثم حفظ قراءة البصري ودرس الألفية والمقدمة والفقه. وقد اجتمعت كل هذه الروافد والمشارب الفكرية والصوفية لتوجه شخصية محمد بن أحمد اليعيشي لتتبع فكرا وسلوكا نحو التصوف والانتقياض عن الدنيا وهومومها ومفاتها، لذلك فحينما اقتيد ذات يوم إل دار المخزن لاستجوابه عن أمر من الأمور الخاصة وسئل من طرف أحد الوزراء عما يعرف؟ فقال: "أعرف لا إله إلا الله".

اشتغل محمد بن أحمد اليعيشي بالعدالة والتزم في مزاولتها بكل ما تقتضيه من نزاهة واستقامة وعدل، ولم يجعل منها سببا من أسباب العيش الرغيد أو الكسب الوفير، وإنما مصدرا لتحصيل ما يقتات به ويسد به مؤونة يومه. فقد كان يجلس بحانوته بسماط الطالعة في بعض الأحيان، فإذا حصل على قرش أو نحوه ينصرف لحال سبيله دونما أكرات بالمال ولا بمفاخر الدنيا ومكاسيها.

توفي ليلة الجمعة 18 شوال عام 1318.

ع. بن إبراهيم، الإعلام، ج 7، 130 - 131؛ م. عربوش، من أعلام منطقة إقليم تادلة وبنى ملال، الكتاب الثاني، 1991، ص. 90.

91

الفقيه الإدريسي

يفتاس Iphthas هو والد الملك الموري أسكاليس Askalis

الذي حكم بموريطانية بعد وفاة الملك بكوس الأول. انفرد بلوترخوس بذكره هو وابنه، بمناسبة تدخل القائد الروماني سرطوريوس Sertotius في موريطانية حوالي سنة 82 قبل الميلاد، حيث تحالف مع المورين الذين ثاروا ضد أسكاليس، على أن هذه الثورة أودت بحياة أسكاليس وإخوته، فقتلوا في مدينة طنجة.

لقد حاول گسيل المطابقة بين يفتاس وملك موري يدعى لبتاستا Leptasta. لكننا نستبعد هذا الرأي، نظرا لتباعد المدة التي حكم فيها هذا الأخير، والمدة التي عاش فيها يفتاس والد الملك أسكاليس. كما نستبعد أن يكون يفتاس قد حكم موريطانية نظرا لعدم توفر عملة تحمل اسمه، مثله في ذلك مثل ابنه الذي لم تسمح مدة حكمه القصيرة بإصدار عملة باسمه.

محمد مجدوب، أضواء على أوضاع موروسية من خلال حرب يوغرطة، بحوث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، 1999، ع 2-3، ص. 61-82؛ نفسه، مملكة المورين وعلاقتها مع رومة لغاية سنة 33 ق م، فاس، مرقونة؛ دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد، المحمدية، مرقونة.

S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, t. 7, Paris, 1928 ; M. Majdoub, *Les luttes du début du 1er s. av. J-C au Nord de la Maurétanie*, dans Collection de l'Ecole Française de Rome, 166, p. 235-8, 1992 ; Idem, *Pompeus Magnus et les rois maures*, dans *Africa Romana*, 12, 1231-8, 1998.

محمد مجدوب

يفرن: إن أول ما يلفت انتباه المهتم بدراسة هذه المدينة المنتمية إلى الأطلس المتوسط الغربي، هي التقلبات التي لحقت اسمها من حقبة لأخرى من حيث شكل كتابتها التي تغيرت، فتارة تجدها على النحو التالي: "إيفران" أو "يفران" وتارة أخرى على شكل "يفرن" أو "إفران"، ولم يستقر الأمر في النهاية على "إفران" إلا سنة 1993 بعد صدور مرسوم وزاري بتاريخ 25 غشت لنفس السنة وهو الاسم الذي احتفظنا به في هذه الورقة. وكلمة إفران هاته كلمة من أصل أمازيغي وتعني المغارة أو الكهف.

تحتل هذه المدينة داخل الأطلس المتوسط موقعا جغرافيا منفتحا على التراب الوطني بفضل سهولة تضاريسه القليلة التقطع والتمثلة في هضبة إفران الكلسية المنتصبة فوق ارتفاعات تفوق 1600 م، وتريطها بكبريات المدن الطريق الرئيسية الرابطة بين فاس التي تبعد عنها بـ 64 كلم ومراكش، مروراً من أزرو (16 كلم) وخنفيرة، والطريق المؤدية إلى مكناس التي تبعد عنها بحوالي 50 كلم، والطريق المؤدية إلى طنجة عبر سيدي قاسم. كما أنه موقع يتميز بمناخ جبلي وامتداد الغابات وكثرة العيون والضايات حين تغزر التساقطات (ضايعة عوة، ضايعة أحشلاف، ضايعة أفنورير...).

ويمكن القول إنه ليس من باب الصدفة أن نشأت إفران المدينة الجديدة على يد المستعمر بهذا الموضوع. فبحكم ما حبا الله هذا الوسط من جمال الطبيعة وسحرها، وما لهذا المكان من أوجه التشابه والتقارب بأوساط طبيعية جبلية فرنسية وأوربية تذكر المعمرين بديارهم المهجورة البعيدة، جعل السلطات العليا للحماية تعتني به منذ أن بسطت نفوذها على البلاد (1912). حيث لمست مدى أهمية هذه المؤهلات الطبيعية النادرة، ومدى إمكانية توظيفها إستراتيجيا في دعم النظام الاستعماري وتشبيته وجوده اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا بالمغرب، وهو الأمر الذي يتعلق بخلق ظروف استقرار المهاجرين الأوربيين به، وتوفيرهم على كل ظروف العيش القار، ومن ضمنها ظروف المتعة والراحة. وتنعم إفران ومحيطها بكل ظروف الاستمتاع بالهواء النقي واستكشاف ألوان الطبيعة عبر الفصول والتزحلق على الثلج والقنص الغابوي والصيد في مياه العيون والبحيرات، وذلك دون اللجوء إلى السفر الطويل الشاق في زمن كان يحسب للمسافات حسابها.

واعتباراً لهذه المعطيات كلها، قررت الإدارة المركزية للحماية تأسيس مركز اصطيافي متميز في المنطقة أطلق عليه اسم إفران، ومن أجل إعطاء الحدث وزنه الكامل حضرت مراسيم تدشينه زوجة المقيم العام لوسيان سان (Luci-en Saint) في شهر يوليوز 1929. لم يكن هذا المركز الجديد المنشأة الحضرية الوحيدة التي أسسها المستعمر بالمغرب، غير أن ما خصه من اهتمام ورعاية وما رسمه وخطط له من برامج تهيئة كان متميزاً، وكان هدفه خلق مدينة اصطيافية جبلية بكل المعالم والمقومات الأوربية، من تنظيم للمجال وهندسة معمارية، مدينة محملة بالحنين، وقادرة على أن تبعد عن المعمرين الشعور بالغربة وهم في بلاد المهجر، وأن تحقق لهم الراحة والانسجام. واستجابة لهذه الأهداف وسعيها في تحقيقها، عملت السلطات العليا للحماية على تسخير كل الوسائل والمعدات الضرورية لإنجاز المشروع. وشرعت حينئذ بتحديد الدائرة الحضرية سنة 1932، وانكبت على تحديد المبادئ التعميرية الأساسية والتوجيهات المجالية والعمرانية الكبرى، وسارت على مواكبة جميع مراحل الإنجاز بدءاً بعملية وضع المخططات الحضرية، حيث شهدت إفران وضع أول تصميم تهيئة سنة 1933. كما وضع تصميم تهيئة ثاني سنة 1947 لتغطية الحاجيات في التنظيم المجالي الحضري الذي ما فتئ يتسع سنة تلو الأخرى مع تزايد عدد المقيمين الذين ارتفع عددهم من سنة 1932 إلى سنة 1952 من 184 قاطناً إلى 694 قاطناً هذا بالإضافة إلى تزايد المصطافين. وشكل الحفاظ على الخضرة وروعة الموقع الطبيعي المبدأ الرئيسي في تنظيم المجال. واعتباراً لذلك فقد تأسست النواة الأولى على الضفة اليسرى لوادي تيزكي الذي منع البناء على هوامشه، وخصصت مجالات شاسعة للحدائق والمنتزهات التي زينت بأشجار الأرز والقسطل والصفصاف الأبيض

نشأت إفران في عهد الحماية الفرنسية وأخذت مكانها في موضع طبيعي قلما وجد نظيره في المغرب وحتى في شمال إفريقيا، يتميز بسحر الطبيعة وتنوع مشاهدتها المكونة من غابات السنديان الظليلة وغابات شجر الأرز المهيبة (غابة البحر المظلة عليها من الجنوب وغابة زروقة شمالاً وغابة أمان أوندين شرقاً) والمياه العذبة الرقاقة. فوادي "تيزكي" الذي يحمل كذلك اسم وادي إفران يمر من المدينة، وتجري مياهه المتدفقة الآتية من ذوبان الثلوج تارة هادئة وتارة صاخبة كالشلال تحت الأشجار العالية، تشق طريقها نحو زاوية إفران الواقعة في الشمال الغربي. كما أن العيون غزيرة وصافية: عين لا ليجو، عين زروقة، وأشهرها عين "فيتال" التي أطلق عليها هذا الاسم لما لمياهها من تقارب مع مياه "فيتال" الفرنسية (Vittel). ويتميز هذا الموقع طبغرافيا بارتفاعه فوق 1635 م فوق سطح البحر، تطل عليه شمالاً وشرقاً وجنوباً مجموعة من الكدييات الصغيرة، تتراوح ارتفاعاتها بين 1661 و1775 م وتتخلله نتوءات صخرية كلسية تزيده تنوعاً وجمالاً.

وبفضل هذا الموقع الجغرافي المتميز، تعرف مدينة إفران مناخاً جبلياً رطباً شبيهاً بمناخ المناطق الجبلية الأوربية والفصول فيه متباينة. يسجل فصل الخريف بداية التغيير الفصلي، حيث تتراجع درجة الحرارة بصفة ملحوظة ($10^{\circ} +$) وتنزل الأمطار الأولى وترمي الأشجار النفضية بأوراقها بعد أن تشتعل ألوانها بين الأصفر والأحمر والبني، وتظهر عارية مع حلول فصل الشتاء. هنا، يستقر البرد القارس، وتنزل درجة الحرارة إلى أقل من الصفر، ويكثر الصقيع والجليد، وقد يشتد زمهرير هذا الفصل حينما تهب التيارات الهوائية القارية الشديدة البرودة الآتية من الشمال والشمال الشرقي لأوربا، وتنزل القياسات الحرارية الدنيا إلى درجات قصوى تصل إلى 0° - وأقل بكثير من ذلك (25° - شتاء 2004). وابتداءً من فصل الربيع حتى نهاية فصل الصيف، يتلطف الجو، وتكون درجة الحرارة به معتدلة وممتعة ($25^{\circ} +$)، ونادراً ما يعرف موجات الحر إلا حينما تهب رياح الشرقي الساخنة ($40^{\circ} +$).

التساقطات في هذه المنطقة غزيرة ويصل معدلها إلى 1200 مم في السنوات العادية، غير أن السنوات الجافة والتي أصبحت متكررة تشهد أقل من هذا الحجم. ويشكل فصل الخريف وفصل الشتاء الفترة التي تستقبل أكبر حجم من التساقطات التي تبدأ في التراجع خلال الربيع، ونادراً ما تنزل في الشهور الأكثر حرارة، اللهم إلا إذا فاجأت بالبرق والبرق والبرد نهاية يوم حار. وتنزل معظم التساقطات عموماً على شكل أمطار، وفي الفترة الواقعة بين نونبر ومارس على شكل ثلوج تكسو القمم والمنخفضات تزيد المشاهد روعة وسحرها. وهذا الموقع المتميز لم يكن أرض خلاء إلى أن جاء الاستعمار، بل عرف على بعد ثلاثة كيلومترات شمالاً وجود زاوية إفران تدعى كذلك زاوية سيدي عبد السلام باسم الولي الصالح الشريف الذي استوطنها منذ عهد قديم.

والزيفون والصنوبر والتنوب والزهور كحديقة ساحة الأسد المشهورة والتي تحمل اسم السبع المنحوت على الصخرة وحديقة الأكمة (La butte) وحديقة المرجة الطبيعية (La prairie). وإلى جانب الثكنة العسكرية وبعض البيوت الخشبية التي أخذت مكانها بإفران منذ الإعلان عن تأسيسه، نظمت تجزئات عمومية خاصة بالفيلات تتراوح مساحتها بين 500 و600 م²، استفاد منها أساساً كبار أطر الحماية من موظفي الإدارة المركزية والمحلية ومدنيين وعسكريين، ولم يكن للمغاربة حق فيها إلا في حالات استثنائية وهم الفئة المكونة من بعض أعيان المخزن، كما خصصت أماكن للمنشآت الإدارية والتجارية والسياحية والرياضية والثقافية، وانتظم الكل في إطار نسيج حضري هندسي الشكل متناسق الأطراف، تتخلله ساحات عمومية وأزقة واسعة ومرصفتة تحف بها أشجار مختلفة، طبقت في تخطيطه وإعداده أحدث قواعد التعمير العصري الأوربي.

أما على مستوى العمران فقد حرصت الإدارة الحرص الشديد على تطبيق الأسلوب الأوربي في الهندسة المعمارية الخاصة بالأساط الجبلية. وشيدت بنايات غريبة الشكل لا تتصل بوصل مع البناء المغربي لا الحضري ولا الريفي، بنايات ذات طابق أو طابقين، معظمها من الفيلات المشيدة بحجارة الكلس التي تزخر بها المنطقة، تطل على الخارج بناوذف وشرفات تزين الواجهات في تناسق وانسجام. السقوف متعارضة الميل ومغطاة بالقرميد خاصة الأحمر، وقليل ما استعمل الأخضر، ويوحى شكلها المثلي الحاد بالطابع الجبلي للبنىات التي تبدو ملائمة مع خصوصية مناخ إفران المعروف بأماطاره الغزيرة وفترات ثلجية متكررة. وإذا كان الهدف الأول من تعميم إفران هو خلق مصطاف يوفر الراحة والمتعة للمعمرين من خلال إنجازات عمرانية، سكنية وخدمانية، ذات الرونق الفائق والمستوى الرفيع، فإن الرغبة في إبهار المغاربة بمدى تفوق الحضارة الغربية على الحضارة المغربية من خلال أروع ما أنتجته في ميدان العمران، كان يشكل الهدف الثاني للمستعمر، باعتبار العمران أسلوباً وتصوراً ورمزاً من رموز القيم والمقومات التي تقوم عليها المجتمعات البشرية، وقد يشكل في ظروف الاستعمار والسيطرة وسيلة قوية لفرض الهيمنة الثقافية ومحور الهوية. وتعبيراً على هذه الإرادة فقد دفع الأمر بالمستعمر إلى إعطاء المكان عدة تسميات من وحي التراب الفرنسي: "شامونيكس المغرب" (Chamonex) "الصابوا العليا" (Haute Savoie)، "سويسرة الصغيرة"، "قطعة من ربوع فرنسا" (Petit cour de France)، تسميات غربت إفران عن أهلها من بني مطير وغيرهم وأفقدتها هويتها.

وكانت الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي مرحلة بناء وتشبيد أسرعت بإعداد منجزات ضخمة، من تعبيد

الطرق وتهيئة الأرصفة وتشجير الحدائق والفضاءات العمومية، وبناء الكنيسة وفتح أبواب المدرسة الأوربية في وجه أبناء الساكنة الأجنبية ومدھا بتجهيزات رياضية وثقافية وترفيهية من مستوى رفيع مثل المسبح البلدي وملعب للتنيس والمكتبة العمومية والسينما وحتى الكازينو، هذا بالإضافة إلى المحلات التجارية والمطاعم والفنادق التي بدأت تأخذ مكانها مع تزايد عدد المصطافين (براسري فيليكس، فندق باليما، فندق الأرز، شامونيكس، الفندق الكبير)، وأندية الأصبطاف الخاصة ببعض المؤسسات العمومية مثل المكتب الشريف للفوسفاط والمكتب الشريف للكهرباء وشركة التبغ والشبسية والرياضة التي بدأت تتكاثر، وفتحت إمكانية التخيم في الهواء الطلق لمن يعشق ذلك. كما أن بداية الأربعينيات عرفت تشييد القصر الملكي على الضفة اليمنى لواد تيزكي والذي دشّن من طرف المغفور له جلالة الملك محمد الخامس سنة 1941.

غير أن هذه المدينة الجديدة التي ظهرت في حلة غريبة بكل معالمها الحضرية الرفيعة المستوى، تجاهلت المغاربة وهمشت وجودهم رغم أنهم يمثلون القسم الأوفر من ساكنتها، وهو ما أكدته نتائج الإحصاءين الرسميين اللذين قامت بهما الإدارة، وقراءة الجدول التالي تشير إلى ذلك بوضوح.

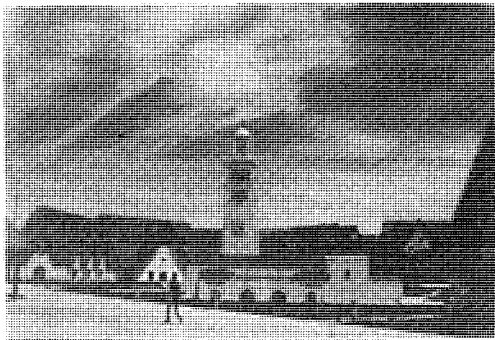
| السنة | المغاربة | الأجانب | المجموع |
|-------|----------|---------|---------|
| 1915 | - | - | - |
| 1936 | 910 | 184 | 1094 |
| 1952 | 1247 | 694 | 1941 |

هؤلاء المغاربة كلهم عناصر مهاجرة، معظمهم من القبائل المجاورة (بني مطير، بني مكيلد، آيت يوسي...)، استقروا هنا بحثاً عن العمل وكسب لقمة العيش، بعدما تقهقرت أوضاعهم المادية والاجتماعية بسبب ضربة الاحتلال العسكري والاختلالات الناتجة عن بداية تغلغل النظام الاقتصادي الاستعماري في البلاد، واشتغل معظمهم في بناء الطرق والقناطر وتشبيد السكن وتعبيد الأرصفة وتهيئة الحدائق، والبعض الآخر في الخدمات الصغرى مثل التجارة والحرف وغير ذلك من الأنشطة المنفعة. ولم يكن للساكنة المغربية الحق في الاستفادة من المنشآت الحضرية الكبرى التي ساهم الكثير منهم في بنائها وإنجازها كعمال ومستخدمين وحتى السجناء منهم، فلجأ معظمهم إلى الاستقرار بالسكن الهش المكون من البرابريك بحي "تيمدين" في غياب أدنى التجهيزات التحتية أو الاجتماعية وحتى الدينية، إذ لم يكن في إفران أول مسجد إلا غداة الاستقلال. والمنجزة الوحيدة التي عرفت هذه المرحلة والتي نظمت لصالح السكان المغاربة هي ما سمي بالقرية المغربية، وهي عبارة عن تجزئة اقتصادية

تطور عدد سكان المراكز الحضرية لإقليم إفران

| السنة | أزرو | إفران | عين اللوح |
|-------|-------|-------|-----------|
| 1960 | 14133 | 3260 | 3123 |
| 1971 | 20756 | 6014 | 3403 |
| 1982 | 31471 | 7701 | 4202 |
| 1994 | 40789 | 11197 | 10497 |
| 2004 | 47540 | 13074 | 10147 |

ويوضح الجدول أن وتيرة تزايد ساكنة إفران مرت بمرحلتين أساسيتين، مرحلة الستينيات التي سجلت نموا ديمغرافيا سريعا حيث تضاعف تقريبا بمرتين عدد السكان في مرحلة وجيزة، وهي السنوات التي عرفت حلول عهد الاستقلال ومغادرة معظم السكان الأوربيين (لم يعد عددهم يفوق 11 سنة 1982)، وقدم عناصر من الحواضر وخاصة من الأرياف الذين استقروا من أجل تحسين وضعيتهم المادية وتحقيق ما كانوا يحلمون به من كرم العيش ورفاهية بعد خروج المعمرين. وإذا سجل إحصاء 2004 ارتفاعا ملحوظا لعدد الساكنة الأجنبية المقيمة بإفران (117)، فذلك راجع إلى جامعة الأخوين التي فتحت أبوابها في وجه الأطر المدرسة الآتية من بلدان أخرى.



أما المرحلة الثانية فقد عرفت تراجعاً لوتيرة التزايد السكاني، ومن المحتمل أن يكون السبب في ضعف إمكانيات التشغيل المتوفرة داخل المدينة والتي بقيت رغم تعزيز المصالح العمومية من إدارة ومصالح إقليمية بدءاً من التعليم (ابتدائي وثانوي وجامعي) والصحة والأبنك وغيرها بحكم الارتقاء الذي نعمت به إفران، ورغم تعزيز شبكة الاستقبال السياحي بفنادق ومطاعم جديدة وتجارة وخدمات مختلفة، فقد بقيت هذه الإمكانيات محدودة ومتقلبة بتقلب الفصول. ويشكل فصل الصيف المرحلة الأكثر تشغيلاً بسبب تضخم عدد السكان مع قدوم المصطافين، والأكثر فرصة لإيجاد عمل. أما الفترات الباردة فتعرف إفران فيها

عملت الإدارة على تدبيرها بعيداً عن الأحياء الأوربية الجميلة. ولم يستفد البعض من أبناء المغاربة من الدراسة إلا بعد فتح المدرسة الإسلامية.

وليس هذا هو الوجه الوحيد للطابع الاجتماعي التمييزي للمصطاف إبان فترة الحماية، فالتظاهرات الرياضية والثقافية المتمثلة في تنظيم مباريات كرة القدم والكرة الحديدية والسباحة والتزحلق على الثلج وحفلات تنويع مواسم القنص والصيد وغير ذلك من المناسبات واللقاءات التي كانت تقام به كانت من صنع الأوربيين وإليهم. فإذا شكلت مدينة إفران مفخرة المستعمر، حيث إنها أصبحت منتزها رائعا رفيع المستوى يقصده معمرين وزوار متميزون يتوافدون عليه برا وجوا (منذ أن بني المطار) من كبار أطر الحماية وموظفين سامين ودبلوماسيين وغيرهم، فإن هذه المنجزة الساحرة تنطوي على أشبع اختلالات مدينة استعمارية حاملة لكل رموز التناقض والتمييز والتحقير والإقصاء.

غير أن هذا المصطاف المحرم على المغاربة سرعان ما اهتزت به الأوضاع مع مطلع الخمسينيات التي سجلت تصعيد المقاومة الوطنية. ولم يعد المعمرين يشعرون بالأمان والاطمئنان، وبدأت حينئذ رحلة عودتهم إلى وطنهم بعد محاولة التخلص من ممتلكاتهم وبيعها إلى المغاربة الذين كانت لهم القدرة على ذلك من ذوي المال والنفوذ. ومع حلول عهد الاستقلال بدأ عهد جديد. فبعد الاضطراب الذي عاشته المدينة طيلة المرحلة الانتقالية التي دامت عقدين من الزمن من الخمسينيات والستينيات والتي شهدت هجرة المعمرين وفتح أبوابها للأهالي واستيطانهم بالأحياء التي كانت بالأمس محرمة عليهم، أصبحت إفران تحظى برعاية سامية خاصة من طرف الملك الراحل الحسن الثاني. وهو الذي أولاها طيلة حياته اهتماما كبيرا وسهر على تتبع شؤونها مباشرة. فكان يقيم بها كثيرا وقيم فيها اللقاءات الوطنية والدولية المتمثلة في الاستقبالات والندوات واللقاءات الرسمية. وإن القرارات الإدارية التي صدرت في شأنها والمؤسسة الجامعية المتميزة التي أنشأها بها لأحسن دليل وخير تعبير على الإرادة الملكية القوية في رد الاعتبار لهذه المدينة المغتربة. وهو ما ارتقى بها وطنيا ودوليا وأكسبها إشعاعاً سياسيا ودبلوماسيا وثقافيا.

وقد عرفت المدينة تعزيزاً لمكانتها الإدارية داخل التراب الوطني حيث أصبحت منذ السنوات الأولى للاستقلال باشوية ثم ارتقت في شهر ستمبر 1979 إلى عاصمة إقليم، لتدير شؤونه متقدمة على جارتها أزرو التي تفوقها ديمغرافيا واقتصاديا وتبدو أكثر حيوية. ويوضح الجدول التالي أن ساكنتها لا تحتل داخل الإقليم إلا الرتبة الثانية بالمقارنة مع حجم سكان مدينة أزرو التي تشغل المرتبة الأولى والتي يمثل سكانها أربعة أضعاف سكان إفران.

الهمة". استوطن مدينة مراكش مدة ملازما للموحدين، وارتسم في هيئة طلبة الحضرة التي جعلها عبد المؤمن أعلى هيئة علمية رسمية. ثم عينه الموحدون قاضيا بعدة مدن من الأندلس والمغرب، "فشكرت سيرته، واتسم بالعدالة والنزاهة والجزالة وإعطاء المظلوم على الظالم". في إحدى تنقلاته إلى الأندلس أسره النصارى البرتغاليون في البحر، وحمل إلى الأشبونة، ثم افتكه المسلمون.

توفي بمدينة سبتة سنة 639 / 1241.

الرعي، برنامج شيخو الرعي، نج. إبراهيم شيوخ، دمشق، ص. 203؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج 8، ص. 106. 309، وهوامشه؛ ابن الزبير، صلة الصلة، ملحق بالذيل والتكملة، ج 8، ص. 564.

محمد المغراوي

يليش، مرسى من المراسي المتوسطية التي اشتهرت في

العصر الوسيط، يوجد غرب قلعة صنهاجة (كركال) بخمس كلمترات، كان من المرافئ التجارية في عهد إمارة نكور، حسب ما ورد عند أبي عبيد الله البكري. ويبدو أن وجود المرسى يعود إلى فترات قديمة، لما كانت تتمتع به مراسي البحر المتوسط من أنشطة تجارية قبل الفتح، وخاصة على عهد جوليان الغماري، بفضل تعاظم سكانه الصنهاجيين لذلك النشاط. وكان محسوبا على ما يبدو في العصر الوسيط على قلعة صنهاجة، فمنها يتزود بالحراسة ويخضع لأوامر قائدها، ونظن جازمين أن نشاطه ازداد بعد الفتح، لسيادة الأمن وتنامي النشاط التجاري بين مراسي الساحل، وخاصة مع مرسى المزمة في عهد إمارة نكور، باعتباره المركز التجاري الرئيسي بالمنطقة، فإليه كان التجار المحليون يتوجهون للتسوق، لتوفره على جميع البضائع المطلوبة من طرف السكان.

وبودنا إبراز الخصوصيات التي امتاز بها مرسى يليش، باعتباره يتكون من مجموعة من الجزر المرتبطة بالرصيف القاري، وقد تشكل المرسى في خليج صغير يحده رأس صخري متقدم في البحر من جهة الشرق، ورأس آخر يحتله ضريح المجاهد سيدي أحمد اليليشي من جهة الغرب، ويمتاز حاليا برماله الجميلة ومياهه الهادئة، تستثمره جماعة بني بوفراج التي أقامت فيه منشآت سياحية، وأنشئ بجواره جهة الغرب حاليا ميناء عصري يستقبل سفن صيد السمك. ورغم الخصائص الإيجابية التي تميز بها المرسى، فإننا لم نستطع من خلال المصادر الوسيطة تتبع نشاطه أثناء العهد المرابطي والموحدي والمريني، مع أننا متأكدون من ازدهار نشاطه التجاري، اعتمادا على شهادة الحسن الوزان ورديفه كرخال مارمول اللذين اعترفا بتطور نشاطه في تلك العصور، مما نتج عنه بناء مدينة صغيرة في هذا الموقع.

ومن الأخبار القليلة التي احتفظت بها المصادر عن هذا المرسى أهميته في عهد المرينيين، إذ كانت تطرقه سفن

انكماشاً كبيراً وركوداً اقتصادياً ملحوظاً باستثناء أيام الثلج التي تشهد قدوم المتزحلقيين الذين يتوافدون على محطتي ميشيلين وهبري الواقعتين على بعد 16 كلم في اتجاه الجنوب الشرقي. كما لا يخفى على أحد الدور الذي لعبته الإدارة في الحد من الهجرة ومن كل مظاهر التوسع الحضري السريع رغبة منها في الحفاظ على رونق رجمال المدينة وعلى أسلوبها المعماري الأوربي الموروث، ففرضت مراقبة كبيرة على المضاربة العقارية وعلى حركة البناء وشدت بذلك الخناق على المهاجرين الجدد. وتعرش النشاط في البناء لمدة طويلة. غير أن عقد التسعينيات شهد حركة عمرانية مهمة ناتجة عن تدخل مجموعة من المؤسسات شبه العمومية كالشركة العامة للإنعاش العقاري والمؤسسة الجهوية للبناء والتشييد والعديد من مؤسسات الأعمال الاجتماعية التابعة لمصالح عمومية وهو ما أعاد الحياة إلى قطاع البناء، فضلا عن الخواص وخاصة ذوي الدخل المحدود الذين استفادوا من تجزئات قامت الدولة بتهيئتها أو دعمتها من طرف مؤسسات دولية (بام). وظهرت أحياء جديدة مثل حي السلام، حي تيمدقين الجديد المشرف على عين فيتال وفي اتجاه الجنوب الغربي برز حي اقتصادي مكون من عمارات بنتها المؤسسة الجهوية للبناء، وحي فيلات مازال في طور التشييد امتد على الجانب الأيمن للطريق المؤدية إلى أزرو، وتعددت أندية الاصطياف العمومية أو التي ظهرت في إطار تعاونيات.

غير أن أهم منجزه سجلها تاريخ إفران الحديث هو القرار الملكي الصادر بتاريخ 20 شتنبر 1993 الذي تم بموجبه خلق مؤسسة جامعة الأخوين نسبة إلى منجزها جلالة الملك الحسن الثاني وجلالة الملك فهد بن عبد العزيز والتي دشنت يوم 4 غشت 1994 وهي أول جامعة تستقبلها منطقة الأطلس المتوسط.

El Belghiti Alaoui Aicha, *Urbanisation et domination du monde rural : l'exemple d'Azrou*, Thèse de doctorat de spécialité, Décembre 1978, Toulouse; *Schéma directeur de Meknès, Etude régionale 1979*, M.H.U.T.; *Recensement général de la population et de l'habitat du Maroc : 1960, 1971, 1982, 1994 et 2004*; *Carte topographique d'Ifrane au 1/50.000*; *Enquête de terrain*.

عائشة البلغيثي العلوي

السيفرني، محمد بن عبد الله من أهل مدينة فاس، وبها ولد سنة 569 / 1173. أخذ عن علماء بلده، وبالخصوص عن أبي العباس الجراوي الشاعر، وأبي القاسم عبد الرحمن ابن الملقوم الفاسي، وأبي محمد التادلي. ثم رحل إلى الأندلس فروى أيضا عن عدد من علمائها، مثل أبي بكر بن آسية، وأبي بكر بن أبي حمزة، وأبي بكر بن أبي زمنين، وأبي جعفر بن مضاء وغيرهم. كان من الفقهاء الحفاظ، مهتما بالأدب والتواريخ، "حسن المحادثة متع المحاضرة، بهي المنظر، جميل الرداء، نظيف الملبس، سري

اليملحي، أحمد بن المجاهد قائد كان يرأس فرقة من المجاهدين من قبيلته الساحل، انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي تزعمها مولاي أحمد الريسوني، وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة. بضرخ سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913. وعين الدالية يوم 11 من نفس الشهر حيث انتخب عضواً بالمجلس الاستشاري للمقاومة. وضرخ مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913. وقرية الزوة يوم 11 يناير 1915.

شارك في 3 معارك وكان من علماء قبيلته.
م. ابن عزوز حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة بشمال المغرب، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

الريم (باب -) - بتشديد الياء - اسم مدينة وواد يمر بالقرب منها. تقع المدينة بين طنجة وسبتة، وتنحصر بالضبط بين جبل المنارة غرباً، ومرسى موسى شرقاً. تبعد عن طنجة بنحو 30 ميلاً في البر وينصف مجرى في البحر. بينما يفصلها عن مرسى موسى 8 أميال فقط في البر يقابلها من الأندلس مرسى جزيرة طريف.

مرسى هذه المدينة تسمى باب الريم، وهو غير محمي، يوجد به سكنى ورباط. كما يخترقه واد يصب في البحر يعرف بوادي باب الريم عليه قرارات لقبيلة مصمودة. كانت للوادي أهمية تجارية تشكلت في الربط بين الساحل والداخل عن طريق المراكب التي كانت تلج الوادي.

الاستبصار في عجائب الأمصار، تج. سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، 1985، ص. 138؛ البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تج. دوسلان، باريس، 1965، ص. 104 - 105.
زليخة بن رمضان

يمني، أحمد صاحب أول مطبعة سلكية (توبوغرافية) بفاس طبيب ومفكر سوري، رحل في منتصف سنة 1323 / 1905 من دمشق في اتجاه المغرب واستقر بمدينة فاس حيث أنشأ في نفس السنة مطبعة سلكية بحروف شرقية (تظهر خصوصاً من خلال كتابة حرفي الفاء والقاف). ويرى فوزي عبد الرزاق أن أحمد يمني هذا كان يعمل لحساب العثمانيين كعميد لهم بفاس، حيث أرسل من طرفهم قصد التأثير على التوجهات السياسية للبلاد، وللتأثير على الرأي العام المغربي يجعله يتبنى أهداف الجامعة الإسلامية - خصوصاً في هذا الطرف الدقيق من تاريخ المغرب - ودليله في ذلك العلاقات القوية التي كانت تربط يمني بزعماء الطريقة الكتانية، حيث لا تكاد تخلو مطبوعاته من أحد أسماء هؤلاء إما مؤلفاً أو مقرظاً. ولا شك أن أحمد يمني بنشره لكل من كتب ماء العينين وكتابات الكتانيين، وهي في معظمها ذات صبغة صوفية، كان يهدف إلى تكريس التوجهات العثمانية الرامية إلى نشر مبادئ الجامعة الإسلامية.

القرصنة الإسبانية باستمرار لقربه من بادس، ولدينا مثال واحد عن هذه الظاهرة، أورده صاحب صلحاء الريف بمناسبة اقتراب سفينة قرصنية إسبانية بإحدى جزر يلبش، فتحطمت على الصخور، كان على متنها أسرى مغاربة من بادس وغيرها، ولا شك أن السكان المحليين خاضوا حرباً مع القرصنة وقبضوا عليهم قبل مجئ القوة من بادس. ويدل ذلك على ضعف الحراسة المغربية بهذا المرسى، مما أتاح لسفن القرصنة الإسبانية اقتحامه، وهي في طريقها إلى مدينة بادس أو عائدة منها. وتبين أيضاً وجود مصنع لصناعة السفن وتشحيمها بالجزيرة تابع لإسبان، كل ذلك كان يعاكس مصالح السكان، الذين لم يكن بإمكانهم مواجهة ذلك الخطر البحري، مما جعلهم يتكئون مساكنهم ويتقهقرون إلى الداخل. إن الحسن الوزان ومارمول كرخال شاهدان على التدهور الذي انتهى إليه مرسى يلبش في بداية القرن السادس عشر الميلادي، والمتمثل في وجود مدينة صغيرة مهجورة في تلك الفترة، وهذه نتيجة طبيعية للفعل القرصني الإسباني. غير أن رواية الوزان تطرح كثيراً من الأسئلة عن مصير تلك المدينة الصغيرة التي اختفت بصفة مطلقة، ولم يبق لها أثر يذكر. إذ لا يعرف وجود بقايا أثرية قرب الساحل في وقتنا الحالي. كما قدم المؤلفان صورة قائمة عن أوضاع المرسى خلال هذه المرحلة، إذ كان شبه مهجور ولا يعمره سوى جماعة من صيادي السمك، المقيمين في أكواخ متواضعة على جانب البحر. وكان وجودهم بالمرسى محفوفاً بالخطر، يهربون إلى الجبل العالي الذي تكسوه غابة من الصنوبر كلما اقتربت سفينة غريبة من الساحل. وعلينا أن نربط أوضاع هذا المرسى بما كان يجري ببادس طيلة هذا القرن، وخاصة بعد الاحتلال الإسباني سنة 1562. كما أصبح من المراسي التي استقبلت الوافدين الأندلسيين خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، وقد استفادت قرى صنهاجة المجاورة لمرسى يلبش من هذه الهجرة، في تحسين مستوى المقاومة.

ومن جهة أخرى كان هذا المرسى معروفاً لدى إسبان جزيرة بادس باسم يسلى إيريس Ysla Yris سنة 1791، منسوباً حسب المؤلف إلى قبيلة بنافراث Benafraz ونظنه تحريف لقبيلة بني بوفراج لوجوده داخل ترابها، وهو من هذا الجانب يحتل أهمية خاصة لحماية السفن من الرياح الشمالية أيام هيجان البحر، رغم ضعف عمقه أثناء الجزر إلى ذراعين.

أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد المغرب، مكتبة المثنى، بغداد؛ عبد الحق البادسي، المقصد الشريف، الرباط، 1982؛ الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقية، تج. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1980؛ مارمول كرخال، إفريقية، تر. محمد حجي وآخرون، 2 : 245.

Dora Bacaicoa Arnáiz, El Peñon de la Gomera en 1791, Tamuda, Tetuan, 1955, p. 193 ; Paul Pascon et Herman van der Wusten, les beni Boufrah, Rabat, 1983, p. 61 ; L. Massignon, Le Maroc dans les premières années du 16 siècle, Alger, 1909, p. 243.

أحمد قدور

ومع المولى إدريس الأول (788 - 792) تأسست الدعائم الأولى لحكم عربي إسلامي في البلاد. ومعه تم تحديد الوضعية الاجتماعية والدينية لليهود القاطنين فيها. فأصبحوا تحت ذمة الإسلام. وحينما تولى إدريس الثاني الحكم تحولت فاس إلى مركز إشعاع ثقافي بامتياز. وقد استفاد اليهود المغاربة كثيرا من ذلك. ففي فاس برزت الإرهاصات الأولى للنحو والشعر العبريين على يد الحاخام إسحق الفاسي، صاحب كتاب "التلمود الصغير" وواضع كثير من الفتاوى الفقهية. ويعتبر "التلمود الصغير" واحدا من الدعائم الفقهية الأساسية في التشريع الديني اليهودي. فالهالاخا (الشرعة اليهودية) تعتمد كليا على ثلاثة مصادر فقهية أساسية، هي: كتاب "التلمود الصغير" للحاخام إسحق الفاسي، و"تثنية التوراة" للفيلسوف موسى بن ميمون، و"القرارات التشريعية" للحاخام أشير بن يحيى. فهذا الثالوث الفقهي يوضح بجلاء مكانة الفقه اليهودي في الشرعة اليهودية منذ زمن الأدارسة. ويشير كثير من الباحثين إلى عادة درج عليها المثقفون اليهود في بلاد المغرب في عهد الأدارسة، وهي استعمال العربية الفصحى في تأليف إنتاجاتهم الفقهية والتشريعية وفي إصدارهم للفتاوى الدينية.



غير أن هذا الحرص على تعلم اللغة العربية واستعمالها لدى اليهود المغاربة تقلص كثيرا في عهد المرابطين والموحدين الذين قام حكمهم على ضرورة نشر الإسلام في البلاد، فتأزمت الأوضاع بهم في تلك الحقبة. لكن سرعان ما تحسنت في عهد المرينيين، وإن كانت بعض المصادر التاريخية تشير إلى مقتل السلطان عبد الحق المريني وزيره الأكبر اليهودي أهارون بطاش سنة 1465. وتحاول ربط هذا الحادث بخرق اليهود لقانون جرى ترسيمه منذ عهد الأدارسة، وهو قانون "أهل الذمة" الذي يمنح اليهود المغاربة من مزاولة وظائف عمومية في سلك الدولة المغربية.

تمكنت مطبعة أحمد يميني من نشر تسعة عناوين ما بين سنتي 1906 و1908، جلتها ذات طابع صوفي نذكر منها "ثمار الزهر" من نظم مساء العينين، نشر سنة 1324 / 1906، و"المراقق على الموافق" و"منتخب التصوف" لنفس المؤلف صدرتا سنة 1325 / 1907، و"السر الحقي الأمتاني" لمحمد عبد الحى الكتاني، و"معيار الاختيار" للسان الدين بن الخطيب صدر أيضاً في نفس سنة 1325 / 1907. ورد في كناش 802 بالخزانة الحسينية أن التاجر برگاش كان يقوم بشراء حروف الطباعة والأوراق ولوازم المطبعة لحساب الطبيب أحمد يميني بفاس.

وفي أواخر سنة 1326 / 1908، اشترى السلطان مولاي عبد الحفيظ مطبعة أحمد يميني، ووظف صاحبها للعمل بها، وهي المطبعة التي أصبحت تعرف فيما بعد بالمطبعة المولوية. كناش 802 بالخزانة الحسينية، ص. 33، 35؛ محمد المنوني، مظاهر بقطعة المغرب الحديث، الرباط، 1393 / 1973، 2 : 464؛ عبد الرزاق فوزي، مملكة الكتاب، تاريخ الطباعة في المغرب، 1865 / 1912، الدار البيضاء، 1996؛ مجلة المقتبس، المجلد الثاني، ج 10، شوال 1325 / نوفمبر، 1907، ص. 547.

لطيفة الكندوز

اليهود في المغرب، يرتبط حضور الجماعات العبرية واليهودية في شمال إفريقيا بإنشاء الفينيقيين لمدينة قرطاج منذ ما يناهز ثمانية وعشرين قرناً. وتشير بعض المصادر التاريخية إلى لجوء عدد كبير من اليهود إلى شمال إفريقيا عقب هدم الهيكل الأول المنسوب إلى النبي سليمان عليه السلام سنة 586 قبل الميلاد. وتمركز الحضور اليهودي في تلك الفترة من تاريخ المغرب في منطقتي وليلي وشالة خصوصا، نظراً للنشاط الاقتصادي القائم هناك على تجارتي الذهب والملح. وكان لليهود نصيب كبير في ذلك الرواج التجاري.

وتتميز حضوره في المغرب الذي أطلق عليه الرومان اسم موريطانيا بنشاط ديني مكثف خصوصا في منطقتي سوس ودرعة. وهو ما يفسر ما ذكره بعض المؤرخين من إقبال كثير من برابرة المغرب على اعتناق الديانة اليهودية. ولعل انتشار الديانة اليهودية هو الذي دفع الرومان إلى إصدار قرار يتم بموجبه اعتبار الديانة المسيحية هي الديانة الرسمية في موريطانيا آنذاك (المغرب حاليا). وفي القرن الخامس قبل الميلاد (430 ق. م تقريبا) هاجم الوندال المغرب. ويطرد الرومان عاد اليهود المغاربة لممارسة شعائرتهم بكل حرية. ولما هاجم البيزنطيون المغرب سنة 533 ق. م عاقب الغزاة المجدد اليهود، نظرا لتحالفهم مع الوندال. وهكذا عادت الديانة المسيحية إلى المغرب باحتلال البيزنطيين له. واستمر هذا الحضور إلى غاية القرن السابع الميلادي الذي عرف بداية الفتوحات الإسلامية. ففي سنة 683 ميلادية كانت الطلائع الأولى لأولئك الفاتحين تدخل إلى المغرب قبل أن ينتقل قسم منهم إلى مضيق جبل طارق سنة 711 ميلادية.

وفي زمن حكم محمد الشيخ الوطاسي (1472 - 1505) كان سقوط الأندلس، مما نتج عنه فرار أفواج غفيرة من المسلمين واليهود إلى بلاد المغرب. وقد أحسن الحاكم الوطاسي استقبالهم وأكرم ضيافتهم. ومنذ ذلك التاريخ أمكن الحديث عن اليهود المغاربة الأصليين (التوشابيم) أو (البلديين)، وعن اليهود القادمين من الأندلس (الميكوراشيم) أو (المهاجرين). وقد كان اللقاء والالتقاء بين الطائفتين اليهوديتين مناسبة لبروز جملة من العلاقات الأخوية المرتبطة بالدين المشترك، وكذلك العلاقات المتوترة نظرا للاختلاف الحاصل من الناحية الثقافية ودرجة الانفتاح، ومدى الخبرة والمهارة في صفوف اليهود المقيمين في المغرب أو أولئك المهاجرين إليه من بلاد الأندلس. لذلك فإن الحديث عن قلاقل واضطرابات حصلت لليهود في المغرب في فترات متقطعة ومتباعدة ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار طبيعة العلاقات المتوترة أحيانا بين هاتين الفئتين اليهوديتين.

ولما حكم السعديون كان هاجسهم الأكبر هو الوقوف بالمرصاد لأطماع الإسبان والبرتغاليين في تراب المغرب. وما يميز حكم السعديين هو تطوير المغرب لعلاقاته التجارية مع بعض البلدان الأوروبية التي لم تكن في حالة حرب معه مثل هولندا. وتشير كثير من المصادر إلى دور بعض كبار التجار اليهود المغاربة في توطيد العلاقات التجارية الخارجية للمغرب. ويتردد كثيرا في هذا المقام اسم العائلة اليهودية "بالاش". ويحتفظ اليهود المغاربة بذكرى طيبة جدا عن السعديين، خصوصا المولى عبد الملك الذي دحر البرتغال سنة 1578، وقضى على الملك "سيباستيان" في معركة الملوك الثلاثة الشهيرة. وكان ملك البرتغال يسعى إلى فرض الديانة الكاثوليكية على المغاربة، بمن فيهم اليهود. ولقد وضع انتصار المولى عبد الملك حدا لهذا المخطط التبشيري الرهيب. والظريف أن اليهود المغاربة احتفلوا بهذا الانتصار، وجعلوا منه عيدا خاصا يذكروهم بانتصار الإسلام على المسيحية.

ولما انهار حكم السعديين حاول بعض أنصار الزاوية الدلائية الإمساك بزمام الحكم. لكن قيام الدولة العلوية في تافيلالت حال دون ذلك. وتذكر كثير من المصادر التاريخية المكانة المتميزة التي كان يحظى بها اليهود المغاربة في عهد العلويين. فالمولى رشيد (1664 - 1672) كان لقبه "صديق اليهود". أما المولى إسماعيل فقد أحاط ديوان حكمه بكثير من اليهود المغاربة، مثل يوسف ميمران وموسى بن عطار. بل إن عددا ضخما من الأبحار والحاخامات ظهروا في هذه الفترة، نذكر من بينهم يهودا بن عطار (1655 - 1733)، ويعقوب بن صور (1673 - 1753)، وموسى طوليدانو (1643 - 1729)، وموسى بردغو (المتوفى سنة 1731)، وحاييم بن عطار (1696 - 1743). أما السلطان أحمد الذهبي (1727 - 1728) فقد جعل من إلبعازار بن كيكي مبعوثه الخاص إلى هولندا، وذلك بغرض العلاقات التجارية معها. ووضع مولاي عبد الله (1729 - 1757) ثقته في بعض مستشاريه ووزرائه

اليهود، مثل صموئيل ليفي بن يولي، وصموئيل سومبال. وظل هذا الأخير يحظى بالمكانة نفسها في عهد السلطان محمد بن عبد الله (1757 - 1790) الذي شيد مدينة موغدور (الصويرة)، ومنح لبعض العائلات اليهودية فيها امتيازات تجارية، وذلك من أجل تطوير المدينة من الناحية الاقتصادية. ويكاد يكون مولاي يزيد (1790 - 1792) السلطان العلوي الوحيد الذي نسجت حوله كثير من المصادر التاريخية روايات فيها كثير من المبالغة فيما يخص سوء معاملته لليهود. وسرعان ما عادوا لمكانتهم الطبيعية مع مولاي سليمان ومولاي عبد الرحمن وسيدي محمد الرابع ومولاي الحسن الأول ومولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ ومولاي يوسف. ويظل محمد الخامس السلطان العلوي الذي وقف في وجه حكم (فيشي) النازي. فقد تصدى لمحاولة المساس باليهود المغاربة باعتبارهم مواطنين مغاربة أولا وأخيرا. وقد تكرست مكانتهم أكثر من ذي قبل مع الملك الحسن الثاني ومع ملك المغرب اليوم محمد السادس.

ولعل المكانة المتميزة التي حظي بها اليهود المغاربة في عهد الدولة العلوية هي التي جعلت (الاتحاد الإسرائيلي العالمي) يبادر إلى فتح مجموعة من المدارس اليهودية في تطوان سنة 1803، وطنجة 1805، وموگدور 1865، ووجدة 1910 بالإضافة إلى مدرسة تلمودية توراتية في وجدة سنة 1910.



وتشير كثير من المصادر إلى مزاولة اليهود المغاربة لبعض الأنشطة التجارية والمالية والتقليدية. كما تذكر مساهماتهم الثقافية والأدبية والدينية والفقهية واللغوية. ويُذكر من بين أدياء اليهود المغاربة منذ القرن السابع عشر الميلادي: منديل أبي زمرة، وفراجي شمات، وموسى بوجنة، ويعقوب بن صور، وموسى بن صور، وشلومو حليوة، وديفيد حسين، وموسى رافائيل الباز وديفيد إلباكيم، ويهودا بن عطار، ويعقوب الدهان، ومسعود الرواج، ويعقوب المالح من موگدور، وحاييم داود سفيرو من فاس.

إن حضور اليهود المغاربة عبر التاريخ الطويل هو حضور فاعل و متميز، وإن كان يتأقلم مع الوضع السياسي والأمني العام الذي كان يعرفه المغرب من خلال تعاقب السلالات الحاكمة على البلد.

لكن حضورهم في القرن العشرين صار إلى التقلص بسبب الاستعمار والصهيونية وتفاقم النزاع الدولي حول فلسطين، فعددهم اليوم لا يتجاوز بضع مئات معظمهم في الدار البيضاء والرباط. ولكن الذين هاجروا لا يزالون يتوافدون على وطنهم الأصلي من باب السياحة أو لصلة الرحم بذويهم وبأمواتهم في مقبراتهم المتعددة في كل أنحاء المغرب.

أحمد شحلان، ابن رشد والفكر العبري الوسيط، جزآن، مراكش، 1999 ؛ من الأدب العربي العبري، مجلة كلية الآداب، الرباط، 1984، ع 10، ص. 65 ؛ دور اللغة العربية في النقل بين الثقافتين العربية واللاتينية، ندوة أكاديمية المغرب، الرباط، 1985 ؛ فقهاء اليهود والفكر الفلسفي، 1988 ؛ الفكر اليهودي الأندلسي بين الخصوصية الدينية وشمولية المعرفة، (حضارة الأندلس)، المحمدية، 1993 ؛ إسماعيل بن تغريلا اليهودي وزير إمارة غرناطة، 2002 ؛ عبد الله حمادي، الموسيكون ومحاكم التفتيش في الأندلس الإسلامية، الجزائر، 1989 ؛ عبد الرحمن الزياتي، الازدهار الفكري في الأندلس على مدى ثلاثة قرون، 1977 ؛ عبد المنعم الحنفي، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، القاهرة، 1994 ؛ عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، القاهرة، 1999 ؛ محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و 17، الدار البيضاء، 1989 ؛ ميغيل كروت إرناديت، الأوضاع الاجتماعية التاريخية بالأندلس في القرن 10م، 1977.

Robert Assaraf, *Une certaine histoire des juifs du Maroc*, Ed. Jean-Claude cawsewitch, Paris, 2005 ؛ Denis Charbit (éd), *Sionismes, Textes fondamentaux*, Ed. Albin Michel, Paris, 1998 ؛ N.A. Stillman, *The jew of arab lands in modern times*, Philadelphia & New York, 1991 ؛ Haim Zafrani, *Deux mille ans de vie juive au Maroc*, Ed. Maisonneuve & Larose, Paris et Eddif, Casablanca, 2000 ؛ *Juifs du Maroc, Identité et dialogue, Actes du colloque international sur la communauté juive marocaine*, Ed. La Pensée Sauvage, Paris, 1980.

عبد الكريم بوفرة

يوبا الثاني (الملك -) 25 ق.م. - 23 ق.م.، هو أحد

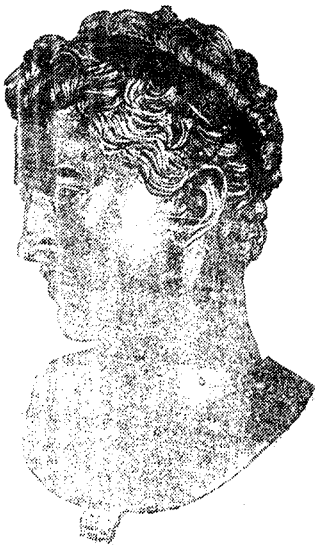
أشهر ملوك المغرب القديم. ولد بنوميديا حوالي 50 ق.م. في ظرفية سياسية حرجة اتسمت بالصراع على مقاليد الحكم بين القادة العسكريين الرومان، وانتهت بنقله إلى روما إثر هزيمة والده في معركة طابوسوس ضد يوليوس قيصر سنة 46 ق.م.

عاش ردحا من الزمن بالبلاط الروماني، وجبل على الشغف بكل الثقافات السائدة آنذاك، ومنها الإغريقية، ثم ثقافته الإفريقية. واختير من طرف يوليوس قيصر سنة 25 ق.م. كأفضل من يمثل مصالح الرومان بأرض الموريطانياتين - المغرب وجزء من الجزائر - خصوصا وعرش الموريطانياتين الذي ظل شاغرا منذ وفاة الملك الموري بوكوس الثاني سنة 33 ق.م.

تزوج يوبا الثاني سنة 20 ق.م. بالأميرة كليوباترة سلمي، المقدونية الأصل، المصرية الولادة والنشأة التي عاشت مثله بروما على إثر هزيمة ووفاة والديها كيلوباترة الكبرى ومارك أنطون. وقد أنجبت منه ابنيها الأمير بطليموس - الذي سيؤول إليه حكم الموريطانياتين - والأميرة دروزيليا. ولن تكون كليوباترة الزوجة الوحيدة ليوبا الثاني، بل تزوج بعدها بإغريقية من آسيا الصغرى هي كلافيرا.

اعتبر بعض الباحثين مدينتي شرشل وويلي من أجمل عواصم يوبا الثاني. وعلى غرار باقي الملوك أصدقاء وحلفاء روما الذين بنوا مدنا أطلقوا عليها اسم قيصرية، فقد حول يوبا الثاني اسم يول إحدى العواصم القديمة للنوميديين إلى يول قيصرية نسبة لأوكتاف المشهور باسم أغسطس. لقد كان يوبا بحق صديق الشعب الروماني.

أكدت الدراسات المعاصرة على اتساع مجال نفوذ يوبا الثاني الذي لم يعد مقتصرًا على غرب الجزائر وشمال المغرب، بل امتد جنوبا. لقد أنشأ معامل صباغة الأرجوان بجزيرة الصورة التي عرفت بالجيتولية. ونشطت في عهده عدة صناعات كالنجارة وتصبير السمك وتليحه. وتطور المعمار أيضا، فإليه ينسب المسرح - المدرج المكتشف بموقع ليكسوس الأثري، ولا يجادل مجادل حول بنائه للمسرح - المدرج بسول قيصرية. ويرجع إليه فضل الكشف عن الجزر السعيدة التي تطابق حاليا جزر الخالدات. وتوغل يوبا الثاني كذلك بالداخل حيث الجيتول الدرعيون، وهناك بحث في منبع النيل، فذكر بأن مصدره الأطلس. وعلل رأيه هذا بتشابه نباتات ووحيش المنطقتين المغربية والمشرقية. وجلب من المنطقة تمساحا (محنطا بلا ريب) كدليل على صحة رأيه. وعلق ذلك التمساح بعاصمته قيصرية، بمعبدة ربة الخصوية المصرية إيزيس.



يوبا الثاني هو كذلك مكتشف النبتة الطبية المعروفة باسم أوفورب بجبال الأطلس، حيث كانت تعيش قبائل

الأطولول، من أقوى القبائل المغربية القديمة. وسميت النبتة الطبية نسبة للطبيب الخاص بيوبا الثاني أوفورب، الإغريقي الجنسية، الذي يعد أقدم طبيب بلاط في تاريخ الشمال الإفريقي القديم برتمته.

الأوفورب، أو الفريوت - كما تسميه المصادر الإسلامية - يتفرع إلى عدة أصناف، وهو دواء ومصل ضد كل أنواع السموم، كدغ الأفاعي والعقارب. وهو فضلا عن كل ذلك يقوي البصر، وكان يمزج بشهدة العسل لعلاج الأسنان النخرة. فهذا ما كتبه يوبا الثاني بنفسه في مصنفه المفقود - الحامل لاسم أوفورب - عن فوائد هذه النبتة العجيبة. وصلتنا شذرات من بعض مؤلفاته، ومن مصنفه هذا، بواسطة كتاب إغريق ولاتينيين معاصرين له ولاحقين، وأشهرهم بلين الشيخ (من القرن الأول الميلادي)، الذي زدونا عبر فقرات من مؤلفه *التاريخ الطبيعي* بمعلومات عن الأوفورب ومختلف استعمالاته.

وهكذا، لم تمتع انشغالات الملك يوبا الثاني السياسية وكشوفه، ثم جولاته من أن يتعاطى للثقافة بكل ألوانها. كان يتقن أكثر من لغة. وأحاط نفسه بحاشية مكونة من فنانيين وشعراء ونحاتين وأطباء، جلهم من أصول إغريقية. وتم التماثيل الرخامية والبرنز التي تزدهن بها عاصمته بول قيصرية ووليلي، عن هذا الشغف الكبير بالثقافة الهلنستية.

اتسم عهده بالازدهار والأمن على الرغم من بعض التمردات والثورات، أشهرها ثورة تاكفاريناس سنة 17 ق.م التي ناهض المنضون تحتها التغلغل الروماني بمجالاتهم الحيوية. وستستمر هذه الثورة بعد وفاة يوبا الثاني سنة 23 ق.م، إذ سيشارك ابنه بطليموس في محققها إلى جانب قادة الرومان. وفي ما عدا ذلك فالعصر عصر ازدهار اقتصادي وتطور معماري وفني. وظهر ذلك على عملته. ورغم تعدد منجزاته فقد غطت ثقافته على الباقي، فاعتبر بحق الملك العالم.

محمد مجدوب، مختصر حول تاريخ موريطانيا قبل السيطرة الرومانية، مجلة بحوث، ع. 6، 1995، ص. 149، 174.

Plin l'Ancien, *Histoire naturelle*, v. 1-46, Traduction et commentaire de J. Desanges, Les Belles Lettres, Paris, 1980 ; Bidaouia Bel Kamel, *Histoire de la médecine au Maroc Antique*, in *Histoire de la médecine au Maroc et dans les pays arabes et musulmans*, 1995, p. 37-45.

يوسف ابن وخليفة السلطان يعقوب المريني، كنيته أبو يعقوب، ولقبه الناصر لدين الله، ولد في ربيع الأول من سنة 638 / 1240، وتمت له البيعة بالجزيرة الخضراء يوم وفاة والده في يوم الجمعة غرة صفر سنة 685 / 29 مارس 1286 وسنه خمس وأربعون سنة وثمانية أشهر.

سياسته الداخلية : بعد عودته إلى المغرب، وكدأب العديد من السلاطين في بداية حكمهم، قام ببعض

الإصلاحات الجبائية، ووزع الأموال على قبائل بني مرين والعرب والأندلسيين والأغزاز وسائر الأجناد، وأخرج الصدقات إلى الفقراء، وتصدق بترك الفطرة للناس يتصرفون بها كيف يشاءون، كما سرح المساجين، ثم عمل على توطيد علاقته مع الفقهاء والصلحاء والشرفاء، ومن أهم مظاهر توطيد العلاقة مع هؤلاء، أمره في ربيع الأول من سنة 691 / 1292 بالاحتفال بعيد المولد النبوي وتعظيمه في سائر المغرب. وقد نجم عن هذا التعظيم توصل السلطان في شعبان سنة 705 / 1305 ببيعة شرفاء أهل مكة.

أما فيما يخص إصلاحات يوسف بن يعقوب الاقتصادية فأبرزها تبديل الصيعان وجمعها على مد الرسول (ص) وذلك سنة 693 / 1294 . ولم يخل عهد يوسف بن يعقوب من بعض المنجزات العمرانية ومن أهمها : بناء مدينة المنصورة بجوار تلمسان بحماماتها وفنادقها ومارستانها وجامعها، وجامع فاس الجديد سنة 677 / 1278، وجامع تازة الذي تم الانتهاء من بنائه سنة 693 / 1294، وبعض القناطر، وقصبة تطاوين سنة 685 / 1286... الخ.

عرف عهد يوسف بن يعقوب بعض الخارجين على حكمه ؛ ففي سنة 685 / 1286 ثار عليه ابن عمه محمد بن إدريس بن عبد الحق رفقة إخوته وبنيه وذويهم في جبال ورغة من أحواز فاس؛ وفي السنة نفسها واجه خروج الأمير عمر بن عثمان بن يوسف الهسكوري بقلعة فندلاوة من جبال بني يازغة. وفي السنة نفسها ثار عليه في بلاد سوس الحاج طلحة بن علي البطوئي. وفي رمضان من سنة 686 / 1287 حارب العرب في بلاد قبلة درعة لردعهم عن قطع طريق سجلماسة. وفي منتصف ربيع الثاني من سنة 687 / 1288 خرج عليه ابنه الأمير أبو عامر في مراكش مع واليها ابن عطو الجناتي. وفي شعبان من سنة 691 / 1292 ثار عليه عمر بن يحيى، الوزير الوطاسي في حصن تازوطة من قلاع الريف. وفي سنة 705 / 1305 ثار عثمان بن أبي العلاء إدريس بن عبد الحق في بلاد غمارة، ودعا لنفسه فيها، وتغلب على تكيساس وأصيلا والعرانش، ودخل قصر ابن عبد الكريم في آخر سنة 706 / 1306 . وقد آل أمر جميع الخارجين عليه إلى الفشل إما بالقتل أو النفي أو الفرار إلى تلمسان أو الأندلس.

سياسته تجاه الأندلس : أولى هذا السلطان في بداية حكمه اهتماما بالغاً بشؤون الأندلس، فمباشرة بعد بيعته عقد صلحا مع ابن الأحمر، رد بموجبه جميع ما كان بيده مما انتزعه منه والده من بلاد الأندلس باستثناء الجزيرة الخضراء ورندة وطريف. وفي الإطار نفسه جدد الصلح مع "سانشو"، ثم وطد أمور بلاد الأندلس كلها.

وفي سنة 690 / 1291 فسد الصلح بين يوسف بن يعقوب و"سانشو"، فأمر السلطان المريني قواته بمنازلة مدينة شريش، وشن الغارات على بلاد النصارى. بعد ذلك جاز بنفسه إلى الأندلس لمحاربة النصارى ولم يعد إلى المغرب إلا في محرم 691 / 1292 عند حلول فصل الشتاء وانقطاع المؤن

عمره، فحمل جثمانه إلى رباط شالة ودفن به. وبهذا يكون حكمه امتد 21 سنة و9 أشهر و25 يوما. وقد اختلفت روايات المؤرخين في تفسير الأسباب التي دعت ذلك الحضي لاغتياله.

سياسته الخارجية مع النصارى والمسلمين : بغض النظر عن سياسة يوسف بن يعقوب اتجاه بني عبد الواد ونصارى الأندلس، عرف عهد هذا السلطات علاقات سياسية واقتصادية مع دول نصرانية ومسلمة أخرى منها جنوة التي توصل من صاحبها في شوال سنة 691 / 1292 بهدية جلييلة. واستقبل في جمادى الأولى سنة 692 / 1293 العديد من رسل الدول المجاورة ؛ وهكذا استقبل رسول ولد "الرنك" ملك البرتغال، ورسول ملك بيونة، ورسول سلطان تونس.

وأثناء حصاره الطويل لتلمسان وفدت عليه رسل سلطان أفريقية بهدايا جلييلة، وطاع له أهل بجاية وقسنطينة، كما وفد عليه أهل الحجاز ورسول الملك الناصر صاحب مصر والشام بهدية ثمينة رد عليها السلطان المريني بهدية أثنى. ورغم الإنجازات التي عرفها عهد السلطان يوسف بن يعقوب، فإنه ترك البلاد تتخبط في مشاكل الخلافة، وشمال البلاد محتلا من قبل النصارى.

ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ؛ ابن الأحمر، روضة النسرين ؛ ابن خلدون، العبر ؛ الناصري، الاستقصا، ج 3 ؛ رشيد السلمي، وثائق مرينية "مراسلات، معاهدات، ظهائر"، ج 1 ؛ محمد ياسر الهلالي، اغتيال السلطان يوسف بن يعقوب المريني : قراءة في نصوص تاريخية ومناقبة لحادثة المنصورة".

Jean Brignon [et al.], *Histoire du Maroc* ; Ahmed Khanboubi, *Les premiers sultans mérinides* ; Mohamed Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen-Age*.

محمد ياسر الهلالي

يوسف السلطان العلوي (مولاي -)، ابن السلطان مولاي الحسن ابن السلطان سيدي محمد ابن السلطان مولاي عبد الرحمن، يحتل المرتبة الثانية عشرة بين ملوك الدولة العلوية ابتداء من السلطان مولاي رشيد. ولد في مدينة مكناس سنة 1297 / 1878 وتولى العرش في 29 شعبان 1330 / 13 غشت 1912 بعد استقالة أخيه السلطان مولاي حفيظ ورحيله إلى فرنسا.

مرت فترة ملكه في ظروف عصيبة وغير عادية من تاريخ المغرب.

فهو أول سلطان في عهد الحماية، - إذا استثنينا الفترة القصيرة التي قضاها مولاي حفيظ بين 30 مارس 1912 تاريخ توقيعه على معاهدة الحماية واستقالته ورحيله إلى فرنسا في 13 غشت 1912 - فكل عهده الذي امتد من 13 غشت 1912 إلى نوفمبر 1927 مر في مغرب فقد استقلاله ووحدته السياسية والترابية، فالبلاد كانت مقسمة بين فرنسا التي استولت على القسط الأكبر وبين إسبانيا التي حازت المنطقة الشمالية في 27 نوفمبر 1912 وفوضت فيها

عن الجيش، وقد تضررت علاقته كثيرا مع ابن الأحمر الذي توأما من "الأذفونش" بتمكينه من احتلال طريف لمنع السلطان المريني من الجواز إلى الأندلس. غير أن ابن الأحمر سعى من جديد إلى عقد الصلح مع يوسف بن يعقوب وتم له ذلك سنة 692 / 1293 بعد لقاء جمع بينهما في طنجة. وأثمر هذا اللقاء جواز يوسف بن يعقوب إلى الأندلس سنة 693 / 1294، حيث قام بمحاصرة طريف.

وعندما توفي سلطان الأندلس أبو عبد الله بن الأحمر سنة 701 / 1301، ولي بعده ابنه محمد المخلوع فكتب بالبيعة إلى يوسف بن يعقوب، لكنه ما لبث أن أعلن موالاته لـ"هرنادة بن ساجحة" ضد المغاربة، وأكثر من ذلك اقتحم أسطوله سنة 705 / 1305 مدينة سبتة، واستبد بأمرها. ولم تفلح الحملة التي أرسلها السلطان المريني في استرجاع المدينة إلى السيادة المرينية. ونتيجة لانشغال يوسف بن يعقوب بحصار تلمسان الطويل الآتي الذكر، توقف المرينيون عن تنظيم عمليات الجهاد في الأندلس؛ وفي هذا الإطار تبادل السلطان المريني سنة 703 / 1304 رسائل مع ملك أراغون "خايمي الثاني" بشأن الهدنة في الأندلس، والتعاون العسكري بينهما، ضد قشتالة بالنسبة لأراغون، ولاسترجاع سبتة بالنسبة للمرينيين.

سياسته تجاه بني عبد الواد : يلاحظ من خلال دراسة الثورات التي قامت ضد السلطان يوسف بن يعقوب، أن العديد من الثوار الذين فشلت ثوراتهم كانوا يلجأون إلى تلمسان. ولعل هذا كان أحد الأسباب التي دفعت السلطان المريني إلى شن العديد من الغارات على بلاد بني عبد الواد بدءا من سنة 689 / 1291، حيث كان ينسف ويخرب قراها، ويحطم زروعها، ويقطع أشجارها. ولم تفلح محاولات بني عبد الواد في الصلح مع المرينيين بدليل أن يوسف بن يعقوب عاد سنة 695 / 1295 لغزو بلاد تلمسان، وكرر الأمر نفسه في السنة الموالية. ولإحجام مخططه ضد بني عبد الواد أمر ببناء وحدة وتحصين أسوارها، ونقل إليها الجيوش وأمرهم بالإغارة على مدينة تلمسان وأحوازها بين الفينة والأخرى. وعاد في سنة 697 / 1297 مرة أخرى لغزو تلمسان ومحاصرتها. والظاهر أن هذه المحاصرات - وإن لم تدم مدة طويلة - لم تأت أكلها من جهة، ولم تقنع السلطان من جهة أخرى، لذا اتخذ قراره بمحاصرتها حتى تدعن له البلاد. وقام بذلك فعلا عام 698 / 1297، وقد دام هذا الحصار ثمانية أعوام وثلاثة أشهر وخمسة أيام أي أنه لم يرفع سوى سنة 706 / 1305، ولعله أطول حصار عرفه تاريخ المغرب

الإسلامي، وأهم حدث سياسي وعسكري عرفه عهد هذا السلطان المريني. وكان بناء المنصورة عام 702 / 1302، أحد أهم الإجراءات التي واكبت الحصار، الذي انتهى بفاجعة اغتيال السلطان يوسف بن يعقوب على يد أحد خصيائه يدعى سعادة، وذلك في ضحى يوم الأربعاء تاسع ذي القعدة عام 706 / 13 مايو 1307 عن سن السادسة والستين من

عليها منذ بداية الحماية إلى حدود سنة 1920، وتخلي النخب عن فكرة الجهاد. كالعلماء الذين صار ليوطي يسميهم بـ"الأركان العليا الدينية" واعتبروا أن الاستعمار "محنة وإرادة الله لإصلاح أحوال المسلمين". فأبو شعيب الدكالي مثلاً لم يؤيد حركة الجهاد بحجة أن المسلمين "لا قدرة لهم، ولأن المقاومة تعطي فرصة للكفار لاحتلال أرض الإسلام" واختار الدخول للمخزن والتعاون مع سلطات الحماية كوزير للعدل. وفضل أفراد المخزن والأعيان الذين اعتبرهم ليوطي "الأركان العليا السياسية" والتجار والأمناء الذين اعتبرهم "فرقة اقتصادية من الدرجة الأولى" أن يصبحوا "شركاء الحماية في الإصلاح" على "السبية".

أما الشطر الثاني من المغرب مغرب قمم الجبال أو بلاد "السبية" التي كانت تحتفظ بنوع من استقلال القرار وبوسائل دفاعها الخاصة لبعدها عن متناول المخزن فقد ظلت ترفض "الأمن الاستعماري" والخضوع للأجنبي وبقيت محاصرة عسكرياً واقتصادياً إلى سنة 1934 ولم تستسلم، باعتراف الجنرال كيوم، "إلا بعد أن استنزفت كل قواها" في مقاومة متشعبة اقتتدت المبلور التقليدي الذي يوحد بين حركات الجهاد ويعطيها القوة والفعالية.

بالإضافة إلى هذه العوامل الداخلية المحضة التي جعلت عهد مولاي يوسف يظهر كفترة تاريخية بين مزدوجتين تسلم فيها زمام الأمور فاعلون أجانب، كرس القوى الاستعمارية هذه الحالة بكل الوسائل العسكرية والسياسية والقانونية والاقتصادية والتقنية. واتبعت في ذلك خطة نابغة من خبرة الاستعمارية طويلة، اكتسبت في الجزائر وتونس والهند الصينية ومدغشقر والتونكان، ومن الدراسات العلمية الاستعمارية. هذه السياسة كانت بالأساس تقتضي استخدام السلطة المركزية الموجودة كواجهة تمارس وراءها سلطات الاحتلال بكل حرية حكماً مطلقاً. وقد جعلت من سياسة الإصلاح ذريعة، إذ لم يكن الإصلاح يرمي "إلى تطوير المؤسسات بل إلى استعمالهم لتنظيم الحماية من داخل الحكومة الشريفة وخلف واجهة مخزنية" وهي السياسة التي طبقتها الحماية في أول عهدها بنجاح، لتوفر الظروف الملائمة.

فالسُلطان مولاي يوسف الأخ الأصغر لمولاي حفيظ، لم يكن مهياً لا سياسياً ولا فكرياً لمواجهة مخططات لم يكن المغرب يشكل فيها إلا حلقة صغيرة وأخيرة من مسلسل عالمي ظهرت معالمه واضحة منذ القرن التاسع عشر، فقد كبر في الظل وسط إخوة يفوق عددهم الخمسين، ولم تكن مرتبته بينهم من ناحية السن تستوجب تربية سياسية تؤهله للقيام بمهام العرش. ولم يظهر للوجود إلا حينما وقع عليه اختيار مولاي حفيظ ليكون خليفة له في فاس حينما انتقل هو إلى

صلاحيات السلطان لخليفة سلطاني. وصارت طنجة منطقة دولية لا يمثل فيها المخزن إلا من خلال مندوب مفوض دون نفوذ. كما أن الميكانيزمات التي سمحت للمغرب في حقب تاريخية مختلفة، بالخروج من الأزمات، تعطلت طول هذه المدة، إذ عجزت المؤسسات التقليدية عن القيام بدورها التاريخي. فالمخزن فقد هيئته منذ عهد مولاي عبد العزيز بسبب انجراف وفشل سياسة "الإصلاحات" و"التحديث" التي مرت تحت الضغط الأوربي. كما فقد مشروعيتها في عهد السلطان مولاي حفيظ بعد عجز هذا الأخير عن الوفاء بشروط البيعة التي كان الجهاد من أهم بنودها، ومصادقته على معاهدة الحزيرات في 7 دجنبر 1908، ثم استنجاهه "بالكفار" بعد محاصرة فاس من طرف القبائل وتوقيعه على عقد الحماية في 1912 الذي اعتبره المغاربة "بيعا للبلاد" من طرف السلطان. ولم تستطع تقلبات مزاج مولاي حفيظ ولا تناقضات مواقفه بين موقع على عقد الحماية ورفض للخضوع لشروطها، ولا تنازله عن العرش في جو من الضغوط والمقايسة أن تعيد الاعتبار للمؤسسة السلطانية... واعتبر البعض السلطان الجديد الذي بايعه العلماء باقتراح من السلطات الاستعمارية، "سلطاناً رومياً" و"سلطاناً الفرنسي" و"سلطان الحماية". وتنبأ آخرون بأن الأسرة الحاكمة "التي ابتدأت بثلاثة ملوك إخوة هم مولاي محمد ومولاي رشيد ومولاي إسماعيل ستنتهي بثلاث إخوة هم مولاي عبد العزيز ومولاي حفيظ ومولاي يوسف".

كما أن القوى الحية في البلاد اقتتدت المبلور مما أهدر طاقاتها وجعل محاولات المقاومة التي ظهرت في جميع أنحاء البلاد حين فرض معاهدة الحماية، تبقى مشتتة ودون مفعول. فبلاد المخزن أو ما سمي بالمغرب النافع التي كانت قبل الاستعمار خاضعة للتنفيذ المباشر للمخزن لوجودها عند متناول نفوذه وقوته العسكرية كالمناطق الساحلية والمدن والسهول الداخلية كفت عن المقاومة واستسلمت باستسلام المخزن. لأن احتكار هذا الأخير لكل السلط قبل الحماية سواء منها الدينية أو التشريعية أو السياسية أو العسكرية لم تترك لها أي وسيلة أو هامش للتصرف. بالإضافة إلى خروجها منهوكة القوى من النهب والفوضى التي عمت أثناء الصراع على الحكم بين مولاي عبد العزيز وأخيه مولاي حفيظ، وإلى تخلي الزوايا كالأزوية الكتانية والوزانية والدراوية التي كانت تؤطرها لإذكاء روح الجهاد واختيارها الدعاية للاستعمار. كما تخلت المدن عن المقاومة بعد فشل كل محاولات الوقوف أمام الاحتلال الفرنسي التي قامت بها سواء في الدار البيضاء سنة 1907 أو في فاس في أبريل 1912 بسبب القمع الذي ووجهت به والذي بلغ درجة من العنف غير معهودة من قبل، وحالة الطوارئ التي فرضت

الرباط. وهو اختيار قد يفسر بتخوف مولاي حفيظ أن يتولى هذا المنصب أحد إخوته الأكبر سنا والأقوى شخصية ممن كان ينافسه، ولعدم خطر مولاي يوسف الذي لم تكن له أي دعامة قبلية لأن أمه أمينة كانت تركية. وقد اختاره ليوطي لأنه رأى فيه "بديلا وافيا للغرض". وقد يكون إجهاش مولاي يوسف بالبكاء عندما أخبر باختياره كسلطان منبعا من شعوره بهول الأموال والأوضاع وجسامة المهمة، أكثر مما كان منبعا من المفاجأة والفرح بسلطة لم يكن ينتظرها.

أما الطبقة المخزنية التي كانت موجودة في الساحة أثناء الاحتلال سواء منها العزيزية أو الحفيظية فقد كانت مستعدة للتعامل مع الأجنبي لتعودها على "خدمة مصالحها قبل كل شيء" مما جعلها "تتعاون" بسهولة مع الإقامة العامة و"تظهر إخلاصها للقضية الفرنسية". وقد لعبت الإقامة العامة على وتر هذه المصالح التي جعلت منها وسيلة ضغط. ووظفت المنافسات بين أعضاء المخزن وضربت بعضهم ببعض لضمان هذا "الإخلاص" الذي كان المقيم العام ليوطي يعرف أنه معرض في كل وقت للزوال لما أظهرته هذه الطبقة من "فن الخداع واللعب على الحبلين والخطاب المزدوج"، واعتمدت السلطات الاستعمارية على عقد الحماية لتطبيق سياستها سواء بالوسائل العسكرية العنيفة، أو بالوسائل القانونية والإدارية والاقتصادية.

فقد وظفت البند الثاني من عقد الحماية الذي ينص على أن "جلالة السلطان يقبل منذ الآن أن تقوم الحكومة الفرنسية بعد إخبار المخزن باحتلال عسكري للمناطق المغربية كلما ظهر ذلك لازما للحفاظ على المبادلات التجارية" وكذلك الفصل الثالث الذي ينص على "مد الدعم الدائم للجناب الشريف ضد كل خطر يهدد شخصه أو عرشه أو أمن أراضيه" للقيام باحتلال البلاد والقضاء على المقاومة باسم السلطان، وقد استعملت القوات الاستعمارية لهذا الاحتلال الذي سمته عملية نشر السلم "Pacification" كل وسائل العنف الحديثة وحتى القديمة التي كانت الدول الأوربية تعيها على المخزن وتتخذها ذريعة للتدخل في شؤونه الداخلية.

وقد قامت سلطات الاحتلال باسم السلطان، باعتبار حمل السلاح "رجوعا للجاهلية" و"فتنة" والمقاومين "عصاة" و"منشقين عن السلطان" و"فسادا". وحرصت على أن يظهر السلطان بمظهر المؤيد لهذا الاحتلال. ويظهر نجاح سياسة الخلط هذه بين مصالح الحماية ومصالح السلطان والمخزن، من اقتراح مولاي يوسف على المقيم العام بأن "يقود بنفسه حملة عسكرية ضد الهيبة" الذي لقب بسلطان الجهاد باعتبار "أن الأمر يهمه هو". وفعلا "أرسله" المقيم العام إلى مراكش في دجنبر 1912 مباشرة بعد القضاء على ثورة الهيبة، فمكث فيها عدة أشهر ليظهر أن انتصار الجيوش الفرنسية كانت انتصارا للسلطان الشرعي للبلاد.

وقد وجدت هذه السياسة في شخص "هوبير ليوطي"

Hubert Lyautey المقيم العام الأول في المغرب من 12 أبريل 1912 إلى أكتوبر 1925 باستثناء مدة قصيرة تمتد من يناير ومارس 1917 حينما صار فيها وزيرا للحرب في فرنسا وعيّن الجنرال Gouraud لينوب عنه في الإقامة العامة. أحسن منفذ. فتجربته الاستعمارية. وميولاته السياسية الملكية وأصله الأرسطراطي وإيمانه بتأثير "المظاهر على المجتمع الإسلامي" و"بالدور الاجتماعي للملكية الوراثية"، واقتناعه "بالسيادة الدينية للسلطات التي لم يكن ينازع فيها أحد حتى الذين يعارضون سلطته السياسية" جعله يحرص على تقوية الواجهة الدينية والمظاهر المخزنية التقليدية لترسيخ نظام الحماية. وعمل على أن "يلاحظ المغاربة الذين اعتبروا الحماية كحرب صليبية ضد الإسلام أن الحماية تحترم الديانة الإسلامية، وأن السلطان يمارس بكل حرية وأبهة الشعائر الدينية التي وصى بها النبي". وحرصا منه على إظهار احترامه للإسلام منع على غير المسلمين الدخول للمساجد والأضرحة. وطبق هذا على نفسه حيث امتنع عن دخول ضريح مولاي إدريس حينما طلب منه ذلك علماء فاس وأعيانها بعد شفائه من مرض الكبد الذي ألزمه الفراش. وقد أكسبته مظاهر الاحترام التي كان يبديها للإسلام والعلماء لقب "مارشال الإسلام". كما عمل على تضخيم المظاهر البروتوكولية، حتى يجلب أنظار المغاربة نحو وجود السلطان، وليبقى هذا الأخير "الرمز الحي للتقاليد". فلعب دور "الخادم الأول لسيدنا" معطيا المثال لغيره من الأوربيين في احترام "القاعدة" و"التمخزنية" فكان "يبندق" ثلاث مرات حين ملاقاته السلطان ويتراجع مشيا للوراء حين انتهاء المقابلة. وفي إحدى المناسبات الرسمية نزل، وهو المارشال المدجج بالميداليات الحربية، من سهوة فرسه ليمسك لمولاي يوسف الركاب حتى يمتطي جواده. كما عمل على أن تحمل الشواهد والإيصالات الرسمية الفرنسية التي تصدرها الإقامة العامة بالعربية عنوان "الدولة الفرنسية" عوض "الجمهورية الفرنسية" مراعاة لشعور السلطان. ومن وراء هذه المراسيم البروتوكولية والهيبة التي أحيط بها شخص السلطان، والصيت الديني الذي أصبح لمولاي يوسف والذي عززه بتدينه، وتكوينه الفقهي، ووقاره، وتعدي حدود المغرب إلى الجزائر وتونس حينما أفتى العلماء بإيعاز من المقيم العام. بعد دخول تركيا إلى جانب ألمانيا في الحرب الكبرى. بأن سلطان المغرب صار خليفة عوض الخليفة العثماني، مارست الإقامة العامة حكما مطلقا. متجاوزة حتى الصلاحيات الواسعة التي أعطاها إياها عقد الحماية. فهذا العقد الذي كان مبدئيا معاهدة بين "حكومة الجمهورية الفرنسية وحكومة الجلالة الشريفة" للقيام بإصلاحات إدارية وعدلية وتعليمية واقتصادية ومالية وعسكرية" كما ينص على ذلك الفصل الأول من المعاهدة التي نصت كذلك في "الفصل الرابع" على سلطات السلطان، وإن كان بصفة غير واضحة، أصبح على أرض الواقع عقدا أحاديا مفروضا عملت

فرنسا في إطاره على إفراغ المؤسسات المغربية من كل مقومات السيادة والسلطة. فرغم تصريحات ليوطي الذي كان يؤكد في كل المناسبات "أن المغرب ليس مستعمرة" وأن الحماية تركت للمغرب مؤسساته وسيادته فإن نظام الحماية تحول منذ الوهلة الأولى على أرض الواقع، إلى حكم مباشر إذ جرد السلطان من كل السلط. مع أن كل التشايع والأحكام كانت تؤخذ باسمه، وأن تسمية موظفي المخزن والقواد والباشوات بقيت من اختصاصه، لكن دوره لم يتعد المصادقة على القوانين التي تقترحها الإقامة العامة. وفي إعطاء ظهائر للأشخاص الذين تختارهم. وإقالة من تريد إقالته. وحتى حينما يوضع الطابع الشريف على الظهائر، فإنها لا تصبح جارية المفعول إلا بعد توقيع المقيم العام عليها. مما جعل مولاي يوسف باعتراف المقيم العام "يعيش أسيرا ومعزولا في قصره ليس له اطلاع على الشؤون العامة ولا يأخذ أي مبادرة، ولا يشرف بنفسه على أي شيء رغم رغبته الأكيدة في ذلك واهتمامه بالأشياء ولكنه ينتظر يتحفظ أن يتاح له ذلك وهو ما لا يتاح له أبدا. ولولا أنني أزوره للتحدث إليه في بعض الأمور لعاش في عزلة تامة".

وبالفعل فقد عملت الإقامة العامة على حصر نشاط مولاي يوسف في الأمور الدينية كالاحتفال بالعيد النبوي وعقد المجالس الدينية كالمجالس التي كانت تعقد بصفة رسمية لمدة ثلاثة أشهر في السنة: رجب وشعبان ورمضان. وبدل عدد المولدات في هذه الفترة والتي تعدت 150 مولودية والأشعار التي قيلت في مدح مولاي يوسف والألقاب التي أطلقت عليه فيها، كآبي المحاسن وآبي العز وآبي الفضل وآبي السعود، والعطايا التي كانت توزع، على الأهمية التي كانت تحظى بها هذه الاحتفالات سواء من طرف السلطان أو من طرف العلماء والأدباء... وزيادة على هذا النشاط الديني الذي شمل كذلك حضور جناز بعض الشخصيات الدينية من علماء وقضاة كتشيع جنازة القاضي أحمد بناني الرباطي إلى الزاوية الناصرية، وجّه نشاط مولاي يوسف الذي أظهر اهتمامه بالأطفال والمسائل الفلاحية والاجتماعية، نحو تدشين المدارس والمرافق العمومية والمستشفيات، وزيارة الأسواق لمراقبة الأسعار. وكانت التدشينات مناسبة لإظهار الأبهة المخزنية.

كما حرصت سلطات الحماية على أن يحترم الجميع "المراتب والسلم الاجتماعي التقليدي" "وأن يبقى الأشخاص والأشياء في محلها القديم" "وأن يبقى أصحاب الحل والعقد الطبيعيين من وزراء وقواد وباشوات وحدهم المؤهلين لإعطاء الأوامر التي على الآخرين الانصياع لها". لهذا لم تكن سياسة "إصلاح المخزن" التي سلكتها الإقامة العامة انطلاقا من البند الرابع من معاهدة الحماية ترمي إلى تحديث أجهزته والقضاء على الفساد وتقويم الخلل الذي كان من بين الأسباب التي أسقطت المغرب في يد الاستعمار، وفي هذا الإطار أرجع ليوطي عددا من أعضاء المخزن الحفيظي الذين استغني

عنهم في أوائل عهد مولاي يوسف. فمحمد بن عبد السلام المقري الذي كان المقيم العام بلقبه Forban أقيل من منصب الصدر الأعظم في نوفمبر 1913 لتهيبه أملاك الدولة وبناء قصره في الرباط على أرض للأحباس واستلثته على ثروة باحماد بظهير مشبوه وتركه الأمور بين أيدي ابنه الطيب المقري القليل التجربة، وعوض بمحمد الجباص الذي كان وزير الحرب في عهد مولاي عبد العزيز ثم مندوبا للسلطان بدار النيابة بطنجة. إلى أن أعيد من جديد ليحتل نفس المنصب سنة 1917 بعد إعفاء الجباص. وكذلك الجزائري قدور بنغبريط ترجمان ومستشار الحكومة الفرنسية عند عقد الحماية الذي كان ليوطي بلقبه L'aigrefin "المحتال" والذي عاد ككاتب للصدر الأعظم في التشريعات بعد أن كان قد أقيل من منصبه كمدير لمصالح الترجمة العامة والبروتوكول والأوسمة العلوية. وأعيد المدني الكلاوي الذي ترك صدى سيئا حينما كان وزير حرب مولاي حفيظ، لما مارسه من نهب وقمع على القبائل الطائفة منها والثائرة، ليمارس نفس القمع والنهب كقائد في الحوز...

وكان الهدف الأول من وراء كل التغييرات التي قامت بها الحماية على صعيد تركيبة الحكومة الشريفة كحذف وزارات وخلق أخرى وإنشاء مديريات متعددة هو إفراغ المخزن المغربي من كل مكونات السلطة والسيادة. فقد اعتبر المغرب "كقوقة" - artichaut - يجب نزع أوراقها الواحدة تلو الأخرى ليتمكن أكلها، فحذف وظيفة العلاف الكبير (وزارة الحرب) و"وزير البحر" الشؤون الخارجية" كان يرمي إلى عزل السلطان والجهاز المخزني عن الشؤون العسكرية والعلاقات الخارجية. إذ صار المقيم العام هو القائد الأعلى للجيش الشريف، والمكلف بالشؤون الخارجية... وقلص عدد الوزارات إلى ثلاثة: الوزير الصدر "الوزارة الأولى" ووزارة الأحباس التي أسست بظهير 16 جمادى الثانية سنة 1332 الموافق 12 ماي 1914 ووزارة العدل "الشكايات" التي تولاه في الأول أبو شعيب الدكالي. وحتى هذا العدد القليل من الوزارات قلص من اختصاصاته، فالصدر الأعظم - وهي الوظيفة التي احتلها المقري من 1917 إلى نهاية عهد الحماية - كان مبدئيا مفوضا من طرف السلطان للتوقيع على مشاريع القوانين الوزارية ومكلفا بالشؤون الداخلية والمالية ولكن لم تكن له في الحقيقة إلا سلطة صورية، تنحصر في التوقيع على القوانين التي تقترحها الإقامة العامة. بينما كان الباشوات والقواد يخضعون مباشرة للمراقبين العامين وضباط الشؤون الأهلية، التابعين لمديرية الشؤون الداخلية ومديرية الأمن العام اللتين يشرف عليهما المقيم العام مباشرة. كما أسندت الشؤون المالية إلى مديرية تابعة للإقامة العامة. أما وزارة الأحباس التي أسندت أول الأمر لأحمد الجاي فقد أطر علماءها وفقهاؤها الذين شكلوا المجلس الأعلى للأحباس بتقنين فرنسيين لتنظيم أملاك الأحباس. وأخضعوا لمراقبة الإقامة العامة. وأصبح مدير فرع الأحباس التابع لإدارة

يشارك فيه وزراء مولاي يوسف. بل بقي هذا المجلس مدة طويلة مكونا من الفرنسيين فقط. ولم يكن المخزن الشريف يخبر بقراراته إلا من طرف الموظفين الذين كانوا يحضرون الجلسات الوزارية الأسبوعية التي يعقدها الصدر الأعظم وي طرحون خلالها في عروض - يترجمها في غالب الأحيان مترجم جزائري فرنسي .. قرارات الإقامة العامة.

وقد لعب مولاي يوسف بليونته طبعه، واعتدال مزاجه وعدم محاولته وضع عراقيل أمام نشاط الإقامة العامة، دور "الشريك في الإصلاحات" كما كان يأمل ليوطي إذ عمل على "أن لا تتراكم القضايا التي تتطلب ظهيرا شريفا دون معرفة مآلها". مما سمح بالإسراع بوتيرة التحديث، ويقدر عدد الظهائر الشريفة التي أصدرت في سنة 1921 وحدها بـ 334 ظهيرا زيادة على 486 مرسوماً وزارياً، دون عدد القرارات التي أصدرتها الإقامة العامة. لهذا يمكن اعتبار عهد مولاي يوسف عهدا وضعت فيه اللبنات الأولى للمغرب المعاصر في جميع الميادين الإدارية منها، والقانونية، والاقتصادية، والتقنية، وعلى صعيد البنيات والتجهيزات التحتية.

لقد أصبحت الرباط منذ 1912 عاصمة المملكة الشريفة عوض فاس التي وضع على رأسها الباشا بوشتي البغدادي لقطع النفس الأخير لكل مقاومة إلى سنة 1932. ويفسر نقل العاصمة من فاس إلى الرباط بأن السلطات الاستعمارية اعتبرت فاسا "مدينة قاتلة". في حين كان موقع الرباط الساحلي يجعلها تحت رحمة الأسطول الفرنسي. كما صار العلم الأحمر الذي تتوسطه النجمة الخضراء التي ترمز إلى أركان الدين الخمسة، علما وطنيا. ووضع النشيد الوطني الذي لحنه ضابط فرنسي بالحرس الشريف، وصار التوقيت الإداري تابعا لتوقيت غرينويتش. ودخل نظام الترتيب في حيز التطبيق في السنة الفلاحية 1912 - 1913 وخصصت أجور للوزراء والعلماء والقضاة والعدول، ودشنت محكمة العدل سنة 1913 وخرج قانون المسطرة الجنائية للوجود سنة 1913 وكذلك القانون المدني. وبنيت أهم المرافق العمومية من وزارات وبلديات ومصالح البريد والتلغراف. وأسست عدة مصالح : كمصلحة التسجيل العقاري والمحافظة على الأملاك العقارية. ووسعت موانئ كميناء الدار البيضاء الذي ارتفع نشاطه بعشر مرات في ظرف ست عشرة سنة وميناء "موكادور" الصويرة، و"مازاكان" الجديدة، ووضع مشروع ميناء الرباط وميناء القنيطرة واتسعت شبكة السكك الحديدية خصوصا بعد انتهاء الامتياز الذي كان لألمانيا في هذا الميدان. وعيدت 1500 كلمتر من الطرق، منها الرابطة بين الساحل الأطلسي ومراكش والرباط وفاس وبين وجدة وتازة والدار البيضاء والرباط وبين الرباط، وطنجة عبر سلا والقنيطرة. وأسست عدة مدارس ابتدائية، والثانويات الإسلامية "ككوليج" مولاي يوسف في الرباط و"كوليج" مولاي إدريس بفاس ومدرسة لتعليم "اللغة العربية واللهجات

الشؤون الشريفة يتحكم في وزير الأعباس وفي النظار. وإذا كان تنظيم الأوقاف بعشرات الظهائر، قد جعل حدا لنهب هذه الأملاك من طرف بعض أعضاء المخزن، فإنه لم يمنع من اعتداء سلطات الحماية عليها. فقد نزع آلاف الهكتارات منها وفوتت للمعمرين الفرنسيين، بدعوى المصلحة العامة كما أن وزارة العدل جردت من عدة صلاحيات، وكاد نشاطها ينحصر في الأمور الشرعية.

وحرصت سلطات الحماية على أن يبقى المخزن رغم المظهر الإداري العصري الذي أصبح عليه بتركيبته الجديدة الهرمية : الوزير، مدير البنية، نائب المدير، رئيس الديوان، كاتب أول، كاتب ثاني إلخ "رمزا للجمود"، بعيدا عن مسلسل "التجديد" والحركية التي طبعت على الخصوص السنين الأولى للحماية. وأفراده يعيشون في "غفوة لذيدة" داخل بنىقات، مريعين على زرابي "كما كان الأمر في عهد مولاي الحسن"، في شبه عزلة عن التحولات العميقة التي كانت بذورها تزرع في البلاد. وكاد أفقهم أن "ينحصر في الحفاظ على الطقوس والتقاليد" وفي نقاشات بيزنطية حول تحريم أو تحليل إرسال نبأ ظهور الهلال عن طريق التلغراف. وخلف "هذا الديكور المخزني العتيق" الذي حرص ليوطي أن يبقى المخزن محاصرا داخله، مارست الإقامة العامة أو ما سمي "بالمخزن الفرنسي"، و"حكومة الحماية" كل السلط بعد أن وفرت لنفسها الوسائل القانونية والإدارية. وترسانة من الموظفين العسكريين والمدنيين والتقنيين العاملين في المديرات والمصالح المركزية والجهوية. ومقارنة بسيطة بين نسبة الموظفين في الجهاز المخزني التقليدي ونسبة الموظفين في مصالح الإقامة العامة، يظهر أن تهميش الجهاز المخزني لم يكن فقط على صعيد الصلاحيات بل كذلك على صعيد الكم. ففي سنة 1914 بلغ عدد الموظفين الفرنسيين 1500 منهم 281 في الجهاز المركزي مقابل 42 موظفاً في المخزن وفي سنة 1925 ارتفع عدد الموظفين الفرنسيين إلى 6731 منهم 680 في الجهاز المركزي بينما كان عدد موظفي الجهاز المخزني كله لا يتعدى 474.

ولوضع قنطرة بين "المخزن" العتيق و"مخزن الفرنسيين" سمي هانري غايارد Henri Gaillard كاتباً عاما لمصلحة الشؤون الشريفة باعتباره خبيرا في الشؤون الإسلامية وخصوصا المغربية حيث كان قنصلا عاما لفرنسا في فاس في عهد مولاي حفيظ، وسهر على تحرير مشروع عقد الحماية. وكانت مهمته "تلقين السلطان ووزراءه الأساليب العصرية في تسيير الشؤون الإدارية"، ولكن بعد رحيله سنة 1914 حذفت وظيفة الكاتب العام للشؤون الشريفة وعوضت بمستشار في الشؤون الشريفة تابع للمقيم العام.

وبإسماها بزمام مختلف المصالح مارست الإقامة العامة "ديكتاتورية إدارية" على الصعيد المركزي والجهوي. فالقرارات السياسية والاقتصادية والإدارية صارت تؤخذ في مجلس الحكومة الذي انعقد تحت رئاسة المقيم العام دون أن

البربرية" في الرباط التي صارت في سنة 1920 "معهد الدراسات العليا" وبنى مستشفى مولاي يوسف بالرباط وعدة مستوصفات، وشرع في إصلاح نظام التعليم في القرويين حيث أسس المجلس التحسيني الذي أسندت رئاسته لمحمد الحجوي نائب الصدر الأعظم في المعارف، كما أسست مصلحة المتاحف، وفتح متحف فاس ومكناس والودايا، وصدرت ظهائر تعتبر أسوار فاس ومراكش تراثا وطنيا. ونشطت حركة التنقيب على الآثار فاكتشفت عدة آثار رومانية كوليلي، كما ظهرت البوادر الأولى للحركة الصناعية ففتحت عدة مناجم. وأسس المكتب الشريف للفسفاط سنة 1920. كما اهتم ليوطي الذي لقب بـ"الباني" لشغفه بالبناء والتشييد، بالمدن التي اتسعت حسب تصميم نابع من نفس العقلية التي فصلت بين "المخزن العتيق" و"مخزن الفرنسيين". إذ قسمت المدن إلى مدينتين لا يجمع بينهما أي شيء : المدينة القديمة المخصصة "للأهالي" والمدينة الجديدة المخصصة للأوروبيين، والتي أخذت طابع المدن الجديدة الأمريكية بشوارعها الواسعة ومقاهيها ونواديها الليلية التي تضاعف عددها أثناء الحرب العالمية الأولى حتى لا "يشعر أحد بالأزمة الاقتصادية والانهازات التي كانت تعيشها الميتربول"، كما أن ليوطي الذي كان يؤمن بأن "فتح ورش أجدى من فيلق"، وأن "مستقبل فرنسا لا يتعلق بانتصارها في الأتراس واللورين بل بالحفاظ على وجودها في المغرب، لأنه خزانها من المحاربين وبما تحتاج إليه من المواد"، حرص أثناء الحرب على أن لا تتوقف حركة البناء والأشغال الكبرى لتبقى فرنسا التي قلصت من جيوشها في المغرب "تظهر للمغاربة بمظهر الدولة القوية"، واستخدم ليوطي في الأوراش أسرى ألمانين ليوهم المغاربة بـ"انتصار فرنسا على ألمانيا". واستغل انشغال الميتربول وتحرره من المراقبة البرلمانية والحكومية التي كانت تبطن من سير الأمور ليسرع بوتيرة المشاريع.

وإذا كانت هذه السياسة الاستعمارية التي سلكتها الحماية في عهد مولاي يوسف قد ميزت "المغرب النافع" الذي أعطته هذه الحركة مسحة من الحداثة والاستقرار، عن مغرب الجبال الذي ظل يرفض "الأمن الاستعماري" فإنها لم تصمد طويلا أمام الحقائق السياسية والثقافية التي كشفت عنها حرب الريف.

لقد أظهرت هذه الحرب فشل السياسة "الأهلية" وحدود النظريات الاستعمارية التي اعتمدها ليوطي، وأحدثت الطلاق من جديد بين المجتمع ومؤسساته التقليدية... فالانتصارات التي حازها المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي في أنوال سنة 1921 وتحريره مدينة شفشاون من يد الإسبان سنة 1923 زعزعت القوى التي بنت عليها فرنسا سياستها الاستعمارية داخل المنطقة المخزنية وغيرت نظرتها "للتعاون" مع سلطات الاستعمار، فقد ظهر محمد بن عبد الكريم الخطابي، الذي اعتبره الفرنسيون "عدوا"، كمجاهد

عصري، خصوصا وأن حركته أحييت آمال جميع المسلمين من المحيط الأطلسي إلى الهند في استرجاع عزمهم، وقضت على الأطروحة المخزنية والاستعمارية التي كانت تقدم المقاومة المسلحة كـ"عصيان للدين" و"رجوع للجاهلية" والمجاهدين كـ"فساد" و"منشقين" و"عصاة"، خصوصا وأن محمد بن عبد الكريم ظل يعترف بمولاي يوسف كسلطان للبلاد. ولم يعد للوسائل الدينية التي تعودت الإقامة العامة استعمالها في الأزمات كالاتعانة بدعاية الزاوية الدراوية أي مفعول على السكان. فالشريف الدراوي اضطر للفرار من منطقة نفوذه واللجوء إلى فاس تحت حراسة الجيش الفرنسي. وحتى المنشور الذي تلي في المساجد باسم مولاي يوسف، سنة 1925، وتنقل السلطان لحد القبائل على مقاومة محمد بن عبد الكريم بعد أن قطع هذا الأخير الطريق بين تازة وفاس، وأصبحت جيوشه على بعد 28 كيلومتر من فاس، لم يكن لها أي أثر على الرأي العام المغربي، بل تأكد للجميع أن السلطان لم يكن حرا في تصرفه بل "مسيرا من طرف سلطات الحماية"، وظل أعيان فاس ونخبتها يظهرون تعاطفهم مع حركة الجهاد الريفية. كما دخلت في صفوفه عدة قبائل كانت تعتبر حصنا لفاس ولبلايا المخزن، كالبرانس وتسول وحتى بعض العناصر من الجيش الشريف. وصارت سياسة "التعاون" بين المخزن وسلطات الحماية تظهر أكثر من أي وقت مضى دون مشروعية، بعد أن دلت الحرب التي خاضها المجاهد ابن عبد الكريم أن الانتصار على جيوش المحتلين ليس من قبل المستحيل، وأن المستعمر يحترم القوة أكثر مما يحترم سياسة "التعاون". وهذا ما أكدته تفكير ليوطي في الاعتراف بجمهورية الريف التي أعلن عنها محمد بن عبد الكريم سنة 1923 مع إبقائها تحت حكم صوري للسلطان. لهذا لم يخض المارشال الحرب ضد محمد بن عبد الكريم إلا مرغما بعد أن أصبح شبح "جمهورية إسلامية عصرية" يشكل خطرا حقيقيا على الوجود الفرنسي في المغرب الذي كان ليوطي يحرص على أن يبقى "متحفا باليونتولوجيا للإسلام". وزيادة على هذه العوامل المرتبطة بحرب الريف كانت النخبة قد بدأت تفقد الثقة التي أظهرتها إلى حدود 1920 "بالإصلاحات" التي كان ليوطي يؤكد أن الحماية الفرنسية ستحيي بها وبمساندتهم "الأمجاد القديمة التي عرفها المغرب حين كانت الأندلس وشمال إفريقيا تشكلان إمبراطورية مزدهرة"، لأن تساقطات "الإصلاحات" التي تمت طوال هذه المدة كانت أغلبيتها لفائدة المعمرين. فالمغاربة الذين استفادوا من التعليم العصري مثلا لم تتعد مرتبتهم في السلم الإداري أو الاجتماعي "مرتبة شاوش يتكلم بالفرنسية" وحالة الاستغلال التي عاشها أهل البوادي قبل الحماية لم تتغير كثيرا. فرغم أنهم تخلصوا من النهب الذي كانوا يتعرضون له أثناء الحركات المخزنية ومختلف الكلف التي كانت تفرض عليهم، فإنهم سلموا مكتوفي الأيدي لقواد الاستعمار، حيث كان "القائد يحلب القبيلة

وسلطات الحماية تمسك بقرونها". كما أن الحرب الكونية التي خاضتها فرنسا انعكست سلباً على المغرب لاستغلال خيراته في سد الحاجيات الفرنسية وتجنيده رجاله الذين شاركوا داخل الجيش الفرنسي ابتداءً من السلطان. وقد وجد الأحياء منهم أنفسهم بعد عودتهم للبلاد معرضين للاستغلال من جديد، وفي حالة الدونية بالنسبة للمعمرين بعد أن كانوا محاربين أندادا للفرنسيين.

ولكن هذه المتغيرات التي أظهرتها حرب التحرير التي قادها محمد بن عبد الكريم وتسببت في إقالة المارشال ليوطي وتعويضه بتيودور ستيك المديني الفيلسوف سنة 1925، لم تغير أي شيء من "تعاون" المخزن مع السلطات الاستعمارية، ولا من السياسة الاستعمارية التي سلكها ليوطي. وتؤكد الزيارة التي قام بها مولاي يوسف إلى فرنسا بدعوة من الحكومة الفرنسية في يوليو 1926 مباشرة بعد القضاء على ثورة الريف، واستسلام محمد بن عبد الكريم نفسه في 27 ماي 1926 استمرار هذه السياسة الرامية إلى إقناع المغاربة والفرنسيين على السواء بمتانة روابط الصداقة والتعاون بين الحكومة الفرنسية والسلطان.

فقد أعطيت لهذه الزيارة التي كانت في إطار تدشين مسجد باريس أهمية خاصة سواء من طرف الحكومة الفرنسية أو من طرف المخزن المغربي. ففي سنة 1922 وضع الحجر الأساسي في حفل حضره المقيم العام بالمغرب المارشال ليوطي ونائب الجمهورية الفرنسية وأعضاء من الحكومة الفرنسية ومن النواب الفرنسيين ومن المخزن المغربي الحاجب السلطاني التهامي عبابو والصدر الأعظم الحاج محمد المقرري، ووزير العدلية أبو شعيب الدكالي وقدرور بن غبريط وعدد من الشخصيات البارزة من بلدان إسلامية كـ مصر وتركيا وتونس والجزائر وسوريا، وبعد أربع سنوات من وضع الحجر الأساس تم بناء المسجد واستدعاء مولاي يوسف لتدشينه. وقد أحيط هذا السفر بكثير من الأهمية سواء من طرف المخزن الذي اعتبره دليلاً للصداقة والاحترام اللذين تكنهما فرنسا للمغرب وتأكيداً للدور الديني المتميز الذي يقوم به مولاي يوسف، أو من طرف الحكومة الفرنسية التي أرادت من خلاله إقناع الرأي العام الفرنسي بالعلاقات المتينة بين فرنسا وسلطان المغرب بعد انتقادات الصحافة الفرنسية خصوصاً منها الاشتراكية ومنظمات حقوق الإنسان للسياسة العسكرية المتوحشة لفرنسا في المغرب.

وقد شارك في هذه الرحلة - التي تعتبر الأولى من نوعها على صعيد العلاقات الخارجية المغربية لأنها كانت أول سفر لسلطان مغربي إلى بلاد أوروبية - ما يفوق ثمانين شخصية مخزنية من أمراء وباشوات وعلماء ووزراء. بالإضافة إلى المقيم العام الجديد. وانطلقت الزيارة من ميناء الدار البيضاء إلى ميناء ليون الفرنسي حيث استقبل السلطان من طرف غاستون دوميرك Gaston Doumergue رئيس الجمهورية الفرنسية ودامت الزيارة ما يناهز ثلاثة أسابيع شارك أثناءها

مولاي يوسف في الاحتفال بالعيد الوطني الفرنسي في 14 يوليو. وتم التدشين الرسمي لمسجد باريس يوم الخميس 15 يوليو. وألقى السلطان وكذلك الرئيس الفرنسي خطابين أشادا فيهما بالصداقة بين فرنسا والمسلمين. وفي اليوم التالي صلى مولاي يوسف في مسجد باريس وحضر الصلاة مسلمو باريس وبعض الشخصيات من العالم الإسلامي. وقد نظمت الحكومة الفرنسية لمولاي يوسف زيارة مدن أخرى كمدينة Verdun حيث وقعت أهم معارك الحرب العظمى التي سقط فيها آلاف الجنود المغاربة. وانتهت الزيارة في 6 غشت بعد مقابلة بين باي تونس ومولاي يوسف. وكان الرجوع للمغرب عن طريق مرسيليا. وإذا كان تعويض ليوطي الذي أظهر ميولاته الملكية والصداقة والاحترام لمولاي يوسف، واحترامه للدين الإسلامي والتقاليد المخزنية، بمقيم عام يحترم الشكليات والطفوس، قد خلق لدى مولاي يوسف نوعاً من الامتعاظ، فإن السنتين اللتين تفصلان بين إعفاء المارشال ليوطي و وفاة مولاي يوسف لم تكونا كافيتين لتحويل ردود الفعل ضد شخص المقيم العام الجديد إلى بروز موقف واضح وأقل سلبية من الحماية الفرنسية في المغرب. فغضب السلطان في أحد استقبالاته للمقيم العام، وفارق قاعة العرش تاركاً هذا الأخير وحيداً في القاعة. ورفض استقباله بعد ذلك عدة مرات، وتماطل في توقيع بعض الظهائر التي اعتبرها مساً بالدين، وطالب الحكومة الفرنسية باستبداله، وانتشر خبر تأزم العلاقة بين السلطان وبين المقيم العام - إلى درجة رواج إشاعة بعد وفاة مولاي يوسف بأنه مات مسموماً - مما يوحي ببداية متأخرة لوعي مولاي يوسف بدوره الحقيقي وبداية نضج سياسي وخروج شخصيته من الظل الذي حجبه طوال المدة التي تولى فيها ليوطي زمام الحماية في المغرب. ويحق للباحث أن يستدل على هذا الاحتمال بتطور موقف السلطان من السياسة البربرية التي اختيرت في الشمال الغربي للأطلس المتوسط منذ بداية الحماية. والتي عملت الإقامة العامة على ترسيخها قانونياً بظهائر شريفة. وهذه السياسة كانت تركز على مبدأ "فرق تسد" التي تقتضي عزل المناطق الجبلية ذات الثقافة الأمازيغية عن المناطق ذات الثقافة العربية، بوضع حد لانتشار اللغة العربية وتعويض التشريع الإسلامي بتشريع يرتكز على العادات والتقاليد المحلية "أزرف". اعتباراً لكون سكان المناطق الجبلية بقوا بعيدين عن التأثيرات الحضارية الإسلامية والشرع الإسلامي، ومن مصلحة الحماية أن لا تشجع انتشار هذه التأثيرات وإن على الفطرة ليصبحوا أكثر استيعاباً للحضارة الفرنسية. ففي أول عهده وقع مولاي يوسف مشتمراً على ظهر 11 / 11 / 1914، الذي ينص على أن القبائل التي لها عادات بربرية تجرى فيها الأحكام العرفية الخاصة بها. وعلى إثر هذا الظهير أصدرت سلطات الإقامة العامة في 22 سبتمبر 1915 مرسوماً ينص على أن تقوم محكمة الجماعة - التي كانت تخضع في تكوينها وقراراتها للحاكم الفرنسي - بالفصل في

القضايا المدنية في حين أوكلت الأمور الجنائية للقائد. ولكن الحرب العالمية الأولى أبطأت تطبيق الظهير. وفي سنة 1923 عادت الإقامة من جديد للضغط على مولاي يوسف لإصدار ظهير يضمن صيغة قانونية على هذه المحاكم العرفية. ولكن السلطان لم يكتف برفض توقيع الظهير، بل طالب بإدخال تعديلات على مرسوم الإقامة العامة المتعلقة بهذه المحاكم بإضافة جملة "التي لا توجد بها محاكم شرعية". إلى الجملة التي تنص على تطبيق الأحكام العرفية" في "القبائل الموجودة في المنطقة المصنفة بالبربرية" ورغم إعادة الإقامة العامة الكرة من جديد سنة 1927 بمدة قصيرة قبل وفاة مولاي يوسف، فإن ضغوطاتها بقيت دون نتيجة. وقد اعتبر الفرنسيون أن بعض حاشية مولاي يوسف كانت وراء هذه المقاومة، وعلى الخصوص الحاجب الفقيه النهامي عباو الذي كانت الإقامة العامة تنتهه بـ Xenophobie كراهية الأجانب. ومن الممكن أن هذا الأخير كانت له حظوة كبيرة لدى السلطان فأخذ بالفعل موقف الرفض من محاولة الفرنسيين سلخ المناطق الأمازيغية عن الشرع الإسلامي، متأثراً بموقف صهره الفقيه عبد الرحمان بلقرشي. فهذا الأخير رفض تطبيق مقتضيات ظهير 1914 ومرسوم الإقامة العامة الفرنسية المتعلقة به حينما كان رئيس المجلس الشرعي للاستئناف. كما أنه ارتقى على قدمي السلطان وطلب منه إعفاءه من وزارة العدل التي عين فيها سنة 1923 وهي السنة التي وقع فيها الضغط من جديد على السلطان في نفس الموضوع. وقد يكون هذا من بين الأسباب التي جعلت الإقامة العامة تعفي الحاجب عباو من منصبه، وتصادر أمواله مباشرة بعد وفاة مولاي يوسف، وتعفي قبل ذلك القاضي بلقرشي من وزارة العدل ليعود لممارسة القضاء بمقصورة الرصيف بفاس...

وإذا كانت الظروف التاريخية الدولية منها والداخلية، وشخصية مولاي يوسف لم تتح له الخروج من الدور السلبي الذي حددته له الحماية، فقد تكون هذه السلبية التي أظهرها في عهد فقد فيه المغرب كل أوراق اللعبة، سلبية إيجابية "منبعثة من وعي بالأولويات وتمييز الممكن من المستحيل" كما عبر عن ذلك المارشال ليوطي في رثائه لمولاي يوسف الذي تعرف عليه عن كثب، فقد وصفه بأنه "كان يتمتع بامتياز بالصفات الأخلاقية للمغاربة التي هي : سهولة التواصل، حاسة الممكن والنافع، تجنب الأحلام الكبرى غير الملائمة، التقوى العميقة، إرادة الوتام، الشغف بالإنتاجات، الاقتصاد في المعيشة الذي يضمن الاستقلال المالي". وإذا كانت هذه الصفات لم تعط للسلطان مولاي يوسف إلا صورة باهتة في تاريخ المغرب، فإن اسمه كتب له الخلود لأنه سيبقى مقرونا باسم ابنه الذي خلفه عند وفاته سنة 1927. فالإقامة العامة التي لم تكن مهياً لوفاة السلطان مولاي يوسف، اختارت للبيعة ابنه الأصغر سيدي محمد بن يوسف، معتمدة في هذا الاختيار نفس المقاييس التي اعتمدها ليوطي في اختيار أبيه مولاي يوسف : صغر السن وعدم تألق

الشخصية، والابتعاد عن المسائل العامة، وأمل في الاعتراف بالجميل، ولكن محمد بن يوسف استطاع تغيير أوراق اللعبة الاستعمارية، وقلب العلاقات السياسية، وأدار عرشه في الاتجاه الصحيح للتاريخ الذي نهجته الحركة الوطنية، موظفاً بمهارة ونجاح الصلاحيات التي حولها له عقد الحماية ليزعزعها من داخلها مما خلد اسمه في الذاكرة المغربية كملك الحركة الوطنية، وملك التحرير وأعاد للأسرة العلوية مشروعيتها من جديد.

توفي السلطان مولاي يوسف عن سن تناهز 47 سنة، يوم الخميس 22 جمادى الأولى سنة 1346 الموافق 1 نوفمبر سنة 1927 في مدينة فاس على إثر مرض L'urémie "اختلاط الدم بالبول" الذي ألزمه الفراش. ودفن يوم الجمعة التالي في ضريح مولاي عبد الله بن إسماعيل.

ابن زيدان، اليمن الوافر الوفي، فاس : محمد بن الحسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، مؤسسة محمد بن الحسن الوزاني، 1984.

Raymond Postal, *Présence de Lyautey*, édition Alsatia, Paris, 1941 ; Abdellah Laroui, *Les origines du nationalisme marocain* ; André Maurois, *Lyautey*, Choses vues, Librairie Plon, Paris, 1931 ; Robert Garric, *Le message de Lyautey*, édition Spes, Paris, sans date ; Le colonel Laure, *La victoire franco-espagnole dans le Rif*, Librairie Plon ; *Histoire du Maroc*, ouvrage collectif, Hatier, Casablanca, 1968 ; Daniel Rivet, *Le Maroc de Lyautey*, à Mohammed V, édition Deniel, Paris, 1999 ; *Lyautey et l'institution du protectorat*, Editions L'Harmattan, Paris, 1988 ; Henri Gaillard, *L'histoire et l'organisation du protectorat*, Paris, Plon, 1916 ; *Bulletin officiel*, 1912, 1913, 1914, 1915, 1916, 1923 ; *Bulletin du comité de l'Afrique française*, octobre 1923 ; *Lyautey, Paroles d'actions*, A. Colin, 1927.

ثريا برادة

يوسف بن عمر، أبو الحجاج الإشبيلي، قاض ومؤرخ عاش في العصر الموحد، ونعته البعض بمؤرخ دولة الموحدين وبأنه توفي صدر المائة السابعة الهجرية بين سنة 605 / 1209 و 620 / 1224. كان كاتباً لدولة يعقوب المنصور، وبعد ذلك عين بإشبيلية أيام خليفته الناصر لينظر في بعض الأشغال المخزنية والسهام السلطانية، إلا أنه تعرض هناك لمضايقات من بعض المنافسين وخاصة من والي إشبيلية، فصدرت أملاكه وبقي محبوساً بدار الأشراف إلى أن أحضر إلى مراکش حين قدوم الناصر من إفريقية سنة 604 / 1208، فعرض على الخليفة الذي أمر بصرف كل ما أخذ منه إلى يوسف وذلك بسبب تأليفه الذي ألفه في محاسن والده يعقوب المنصور. وقد اشتهر يوسف بتأليف هذا الكتاب عن دولة المنصور والذي عرف بعناوين مختلفة كـ "تاريخ ابن عمر" و"تاريخ الموحدين أولاد عبد المومن". غير أن الكتاب ضاع، وبقيت منه شذرات في مصادر مختلفة من أهمها : كتاب التكملة لابن الأبار (الترجمة رقم 1207) والغصون البيانة لابن سعيد (ص. 91 - 98) والبيان المغرب لابن عذاري خاصة في قسم الموحدين (ص. 162 - 164 - 173 - 177 - 220 - 225 - 239 - 242 - 251 - 252) ثم القسطاس لابن أبي زرع (ص. 208).

ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، نشر كوديرا، مدريد؛ ابن سعيد، الفصول البانعة، مصر؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، بيروت، 1985؛ ابن أبي زرع، القرطاس، الرباط، 1972؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، بيروت، 1982؛ ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ج 1، الدار البيضاء، 1965؛ محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، الرباط، 1977؛ المصادر العربية لتاريخ المغرب، ج 1، الدار البيضاء، 1983. رشيد السلامي

الديوسفي، المعطي، ولد سنة 1898 في أولاد يوسف بين قصبة تادلة وبني ملال بجانب الطريق الثانوية المؤدية إلى أربعاء أولاد صالح ببني عمير. حفظ القرآن الكريم على يد والده، ثم اشتغل بتلقين الأطفال القراءة والكتابة، إضافة إلى العمل في الحقل. التحق بصفوف الحزب الشيوعي للمغرب منذ نشأته في 14 نوفمبر 1943، وكان ذلك صحبة أحمد الماضي، وبعد انخراط عبد السلام بورقية بقليل، وانتخب عضوا في لجنته المركزية سنة 1945. وقد قام بدور مهم في الدفاع لصالح الحزب في منطقة تادلة، إلى جانب العضوين المذكورين وإلى جانب مارسيل لامورو، وفي نشر أفكاره في أوساط الفلاحين والعمال الفلاحين. اعتقلته السلطات الفرنسية عدة مرات، كان خلالها عرضة لأحكام جائرة من قبل محاكم الباشاوات والقواد والمحكمة العسكرية. تقف مراجعنا عند الاعتقال الذي شمله ورفيقه أحمد الماضي وأحمد بن عمر (الذي صار جنرالاً في جيش ثوار الفيتنام فيما بعد)، في بداية عقد الخمسينيات من القرن العشرين، وجهت فيه إلى الثلاثة تهمة "الإرهاب"، وإشعال الحرائق في ضيعات العمرين ومحاصيلهم طيلة سنة 1947. دام الاعتقال ثمانية أشهر إلى أن برأت المحكمة ساحتهم. كما تقف تلك المراجع عند اعتقاله سنة 1951 في قضية أحمد الحنصالي الذي اشتهر بلقب "سفاح تادلة"، وتعيذيه واتهامه بتنظيم الاغتيالات وما تلا ذلك من الحكم عليه بالسجن مدة ثمانية سنوات أمام المحكمة العسكرية الدائمة للقوات المسلحة بالدار البيضاء. أودع في سجن اغبيلة بالدار البيضاء، وفيه تعرف عن كئيب على مجموعة من المعتقلين الوطنيين المنتمين إلى حزب الاستقلال، أمثال أبي بكر القادري وعبد الرحيم بوعبيد والمحجوب بن الصديق. ولم يتوقف عن النضال حتى داخل السجن، فقد نظم إضراباً عن الطعام احتجاجاً على قرار مدير السجن بمنع المعتقلين من صلاة الجماعة، وتم الرضوخ للمطلب، واختير صاحب الترجمة بالإجماع إماماً يؤم بالمعتقلين صلاة الجمعة. ثم نقلته السلطات الفرنسية إلى سجن العاذر الذي ظل قابلاً به إلى أن حصل المغرب على الاستقلال. أطلق سراحه دون أن يتوقف عن نشاطه الحزبي أو يركن إلى حياته اليومية الخاصة. فقد تعرض من جديد للاعتقال في ماي 1958، لأنه وزع جريدة "حياة الشعب" اللسان المركزي للحزب الشيوعي المغربي والذي لم يرض له بعد بالصدور. وشارك في تأطير الوفود الناطقة باسم سكان

قصبة تادلة في كثير من الوقفات الاحتجاجية وفي قياداتها، مثلما وقع عندما توجه وفد عن سكان حي بودراع إلى مركز القيادة من أجل المطالبة بالتوزيع العادل لمصابيح الكهرباء وحنفيات الماء العمومية، ومثلما حدث عندما تقدم المظاهرة الصامتة التي جابت شوارع القصبة قبل احتشادها أمام مقر البلدية، من أجل الاحتجاج على تحويل معمل سكر تادلة إلى سوق السبت وأولاد تايمه وحرمان أبناء الدائرة من فرص الشغل. وشارك في مؤازرة أحمد الماضي مرشح الحزب المحظور في انتخابات سنة 1962، وخاصة عند أولاد سعيد الواد. وحالت ظروفه الصحية دون مشاركته في انتخابات سنة 1976 و1977، لكنه دعي إلى المؤتمر الأول لحزب التقدم والاشتراكية سنة 1977، وقاده كاتبه العام علي يعته إلى المنصة لرئاسته تكرماً له. شارك في الانتخابات الجماعية والتشريعية الموالية التي جرت سنتي 1983 و1984، حيث خاضها إلى جانب رفاقه في فرع قصبة تادلة التابع لحزب التقدم والاشتراكية.

توفي في قصبة تادلة في أبريل أو ماي سنة 1986، بعدما ناهز 88 سنة.

المعطي اليوسفي رجل النضال والصمود، مطبوعات البيان، غشت 1986، مطبعة المعارف، الدار البيضاء؛ بيان اليوم، 6 سبتمبر 1999.

La Nation, n° 8, 13-06-1958.

نجيب تقي

يوسفي (آيت)، هي اتحادية صغرى تشتمل على عدة قبائل تعيش حالياً في الأطلس المتوسط فيما بين أقصابي الشرفاء ومدينة صفرو على طول الطريق التي تربط فاس وتافيلالت. وقد كان اليوسفيون ومازالوا يهيمنون على هاته الطريق التي تمر عبر بلادهم، وتحد بلادهم من ناحية الشمال بنواحي مدينة صفرو ونهر ملوية من ناحية الجنوب وبلاد آيت مكييلد من ناحية الغرب، وبلاد بني وراين وآيت سفروشن وأولاد الحاج ملوية من ناحية الشرق.

ويرى أبو علي اليوسفي في كتاب المحاضرات أن أصل كلمة اليوسفي كان في البداية يلفظ باسم اليوسفي، ثم أسقطت الفاء من هذا اللفظ جرياً على لغة البربر في مثل هذا الاسم. ويوسف هذا الذي ينتسب إليه القبيل هو الجد الأعلى في زعمه لجميع أبناء الاتحادية التي نزلت من الجنوب في زمان مضى، لكننا نقرأ في نزهة المشتاق للإدريسي من أهل القرن السادس الهجري أن عدة قبائل كانت تعيش لعهد جنوب مدينة فاس من ضمنها بنو يوسف وسلاجون وغيرها. ومن المعلوم أن الإدريسي عاش قبل مجيء قبائل الجنوب إلى هاته الناحية بعدة قرون. فإذا اعتمدنا على رواية الإدريسي وتأويل أبي علي استنتجنا مسألة هامة وهي أن النواة الأولى لتكوين اتحادية آيت يوسفي وجدت بموقعها الحالي قبل القرن السادس الهجري. وحينما

واسنابن المنحدرين من قبيلة آيت حديدو، وأكلوان المنحدرين من الاتحاد الكرواني، وغير ذلك كثير. وأما يدراسن، فالمعروف أنه كان اسما لفرقة صغيرة من قبائل صنهاجة الجنوب ثم صار علما للاتحادية الشمالية التي أسست في بداية العهد العلوي. وقد افترضنا أن نجعله أبا رمزيا لجميع أعضاء الاتحاد فقط، على أن آيت يوسي لم يكونوا من الأعضاء الدائمين في الاتحاد اليدراسني، وإنما كانوا ينتسبون إليه في بعض الأحيان، شأنهم في ذلك شأن آيت مكيدل وعدة قبائل أخرى.

وينقسم اليوسيون حاليا إلى ثلاثة مناطق جغرافية كبرى آيت يوسي أهل الشمال وهم أهل أمكلا وفيهم الأكثرية الساحقة وهم أهل صفرو، وآيت يوسي الوسطى وهم أهل حوض كيكو، وآيت يوسي الجنوبية وهم أهل النجيل الموالون للملوية.

لكن شساعة مجال القبيلة كانت نقمة على أصحابها، إذ آلت الأجزاء المتاخمة لفاس إلى الشاردة، كما أن الصراع مع قبيلة آيت سفروشن آل إلى تخليهم عن خط تگنانايت، الرشوة، إفراح وإيموزار، وبالتالي أصبحت آيت يوسي مجموعة قليلة التقارب والتجانس فيما بين سكانها زيادة على اختلاطهم في عدة مواقع مع آيت سفروشن. ورغم ذلك ظلت قبيلة آيت يوسي أكثر حفاظا على بربرية لغتها وعلى عاداتها المتوارثة. كما أنهم ينقسمون إلى فخذتين كبيرتين هي: (1) آيت ونصاف (أي نصف القبيلة) (2) وآيت عمور ويحيى. ويدخل ضمن الفخذة الأولى كل من آيت الربع، آيت فرينگو، وآيت مخلوف، أما آيت عمور ويحيى فتتكون من آيت حلي، آيت مسعود وعلي، آيت بوحدو، عوين وآيت كايس.

مولاي التقي العلوي، أصول المغاربة، القسم البربري، مجلة البحث العلمي، اتحادية آيت يدراسن، 24.

Cap. Reissen, *Monographie de Sefrou*, stynciles, 1916; Cap. Reissen & Cap. Bachelot, *Notices sur le cercle de Sefrou, B.S.G.M., Février 1918.*

الحسين البعادي

اليوسي، عالم نابغة، وأديب شاعر؛ أشهر من نار على علم. انفقت المصادر التي ترجمته على علو كعبه العلمي وصلاحه الصوفي، وجرأته في الصدع بكلمة الحق. عرف بنفسه وشرح نسبته في كتاب *المحاضرات*. تعددت كناه، لكن أشهرها، وأفضلها عنده هي أبو علي، التي كناه بها شيخه محمد بن ناصر الدرعي.

ينتمي الحسن اليوسي إلى قبيلة آيت يوسي التي تندرج تحت لواء اتحادية آيت يدراسن الصنهاجية النازحة من أعالي ملوية إلى شمال غربي الأطلس المتوسط. ولد حوالي سنة 1040 / 1631؛ في أسرة فقيرة وأمية، لكنها دينية؛ بإحدى قرى السفح الشمالي للأطلس الكبير الشرقي، والواقعة على وادي ورن أحد روافد نهر ملوية العليا، غير بعيد عن جبل العياشي. وفي سن التمييز، بعث به والده إلى "كتاب القرية

جاءت جحافل صنهاجة الجنوب المعروفة باسم آيت يوسي تغلب اسم المهاجرين الجدد على السكان الأصليين واتحد الجميع تحت الاسم الذي جاء من الجنوب. ومن هنا جاء تأويل اسم يوسي بيوسف سيما وأن سلسلة النسب اليوسي التي أوردها أبو علي ابتداء من أبيه مسعود إلى الجد الأعلى وهو يوسف الأول وضمنها عشرة أجيال لا تساعد على تكوين اتحادية كبيرة من هذا النوع، ولذلك سيبقى الباحث في شك من قيمة السلسلة وما ترتب عنها.

ومعظم اليوسيين نزحوا من أقصى الجنوب المغربي. فأبو علي اليوسي يؤكد أن أسلافه الأولين كانوا يعيشون في وقت ما بالمصبات الجنوبية للأطلس الأعلى، وبالتدقيق في واحة فركلة بحارة الأقال، ويقول صاحب كتاب أربعة قرون من تاريخ المغرب (ص. 40) "أن اليوسيين حينما كانوا بالجنوب المغربي سبق لهم أن قاموا ببعض الغارات إلى واحة توات وما يليها سنة 1009 / 1600، ويظهر أنهم بعد هذه الغزوة الاستطلاعية فضلوا الانسحاق مع وجهة تدفق التيار الصنهاجي المتجه صوب الشمال، فحتمت عليهم الظروف راضين أو مكريين أن يكونوا في الخط الأمامي، وقد أشار المؤرخون المغاربة إلى أن مواقع اليوسيين كانت في سنة 1094 بملوية العليا وحواشي الأطلس الأعلى، وبالتحديد بجبل العياشي، وذلك حينما توجه المولى إسماعيل في حملة تآديبية لقبائل ملوية، وشيد مجموعة من القلاع لصد غاراتهم المتلاحقة. ويؤكد اليفرنى أن اليوسيين في أوائل القرن الثاني عشر كانوا لا يزالون ضمن قبائل ملوية، ونحن نعلم أن الفصيصة التي ينتمي إليها أبو علي وهي: إما آيت بوحدو أو آيت كايس على خلاف في ذلك كانت في عصره لا تزال تعيش بملوية قبل أن تنتقل إلى حوض كيكو، ويظهر أن خضوع اليوسيين للسلطة الإسماعيلية التي جردتهم من شوكتهم كان سببا في تقدمهم نحو الشمال بطريقة سلمية، ويمكن أن يكون ذلك بإذن من السلطة، وهذا هو ما تعرب عنه أحاديثهم التي تحفظها ذاكرتهم، فهم يؤكدون بأن المولى إسماعيل هو الذي أنزلهم بالأطلس المتوسط لحفظ الأمن به والحراسة الطريق من فاس إلى تافيلالت. وكيف ما كان الحال فبعد قرن من الزمان أو يزيد قليلا من التاريخ المتقدم تحدثت المراجع عنهم وهم مستوطنون بالأطلس المتوسط في نواحي أعليل بحوض كيكو وفي ضواحي مدينة صفرو وذلك سنة 1226 على عهد المولى سليمان.

وبالرغم من أن كلام أبي علي اليوسي في *المحاضرات* يفيد أن القبيلة أو الاتحادية على الأصح ترجع في أصلها إلى أب واحد وهو يوسف الأول وبالتالي إلى الجد الأعلى وهو يدراسن الذي هو القعدود الأعلى للاتحادية العليا الأم، فإن هذا التنسيق المصطنع لا يتفق مع الواقع، إذ المعروف أن من بين قبائل آيت يوسي عدة عناصر مهمة ترجع بأصولها إلى آيت يافلما مثل آيت واحي المنحدرين من قبيلة آيت مرغاد،

لحفظ القرآن الكريم. لكن شدة خجله جعلته ينفر من "المكتب" ؛ حتى إذا توفيت والدته، وتأثر لذلك المصاب غاية التأثر، كما قال :

فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التي كنت تعرف وعراه تحول يشرحه فيما يلي : "فتنكرت علي الأرض وأهلها... وكان ذلك سببا للفتح، فألقى الله في قلبي قبول التعلم". أي أن ذلك المصاب كان سببا في زوال نفوره من التعلم. ومن الغريب أن يستأذن اليوسي والده في الرحلة والتغرب في سبيل الطلب، وهو طفل يافع. وبعد أن أذن له، بدأ رحلته، حيث غادر مسقط رأسه، صحبة مؤديه متوجها إلى تافيلالت (بلاد القبلة). وهناك ختم القرآن الكريم، وحضر بعض الدروس في مبادئ اللغة والنحو والفقهاء والتوحيد، قبل أن يرجع صحبة معلمه، أبي إسحاق الحداد، إلى بلدته حيث واصل مشواره العلمي. وتمكنت بين المعلم والطفل علاقة الصحبة ؛ فبدأ يمهده بكتب التصوف التي كان من جملتها المورد العذب لابن الجوزي. فانتقشت مآثره في عقله، ووقعت حلالاته في قلبه، على حد تعبيره. وتعلق بسير كبار الزهاد، مثل أويس القرني وإبراهيم بن أدهم. فكان ذلك سببا في غرس أول فسيلة للتصوف في نفسه، وتعلقه بأهل الطرق، ونزوعه إلى الصلاح. وهذا ما دفعه إلى شد الرحال لزيارة بعض الصالحاء في كل من ميسور و تاغيا. وظل يتردد إلى تلك المزارات طوال حياته.

ولم ينفرد العقد الثاني من عمره حتى انطلق، على عادة معاصريه من أهل الطلب، ليخوض غمار الرحلة، ويظوف على أهم المراكز العلمية في كل من سوس ومراكش ودكالة ودرعة وتافيلالت والأطلس المتوسط. فتنلمذ في رحلته تلك، لأبي بكر التظافي وأبي العباس الدراوي وأبي فارس عبد العزيز الفيلاطي، ولقاضي الجماعة، أبي مهدي عيسى السكتاني ؛ وللفقيه أبي عبد الله محمد بن إبراهيم. وقد مكنته رحلته وأخذه عن هؤلاء الجهادية من لفت أنظار بعض الساسة إليه وهو في تلك السن المبكرة. فلم يكن من الغريب أن يسند بودميعة، أمير سوس يومئذ، إلى اليوسي، في أثناء رحلته الثانية إلى تلك الجهة، كرسي الأستاذية في تارودانت، وهو لم يتجاوز بعد العشرين. وانتقل المترجم من سوس، التي أخذ بها، هذه المرة، عن عبد العزيز الرسموكي، إلى درعة حيث كانت الزاوية الناصرية بتامگروت في طور نشأتها. فتنفرغ للأخذ عن شيخها أبي عبد الله ابن ناصر بعض العلوم التي كان قد بدأ النهل منها. وأعجب بذلك الشيخ وبطريقته في التلقين أيما إعجاب، فانتفع به "ظاهرا وباطنا" على حد قوله. ووصف منهاجه في التعليم والتلقين قائلا : "فكان إذا تكلم انتقش كلامه في القلب، وإذا وعظ وضع الهناء موضع النقب". فتلقي عنه الطريقة الناصرية التي كانت تدعو إلى اتباع السنة ومحاربة البدع، إلى أن صار نموذج التلميذ الناصري الذي لا يذخر وسعا في العمل

على نشر نفوذ الزاوية الناصرية في مختلف جهات البلاد. ويبدو أن مكوثه بدرعة قد طال أكثر مما كان في المراكز العلمية السابقة ؛ لأنه أخذ عن شيخ تامگروت إحياء علوم الدين والشفا وطبقات الشعراي والتسهيل والمدخل ؛ فضلا عن عهد الشاذلية...

ولم تنصرم أعوام الستين حتى انتقل بعد ذلك إلى الزاوية الدلائية، حيث جمع بين الطلب والأستاذية. تلك الزاوية التي مكث بها حوالي عشرين سنة ؛ وكان لها يومئذ "صيت عظيم، وكان بها معاناة العلوم والدؤوب على التدريس والإقراء ليلا ونهارا، حتى تخرج بها جماعة من صدور العلماء وأعيانهم...". وهناك قضى أزهى فترات عمره ؛ وأخذ بها عن بعض الفطاحل من العلماء كأحمد بن عمران الفاسي، ومحمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي. وبالجملة "ففيها أورى زنده واشتعلت جذوته، وظهر في مضمار الأذهان تيريزه"، كما قال الإفراي.

هكذا أثمرت حياة الطلب الحافلة لدى اليوسي ثقافة موسوعية عكست ما كانت المؤسسات التعليمية المنبثقة في الزوايا تلقنه في ذلك الزمن. وبعبارة أخرى، فإن المترجم قد جسد "جغرافية المغرب الثقافية في القرن 11 / 17"، على حد تعبير المستشرق جاك بيرك. وإلى جانب هذا، فإن اليوسي يعد ظاهرة فريدة في ميدان الطلب. يقول في فهرسته : "وكانت قراءتي كلها فتحا ربانيا، ورزقت والله الحمد قريحة وقادة وفضنة ذكية. فكنت بأدنى سماع، وأدنى أخذ ينفعني الله...". أي أنه جمع بين الاستعداد الذاتي الذي فطر عليه، وبين ما رزقه الله تعالى من بركة فيما تلقن ودرس. وقد ردد كثيرا أنه "دعوة" أستاذه الشيخ محمد ابن ناصر، حين قال له، على إثر تهنئته بالقصيدة الدالية الطنانة: "جعلك الله عينا يستقي بها أهل المشرق وأهل المغرب...". فكان مترجمنا يريد أن يقول بأن نبوغه لم يكن على قدر دراسته ؛ بل هو فضل من الله الذي رزقه ذكاء وقادا وفضنة قوية.

وكانت الزاوية الدلائية، التي عاد إليها اليوسي وهو مملوء الوطاب، في أوج عزها وقتئذ، زمن سلطنة محمد الحاج الذي لاحظته بعين التقدير والإجلال "لما رأى له من البراعة في العلوم، والتمهر في الفنون" ؛ الأمر الذي تم له بالزواج من إحدى نساء الدلائين. فعاش في الدلاء حياة ترف مادي وعلمي، الشيء الذي مهد له السبيل لبدء التحرير والتأليف. تذكر الأستاذة فاطمة خليل أن اليوسي ألف هنالك جل مؤلفاته كزهر الأكم، والحاشية على كبرى السنوسي...

واستمر على تلك الحال، هنيئا مريئا، إلى أن نزل بالزاوية ما نزل ؛ حيث دكتها جيوش المولى الرشيد في معركة بطن الرمان في صيف عام 1079 / 1668، بحضور الشيخ اليوسي الذي غربه السلطان إلى فاس للسكنى والتدريس بها، بعد أن غرب باقي الدلائين إلى تلمسان. وإذا كانت فاس لاتزال تعيش على إيقاع الهدوء الذي

استعادته في ظل المولى الرشيد، فإن بيئة العلماء التي وجد اليوسي نفسه وسطها قد امتلأت بالإحسان والأحقاد والمكايد؛ وهو الأمر الذي لم يكن ليفقده الاعتزاز بنفسه، فقال معرضاً بمن تخلفوا عن مجلسه وغمطوه قدره العلمي :

ما أنصفت فاس ولا أعلامها علمي ولا عرفوا جلالته منصبى
لو أنصفوا لصبوا إلي كما صبا راعي سنين إلى الغمام الصب
لعل هذا الموقف يشف عن بعض الغرور؛ أو على الأقل يفترضه. ومن ثم، أجاب عبد الرحمن الفاسي، نيابة عن العلماء، فقال :

بل أنصفت فاس ومن إنصافها أبدا سقوط المدعي والمعجب
وعلى الرغم من محاولة المصالحة التي ترعّمها أحد كبار شيوخ القرويين والتي سنحت معها الفرصة لليوسي ليؤلف كتاب القانون، محاولة منه للتدليل على مكانته العلمية المرموقة؛ فإن بعض الحاسدين لم يكفوا عن إذابته. فكان لذلك أثر عميق في نفسه، اعترف به في كتابه المحاضرات، الذي ضمنه لوعته، وحسرتة على ما فرط من أولئك المنكرين. فعمد أبواباً في العزلة والصبر على الأذى، والإعراض عن السفهاء...

لم يطق اليوسي ذلك المناخ الآسن، ولم يحتمل ذلك الوسط الذي لم يعترف له بالفضل؛ لا سيما وأن سكان مدينة فاس تخلفوا عن بيعته المولى إسماعيل الذي ضرب عليهم الحصار؛ فاستأذن السلطان في مغادرة المدينة المنتفضة، ليرجع إلى البادية. كان ذلك سنة 1084 / 1673. وقبل أن يلقى عصا التسيار بجهة زايا، زار فروع الزاوية الناصرية بالشمال؛ ومر ببني زروال. ثم استقر بالقرب من خنيفرة، حيث أسس زاوية خلفون على وادي أم الربيع، وعكف بها على تدريس العلم، وتلقيق الورد. وعلى الرغم مما لاقى من قبول، حيث تكاثرت تلاميذه ومريده، فإن استقراره لم يطل بها. ذلك لأن العزلة التي اختارها قد أثارت حفيظة السلطان، ولأن الموطن الذي نزله اليوسي كان شديد الاضطراب، وذكرى الدلاء لانتزال حاضرة بالأذهان؛ الشيء الذي جعله يدعوه من جديد لمغادرة تلك الجهة أواخر عام 1085 / 1674. فتوجه إلى مدينة مراكش، وتصدر للتدريس بجامعة الشرفاء، حيث استمر على ذلك المنوال طوال خمس سنين (1090)، وهي أطول فترة يقضيها مستقراً. ذلك أن السلطان ما إن سمح له بالاستقرار في خلفون حتى توجه منه، فأمره بالرحيل إلى مكناس. ثم بدا له، بعد خمسة أشهر فقط، أن يزعه من جديد فيرحل إلى مراكش، حتى أثار إشفاق صهره وأخيه في الطريقة والمحنة، أحمد بن عبد القادر التاستاوتي الذي قال :

سلام على خل إذا ما أتى إلى مكان ينادى بالرحيل فيرحل
وليس له ذنب سوى أنه إذا تحدث عن فضل به الفضل يحمل
ومع ذلك كله، لم يشدد عليه الخطب إلا في سنة 1095 / 1684 حين نفاه السلطان إلى الزاوية الدلائية الحربية، والفصل فصل شتاء. فأقام هنالك منفياً ثلاث سنين، وقد شاهد

معاونة القبائل - ومن بينها قبيلته - من التقتيل والنهب والتشريد من لدن جيش السلطان. وقد عكست بعض مؤلفاته محتته تلك، ولاسيما رسالته الكبرى، "جواب الكتاب"، التي كتبها يومئذ. كما حاول ملء ذلك الفراغ باللجوء إلى التأليف؛ حيث بدأ تسويد كتاب المحاضرات الذي ترشح بعض مباحثه بالألم والبلوى. وقبل أن يتوجه المولى إسماعيل إلى جبال فازاز، فإنه أمر اليوسي بمغادرة زاوية الدلاء عام 1098 / 1687. ربما حتى لا يرى ما سيحل بالقبائل البربرية هناك من تضييق، حيث ضرب عليها السلطان حصاراً دام زهاء سنة. وشرع في تطويقها بالقصبات المشحونة بالجيوش؛ إذ جدد بناء قلعة أدخسان وأنزل بها ألفاً وخمسمائة جندي؛ وأنزل مثلها بالدلاء. وفي نفس الوقت بنى قصبات تنتغالين وعين اللوح ومنت وغيغو وتشوكوت والقصابي، وشحنها كلها بفرق من الجيش، لإتمام تطويق تلك القبائل التي تصلها بالمترجم أوامر القرابة في النسب والأخوة في الطريقة. وهي أمور لا يمكن بحال أن تغيب عن سلطان شديد الفطنة والتوجس مثل المولى إسماعيل. والراجح أن شهادة القادري لم تأت من فراغ حين قال: "ورزق من الإقبال من الخلق، فيجتمع عليه الجم الغفير حيث أقام، حتى كان السلطان لا يتركة أن يقر له قرار، بل يأمره بالرحيل في أقرب مدة من الموضوع الذي استقر به إلى موضع آخر".

وهكذا أضحى الشيخ اليوسي دائم التنقل، لا يقر له قرار في مكان معين؛ بعد أن انفرد عقد الوصال بينه وبين زاويته خلفون. فهل أتاه أمر سلطاني بتترك تلك الزاوية؟ لا نستطيع الجزم بالإيجاب أو السلب؛ لكننا لا نستبعد أن المخزن قد فرض على قبائل جبال فازاز نوعاً من "حظر التجول". ومهما كان الأمر، فإن المصادر تشير إلى أن اليوسي برز ضمن فقهاء فاس لحضور ختم درس التفسير الذي ألقاه القاضي أبو عبد الله المجاصي بحضرة السلطان. وبعد ذلك ترد الإشارة إلى نزوله بشعاب حمود، حيث ينزل مدة سبعة أشهر، قبل أن يتوجه إلى صفرو، ومنها إلى فاس، ليتمكث في كل منهما زهاء تلك المدة. ومن هذه الأخيرة يسافر صحبة تلميذه ابن زاكور، إلى الشمال ليتفقد فروع الزاوية الناصرية هنالك. وقبل انصرام عام 1099 / 1688 بأيام نجده في مدينة فاس، ليغادرها بعد أسبوع تقريباً؛ أي في مفتح سنة 1100 / 1689؛ متوجهاً إلى بلدة تمزيزت الواقعة ضمن الأراضي التي أنزلت بها بعض فرق آيت يوسي، بعد هزيمتها من لدن جيوش السلطان. وهنالك خلف اليوسي أهله ليتوجه إلى المشرق بقصد أداء فريضة الحج، ضمن الركب الرسمي. أي أنه بعث من لدن السلطان؛ وهذا أمر قد يشير لدينا بعض العجب، لا سيما إذا علمنا أن السلطان كان في حركة ضخمة ضد قبائل جبال فازاز. فهل سعى بذلك إلى صرفه عما كان يجري في تلك الجهات؟ كان المترجم في أثناء رحلته إلى الحج يتوقف طويلاً ببعض المراحل المشهورة، كطرابلس والقاهرة باحثاً عن علماء

يستحقون الأخذ عنهم. لكنه لم يجد ضالته، ليعلم "أنه ما بقي بالبلاد الشرقية من تشد له الرجال في طلب العلم". وقد رأى بعض المفكرين أن هذا دليلاً على بعض غلوائه وكبريائه. وأياً كان، فقد رجع المترجم إلى داره بتميزت في شهر شوال من سنة 1102 / 1691، بعد أن قضى مناسك الحج. ولم يمهله أجله، بعد ذلك، إلا حوالي شهرين، حيث توفي ليلة الإثنين 23 ذي الحجة سنة 1102 / 1691. وتقلت الأستاذة فاطمة خليل، طرة بهامش مخطوطة من نشر المثنائي تفيد أن اليوسي توفي مقتولاً. وافترضت صحة ذلك بسبب تعدد خصومه. ودفن بالقربية المذكورة، بمكان يسمى جنان مشكة، قبل أن ينقل جثمانه الذي قيل إنه لم يتسنه، بعد عشرين سنة، إلى العودة الشمالية من مدينة صفرو.

خلف الحسن اليوسي تراثاً علمياً متنوعاً يناهز أربعين عنواناً، عدا الرسائل التي تجل عن الحصر. ودون الوقوف عند تفاصيل إنتاجه، نذكر أنه صنف في كثير من الفنون أهمها الأدب، والتفسير، والقراءات، والتصوف، والتوحيد، والفقه والأصول، والكلام والمنطق.

وأهم مصنفاته وأشهرها: الديوان، والقصيدة الدالية، وشرحها، وزهر الأكم في الأمثال والحكم، والمحاضرات والقانون، والفهرسة، ومشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص...، والقول الفصل في الفرق بين الخاصة والفصل....

هذا فضلاً عن رسائله الكثيرة - التي حققت منها الأستاذة فاطمة خليل جملة وافرة - والتي جاءت امرأة صقيلة عكست روحه المشبعة بالحرية والعفوية والإخلاص والصراحة؛ كما عكست موسوعية ثقافته، وتنوع فنونها ومشاربها. وأشهر هذه الرسائل:

الرسالة الكبرى، التي رد فيها على السلطان المولى إسماعيل الذي عاب عليه انعزاله.

الرسالة الصغرى، أو براءة اليوسي التي تجرأ فيها على انتقاد سياسة المخزن الإسماعيلي، ولا سيما فيما يتعلق بالجباية والجهد والعدل، حيث أبان فيها عما ينبغي للعالم أن يتميز به حين يجب الصدع بكلمة الحق. والرسالتان معا تتضمنان من الصراحة في القول، والإخلاص في النصح، ما يشهد بفضل اليوسي وعلو مكانته.

رسالة في طائفة العكاكزة، سفه فيها أحلام أتباع تلك الطائفة الضالة، وشد في النكير عليهم، وحرص المخزن على الضرب على أيديهم.

وعلاوة على كل ما ذكر، يبقى اليوسي علماً شامخاً، ومن الأحاد الذين أحببتهم الأمة الإسلامية في القرن 11 / 17. ومن ثم فلا عجب أن يتردد كثيراً على السنة معاصريه الذين يرددون قول أبي سالم العياشي:

من فاته الحسن البصري يصحبه * فليصحب الحسن اليوسي يكفيه
اليوسي، المحاضرات والفهرسة والقانون، تح. حماني ابن زاكور، نشر أزهر البستان: أحمد الولالي، مباحث الأنوار: أحمد التاستاوتي، نزهة الناظر: أحمد الهشتوكي، الرحلة: الزبادي، دوحه البستان: العميري، الفهرسة: الإفرائي، صفوة من انتشر: نزهة الهادي: المكي الناصري، الدرر المرصعة: الطيب القادري، نشر المثنائي: التقاط الدرر: الكتاني، سلوة الأنفاس: سليمان الحوات، البدور الضاوية: الحضيكي، طبقات: ع. الجبرتي، عجائب الآثار: ابن الحاج، رياض الورد: البغدادي، إيضاح المكنون: هدية العارفين: أكتوس، الجيش العرمم: أحمد الناصري، الاستقصا: طلعة المشتري: ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس: المنزع اللطيف: إبراهيم المراكشي، الإعلام: عبد الحمي الكتاني، فهرس الفهارس: بوجدار، الاعتباط: م.م. مخلوف، شجرة النور: ابن الوقت، السعادة الأبدية: ك. بروكلمان، تاريخ: لثي بروقتصال، مؤرخو: كحالة، معجم المؤلفين: يسركيس، معجم: المختار السوسي، سوس العالمية وإيلغ قديماً وحديثاً: المعسول: علال الفاسي، أبو علي اليوسي: م. داود، تاريخ تطوان: ع. ابن سوادة، دليل مؤرخ: گنون، النبوغ المغربي: محمد الأخضر، الحياة الأدبية: محمد حجي، الزاوية الدلالية: ع. م. المنيف، مقدمة الديوان: م. ع. المدغري، الفقيه أبو علي اليوسي: ح. الوراگلي، زهر الأكم: خ. الزركلي، الإعلام: عباس الجراي، عبقرية اليوسي: ف. خ. القبلي، رسائل أبي علي الحسن: مجلة المناهل، العدد 15: أحمد عمالك، الزاوية الناصرية.

J. Berque, *Al Youssi ou problèmes de la culture marocaine au 17^e siècle.*

أحمد عمالك

اليوسي، عثمان بن علي، ابن عم الشيخ الحسن بن مسعود، تعلم بالزاوية العياشية، وارتبط مع شيخه أبي سالم العياشي في علاقة التلمذة، فقد سمع عليه أكثر من عشرين مؤلفاً في مختلف الفنون. وحظي بإجازته التي استهلها بما ينم عن الصداقة التي جمعت بينهما، وحدد الشخصية الأدبية التي تميز بها؛ فإلى جانب الحديث عن صلاحه وصف بطول باعه في النظم والنثر. وعن إبداعه لأدبي قال: "...وكتب إلي أيضاً... جواباً عن قصيدتي السينية بقصيدة بارعة ولمصارعها في نادي البلاغة صارعة إن لم تكن أفضل منها فلم تقصر عنها". وقد أدرج أبو سالم في رحلته كثيراً من نصوص المراسلات والقصائد التي كان المترجم يرسلها أو يتلقاها من أفراد الركب والأصدقاء بعد أن تخلف عن مرافقتهم إلى الديار المقدسة.

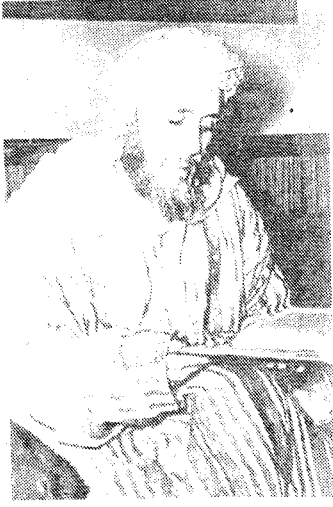
توفي سنة 1084 / 1673.

العياشي، رحلة، 1: 76، 80، 85؛ القادري، نشر، 2: 206، 208.

نفيصة الذهبي

اليوسي، عمر بن محمد تولى القيادة بعد مقتل أبيه بتزكية من المخزن سنة 1309 / 1891. وقد كشف عن جرأة كبيرة وشجاعة في الإقدام إلى حد الشهور في بعض الأحيان والتسرع في اتخاذ القرارات دون التنبه إلى نهايتها التي قد

شان رفيق دربه امبارك البكاي، باشا مدينة صفرو، وهذا ما أدى إلى اعتقاله رفقة ابنه محمد أوموفا وجعلهما تحت الحراسة الإجبارية بمدينة ابن سليمان ثم بمدينة الصويرة، ولم يطلق سراحهما إلا عند استقلال المغرب.



بعد عودة محمد الخامس المظفرة من منفاه عين الحسن اليوسي على رأس وزارة الداخلية في أول حكومة بعد الاستقلال، ولم يكن هذا التعيين غبطة، لأن لحسن اليوسي تحمل هذه المسؤولية الجسيمة في ظرف صعب جدا، إذ كان المغرب في مرحلة انتقالية ويعيش نوعاً من الفوضى، فكان من الشخصيات التي ساهمت في بناء الأسس الأولية للدولة ولأول حكومة بعد إعلان الاستقلال. كما أن الفترة التي قضاها على رأس وزارة الداخلية اتسمت بالصراع مع بعض الشخصيات السياسية، ولا سيما علال الفاسي والمهدي بن بركة وحزب الاستقلال الذي كان يعمل من أجل إرساء الحزب الواحد بالمغرب. كما أنه لعب دوراً أساسياً في الوساطة بين العرش وجيش التحرير من أجل وضع السلاح والالتزام حول عاهل البلاد، وقد نجح إلى حد ما في هذه المهمة.

ولكن نتيجة الأحداث الدموية التي وقعت آنذاك بمراكش تنحى عن منصبه بوزارة الداخلية ليعلن بعدها كوزير للتاج، وأصبح فيما بعد أحد مؤسسي الحركة الشعبية إلى جانب كل من الدكتور عبد الكريم الخطيب والمحجوبي أحرضان وحدو أبرقاش، قبل أن يلتحق بمدينة ملاگا (Malaga) الإسبانية سنة 1962. حيث وافاه الأجل المحتوم سنة 1970.

وتحت رعاية المغفور له الملك الحسن الثاني أسس مركز الحسن اليوسي للدراسات والأبحاث السياسية.

لحسن اليوسي، أعمال التظاهرة العلمية الأولى حول موضوع الانسان وحركة التاريخ، نونبر، 1998، منشورات مركز الحسن اليوسي للدراسات والأبحاث السياسية؛ معلومات مستقاة من موفا

اليوسي، نجل الحسن اليوسي.

L'avenir ne surgit pas du néant mais de la mémoire
Publication du Centre Lahcen Lyoussi, pour les études et recherches politiques.

الحسين البعاوي

تكون خطيرة على وضعه كقائد مخزني. وقد استفاد من عمله كمساعد لأبيه قيد حياته فاكتمت خبرة كبيرة بتدبير الشؤون القبلية وملاءمتها لمطالب المخزن. استقر القائد عمر في بداية أمره بالنجیل نختار، وأسس لنفسه قسبة محصنة كانت تعرف "باغرم نَعْمَر" ولا تزال آثارها باقية للعيان إلى اليوم.

وبعد وفاة السلطان مولاي الحسن سنة 1311 / 1894، استفاد القائد اليوسي عمر من وجود صهره أحمد بن مبارك البخاري في الجهاز المخزني العزيزي ففاز بتزكية السلطان مولاي عبد العزيز، وليبرهن على ولائه للسلطان شارك برجاله في مقارعة الثائر الجيلالي بوحمارة سنة 1902 وقد أبلى البلاء الحسن في خض شوكة هذا الثائر ومنعه من الزحف على مدينة فاس. وقد اعترف له المخزن بهذه المزية، فأطلق له أيدي التصرف في قبيلة آيت يوسي، كما كان رجال المخزن يعضون الطرق عن تعسفه وجوره، وتجاوزته لكل الحدود في إذلال وقهر رعيته.

وقد انتقل القائد اليوسي عمر إلى مدينة صفرو، فاتخذها مركزاً لقيادته، ليكون قريبا من المخزن بفاس. وتدل كل القرائن والمعطيات على أن المخزن العزيزي قد اعتمد كثيراً على هذا القائد للحفاظ على الأمن في طريق السلطان الذي يربط بين تافيلالت وفاس عبر الأطلس المتوسط فازدهرت الحركة التجارية وعم الأمن بين القبائل، حيث كان القائد اليوسي عمر لا يتردد في البطش بكل من ثبت أنه هاجم القوافل التجارية أو مارس اللصوصية ضد التجار. وقد قتل في إحدى المعارك بتازوطة سنة 1904 فنقل جثمانه إلى صفرو حيث دفن، ولا يزال قبره يذكر أهل المدينة بممارسته القاسية معهم.

الناصري، الاستقصا، ج 9؛ العربي الكنيح، آثار التدخل الأجنبي بالمغرب على العلاقة بين المخزن وقبيلة بني مطير؛ محمد يخلف، تطور أدوات السياسة المحلية بصفرو.

أحمد البوزيدي

اليوسي، لحسن هو لحسن بن حدو وسعيد اليوسي المزداد سنة 1903 بدوار تكرمات بالعنصر، إحدى أكبر فخذات قبيلة آيت يوسي المنتشرة بضواحي مدينة صفرو. وأسرته عريقة ومعروفة بكرمها وشجاعته وحبها للعرش العلوي. وفي سن الثانية والعشرين من عمره عين قائداً على قبيلته، فعرف بعدله واستقامته. وقد بقي طيلة حياته مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بمدينة صفرو وناحيتها، وتميز مع آخرين بمناهضته للاستعمار الفرنسي.

ورغم ثقافته المتواضعة، كان لديه بعد نظر أدرك من خلاله طبيعة المجتمع المغربي التعددية، فسعى إلى إقامتها على أرض الواقع، إذ ربط مبكراً صلات وطيدة مع النخبة المغربية البارزة آنذاك. وعقب أحداث غشت 1953، سجل موقفه الراض لتوقيع عريضة الباشا الكلاوي المشؤومة، والقاضية بعزل سلطان البلاد ورمز سيادتها، شأنه في ذلك

اليوسي، محمد (القائد) يذكر صاحب الجيش العرمم الحماسي، أن السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام، الذي تولى أمر السلطنة بالمغرب سنة 1238 / 1818، قرب إليه قبائل آيت يدراسن (ومنها قبيلة آيت اليوسي) وأناط بها غير ما مرة مهمة الحفاظ على الأمن وردع القبائل المشاغبة بالأطلس المتوسط (الجيش، 2 : 14 - 22) وقد برز اليوسي القائد محمد أو الطالب، كرجل محارب يعمل لرفع كلمة المخزن بين أعيان قبيلة آيت يوسي، وهذا ما جعل السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان الذي خلف أباه على كرسي السلطنة سنة 1276 / 1860 يعين اليوسي محمد أو الطالب، قائدا مخزنيا رسميا على قبيلة آيت يوسي.

وعلى الرغم من أن عائلة اليوسي محمد أو الطالب، تنحدر من فرقة آيت واحي الصغيرة، فإنه، قد حاول منذ البداية بناء مجد قائدي لأسرته وفرقته على حساب الفرق الأخرى من آيت يوسي، فقد كان يموه على المخزن، لاستمداد المشروعية منه، واستتفار الرجال باسمه لمحاربة وردع المنافسين لأسرته داخل قبيلة آيت يوسي وبالقبائل المجاورة. وكان السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان على بينة من تعسفاتة، إلا أنه كان يفض الطرف عن سلوكه، لانشغال المخزن في حماية البلاد من التكالب الأجنبي. وكان اليوسي محمد أو الطالب يعرف جيدا أن السلطان كان على علم بكل تجاوزاته، فكان يحاول تهدئة خواطر حاشية السلطان بتقديم الهدايا ومد المخزن بالحراك كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

وفي السنوات الأخيرة من عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان، بات السلطان يلاحظ أن سلوك القواد مع القبائل بدأ يوشر على عراقب وخيمة لا تحصد عقباها، خاصة أن بعض القبائل بالأطلس المتوسط بدأت تتمللمل ضد قوادها، فشكل جهازا لاستخباراتها قال عنه الناصري إنه كان له "في كل بلد عيون يكتبون له بما يقع من الولاة فمن دونهم، فكانت الرعية كأنها في كف يده". كان الهدف من هذا الجهاز الاستخباراتي، هو تشخيص الأوضاع القبلية بكيفية دقيقة، استعدادا لتقليم أطراف القواد الذين تجاوزوا بجورهم كل الحدود، إلا أن المنية عاجلته سنة 1290 / 1873، قبل تنفيذ مشروع الإصلاح الإداري، وهذا ما قام به خلفه السلطان مولاي الحسن بن محمد.

وبعد سلسلة من المشاورات مع كبار رجال الدولة أقر السلطان رأي أغلبية رجال المخزن الذين أشاروا عليه بتولية عاملين أو أكثر على القبيلة "لتتفرق كلمتها وتنكسر شوكتها وتذعن للطاعة والخدمة المخزنية".

هذا التحول الذي طرأ على القيادة الكبرى لآيت يوسي، جعلت القائد اليوسي محمد أو الطالب يبحث عن طريقة تسمح له بالشغوف والظهور على القواد اليوسيين الآخرين، خاصة أنه يتوفر على تجربة مخزنية مهمة، لذلك وضع نفسه رهن إشارة السلطان مولاي الحسن لتنفيذ مهمة التخلص من الشيخ الصوفي محمد بن العربي العلوي المدغري صاحب

زاوية للارحمة الله بمدغرة، لإعلانه الجهاد ضد الفرنسيين بالأطراف الجنوبية الشرقية، ضد رغبة المخزن المسالم لفرنسا. وهكذا ما كاد اليوسي محمد أو الطالب يشرف على بلاد مدغرة حتى أمر الشيخ بعض أتباعه من آيت عطا، فاعترضوا حركه محمد أو الطالب اليوسي فقتلوه.

الناصري، الاستقصا، ج 9 : العربي اكنينح، آثار التدخل الأجنبي بالمغرب على العلاقة بين المخزن وقبيلة بني مطير : محمد يخلف، تطور أدوات السياسة المحلية بصفرو : المراكشي، الإعلام، 3 : 84.

أحمد البيزدي

اليونان والمغرب القديم، تتوفر على مؤشرات قوية عن احتكاك الإغريقين بسكان المغرب قبل العهد الفنيقي، حيث اشتهر أهل المغرب في هذه المرحلة بالأطلسيين رعايا الملك أطلس. وأهم ما يطبع العلاقة المبكرة بين العالم الإغريقي والمغرب القديم نوجزه في نقطتين أساسيتين هما : التأثيرات والمقاومة.

النقطة الأولى التأثيرات :

يتعلق الأمر بتأثيرات الأطلسيين في الثقافة أو الديانة الإغريقية. ونستهل هذه النقطة بما أثاره ديودور الصقلي من توافق الأسطورة الإغريقية والأطلسية في هذا المجال، وهو يحاول تأويل كل رواية أسطورية ليستنبط منها ما تنطوي عليه من خلفية واقعية ومنطقية. قال في هذا الصدد : "إن الأطلسيين رعايا أطلس هم أكثر الليبيين حضارة في هذه النواحي. فهم يمتلكون أرضا مزدهرة ومدنا كثيرة. ويحكى أن الآلهة ولدت في بلادهم بالمناطق القريبة من المحيط. وهذا موافق لما ورد في الأساطير الإغريقية". وأضاف في سياق آخر : "ينبغي أن أتناول بتفصيل ما كان يروج عندهم من أساطير حول ميلاد الآلهة، لأنها لا تختلف كثيرا مع ما يروجه الإغريقيون. فالأطلسيون الذين يسكنون بالمناطق المتصلة بالمحيط ويمتلكون أرضا مزدهرة، يتميزون عن جيرانهم بإيمانهم القوي وبمعاملة حسنة مع الأجانب. إنهم يؤكدون أن الآلهة ولدت في بلادهم. وهذا موافق لما يعتقدده أشهر شعراء الإغريقيين (يقصد هومروس) في حديثه على لسان هيرة Héra قائلا : سأذهب فعلا لأزور حدود الأرض الخصبة - المحيط حيث ولدت تيتوس Tithus الآلهة".

وفي حديثه عن الأصل الليبي للإله ديونسوس ختم بالإشارة التالية : "وأعلم كذلك أن من بين الإغريقيين هناك كثير من الشعراء والكتاب القدماء المتخصصين في الميثولوجية يوافقون الليبيين في آرائهم. وينطبق ذلك أيضا على عدد كبير من الكتاب المتأخرين". وأهم التأثيرات التي يشهد بها نفس الكاتب هي كون الملك أطلس معلم لهرقل : "إن أطلس أكرم هرقل بتلقينه مبادئ في علم النجوم Astrologie ، والمعلوم أن أطلس نبغ في هذا العلم

وصنع بمهارة كوكبا سماويا. وهذا ما جعل الناس يعتقدون أنه يحمل الكون فوق كتفيه. وبما أن هرقل هو أول من أتى إلى بلاد الإغريق بعلم الكروية، فقد قيل إنه أخذ عن أطلس حمل الكون".

وتتجلى مظاهر هذه التأثيرات من خلال التأكيد على الأصل الليبي أو الأطلسي لرموز الديانة الإغريقية، منهم : بوسيدون Poseidon : يقول عنه هيردوت : "إن الليبيين هم الذين انفردوا بتقديس الإله بوسيدون منذ قديم الزمان، وإليهم يرجع الفضل في تعرف الإغريقين لهذا الإله". كما أفاد أن الإلهة أثينة ليبية الأصل، مشيرا إلى طقوس كان يقوم بها الليبيون على شرفها، ومؤكدا أنها ابنة الإله الليبي بوسيدون. وأفاد أن بعض الطقوس الإغريقية التي ترتبط بتقديس الإلهة مستمدة من التقاليد الليبية. وأكد بوسانياس عن الهوية الليبية للإله بوسيدون وابنته أثينة، التي يصف تمثالها كما يلي : "بمشاهدي لعينيها الزرقاوتين، أدركت أن ذلك مستمد من أسطورة ليبية مفادها أن الإلهة ابنة بوسيدون، ولذلك فلون عينها أزرق مثل والدها".

أورانوس Ouranos : يقول عنه ديودور الصقلي : "يعتقد الأطلسيون أن أورانوس هو أول من حكم بلادهم. فقد أحاط مدينته بسور، وجمع فيها رعاياه الذين كانوا يهيمنون على الأرض ويعيشون حياة متوحشة. سن لهم القوانين وعلمهم نتاج الحبوب والاحتفاظ بها. فتح كل البلاد المسكونة خاصة في الغرب والشمال. كان يتأمل النجوم ويشرح بالأحداث التي ستجري في الكون وعلم قومه حساب السنة تبعا لحركة الشمس، وحساب الشهور اعتمادا على حركة القمر. وعلمهم كذلك دورة فصول السنة. وهكذا فإن جهل الناس بالنظام الأيدي للنجوم، وتأكدهم من صحة تنبؤات أورانوس بالمستقبل، كل ذلك جعلهم يتخذونه إلهًا. ولما اختفى من الوجود أطلقوا اسمه على الكون".

ديونوسوس Dionysos : يقول عنه ديودور الصقلي : "إن الليبيين الذين يسكنون بناحية المحيط يتشبهون بميلاد ديونوسوس في بلادهم، فهم يؤكدون أن أساطير الأولين التي تحكى حوله معروفة عندهم، وعلى رأسها مدينة نوسة Nusa، ويزعمون أن آثارها مازالت موجودة في بلادهم. وفي سياق آخر أوضح ما يلي : "ورد في قصص الليبيين أن ديونوسوس ابن لأمور Ammon وأمالتى Amalthee".

زيوس Zeus : قال نفس الكاتب : "إن كرونوس Kronos أخو أطلس كان يتصف بعدم الاستقامة والغدر ويحكى أنه تزوج أخته ريبا Réa، فأنجبت زيوس الذي عرف فيما بعد بالأولمبي". وقد خصه ديونوسوس بعناية فائقة. وبعد غزو هذا الأخير لمصر ولى عليها زيوس وهو لا يزال صبيا.

هرميس Hermes : في الحديث عن بنات أطلس قال نفس الكاتب : "بزواجهن بالآلهة والأبطال تكون الجنس البشري. فمايا Maria تزوجت بزيوس وأنجبا هرميس صاحب

اختراعات نافعة للناس. بينما أنجبت بقية الأطلسيات أبناء اشتهر بعضهم ببناء المدن وآخرون بتكوين عدة أمم". والجدير بالذكر أن الشاعر الروماني فرغليوس أشار إلى أن هذا الإله الذي يدعى مركوربوس Mercurius عند الرومان، ينحدر من ذرية أطلس مثله في ذلك كمثل أهل طروادة.

النقطة الثانية : مظاهر المقاومة والتصدي بين الطرفين نسجل معالم مقاومة الطرفين الإغريقي والأطلسي لبعضهما البعض. والغالب أن تداول أدوار هذه المقاومة كان حسب ظروف القوة والضعف في أحوال كل طرف على حدة. وأهم بوادر المقاومة والتناحر نجدها تصدر عن الطرف الإغريقي. فالإله زيوس انتزع الملك من والده كرونوس بعد حرب بينهما. وفرض على أطلس أن يحمل الكون فوق كتفيه. كما أن الإلهة أثينا حاربت والدها بوسيدون لانتزاع السيطرة على أتیکا Attika. وعاقب بيرسيوس Persée الملك أطلس من خلال النص التالي : "ولما رفض أطلس استضافة بيرسيوس سلط عليه غضبه فمسخ وتحول إلى جبل. فصار شعره ولحيته غابات وتحولت كتفاه وذراعه إلى تضاريس ومنحدرات، وأصبحت عظامه حجارة. لقد هوت السماء فوقه بكل كواكبها حسب إرادة الإلهة".

نستخلص من هذه المواقف أن ما يطبعها من تمرد وانتقام يعبر عن مقاومة رموز العالم الإغريقي، لأجل الاعتناق من وطأة الليبيين والأطلسيين. وتتجلى ملامح المقاومة والتصدي بين الطرفين، من خلال العلاقة السيئة بين بوسيدون ومينوس Minos، قيل في هذا الصدد : "كان في كريت ثور عاث فسادا في البلاد كلها... ويحكي الكريتيون أن بوسيدون سلط هذا الثور على بلادهم، لأن مينوس لما كان يسيطر على المياه الإغريقية كان لا يقدر بوسيدون. وقيل إن الثور نقل من كريت إلى البيلوبونيز في واحد من أعمال هرقل... وفي أتیکا قتل كل من التقى به وضمنهم أندروكي Androgé بن مينوس".

والجدير بالذكر أن جزيرة كريت خضعت لأقارب أطلس، ابتداء من عمه زيوس الأكبر أخ أورانوس الذي يعد أول ملوك الأطلسيين. قيل إن زيوس الأكبر ساد في كريت وأنجب عشرة أبناء يدعون بالكوريتيين Kouretes وأطلق اسم زوجته إيدايا Idaia على الجزيرة. ومدفنه كان معروفا بالجزيرة في وقت الكاتب ديودور الصقلي أي في القرن الأخير قبل الميلاد. ثم خضعت الجزيرة لحكم أمون ملك الليبيين بنواحي المحيط. فلما انهزم أمام كرونوس وريبا التجأ إلى جزيرة كريت حيث تزوج فتاة تدعى كريتتي Krété، ابنة أحد الكوريتيين الذين كان يحكم الجزيرة. وقد بسط أمون حكمه على الجزيرة وبدل اسمها إيدايا باسم زوجته كريتتي. وكان يعرف بذئ القرنين وكذلك ولده ديونوسوس.

ومن مؤشرات الصراع الإغريقي الأطلسي، ما روي حول مواجهة الأثينيين للأطلسيين في جزيرتهم أظنتسيده Atlantide، حيث أنشأوا إمبراطورية شمل نفوذها أرجاء

1966 ; Idem, Alfarreras de epoca punico-mauretania en Kouass, (Arcila Marruecos), dans *Papeles del laboratorio de Arqueologica de Valencia*, 4, 1968 ; Idem, Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région, Paris, 1970 ; Lixus, quartier des temples, dans *ETAM*, 9, 1981 ; A. Jodin, Mogador comptoir phénicien du Maroc atlantique, dans *ETAM*, 2, 1966 ; J. Schmidt, *Dictionnaire de mythologie grecque et latine*, Paris, 1992 ; M. Gras, La mémoire de Lixus, dans *Collection de l'Ecole Française de Rome*, 166, p. 27-44, 1992 ; P. Rouillard, Le commerce grec du 5ème et du 4ème siècle av. J.-C. dans la région de Lixus et de Gades, dans *Collection de l'Ecole Française de Rome*, 166, p. 207-215, 1992.

محمد مجدوب

محمد حجي، يعتبر الأستاذ محمد حجي علما بارزاً من أعلام الثقافة ورائدا من رواد البحث العلمي بالمغرب. تجمعت في شخصه ملكات المؤرخ والمحقق والمترجم والفقهاء، فسخرها بوفاء المتصوفة لبناء جانب كبير من صرح الثقافة المغربية وراهن بكل طاقاته من أجل تحقيق مشروع كتابة تاريخ المغرب.

النشأة والتعليم :

ولد محمد حجي بمدينة سلا ودفن بها بعد أن بلغ الثمانين سنة، ومن غريب الصدف أنه توفي في نفس تاريخ الشهر الذي ولد فيه. إذ كان ميلاده في (31 يناير 1923)، ووفاته في (30 يناير 2003) الموافق 13 جمادى الثانية 1341 و27 ذو القعدة 1423. ينحدر من أسرة حجي السلاوية، وهي أسرة عريقة في مجال العلم والوطنية، أنجبت العديد من الشخصيات أمثال سعيد وعبد الرحمان حجي.

نهل الأستاذ محمد حجي من معين الثقافة التقليدية والعصرية معا، فأخذ القرآن ومختلف فنون العلم في اللغة والفقه والأدب والفلك والسيرة عن ثلة من العلماء الأجلاء أمثال : الجيلاني النجار والفقهاء زين العابدين بن عبود والحاج محمد الصبيحي وأبو بكر زنيبر ومحمد المدني بن الحسيني وشيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي وعبد الرحمان بن شعيب الدكالي، وغيرهم. وقد انفتح على الثقافة العصرية فتعلم اللغات الأجنبية فحصل على دبلوم اللغة العربية في الترجمة من مهد الدراسات المغربية العليا بالرباط، (1958) والذي أصبح يدعى كلية الآداب والعلوم الإنسانية الآن. وحصل على الإجازة في اللغة العربية وأدابها 1961، ودبلوم الدراسات العليا في التاريخ 1963 كلاهما من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. ثم حصل على دكتوراه الدولة من جامعة السربون بباريس 1976.

في مجال التوظيف :

اشتغل في مؤسسات تعليمية متعددة، مدرسة محمد جسوس بالرباط ومدرسة للاعائشة بسلا وثانوية أزرو ومدرسة المعلمين بالرباط وثانوية مولاي يوسف بها، ومدير مدرسة المعلمين الإقليمية بمراكش، والمفتش الإقليمي للتعليم بالرباط والمفتش الأول بوزارة التعليم.

العالم المتوسطي. وهنا نلفت الانتباه إلى أن عناصر أسطورة الجزيرة المذكورة، تجد جذورها وأسسها في واقع الأطلسيين بالمغرب القديم، الذي تصورته الرواية كجزيرة مندرسة. والغالب على الظن أن وحدة الجزيرة وبلاد المغرب في المجال، تتجلى في كون الملك أطلس حكم المغرب القديم والجزيرة المذكورة.

أما مقاومة الطرف الأطلسي للإغريقي فنلمسها في صراع أنثايبوس Anthaeus وهرقل Herakles. قال بانداروس : "قصد هرقل أنثايبوس الذي كان يقيم في ليبيبة الزاخرة بالحبوب وذلك لمنعه من تزيين معبد بوسيدون بجماجم الأجانب". وقال ديودور الصقلي : "اشتهر أنثايبوس بقوته الجسمانية المخارقة ونباهته في المصارعة، مما جعله يقتل كل الأجانب الذين تجرأوا على مواجهته. ولما وصل هرقل إلى ليبيبة دعا أنثايبوس للمصارعة فغلبه".

والراجح أن هذه العلاقة بين الإغريقيين والأطلسيين، صارت خلفية دفعت الإغريقيين إلى منافسة الفنيقيين لأجل استيطان المغرب القديم. ويبدو أن ذكرى ما تمكن منه الإغريقيون، يتلخص في أثر سور لأهل كاريا Karia لفت نظر حنون، فصاغ من ذلك الأثر اسم السور الكاري كاركون طيخوس Karikon Teikhos. لإحدى مستوطناته التي أنشأها ما بين المضيق ولكسوس Lixus. وفي هذا الصدد نجد باحثا حاول أن يناقش إمكانية وجود أهل جزيرة بيوتيا Beotia بالمغرب ما بين القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد. غير أن حصة الأسد كانت على ما يبدو لصالح الفنيقيين، الذين كانوا يروجون الخنزف الآتيكي في المغرب. وقد أكدت نتائج البحث الأثري صحة هذا الخبر، نظرا لوجود المواد الإغريقية والفنيقية في نفس الوسط الأثري، خاصة في جزيرة مكدور. ولقد استمر تداول الخنزف الآتيكي حتى القرن الرابع قبل الميلاد، بناحية طنجة في موقع يدعى بوتيا بو Petit bois ولكسوس والأقواس وبناسة. وهذا يوحي بأن أهل المغرب كانت لهم علاقة متميزة مع بلاد اليونان، في الوقت الذي كان الموريون يرتابون في التعامل مع القرطاجيين ثم مع الرومان. والجدير بالذكر أن السلع المورية كانت تروج في هذه الحقبة في بلاد اليونان، وتم اكتشاف كمية كبيرة منها في كورنشا، يرجح تاريخ تداولها بالمدينة إلى النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد.

محمد مجدوب، دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، مرقونة، 1998 ; أضواء حول تاريخ المغرب قبل الفنيقيين، النشرة الأثرية المغربية، 20، تحت الطبع.

M. Tarradell, *Historia de Marruecos, Marruecos punico*, Tetuan, 1960 ; F. Villard, *Céramique grecque du Maroc*, dans *BAM*, 4, p. 1-26, 1960 ; M. Ponsich, *Exploitations agricoles romaines à la région de Tanger*, dans *BAM*, 5, p. 235-252, 1964 ; Idem, *A propos d'une lampe grecque trouvée à Banasa*, dans *BAM*, 6, p. 465-468,

تقلب في عدة وظائف أخرى، فكان نائب وزارة التربية الوطنية بإقليم الدار البيضاء ورئيس قسم البحث والعمل التربوي بوزارة التربية الوطنية. وعين أستاذاً مساعداً ثم محاضراً ثم أستاذاً للتعليم العالي بكلية الآداب بالرباط ما بين سنة 1967 و1979 ثم عميداً لها (1979 - 1981). ثم مديراً للمدرسة المولوية (1982 - 1984) ثم أمضى بقية حياته رئيساً للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر بالرباط. خصاله وإسهاماته :

من أهم خصاله أنه يتسم بمسحة من التصوف، وفي إطارها كان يدبر أموره وأمور عائلته بمنطق يجمع بين الصرامة والوداعة، ويجمع إلى تواضع العلماء حذق العارفين مع صبر وأناة لا يفقدهما إلا عندما يصادف ما يتعارض مع مبادئه الإنسانية وأخلاقه الحسنة، وقد أدار بحكمة شؤونه العائلية والإدارية والتعليمية، واستفاد من توجيهاته وإرشاده العديد من الطلاب والباحثين ممن كان يشرف على أبحاثهم ودراساتهم.

وساهم في تحقيق كثير من المشاريع الهامة، قدم خلالها خدمات جليلة سبقت علامات بارزة في ثقافة المغرب وحضارته، من أهمها : إسهامه في نشر الكتاب المدرسي بالتعليم الابتدائي والثانوي بالمغرب تأليفاً وإصداراً. كما أنه أسس مطبعة خاصة تدعى مطبعة "دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر" بالرباط، كان يديرها بنفسه، فأصدر جملة من الكتب بين سنوات 1973 و1976، ثم توقفت المطبعة. وشارك في تعريب مادتي التاريخ والجغرافية والتمهيد لتعريب مادتي الفلسفة وعلم النفس بالجامعة المغربية، كما أسس "الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر" صحبة جملة من الأساتذة والباحثين، سنة 1980، وفي إطارها أصدر مجلة الكتاب المغربي في تلك السنة، وأصدر المجلد الأول من "معلمة المغرب" سنة 1980 وهي موسوعة مغربية من ثلاثة وعشرين مجلداً، انتهى طبعها كاملة سنة 2005. آثاره العلمية :

كان الأستاذ حجي شغرفاً بالتأليف والترجمة والنشر، مما جعل إنتاجه الفكري يعرف غزارة شملت مختلف الحقول، كان في طليعتها التأليف في الحقل التاريخي الذي يعتبر من رواده إلى جانب حقول الترجمة والتحقيق والنشر. ونورد هنا مجمل مؤلفاته التي تتجاوز أربعين كتاباً مرتبة كما يلي :

1. مؤلفات :

- الزاوية الدلائلية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الطبعة الأولى. الرباط 1964 : الطبعة الثانية. الدار البيضاء، 1988.

- الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، الطبعة الفرنسية والترجمة العربية، المحمدية، 1396 / 1976 (جزآن).

- فهرس مخطوطات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، الكويت، 1406 / 1985.

- تراث الأندلس : تكشيف وتقويم (بالاشتراك) الدار البيضاء، 1414 / 1993 (جزآن).

- جولات تاريخية : بحوث سياسية واجتماعية وثقافية من تاريخ المغرب عبر العصور، بيروت، 1995 (جزآن).

- سلا : حاضرة ألفية بالفرنسية (بالاشتراك). 1997.

- أعلام مغاربة لهم علاقة بالبحر، مطبعة عكاظ، الرباط، 1998.

- نظرات في النوازل الفقهية، الرباط، 1999.

- انبعاث الفقه وتطبيق الشريعة الإسلامية ضمن سلسلة كتاب "دعوة الحق". منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط، 2002.

- كتب مدرسية :

ألف وحده أو بالاشتراك عدداً من الكتب المدرسية المقررة أو الموازية في التعليم العمومي على امتداد نحو عشرين سنة (1956 - 1974) من المرحلة الابتدائية إلى قسم البكالوريا.

2. التحقيقات :

- ألف سنة من الوفيات في ثلاثة كتب : شرف الطالب ؛ وفيات أحمد الونشريسي، لقط الفرائد، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1976.

- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تأليف محمد ابن عسكر الشفشاوني (ت. 986). الرباط 1976.

- فهرس أحمد المنجور دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1976.

- المحاضرات في اللغة والأدب، للحسن اليوسي دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1396 / 1976.

- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني (بالاشتراك) تأليف محمد بن الطيب القادري، الرباط والدار البيضاء، 1977 - 1986 (4 أجزاء).

- زهر الأكم في الأمثال والحكم (بالاشتراك) تأليف الحسن اليوسي (ت. 1102) الرباط، 1981 (3 أجزاء).

- فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور (بالاشتراك)، تأليف الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، بيروت، 1981.

- المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب (بالاشتراك)، أحمد الونشريسي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1981 (13 جزءاً).

- البيان والتحصيل والشرح والتوحيد والتعليل (بالاشتراك) لأبي الوليد بن رشد القرطبي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1987 (20 جزءاً)

- المقدمات الممهدة لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من

- عبد القادر الجيلاني شيخ كبير من صلحاء الإسلام لمحمد علي عيني التركي، الدار البيضاء، 1993.
 محمد حجي، السيرة الذاتية بقلمه ضمن ملفه الإداري بكلية الآداب؛ جريدة العلم، الملحق الثقافي بتاريخ فبراير 2003؛ محمد حجي الإنسان والمفكر، خديجة حجي، مجلة القوات المسلحة الملكية سنة 2003، ص. 34؛ محمد حجي، مشابرة المربي والباحث، صدر بعناية فاطمة الجامعي الحبابي، مطبعة فضالة، 2004.
 عمر أفا

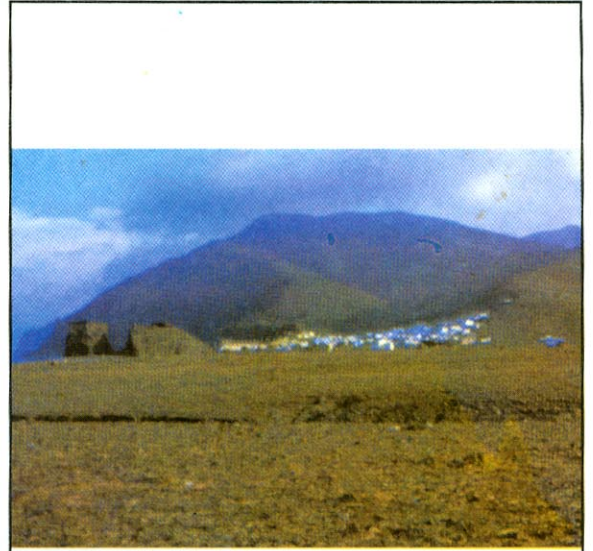
الأحكام الشرعيةيات (بالاشتراك)، لأبي الوليد بن رشد القرطبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988 (3 أجزاء).
 - صلة الخلف بموصول السلف لمحمد بن سليمان الروداني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
 - الرحلة الحجازية لمحمد يحيى الولاتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
 - الذخيرة في أصول الفقه وفروعه (بالاشتراك) تأليف أحمد القرافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994 (14 جزءاً).



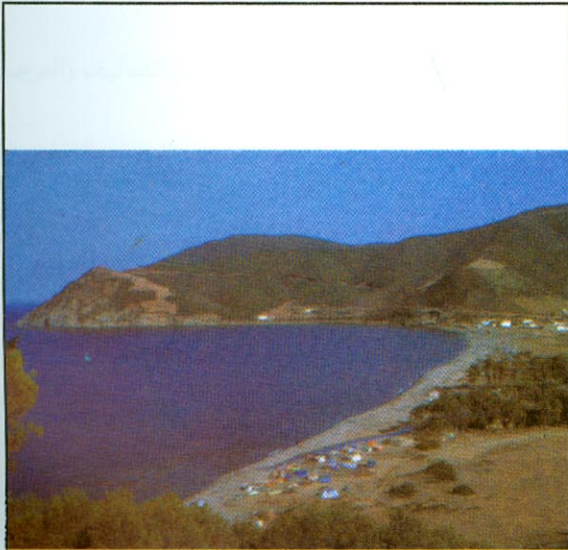
- موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (عشرة أجزاء).
 - النوادر والزيادات في الفقه المالكي (بالاشتراك)، لأبي زيد القيرواني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000 (15 جزءاً).
 3- الترجمات (كلها بالاشتراك)
 - وصف إفريقيا للحسن بن محمد الوزان الفاسي (ت. بعد سنة 957) الطبعة الأولى، مطبعة البلاد، الرباط، 1980. الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983 (جزآن).
 - إفريقيا تأليف مارمول كريخال الإسباني، الرباط، 1984 (ثلاثة أجزاء).
 - فاس قبيل الحماية روجي لوطنو الفرنسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986 (جزآن).
 - تاريخ الشرفاء تأليف ديبغوردي طوريس الإسباني افسباني، الدار البيضاء، مطابع سلا، 1988.
 - رحلة الأسير موويت، تأليف الرحالة موويت الفرنسي، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، 1990.



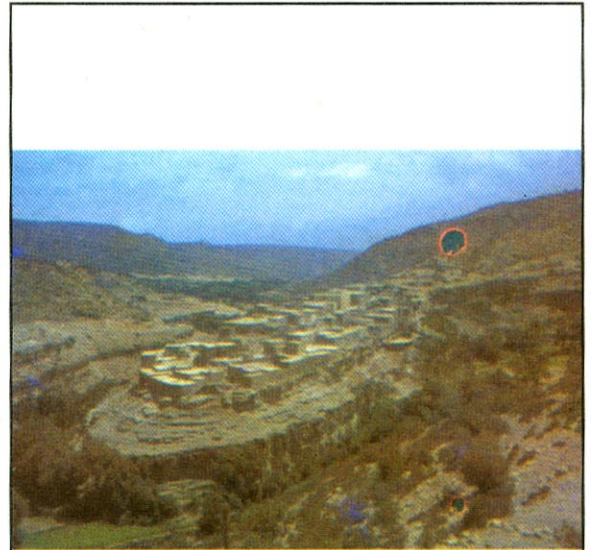
ایموزار مرموشة



تارگا



واد لآو



بولمان



ضاية عوا



ضاية الرومي



ضاية أفركاغ



ضاية إيضر

انتهى بعون الله وقوته المجلد الثاني والعشرون من معلمة المغرب ويليه الجزء الثالث والعشرون المتضمن للفهارس ويكون بذلك قد اكتمل هذا العمل الذي استغرق إنجازَه زهاء ربع قرن فكان بمثابة مغامرة ثقافية رأينا عند انطلاقها أنها لن تتجاوز عشرة مجلدات، ثم لما أكملنا عشرة مجلدات ولما نتجاوز حرف الحاء ظننا أن أربعة عشر مجلداً قد تفي بالغرض، فلما تجاوزناها قلنا لا بد من عشرين، وها نحن نقف عند ثلاثة وعشرين، ونحن على بينة من أننا حفظنا ولاشك شيئاً وضاعت عنا أشياء كثيرة كنا نود أن تنتظم في هذا السلك الممدد الذي كانت الغاية منه تمكين حملة العلم في هذا الوطن العزيز على اختلاف تخصصاتهم من تدوين ما في علمهم عن أرض المغرب ونباتها وحيوانها وسكانها وضرورة كل ذلك وتاريخ البلاد وما ترتب على كل ذلك من الأعراف والطبائع والمبادرات وأساليب الابتكار، مما شكل مقومات الحضارة التي تتميز بها هذه الأرض الراكنة في الركن الشمالي الغربي من القارة الإفريقية. واجتهد الباحثون في تدوين معلوماتهم على طول الصفحات والمجلدات علما منهم بأن شرف العلم نشره في عموم القراء، كل بحسب طاقته وأسلوبه في الكتابة وقدرته على الإيجاز أو الإطناب، فجاء ذلك من مميزات هذه المعلمة التي لم يخطر ببال أحد في أي لحظة من لحظات إنشائها أن تحرر بقلم واحد، وإنما تقرر أصلاً أن تتضافر في تحريرها الأقلام المتعددة فهي مجهود جيل معين ينم عن تطلعات وتشوفات ومؤهلات ومشبطات يجد القارئ الكريم إشارة إليها في المقدمة التي يفتتح بها المجلد الأول، وله وهو يقف على المجلد الأخير أن يحكم على العمل برمته، هل بلغ المقاصد المنشودة، وهل أخلص لما اختار من المناهج، وكيف يمكن تدارك ما يستحب تداركه وتصويب ما ينبغي تصويبه، إذ لا سبيل إلى الكمال فيما يرومه الإنسان، لا سيما إذا امتد العمل واتسع النطاق. وحسب المرء في مثل هذه الأحوال أن يكون قد كدّ واجتهد وصبر وصابر حتى حقق المبتغي وأصاب الهدف بالرغم مما اعترض سبيله من العوائق. وأشد تلك العوائق على المرء وفاة الرفاق خلال الطريق ووفاة صاحب الفكرة الأول وقائد هذه المسيرة العلمية الأستاذ محمد حجي الذي يؤسفنا أن لا يكون إلى جانبنا ونحن ننهي العمل، ولكن عزائنا في ذلك أن نكون قد وفينا بما أوصى به على فراش موته بأن تخرج المعلمة كاملة إلى الجمهور. وها نحن نفعل والحمد لله ونحن على وشك الاحتفاء بالذكرى الثالثة لوفاته رحمه الله وجزاه على ما قام به في سبيل نشر العلم جميل الجزاء، وجعل هذا العمل محسوباً في حسنات كل من ساهم في إخراجه إلى حيز الوجود من قريب أو بعيد.

الرباط 4 ذي الحجة 1426

5 يناير 2006

تم طبع الجزء 22 من معلمة المغرب
بمطابع سلا وبمطبعة النجاح الجديدة
في ذي القعدة عام 1426 / دجنبر 2005

مطابع سلا

قسمة 14، زنقة عثمان بن عفان
الحي الصناعي لتابريكت
ص.ب. 596 سلا

19، زنقة العافظ السلفي
المعاريف - الدار البيضاء



Copyright © IMPRIMERIE DE SALÉ "SALA" 2005

ISBN 9981 - 03 - 000 - 7 (Ensemble)

ISBN 9981 - 03 - 029 - 5 (Tome 22)

Encyclopédie
du
Maroc

Directeur de publications : **Feu Mohamed Hajji**

Comité de rédaction : **Ahmed Toufiq**
Mohamed Hajji

Comités scientifiques :

Pour les sciences humaines

Mohamed BENCHRIFA, Faculté des Lettres, Rabat.

Brahim BOUTALEB, Faculté des Lettres, Rabat.

Salem YAFOUT, Faculté des Lettres, Rabat.

Mustapha NAIMI, Institut Universitaire pour la Recherche Scientifique, Rabat.

Pour la géographie et les sciences de la nature

Abdellah LAOUINA, Faculté des Lettres, Rabat.

Dris EL-Fassi, Institut Agronomique et Vétérinaire Hassan II, Rabat.

Mustapha AYAD, Faculté des Lettres, Rabat.

Abdelmalek BENABID, Ecole Nationale Fôrestière, Salé.

Mohamed RAMDANI, Institut Scientifique, Rabat.

Tous droits réservés, y compris le droit de traduction ou de reproduction
même partielles sous quelque forme que ce soit.



IMPRIMERIE DE SALÉ

Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane

Zone Industrielle de Tabriquet

B.P. 596 SALÉ

Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.



Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

L'Imprimerie de Salé

"SALA"

2005 - 1426